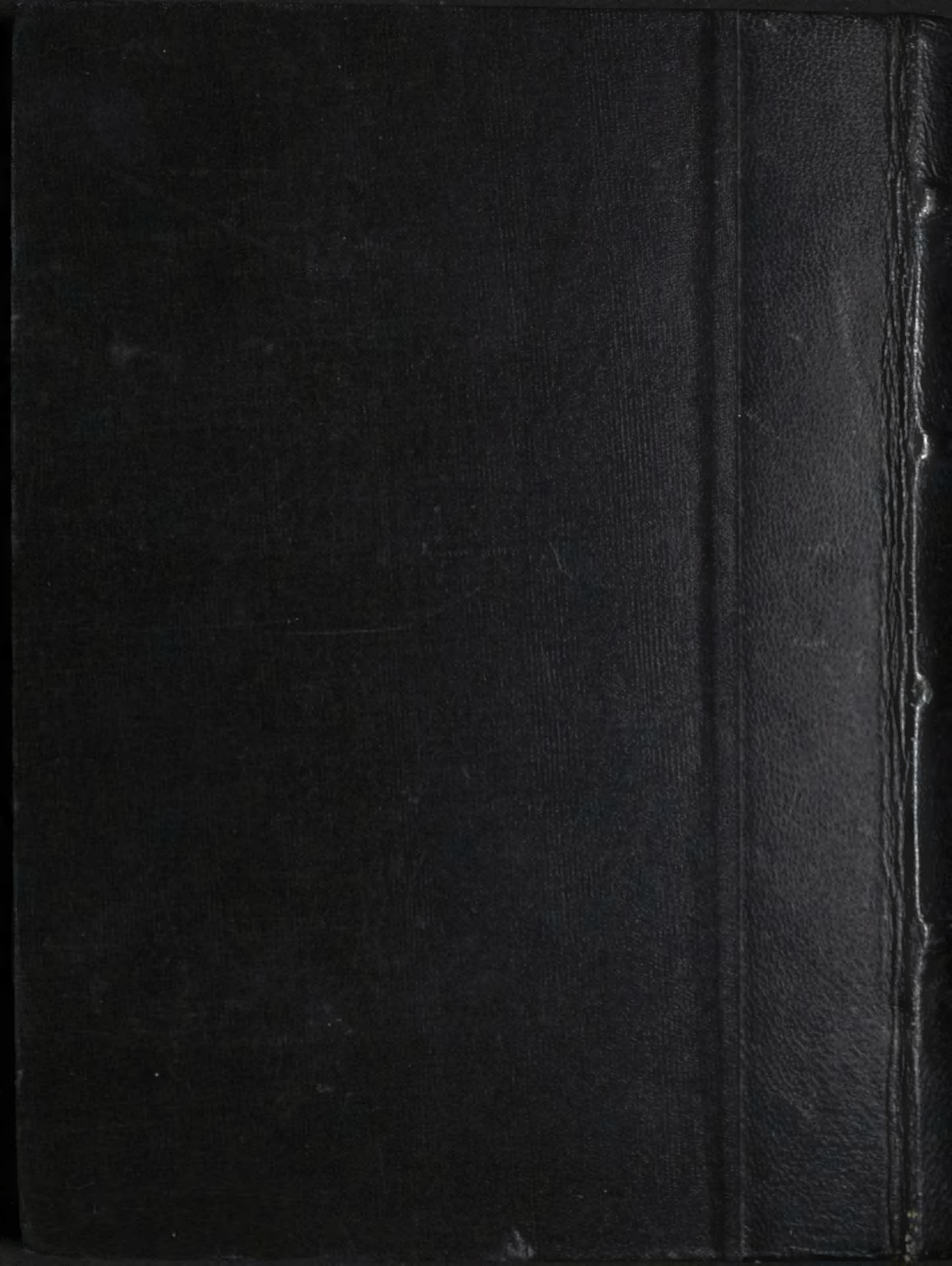
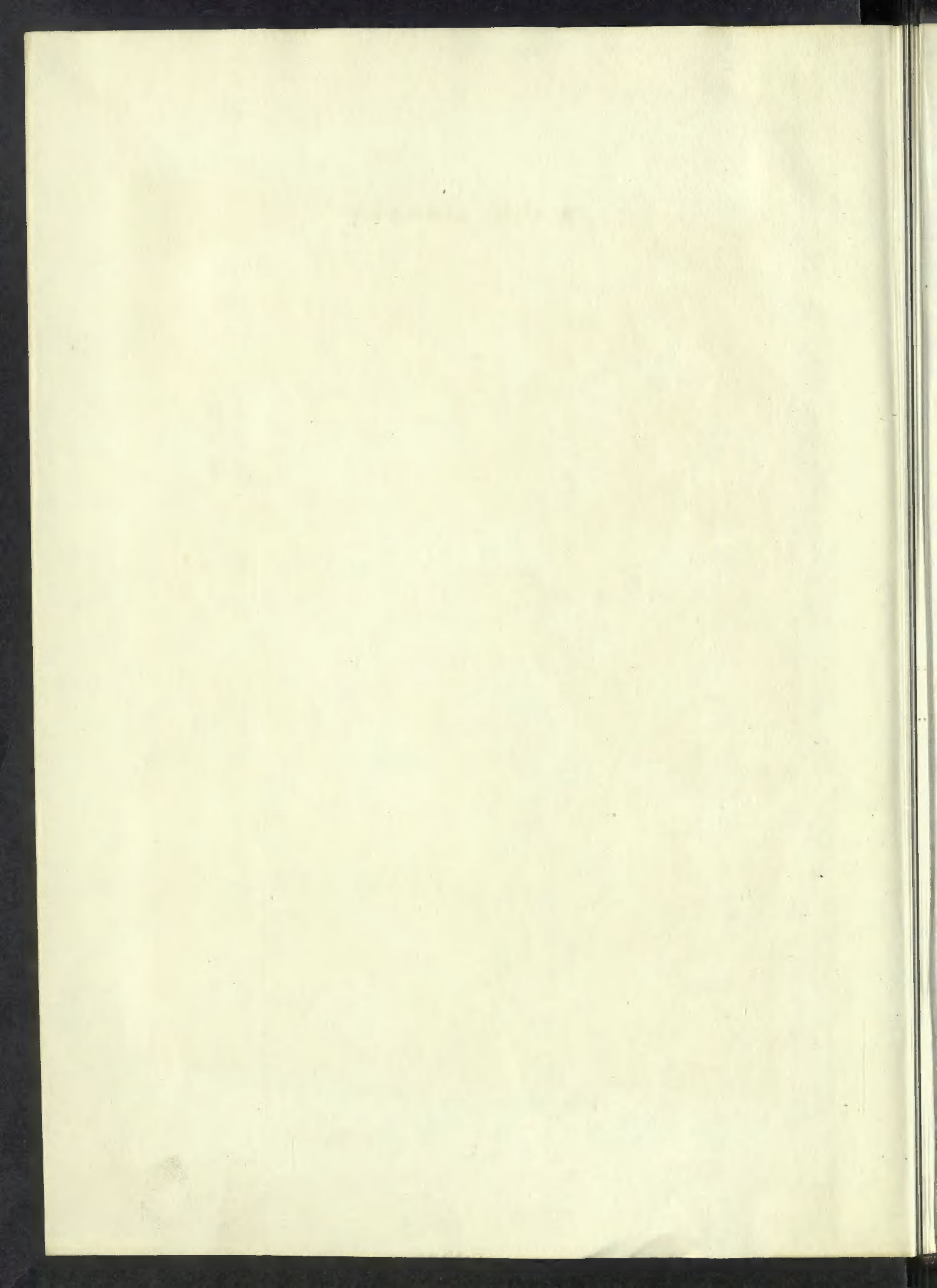
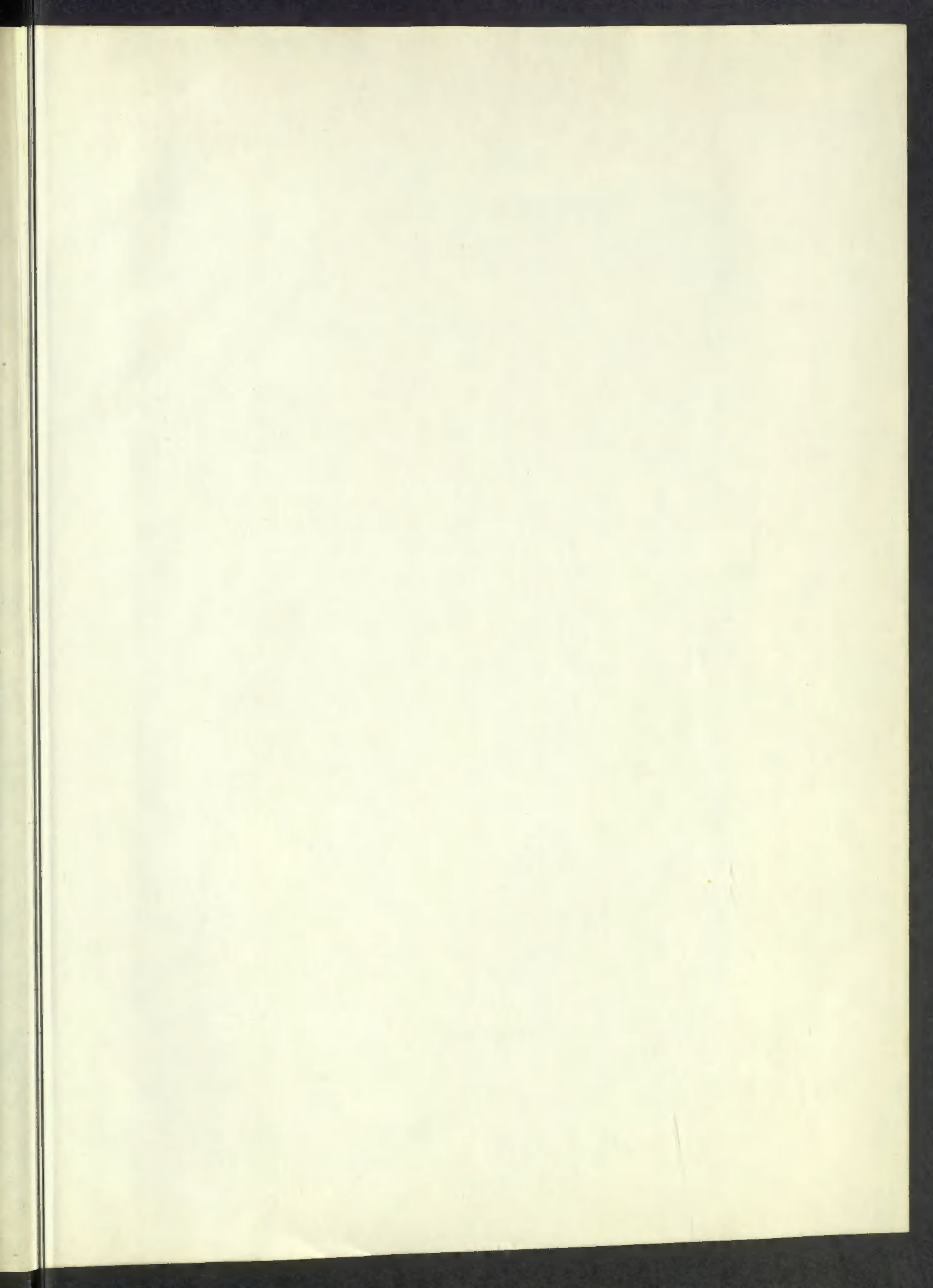
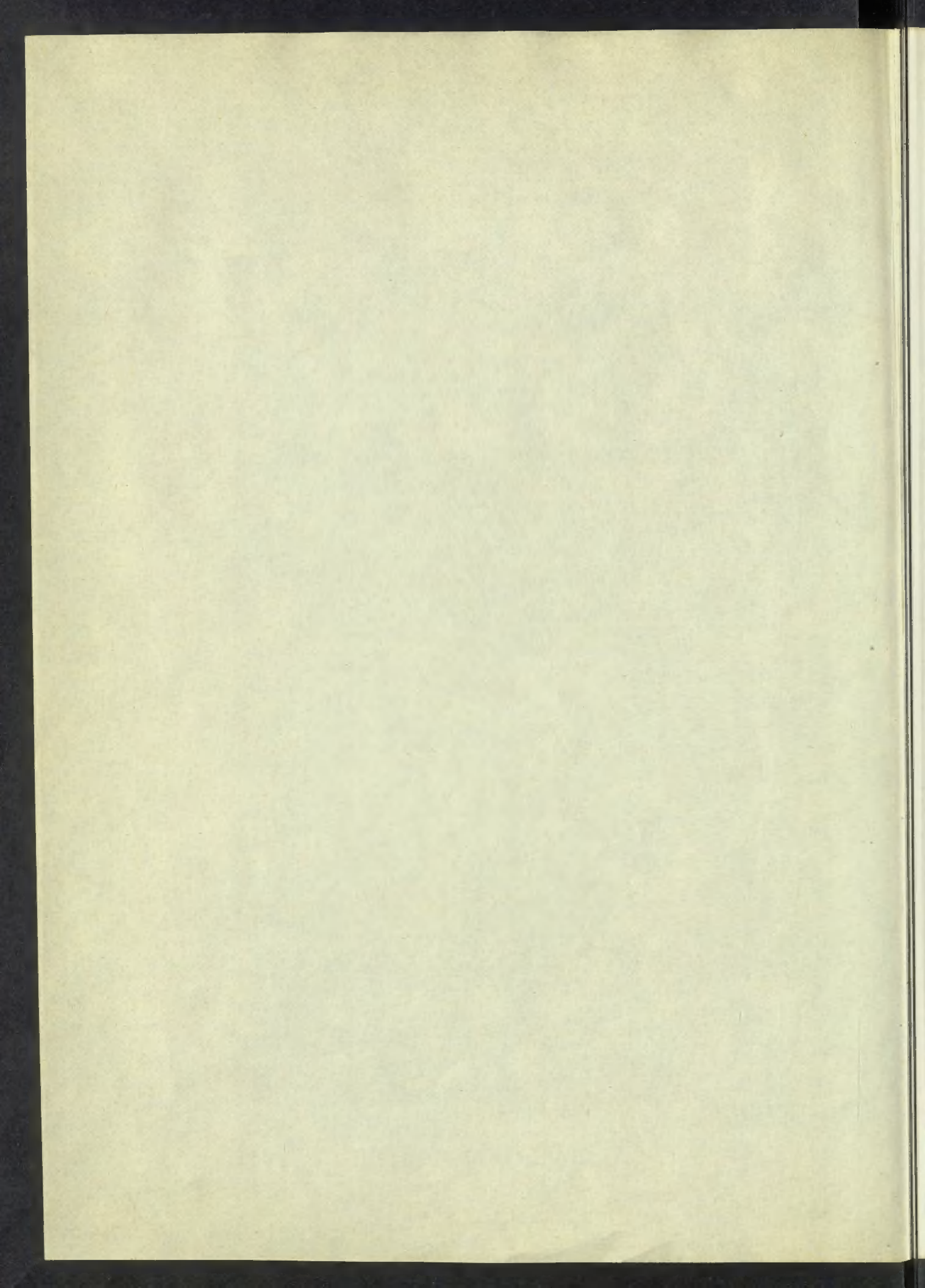
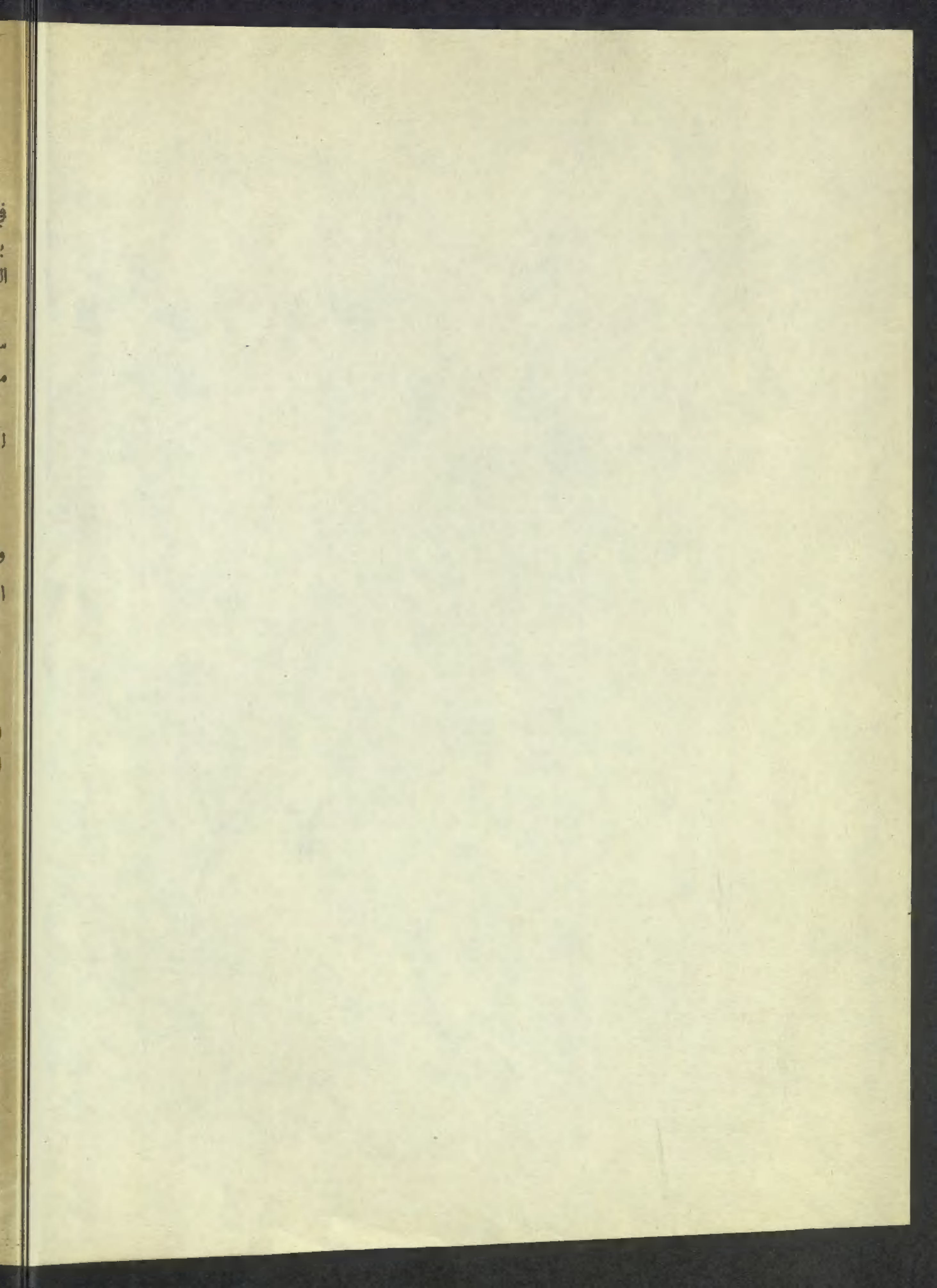










﴿ كلمة في مزية تفسيري ابن كثير والبغوي وفي طبعهما ﴾

يقول محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار ومطبعتها: هذان التفسيران من أشهر كتب التفسير في العناية بما روي عن مفسري السلف، وبيان معاني الآيات وأحكامها، وتحامي ما أطال به الكثيرون من مباحث الاعراب ونكت فنون البلاغة أو الاستطراد لعلوم أخرى لا يحتاج اليها في فهم القرآن ولا التفقه فيه ولا الاتعاظ به.

ومن مزايا الاول العناية بما يسمونه تفسير القرآن بالقرآن فهو أكثر ما عرفنا من كتب التفسير سردا للآيات المتناسبة في المعنى، ويلي ذلك فيه الاحاديث المرفوعة التي تتعلق بالآية وبيان ما يحتج به وما لا يحتج به منها، ويليها آثار الصحابة وأقوال التابعين ومن بعدهم من علماء السلف ومنها تذكيره بما في التفسير المأثور من منكرات الاسرائيليات وتحذيره منها بالاجمال، وبيانه لبعض منكراتها بالتعيين، ويا ليته استقصى ذلك أو ترك ايراد ما لم تتوفر فيه داعية التمحيص والتحقيق

أمر بطبع هذين التفسيرين الجليلين المشهورين معا - وبطبع كتب اخرى في التوحيد والحديث والفقه - ناصر السنة ومحيي آثار السلف السلطان عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل امام نجد وملحقاتها لاجل نشر الدين الحق في تلك البلاد اثابه الله تعالى. وطبعنا نحن بالتبع له طائفة اخرى من هذا الكتاب وغيره، لاجل تعميم نشره.

***

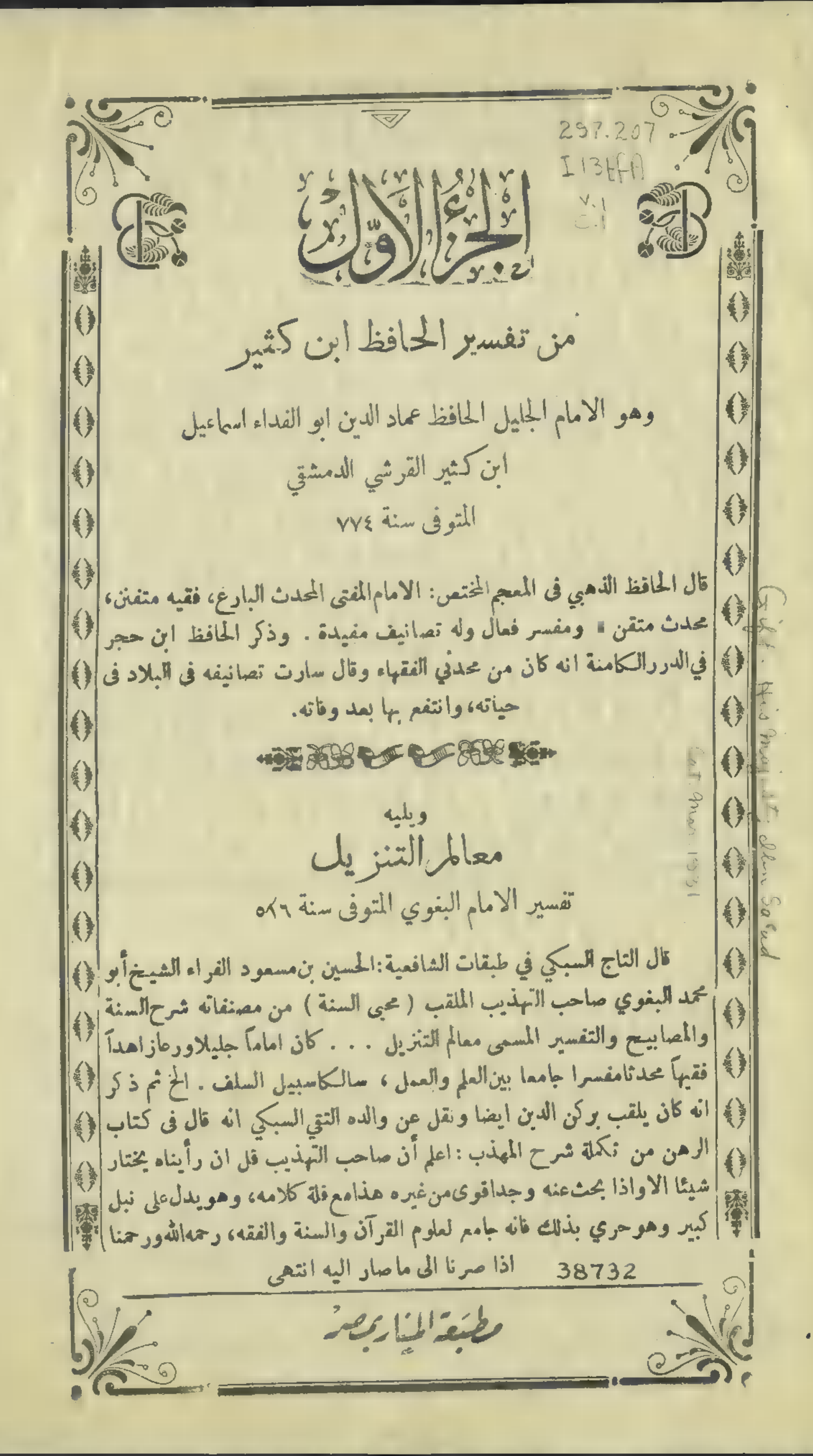
عولنا في طبع الاول على النسخة المطبوعة في المطبعة الاميرية بمصر سنة ١٣٠٠ في حواشي كتاب (فتح البيان في مقاصد القرآن) للسيد أبي الطيب صديق بن حسن خان ملك بهوبال نامره رحمه الله تعالى — وهي طبعة كثيرة الغلط والتحريف ما رأينا في مطبوعات دار الطباعة الاميرية مثلها في هذا. ولم نجد نسخة خطية صحيحة للمعارضة عليها الا نسخة في خزانة كتب الجامع الازهر لا تخلو من غلط وتحريف وحذف ونقص بعض المسائل ولا سيما الاستطرادية. ولكننا استفدنا منها كثيراً، وما كنا نعلم عدم صحته في النسختين معاً أو نشتبه فيه نراجعه في موضعه او مظنته من كتب الحديث واسماء رجاله وتفسير الطبري والدر المنثور للسيوطي وغيرها

وأما تفسير البغوي فقد طبع مراراً في الهند ومصر ولم نر نسخة منه جيدة التصحيح، ولدينا نسخة من مخطوطات كتب أجداد ناغير تامة كتبت سنة ٦٦٩ فكنا نقابل تجارب الطبع عليها وعلى نسخة خطية أخرى من دار الكتب المصرية وكل منهما لا تخلو من الغلط والتصحيف والتحريف - مع مراجعة المظان من غيرها

وقد علقنا على كل من التفسيرين تعليقات في بيان بعض الغلط الظاهر والمشتبه فيه الذي لم نجد له أصلا صحيحاً ولا نستحل أن نصححه برأينا وضبط بعض الكلم وتخريج بعض الاحاديث او بيان درجتها - وفي ايضاح بعض المسائل الغامضة او المبهمة وميزنا الآيات المفسرة من الآيات المذكورة والشواهد في التفسيرين بما يراه الناظرون وكذلك الاحاديث المرفوعة. فجاءت هذه الطبعة للتفسيرين أصح من كل النسخ المطبوعة والمخطوطة التي رأيناها ولله الحمد

﴿ طبع بمطبعة المنار بمصر سنة ١٣٤٣ ﴾

﴿ فهرس المسائل المهمة في الجزء الاول من تفسيري ابن كثير والبغوي ﴾



الجزء الأول

من تفسير الحافظ ابن كثير

وهو الامام الجليل الحافظ عماد الدين ابو الفداء اسماعيل
ابن كثير القرشي الدمشقي
المتوفى سنة ٧٧٤

قال الحافظ الذهبي فى المعجم المختص: الامام المفتى المحدث البارع، فقيه متفنن، محدث متقن ، ومفسر فعال وله تصانيف مفيدة . وذكر الحافظ ابن حجر في الدرر الكامنة انه كان من محدثي الفقهاء وقال سارت تصانيفه فى البلاد فى حياته، وانتفع بها بعد وفاته.

ويليه

معالم التنزيل

تفسير الامام البغوي المتوفى سنة ٥٨٦

قال التاج السبكي في طبقات الشافعية: الحسين بن مسعود الفراء الشيخ أبو محمد البغوي صاحب التهذيب الملقب (محيي السنة) من مصنفاته شرح السنة والمصابيح والتفسير المسمى معالم التنزيل . . . كان اماماً جليلا ورعا زاهداً فقيهاً محدثا مفسرا جامعا بين العلم والعمل ، سالكا سبيل السلف . الخ ثم ذكر انه كان يلقب بركن الدين ايضا ونقل عن والده التقي السبكي انه قال فى كتاب الرهن من تكملة شرح المهذب : اعلم أن صاحب التهذيب قل ان رأيناه يختار شيئا الا واذا بحث عنه وجد اقوى من غيره هذا مع قلة كلامه ، وهو يدل على نبل كبير وهو حري بذلك فانه جامع لعلوم القرآن والسنة والفقه ، رحمه الله ورحمنا اذا صرنا الى ما صار اليه انتهى

مطبعة المنار بمصر

بسم الله الرحمن الرحيم

(قال الشيخ الامام الاوحد البارع الحافظ المتقي عماد الدين أبو الفداء اسماعيل بن الخطيب أبي حفص عمر بن كثير الشافعي رحمه الله تعالى ورضي عنه) (١)

الحمد لله الذى افتتح كتابه بالحمد فقال (الحمد لله رب العالمين * الرحمن الرحيم * مالك يوم الدين) وقال تعالى (الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا * قيما لينذر بأسا شديدا من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا حسنا ماكثين فيه ابدا * وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا * مالهم به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من افواههم ان يقولون الا كذبا) (٢) وافتتح خلقه بالحمد فقال تعالى (الحمد لله الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون) واختتمه بالحمد فقال بعد ما ذكر مآل أهل الجنة وأهل النار (وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين) ولهذا قال تعالى (وهو الله لا اله إلا هو له الحمد في الاولى والآخرة وله الحكم واليه ترجعون) كما قال تعالى (الحمد لله الذى له ما في السموات وما في الارض وله الحمد في الآخرة وهو الحكيم الخبير) فله الحمد في الاولى والآخرة أي في جميع ما خلق وما هو خالق، هو المحمود في ذلك كله كما يقول المصلي « اللهم ربنا لك الحمد، ملء السموات وملء الارض « وملء ما شئت من شيء بعد » ولهذا يلهم أهل الجنة تسبيحه وتحميده كما يلهمون النفس أى يسبحونه ويحمدونه

بسم الله الرحمن الرحيم

(قال الشيخ الامام العالم العامل الاوحد الزاهد ظهير الدين محي السنة الحاضرة ناصر الحديث أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي المعروف بالفراء رضى الله عنه) (٢)

الحمد لله ذي العظمة والكبرياء، والعزة والبقاء « والرفعة والعلاء « والمجد والثناء « تعالى عن الانداد والشركاء « وتقدس عن الامثال والنظراء، والصلاة والسلام على نبيه وحبيبه وصفيه محمد خاتم الانبياء، وامام الاتقياء، عدد ذرات الثرى ونجوم السماء، الحمد لله الملك السلام، المؤمن المهيمن العلام، شارع الاحكام، ذي الجلال والاكرام، الذي أكرمنا بدين الاسلام، ومنّ علينا بنبينا محمد عليه التحية والسلام، وأنعم علينا بكتابه المفرق بين الحلال والحرام، والصلاة والسلام على حبيبه وخيرته من خلقه محمد سيد الانام، عدد ساعات الليالي والايام، وعلى آله وأصحابه عدد نجوم الظلام، وعلى جميع الانبياء والملائكة البررة الكرام

(١) نقلنا هذا من [...]ختنا الموروثة المخط[...]ة في سنة ٦٦٩
(٢) زاد في النسخة المطبو[...] (فلعلك باخع [...]نفسك) ولا مناسبة لها

عدد أنفاسهم، لما يرون من عظيم نعمه عليهم، وكمال قدرته وعظيم سلطانه وتوالى منته ودوام احسانه اليهم ▪ كما قال تعالى (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم تجري من تحتهم الانهار في جنات النعيم ▪ دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين)

والحمد لله الذى أرسل رسله (مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) وختمهم بالنبي الامي العربي المكي الهادي لاوضح السبل ، أرسله الى جميع خلقه من الانس والجن من لدن بعثه الى قيام الساعة كما قال تعالى(قل يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا الذى له ملك السموات والارض لا اله الا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الامي الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون) وقال تعالى (لانذركم به ومن بلغ) فمن بلغه هذا القرآن من عرب وعجم وأسود وأحمر وأنس وجان فهو نذير له، ولهذا قال تعالى (ومن يكفر به من الاحزاب فالنار موعده) فمن كفر بالقرآن ممن ذكرنا فالنار موعده بنص الله تعالى كما قال تعالى (فذرني ومن يكذب بهذا الحديث سنستدرجهم من حيث لا يعلمون) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «بعثت الى الاحمر والاسود» قال مجاهد يعني الانس والجن. فهو صلوات الله وسلامه عليه رسول الله الى جميع الثقلين الانس والجن مبلغا لهم عن الله تعالى ما أوحاه اليه من هذا الكتاب العزيز (الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) وقد أعلمهم فيه عن الله تعالى أنه ندبهم الى فهمه فقال تعالى (أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا)

﴿ أما بعد ﴾ فان الله جل ذكره أرسل رسوله بالهدى ودين الحق رحمة للعالمين، وبشيرا للمؤمنين، ونذيرا للمخالفين ، أكمل به بنيان النبوة ، وختم به ديوان الرسالة، وأتم به مكارم الاخلاق ، ومحاسن الافعال ، وأنزل عليه بفضله نورا هدى به من الضلالة ▪ وأنقذ به من الجهالة ▪ حكم بالفلاح لمن اتبعه، وبالخسار لمن أعرض عنه بعد ما سمعه ▪ وأعجز الخليقة عن معارضته ▪ وعن الاتيان بسورة من مثله في مقابلته ، ثم سهل على الخلق مع اعجازه تلاوته ، ويسر على الالسن قراءته، أمر فيه وزجر ، وبشر وأنذر ، وذكر المواعظ ليتذكر ، وقص عن أحوال الماضيين ليعتبر ▪ وضرب فيه الامثال ليتدبر ▪ ودل علي آيات التوحيد ليتفكر ، ولا حصول لهذه المقاصد منه الا بدراية تفسيره وأعلامه ▪ ومعرفة أسباب نزوله وأحكامه ، والوقوف على ناسخه ومنسوخه ، ومعرفة خاصه وعامه ، ثم هو كلام معجز وبحر عميق ، لا نهاية لاسرار علومه ، ولا ادراك لحقائق معانيه ، قد ألف أئمة السلف في أنواع علومه كتبا كل على قدر فهمه ، ومبلغ علمه ▪ نظرا للخلف ، فشكر الله تعالى سعيهم ورحم كافتهم، فسألني جماعة من أصحابي المخلصين، وعلى اقتباس العلم مقبلين، كتابا في معالم التنزيل وتفسيره، فأجبتهم اليه معتمدا على فضل الله تعالى وتيسيره، ممتثلا وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم فيما يرويه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه انه عليه الصلاة والسلام قال «ان رجالا يأتونكم من أقطار الارض يتفقهون في الدين فاذا أتوكم فاستوصوا بهم خيرا» واقتداء بالماضين من السلف ▪ في تدوين العلم ابقاء على الخلف،

وقال تعالى (كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الالباب) وقال تعالى (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها)

(فالواجب) على العلماء الكشف عن معاني كلام الله وتفسير ذلك وطلبه من مظانه وتعلم ذلك وتعليمه كما قال تعالى (واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولاتكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون) وقال تعالى (ان الذين يشترون بعهدالله وأيمانهم ثمنا قليلا أولئك لاخلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم) فذم الله تعالى أهل الكتاب قبلنا باعراضهم عن كتاب الله المنزل عليهم واقبالهم على الدنيا وجمعها واشتغالهم بغير ما أمروا به من اتباع كتاب الله

فعلينا أيها المسلمون أن ننتهي عما ذمهم الله تعالى به، وأن نأتمر بما أمرنا به من تعلم كتاب الله المنزل الينا وتعليمه ، وتفهمه وتفهيمه ، قال الله تعالى (ألم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الامد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون ، اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون)

وليس على ما فعلوه مزيد، ولكن لابد في كل زمان من تجديد ما طال به العهد، وقصر المطالبين فيه الجد والجهد، تنبيهاً للمتوقفين، وتحريضا للمتثبطين، فجمعت بعون الله تعالى وحسن توفيقه فيما سألوا كتابا وسطا (١) بين الطويل الممل ، والقصير المخل ، أرجو أن يكون مفيدا، لمن أقبل على تحصيله مريدا

(١) في نسختي الطبع متوسطا

وما نقلت فيه من التفسير عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما حبر هذه الامة ومن بعده من التابعين وأئمة السلف مثل مجاهد وعكرمة وعطاء بن ابى رباح والحسن البصري وقتادة وابى العالية ومحمد بن كعب القرظي وزيد بن اسلم والكلبي والضحاك ومقاتل ابن سليمان والسدى وغيرهم فأكثرها مما اخبرنى الشيخ ابوسعيد احمد بن محمد الشريحي الخوارزمي فيما قرأته عليه عن الاستاذ ابى اسحق احمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبى عن شيوخه

اما تفسير عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ترجمان القرآن الذى قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم « اللهم علمه الكتاب » وقال « اللهم فقه في الدين » . قال ابو اسحق اخبرنا ابو محمد بن عبد الله بن حامد، انا ابوالحسن احمد بن محمد بن عبدوس الطرائفي، ثنا عثمان بن سعيد الدارمي، ثنا عبدالله بن صالح ان معاوية بن صالح حدثه عن علي بن أبي طلحة الوالبي عن عبد الله بن عباس . وقال أنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب ثنا عبد الله بن محمد الثقفي أنا أبو جعفر محمد بن نصرويه المازني أنا محمد بن سعيد بن محمد بن الحسن بن عطية بن سعد العوفي قال حدثني عمي الحسين بن الحسن بن عطيه حدثني أبى عن جدي عطية عن ابن عباس. وقال الثعلبي ثنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن الحسن النيسابوري أنا أحمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي الصريمي المروزى أنا أبو العباس أحمد بن الخضر الصيرفي أنا أنا ابوداود سليمان بن معبد السنجى انا علي بن الحسين بن واقد عن يزيد النحوي عن عكرمة عن ابن عباس .

﴿ تنبيه للعامة ﴾ « ثنا » في اصطلاح المحدثين مقتطعة من حدثنا « وأنا » فلان مقتطعة من أخبرنا ـ وهي خاصة في سياق الاسانيد لتكرارها

ففي ذكره تعالى لهذه الآية بعد التي قبلها تنبيه على انه تعالى كما يحيي الارض بعد موتها كذلك يلين القلوب بالايمان والهدي بعد قسوتها من الذنوب والمعاصي ، والله المؤمل المسؤل أن يفعل بنا هذا انه جواد كريم

فان قال قائل فما أحسن طرق التفسير؟ (فالجواب) ان أصح الطريق في ذلك ان يفسر القرآن بالقرآن فما أجمل في مكان فانه قد بسط في موضع آخر فان أعياك ذلك فعليك بالسنة فانها شارحة للقرآن وموضحة له، بل قد قال الامام ابو عبد الله محمد بن ادريس الشافعي رحمه الله تعالى كل ماحكم به رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو مما فهمه من القرآن . قال الله تعالى (انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما اراك الله ولا تكن للخائنين خصيما) وقال تعالى (وما أنزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون) وقال تعالى (وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس مانزل اليهم ولعلهم يتفكرون) ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألا انى أوتيت القرآن ومثله معه » يعني السنة. والسنة أيضا تنزل عليه بالوحي كما ينزل القرآن الا انها لاتتلى كما يتلى القرآن(١) وقد استدل الامام الشافعي رحمه الله تعالى وغيره من الائمة على ذلك بأدلة كثيرة ليس هذا موضع ذلك

وأما تفسير مجاهد بن جبر المكي قال أخبرنا أبو محمد عبد الله بن حامد الاصفهاني قال أنا أبو عبد الله محمد بن أحمد بن بطة ثنا عبد الله بن محمد بن زكريا ثنا سعيد بن يحيي بن سعيد الاموي ثنا مسلم بن خالد الزنجى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد

وأما تفسير عطاء بن أبي رباح قال ثنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن حسن النيسابوري ثنا أبو القاسم عبد الرحمن احمد بن ياسين بن الجراح الطبري أنا أبو محمد بن بكر بن سهل الدمياطي ثنا عبد الغني بن سعيد الثقفي عن أبي محمد موسى بن عبد الرحمن الصنعاني(٢) عن ابن جريج عن عطاء بن أبي رباح

وأما تفسير الحسن البصري قال حدثني أبو القاسم الحسن بن محمد بن عبد الله بن المكيب (٣) حدثني أبي أنا أبو الحسن محمد بن أحمد بن الصلة المعروف بابن شبوذ المقرئ ثنا سعيد بن محمد ثنا المنهل بن واصل عن أبي صالح عن عمرو بن عبيد عن الحسن بن أبي الحسن البصري

وأما تفسير قتادة قال أنا أبو محمد عبد الله بن حامد محمد الاصفهاني أنا أبو علي حامد بن محمد الهروي ثنا أبو يعقوب اسحق بن الحسن بن ميمون الحربي ثنا أبو محمد الحسين بن محمد المروزي ثنا شبان بن عبد الرحمن النحوي عن قتادة .وقال ثنا أبو القاسم الحبيبي أنا أبو زكريا العنبري ثنا جعفر بن محمد بن سوار أنا محمد بن رافع عن عبد الرزاق عن معمر عن قتادة بن دعامة السدوسي

وأما تفسير أبي العالية واسمه رُفيع بن مهران قال ثنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن الحسن المفسر أنا أبو عمر أحمد بن محمد بن منصور العمركي بسرخس ثنا أبو الحسن أحمد بن اسحق بن ابراهيم بن مزيد السرخسي أنا أبو علي الحسن محمد بن موسي الازدى عن عمار بن الحسن بن بشير الهمذاني عن عبيد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع عن أنس عن أبي العالية الرياحي

(١) يعني انها لايتعبد الله تعالى بتلاوتها بل تقرأ للاهتداء بها واخذ الاحكام منها
(٢) الصنعاني رماه ابن حبان بوضع الحديث وعبد الغني الراوي عنه ضعيف
(٣) في نسختنا عبد الله المكتب

والغرض انك تطلب تفسير القرآن منه فان لم تجده فمن السنة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ حين بعثه الى اليمن « فبم تحكم؟ قال بكتاب الله ، قال فان لم تجد؟ قال بسنة رسول الله ، قال فان لم تجد؟ قال: أجتهد رأيي. فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم في صدره وقال «الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي رسول الله» وهذا الحديث في المسند والسنن باسناد جيد كما هو مقرر في موضعه . وحينئذ اذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة رجعنا في ذلك الى أقوال الصحابة فانهم أدرى بذلك لما شاهدوا من القرائن والاحوال التي اختصوا بها، ولما لهم من الفهم التام والعلم الصحيح والعمل الصالح لاسيما علماءهم وكبراءهم كالائمة الاربعة الخلفاء الراشدين، والائمة المهتدين المهديين ، وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهم . قال الامام ابو جعفر بن جرير : حدثنا أبو كريب حدثنا جابر بن نوح حدثنا الاعمش عن ابي الضحي عن مسروق قال قال عبد الله يعني ابن مسعود : والذي لا اله غيره مانزلت آية من كتاب الله الا وانا أعلم فيمن نزلت؟ واين نزلت؟ ولو أعلم أحدا أعلم بكتاب الله مني تناله المطايا لاتيته . وقال الاعمش ايضا عن أبي وائل عن ابن مسعود قال: كان الرجل منا اذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتي يعرف معانيهن والعمل بهن . وقال ابو عبد الرحمن السلمي حدثنا الذين

وأما تفسير القرظي قال ثنا أبو القاسم الحسن ابن محمد بن حبيب ، ثنا أبو العباس محمد بن الحسن الهروي، ثنا رجاء بن عبد الله أنا مالك بن سليمان الهروي عن أبي معشر عن محمد بن كعب القرظي

وأما تفسير زيد بن أسلم قال : أنا الحسن بن محمد بن الحسن قال : كتب الى أحمد بن كامل بن خلف بن محمد بن جرير الطبري حدثهم قال : ثنا يونس بن عبد الاعلى الصيرفي أنا عبد الله بن وهب أخبرني عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه

وأما تفسير الكلبي فقد قرأت بمرو على الشيخ أبي عبد الله محمد بن الحسن المروزي في شهر رمضان سنة أربع وستين وأربعمائة قال : أنا أبو مسعود محمد بن احمد بن محمد بن يونس الخطيب الكشميهني في محرم سنة خمسين وأربعمائة قال : أنا أبو اسحق بن ابراهيم بن أحمد بن محمد بن معروف الهرمروزي ، ثنا محمد بن علي الانصاري المفسر ثنا علي بن اسحق وصالح بن محمد السمرقندي قالا : ثنا محمد بن مروان عن محمد بن السائب الكلبي عن أبي نضر عن أبي صالح أنا باذان مولى أم هانئ بنت أبي طالب عن ابن عباس

وأما تفسير الضحاك بن مزاحم الهلالي قال أنا الاستاذ أبو اسحق الثعلبي ثنا أبو القاسم الحسن بن محمد السدوسي ثنا أبو عمر واحمد بن محمد العمركي بن حسن ثنا جعفر بن محمد سوار ثنا أحمد بن محمد بن جميل المروزي ثنا أبو معاذ عن عبيد بن سليمان الباهلي عن الضحاك

وأما تفسير مقاتل بن حيان قال : أنا عبد الله بن حامد الوزاني ثنا أحمد بن محمد بن عبدوس ثنا اسماعيل بن قتيبة ثنا أبو خالد يزيد بن صالح الفراء النيسابوري حدثنا بكير بن معروف البلخي الازدي(١) ثنا أبو معاذ عن مقاتل بن حيان

(١) كذا في جميع النسخ وفي تهذيب التهذيب وتقريبه الإسدي بالسين

كانوا يقرئوننا أنهم كانوا يستقرئون من النبي صلى الله عليه وسلم وكانوا اذا تعلموا عشر آيات لم يخلفوها حتى يعملوا بما فيها من العمل فتعلمنا القرآن والعمل جميعا

ومنهم الحبر البحر عبد الله بن عباس ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وترجمان القرآن ببركة دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم له حيث قال « اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل » وقال ابن جرير حدثنا محمد بن بشار وحدثنا وكيع ثنا سفيان عن الاعمش عن مسلم ـ كذا قال ـ قال عبد الله يعني ابن مسعود : نعم ترجمان القرآن ابن عباس . ثم رواه عن يحيى بن داود عن اسحق الازرق عن سفيان عن الاعمش عن مسلم بن صبيح عن أبي الضحي عن مسروق عن ابن مسعود أنه قال : نعم الترجمان للقرآن ابن عباس . ثم رواه عن بندار عن جعفر بن عون عن الاعمش به كذلك . فهذا اسناد صحيح الى ابن مسعود أنه قال عن ابن عباس هذه العبارة . وقد مات ابن مسعود رضي الله عنه في سنة اثنتين وثلاثين على الصحيح وعمر بعده عبد الله بن عباس ستا وثلاثين سنة ، فما ظنك بما كسبه من العلوم بعد ابن مسعود . وقال الاعمش عن ابي وائل استخلف علي عبد الله بن عباس على الموسم فخطب الناس فقرأ في خطبته سورة البقرة ، وفي رواية سورة النور ففسرها تفسيراً لو

وأما تفسير مقاتل بن سليمان قال أخبرنا أبو اسحق ابراهيم بن محمد المهرجانى أنا أبو محمد عبد الخالق بن الحسن بن محمد السقطى المعروف بابن أبى رؤبة ثنا عبد الله بن ثابت بن يعقوب المقري أبو محمد قال حدثني أبى حدثنى الهذيل بن حبيب ابو صالح الزيدنى عن مقاتل بن سليمان

وأما تفسير السدى قال ثنا ابو القاسم الحسن بن محمد بن الحسن أنا ابو الطيب محمد بن عبد الله ابن مبارك الشميري ثنا احمد بن محمد بن نصر اللباد ثنا عمرو بن طلحة القناد عن اسباط عن السدي

واما ما نقلته عن المبتدأ لوهب بن منبه وعن المغازي لمحمد بن اسحق فاخبرنيه ابو سعيد الشريحى قال انا احمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي قال انبأنى ابو نعيم عبد الملك بن الحسن بن محمد بن اسحق الازهري أنا ابو محمد الحسن بن محمد بن اسحق بن راهويه ابن اخت ابى عوانة انا ابو الحسن محمد بن احمد بن البراء العبدي قال قرأت على ابى عبد الله عبد المنعم بن ادريس عن ابيه عن وهب بن منبه – وانا ابو سعيد الشريحى انا ابو اسحق الثعلبي انا ابو عبدالله محمد بن عبدالله الحافظ انا أبو العباس محمد بن يعقوب بن يوسف المعقلي ثنا أحمد بن عبد الجبار العطاردي أنا يونس بن بكير عن محمد بن اسحق بن يسار المدني وأنا أبو سعيد الشريحي قال أبو اسحق الثعلبي أنا أبو محمد عبد الله بن محمد ابن أحمد بن عقيل الانصاري أنا أبو الحسن علي بن الفضل الخزاعي أنا أبو شعيب بن عبد الله ابن الحسن الحرانى أنا النفيلى أنا محمد بن سلمة عن محمد بن اسحاق

فهذه أسانيد أكثر ما نقلته عن هؤلاء الائمة وهي مسموعة من طرق سواها تركت ذكرها حذرا من الاطالة وربما حكيت عنهم أو عن غيرهم من الصحابة أو التابعين قولا سمعته بغير هذه الاسانيد اذكر أسانيد بعضها في موضعه من الكتاب ان شاء الله تعالى عز وجل

سمعته الروم والترك والديلم لاسلموا

ولهذا غالب مايرويه اسماعيل بن عبد الرحمن السدي الكبير في تفسيره عن هذين الرجلين ابن مسعود وابن عباس ولكن في بعض الاحيان ينقل عنهم مايحكونه من أقاويل أهل الكتاب التي أباحها رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال « بلغوا عني ولو آية وحدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج ، ومن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » رواه البخاري عن عبد الله بن عمرو ولهذا كان عبد الله ابن عمرو رضي الله عنهما قد أصاب يوم اليرموك زاملتين من كتب أهل الكتاب ، فكان يحدث منهما بما فهمه من هذا الحديث من الاذن في ذلك

ولكن هذه الاحاديث الاسرائيلية تذكر للاستشهاد لا للاعتضاد فانها على ثلاثة أقسام (احدها) ما علمنا صحته مما بأيدينا مما يشهد له بالصدق فذاك صحيح (والثاني) ما علمنا كذبه مما عندنا مما يخالفه (والثالث) ماهو مسكوت عنه لا من هذا القبيل ولا من هذا القبيل فلا نؤمن به ولا نكذبه ويجوز حكايته لما تقدم ، وغالب ذلك مما لا فائدة فيه تعود الى أمر ديني . ولهذا يختلف علماء أهل الكتاب في هذا كثيرا . ويأتي عن المفسرين خلاف بسبب ذلك ، كما يذكرون في مثل هذا

ثم ان الناس كما انهم متعبدون باتباع أحكام القرآن وحفظ حدوده فهم متعبدون بتلاوته وحفظ حروفه على سنن خط المصحف أعني الامام الذي اتفقت عليه الصحابة وأن لا يجاوزوا فيما وافق الخط ماقرأ به القراء المعروفون الذين خلفوا الصحابة والتابعين واتفقت الائمة على اختيارهم وقد ذكرت في الكتاب قراءة من اشتهر منهم بالقراآت واختياراتهم على ماقرأته على الامام أبي نصر محمد بن أحمد بن على المقرى المروزي رحمة الله عليه تلاوة ورواية قال قرأت على أبي القاسم طاهر بن على الصيرفي قال قرأت على أبي بكر أحمد بن الحسين ابن مهران باسناده المذكور في كتابه المعروف بكتاب الغاية وهم أبو جعفر يزيد بن القعقاع وأبو عبد الرحمن نافع بن عبد الرحمن المدنيان وأبو معبد عبد الله بن كثير الداري المكى وأبو عمران عبد الله بن عامر الشامي وأبو عمرو بازان بن العلاء المازني وأبو محمد يعقوب بن اسحق الحضرمي البصريان وأبو بكر عاصم بن أبي النجود الاسدي وأبو عمارة حمزة بن حبيب الزيات وأبو الحسن علي بن حمزة الكسائي الكوفيون

فاما أبو جعفر فانه أخذ القراءة عن عبد الله بن عباس وأبي هريرة وغيرهما وهم قرأوا على أبي بن كعب

وأما نافع فانه قرأ على أبي جعفر القارى وعبد الرحمن بن هرمز الاعرج وشيبة بن نصاح وغيرهم من التابعين الذين قرؤا على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم . وقال الاعرج قرأت على أبي هريرة وقرأ أبو هريرة على أبي بن كعب .

وأما عبد الله بن كثير فانه قرأ على مجاهد بن جبر وقرأ مجاهد على ابن عباس وقرأ ابن عباس على أبي بن كعب وقرأ ابي بن كعب على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وأما عبد الله بن عامر فانه قرأ على المغيرة بن أبي شهاب المخزومي وقرأ المغيرة على عثمان ابن عفان

أسماء أصحاب الكهف ، ولون كلبهم ، وعددهم . وعصا موسى من أي الشجر كانت . وأسماء الطيور التي أحياها الله لابراهيم ، وتعيين البعض الذي ضرب به القتيل من البقرة ، ونوع الشجرة التي كلم الله منها موسى ، الى غير ذلك مما أبهمه الله تعالى في القرآن مما لا فائدة في تعيينه تعود على المكلفين في دينهم ولا دنياهم . ولكن نقل الخلاف عنهم في ذلك جائز كما قال تعالى (سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ، ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ، ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم ، قل ربي أعلم بعدتهم مايعلمهم الا قليل، فلا تمار فيهم الا مراءاً ظاهرا ولا تستفت فيهم منهم أحدا) فقد اشتملت هذه الآية الكريمة على الادب في هذا المقام وتعليم ماينبغي في مثل هذا ، فانه تعالى حكى عنهم ثلاثة أقوال ضعف القولين الاولين وسكت عن الثالث ، فدل على صحته اذ لو كان باطلا لرده كما ردهما(١) ثم أرشد على ان الاطلاع على عدتهم لاطائل تحته فقال في مثل هذا (قل ربي اعلم بعدتهم) فانه ما يعلم ذلك الا قليل من الناس ممن أطلعه الله عليه فلهذا قال (فلا تمار فيهم الا مراءاً ظاهرا) أى لا تجهد نفسك فيما لا طائل تحته ولا تسألهم عن ذلك فانهم لا يعلمون من ذلك الا رجم الغيب . فهذا أحسن ما يكون في حكاية الخلاف: أن تستوعب الاقوال في ذلك المقام وان تنبه على الصحيح منها وتبطل الباطل وتذكر فائدة الخلاف وثمرته لئلا يطول النزاع والخلاف فيما لا فائدة تحته ، فتشتغل به عن الاهم فالاهم . فأما من حكى خلافا في مسئلة ولم يستوعب أقوال الناس فيها فهو ناقص اذ قد

«١» قد يقال ان قوله تعالى بعده «قل ربي اعلم بعدتهم» يدل على ضعف الثالث ايضا وان اختلف الاسلوب

وأما عاصم فانه قرأ على أبي عبد الرحمن السلمي وقرأ أبو عبد الرحمن على علي بن أبي طالب قال عاصم فكنت أرجع من عند أبي عبد الرحمن فاقرأ على زر بن حبيش وكان زر قد قرأ على عبد الله بن مسعود

وأما حمزة فانه قرأ على عبد الرحمن بن أبي ليلى وسليمان بن مهران الاعمش وعمران بن الاعين وغيرهم وقرأ عبد الرحمن بن أبي ليلى على جماعة من أصحاب علي وقرأ سليمان الاعمش على يحيى بن وثاب وقرأ يحيى على جماعة من أصحاب عبد الله وقرأ عمران على أبي الاسود الدئلي وقرأ ابو الاسود الدئلي على عثمان وعلي

وأما الكسائي فانه قرأ على حمزة وأما يعقوب فانه قرأ على ابى المنذر سلام بن سليمان الخراساني وقرأ سلام على عاصم فذكرت قراءة هؤلاء للاتفاق على جواز القراءة بها

وما ذكرت من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في أثناء الكتاب على وفاق آية أو بيان حكم فان الكتاب يطلب بيانه من السنة وعليهما مدار الشرع وأمور الدين فهي من الكتب المسموعة للحفاظ وأئمة الحديث وأعرضت عن ذكر المناكير ومالا يليق بحال التفسير فأرجو أن يكون مباركا على من أراده وبالله التوفيق

﴿ فصل في فضائل القرآن وتعليمه ﴾

أنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أبو محمد عبد الرحمن بن أبي شريح أنا أبو القاسم عبد الله بن

يكون الصواب في الذى تركه ، أو يحكي الخلاف ويطلقه ولا ينبه على الصحيح من الاقوال فهو ناقص أيضا . فان صحح غير الصحيح عامدا فقد تعمد الكذب ، أو جاهلا فقد أخطأ . وكذلك من نصب الخلاف فيما لا فائدة تحته أو حكى أقوالا متعددة لفظا ويرجع حاصلها الى قول أو قولين معنى فقد ضيع الزمان وتكثر بما ليس بصحيح فهو كلابس ثوبي زور والله الموفق للصواب

﴿ فصل ﴾

اذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنة ولا وجدته عن الصحابة ، فقد رجع كثير من الائمة في ذلك الى أقوال التابعين كمجاهد بن جبر فانه كان آية في التفسير كما قال محمد بن اسحق ثنا أبان بن صالح عن مجاهد قال : عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات من فاتحته الى خاتمته أوقفه عند كل آية منه وأسأله عنها . وقال ابن جرير : أنبأنا أبو كريب أنبأنا طلق بن غنام عن عثمان المكى عن ابن أبى مليكة قال . رأيت مجاهداً سأل ابن عباس عن تفسير القرآن ومعه ألواحه قال . فيقول له ابن عباس اكتب حتى سأله عن التفسير كله ولهذا كان سفيان الثوري يقول : اذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به ، وكسعيد بن جبير وعكرمة مولى ابن عباس وعطاء بن أبي رباح والحسن البصري ومسروق بن الاجدع وسعيد بن المسيب وأبي العالية والربيع بن أنس وقتادة والضحاك بن مزاحم وغيرهم من التابعين وتابعيهم ومن بعدهم فتذكر أقوالهم في الآية فيقع في عباراتهم تباين في الالفاظ يحسبها من لا علم عنده اختلافا فيحكيها أقوالا ، وليس كذلك فان منهم من يعبر

محمد بن عبد العزيز البغوى ثنا على بن الجعد انا شعبة عن علقمة بن مرثد قال سمعت سعد بن عبيدة يحدث عن أبى عبد الرحمن السلمي عن عثمان قال شعبة قلت عن النبي صلى الله عليه وسلم؟ قال نعم قال «خيركم من تعلم القرآن وعلمه» صحيح أخرجه البخاري عن الحجاج بن منهال عن شعبة

أنا أبو بكر محمد بن عبد الصمد الترابى أنا أبو محمد عبد الله بن أحمد بن حمويه السرخسي أنا أبو اسحق ابراهيم بن حزيم الشاشي أنا أبو محمد عبد بن حميد الشاشي ثنا حسين بن على الجعفي قال سمعت حمزة الزيات عن أبى المختار الطائي عن ابن أخي الحارث الاعور عن الحارث الاعور قال مررت في المسجد فاذا الناس يخوضون في الاحاديث فدخلت على علي رضي الله عنه فقلت يا أمير المؤمنين ألا ترى ان الناس قد خاضوا في الاحاديث؟ قال او قد فعلوها؟ قلت نعم، قال أما انى قد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «ألا انها ستكون فتنة» قلت فما المخرج منها يارسول الله؟ قال « كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم ،وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم . وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الاهواء، ولا تلتبس به الالسنة، ولا تشبع منه العلماء، ولا يخلق عن كثرة الرد . ولا تنقضي عجائبه، هو الذي لم تنته الجن —أي لم يتوقفوا في قبوله وانه كلام الله تعالى (١) اذ سمعته حتى قالوا (انا سمعنا قرآنا عجبا يهدي الى الرشد فآمنا به) من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا اليه هدى الى صراط مستقيم ،خذها اليك يا أعور . قال

«١» هذه الجملة مدرجة في الحديث للتفسير وهي ليست في النسخ الخطية ولا في جامع الترمذي مخرج الحديث

عن الشيء بلازمه أو بنظيره . ومنهم من ينص على الشيء بعينه . والكل بمعنى واحد في أكثر الاماكن فليتفطن اللبيب لذلك والله الهادي . وقال شعبة بن الحجاج وغيره : أقوال التابعين في الفروع ليست حجة فكيف تكون حجة في التفسير ؟ يعني انها لاتكون حجة على غيرهم ممن خالفهم وهذا صحيح . أما اذا أجمعوا على الشيء فلا يرتاب في كونه حجة ، فان اختلفوا فلا يكون قول بعضهم حجة على قول بعض ولا على من بعدهم ويرجع في ذلك الى لغة القرآن أو السنة أو عموم لغة العرب أو أقوال الصحابة في ذلك . فأما تفسير القرآن بمجرد الرأي فحرام لما رواه محمد بن جرير رحمه الله تعالى حيث قال : ثنا محمد بن بشار ثنا يحيى بن سعيد ثنا سفيان حدثني عبد الاعلى هو ابن عامر الثعلبي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من قال في القرآن برأيه أو بما لايعلم فليتبوأ مقعده من النار » وهكذا أخرجه الترمذي والنسائي من طرق عن سفيان الثوري به . ورواه أبوداود عن مسدد عن أبي عوانة عن عبدالاعلى به مرفوعا وقال الترمذي : هذا حديث حسن ، وهكذا رواه ابن جرير أيضا عن يحيى بن طلحة اليربوعي عن شريك عن عبد الاعلى به مرفوعا ولكن رواه عن محمد بن حميد عن الحكم بن بشير عن عمرو بن قيس الملائي عن عبد الاعلى عن سعيد عن ابن عباس فوقفه . وعن محمد بن حميد عن جرير عن ليث عن بكر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس من قوله فالله أعلم . وقال ابن جرير : أنبأنا العباس بن عبد العظيم العنبري ثنا حيان ابن هلال ثنا سهل أخو حزم ثنا أبوعمران الجوني عن جندب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال

أبو عيسى هذا الحديث لا نعرفه الا من هذا الوجه (١) واسناده مجهول وفي حديث الحارث مقال

أنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أبو منصور محمد بن محمد السمعاني (٢) أنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار الزياتي ثنا حميد بن زنجويه ثنا اسحق بن عيسى قال سمعت ابن لهيعة يقول ثنا مشرح بن هاعان قال سمعت عقبة بن عامر يقول سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول « لو كان هذا القرآن في اهاب ما مسته النار » قيل معناه من حمل القرآن وقرأه لم تمسه النار يوم القيامة

أنا عبد الواحد المليحي أنا ابو منصور السمعاني أنا أبو جعفر الزياتي (٣) ثنا حميد بن زنجويه ثنا جعفر بن عوف أنا ابراهيم بن مسلم عن أبي الاحوص عن عبد الله بن مسعود قال ان هذا القرآن مأدبة الله فتعلموا من مأدبته ما استطعتم ، ان هذا القرآن حبل الله المتين ، والنور المبين ، والشفاء النافع ، وعصمة لمن تمسك به ، ونجاة لمن تبعه ، لا يزيغ فيستعتب ، ولا يعوج فيقوم ، ولا تنقضي عجائبه ولا يخلق عن كثرة الرد ، فاتلوه فان الله عز وجل يأجركم على تلاوته بكل حرف عشر حسنات أما اني لا أقول الم ولكن الالف واللام والميم (٤) رواه بعضهم عن ابن مسعود مرفوعا

أنا ابو جعفر احمد بن ابى احمد بن مقوية انا الشريف ابو القاسم علي بن محمد بن علي الحسنى الحراني فيما كتب الي انا ابو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجرى ثنا ابو الفضل جعفر بن

«١» عبارة الترمذي : هذا حديث غريب لا نعرفه الا من حديث حمزة الزيات واسناده مجهول وفي حديث الحارث مقال

«٢» في النسخ الخطية ابن سمعان

«٣» وفي نسختنا الرياني ونسخة دار الكتب الروياني

«٤» اعتمدنا نسخة دار الكتب فى هذا الحديث لموافقتها لما في كتب الحديث وقد سقطت كلمة حرف من الاربعة المواضع في سائر النسخ

« من قال في القرآن برأيه فقد أخطأ » وقد روى هذا الحديث أبو داود والترمذي والنسائي من حديث سهيل بن أبي حزم القطيعي وقال الترمذي « غريب وقد تكلم بعض أهل العلم في سهيل . وفي لفظ لهم « من قال في كتاب الله برأيه فأصاب فقد أخطأ » أي لانه قد تكلف مالا علم له به وسلك غير ما أمر به فلو أنه أصاب المعنى في نفس الامر لكان قد أخطأ لانه لم يأت الامر من بابه كمن حكم بين الناس على جهل فهو في النار وان وافق حكمه الصواب في نفس الامر لكن يكون أخف جرما ممن أخطأ والله أعلم . وهكذا سمى الله القذفة كاذبين فقال (فأذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون) فالقاذف كاذب ولو كان قد قذف من زنى في نفس الامر لانه اخبر بما لا يحل له الاخبار به . ولو كان اخبر بما يعلم لانه تكلف ما لا علم له به والله اعلم ولهذا تحرج جماعة من السلف عن تفسير ما لا علم لهم به كما روى شعبة عن سليمان عن عبد الله بن مرة عن ابى معمر قال قال ابوبكر الصديق رضي الله عنه : اي ارض تقلني ، واي سماء تظلني ، اذا قلت في كتاب الله ما لا اعلم وقال ابو عبيد القاسم بن سلام ثنا محمد بن يزيد عن العوام بن حوشب عن ابراهيم التيمي ان ابا بكر الصديق سئل عن قوله تعالى (وفاكهة وأبا) فقال اي سماء تظلني واى ارض تقلني اذا انا قلت في كتاب الله ما لا اعلم . منقطع . وقال ابو عبيد ايضا ثنا يزيد عن حميد عن انس ان عمر بن الخطاب قرأ على المنبر (وفاكهة وابا) فقال هذه الفاكهة قد عرفناها فما الاب؟ ثم رجع الى نفسه فقال ان هذا لهو التكلف ياعمر وقال محمد بن سعد ثنا سليمان بن حرب ثنا حماد بن زيد عن ثابت عن أنس قال كنا عند عمر بن الخطاب رضى الله عنه وفي ظهر قميصه اربع رقاع فقرأ (وفاكهة وابا) فقال فما الاب

محمد بن الصندلى ثنا الحسن بن محمد الزعفراني ثنا على بن عاصم عن ابراهيم الهجري عن أبى الاحوص عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بمعناه « أنا الامام ابو علي الحسين بن محمد القاضي ثنا ابو محمد عبد الله بن يوسف بن محمد بن بابويه الاصفهاني انا ابو محمد عبد الرحمن بن يحيي القاضي الزهري بمكة انا محمد بن اسمعيل بن سالم الصائغ انا سليمان بن داود الهاشمي ثنا ابراهيم بن سعد عن ابن شهاب الزهري عن عامر بن واثلة ابى الطفيل ان نافع بن عبد الحارث لقي عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعسفان وكان عمر استعمله على مكة فقال له عمر : من استخلفت على اهل الوادي » قال استخلفت عليهم ابن ابزى قال ومن ابن ابزى ؟ قال مولى من موالينا ، قال عمر فاستخلفت عليهم مولى ؟ فقال يا امير المؤمنين انه رجل قاريء القرآن عالم بالفرائض قاض بالكتاب « فقال عمر اما ان نبيكم صلى الله عليه وسلم قال «ان الله يرفع بالقرآن (١) اقواما ويضع به آخرين» صحيح اخرجه مسلم عن زهير بن حرب

انا يعقوب بن ابراهيم عن ابيه ابراهيم بن سعد الترابي انا ابو بكر بن محمد بن عبد الصمد الترابي المعروف بابن ابى الهيثم انا الحاكم ابو الفضل محمد بن الحسين الحدادي سنة اربع وثمانين وثلثمائة انا ابو يزيد محمد بن يحيي بن خالد انا اسحق بن ابراهيم الحنظلي انا جرير يعني ابن عبد الحميد عن

«١» وفى نسخة بهذا القرآن وفي صحيح مسلم بهذا الكتاب

ثم قال هو التكلف فما عليك ان لاتدربه ؟ وهذا كله محمول على أنهما رضي الله عنهما انما ارادا استكشاف علم كيفية الاب والا فكونه نبتا من الارض ظاهر لايجهل كقوله تعالى (فأنبتنا فيها حبا وعنبا) الآية وقال ابن جرير حدثنا يعقوب بن ابراهيم حدثنا ابن علية عن أيوب عن ابن أبي مليكة ان ابن عباس سئل عن آية لو سئل عنها بعضكم لقال فيها فأبى أن يقول فيها ، إسناده صحيح . وقال أبو عبيد حدثنا اسماعيل بن ابراهيم عن أيوب عن ابن أبي مليكة قال : سأل رجل ابن عباس عن يوم كان مقداره ألف سنة ؟ فقال له ابن عباس : فما (يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) ؟ فقال له الرجل انما سألتك لتحدثني فقال ابن عباس : هما يومان ذكرهما الله في كتابه الله أعلم بهما ، فكره أن يقول في كتاب الله ما لا يعلم . وقال ابن جرير أيضا : حدثني يعقوب يعني ابن ابراهيم حدثنا ابن علية عن مهدي بن ميمون عن الوليد بن مسلم قال : جاء طلق بن حبيب الى جندب بن عبد الله فسأله عن آية من القرآن ؟ فقال ، أحرج عليك ان كنت مسلما لما قمت عني ـ أو قال ، أن تجالسني . وقال مالك عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب أنه كان اذا سئل عن تفسير آية من القرآن قال : إنا لانقول في القرآن شيئا . وقال الليث عن يحيي بن سعيد عن سعيد بن المسيب أنه كان لايتكلم الا في المعلوم من القرآن . وقال شعبة عن عمرو بن مرة قال : سأل رجل سعيد بن المسيب عن آية من القرآن ؟ فقال : لاتسألني عن القرآن وسل من يزعم أنه لايخفى عليه منه شيء يعني عكرمة . وقال ابن شوذب حدثني يزيد بن أبي يزيد قال : كنا نسأل سعيد بن المسيب عن الحرام والحلال وكان أعلم الناس فاذا سألناه عن تفسير آية من القرآن سكت كأن لم يسمع . وقال ابن جرير : حدثني أحمد

قابوس بن أبي ظبيان عن أبيه عن ابن عباس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان الرجل الذي ليس في قلبه شيء من القرآن كالبيت الخرب » قال أبو عيسى هذا حديث صحيح حسن

أنا عبد الواحد المليحي أنا أبو منصور السمعاني أنا أبو جعفر الزياتي ثنا حميد بن زنجويه أنا أبو ايوب الدمشقي ثنا سعدان بن يحيي ثنا عبد الله بن أبي حميد عن أبي المليح الهذلي عن واثلة بن الاسقع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أعطيت مكان التوراة السبع الطول ، وأعطيت مكان الانجيل المئين وأعطيت مكان الزبور المثانى ، وأعطيت فاتحة الكتاب وخواتيم البقرة من تحت العرش لم يعطها نبي قبلي وأعطاني ربي المفصل نافلة » غريب

﴿ فصل في فضائل تلاوة القرآن ﴾

أنا عبد الواحد بن احمد بن المليحى أنا ابو محمد انا عبد الرحمن بن ابي شريح أنا أبو القاسم البغوى ثنا على بن الجعد أنا شعبة عن قتادة عن زرارة بن أبي أوفى عن سعد بن هشام عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « مثل الماهر بالقرآن مثل السفرة الكرام البررة ومثل الذي يقرأه وهو عليه شاق له أجران » صحيح . وقال هشام الدستوائي عن قتادة بهذا الاسناد « الذي يقرأ القرآن

ابن عبدة الضبي حدثنا حماد بن زيد حدثنا عبيد الله بن عمر قال « لقد أدركت فقهاء المدينة وأنهم ليعظمون القول في التفسير منهم سالم بن عبد الله والقاسم بن عبد الله بن محمد وسعيد بن المسيب ونافع . وقال أبو عبيد حدثنا عبد الله بن صالح عن ليث عن هشام بن عروة قال : ما سمعت أبي يؤول آية من كتاب الله قط . وقال أيوب وابن عون وهشام الدستوائي عن محمد بن سيرين سألت عبيدة يعني السلماني عن آية من القرآن فقال: ذهب الذين كانوا يعلمون فيم أنزل القرآن،فاتق الله وعليك بالسداد وقال أبو عبيد : حدثنا معاذ عن ابن عون عن عبد الله بن مسلم بن يسار عن أبيه قال : اذا حدثت عن الله حديثا فقف حتى تنظر ماقبله وما بعده . حدثنا هشيم عن مغيرة عن ابراهيم قال : كان أصحابنا يتقون التفسير ويهابونه . وقال شعبة عن عبد الله بن أبي السفر قال : قال الشعبي والله مامن آية الا وقد سألت عنها ولكنها الرواية عن الله عز وجل . وقال أبو عبيد حدثنا هشيم حدثنا عمرو بن أبي زائدة عن الشعبي عن مسروق قال : اتقوا التفسير فانما هو الرواية عن الله

فهذه الآثار الصحيحة وما شاكلها عن أئمة السلف محمولة على تحرجهم عن الكلام في التفسير بما لاعلم لهم فيه . فأما من تكلم بما يعلم من ذلك لغة وشرعا فلا حرج عليه « ولهذا روي عن هؤلاء وغيرهم أقوال في التفسير ولا منافاة لأنهم تكلموا فيما علموه وسكتوا عما جهلوه ، وهذا هو الواجب على كل أحد ، فانه كما يجب السكوت عما لاعلم له به فكذلك يجب القول فيما سئل عنه مما يعلمه لقوله تعالى (لتبيننه للناس ولا تكتمونه) ولما جاء في الحديث الذي روي من طرق « من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة لجام من نار » . وأما الحديث الذي رواه أبو جعفر بن جرير حدثنا عباس

وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة » (١)

أنا أبو حامد أحمد بن عبد الله الصالحي انا ابوعمر بكر بن محمد بن عبدالله حفيد العباس بن حمزة ثنا ابوعلي الحسين بن الفضل البجلي ثنا عفان ثنا ابان بن يزيد ثنا قتادة عن انس عن ابي موسى الاشعرى رضي الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقول « مثل المؤمن الذى يقرأ القرآن كمثل الاترجة طعمها طيب وريحها طيب ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة طعمها طيب ولا ريح لها ومثل الفاجر الذى يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر ومثل الفاجر الذي لايقرأ القرآن كمثل الحنظلة طعمها مر ولاريح لها » صحيح اخرجه البخاري عن قتيبة عن ابي عوانه عن قتادة

أنا عبد الواحد المليحي انا ابو منصور السمعانى ثنا ابوجعفر الزياني ثنا حميد بن زنجويه ثنا ابو نعيم ثنا سفيان عن عاصم يعني ابن بهدلة عن زر عن عبد الله ابن عمرو رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « يقال لصاحب القرآن اقرأ وارق ، ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فان منزلتك عند آخر آية تقرأها » قال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح

أنا عبد الواحد المليحي أنا أبو منصور السمعاني أنا ابوجعفر الزياني ثنا حميد بن زنجويه ثنا النضر بن شميل ثنا هشام الدستوائي عن يحيي بن أبي كثير عن ابي سلام عن أبي أمامة انه حدثه قال سمعت النبي

« ١ » هو في الصحيحين وغيرهما بلفظ آخر

ابن عبد العظيم حدثنا محمد بن خالد بن عثمة حدثنا أبو جعفر بن محمد الزبيري حدثني هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يفسر شيئا من القرآن الا آيا بعدد علمهن إياه جبريل عليه السلام ، ثم رواه عن أبي بكر محمد بن يزيد الطرسوسي عن معن بن عيسى عن جعفر بن خالد عن هشام به — فانه حديث منكر غريب وجعفر هذا هو ابن محمد بن خالد بن الزبير بن العوام القرشي الزبيري قال البخاري : لايتابع في حديثه وقال الحافظ أبو الفتح الازدي : منكر الحديث ، وتكلم عليه الامام أبو جعفر بما حاصله ان هذه الآيات مما لايعلم الا بالتوقيف عن الله تعالى مما وقفه عليها جبرائيل ، وهذا تأويل صحيح لو صح الحديث فان من القرآن ما استأثر الله تعالى بعلمه ، ومنه ما يعلمه العلماء ، ومنه ما تعلمه العرب من لغاتها ، ومنه ما لا يعذر أحد في جهالته كما صرح بذلك ابن عباس فيما قال ابن جرير حدثنا محمد بن بشار حدثنا مؤمل حدثنا سفيان عن أبي الزناد قال : قال ابن عباس التفسير على أربعة أوجه ، وجه تعرفه العرب من كلامها ، وتفسير لا يعذر أحد بجهالته ، وتفسير يعلمه العلماء ، وتفسير لا يعلمه أحد الا الله . قال ابن جرير : وقد روي نحوه في حديث في اسناده نظر ، حدثني يونس بن عبد الاعلى الصدفي أنبأنا ابن وهب سمعت عمرو بن الحرث يحدث عن الكلبي عن أبي صالح مولى أم هانىء عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أنزل القرآن على أربعة أحرف حلال وحرام — لا يعذر أحد بالجهالة به ، وتفسير تفسره العرب ، وتفسير تفسره العلماء ، ومتشابه لا يعلمه الا الله عز وجل ، ومن ادعى علمه سوى الله فهو كاذب » والنظر الذي أشار اليه في اسناده هو من جهة محمد بن السائب الكلبي فانه متروك الحديث(١)

«١» صرحوا بانه متهم بالكذب

صلى الله عليه وسلم يقول «اقرؤا القرآن فانه يأتي يوم القيامة شفيعا لاصحابه اقرؤا الزهراوين البقرة وآل عمران فانهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان او غيابتان او فرقان من طير صواف تحاجان عن صاحبهما، اقرؤا البقرة فان اخذها بركة، وتركها حسرة، ولا يستطيعها البطلة » صحيح .

انا عبدالواحد المليحي انا ابو منصور السمعاني انا ابو جعفر الزياتي ثنا حميد بن زنجويه ثنا أبو نعيم ثنا بشير بن مهاجر الغنوي ثنا عبدالله بن بريدة عن أبيه قال كنت جالسا عند النبي صلى الله عليه وسلم فسمعته يقول «تعلموا سورة البقرة فان اخذها بركة وتركها حسرة ولا يستطيعها البطلة» ثم سكت ساعة ثم قال «تعلموا سورة البقرة وآل عمران فانهما الزهراوان وانهما تظلان صاحبهما يوم القيامة كانهما غمامتان او غيابتان او فرقان من طير صواف وان القرآن يأتي صاحبه يوم القيامة حين ينشق عنه قبره كالرجل الشاحب فيقول له هل تعرفني؟ فيقول ما اعرفك فيقول له انا صاحبك القرآن اظمأتك بالهواجر واسهرت ليلك، وان كل تاجر من وراء تجارته وانك اليوم من وراء كل تجارة، فيعطى الملك بيمينه، والخلد بشماله، ويوضع على رأسه تاج الوقار، ويكسى والداه حلتين لا يقوم لهما اهل الدنيا ، فيقولان بم كسينا هذا ؟ فيقال لهما بأخذ ولدكما القرآن ، ثم يقال اقرأ واصعد في درج الجنة وغرفها ، فهو في صعودها مادام يقرأ هذاً، او ترتيلا » غريب

*انا عبدالواحد المليحي انا ابو منصور السمعاني انا ابو جعفر الزياتي ثنا حميد بن زنجويه ، ثنا أيوب

لكن قد يكون انما وهم في رفعه ، ولعله من كلام ابن عباس كما تقدم والله أعلم

(مقدمة مفيدة تذكر في اول التفسير قبل الفاتحة)

قال أبو بكر بن الانباري حدثنا اسماعيل بن اسحق القاضى حدثنا حجاج بن منهال حدثنا همام عن قتادة قال ، نزل في المدينة من القرآن البقرة وآل عمران والنساء والمائدة وبراءة والرعد والنحل والحج والنور والاحزاب ومحمد والفتح والحجرات والرحمن والحديد والمجادلة والحشر والممتحنة والصف والجمعة والمنافقون والتغابن والطلاق و (يا أيها النبيّ لم تحرم) الى رأس العشر واذا زلزلت (واذا جاء نصر الله) هؤلاء السور نزلت بالمدينة وسائر السور بمكة .

فأما عدد آيات القرآن العظيم فستة آلاف آية ثم اختلف فيما زاد على ذلك على أقوال، فمنهم من لم يزد على ذلك، ومنهم من قال ومائتي آية وأربع آيات، وقيل وأربع عشرة آية، وقيل ومائتان وتسع عشرة آية، وقيل ومائتان وخمس وعشرون آية،أوست وعشرون آية، وقيل ومائتان وست وثلاثون،حكى ذلك أبو عمرو الداني في كتابه البيان . وأما كلماته فقال الفضل بن شاذان عن عطاء بن يسار سبع وسبعون ألف كلمة وأربعمائة وتسع وثلاثون كلمة . وأما حروفه فقال عبد الله بن كثير عن مجاهد هذا ما أحصينا من القرآن وهو ثلثمائة ألف حرف وأحد وعشرون ألف حرف ومائة وثمانون حرفا . وقال الفضل بن عطاء بن يسار ثلثمائة ألف حرف وثلاثة وعشرون ألفا وخمسة عشر حرفا . وقال سلام أبو محمد الحماني : ان الحجاج جمع القراء والحفاظ والكتاب فقال : أخبروني عن القرآن كله كم من حرف هو؟ قال : فحسبنا فأجمعوا أنه ثلثمائة ألف وأربعون ألفا وسبعمائة وأربعون حرفا قال : فأخبروني عن نصفه

الدمشقي ثنا اسماعيل بن عياش ثنا ليث بن أبي سليم عن مجاهد عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من استمع الى آية من كتاب الله عز وجل كتبت له حسنة مضاعفة ، ومن قرأ آية من كتاب الله كانت له نورا يوم القيامة »

أخبرنا الامام أبو علي حسين بن محمد القاضي أنا ابو طاهر محمد بن محمد بن محمد الزيادي انا ابو بكر محمد بن عمر بن حفص التاجر ، ثنا ابراهيم بن عبد الله بن عمر بن بكير الكوفي أنا وكيع عن الاعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أيحب أحدكم اذا رجع الى أهله ان يجد فيه ثلاث خلفات عظام سمان » قلنا ، نعم يا رسول الله قال « فثلاث آيات يقرؤهن أحدكم في صلاته خير له من ثلاث خلفات عظام سمان » صحيح ، أنا عبد الواحد المليحي أنا أبو منصور السمعاني أنا أبو جعفر الزياتي ، ثنا حميد بن زنجويه ، ثنا الاسود ثنا ابن لهيعة عن زبان هو ابن فائد عن سهل هو ابن معاذ الجهني عن أبيه رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « من قرأ القرآن فاحكمه وعمل بما فيه ألبس والداه يوم القيامة تاجا ضوؤه أحسن من ضوء الشمس في بيت من بيوت الدنيا لو كانت فيه فما ظنكم بالذي عمل به »

أنا أحمد بن عبد الله الصالحي أنا ابو سعيد محمد بن موسى الصيرفي أنا محمد بن عبدالله الصفار،

فاذا هو الى الفاء من قوله في الكهف (وليتلطف) وثلثه الاول عند رأس مائة آية من براءة والثاني على رأس مائة أو احدى ومائة من الشعراء . والثالث الى آخره، وسبعه الاول الى الدال من قوله تعالى (فمنهم من آمن به ومنهم من صد) والسبع الثاني الى التاء من قوله تعالى في سورة الاعراف (أولئك حبطت) والثالث الى الالف الثانية من قوله تعالى في الرعد (أكلها) والرابع الى الالف في الحج من قوله(جعلنامنسكا) والخامس الى الهاء من قوله في الاحزاب (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة) والسادس الى الواو من قوله تعالى في الفتح (الظانين بالله ظن السوء) والسابع الى آخر القرآن. قال سلام أبو محمد علمنا ذلك في اربعة اشهر، قالوا وكان الحجاج يقرأ في كل ليلة ربع القرآن . فالاول الى آخر الانعام والثاني الى (وليتلطف) من سورة الكهف . والثالث الى آخر الزمر . والرابع الى آخر القرآن. وقدحكى الشيخ ابو عمرو الداني في كتابه (البيان) خلافا في هذا كله فالله اعلم

وأما (التحزيب والتجزئة) فقد اشتهرت الاجزاء من ثلاثين كما في الربعات بالمدارس وغيرها وقد ذكرنا فيما تقدم الحديث الوارد في تحزيب الصحابة للقرآن والحديث في مسند الامام احمد وسنن ابي داود وابن ماجه وغيرهم عن أوس بن حذيفة انه سأل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته كيف تحزبون القرآن؟ قالوا ثلث وخمس وسبع وتسع واحدعشرة وثلاث عشرة (١) وحزب المفصل حتى تختم

(١) كذا والقاعدة في المذكر أحد عشر وثلاثة عشر وفي المؤنث احدى عشرة وثلاث عشره

فصل

واختلاف في معنى السورة مما هي مشتقة فقيل من الابانة والارتفاع قال النابغة

ثنا أحمد بن محمد بن عيسى البزي، (١) ثنا أبو حذيفة ثنا سفيان الثوري عن الاعمش عن خيثمة عن رجل أن عمران بن حصين مر على رجل يقرأ على قوم فلما قرأ سأل فقال عمران : انا لله وانا اليه راجعون . سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوله « من قرأ القرآن فليسأل الله به فانه سيجيء أقوام يقرؤن القرآن يسألون الناس به» رواه أبو عيسى عن محمود بن غيلان عن أبي أحمد عن سفيان عن الاعمش عن خيثمة عن الحسن عن عمران بن حصين وقال :وقال محمد بن اسماعيل هو خيثمة البصري الذي روى عنه جابر الجعفي وليس هو خيثمة بن عبد الرحمن

(١) وفي نسخة البرني واخرى البرتي

﴿ فصل في وعيد من قال في القرآن برأيه من غير علم ﴾

أنا أبو بكر محمد بن عبد الصمد الترابي أنا أبو محمد عبد الله بن احمد بن حمويه السرخسي أنا ابو اسحق ابراهيم بن حزيم الشاشي ثنا أبو محمد عبيد بن حميد ثنا عبد الرزاق أنا الثوري عن عبد الاعلى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار » أنا أبو منصور محمد بن عبد الملك المظفري أنا أبو سعيد احمد بن محمد بن الفضل الفقيه أنا أبو عبد الله الحسين بن الحسن البصري ثنا أبو الفضل العباس بن محمد الدوري أخبرنا يحيي بن حماد . ثنا أبو عوانة عن عبد الاعلى عن سعيد بن جبير عن

ألم تر ان الله أعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتذبذب

فكان القاريء ينتقل بها من منزلة الى منزلة. وقيل لشرفها وارتفاعها كسور البلدان وقيل سميت سورة لسكونها قطعة من القرآن وجزءا منه مأخوذ من اسار الاناء وهو البقية. وعلى هذا فيكون أصلها مهموزا . وانما خففت الهمزة فأبدلت الهمزة واواً لانضمام ما قبلها وقيل لتمامها وكمالها لان العرب يسمون الناقة التامة سورة (قلت)ويحتمل ان يكون من الجمع والاحاطة لآياتها كما يسمى سور البلد لاحاطته بمنازله ودوره. وجمع السورة سور بفتح الواو وقد يجمع على سورات وسوارات. واما الآية فمن العلامة على انقطاع الكلام الذي قبلها عن الذي بعدها وانفصالها اي هي بائنة عن اختها ومنفردة قال الله تعالى (ان آية ملكه) وقال النابغة :

توهمت آيات لها فعرفتها لستة أعوام وذا العام سابع

وقيل لانها جماعة حروف من القرآن وطائفة منه كما يقال خرج القوم بآياتهم اي بجماعاتهم قال الشاعر :

خرجنا من النقبين لا حي مثلنا بآيتنا نزجي اللقاح المطافلا

وقيل سميت آية لانها عجب يعجز البشر عن التكلم بمثلها قال سيبويه وأصلها أيية مثل أكمة وشجرة

ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار» أنا أبو بكر محمد بن عبدالصمد الترابي ، حدثنا عبدالله بن احمد بن حمويه أنا ابراهيم ابن خزيم أنا عبد بن حميد ثنا حبان بن هلال ثنا سهل أخو حزم القطيعي ثنا أبو عمران الجوني عن جندب بن عبدالله البجلي رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ» غريب ،وسئل أبو بكر الصديق رضي الله عنه عن قوله تعالى(وفاكهة وأبا) فقال:وأي سماء تظلني ،وأي أرض تقلني .اذا قلت في كتاب الله ما لا أعلم ، وقال أبو الدرداء رضي الله عنه : لا تفقه كل الفقه حتى ترى للقرآن وجوها كثيرة ، قال حماد قلت لايوب مامعنى قول أبي الدرداء رضي الله عنه؟ فجعل يفكر فقلت هو ان ترى له وجوها كثيرة فتهاب الاقدام عليه؟ فقال هو ذاك ، قال شيخنا الامام رحمه الله: قد جاء الوعيد في حق من قال في القرآن برأيه وذلك فيمن قال من قبل نفسه شيئا من غير علم

فأما التأويل وهو صرف الآية الى معنى محتمل يوافق ما قبلها وما بعدها غير مخالف للكتاب والسنة من طريق الاستنباط فقد رخص فيه لاهل العلم ، أما التفسير وهو الكلام في أسباب نزول الآية وشأنها وقصتها فلا يجوز الا بالسماع بعد ثبوته من طريق النقل، وأصل التفسير من التفسرة وهي الدليل من الماء الذي ينظر فيه الطبيب فيكشف عن علة المريض كذلك المفسر يكشف عن شأن الآية وقصتها . واشتقاق التأويل من الاول وهو الرجوع يقال أولته فآل أي صرفته فانصرف. أخبرنا أبو بكر بن أبي الهيثم الترابي أنا الحاكم أبو الفضل الحدادي أنا أبو يزيد محمد بن يحيى ، أنا اسحق بن ابراهيم الحنظلي ، ثنا جرير بن عبد الحميد عن المغيرة عن واصل

تحركت الياء وانفتح ما قبلها فقلبت الفا فصارت آية بهمزة بعدها مدة وقال الكسائي أصلها آيية على وزن آمنة فقلبت الفا ثم حذفت لالتباسها. وقال الفراء أصلها أيية بتشديد الياء الاولى فقلبت الفا كراهية التشديد فصارت آية وجمعها آي وآياي وآيات. وأما الكلمة فهي اللفظة الواحدة وقد تكون على حرفين مثل ما ولا ونحو ذلك. وقد تكون اكثر، وأكثر ما تكون عشرة احرف مثل «ليستخلفنهم» و«أنلزمكموها» فاسقيناكموه. وقد تكون الكلمة الوحدة آية مثل والفجر والضحى والعصر وكذلك الم وطه ويس وحم في قول الكوفيين وحم عسق عندهم كلمتان وغيرهم لا يسمي هذه آيات بل يقول هذه فواتح السور وقال أبو عمرو الداني لا اعلم كلمة هي وحدها آية الا قوله تعالى (مدهامتان) بسورة الرحمن

فصل

قال القرطبي اجمعوا على انه ليس في القرآن شيء من التراكيب الاعجمية، واجمعوا ان فيه اعلاما من الاعجمية كابراهيم ونوح ولوط واختلفوا هل فيه شيء من غير ذلك بالاعجمية؟ فانكر ذلك الباقلاني والطبري وقالا ما وقع فيه مما يوافق الاعجمية فهو من باب ما توافقت فيه اللغات

سورة الفاتحة

بسم الله الرحمن الرحيم

يقال لها الفاتحة اي فاتحة الكتاب خطا ، و بها تفتتح القراءة في الصلوات ، ويقال لها أيضا أم

ابن حبان عن ابن هذيل عن أبي الاحوص عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « ان القرآن أنزل على سبعة أحرف لكل آية منها ظهر و بطن، ولكل حد مطلع » ويروى « لكل حرف حد، ولكل حد مطلع » واختلفوا في تأويله قيل: الظهر لفظ القرآن والبطن تأويله. وقيل الظهر ما حدث عن أقوام أنهم عصوا فعوقبوا فهو في الظاهر خبر وباطنه عظة وتحذير ان يفعل أحد مثل ما فعلوا فيحل به ما حل بهم. وقيل معنى الظهر والبطن التلاوة والتفهم يقول لكل آية ظاهر وهو أن تقرأها كما انزلت قال الله تعالى (ورتل القرآن ترتيلا) وباطن وهو التدبر والتفكر قال الله تعالى (كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته) ثم التلاوة تكون بالتعلم، والحفظ بالدرس، والتفهم يكون بصدق النية وتعظيم الحرمة وطيب الطعمة. وقوله « لكل حرف حد » أراد له حد في التلاوة والتفسير لايجاوزه ففي التلاوة لا يجاوز المصحف، وفي التفسير لا يجاوز المسموع. وقوله «لكل حد مطلع » أي مصعد يصعد اليه من معرفة علمه ، ويقال المطلع الفهم وقد يفتح الله على المتدبر والمتفكر في التأويل والمعاني مالا يفتح على غيره وفوق كل ذي علم عليم ، وماتوفيقي الا بالله العزيز الحكيم

سورة الفاتحة

ولها ثلاثة أسماء معروفة : فاتحة الكتاب ، وأم القرآن ، والسبع المثاني . سميت فاتحة الكتاب

الكتاب عند الجمهور ذكره أنس ، والحسن وابن سيرين كرها تسميتها بذلك قال الحسن وابن سيرين انما ذلك اللوح المحفوظ وقال الحسن الآيات المحكمات هن ام الكتاب ولذا كرها أيضا أن يقال لها أم القرآن وقد ثبت في الصحيح عند الترمذي وصححه عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «الحمد لله رب العالمين أم القران وأم الكتاب والسبع المثاني والقرآن العظيم» ويقال لها (الحمد) ويقال لها (الصلاة) لقوله صلى الله عليه وسلم عن ربه «قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين فاذا قال العبد الحمد لله رب العالمين قال الله حمدني عبدي» الحديث. فسميت الفاتحة صلاة لانها شرط فيها ويقال لها الشفاء لما رواه الدرامي عن ابي سعيد مرفوعا «فاتحة الكتاب شفاء من كل سم» ويقال لها (الرقية) لحديث ابي سعيد في الصحيح حين رقى بها الرجل السليم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم «ومايدريك انها رقية»؟ وروى الشعبي عن ابن عباس انه سماها (اساس القرآن) قال وأساسها بسم الله الرحمن الرحيم وسماها سفيان بن عيينة (بالواقية) وسماها يحيى بن ابي كثير (الكافية) لانها تكفى عما عداها ولا يكفي ماسواها عنها كما جاء في بعض الاحاديث المرسلة «أم القرآن عوض من غيرها وليس من غيرها عوض منها» ويقال لها سورة الصلاة والكنز ذكرهما الزمخشري في كشافه

وهي مكية قاله ابن عباس وقتادة وأبو العالية، وقيل مدنية قاله أبو هريرة ومجاهد وعطاء بن يسار والزهري ويقال نزلت مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة. والاول اشبه لقوله تعالى (ولقد آتيناك سبعا من المثاني) والله اعلم وحكى ابو الليث السمرقندي ان نصفها نزل بمكة ونصفها الاخر نزل بالمدينة وهو غريب جدا نقله القرطبي عنه وهى سبع آيات بلا خلاف وقال عمرو بن عبيد ثمان وقال حسين الجعفى ستة وهذان القولان شاذان وانما اختلفوا فى البسملة هل هى آية مستقلة من اولها كما هو عند جمهور قراء الكوفة وقول جماعة من الصحابة والتابعين وخلق من الخلف أو بعض آية أو لا تعد من أولها بالكلية كما هو قول اهل المدينة من القراء والفقهاء؟ على ثلاثة اقوال كما سيأتى تقريرها فى موضعه ان شاء الله تعالى وبه الثقة

قالوا وكلماتها خمس وعشرون كلمة وحروفها مائة وثلاثة عشر حرفا. قال البخاري في اول كتاب التفسير وسميت أم الكتاب لانه يبدأ بكتابتها فى المصاحف ويبدأ بقراءتها فى الصلاة وقيل انما سميت بذلك لرجوع معانى القرآن كله الى ما تضمنته قال ابن جرير: والعرب تسمي كل جامع أمر أو مقدم لامر اذا كانت له توابع تتبعه هو لها امام جامع ـ أمّا. فتقول للجلدة التى تجمع الدماغ أم الرأس ويسمون لواء الجيش ورايتهم التي يجتمعون تحتها أما واستشهد بقول ذى الرمة

لانه تعالى بها افتتح القرآن، وسميت أم القرآن وأم الكتاب لانها أصل القرآن منها بدىء القرآن وأم الشىء أصله ويقال لمكة أم القرى لانها أصل البلاد دحيت الارض من تحتها وقيل لانها مقدمة وامام لما يتلوها من السور يبدأ بكتابتها في الصحف وبقراءتها في الصلاة . والسبع المثاني لانها سبع آيات باتفاق العلماء وسميت مثاني لانها تثنى في الصلاة فتقرأ في كل ركعة . وقال مجاهد : سميت مثاني لان الله تعالى استثناها لهذه الامة فذخرها لهم . وهي مكية على قول الاكثرين وقال مجاهد : مدنيه وقيل نزلت

على رأسه أم لنا نقتدي بها   جماع أمور ليس نعصي لها امرا

— يعني الرمح — قال وسميت مكة أم القرى لتقدمها امام جميعها وجمعها ما سواها. وقيل لان الارض دحيت منها. ويقال لها أيضا الفاتحة لانها تفتتح بها القراءة وافتتحت الصحابة بها كتابة المصحف الامام وصح تسميتها بالسبع المثانى قالوا لانها تثنى في الصلاة فتقرأ فى كل ركعة وان كان للمثانى معنى آخر غير هذا كما سيأتى بيانه فى موضعه ان شاء الله تعالى.

قال الامام أحمد: حدثنا يزيد بن هرون أنبأنا ابن أبي ذئب وهاشم بن هاشم عن ابن أبى ذئب عن المقبري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في أم القرآن «هي أم القرآن وهي السبع المثاني وهي القرآن العظيم» ثم رواه عن اسماعيل بن عمر عن ابن أبي ذئب به وقال أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: حدثني يونس بن عبد الاعلى أنبأنا ابن وهب أخبرني ابن أبى ذئب عن سعيد المقبري عن أبى هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «هي أم القرآن وهي فاتحة الكتاب وهي السبع المثاني) وقال الحافظ أبو بكر أحمد بن موسى بن مردويه في تفسيره: حدثنا أحمد بن محمد بن زياد، حدثنا محمد بن غالب بن حارث، حدثنا اسحق بن عبد الواحد الموصلي، حدثنا المعافى بن عمران عن عبد الحميد بن جعفر عن نوح بن أبي بلال عن المقبري عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «الحمد لله رب العالمين سبع آيات: بسم الله الرحمن الرحيم احداهن، وهي السبع المثاني والقرآن العظيم، وهي أم الكتاب، وفاتحة الكتاب» وقد رواه لدارقطني أيضا عن أبي هريرة مرفوعا بنحوه أو مثله وقال كلهم ثقات وروى البيهقي عن علي وابن عباس وأبي هريرة أنهم فسروا قوله (سبعا من المثاني) بالفاتحة وأن البسملة هي الآية السابعة منها وسيأتي تمام هذا عند البسملة. وقد روى الاعمش عن ابراهيم قال: قيل لابن مسعود: لم لم تكتب الفاتحة في مصحفك؟ فقال: لو كتبتها لكتبتها في أول كل سورة، قال أبو بكر بن أبى داود يعني حيث يقرأ في الصلاة» قال: واكتفيت بحفظ المسلمين لها عن كتابتها وقد قيل: ان الفاتحة أول شيء أنزل من القرآن كما ورد في حديث رواه البيهقي في دلائل النبوة ونقله الباقلاني أحد أقوال ثلاثة وقيل (يا أيها المدثر) كما في حديث جابر في الصحيح وقيل (اقرأ باسم ربك الذي خلق) وهذا هو الصحيح كما سيأتي تقريره في موضعه وبالله المستعان

مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة ولذلك سميت مثاني والاول أصح أنها مكية لان الله تعالى منّ على الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله (ولقد آتيناك سبعا من المثاني) والمراد منها فاتحة الكتاب، وسورة الحجر مكية فلم يكن يمن عليه بها قبل نزولها

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قوله (بسم الله) الباء أداة تخفض ما بعدها مثل من وعن والمتعلق به الباء محذوف لدلالة الكلام عليه تقديره ابدأ بسم الله أو قل بسم الله وأسقطت الالف من الاسم طلبا للخفة لكثرة استعمالها وطولت الباء قال القتيبي ليكون افتتاح كلام كتاب الله بحرف معظم، كان

﴿ ذكر ما ورد في فضل الفاتحة ﴾

قال الامام أحمد بن محمد بن حنبل رحمه الله تعالى في مسنده : حدثنا يحيى بن سعيد عن شعبة حدثني حبيب بن عبد الرحمن عن حفص بن عاصم عن أبي سعيد بن المعلى رضي الله عنه قال : كنت أصلي فدعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم أجبه حتى صليت قال : فأتيته فقال « ما منعك أن تأتيني ؟ » قال قلت : يا رسول الله اني كنت أصلي قال : ألم يقل الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم) ثم قال « لاعلمنك أعظم سورة في القرآن قبل أن تخرج من المسجد » قال : فأخذ بيدي فلما أراد أن يخرج من المسجد قلت « يا رسول الله انك قلت لاعلمنك أعظم سورة في القرآن قال « نعم » (الحمد لله رب العالمين) هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته » وهكذا رواه البخاري عن مسدد وعلي بن المديني كلاهما عن يحيى بن سعيد القطان به، ورواه في موضع آخر من التفسير، وأبو داود والنسائي وابن ماجه من طرق عن شعبة به ، ورواه الواقدي عن محمد بن معاذ الانصاري عن خبيب بن عبد الرحمن عن حفص بن عاصم عن أبي سعيد بن المعلى عن أبي بن كعب فذكر نحوه. وقد وقع في الموطأ للامام مالك بن أنس رحمه الله ما ينبغي التنبيه عليه فانه رواه مالك عن العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب الحرقي ان أبا سعيد مولى ابن عامر بن كريز أخبرهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نادى أبي بن كعب وهو يصلي في المسجد فلما فرغ من صلاته لحقه قال فوضع النبي صلى الله عليه وسلم يده على يدي وهو يريد أن يخرج من باب المسجد ثم قال صلى الله عليه وسلم «اني لارجو أن لا تخرج من باب المسجد حتى تعلم سورة ما أنزل في التوراة ولا في الانجيل ولا في القرآن مثلها» قال أبيّ رضي الله عنه فجعلت أبطىء في المشي رجاء ذلك ثم قلت يارسول الله ما السورة التي وعدتني؟ قال « كيف تقرأ اذا افتتحت الصلاة؟ قال فقرأت عليه (الحمد لله رب العالمين) حتى أتيت على آخرها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «هي هذه السورة وهي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أعطيت» فأبو سعيد هذا ليس بأبي سعيد بن المعلى كما اعتقده بن الاثير في جامع الاصول ومن تبعه فان ابن المعلى صحابي أنصاري وهذا تابعي من موالي خزاعة وذاك الحديث متصل صحيح وهذا ظاهره انه منقطع ان لم يكن سمعه أبو سعيد هذا من أبي بن كعب فان كان قد سمعه منه فهو على شرط مسلم والله أعلم على انه قد روي عن أبي ابن كعب من غير وجه كما قال الامام احمد. حدثنا عفان حدثنا عبد الرحمن بن ابراهيم حدثنا العلاء

عمر بن عبد العزيز رحمه الله يقول لكتابه طولوا الباء وأظهروا السين وفرجوا بينهما ودوروا الميم تعظيما لكتاب الله عز وجل ، وقيل لما أسقطوا الالف ردوا طول الالف على الباء ليكون دالا على سقوط الالف ألا ترى أنه لما كتبت الالف في (اقرأ باسم ربك) ردت الباء الى صيغتها ولا تحذف الالف اذا أضيف الاسم الى غير الله ولا مع غير الباء. والاسم هو المسمى وعينه وذاته قال الله تعالى

ابن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابيّ بن كعب وهو يصلي فقال يا ابيّ فالتفت ثم لم يجبه ثم قال ابي فخفف أبيّ ثم انصرف الي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال السلام عليك أي رسول الله فقال وعليك السلام ما منعك اى أبيّ اذ دعوتك ان تجيبني فقال اي رسول الله اني كنت في الصلاة قال أولست تجد فيما أوحى الله اليّ (استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم) قال بلى يارسول الله لا أعود قال أتحب ان أعلمك سورة لم تنزل لا في التوراة ولا في الانجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها ؟ قلت نعم اي رسول الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لارجو ان لا أخرج من هذا الباب حتي تعلمها قال فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدى يحدثني وأنا أتباطأ مخافة ان يبلغ قبل ان يقضى الحديث فلما دنونا من الباب قلت أي رسول الله ما السورة التي وعدتني؟ قال ما تقرأ في الصلاة؟ قال فقرأت عليه ام القرآن قل والذي نفسي بيده ما أنزل الله في التوراة ولا في الانجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها انها السبع المثاني ورواه الترمذي عن قتيبة عن الدراوردى عن العلائي عن أبيه عن ابي هريرة رضى الله عنه فذكره وعنده انها من السبع المثانى والقرآن العظيم الذي أعطيته ثم قال هذا حديث حسن صحيح وفي الباب عن أنس بن مالك ورواه عبد الله بن الامام احمد عن اسماعيل بن أبي معمر عن ابى اسامة عن عبد الحميد بن جعفر عن العلاء عن أبيه عن ابي هريرة عن أبيّ بن كعب فذكره مطولا بنحوه او قريبا منه وقد رواه الترمذي والنسائي جميعا عن أبى عمار حسين بن حريث عن الفضل بن موسى عن عبد الحميد بن جعفر عن العلاء عن ابيه عن ابى هريرة عن أبي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أنزل الله في التوراة ولا في الانجيل مثل ام القرآن وهى السبع المثانى وهى مقسومة بينى وبين عبدي نصفين هذا لفظ النسائي وقال الترمذي حديث حسن غريب وقال الامام أحمد حدثنا محمد بن عبيد حدثنا هاشم يعنى ابن البريد حدثنا عبد الله بن محمد ابن عقيل عن جابر قال انتهيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد اهراق الماء فقلت السلام عليك يارسول الله فلم يرد علي قال فقلت السلام عليك يارسول الله فلم يرد علي قال فقلت السلام عليك يارسول لله فلم يرد علي قال فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشى وأنا خلفه حتى دخل رحله ودخلت أنا المسجد فجلست كئيبا حزينا فخرج علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تطهر فقال عليك السلام ورحمة الله وبركاته وعليك السلام ورحمة الله وبركاته وعليك السلام ورحمة الله ثم قال «الا اخبرك ياعبد الله بن جابر بأخير سورة في القرآن ؟ قلت بلى يارسول الله قال اقرأ الحمد لله

(انا نبشرك بغلام اسمه يحيى) أخبر أن اسمه يحيى ثم نادى الاسم فقال (يايحيى) وقال (ما تعبدون من دونه الا أسماء سميتموها) وأراد الاشخاص المعبودة لانهم كانوا يعبدون المسميات وقال (سبح اسم ربك ، وتبارك اسم ربك) ثم يقال للتسمية أيضا اسم فاستعماله في التسمية أكثر من المسمى فان قيل ما معنى التسمية من الله لنفسه ؟ قيل هو تعليم للعباد كيف يستفتحون القراءة(١). واختلفوا في

(١) وفي نسخة يفتتحون وقد سقط السؤال والجواب من الخطيتين

رب العالمين حتى تختمها» هذا اسناد جيد وابن عقيل هذا يحتج به الائمة الكبار وعبدالله بن جابر هذا الصحابي ذكر ابن الجوزي انه هو العبدي والله اعلم ويقال انه عبد الله بن جابر الانصاري البياضي فيما ذكره الحافظ ابن عساكر واستدلوا بهذا الحديث وأمثاله على تفاضل بعض الايات والسور على بعض كما هو المحكي عن كثير من العلماء منهم اسحق بن راهويه وأبوبكر بن العربي وابن الحفار من المالكية وذهبت طائفة أخري الى انه لا تفاضل في ذلك لان الجميع كلام الله ولئلا يوهم التفضيل نقص المفضل عليه وان كان الجميع فاضلا نقله القرطبي عن الاشعري وأبي بكر الباقلاني وأبي حاتم ابن حبان البستي وأبي حيان ويحيي بن يحيي ورواية عن الامام مالك أيضا حديث آخر قال البخاري في فضائل القرآن حدثنا محمد بن المثنى حدثنا وهب حدثنا هشام عن محمد بن معبد عن أبي سعيد الخدري قال كنا في مسير لنا فنزلنا فجاءت جارية فقالت ان سيد الحي سليم وان نفرنا غيب فهل منكم راق ؟ فقام معها رجل ما كنا نأبنه برقية فرقاه فبرأ فأمر له بثلاثين شاة وسقانا لبنا فلما رجع قلنا له أكنت تحسن رقية أو كنت ترقي ؟ قال لا ما رقيت الا بأم الكتاب قلنا لا تحدثوا شيئا حتي نأتي ونسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قدمنا المدينة ذكرناه للنبي صلى الله عليه وسلم فقال «وما كان يدريه انها رقية اقسموا واضربوا لي بسهم» وقال أبو معمر حدثنا عبد الوارث حدثنا هشام حدثنا محمد بن سيرين حدثني معبد بن سيرين عن أبي سعيد الخدري بهذا وهكذا رواه مسلم وأبو دواد من رواية هشام وهو ابن حسان عن ابن سيرين به وفي بعض روايات مسلم لهذا الحديث ان أبا سعيد الخدري هو الذي رقى ذلك السليم يعني اللديغ يسمونه بذلك تفاؤلا

حديث آخر : روى مسلم في صحيحه والنسائي في سننه من حديث أبي الاحوص سلام بن سليم عن عمار بن زريق عن عبد الله بن عيسى بن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده جبرائيل اذ سمع نقيضا فوقه فرفع جبريل بصره الى السماء فقال : هذا باب قد فتح من السماء ما فتح قط قال فنزل منه ملك فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : ابشر بنورين قد أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لم تقرأ حرفا منها الا أوتيته ، وهذا لفظ النسائي

ولمسلم نحوه حديث آخر قال مسلم حدثنا اسحق بن ابراهيم الحنظلي هو ابن راهويه حدثنا سفيان ابن عيينة عن العلاء يعني ابن عبد الرحمن بن يعقوب الحرقي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج ثلاثا غير تمام»

اشتقاقه : قال المبرد من البصريين هو مشتق من السمو وهو العلو فكأنه علا على معناه وظهر عليه وصار معناه تحته ، وقال ثعلب من الكوفيين هو من الوسم والسمة وهي العلامة وكأنه علامة لمعناه والاول أصح لانه يصغر على سمي ولو كان من السمة لكان يصغر على الوسيم كما يقال في الوعد وعيد ويقال في تصريفه سميت ولو كان من الوسم لقيل وسمت قوله تعالى (الله)

فقيل لابي هريرة انا نكون خلف الامام فقال اقرأ بها في نفسك فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: قال الله عز وجل «قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ماسأل فاذا قال (الحمد لله رب العالمين) قال الله حمدني عبدي ، واذا قال (الرحمن الرحيم) قال الله اثني علي عبدي ، فاذا قال (مالك يوم الدين) قال الله مجدني عبدى ، وقال مرة فوض الي عبدى ، فاذا قال (اياك نعبد واياك نستعين) قال هذا بيني وبين عبدى ولعبدى ماسأل . فاذا قال (اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين) قال الله هذا لعبدى ولعبدى ما سأل » وهكذا رواه النسائي عن اسحق بن راهويه وقد روياه ايضا عن قتيبة عن مالك عن العلاء عن ابي السائب مولى هشام بن زهرة عن ابي هريرة وفي هذا السياق « فنصفها لي ونصفها لعبدى ، ولعبدى ما سأل» وهكذا رواه ابن اسحق عن العلاء وقد رواه مسلم من حديث ابن جريج عن العلاء عن ابي السائب هكذا ورواه أيضا من حديث ابن ابى أويس عن العلاء عن أبيه وأبى السائب كلاهما عن أبى هريرة وقال الترمذي هذا حديث حسن وسألت أبازرعة عنه فقال كلا الحديثين صحيح من قال عن العلائى عن ابيه وعن العلاء عن ابى السائب وقد روي هذا الحديث عبد الله بن الامام احمد من حديث العلاء عن ابيه عن ابى هريرة عن أبيّ بن كعب مطولا وقال ابن جرير حدثنا صالح ابن مسمار المروزي حدثنا زيد بن الحباب حدثنا عنبسة بن سعيد عن مطرف بن طريف عن سعيد بن اسحق عن كعب بن عجرة عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى عليه وسلم « قال الله تعالى (قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين وله ما سأل فأذا قال العبد الحمد لله رب العالمين قال حمدنى عبدى واذا قال الرحمن الرحيم قال اثنى على عبدى . ثم قال هذا لى وله مابقي» وهذا غريب من هذا الوجه

﴿ الكلام على ما يتعلق بهذا الحديث مما يختص بالفاتحة من وجوه ﴾

(أحدها) أنه قد أطلق فيه لفظ الصلاة . والمراد القراءة كقوله تعالى (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا) أي بقراءتك كما جاء مصرحا به في الصحيح عن ابن عباس ، وهكذا قال في هذا الحديث « قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين فنصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما سأل » ثم بين تفصيل هذه القسمة في قراءة الفاتحة فدل على عظمة القراءة في الصلاة وانها من أكبر أركانها اذ أطلقت العبادة وأريد بها جزء واحد منها وهو القراءة كما أطلق لفظ القراءة

قال الخليل وجماعة هو اسم علم خاص لله عز وجل لا اشتقاق له كأسماء الاعلام للعباد مثل زيد وعمرو وقال جماعة هو مشتق ثم اختلفوا في اشتقاقه فقيل من أله الاهة أي عبد عبادة وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما (ويذرك والاهتك) أي عبادتك — معناه أنه المستحق للعبادة دون غيره وقيل أصله اله . قال الله عز وجل (وما كان معه من اله اذاً لذهب كل اله بما خلق) قال المبرد هو من قول العرب ألهت

والمراد به الصلاة في قوله (وقرآن الفجر، ان قرآن الفجر كان مشهودا) والمراد صلاة الفجر كما جاء مصرحا به في الصحيحين « أنه يشهدها ملائكة الليل وملائكة النهار » فدل هذا كله على أنه لا بد من القراءة في الصلاة وهو اتفاق من العلماء ، ولكن اختلفوا في مسئلة نذكرها في الوجه الثاني ، وذلك انه هل يتعين للقراءة في الصلاة غير فاتحة الكتاب أم تجزيء هي أو غيرها ؟ على قولين مشهورين فعند أبي حنيفة ومن وافقه من أصحابه وغيرهم : انها لا تتعين بل مهما قرأ به من القرآن أجزأه في الصلاة واحتجوا بعموم قوله تعالى (فاقرؤا ما تيسر من القرآن) وبما ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة في قصة المسيء في صلاته ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له « اذا قمت الى الصلاة فكبر ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن » قالوا فأمره بقراءة ما تيسر ولم يعين له الفاتحة ولا غيرها فدل على ما قلنا

(والقول الثاني) أنه تتعين قراءة الفاتحة في الصلاة ولا تجزىء الصلاة بدونها ، وهو قول بقية الائمة مالك والشافعي وأحمد بن حنبل وأصحابهم وجمهور العلماء ، واحتجوا على ذلك بهذا الحديث المذكور حيث قال صلوات الله وسلامه عليه « من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأمّ القرآن فهي خداج » والخداج هو الناقص كما فسر به في الحديث «غير تمام». واحتجوا أيضا بما ثبت في الصحيحين من حديث الزهري عن محمود بن الربيع عن عبادة بن الصامت قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب » . وفي « صحيح ابن خزيمة وابن حبان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تجزىء صلاة لا يقرأ فيها بأمّ القرآن » والاحاديث في هذا الباب كثيرة ووجه المناظرة ههنا يطول ذكره وقد أشرنا الى مأخذهم في ذلك رحمهم الله

ثم ان مذهب الشافعي وجماعة من أهل العلم أنه يجب قراءتها في كل ركعة . وقال آخرون: انما تجب قراءتها في معظم الركعات وقال الحسن وأكثر البصريين: انما تجب قراءتها في ركعة واحدة من الصلوات أخذا بمطلق الحديث « لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب » . وقال أبو حنيفة وأصحابه والثوري والاوزاعي : لا تتعين قراءتها بل لو قرأ بغيرها أجزأه لقوله تعالى (فاقرؤا ما تيسر من القرآن) والله أعلم . وقد روى ابن ماجه من حديث أبي سفيان السعدي عن أبي نضرة عن أبي سعيد مرفوعا « لا صلاة لمن لم يقرأ في كل ركعة بالحمد وسورة في فريضة أو غيرها » وفي صحة هذا نظر وموضع تحرير هذا كله في كتاب الاحكام الكبير والله أعلم

(والوجه الثالث) هل تجب قراءة الفاتحة على المأموم ؟ فيه ثلاثة أقوال للعلماء (أحدها) أنه تجب عليه قراءتها كما تجب على إمامه لعموم الاحاديث المتقدمة (والثاني) لا تجب على المأموم قراءة

الى فلان أي سكنت اليه قال الشاعر : ■ ألهت اليها والحوادث جمة
فكان الخلق يسكنون اليه ويطمئنون بذكره يقال ألهت اليه أي فزعت اليه وقال الشاعر :
ألهت اليها والركائب وقّف
وقيل أصل الاله ولاه فأبدلت الواو بالهمزة مثل وشاح واشاح ■ اشتقاقه من الوله لان العباد

بالكلية للفاتحة ولا غيرها لا في صلاة الجهرية ولا في صلاة السرية لما رواه الامام أحمد بن حنبل في مسنده عن جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « من كان له إمام فقراءة الامام له قراءة » ولكن في إسناده ضعف . ورواه مالك عن وهب بن كيسان عن جابر من كلامه « وقد روي هذا الحديث من طرق ولا يصح شيء منها عن النبي صلى الله عليه وسلم والله أعلم (والقول الثالث) أنه تجب القراءة على المأموم في السرية لما تقدم « ولا يجب ذلك في الجهرية لما ثبت في صحيح مسلم عن أبي موسى الاشعري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « انما جعل الامام ليؤتم به فاذا كبر فكبروا ، واذا قرأ فأنصتوا » وذكر بقية الحديث « وهكذا رواه بقية أهل السنن أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « واذا قرأ فأنصتوا » وقد صححه مسلم بن الحجاج أيضاً فدل هذان الحديثان على صحة هذا القول وهو قول قديم للشافعي رحمه الله « والله أعلم . ورواية عن الامام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى — والغرض من ذكر هذه المسائل هنا بيان اختصاص سورة الفاتحة بأحكام لا تتعلق بغيرها من السور . وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا ابراهيم بن سعيد الجوهري حدثنا غسان بن عبيد عن أبي عمران الجونى عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اذا وضعت جنبك على الفراش وقرأت فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد فقد أمنت من كل شيء الا الموت »

﴿ تفسير الاستعاذة وأحكامها ﴾

قال الله تعالى (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين * واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه سميع عليم) وقال تعالى (ادفع بالتي هي أحسن السيئة نحن أعلم بما يصفون * وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون) وقال تعالى (ادفع بالتي هي أحسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم * وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم * واما ينزغنك من الشيطان **نزغ فاستعذ بالله** انه هو السميع العليم) فهذه ثلاث آيات ليس لهن رابعة في معناها وهو أن الله تعالى يأمر بمصانعة العدوّ الانسي والاحسان اليه ليردّه عنه طبعه الطيب الاصل الى الموالاة والمصافاة ، ويأمر بالاستعاذة به من العدوّ الشيطاني لا محالة اذ لا يقبل مصانعة ولا احسانا ولا يبتغي غير **هلاك** ابن آدم لشدة العداوة بينه وبين أبيه آدم من قبل كما قال تعالى (يابني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة) **وقال تعالى** (أن الشيطان لكم عدوّ فاتخذوه عدوّا انما يدعو

يولهون اليه أي يفزعون اليه في الشدائد، ويلجؤن اليه في الحوائج، كما يوله كل طفل الى أمه، وقيل هو من الوله وهو ذهاب العقل لفقد من يعز عليك

قوله ﴿ الرحمن الرحيم ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما هما اسمان رقيقان أحدهما أرق من الآخر واختلفوا فيهما منهم من قال هما بمعنى واحد مثل ندمان ونديم ومعناهما ذو الرحمة وذكر أحدهما بعد الآخر

حزبه ليكونوا من أصحاب السعير) وقال (أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا) وقد أقسم للوالد آدم عليه السلام انه له لمن الناصحين وكذب فكيف معاملته لنا وقد قال (فبعزتك لاغوينهم أجمعين الا عبادك منهم المخلصين) وقال تعالى (فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم * انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون * انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون)

قالت طائفة من القراء وغيرهم يتعوذ بعد القراءة واعتمدوا على ظاهر سياق الآية ولدفع الاعجاب بعد فراغ العبادة ، وممن ذهب الى ذلك حمزة فيما نقله عنه ابن قلوقا وأبو حاتم السجستاني حكى ذلك أبو القاسم يوسف بن علي بن جنادة الهذلي المغربي في كتاب العبادة الكامل ، وروي عن أبي هريرة أيضا وهو غريب ، ونقله محمد بن عمر الرازي في تفسيره عن ابن سيرين في رواية عنه قال : وهو قول ابراهيم النخعي وداود بن علي الاصبهاني الظاهري . وحكى القرطبي عن أبي بكر بن العربي عن المجموعة عن مالك رحمه الله : ان القارىء يتعوذ بعد الفاتحة . واستغربه ابن العربي ا . وحكى قولا ثالثا وهو الاستعاذة أولا وآخراً جمعا بين الدليلين ، نقله الرازي . والمشهور الذي عليه الجمهور أن الاستعاذة انما تكون قبل التلاوة لدفع الموسوس عنها — ومعنى الآية عندهم (فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) أي اذا أردت القراءة كقوله تعالى (اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم) الآية أي اذا أردتم القيام ، والدليل على ذلك الاحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك . قال الامام أحمد بن حنبل رحمه الله ؛ حدثنا محمد بن الحسن بن أنس حدثنا جعفر بن سليمان عن علي بن علي الرفاعي اليشكري عن أبي المتوكل الناجي عن أبي سعيد الخدري قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام من الليل فاستفتح صلاته وكبر قال « سبحانك اللهم وبحمدك ، وتبارك اسمك ، وتعالى جدك ، ولا اله غيرك — ثم يقول — لا اله الا الله — ثلاثا ثم يقول — أعوذ بالله السميع العليم ، من الشيطان الرجيم ، من همزه ونفخه ونفثه » وقد رواه أهل السنن الاربعة من رواية جعفر بن سليمان عن علي بن علي وهو الرفاعي ، وقال الترمذي : هو أشهر شيء في هذا الباب ، وقد فسر الهمز بالموتة وهي الخنق ، والنفخ بالكبر ، والنفث بالشعر . كما رواه أبو داود وابن ماجه من حديث شعبة عن عمرو بن مرة عن عاصم العنزي عن نافع بن جبير المطعم عن أبيه قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخل في الصلاة قال « الله أكبر كبيرا ثلاثا ، الحمد لله كثيرا ثلاثا ، سبحان الله بكرة وأصيلا ، ثلاثا — اللهم اني أعوذ بك من الشيطان

تطميعا لقلوب الراغبين وقال المبرد هو انعام بعد انعام وتفضل بعد تفضل ، ومنهم من فرق بينهما فقال الرحمن بمعنى العموم والرحيم بمعنى الخصوص . فالرحمن بمعنى الرزاق في الدنيا وهو على العموم لكافة الخلق والرحيم بمعنى المعافي في الآخرة والعفو في الآخرة للمؤمنين على الخصوص ولذلك قيل في الدعاء يا رحمن الدنيا ورحيم الآخرة فالرحمن من تصل رحمته الى الخلق على العموم والرحيم من تصل

من همزه ونفخه ونفثه » قال عمر : وهمزه الموتة ونفخه الكبر ونفثه الشعر . وقال ابن ماجه : حدثنا علي بن المنذر ، حدثنا ابن فضيل ، حدثنا عطاء بن السائب عن أبي عبد الرحمن السلمي عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « اللهم اني أعوذ بك من الشيطان الرجيم وهمزه ونفخه ونفثه قال : همزه الموتة ونفخه الكبر ونفثه الشعر وقال الامام أحمد : حدثنا اسحق بن يوسف ، حدثنا شريك عن يعلي بن عطاء عن رجل حدثه أنه سمع أبا أمامة الباهلي يقول : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام الى الصلاة كبر ثلاثا ثم قال « لا اله الا الله ثلاث مرات » وسبحان الله وبحمده ثلاث مرات » ثم قال « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه » وقال الحافظ أبو يعلي أحمد بن علي بن المثنى الموصلي في مسنده ، حدثنا عبدالله بن عمر بن أبان الكوفي ، حدثنا علي ابن هشام بن البريد عن يزيد بن زياد عن عبد الملك بن عمير عن عبد الرحمن بن أبي ليلي عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال : تلاحى رجلان عند النبي صلى الله عليه وسلم فتمزع أنف أحدهما غضبا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اني لاعلم شيئا لو قاله لذهب عنه ما يجد: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم » وكذا رواه النسائي في اليوم والليلة عن يوسف بن عيسى المروزي عن الفضل ابن موسى عن يزيد بن زياد بن أبي الجعدية » وقد روي هذا الحديث أحمد بن حنبل عن أبي سعيد عن زائدة وأبو داود عن يوسف بن موسى عن جرير بن عبد الحميد والترمذي والنسائي في اليوم والليلة عن بندار عن ابن مهدي عن الثوري والنسائي أيضا من حديث زائدة بن قدامة ثلاثتهم عن عبد الملك بن عمير عن عبد الرحمن بن أبي ليلي عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : استب رجلان عند النبي صلى الله عليه وسلم فغضب أحدهما غضبا شديدا حتى يخيل الي أن أحدهما يتمزع أنفه من شدة غضبه فقال النبي صلى الله عليه وسلم « اني لاعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد من الغضب » فقال : ما هي يا رسول الله؟ قال يقول (اللهم اني أعوذ بك من الشيطان الرجيم) قال : فجعل معاذ يأمره فأبي وجعل يزداد غضبا وهذا لفظ أبي داود ، وقال الترمذي : مرسل يعني أن عبد الرحمن بن أبي ليلي لم يلق معاذ بن جبل فانه مات قبل سنة عشر بن (قلت) وقد يكون عبد الرحمن بن أبي ليلى سمعه من أبي بن كعب كما تقدم و بلغه عن معاذ بن جبل فان هذه القصة شهدها غير واحد من الصحابة رضي الله عنهم . قال البخاري : حدثنا عثمان بن أبي شيبة ، حدثنا جرير عن الاعمش عن عدي بن ثابت قال : قال سليمان بن صرد رضي الله عنه : استب رجلان عند النبي صلى الله عليه وسلم ونحن عنده جلوس فاحدهما يسب صاحبه مغضبا قد احمر وجهه فقال

رحمته اياهم على الخصوص ولذلك يدعى غير الله رحيما ولا يدعى رحمن فالرحمن عام المعنى خاص اللفظ ، والرحيم عام اللفظ خاص المعنى، والرحمة ارادة الله الخير لاهله وقيل هي ترك عقوبة من يستحقها واسداء الخير الى من لا يستحق، فهي على الاول صفة ذات وعلى الثاني صفة فعل

واختلفوا في آية التسمية فذهب قراء المدينة والبصرة وفقهاء الكوفة الى انها ليست من فاتحة

النبي صلى الله عليه وسلم « اني لاعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجده لو قال أعوذ بالله من الشيطان الرجيم » فقالوا للرجل : ألا تسمع ما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : اني لست بمجنون » وقد رواه أيضا مع مسلم وأبي داود والنسائي من طرق متعددة عن الاعمش به

وقد جاء في الاستعاذة أحاديث كثيرة يطول ذكرها هٰهنا وموطنها كتاب الاذكار وفضائل الاعمال والله أعلم. وقد روي أن جبريل عليه السلام أول ما نزل بالقرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره بالاستعاذة كما قال الامام أبو جعفر بن جرير، حدثنا أبو كريب ،حدثنا عثمان بن سعيد، حدثنا بشر بن عمارة حدثنا أبو روق عن الضحاك عن عبد الله بن عباس قال: أول ما نزل جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم قال « يا محمد استعذ » قال « استعيذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم » ثم قال « قل بسم الله الرحمن الرحيم » ثم قال(اقرأ باسم ربك الذي خلق) قال عبد الله : وهي أول سورة أنزلها الله على محمد صلى الله عليه وسلم بلسان جبريل. وهذا الاثر غريب وانما ذكرناه ليعرف فان في اسناده ضعفا وانقطاعا والله أعلم .

﴿ مسئلة ﴾ وجمهور العلماء على أن الاستعاذة مستحبة ليست بمتحتمة يأثم تاركها وحكى الرازي عن عطاء بن أبي رباح وجوبها في الصلاة وخارجها كلما أراد القراءة قل : وقال ابن سيرين : اذا تعوذ مرة واحدة في عمره فقد كفى في اسقاط الوجوب واحتج الرازي لعطاء بظاهر الآية(فاستعذ) وهو أمر ظاهره الوجوب وبمواظبة النبي صلى الله عليه وسلم عليها ولانها تدرأ شر الشيطان وما لا يتم الواجب الا به فهو واجب ولان الاستعاذة أحوط وهو أحد مسالك الوجوب وقال بعضهم : كانت واجبة على النبي صلى الله عليه وسلم دون أمته وحكى عن مالك أنه لا يتعوذ في المكتوبة ويتعوذ لقيام رمضان في أول ليلة منه

﴿ مسئلة ﴾ وقال الشافعي في الاملاء يجهر بالتعوذ وان أسر فلا يضر وقال في الام بالتخيير لانه أسر ابن عمر وجهر أبو هريرة واختلف قول الشافعي فيما عدا الركعة الاولى هل يستحب التعوذ فيها على قولين ورجح عدم الاستحباب والله أعلم فاذا قال المستعيذ: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم كفى ذلك عند الشافعي وأبي حنيفة وزاد بعضهم: أعوذ بالله السميع العليم وقال آخرون بل يقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ان الله هو السميع العليم قاله الثوري والاوزاعي وحكي عن بعضهم انه يقول أستعيذ بالله من الشيطان الرجيم لمطابقة أمر الآية ولحديث الضحاك عن ابن عباس المذكور والاحاديث الصحيحة كما تقدم أولى بالاتباع من هذا والله أعلم

الكتاب ولا من غيرها من السور والافتتاح بها للتيمن والتبرك . وذهب قراء مكة والكوفة وأكثر فقهاء الحجاز الى انها من الفاتحة وليست من سائر السور فانما كتبت للفصل وذهب جماعة الى انها من الفاتحة ومن كل سورة إلا سورة التوبة وهو قول الثوري وابن المبارك والشافعي في قول لانها كتبت في المصحف بخط سائر القرآن. واتفقوا على أن الفاتحة سبع آيات والآية الاولى عند من يعدها من

(مسئلة) ثم الاستعاذة في الصلاة انما هي للتلاوة وهو قول أبي حنيفة ومحمد. وقال أبو يوسف: بل للصلاة فعلى هذا يتعوذ المأموم وان كان لا يقرأ ويتعوذ في العيد بعد الاحرام وقبل تكبيرات العيد والجمهور بعدها قبل القراءة ومن لطائف الاستعاذة انها طهارة للفم مما كان يتعاطاه من اللغو والرفث وتطييب له وهو لتلاوة كلام الله وهي استعانة بالله واعتراف له بالقدرة وللعبد بالضعف والعجز عن مقاومة هذا العدو المبين الباطني الذي لا يقدر على منعه ودفعه الا الله الذي خلقه ولا يقبل مصانعة ولا يدارى بالاحسان بخلاف العدو من نوع الانسان كما دلت على ذلك آيات من القرآن في ثلاث من المثاني وقال تعالى (ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلا) وقد نزلت الملائكة لمقاتلة العدو البشري فمن قتله العدو الظاهر البشري كان شهيداً، ومن قتله العدو الباطني كان طريداً، ومن غلبه العدو الظاهري كان مأجوراً، ومن قهره العدو الباطني كان مفتونا أو موزوراً، ولما كان الشيطان يرى الانسان من حيث لا يراه استعاذ منه بالذي يراه ولا يراه الشيطان

(فصل) والاستعاذة هي الالتجاء الى الله تعالى والالتصاق بجنابه من شر كل ذي شر والعياذة تكون لدفع الشر واللياذ يكون لطلب جلب الخير كما قال المتنبي

يا من ألوذ به فيما أؤمله ✽ ومن أعوذ به ممن أحاذره
لا يجبر الناس عظما أنت كاسره ✽ ولا يهيضون عظما أنت جابره

ومعنى أعوذ بالله من الشيطان الرجيم أي أستجير بجناب الله من الشيطان الرجيم ان يضرني في ديني أو دنياي أو يصدني عن فعل ما أمرت به، أو يحثني على فعل ما نهيت عنه فان الشيطان لا يكفه عن الانسان إلا الله ولهذا أمر تعالى بمصانعة شيطان الانس ومداراته باسداء الجميل اليه ليرده طبعه عما هو فيه من الاذى وأمر بالاستعاذة به من شيطان الجن لانه لا يقبل رشوة ولا يؤثر فيه جميل لانه شرير بالطبع ولا يكفه عنك الا الذي خلقه وهذا المعنى في ثلاث آيات من القرآن لا أعلم لهن رابعة قوله في الاعراف (خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين) فهذا فيما يتعلق بمعاملة الاعداء من الشر(١) ثم قال (واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه سميع عليم) وقال تعالى في سورة قد أفلح المؤمنون (ادفع بالتي هي أحسن السيئة نحن أعلم بما يصفون ✽ وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب ان يحضرون) وقال تعالى في سورة حم السجدة (ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فاذا الذي بينك و بينه عداوة كأنه ولي حميم ✽ وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم ✽ واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه هو السميع العليم)

(١) كذا بالاصل ولعله البشر

الفاتحة (بسم الله الرحمن الرحيم) وابتداء الآية الاخيرة (صراط الذين) ومن لم يعدها من الفاتحة قال ابتداؤها (الحمد لله رب العالمين) وابتداء الآية الاخيرة (غير المغضوب عليهم) واحتج من جعلها من الفاتحة ومن السور بأنها كتبت في المصحف بخط القرآن وبما أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الكسائي أنا أبو محمد عبد العزيز ابن أحمد الخلال ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب الاصم أنا الربيع بن سليمان أنا الشافعي أنا عبد

الشيطان في لغة العرب مشتق من شطن اذا بعد فهو بعيد بطبعه عن طباع البشر وبعيد بفسقه عن كل خير وقيل مشتق من شاط لانه مخلوق من نار ومنهم من يقول كلاهما صحيح في المعنى ولكن الاول أصح وعليه يدل كلام العرب قال أمية بن أبي الصلت في ذكر ما أوتي سليمان عليه السلام

أيما شاطن عصاه عكاه ثم يلقى في السجن والاغلال

فقال أيما شاطن ولم يقل أيما شائط وقال النابغة الذبياني وهو زياد بن عمرو بن معاوية بن جابر بن ضباب بن يربوع بن مرة بن سعد بن ذبيان

نأت بسعاد عنك نوى شطون فبانت والفؤاد بها رهين

يقول بعدت بها طريق بعيدة وقال سيبويه العرب: تقول تشيطن فلان اذا فعل فعل الشياطين ولو كان من شاط لقالوا تشيط فالشيطان مشتق من البعد على الصحيح ولهذا يسمون كل من تمرد من جني وانسي وحيوان شيطاناً قال الله تعالى (وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا) وفي مسند الامام أحمد عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا ذر «تعوذ بالله من شياطين الانس والجن» فقلت أو للانس شياطين؟ قال «نعم» وفي صحيح مسلم عن أبي ذر أيضا قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يقطع الصلاة المرأة والحمار والكلب الاسود» فقلت يارسول الله ما بال الكلب الاسود من الاحمر والاصفر؟ فقال الكلب الاسود شيطان وقال ابن وهب أخبرني هشام بن سعد عن زيد ابن أسلم عن أبيه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ركب برذونا فجعل يتبختر به فجعل يضربه فلا يزداد الا تبخترا فنزل عنه وقال ما حملتموني الا على شيطان ما نزلت عنه حتى أنكرت نفسي اسناده صحيح. والرجيم فعيل بمعنى مفعول أي انه مرجوم مطرود عن الخير كله كما قال تعالى (ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوماً للشياطين) وقال تعالى (انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظاً من كل شيطان مارد* لا يسمعون الى الملأ الاعلى ويقذفون من كل جانب دحورا ولهم عذاب واصب* الا من خطف الخطفة فاتبعه شهاب ثاقب) وقال تعالى (ولقد جعلنا في السماء بروجا وزيناها للناظرين* وحفظناها من كل شيطان رجيم* الا من استرق السمع فاتبعه شهاب مبين) الى غير ذلك من الآيات وقيل رجيم بمعنى راجم لانه يرجم الناس بالوساوس والربائث والاول أشهر وأصح

(بسم الله الرحمن الرحيم) افتتح بها الصحابة كتاب الله واتفق العلماء على انها بعض آية من سورة النمل ثم اختلفوا هل هي آية مستقلة في أول كل سورة أو من أول كل سورة كتبت

المجيد عن ابن جريج أخبرني أبي عن سعيد بن جبير (ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم) هي أم القرآن قال أبي وقرأها علي سعيد بن جبير حتى ختمها ثم قال (بسم الله الرحمن الرحيم) الآية السابعة قال سعيد قرأها علي ابن عباس كما قرأتها عليك ثم قال بسم الله الرحمن الرحيم الآية السابعة قال ابن عباس فذخرها لكم فما أخرجها لاحد قبلكم. ومن لم يجعلها من الفاتحة احتج بما ثنا أبو الحسن

في أولها أو انها بعض آية من كل سورة أو انها كذلك في الفاتحة دون غيرها أو انها انما كتبت للفصل لا أنها آية على أقوال للعلماء سلفا وخلفا وذلك مبسوط في غير هذا الموضع وفي سنن أبي داواد باسناد صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يعرف فصل السورة حتى ينزل عليه (بسم الله الرحمن الرحيم) وأخرجه الحاكم أبو عبد الله النيسابوري في مستدركه أيضا وروى مرسلا عن سعيد بن جبير وفي صحيح ابن خزيمة عن أم سلمة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ البسملة في أول الفاتحة في الصلاة وعدها آية لكنه من رواية عمر بن هارون البلخي وفيه ضعف عن ابن جريج عن ابن أبي مليكة عنها وروى له الدارقطني متابعا عن أبي هريرة مرفوعا وروى مثله عن علي وابن عباس وغيرهما وممن حكي عنه انها آية من كل سورة الا براءة ابن عباس وابن عمر وابن الزبير وأبو هريرة وعلي ومن التابعين عطاء وطاوس وسعيد بن جبير ومكحول والزهري وبه يقول عبد الله بن المبارك والشافعي وأحمد بن حنبل في رواية عنه واسحق بن راهويه وأبو عبيد القاسم بن سلام رحمهم الله وقال مالك وأبو حنيفة وأصحابهما ليست آية من الفاتحة ولا من غيرها من السور وقال الشافعي في قول في بعض طرق مذهبه هي آية من الفاتحة وليست من غيرها وعنه انها بعض آية من أول كل سورة وهما غريبان وقال داود هي آية مستقلة في أول كل سورة لا منها وهذا رواية عن الامام أحمد بن حنبل وحكاه أبو بكر الرازي عن أبي الحسن الكرخي وهما من أكابر أصحاب أبي حنيفة رحمهم الله. هذا ما يتعلق بكونها آية من الفاتحة أم لا

فاما الجهر بها فمفرع على هذا فمن رأى انها ليست من الفاتحة فلا يجهر بها وكذا من قال انها آية في أولها وأما من قال بأنها من أوائل السور فاختلفوا فذهب الشافعي رحمه الله الى انه يجهر بها مع الفاتحة والسورة وهو مذهب طوائف من الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين سلفا وخلفا فجهر بها من الصحابة أبو هريرة وابن عمر وابن عباس ومعاوية وحكاه ابن عبد البر والبيهقي عن عمر وعلي ونقله الخطيب عن الخلفاء الاربعة وهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وهو غريب ومن التابعين عن سعيد بن جبير وعكرمة وأبي قلابة والزهري وعلي بن الحسن وابنه محمد وسعيد بن المسيب وعطاء وطاوس ومجاهد وسالم ومحمد ابن كعب القرظي وعبيد وأبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم وابي وائل وابن سيرين ومحمد بن المنكدر وعلي بن عبد الله بن عباس وابنه محمد ونافع مولى ابن عمر وزيد بن أسلم وعمر بن عبد العزيز والازرق بن قيس وحبيب بن أبي ثابت وأبي الشعثاء ومكحول وعبد الله بن معقل بن مقرن زاد البيهقي وعبد الله بن صفوان ومحمد بن الحنفية زاد ابن عبد البر وعمرو بن دينار والحجة في ذلك انها

محمد بن محمد الشيرازي أنا زاهر بن احمد ثنا ابو اسحق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن حميد الطويل عن أنس بن مالك انه قال قمت وراء أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان ابن عفان رضي الله عنهم فكلهم كانوا لا يقرؤن(١) (بسم الله الرحمن الرحيم) اذا افتتح الصلاة قال سعيد بن جبير عن ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعرف ختم السورة حتى ينزل

(١) ورد بألفاظ أخرى منها فكانوا لا يجهرون الخ

بعض الفاتحة فيجهر بها كسائر ابعاضها وايضا فقد روى النسائي في سننه وابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما والحاكم في مستدركه عن أبي هريرة أنه صلى فجهر في قراءته بالبسملة وقال بعد ان فرغ اني لاشبهكم صلاة برسول الله صلى الله عليه وسلم وصححه الدار قطني والخطيب والبيهقي وغيرهم وروى أبو داود والترمذي عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يفتتح الصلاة ببسم الله الرحمن الرحيم ثم قال الترمذي وليس أسناده بذلك وقد رواه الحاكم في مستدركه عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم ثم قال صحيح وفي صحيح البخاري عن أنس بن مالك انه سئل عن قراءة النبي صلى الله عليه وسلم فقال كانت قراءته مدا ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم يمد بسم الله ويمد الرحمن ويمد الرحيم . وفي مسند الامام أحمد وسنن أبي داود وصحيح ابن خزيمة ومستدرك الحاكم عن أم سلمة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقطع قراءته: بسم الله الرحمن الرحيم * الحمد لله رب العالمين * الرحمن الرحيم * مالك يوم الدين * وقال الدار قطني اسناد صحيح وروى الامام أبو عبد الله الشافعي والحاكم في مستدركه عن أنس ان معاوية صلى بالمدينة فترك البسملة فأنكر عليه من حضره من المهاجرين ذلك فلما صلى المرة الثانية بسمل. وفي هذه الاحاديث والآثار التي أوردناها كفاية ومقنع في الاحتجاج لهذا القول عما عداها. فاما المعارضات والروايات الغريبة وتطريقها وتعليلها وتضعيفها وتقريرها فله موضع آخر

وذهب آخرون الى انه لايجهر بالبسملة في الصلاة وهذا هو الثابت عن الخلفاء الاربعة وعبد الله بن مغفل وطوائف من سلف التابعين والخلف وهو مذهب أبي حنيفة والثوري وأحمد بن حنبل وعند الامام مالك انه لا يقرأ البسملة بالكلية لا جهراً ولا سرا واحتجوا بما في صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتتح الصلاة بالتكبير والقراءة بالحمد لله رب العالمين وبما في الصحيحين عن أنس بن مالك قال صليت خلف النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر وعثمان فكانوا يفتتحون بالحمد لله رب العالمين ولا يذكرون بسم الله الرحمن الرحيم في أول قراءة ولا في آخرها ونحوه في السنن عن عبد الله بن مغفل رضي الله عنه. فهذه مآخذ الائمة رحمهم الله في هذه المسئلة وهي قريبة لانهم أجمعوا على صحة صلاة من جهر بالبسملة ومن أسر ولله الحمد والمنة

﴿ فصل في فضلها ﴾

قال الامام العالم الحبر العابد أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم رحمه الله في تفسيره حدثنا أبي

بسم الله الرحمن الرحيم) وعن ابن مسعود قال كنا لا نعلم فصل ما بين السورتين حتى ينزل (بسم الله الرحمن الرحيم) وقال الشعبي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكتب في بدء الامر على رسم قريش باسمك اللهم حتى نزل (وقال اركبوا فيها باسم الله مجريها) فكتب بسم الله حتى نزلت (قل ادعوا الله أو ادعو الرحمن) فكتب بسم الله الرحمن حتى نزلت (انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم) فكتب مثلها (١)

(١) هذا الأثر مردود فان البسملة نزلت قبل هذه السور كلها قطعا

حدثنا جعفر بن مسافر حدثنا زيد بن المبارك الصنعاني حدثنا سلام بن وهب الجندي حدثنا أبي عن طاوس عن ابن عباس ان عثمان بن عفان سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بسم الله الرحمن الرحيم؟ فقال « هو اسم من أسماء الله وما بينه وبين اسم الله الا كبر الا كما بين سواد العينين وبياضهما من القرب » وهكذا رواه أبو بكر بن مردويه عن سليمان بن أحمد عن علي بن المبارك عن زيد بن المبارك به . وقد روى الحافظ ابن مردويه من طريقين عن اسماعيل بن عياش عن اسماعيل بن يحيى عن مسعر عن عطية عن أبي سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان عيسى بن مريم عليه السلام أسلمته أمه الى الكتاب ليعلمه فقال له المعلم : اكتب فقال : ما أكتب ؟ قال : بسم الله قال له عيسى : وما بسم الله ؟ قال المعلم : ما أدري قال له عيسى : الباء بهاء الله ، والسين سناؤه ، والميم مملكته ، والله إله الآلهة ، والرحمن رحمن الدنيا والآخرة ، والرحيم رحيم الآخرة » وقد رواه ابن جرير من حديث ابراهيم بن العلاء الملقب بابن زبريق عن اسماعيل بن عياش عن اسماعيل ابن يحيى عن ابن أبي مليكة عمن حدثه عن ابن مسعود، ومسعر عن عطية عن أبي سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكره ، وهذا غريب جدا ، وقد يكون صحيحا الى من دون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد يكون من الاسرائيليات لا من المرفوعات والله أعلم . وقد روى جويبر عن الضحاك نحوه من قبله ، وقد روى ابن مردويه من حديث يزيد بن خالد عن سليمان بن بريدة وفي رواية عن عبد الكريم أبي أمية عن أبي بريدة عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أنزلت عليّ آية لم تنزل على نبي غير سليمان بن داود وغيري وهي بسم الله الرحمن الرحيم » وروى باسناده عن عبد الكريم الكبير بن المعافى بن عمران عن أبيه عن عمر بن ذر عن عطاء بن أبي رباح عن جابر بن عبد الله قال : لما نزل (بسم الله الرحمن الرحيم) هرب الغيم الى المشرق وسكنت الرياح ، وهاج البحر ، وأصغت البهائم بآذانها ، ورجمت الشياطين من السماء ، وحلف الله تعالى بعزته وجلاله أن لا يسمى اسمه على شيء الا بارك فيه . وقال وكيع عن الاعمش عن أبي وائل عن ابن مسعود قال : من أراد أن ينجيه الله من الزبانية التسعة عشر فليقرأ (بسم الله الرحمن الرحيم) فيجعل الله له من كل حرف منها جنة من كل واحد ، ذكره ابن عطية والقرطبي ووجهه ابن عطية ونصره بحديث لقد رأيت بضعة وثلاثين ملكا يبتدرونها لقول الرجل ربنا ولك الحمد حمداً كثيراً طيبا مباركا فيه، من أجل انها بضعة وثلاثون حرفا وغير ذلك . وقال الامام أحمد بن حنبل في مسنده حدثنا محمد جعفر حدثنا شعبة عن عاصم قال : سمعت أبا تميمة يحدث عن رديف النبي صلى الله عليه

قوله ﴿ الحمد لله ﴾ لفظه خبر كأنه يخبر أن المستحق للحمد هو الله عز وجل وفيه تعليم الخلائق(١) تقديره قولوا الحمد لله. والحمد يكون بمعنى الشكر على النعمة ويكون بمعنى الثناء عليه بما فيه من الخصال الحميدة يقال حمدت فلانا على ما أسدى الي من نعمة وحمدته على علمه وشجاعته والشكر لا يكون إلا على النعمة والحمد أعم من الشكر اذ لا يقال شكرت فلانا على علمه فكل حامد شاكر وليس كل شاكر حامداً

(١) نسخة للعباد

وسلم قال : عثر بالنبي صلى الله عليه وسلم فقلت : تعس الشيطان فقال النبي صلى الله عليه وسلم «لاتقل تعس الشيطان ، فانك اذا قلت تعس الشيطان تعاظم وقال بقوتي صرعته » واذا قلت بسم الله تصاغر حتى يصير مثل الذباب » هكذا وقع في رواية الامام أحمد ، وقد روى النسائي في اليوم والليلة وابن مردويه في تفسيره من حديث خالد الحذاء عن أبي تميمة وهو الهجيمي عن أبي المليح بن أسامة بن عمير عن أبيه قال : كنت رديف النبي صلى الله عليه وسلم فذكره وقال « لاتقل هكذا فانه يتعاظم حتى يكون كالبيت ، ولكن قل بسم الله فانه يصغر حتى يكون كالذبابة » فهذا من تأثير بركة بسم الله ، ولهذا تستحب في أول كل عمل . وقول فتستحب في أول الخطبة لما جاء « كل أمر لايبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أجذم . وتستحب البسملة عند دخول الخلاء لما ورد من الحديث في ذلك وتستحب في أول الوضوء لما جاء في مسند الامام احمد والسنن من رواية أبي هريرة وسعيد بن زيد وأبي سعيد مرفوعا لاوضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه وهو حديث حسن ومن العلماء من أوجبها عند الذكر ههنا ومنهم من قال بوجوبها مطلقا وكذا تستحب عند الذبيحة في مذهب الشافعي وجماعة وأوجبها آخرون عند الذكر ومطلقا في قول بعضهم كما سيأتي بيانه في موضعه ان شاء الله وقد ذكر الرازى في تفسيره في فضل البسملة أحاديث منها عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «اذا أتيت أهلك فسم الله فانه ان وجد لك ولد كتب لك بعدد أنفاسه وأنفاس ذريته حسنات» وهذا لا أصل له ولا رأيته في شيء من الكتب المعتمد عليها ولا غيرها. وهكذا يستحب عند الاكل لما في صحيح مسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لربيبه عمر بن أبي سلمة «قل بسم الله وكل بيمينك وكل مما يليك» ومن العلماء من أوجبها والحالة هذه وكذلك تستحب عند الجماع لما في الصحيحين عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «لو أن أحدكم اذا أراد ان يأتي أهله قال بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فانه ان يقدر بينهما ولد لم يضره الشيطان أبدا»

ومن ههنا ينكشف لك ان القولين عند النحاة في تقدير المتعلق بالباء في قوله بسم الله هل هو اسم أو فعل متقاربان ، وكل قد ورد به القرآن ، أما من قدره باسم تقديره بسم الله ابتدائي فلقوله تعالى (وقال اركبوا فيها بسم الله مجريها ومرساها ان ربي لغفور رحيم) ومن قدره بالفعل أمرا أو خبرا نحو ابدأ بسم الله أو ابتدأت بسم الله فلقوله تعالى (اقرأ باسم ربك الذي خلق) وكلاهما صحيح فان الفعل لابد له من مصدر فلك أن تقدر الفعل ومصدره وذلك بحسب الفعل الذي سميت قبله ان كان قياما أو قعودا أو أكلا أو شربا أو قراءة أو وضوءا أو صلاة فالمشروع

وقيل الحمد باللسان قولا والشكر بالاركان فعلا قال الله تعالى (وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا) وقال (اعملوا آل داود شكرا) يعني اعملوا الاعمال لاجل الشكر فشكرا مفعول له وانتصب باعملوا قوله (لله) اللام فيه للاستحقاق كما يقال الدار لزيد

قوله عز وجل ﴿رب العالمين الرحمن الرحيم﴾ فالرب يكون بمعنى المالك كما يقال لمالك الدار رب

ذكر اسم الله في الشروع في ذلك كله تبركا وتيمنا واستعانة على الاتمام والتقبل والله أعلم ولهذا روى ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس قال ان أول ما نزل به جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم قال «يا محمد قل استعيذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ثم قال: قل (بسم الله الرحمن الرحيم) قال قال له جبريل بسم الله يا محمد يقول اقرأ بذكر الله ربك وقم واقعد بذكر الله تعالى» لفظ ابن جرير

وأما مسئلة الاسم هل هو المسمى أو غيره ففيها للناس ثلاثة أقوال، أحدها ان الاسم هو المسمى، وهو قول أبي عبيدة وسيبويه، واختاره الباقلاني وابن فورك وقال الرازي وهو محمد بن عمر المعروف بابن خطيب الري في مقدمات تفسيره، قالت الحشوية والكرامية والاشعرية الاسم نفس المسمى وغير نفس التسمية، وقالت المعتزلة الاسم غير المسمى ونفس التسمية، والمختار عندنا ان الاسم غير المسمى، وغير التسمية، ثم نقول ان كان المراد بالاسم هذا اللفظ الذي هو أصوات متقطعة وحروف مؤلفة، فالعلم الضروري حاصل أنه غير المسمى وان كان المراد بالاسم ذات المسمى، فهذا يكون من باب ايضاح الواضحات وهو عبث، فثبت أن الخوض في هذا البحث على جميع التقديرات يجري مجرى العبث. ثم شرع يستدل على مغايرة الاسم للمسمى بأنه قد يكون الاسم موجودا والمسمى مفقودا كلفظة المعدوم وبأنه قد يكون للشيء أسماء متعددة كالمترادفة وقد يكون الاسم واحدا والمسميات متعددة كالمشترك وذلك دال على تغاير الاسم والمسمى وأيضا فالاسم لفظ وهو عرض والمسمى قد يكون ذاتا ممكنة أو واجبة بذاتها وأيضا فلفظ النار والثلج لو كان هو المسمى لوجد اللافظ بذلك حر النار أو برد الثلج ونحو ذلك ولا يقوله عاقل وأيضا فقد قال الله تعالى (ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها) وقال النبي صلى الله عليه وسلم «ان لله تسعة وتسعين اسما» فهذه أسماء كثيرة والمسمى واحد وهو الله تعالى وأيضا فقوله (ولله الاسماء) أضافها اليه كما قال (فسبح باسم ربك العظيم) ونحو ذلك. فالاضافة تقتضي المغايرة وقوله تعالى (فادعوه بها) أي فادعوا الله بأسمائه وذلك دليل على انها غيره واحتج من قال الاسم هو المسمى بقوله تعالى تبارك اسم ربك ذو الجلال والاكرام والمتبارك هو الله تعالى والجواب ان الاسم معظم لتعظيم الذات المقدسة وأيضا فاذا قال الرجل زينب طالق يعني امرأته طلقت ولو كان الاسم غير المسمى لما وقع الطلاق والجواب ان المراد ان الذات المسماة بهذا الاسم طالق قال الرازي وأما التسمية فانها جعل الاسم معينا لهذه الذات فهي غير الاسم أيضا والله أعلم

(الله) علم على الرب تبارك وتعالى يقال انه الاسم الاعظم لأنه يوصف بجميع الصفات كما قال تعالى

الدار ويقال رب الشيء اذا ملكه ويكون بمعنى التربية والاصلاح يقال رب فلان الضيعة يربها اذا أتمها وأصلحها فهو رب مثل طب وبر فالله تعالى مالك العالمين ومربيهم ولا يقال للمخلوق هو الرب معرفا انما يقال رب كذا مضافا لان الالف واللام للتعميم وهو لا يملك الكل والعالمين جمع عالم والعالم جمع لا واحد له من لفظه واختلفوا في العالمين قال ابن عباس هم الجن والانس

(هو الله الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم * هو الله الذى لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون * هو الله الخالق البارىء المصور له الاسماء الحسنى يسبح له ما في السموات والارض وهو العزيز الحكيم) فاجرى الاسماء الباقية كلها صفات له كما قال تعالى (ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها) وقال تعالى (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياما تدعوا فله الاسماء الحسنى) وفي الصحيحين عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ان لله تسعة وتسعين اسما مائة الا واحدا من أحصاها دخل الجنة » وجاء تعدادها في رواية الترمذي وابن ماجه وبين الروايتين اختلاف زيادة ونقصان وقد ذكر الرازى في تفسيره عن بعضهم ان لله خمسة آلاف اسم ألف في الكتاب والسنة الصحيحة وألف في التوراة وألف في الانجيل وألف في الزبور وألف في اللوح المحفوظ

وهو اسم لم يسم به غيره تبارك وتعالى ولهذا لا يعرف في كلام العرب له اشتقاق من فعل يفعل فذهب من ذهب من النحاة الى انه اسم جامد لا اشتقاق له وقد نقله القرطبي عن جماعة من العلماء منهم الشافعي والخطابي وامام الحرمين والغزالي وغيرهم وروى عن الخليل وسيبويه أن الالف واللام فيه لازمة قال الخطابي ألا ترى انك تقول يا الله ولا تقول يا الرحمن فلولا أنه من أصل الكلمة لما جاز ادخال حرف النداء على الالف واللام وقيل انه مشتق واستدلوا عليه بقول رؤبة بن العجاج

لله در الغانيات المدّه * سبحن واسترجعن من تألهي

فقد صرح الشاعر بلفظ المصدر وهو التأله من أله يأله إلاهة وتألها كما روى عن ابن عباس انه قرأ(ويذرك والاهتك) قال عبادتك أي انه كان يعبد ولا يعبد وكذا قال مجاهد وغيره وقد استدل بعضهم على كونه مشتقا بقوله تعالى(وهو الله في السموات وفي الارض) كما قال تعالى (وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله) ونقل سيبويه عن الخليل ان أصله إلاه مثل فعال فادخلت الالف واللام بدلا من الهمزة قال سيبويه مثل الناس أصله اناس وقيل أصل الكلمة لاه فدخلت الالف واللام للتعظيم وهذا اختيار سيبويه قال الشاعر : لاه ابن عمك لا أفضلت في حسب * عني ولا أنت دياني فتخزوني

قال القرطبي بالخاء المعجمة أي فتسوسني وقال الكسائي والفراء أصله الاله حذفوا الهمزة وادغموا اللام الاولى في الثانية كما قال(لكنا هو الله ربي) أي لكن انا وقد قرأها كذلك الحسن، قال القرطبي ثم قيل هو مشتق من وله اذا تحير والوله ذهاب العقل يقال رجل واله وامرأة ولهى ومولوهة اذا أرسل في الصحراء فالله تعالى يحير اولئك(١) والفكر في حقائق صفاته فعلى هذا يكون ولاه فابدلت الواو همزة

(١) كذا في الاصل

لأنهم المكلفون بالخطاب قال الله تعالى (ليكون للعالمين نذيرا) وقال قتادة ومجاهد والحسن جميع المخلوقات قال الله تعالى (قال فرعون وما رب العالمين * قال رب السموات والارض وما بينهما) واشتقاقه من العلم والعلامة سموا به لظهور أثر الصنعة فيهم قال أبو عبيدة هم أربع أمم الملائكة والانس والجن والشياطين، مشتق من العلم ولا يقال للبهائم عالم لانها لا تعقل واختلفوا في مبلغهم قال سعيد

كما قالوا في وشاح اشاح ووسادة اسادة وقال الرازي وقيل انه مشتق من ألهت الى فلان أي سكنت اليه فالعقول لا تسكن الا الى ذكره، والارواح لا تفرح الا بمعرفته لانه الكامل على الاطلاق دون غيره قال الله تعالى (ألا بذكر الله تطمئن القلوب الذين آمنوا) قال وقيل من لاه يلوه اذا احتجب وقيل اشتقاقه من أله الفصيل أولع بأمه والمعنى ان العباد مألوهون مولعون بالتضرع اليه في كل الاحوال قال وقيل مشتق من أله الرجل يأله اذا فزع من أمر نزل به فألهه أي اجاره فالمجير لجميع الخلائق من كل المضار هو الله سبحانه لقوله تعالى (وهو يجير ولا يجار عليه) وهو المنعم لقوله تعالى (وما بكم من نعمة فمن الله) وهو المطعم لقوله تعالى (وهو يطعم ولا يطعم) وهو الموجد لقوله تعالى (قل كل من عند الله) وقد اختار الرازي أنه اسم غير مشتق البتة قال وهو قول الخليل وسيبويه وأكثر الاصوليين والفقهاء ثم أخذ يستدل على ذلك بوجوه منها انه لو كان مشتقا لاشترك في معناه كثيرون ومنها أن بقية الاسماء تذكر صفات له فتقول الله الرحمن الرحيم الملك القدوس فدل انه ليس بمشتق قال فأما قوله تعالى (العزيز الحميد الله) على قراءة الجر فجعل ذلك من باب عطف البيان ومنها قوله تعالى (هل تعلم له سميا) وفي الاستدلال بهذه على كون هذا الاسم جامداً غير مشتق نظر والله أعلم. وحكى الرازى عن بعضهم ان اسم الله تعالى عبراني لا عربي ثم ضعفه وهو حقيق بالتضعيف كما قال وقد حكى الرازي هذا القول ثم قال واعلم ان الخلائق قسمان واصلون الى ساحل بحر المعرفة ومحرومون قد بقوا في ظلمات الحيرة وتيه الجهالة فكأنهم قد فقدوا عقولهم وأرواحهم وأما الواجدون فقد وصلوا الى عرصة النور وفسحة الكبرياء والجلال فتاهوا في ميادين الصمدية وبادوا في عرصة الفردانية فثبت ان الخلائق كلهم والهون في معرفته، وروى عن الخليل بن أحمد انه قال لان الخلق يالهون اليه بنصب اللام وكسرها لغتان وقيل انه مشتق من الارتفاع فكانت العرب تقول لكل شيء مرتفع لاها وكانوا يقولون اذا طلعت الشمس لاهت وقيل انه مشتق من أله الرجل اذا تعبد وتأله اذا تنسك وقرأ ابن عباس (ويذرك والاهتك) وأصل ذلك الاله فحذفت الهمزة التي هي فاء الكلمة فالتقت اللام التي هي عينها مع اللام الزائدة في أولها للتعريف فادغمت احداها في الاخرى فصارتا في اللفظ لاما واحدة مشدّدة وفخمت تعظيما فقيل الله

(الرحمن الرحيم) اسمان مشتقان من الرحمة على وجه المبالغة ورحمن أشد مبالغة من رحيم وفي كلام ابن جرير ما يفهم منه حكاية الاتفاق على هذا وفي تفسير بعض السلف مايدل على ذلك كما تقدم في الاثر عن عيسى عليه السلام أنه قال والرحمن رحمن الدنيا والآخرة والرحيم رحيم الآخرة

ابن المسيب لله الف عالم ستمائة في البحر وأربعمائة في البر وقال مقاتل بن حيان لله ثمانون ألف عالم أربعون الفا في البحر وأربعون الفا في البر وقال وهب لله ثمانية عشر الف عالم الدنيا عالم منها وما العمران في الخراب الا كفسطاط في صحراء وقال كعب الاحبار: لا يحصى عدد العالمين أحد إلا الله قال الله تعالى: (وما يعلم جنود ربك الا هو)

زعم بعضهم انه غير مشتق اذ لو كان كذلك لا تصل بذكر المرحوم وقد قال (وكان بالمؤمنين) رحيما وحكى ابن الانباري في الزاهر عن المبرد أن الرحمن اسم عبراني ليس بعربي وقال أبو اسحق الزجاج في معاني القرآن: وقال أحمد بن يحيى الرحيم عربي والرحمن عبراني فلهذا جمع بينهما قال أبو اسحق وهذا القول مرغوب عنه وقال القرطبي والدليل على انه مشتق ما اخرجه الترمذي وصححه عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «قال الله تعالى أنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها أسما ن اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته» قال وهذا نص في الاشتقاق فلا معنى المخالفة والشقاق، قال وانكار العرب لاسم الرحمن لجهلهم بالله و بما وجب له قال القرطبي ثم قيل هما بمعنى واحد كندمان ونديم قاله أبو عبيد وقيل ليس بناء فعلان كفعيل فان فعلان لا يقع الا على مبالغة الفعل نحو قولك رجل غضبان للرجل الممتلىء غضبا وفعيل قد يكون بمعنى الفاعل والمفعول قال أبو علي الفارسي الرحمن اسم عام في جميع أنواع الرحمة يختص به الله تعالى والرحيم انما هو من جهة المؤمنين قال الله تعالى (وكان بالمؤمنين رحيما) وقال ابن عباس هما اسمان رقيقان أحدهما أرق من الآخر أي أكثر رحمة ثم حكى عن الخطابي وغيره انهم استشكلوا هذه الصفة وقالوا لعله أرفق كما في الحديث «ان الله رفيق يحب الرفق في الامر كله وانه يعطى على الرفق ما لا يعطى على العنف» وقال ابن المبارك الرحمن اذا سئل أعطى والرحيم اذا لم يسئل يغضب وهذا كما جاء في الحديث الذي رواه الترمذي وابن ماجه عن حديث أبي صالح الفارسي الخوزي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من لم يسأل الله يغضب عليه» وقال بعض الشعراء

الله يغضب ان تركت سؤاله ... وبني آدم حين يسئل يغضب

وقال ابن جرير حدثنا السري بن يحيي التميمي حدثنا عثمان بن زفر سمعت العزرمي يقول الرحمن الرحيم قال الرحمن لجميع الخلق الرحيم قال بالمؤمنين قالوا ولهذا قال (ثم استوى على العرش الرحمن) وقال (الرحمن على العرش استوى) فذكر الاستواء باسمه الرحمن ليعم جميع خلقه برحمته وقال وكان بالمؤمنين رحيما فخصهم باسمه الرحيم قالوا فدل على ان الرحمن أشد مبالغة في الرحمة لعمومها في الدارين لجميع خلقه والرحيم خاصة بالمؤمنين لكن جاء في الدعاء المأثور رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما واسمه تعالى الرحمن خاص به لم يسم به غيره كما قال تعالى (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياما تدعوا فله الاسماء الحسني) وقال تعالى (واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون) ولما تجهرم مسيلمة الكذاب وتسمى برحمن اليمامة كساه الله جلباب الكذب

قوله (مالك يوم الدين) قرأ عاصم والكسائي ويعقوب مالك وقرأ الآخرون ملك قال قوم معناهما واحد مثل فرهين وفارهين وحذرين وحاذرين ومعناهما الرب يقال رب الدار ومالكها وقيل المالك والملك هو القادر على اختراع الاعيان من العدم الى الوجود ولا يقدر عليه أحد غير الله قال أبو عبيدة مالك أجمع وأوسع لانه يقال مالك العبد والطير والدواب ولا يقال ملك هذه الاشياء ولانه لا يكون

شهر به فلا يقال له الا مسيلمة الكذاب فصار يضرب به المثل في الكذب بين أهل الحضر من أهل المدر وأهل الوبر من أهل البادية والاعراب. وقد زعم بعضهم ان الرحيم أشد مبالغة من الرحمن لانه أكد به والمؤكد لايكون الا أقوى من المؤكد. والجواب ان هذا ليس من باب التأكيد وانما هو من باب النعت ولا يلزم فيه ما ذكروه وعلى هذا فيكون تقدير اسم الله الذي لم يسم به أحد غيره ووصفه أولا بالرحمن الذي منع من التسمية به لغيره كما قال تعالى (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياما تدعوا فله الاسماء الحسنى) وانما تجهرم(١) مسيلمة اليمامة في التسمي به ولم يتابعه على ذلك الا من كان معه في الضلالة. وأما الرحيم فانه تعالى وصف به غيره حيث قال (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ماعنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم) كما وصف غيره بذلك من أسمائه كما قال تعالى (انا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا) والحاصل ان من أسمائه تعالى مايسمى به غيره ومنها مالا يسمى به غيره كاسم الله والرحمن والخالق والرزاق ونحو ذلك فلهذا بدأ باسم الله ووصفه بالرحمن لانه أخص وأعرف من الرحيم لان التسمية أولا انما تكون بأشرف الاسماء فلهذا ابتدأ بالاخص فالاخص. فان قيل فاذا كان الرحمن أشد مبالغة فهلا اكتفى به عن الرحيم فقد روي عن عطاء الخراساني مامعناه انه لما تسمى غيره تعالى بالرحمن جيء بلفظ الرحيم ليقطع الوهم بذلك فانه لايوصف بالرحمن الرحيم الا الله تعالى، كذا رواه ابن جرير عن عطاء، ووجهه بذلك والله أعلم. وقد زعم بعضهم ان العرب لا تعرف الرحمن حتى رد الله عليهم ذلك بقوله (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياما تدعوفله الاسماء الحسنى) ولهذا قال كفار قريش يوم الحديبية لما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي اكتب «بسم الله الرحمن الرحيم» فقالوا لا نعرف الرحمن ولا الرحيم رواه البخاري وفي بعض الروايات لا نعرف الرحمن الا رحمن اليمامة وقال تعالى (واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا وزادهم نفورا) والظاهر ان انكارهم هذا انما هو جحود وعناد وتعنت في كفرهم فانه قد وجد في أشعارهم في الجاهلية تسمية الله تعالى بالرحمن قال ابن جرير وقد أنشد بعض الجاهلية الجهال

ألا ضربت تلك الفتاة هجينها　*　الا قضب الرحمن ربي يمينها

وقال سلامه بن جندب الطهوى :

عجلتم علينا اذ عجلنا عليكم　　وما يشإ الرحمن يعقد ويطلق

وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا عثمان بن سعيد حدثنا بشر بن عمارة حدثنا أبو روق عن الضحاك عن عبدالله بن عباس قال الرحمن الفعلان من الرحمة هو من كلام العرب وقال (الرحمن الرحيم) الرفيق الرقيق لمن أحب أن يرحمه والبعيد الشديد على من أحب أن يعنف عليه، وكذلك اسماؤه كلها. وقال ابن جرير

(١) لم نجد هذا الفعل في معاجم اللغة المعروفة فلعله محرف

مالك الشيء الا وهو يملكه وقد يكون مالك الشيء ولا يملكه وقال قوم ملك أولى لان كل ملك مالك وليس كل مالك ملكا ولانه أوفق لسائر القرآن مثل قوله تعالى (فتعالى الله الملك الحق) (الملك

أيضا حدثنا محمد بن بشار حدثنا حماد بن مسعدة عن عوف عن الحسن قال الرحمن اسم ممنوع. وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد يحيى بن سعيد القطان حدثنا زيد بن الحباب حدثني أبو الاشهب عن الحسن قال الرحمن اسم لا يستطيع الناس أن ينتحلوه تسمى به تبارك وتعالى. وقد جاء في حديث أم سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقطع قراءته حرفا حرفا (بسم الله الرحمن الرحيم * الحمد لله رب العالمين * الرحمن الرحيم * مالك يوم الدين) فقرأ بعضهم كذلك وهم طائفة ومنهم من وصلها بقوله (الحمد لله رب العالمين) وكسرت الميم لالتقاء الساكنين وهم الجمهور وحكى الكسائي من الكوفيين عن بعض العرب انها تقرأ بفتح الميم وصلة الهمزة فيقولون بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين فنقلوا حركة الهمزة الى الميم بعد تسكينها كما قرىء قوله تعالى (الم الله لا إله الا هو) قال ابن عطية ولم ترد هذه قراءة عن أحد فيما علمت

﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾

القراء السبعة على ضم الدال في قوله الحمد لله هو مبتدأ وخبر وروي عن سفيان بن عيينة ورؤبة بن العجاج انهما قالا (الحمد لله) بالنصب وهو على اضمار فعل وقرأ ابن أبي عبلة الحمد لله بضم الدال واللام إتباعا للثانى لاول وله شواهد لكنه شاذ وعن الحسن وزيد بن علي (الحمد لله) بكسر الدال إتباعا الاول الثاني

قال أبو جعفر بن جرير معنى (الحمد لله) الشكر لله خالصا دون سائر ما يعبد من دونه، ودون كل ما برأ من خلقه، بما أنعم على عباده من النعم التى لا يحصيها العدد، ولا يحيط بعددها غيره أحد، في تصحيح الآلات لطاعته، وتمكين جوارح أجسام المكلفين لاداء فرائضه، مع ما بسط لهم في دنياهم من الرزق، وغذاهم به من نعيم العيش، من غير استحقاق منهم ذلك عليه، ومع ما نبههم عليه ودعاهم اليه، من الاسباب المؤدية الى دوام الخلود في دار المقام في النعيم المقيم، فلربنا الحمد على ذلك كله أولا وآخرا. وقال ابن جرير رحمه الله : الحمد لله ثناء أثنى به على نفسه وفي ضمنه أمر عباده أن يثنوا عليه فكأنه قال قولوا الحمد لله. قال وقد قيل ان قول القائل الحمد لله ثناء عليه بأسمائه الحسنى وصفاته العلى وقوله الشكر لله ثناء عليه بنعمه وأياديه. ثم شرع في رد ذلك بما حاصله ان جميع أهل المعرفة بلسان العرب يوقعون كلا من الحمد والشكر مكان الآخر وقد نقل السلمى هذا المذهب انهما سواء عن جعفر الصادق وابن عطاء من الصوفية وقال ابن عباس الحمد لله كلمة كل شاكر وقد استدل القرطبي لابن جرير بصحة قول القائل الحمد لله شكرا. وهذا الذى ادعاه ابن جرير فيه نظر لانه اشتهر عند كثير من العلماء من المتأخرين ان الحمد هو الثناء بالقول على المحمود بصفاته اللازمة والمتعدية والشكر لا يكون الا على المتعدية ويكون بالجنان واللسان والاركان كما قال الشاعر

أفادتكم النعماء مني ثلاثة * يدي ولساني والضمير المحجبا

ولكنهم اختلفوا أيهما أعم الحمد أو الشكر على قولين والتحقيق ان بينهما عموما وخصوصا فالحمد أعم من الشكر من حيث ما يقعان عليه لانه يكون على الصفات اللازمة والمتعدية، تقول حمدته

القدوس ' و(ملك الناس) قال ابن عباس ومقاتل والسدى ملك يوم الدين قاضي يوم الحساب وقال قتادة الدين الجزاء ويقع على الجزاء في الخير والشر جميعا كما يقال: كما تدين تدان. قال محمد بن كعب القرظي : ملك يوم لا ينفع

لفروسيته وحمدته لكرمه وهو أخص لانه لا يكون الا بالقول والشكر أعم من حيث ما يقعان عليه لانه يكون بالقول والفعل والنية كما تقدم وهو أخص لانه لايكون الاعلى الصفات المتعدية لايقال شكرته لفروسيته و تقول شكرته على كرمه واحسانه الي. هذاحاصل ماحرره بعض المتأخرين والله أعلم

وقال أبو نصراسماعيل بن حماد الجوهري : الحمدنقيض الذم تقول حمدت الرجل أحمده حمدا ومحمدة فهو حميد ومحمود، والتحميد أبلغ من الحمد، والحمدأعم من الشكر، وقال في الشكر هوالثناء على المحسن بما أولاه من المعروف يقال شكرته وشكرت له وباللام أفصح. وأما المدح فهو أعم من الحمد لانه يكون للحي وللميت وللجماد أيضا كما يمدح الطعام والمكان ونحو ذلك و يكون قبل الاحسان وبعده وعلى الصفات المتعدية واللازمة أيضا فهو أعم

﴿ ذكر أقوال السلف في الحمد ﴾

قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبومعمرالقطيعي حدثنا حفص عن حجاج عن ابن أبي مليكة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال عمر رضي الله عنه قدعلمنا سبحان الله ولااله الاالله فما الحمدلله؟ فقال علي كلمة رضيها الله لنفسه، ورواه غيرأبي معمرعن حفص فقال قال عمرلعلي — وأصحابه عنده — لااله الا الله وسبحان الله والله أكبر قد عرفناها فما الحمد لله؟ قال علي: كلمة أحبها الله تعالى لنفسه ورضيها لنفسه وأحب أن تقال، وقال علي بن زيد بن جدعان عن يوسف بن مهران قال ابن عباس الحمد لله كلمة الشكر واذا قال العبد الحمد لله قال شكرني عبدي. رواه ابن أبي حاتم، وروى أيضا هو وابن جرير من حديث بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس انه قال الحمد لله هو الشكر لله هو الاستخذاء له والاقرار له بنعمه وهدايته وابتدائه وغير ذلك وقال كعب الاحبار الحمد لله ثناء الله وقال الضحاك الحمد لله رداء الرحمن وقد ورد الحديث بنحو ذلك

قال ابن جرير حدثناسعيد بن عمرو السكوني حدثنا بقية بن الوليد حدثني عيسى بن ابراهيم عن موسى بن أبي حبيب عن الحكم بن عمير وكانت له صحبة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قلت الحمدلله رب العالمين فقد شكرت الله فزادك وقدروى الامام احمد بن حنبل حدثناروح حدثنا عوف عن الحسن عن الاسود بن سريع قال قلت يارسول الله ألا أنشدك محامد حمدت بها ربي تبارك وتعالى فقال «أما ان ربك يحب الحمد» ورواه النسائي عن علي بن حجر عن ابن علية عن يونس بن عبيد عن الحسن عن الاسود بن سريع به. وروى أبو عيسى الحافظ الترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث موسى ابن ابراهيم بن كثير عن طلحة بن خراش عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أفضل الذكر لا اله الا الله، وأفضل الدعاء الحمدلله» وقال الترمذي حسن غريب. وروى ابن ماجه عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ماأنعم الله على عبد نعمة

فيه الا الدين، وقال يمان بن ريان : الدين القهر، يقال دنته فدان أي قهرته فذل، وقيل الدين الطاعة أي يوم الطاعة. وانما خص يوم الدين بالذكر مع كونه مالكا للايام كلها لان الاملاك يومئذ زائلة فلا

فقال الحمد لله الا كان الذي أعطى أفضل مما أخذ» وقال القرطبي في تفسيره وفي نوادر الاصول عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «لو أن الدنيا بحذافيرها في يد رجل من أمتي ثم قال الحمد لله لكان الحمد لله أفضل من ذلك» قال القرطبي وغيره أي لكان الهامه الحمد لله أكثر نعمة عليه من نعم الدنيا لان ثواب الحمد لا يفنى ونعيم الدنيا لا يبقى قال الله تعالى (المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا) وفي سنن ابن ماجه عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثهم «ان عبدا من عباد الله قال يارب لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك فعضلت بالملكين فلم يدريا كيف يكتبانها فصعدا الى الله فقالا ياربنا ان عبدا قد قال مقالة لا ندري كيف نكتبها قال الله وهو أعلم بما قال عبده «ماذا قال عبدي؟ قالا يارب انه قال لك الحمد يارب كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك، فقال الله لهما «اكتباها كما قال عبدي حتى يلقاني فأجزيه بها» وحكى القرطبي عن طائفة انهم قالوا قول العبد الحمد لله رب العالمين أفضل من قوله لا اله الا الله لاشتمال الحمد لله رب العالمين على التوحيد مع الحمد وقال آخرون لا اله الا الله أفضل لانها التفصيل بين الايمان والكفر وعليها يقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله كما ثبت في الحديث المتفق عليه وفي الحديث الآخر «أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا اله الا الله وحده لاشريك» له وقد تقدم عن جابر مرفوعا «أفضل الذكر لا اله الا الله وأفضل الدعاء الحمد لله» وحسنه الترمذي. والالف واللام في الحمد لاستغراق جميع أجناس الحمد وصنوفه لله تعالى كما جاء في الحديث «اللهم لك الحمد كله ولك الملك كله وبيدك الخير كله واليك يرجع الامر كله» الحديث

والرب هو المالك المتصرف ويطلق في اللغة على السيد وعلى المتصرف للاصلاح وكل ذلك صحيح في حق الله تعالى ولا يستعمل الرب لغير الله بل بالاضافة تقول رب الدار رب كذا وأما الرب فلا يقال الا لله عز وجل، وقد قيل انه الاسم الاعظم. والعالمين جمع عالم وهو كل موجود سوى الله عز وجل والعالم جمع لا واحد له من لفظه والعوالم أصناف المخلوقات في السموات وفي البر والبحر وكل قرن منها وجيل يسمى عالما أيضا قال بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس (الحمد لله رب العالمين) الحمد لله الذي له الخلق كله السموات والارض ومافيهن وما بينهن مما نعلم ومما لا نعلم. وفي رواية سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس: رب الجن والانس وكذلك قال سعيد بن جبير ومجاهد وابن جريج وروى عن علي نحوه قال ابن أبي حاتم باسناده لا يعتمد عليه واستدل القرطبي لهذا القول بقوله تعالى (ليكون للعالمين نذيرا) وهم الجن والانس قال الفراء وأبو عبيد العالم عبارة عما يعقل وهم الانس والجن والملائكة والشياطين ولا يقال للبهائم عالم. وعن زيد بن سلم وأبي محيصن العالم كل ماله روح ترفرف. وقال قتادة رب العالمين كل صنف عالم وقال الحافظ ابن عساكر في ترجمة مروان بن محمد وهو أحد خلفاء بني أمية وهو يعرف

ملك ولا أمر الا له، قال الله تعالى (الملك يومئذ الحق للرحمن) وقال (لمن الملك اليوم؟ لله الواحد القهار) وقال (والامر يومئذ لله) وقرأ أبو عمرو (الرحيم ملك) بادغام الميم في الميم وكذلك يدغم

بالجعد ويلقب بالحمار (١) انه قال خلق الله سبعة عشر ألف عالم أهل السموات وأهل الارض عالم واحد وسائرهم لا يعلمهم الا الله عز وجل. وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية في قوله تعالى (رب العالمين) قال الانس عالم والجن عالم وما سوى ذلك ثمانية عشر الف أو أربعة عشر الف عالم — هو يشك — الملائكة على الارض وللارض أربع زوايا في كل زاوية ثلاثة آلاف عالم وخمسمائة عالم خلقهم الله لعبادته رواه ابن جرير وابن أبي حاتم. وهذا كلام غريب يحتاج مثله الى دليل صحيح. وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا هشام بن خالد حدثنا لوليد بن مسلم حدثنا الفرات يعني ابن الوليد عن معتب ابن سمى عن سبيع يعني الحميري في قوله تعالى (رب العالمين) قال العالمين الف أمة فستمائة في البحر وأربعمائة في البر وحكي مثله عن سعيد بن المسيب وقد روى نحو هذا مرفوعا كما قال الحافظ أبو يعلى أحمد بن على بن المثنى في مسنده: حدثنا محمد بن المثنى حدثنا عبيد بن واقد القيسي أبو عباد حدثني محمد بن عيسى بن كيسان حدثنا محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال: قل الجراد في سنة من سني عمر التي ولي فيها فسأل عنه فلم يخبر بشيء فاغتم لذلك فارسل راكبا يضرب الى اليمن وآخر الى الشام وآخر الى العراق يسأل هل رؤي من الجراد شيء أم لا قال فاتاه الراكب الذي من قبل اليمن بقبضة من جراد فالقاها بين يديه فلما رآها كبر ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «خلق الله الف أمة ستمائة في البحر وأربعمائة في البر فاول شيء يهلك من هذه الامم الجراد فاذا هلك تتابعت مثل النظام اذا قطع سلكه» محمد بن عيسى هذا وهو الهلالى ضعيف (٢) وحكى البغوي عن سعيد بن المسيب انه قال لله الف عالم ستمائة في البحر وأربعمائة في البر وقال وهب بن منبه لله ثمانية عشر الف عالم الدنيا عالم منها وقال مقاتل العوالم ثمانون الفا وقال كعب الاحبار لا يعلم عدد العوالم الا الله عز وجل نقله كله البغوي. وحكى القرطبي عن أبي سعيد الخدري انه قال ان لله أربعين الف عالم الدنيا من شرقها الى مغربها عالم واحد منها. وقال الزجاج العالم كل ما خلق الله في الدنيا والاخرة قال القرطبي وهذا هو الصحيح انه شامل لكل العالمين كقوله (قال فرعون وما رب العالمين؟ * قال رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين) والعالم مشتق من العلامة (قلت) لانه علم دال على وجود خالقه وصانعه ووحدانيته كما قال ابن المعتز

فيا عجبا كيف يعصى الاله ... أم كيف يجحده الجاحد

وفي كل شيء له آية ... تدل على انه واحد

وقوله تعالى ﴿الرحمن الرحيم﴾ تقدم الكلام عليه في البسملة بما أغنى عن الاعادة قال القرطبي انما وصف نفسه بالرحمن الرحيم بعد قوله رب العالمين ليكون من باب قرن الترغيب بعد الترهيب كما قال تعالى (نبيء عبادي اني أنا الغفور الرحيم * وان عذابي هو العذاب الاليم) وقوله تعالى (ان ربك لسريع العقاب وانه

(١) فى الاصل المطبوع : ترجمة ابن مروان بن الحكم الخ ومروان الحمار المسمى بالجعد ليس ابن الحكم بل ذلك والد عبد الملك وهو الرابع من خلفاء أو ملوك بني أمية والملقب بالحمار آخرهم وهو مروان ابن محمد بن مروان ولا ندري لم عني بنقل قوله وقول غيره فى مثل هذه المسألة التي لا يمكن العلم بها الا بوحى من الله تعالى

(٢) وكذا عبيد ابن واقد القيسي أو الليثى

كل حرفين من جنس واحد أو مخرج واحد أو قريبي المخرج سواء كان الحرف ساكنا أو متحركا الا أن يكون الحرف الاول مشددا أو منونا أو منقوصا أو مفتوحا أو تاء الخطاب قبله ساكن من

لغفور رحيم) قال فالرب فيه ترهيب والرحمن الرحيم ترغيب وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع في جنته أحد ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ماقنط من رحمته أحد »

﴿ مالك يوم الدين ﴾

قرأ بعض القراء (ملك يوم الدين) وقرأ آخرون (مالك) وكلاهما صحيح متواتر في السبع ويقال ملك بكسر اللام وباسكانها ويقال مليك أيضا وأشبع نافع كسرة الكاف فقرأ (ملكي يوم الدين) وقد رجح كلا من القراءتين مرجحون من حيث المعنى وكلاهما صحيحة حسنة ورجح الزمخشري ملك لانها قراءة أهل الحرمين ولقوله (لمن الملك اليوم ■ قوله الحق وله الملك) وحكي عن أبي حنيفة انه قرأ (ملك يوم الدين) على انه فعل وفاعل ومفعول وهذا شاذ غريب جدا وقد روى أبو بكر بن أبي داود في ذلك شيئا غريبا حيث قال حدثنا أبو عبد الرحمن الازدي حدثنا عبد الوهاب بن عدي بن الفضل عن أبي المطرف عن ابن شهاب انه بلغه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر وعثمان ومعاوية وابنه يزيد بن معاوية كانوا يقرؤن (مالك يوم الدين) قال ابن شهاب وأول من احدث «ملك» مروان (قلت) مروان عنده علم بصحة ماقرأه لم يطلع عليه ابن شهاب والله أعلم. وقد روي من طرق متعددة أوردها ابن مردويه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأها (مالك يوم الدين) ومالك مأخوذ من الملك كما قال تعالى (انا نحن نرث الارض ومن عليها والينا يرجعون) وقال (قل أعوذ برب الناس ملك الناس) وملك مأخوذ من الملك كما قال تعالى (لمن الملك اليوم ■ الواحد القهار) وقال (قوله الحق وله الملك) وقال (الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يوما على الكافرين عسيرا) وتخصيص الملك بيوم الدين لاينفيه عما عداه لانه قد تقدم الاخبار بانه رب العالمين وذلك عام في الدنيا والآخرة وانما أضيف الى يوم الدين لانه لايدعي أحد هنالك شيئا ولا يتكلم أحد الا باذنه كما قال تعالى (يوم يقوم الروح والملائكة صفا لايتكلمون الا من أذن له الرحمن وقال صوابا) وقال تعالى (وخشعت الاصوات للرحمن فلا تسمع الاهمسا) وقال تعالى (يوم يأتي لاتكلم نفس الا باذنه فمنهم شقي وسعيد) وقال الضحاك عن ابن عباس (مالك يوم الدين) يقول لايملك أحد معه في ذلك اليوم حكما كملكهم في الدنيا قال ويوم الدين يوم الحساب للخلائق وهو يوم القيامة يدينهم بأعمالهم ان خيرا فخير وان شرا فشر الا من عفا عنه وكذلك قال غيره من الصحابة والتابعين والسلف وهو ظاهر وحكى ابن جرير عن بعضهم انه ذهب الى ان تفسير مالك يوم الدين انه القادر على اقامته ثم شرع يضعفه والظاهر انه لامنافاة بين هذا القول وما تقدم وان كلا من القائلين هذا القول وبما قبله يعترف بصحة القول الآخر ولا ينكره

غير المثلين فانه لا يدغمها وادغام المتحرك يكون في الادغام الكبير ووافقه حمزة في ادغام المتحرك في قوله (بيت طائفة «والصافات صفا فالزاجرات زجرا فالتاليات ذكرا)(والذاريات ذروا) وأدغم

ولكن السياق أدل على المعنى الاول من هذا كما قال تعالى (الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يوما على الكافرين عسيرا) والقول الثاني يشبه قوله تعالى (ويوم يقول كن فيكون) والله أعلم. والملك في الحقيقة هو الله عز وجل قال الله تعالى (هو الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس السلام) وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا «أخنع اسم عند الله رجل تسمى بملك الاملاك ولا مالك الا الله» وفيهما عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «يقبض الله الارض ويطوي السماء بيمينه ثم يقول أنا الملك أين ملوك الارض؟ أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ وفي القرآن العظيم (لمن الملك اليوم؟ لله الواحد القهار) فاما تسمية غيره في الدنيا بملك فعلى سبيل المجاز كما قال تعالى (ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا وكان وراءهم ملك) (اذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا) وفي الصحيحين «مثل الملوك على الاسرة»

والدين الجزاء والحساب كما قال تعالى (يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق) وقال (أئنا لمدينون) أي مجزيون محاسبون وفي الحديث «الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت» أي حاسب نفسه لنفسه كما قال عمر رضي الله عنه حاسبوا أنفسكم قبل ان تحاسبوا وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا وتأهبوا للعرض الاكبر على من لا تخفى عليه أعمالكم (يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية)

﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾

قرأ السبعة والجمهور بتشديد الياء من اياك وقرأ عمرو بن فايد بتخفيفها مع الكسر وهي قراءة شاذة مردودة لان ايا ضوء الشمس وقرأ بعضهم اياك بفتح الهمزة وتشديد الياء وقرأ بعضهم هياك بالهاء بدل الهمزة كما قال الشاعر فهياك والامر الذي ان تراحبت موارده ضاقت عليك مصادره

ونستعين بفتح النون أول الكلمة في قراءة الجميع سوى يحيى بن وثاب والاعمش فانهما كسراها وهي لغة بني اسد وربيعة وبني تميم. — والعبادة في اللغة من الذلة يقال طريق معبد وبعير معبد أي مذلل وفي الشرع عبارة عما يجمع كمال المحبة والخضوع والخوف. وقدم المفعول وهو اياك وكرر للاهتمام والحصر أي لا نعبد الا اياك ولا نتوكل الا عليك وهذا هو كمال الطاعة. والدين كله يرجع الى هذين المعنيين. وهذا كما قال بعض السلف الفاتحة سر القرآن وسرها هذه الكلمة (اياك نعبد واياك نستعين) فالاول تبرؤ من الشرك والثاني تبرؤ من الحول والقوة والتفويض(١) الى الله عز وجل وهذا المعنى في غير آية من القرآن كما قال تعالى (فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون) قل هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا. رب المشرق والمغرب لا اله الا هو فاتخذه وكيلا) وكذلك هذه الآية الكريمة (اياك نعبد واياك نستعين) وتحول الكلام من الغيبة الى المواجهة بكاف الخطاب وهو مناسبة لانه لما أثنى على الله فكانه اقترب وحضر بين يدي الله تعالى فلهذا قال (اياك نعبد واياك نستعين) وفي هذا دليل على ان أول السورة خبر من الله تعالى بالثناء على نفسه الكريمة بجميل صفاته الحسنى وارشاد لعباده

«١» كذا فى الاصل. ينبغى أن يكون «وتفويض» بالتنكير لانه معطوف على تبرؤ وتعريفه يجعله معطوفا على ما قبله مباشرة لانه معرفة وحينئذ يفسد المعنى لانه تبرؤ من التفويض

التاء فيما بعدها من الحروف، وافقه حمزة برواية رجاء وخلف والكسائي الا في الراء عند اللام والدال عند الجيم وكذلك لا يدغم حمزة الدال عند السين والصاد والزاي، ولا ادغام لسائر القراء الا في

بان يثنوا عليه بذلك ولهذا لاتصح صلاة من لم يقل ذلك وهو قادر عليه كما جاء في الصحيحين عن عبادة بن الصامت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لاصلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب» وفي صحيح مسلم من حديث العلاء بن عبد الرحمن مولى الحرقة عن أبيه عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « يقول الله تعالى قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين فنصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ماسأل اذاقال العبد (الحمد لله رب العالمين) قال الله حمدني عبدي، واذاقال (الرحمن الرحيم) قال الله اثنى علي عبدي» فاذا قال (مالك يوم الدين) قال الله مجدني عبدي، واذاقال (اياك نعبد اياك نستعين) قال هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ماسأل، فاذا قال (اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين) قال هذا لعبدي ولعبدي ماسأل» وقال الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما (اياك نعبد) يعني اياك نوحد ونخاف ونرجوك يا ربنا لا غيرك (واياك نستعين) على طاعتك وعلى أمورنا كلها وقال قتادة (اياك نعبد واياك نستعين) يأمركم ان تخلصوا له العبادة وان تستعينوه على أموركم وانما قدّم (اياك نعبد) على (واياك نستعين) لان العبادة له هي المقصودة والاستعانة وسيلة اليها والاهتمام والحزم تقديم ماهو الاهم فالاهم والله أعلم — فان قيل فما معنى النون في قوله تعالى (اياك نعبد واياك نستعين) فان كانت للجمع فالداعي واحد وان كانت للتعظيم فلا يناسب هذا المقام وقد أجيب بان المراد من ذلك الاخبار عن جنس العباد والمصلي فرد منهم ولا سيما ان كان في جماعة أو امامهم فاخبر عن نفسه وعن اخوانه المؤمنين بالعبادة التي خلقوا لاجلها وتوسط لهم بخير ومنهم من قال يجوز ان تكون للتعظيم كأن العبد قيل له اذا كنت داخل العبادة فأنت شريف وجاهك عريض فقل (اياك نعبد واياك نستعين) وان كنت خارج العبادة فلا تقل نحن ولا فعلنا ولو كنت في مائة ألف أو ألف ألف لاحتياج الجميع الى الله عز وجل وفقرهم اليه . ومنهم من قال اياك نعبد ألطف في التواضع من اياك عبدنا لما في الثاني من تعظيم نفسه من جعله نفسه وحده أهلا لعبادة الله تعالى الذي لا يستطيع أحد أن يعبده حق عبادته ولا يثني عليه كما يليق به والعبادة مقام عظيم يشرف به العبد لانتسابه الي جناب الله تعالى كما قال بعضهم

لا تدعني الا بيا عبدها فانه أشرف أسمائي

وقد سمى الله رسوله صلى الله عليه وسلم بعبده في أشرف مقاماته فقال (الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب» وانه لما قام عبدالله يدعوه» سبحان الذي أسرى بعبده ليلا) فسماه عبدا عند انزاله عليه وعند قيامه في الدعوة واسرائه به وأرشده الى القيام بالعبادة في أوقات يضيق صدره من تكذيب المخالفين حيث يقول (ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين» واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) وقد حكى الرازى في تفسيره عن بعضهم ان مقام العبودية أشرف

أحرف معدودة. قوله (اياك) اياكلمة ضمير خصت بالاضافة الى المضمر ويستعمل مقدما على الفعل فيقال : اياك أعني واياك أسأل ولا يستعمل مؤخرا الا منفصلا. فيقال: ماعنيت الا اياك. قوله (نعبد)

من مقام الرسالة لكون العبادة تصدر من الخلق الى الحق والرسالة من الحق الى الخلق، قال ولان الله يتولى مصالح عبده والرسول يتولى مصالح أمته. وهذا القول خطأ والتوجيه أيضا ضعيف لا حاصل له ولم يتعرض له الرازى بتضعيف ولارد. وقال بعض الصوفية العبادة اما لتحصيل ثواب أو درء عقاب، قالوا وهذا ليس بطائل اذ مقصوده تحصيل مقصوده، واما للتشريف بتكاليف الله تعالى وهذا أيضا عندهم ضعيف بل العالي أن يعبد الله لذاته المقدسة الموصوفة بالكمال قالوا ولهذا يقول المصلي: أصلي لله ولو كان لتحصيل الثواب ودرء العقاب لبطلت الصلاة (١) وقدرد ذلك عليهم آخرون وقالوا: كون العبادة لله عزوجل لا ينافي ان يطلب معها ثوابا ولاأن يدفع عذابا كما قال ذلك الاعرابي: أما اني لا احسن دندنتك ولا دندنة معاذ انما أسأل الله الجنة وأعوذ به من النار فقال النبي صلى الله عليه وسلم «حولها ندندن»

(١) هذه نزعة صوفيـة بل باطنية فالمراد من كون العبادة لله انها تفعل بأمره ابتغاء مرضاته وثوابه ومنه كمال معرفته فى الاخرة فمن رد إرادة الثواب فقدرد القرآن والسنة وعطل الشريعة ومن المعلوم القطعي ان الله تعالى أمر العباد بعبادته لاجل تزكيتهـم وتأهيلهم للحياة الابدية في الجنة لا لاجـل ذاته فهو غني عنهم وعن عبادتهم ونصوص الكتاب والسنـة فى ذلك مشهورة ، ولا يعقل كونهـا لذاته الا اذا فسر بمعرفته ورؤيته وهذا من الثواب الذي يقصـد العابد لنفسه فلا يبقى لفلسفتهـم معنى . وكتبه محمد رشيد رضا

﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾

قراءة الجمهور بالصاد وقرئ السراط وقرئ بالزاى قال الفراء وهي لغة بنى عذرة وبنى كلب. لما تقدم الثناء على المسؤل تبارك وتعالى ناسب ان يعقب بالسؤال كما قال «فنصفها لي ونصفها لعبدى ولعبدي ما سأل» وهذا أكمل أحوال السائل ان يمدح مسؤله ثم يسأل حاجته وحاجة اخوانه المؤمنين بقوله (اهدنا الصراط المستقيم) لانه أنجح للحاجة وأنجع للاجابة ولهذا أرشد الله اليه لانه الاكمل وقد يكون السؤال بالاخبار عن حال السائل واحتياجه كما قال موسى عليه السلام (رب اني لما أنزلت الى من خير فقير) وقد يتقدمه مع ذلك وصف مسؤل كقول ذى النون (لا إله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين) وقد يكون بمجرد الثناء على المسؤل كقول الشاعر

أأذكر حاجتي أم قد كفاني ... حباؤك ان شيمتك الحباء
اذا أثنى عليك المرء يوما ... كفاه من تعرضه الثناء

والهداية ههنا الارشاد والتوفيق وقد تعدى الهداية بنفسها كما هنا (اهدنا الصراط المستقيم) فتضمن معنى ألهمنا أو وفقنا أو ارزقنا أو أعطنا (وهديناه النجدين) أي بينا له الخير والشر وقد تعدى بالى

أي نوحدك ونطيعك خاضعين ، والعبادة الطاعة مع التذلل والخضوع وسمي العبد عبدا لذلته وانقياده يقال: طريق معبد أي مذلل .

﴿ واياك نستعين ﴾ نطلب منك المعونة على عبادتك وعلى جميع أمورنا فان قيل لم قدم ذكر العبادة على الاستعانة والاستعانة تكون قبل العبادة ؟ فلهذا يلزم من يجعل الاستطاعة قبل الفعل ونحن نحمد الله ونجعل التوفيق والاستعانة مع الفعل فلا فرق بين التقديم والتأخير ويقال الاستعانة نوع تعبد فكأنه ذكر جملة العبادة أولا ثم ذكر ما هو من تفاصيلها

قوله ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ اهدنا ارشدنا وقال علي وأبي بن كعب ثبتنا كما يقال للقائم قم حتى أعود

كقوله تعالى (اجتباه وهداه الى صراط مستقيم) (فاهدوهم الى صراط الجحيم) وذلك بمعنى الارشاد والدلالة وكذلك قوله (وانك لتهدى الى صراط مستقيم) وقد تعدى باللام كقول أهل الجنة (الحمد لله الذي هدانا لهذا) أي وفقنا لهذا وجعلنا له أهلا .

وأما الصراط المستقيم فقال الامام أبو جعفر بن جرير أجمعت الامة من أهل التأويل جميعا على ان الصراط المستقيم هو الطريق الواضح الذي لا اعوجاج فيه وذلك في لغة جميع العرب فمن ذلك قول جرير بن عطية الخطفي

أمير المؤمنين على صراط اذا اعوج الموارد مستقيم

قال والشواهد على ذلك أكثر من أن تحصر قال ثم تستعير العرب الصراط فتستعمله في كل قول وعمل ووصف باستقامة أو اعوجاج فتصف المستقيم باستقامته والمعوج باعوجاجه

ثم اختلفت عبارات المفسرين من السلف والخلف في تفسير الصراط، وان كان يرجع حاصلها الى شيء واحد وهو المتابعة لله وللرسول فروي انه كتاب الله قال ابن أبي حاتم حدثنا الحسن بن عرفة حدثني يحيى بن يمان عن حمزة الزيات عن سعيد وهو ابن المختار الطائى عن ابن أخي الحارث الاعور عن الحارث الاعور عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الصراط المستقيم كتاب الله » وكذلك رواه ابن جرير من حديث حمزة بن حبيب الزيات وقد تقدم فى فضائل القرآن فيما رواه احمد والترمذي من رواية الحارث الاعور عن علي مرفوعا « وهو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم » وقد روي موقوفا على علي رضى الله عنه وهو أشبه والله أعلم وقال الثورى عن منصور عن أبي وائل عن عبد الله قال الصراط المستقيم كتاب الله. وقيل هو الاسلام قال الضحاك عن ابن عباس قال قال جبريل لمحمد عليهما السلام « قل يا محمد اهدنا الصراط المستقيم » يقول ألهمنا الطريق الهادي وهو دين الله الذى لا اعوجاج فيه وقال ميمون بن مهران عن ابن عباس في قوله تعالى (اهدنا الصراط المستقيم) قال ذاك الاسلام وقال اسمعيل بن عبد الرحمن السدى الكبير عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم اهدنا الصراط المستقيم قالوا هو الاسلام وقال عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر اهدنا الصراط المستقيم قال هو الاسلام أوسع مما بين السماء والارض

اليك أي دم على ما أنت عليه وهذا الدعاء من المؤمنين مع كونهم على الهداية بمعنى التثبيت وبمعنى طلب مزيد الهداية لان الالطاف والهدايات من الله تعالى لا تتناهى على مذهب أهل السنة (الصراط) وصراط قرئ بالسين رواه رويس عن يعقوب وهو الاصل سمى سراطا لانه يسترط السابلة ويقرأ بالزاي وقرأ حمزة باشمام الزاى وكلها لغات صحيحة والاختيار الصاد عند أكثر القراء لموافقة المصحف والصراط المستقيم قال ابن عباس وجابر هو الاسلام وهو قول مقاتل وقال ابن مسعود هو القرآن وروى عن على مرفوعا الصراط المستقيم كتاب الله وقال سعيد بن جبير طريق الجنة وقال سهل

وقال ابن الحنفية في قوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم قال هو دين الله الذي لا يقبل من العباد غيره وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم اهدنا الصراط المستقيم قال هو الاسلام وفي هذا الحديث الذي رواه الامام احمد في مسنده حيث قال حدثنا الحسن بن سوار أبو العلاء حدثنا ليث يعني ابن سعد عن معاوية بن صالح ان عبد الرحمن بن جبير بن نفير حدثه عن أبيه عن النواس بن سمعان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «ضرب الله مثلا صراطا مستقيما وعلى جنبتي الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة وعلى الابواب ستور مرخاة وعلى باب الصراط داع يقول يا أيها الناس ادخلوا الصراط جميعا ولا تعوجوا وداع يدعو من فوق الصراط فاذا أراد الانسان أن يفتح شيئا من تلك الابواب قال ويحك لا تفتحه فانك ان تفتحه تلجه ـ فالصراط الاسلام والسوران حدود الله والابواب المفتحة محارم الله وذلك الداعى على رأس الصراط كتاب الله والداعي من فوق الصراط واعظ الله في قلب كل مسلم». وهكذا رواه ابن أبي حاتم وابن جرير من حديث الليث بن سعد به . ورواه الترمذي والنسائي جميعا عن علي بن حجر عن بقية عن بحير بن سعد عن خالد بن معدان عن جبير بن نفير عن النواس بن سمعان به. وهو اسناد حسن صحيح والله أعلم. وقال مجاهد اهدنا الصراط المستقيم قال الحق وهذا أشمل ولا منافاة بينه وبين ما تقدم وروى ابن أبي حاتم وابن جرير من حديث أبي النضر هاشم بن القاسم انا حمزة بن المغيرة عن عاصم الاحول عن أبي العالية (اهدنا الصراط المستقيم) قال هو النبي صلى الله عليه وسلم وصاحباه من بعده قال عاصم فذكرنا ذلك للحسن فقال صدق أبو العالية ونصح. وكل هذه الاقوال صحيحة وهي متلازمة فان من اتبع النبي صلى الله عليه وسلم واقتدى باللذين من بعده أبي بكر وعمر فقد اتبع الحق ومن اتبع الحق فقد اتبع الاسلام ومن اتبع الاسلام فقد اتبع القرآن وهو كتاب الله وحبله المتين وصراطه المستقيم فكلها صحيحة يصدق بعضها بعضا ولله الحمد وقال الطبراني حدثنا محمد بن الفضل السقطي حدثنا ابراهيم بن مهدي المصيصي حدثنا يحيى بن زكريا بن أبي زائدة عن الاعمش عن أبي وائل عن عبد الله قال الصراط المستقيم الذي تركنا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم. ولهذا قال الامام أبو جعفر بن جرير رحمه الله والذي هو أولى بتأويل هذه الآية عندي أعني ـ اهدنا الصراط المستقيم ـ ان يكون معنيا به وفقنا للثبات على ما ارتضيته ووفقت له من أنعمت عليه من عبادك من قول وعمل وذلك هو الصراط المستقيم لان من وفق لما وفق له من

ابن عبد الله طريق السنة والجماعة وقال بكر بن عبد الله المزني طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أبو العالية والحسن: رسول الله وآله وصاحباه وأصله في اللغة الطريق الواضح

(صراط الذين أنعمت عليهم) أي مننت عليهم بالهداية والتوفيق قال عكرمة مننت عليهم بالثبات على الايمان والاستقامة وهم الانبياء عليهم السلام وقيل هم كل من ثبته الله على الايمان من النبيين والمؤمنين الذين ذكر الله تعالى في قوله (فاولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين) الآية وقال ابن عباس هم قوم موسى وعيسى عليهما السلام قبل ان غيروا دينهم وقال عبد الرحمن بن زيد هم النبي ومن معه وقال

أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين فقد وفق للاسلام وتصديق الرسل والتمسك بالكتاب والعمل بما أمره الله به والانزجار عما زجره عنه واتباع منهاج النبي صلى الله عليه وسلم ومنهاج الخلفاء الاربعة وكل عبد صالح وكل ذلك من الصراط المستقيم

(فان قيل) فكيف يسأل المؤمن الهداية في كل وقت من صلاة وغيرها وهو متصف بذلك ؟ فهل هذا من باب تحصيل الحاصل أم لا ؟

فالجوب أن لا، ولولا احتياجه ليلا ونهاراً الى سؤال الهداية لما أرشده الله تعالى الى ذلك فان العبد مفتقر في كل ساعة وحالة الى الله تعالى في تثبيته على الهداية ورسوخه فيها وتبصره وازدياده منها واستمراره عليها فان العبد لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا الا ماشاء الله فارشده تعالى الى أن يسأله في كل وقت ان يمده بالمعونة والثبات والتوفيق فالسعيد من وفقه الله تعالى لسؤاله فانه تعالى قد تكفل باجابة الداعي اذا دعاه ولا سيما المضطر المحتاج المفتقر اليه آناء الليل وأطراف النهار وقد قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والذي أنزل من قبل) الآية فقد أمر الذين آمنوا بالايمان وليس ذلك من باب تحصيل الحاصل لان المراد الثبات والاستمرار والمداومة على الاعمال المعينة على ذلك والله أعلم. وقال تعالى آمرا لعباده المؤمنين ان يقولوا (ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب) وقد كان الصديق رضي الله عنه يقرأ بهذه الآية في الركعة الثالثة من صلاة المغرب بعد الفاتحة سرا فمعنى قوله تعالى (اهدنا الصراط المستقيم) أي استمر بنا عليه ولا تعدل بنا الى غيره

﴿ صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾

قد تقدم الحديث فيما اذا قال العبد اهدنا الصراط المستقيم الى آخرها ان الله يقول «هذا لعبدي ولعبدي ما سأل» وقوله تعالى (صراط الذين أنعمت عليهم) مفسر للصراط المستقيم وهو بدل منه عند النحاة ويجوز ان يكون عطف بيان والله أعلم. والذين أنعم الله عليهم هم المذكورون في سورة النساء حيث قال تعالى (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا * ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما) وقال الضحاك عن ابن عباس صراط الذين أنعمت عليهم بطاعتك وعبادتك من ملائكتك وأنبيائك والصديقين والشهداء والصالحين

أبو العالية هم آل الرسول صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر رضى الله عنهما وأهل بيته وقال شهر بن حوشب هم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل بيته

قرأ حمزة عليهم ولديهم واليهم بضم هاآتها ويضم يعقوب كل هاء قبلها ياء ساكنة تثنية وجمعا لا قوله بين أيديهن وأرجلهن وقرأ الآخرون بكسرها فمن ضم الهاء ردها الى الاصل لانها مضمومة عند الانفراد ومن كسرها فلاجل الياء الساكنة والياء أخت الكسرة وضم ابن كثير وأبو جعفر كل ميم جمع مشبعا في الوصل اذا لم يلقها ساكن فان لقيها ساكن فلا يشبع ونافع يخير ويضم ورش عند ألف

وذلك نظير ما قال ربنا تعالى (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم) الآية وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس (صراط الذين أنعمت عليهم) قال هم النبيون. وقال ابن جريج عن ابن عباس هم المؤمنون، وكذا قال مجاهد، وقال وكيع هم المسلمون وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم هم النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه والتفسير المتقدم عن ابن عباس رضي الله عنهما أعم وأشمل والله أعلم

وقوله تعالى (غير المغضوب عليهم ولا الضالين) قرأ الجمهور غير بالجر على النعت قال الزمخشري وقرىء بالنصب على الحال وهي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمر بن الخطاب ورويت عن ابن كثير وذو الحال الضمير في عليهم والعامل أنعمت والمعنى اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم ممن تقدم وصفهم ونعتهم وهم أهل الهداية والاستقامة والطاعة لله ورسله وامتثال أوامره وترك نواهيه وزواجره غير صراط المغضوب عليهم وهم الذين فسدت اراداتهم فعلموا الحق وعدلوا عنه ولا صراط الضالين وهم الذين فقدوا العلم فهم هائمون في الضلالة لا يهتدون الى الحق. وأكد الكلام بلا ليدل على ان ثم مسلكين فاسدين وهما طريقة اليهود والنصارى وقد زعم بعض النحاة ان غير ههنا استثنائية فيكون على هذا منقطعا لاستثنائهم من المنعم عليهم وليسوا منهم وما أوردناه أولى لقول الشاعر

كأنك من جمال بني اقيش ✽ يقعقع عند رجليه بشن

أي كأنك جمل من جمال بني اقيش فحذف الموصوف واكتفى بالصفة وهكذا غير المغضوب عليهم أي غير صراط المغضوب عليهم اكتفى بالمضاف اليه عن ذكر المضاف وقد دل عليه سياق الكلام وهو قوله تعالى (اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم) ثم قال تعالى (غير المغضوب عليهم) ومنهم من زعم أن لا في قوله تعالى ولا الضالين زائدة وان تقدير الكلام عنده غير المغضوب عليهم والضالين واستشهد ببيت العجاج

في بئر لاحور سرى وما شعر

أي في بئر حور والصحيح ما قدمناه ولهذا روى أبو عبيد القاسم بن سلام في كتاب فضائل القرآن عن أبي معاوية عن الاعمش عن ابراهيم عن الاسود عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه كان يقرأ غير المغضوب عليهم وغير الضالين وهذا إسناد صحيح وكذلك حكى عن أبيّ بن كعب أنه قرأ كذلك وهو محمول على انه صدر منهما على وجه التفسير. فيدل على ما قلناه من انه انما جيء بلا

القطع فاذا تلقته ألف وصل وقبل الهاء كسر أو ياء ساكنة ضم الهاء والميم حمزة والكسائي وكسرهما أبو عمرو وكذلك يعقوب اذا انكسر ما قبله والآخرون يقرؤن بضم الميم وكسر الهاء لاجل الياء أو لكسر ما قبلها وضم الميم على الاصل

قوله ﴿ غير المغضوب عليهم ﴾ يعنى غير صراط الذين غضبت عليهم والغضب هو ارادة الانتقام من العصاة وغضب الله تعالى لا يلحق عصاة المؤمنين انما يلحق الكافرين ﴿ ولا الضالين ﴾ أي وغير الضالين عن الهدى وأصل الضلال الهلاك والغيبوبة يقال ضل الماء في اللبن اذا هلك وغاب

لتأكيد النفي لئلا يتوهم انه معطوف على الذين أنعمت عليهم وللفرق بين الطريقتين ليجتنب كل واحد منهما فان طريقة أهل الايمان مشتملة على العلم بالحق والعمل به واليهود فقدوا العمل والنصارى فقدوا العلم ولهذا كان الغضب لليهود والضلال للنصارى لان من علم وترك استحق الغضب بخلاف من لم يعلم والنصارى لما كانوا قاصدين شيئا لكنهم لا يهتدون الى طريقه لانهم لم يأتوا الامر من بابه وهو اتباع الحق ضلوا و كل من اليهود والنصارى ضال مغضوب عليه لكن أخص أوصاف اليهود الغضب كما قال تعالى عنهم (من لعنه الله وغضب عليه) وأخص أوصاف النصارى الضلال كما قال تعالى عنهم (قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل) وبهذا جاءت الاحاديث والآثار وذلك واضح بين فيما قال الامام أحمد حدثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة قال سمعت سماك بن حرب يقول سمعت عباد بن حبيش يحدث عن عديّ بن حاتم قال جاءت خيل رسول الله صلى الله صلى الله عليه وسلم فأخذوا عمتي وناسا فلما أتوا بهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم صفوا له فقالت يا رسول الله: نأى الوافد، وانقطع الولد، وأنا عجوز كبيرة ما بي من خدمة فمن علي منّ الله عليك قال «من وافدك؟» قالت عدي بن حاتم قال «الذي فر من الله ورسوله؟» قالت فمن علي فلما رجع ورجل الى جنبه ترى انه عليّ قال سليه حملانا فسألته فأمر لها قال فأتتني فقالت لقد فعلت فعلة ما كان أبوك يفعلها فانه قد أتاه فلان فأصاب منه وأتاه فلان فأصاب منه فأتيته فاذا عنده امرأة وصبيان وذكر قربهم من النبي صلى الله عليه وسلم قال فعرفت انه ليس بملك كسرى ولا قيصر فقال يا عدي ما أفرك؟ ان يقال لا اله الا الله؟ فهل من اله الا الله؟ ما أفرك ان يقال الله أكبر؟ فهل شيء أكبر من الله عز وجل؟ قال فأسلمت فرأيت وجهه استبشر وقال ان المغضوب عليهم اليهود وان الضالين النصارى وذكر الحديث ورواه الترمذي من حديث سماك بن حرب وقال حسن غريب لا نعرفه الا من حديثه (قلت) وقد رواه حماد بن سلمة عن سماك عن مريّ بن قطري عن عدي بن حاتم قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى (غير المغضوب عليهم) قال هم اليهود (ولا الضالين) قال النصارى هم الضالون وهكذا رواه سفيان بن عيينة عن اسمعيل بن أبي خالد عن الشعبي عن عدى بن حاتم به وقد روي حديث عدى هذا من طرق وله ألفاظ كثيرة يطول ذكرها وقال عبد الرزاق أنا معمر بن بديل العقيلي أخبرني عبد الله بن شقيق انه أخبره من سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بوادي

وغير ههنا بمعنى لا ولا بمعنى غير ولذلك جاز العطف عليها كما يقال فلان غير محسن ولا مجمل فاذا كان غير بمعنى سوى فلا يجوز العطف عليها بلا. لا يجوز في الكلام عندي سوى عبد الله ولا زيد وقرأ عمر بن الخطاب رضي الله عنه صراط من أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم وغير الضالين وقيل المغضوب عليهم هم اليهود والضالون هم النصارى لان الله تعالى حكم علي اليهود بالغضب فقال (من لعنه الله وغضب عليه) وحكم على النصارى بالضلال فقال (ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل) وقال سهل بن عبد الله غير المغضوب عليهم بالبدعة ولا الضالين عن السنة. والسنة للقارى ان يقول بعد فراغه من قراءة الفاتحة آمين مفصولا عن الفاتحة بسكتة

القرى على فرسه وسأله رجل من بني القين فقال يا رسول الله من هؤلاء قال المغضوب عليهم وأشار الى اليهود والضالون هم النصارى وقد رواه الجريري وعروة وخالد الحذاء عن عبد الله بن شقيق فأرسلوه ولم يذكروا من سمع النبي صلى الله عليه وسلم ووقع في رواية عروة تسمية عبد الله بن عمرو فالله أعلم وقد روى ابن مردويه من حديث ابراهيم بن طهمان عن بديل بن ميسرة عن عبد الله بن شقيق عن أبي ذر قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المغضوب عليهم قال اليهود قلت الضالين قال النصارى وقال السدى عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمذانى عن ابن مسعود وعن أناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم غير المغضوب عليهم هم اليهود ولا الضالين هم النصارى وقال الضحاك وابن جريج عن ابن عباس غير المغضوب عليهم اليهود ولا الضالين النصارى وكذلك قال الربيع بن أنس وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغير واحد وقال بن أبي حاتم ولا أعلم بين المفسرين في هذا اختلافا وشاهد ما قاله هؤلاء الائمة من ان اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضالون الحديث المتقدم وقوله تعالى في خطابه مع بني اسرائيل في سورة البقرة (بئس ما اشتروا به أنفسهم ان يكفروا بما أنزل الله بغيا ان ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده فباؤا بغضب على غضب وللكافرين عذاب مهين) وقال في المائدة (قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت أولئك شر مكانا وأضل عن سواء السبيل) وقال تعالى (لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون) وفي السيرة عن زيد بن عمرو بن نفيل انه لما خرج هو وجماعة من أصحابه الى الشأم يطلبون الدين الحنيف قالت له اليهود انك لن تستطيع الدخول معنا حتى تأخذ بنصيبك من غضب الله فقال أنا من غضب الله أفر وقالت له النصارى انك لن تستطيع الدخول معنا حتى تأخذ بنصيبك من سخط الله فقال لا أستطيعه فاستمر على فطرته وجانب عبادة الاوثان ودين المشركين ولم يدخل مع أحد من اليهود ولا النصارى وأما أصحابه فتنصروا ودخلوا في دين النصرانية لانهم وجدوه أقرب من دين اليهود اذ ذاك وكان منهم ورقة بن نوفل حتى هداه الله بنبيه لما بعثه آمن بما وجد من الوحي رضي الله عنه

﴿ مسئلة ﴾ والصحيح من مذاهب العلماء انه يغتفر الاخلال بتحرير ما بين الضاد والظاء

وهو مخفف ويجوز ممدودا ومقصورا ومعناه اللهم اسمع واستجب وقال ابن عباس وقتادة: معناه كذلك يكون. وقال مجاهد هو اسم من أسماء الله تعالى وقيل هو طابع الدعاء وقيل هو خاتم الله على عباده يدفع به الآفات عنهم كخاتم الكتاب يمنعه من الفساد وظهور ما فيه. أخبرنا الامام أبو علي الحسين بن محمد القاضي وأبو حامد أحمد بن عبد الله الصالحي قالا أنا أبو بكر أحمد بن حسن الحيرى أنا أبو علي محمد بن أحمد ابن محمد بن معقل الميدانى ثنا محمد بن يحيى ثنا عبد الرازق أنا معمر عن الزهرى عن ابن المسيب عن أبي هريرة رضى الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا قال الامام (غير المغضوب عليهم ولا

لقرب مخرجيهما وذلك ان الضاد مخرجها من أول حافة اللسان وما يليها من الاضراس ومخرج الظاء من طرف اللسان وأطراف الثنايا العليا ولان كلا من الحرفين من الحروف المجهورة ومن الحروف الرخوة ومن الحروف المطبقة فلهذا كله اغتفر استعمال أحدهما مكان الآخر لمن لا يميز ذلك والله أعلم وأما حديث أنا أفصح من نطق بالضاد فلا أصل له والله أعلم

﴿ فصل ﴾

اشتملت هذه السورة الكريمة وهي سبع آيات على حمد الله وتمجيده والثناء عليه بذكر اسمائه الحسنى المستلزمة لصفاته العليا وعلى ذكر المعاد وهو يوم الدين وعلى ارشاده عبيده الى سؤاله والتضرع اليه والتبرىء من حولهم وقوتهم والى اخلاص العبادة له وتوحيده بالالوهية تبارك وتعالى وتنزيهه ان يكون له شريك أو نظير أو مماثل والى سؤالهم اياه الهداية الى الصراط المستقيم وهو الدين القويم وتثبيتهم عليه حتى يقضي(١) لهم بذلك الى جواز الصراط الحسية يوم القيامة المفضي بهم الى جنات النعيم في جوار النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، واشتملت على الترغيب في الاعمال الصالحة ليكونوا مع أهلها يوم القيامة والتحذير من مسالك الباطل لئلا يحشروا مع سالكيها يوم القيامة وهم المغضوب عليهم والضالون. وما أحسن ماجاء اسناد الانعام اليه في قوله تعالى (صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم) وحذف الفاعل في الغضب في قوله تعالى (غير المغضوب عليهم) وان كان هو الفاعل لذلك في الحقيقة كما قال تعالى (الم تر الي الذين تولوا قوما غضب الله عليهم) الآية وكذلك اسناد الضلال الى من قام به وان كان هو الذي أضلهم بقدره كما قال تعالى (من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا) وقال (من يضلل الله فلاهادي له ويذرهم في طغيانهم يعمهون) الى غير ذلك من الآيات الدالة على انه سبحانه هو المنفرد بالهداية والاضلال لا كما تقول الفرقة القدرية ومن حذا حذوهم من ان العباد هم الذين يختارون ذلك ويفعلونه(١) ويحتجون على بدعتهم بمتشابه من القرآن ويتركون مايكون فيه صريحا في الرد عليهم . وهذا حال أهل الضلال والغي وقد ورد في الحديث الصحيح « اذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمي الله فاحذروهم » يعني في قوله تعالى (فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ماتشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغا

« ١ » كذا في الاصل ولعله يفضي بالفاء

(١) كذا وأهل السنة لا يمنعون الاختيار ولا أسناد الفعل للعبد وهامناط التكليف وانما يقولون أن افعالهم الاختيارية بقدر الله تعالى كالاضطرارية وليسوا مستقلين فيها تمام الاستقلال والقدرية ينكرون ذلك

الضالين) فقولوا آمين فان الملائكة تقول آمين وان الامام يقول آمين فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه» صحيح

﴿ فصل في فضل فاتحة الكتاب ﴾

أنا أبو الحسن أحمد بن عبد الرحمن بن محمد الكتاني أنا أبو نصر محمد بن علي بن الفضل الخزاعي أنا أبو عثمان عمرو بن عبد الله البصري ثنا محمد بن عبد الوهاب ثنا خالد مخلد القطواني حدثني

تأويله) فليس بحمد الله لمبتدع في القرآن حجة صحيحة لان القرآن جاء ليفصل الحق من الباطل مفرقا بين الهدى والضلال وليس فيه تناقض ولا اختلاف لانه من عند الله تنزيل من حكيم حميد

(فصل)

يستحب لمن يقرأ الفاتحة أن يقول بعدها آمين مثل يس و يقال امين بالقصر(١) أيضا ومعناه اللهم استجب والدليل على استحباب التأمين مارواه الامام أحمد وأبو داود الترمذى عن وائل بن حجر قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قرأ (غير المغضوب عليهم ولا الضالين) فقال آمين مد بها صوته « ولابي داود رفع بها صوته » وقال الترمذي هذا حديث حسن وروي عن علي وابن مسعود وغيرهم . وعن أبي هريرة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا تلا (غير المغضوب عليهم ولا الضالين) قال «آمين» حتى يسمع من يليه من الصف الاول رواه أبوداود وابن ماجه وزاد فيه: فيرتج بها المسجد. والدارقطنى وقال : هذا اسنادحسن . وعن بلال انه قال: يارسول الله لاتسبقنى بآمين رواه أبو داود ، ونقل أبو نصر القشيري عن الحسن وجعفر الصادق انهما شددا الميم من آمين(٢) مثل (آمين البيت الحرام) قال أصحابنا وغيرهم ويستحب ذلك لمن هو خارج الصلاة، ويتأكد في حق المصلي « وسواء كان منفردا أو اماما أومأموما وفي جميع الاحوال لما جاء فى الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « اذا أمّن الامام فأمنوا فانه من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ماتقدم من ذنبه » ولمسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « اذا قال أحدكم في الصلاة آمين والملائكة في السماء آمين فوافقت احداهما الاخرى غفر له ماتقدم من ذنبه» قيل بمعنى من وافق تأمينه تأمين الملائكة في الزمان وقيل في الاجابة وقيل في صفة الاخلاص . وفي صحيح مسلم عن أبي موسى مرفوعا — اذا قال — يعني الامام «ولا الضالين فقولوا آمين يجبكم الله» وقال جويبر عن

(١) رواية شاذة مخالفة لائمة القراء ولرواة الحديث وانما حكاها ثعلب لبيت من الشعر قال ابن درستويه انه لضرورة الشعر لا لغة كما في نيل الاوطار

(٢) خطأ هذه الرواية جماعة من أهل اللغة كما في نيل الاوطار

محمد بن جعفر بن أبي كثير هو اخو اسماعيل بن جعفر عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي بن كعب وهو قائم يصلي فصاح به فقال «تعال يا أبيّ» فعجل أبيّ في صلاته ثم جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال «مامنعك يا أبيّ أن تجيبني اذ دعوتك؟ أليس الله يقول (ياأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم)؟ قال أبيّ لاجرم يارسول الله صلى الله عليه وسلم لاتدعوني الا أجبتك وان كنت مصليا قال «أتحب أن أعلمك سورة لم ينزل في التوراة ولا في الانجيل ولا في الزبور ولا في القرآن(٣) مثلها؟ فقال أبي نعم يارسول الله فقال لا تخرج من باب المسجد حتى تعلمها والنبي صلى الله عليه وسلم يمشي يريد أن يخرج من المسجد فلما بلغ الباب ليخرج قال له أبي السورة يا رسول الله فوقف فقال نعم كيف تقرأ صلاتك فقرأ أبي أم القرآن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ما أنزل في التوراة ولا في الانجيل ولا في الزبور ولا في القرآن(٣) مثلها وانها هي(٤) السبع من المثاني التي آتاني الله عز وجل» هذا حديث حسن

(٣) ن الفرقان

(٤) في الخطية انها هي

الضحاك عن ابن عباس قال قلت يارسول الله مامعني آمين؟ قال «رب افعل» وقال الجوهري معنى آمين كذلك فليكن. وقال الترمذي معناه لاتخيب رجاءنا. وقال الاكثرون معناه اللهم استجب لنا. وحكى القرطبي عن مجاهد وجعفر الصادق وهلال بن يساف ان آمين اسم من أسماء الله تعالى. وروي عن ابن عباس مرفوعا ولايصح قاله أبو بكر بن العربي المالكي. وقال أصحاب مالك لا يؤمن الامام ويؤمن المأموم لما رواه مالك عن سمي عن أبي صالح عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «واذا قال — يعني الامام — ولا الضالين فقولوا آمين» الحديث واستأنسوا أيضا بحديث أبي موسى عند مسلم «واذا قرأ ولا الضالين فقولوا آمين» وقد قدمنا في المتفق عليه «اذا أمن الامام فأمنوا» وانه عليه الصلاة والسلام كان يؤمن اذا قرأ (غير المغضوب عليهم ولا الضالين) وقد اختلف أصحابنا في الجهر بالتأمين للمأموم في الجهرية وحاصل الخلاف ان الامام ان نسي التأمين جهر المأموم به قولا واحدا وان أمن الامام جهرا فالجديد انه لا يجهر المأموم وهو مذهب أبي حنيفة ورواية عن مالك لانه ذكر من الاذكار فلا يجهر به كسائر أذكار الصلاة. والقديم انه يجهر به وهو مذهب الامام احمد ابن حنبل والرواية الاخرى عن مالك لما تقدم «حتى يرتج المسجد» ولنا قول آخر ثالث انه ان كان المسجد صغيرا لم يجهر المأموم لانهم يسمعون قراءة الامام وان كان كبيرا جهر ليبلغ التأمين من في ارجاء المسجد والله أعلم. وقد روى الامام احمد في مسنده عن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرت عنده اليهود فقال «انهم لن يحسدونا على شيء كما يحسدونا على الجمعة التي هدانا الله لها وضلوا عنها وعلى القبلة التي هدانا الله لها وضلوا عنها وعلى قولنا خلف الامام آمين» ورواه ابن ماجه ولفظه «ماحسدتكم اليهود على شيء ماحسدتكم على السلام والتأمين» وله عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «ماحسدتكم اليهود على شيء ماحسدتكم على قول آمين فاكثروا من قول آمين» وفي اسناده طلحة بن عمرو وهو ضعيف وروى ابن مردويه عن أبي هريرة ان رسول الله

صحيح. أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الصمد الترابي أنا الحاكم أبو الفضل محمد بن الحسين الحدادي أنا أبو يزيد محمد بن يحيى بن خالد أنا اسحق بن ابراهيم الحنظلي ثنا يحيى بن آدم ثنا أبو الاحوص عن عمار بن رزيق عن عبد الله بن عيسى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم — عنده جبريل — اذ سمع صوت نقيضا من فوقه فرفع جبريل بصره الى السماء فقال «هذا باب فتح من السماء مافتح قط» قال فنزل منه ملك فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال «أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك: فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ حرفا منهما الا أعطيته» صحيح. أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد الشيرازي ثنا زاهر بن أحمد السرخسي أنا أبو اسحق ابراهيم بن عبد الصمد الهاشمي أنا أبو مصعب أحمد بن أبي بكر الزهري عن مالك عن العلاء بن عبد الرحمن انه سمع أبا السائب مولى هشام بن زهرة يقول سمعت أبا هريرة يقول قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج غير تمام» قال فقلت يا أبا هريرة

صلى الله عليه وسلم قال « آمين خاتم رب العالمين على عباده المؤمنين » وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أعطيت آمين في الصلاة وعند الدعاء لم يعط أحد قبلي الا أن يكون موسى كان موسى يدعو وهرون يؤمن فاختموا الدعاء بآمين فان الله يستجيبه لكم » (قلت) ومن هنا نزع بعضهم في الدلالة بهذه الآية الكريمة وهي قوله تعالى (وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم ﴿قال قد أجيبت دعوتكما فاستقيما ولا تتبعانّ سبيل الذين لا يعلمون) فذكر الدعاء عن موسى وحده ومن سياق الكلام مايدل على ان هرون أمن فنزل منزلة من دعا لقوله تعالى (قد اجيبت دعوتكما) فدل ذلك على ان من أمن على دعاء فكأنما قاله فلهذا قال من قال ان المأموم لايقرأ لان تأمينه على قراءة الفاتحة بمنزلة قراءتها ولهذا جاء في الحديث « من كان له امام فقراءة الامام له قراءة » رواه احمد في مسنده وكان بلال يقول لاتسبقني بآمين يارسول الله. فدل هذا المنزع على ان المأموم لاقراءة عليه في الجهرية (١) والله أعلم ولهذا قال ابن مردويه حدثنا احمد بن الحسن حدثنا عبد الله بن محمد بن سلام حدثنا اسحق بن ابراهيم حدثنا جرير عن ليث عن بن أبي سليم عن كعب عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اذا قال الامام غير المغضوب عليهم ولا الضالين، فقال آمين، فوافق آمين أهل الارض آمين أهل السماء غفر الله للعبد ماتقدم من ذنبه » ومثل من لايقول آمين كمثل رجل غزا مع قوم فاقترعوا فخرجت سهامهم ولم يخرج سهمه فقال لم لم يخرج سهمي؟ فقيل : انك لم تقل آمين »

(١) هذا الاستدلال غير ظاهر

(٢) كذا ولعل عن زائدة

إني أحيانا أكون وراء الامام فغمز ذراعي وقال اقرأ بها يافارسي في نفسك فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « قال الله عز وجل قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين نصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما سأل» قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اقرؤا يقول العبد (الحمد لله رب العالمين) يقول الله حمدني عبدي، يقول العبد (الرحمن الرحيم) يقول الله أثنى على عبدي، يقول العبد (مالك يوم الدين) يقول الله مجدني عبدي ، يقول العبد (اياك نعبد واياك نستعين) يقول الله عز وجل هذه الآية بيني وبين عبدي فلعبدي ما سأل، يقول العبد (اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين) يقول الله فهؤلاء لعبدي ولعبدي ما سأل » صحيح

(بسم الله الرحمن الرحيم) * رب يسر وأعن يا كريم *

﴿ تفسير سورة البقرة ﴾

(ذكر ما ورد في فضلها) قال الامام أحمد حدثنا عارم حدثنا معتمر عن أبيه عن معقل بن يسار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « البقرة سنام القرآن وذروته. نزل مع كل آية منها ثمانون ملكا واستخرجت (الله لا اله الا هو الحي القيوم) من تحت العرش فوصلت بها أو فوصلت بسورة البقرة، ويس قلب القرآن لا يقرؤها رجل يريد الله والدار الآخرة الا غفر له واقرؤها على موتاكم » انفرد به أحمد وقد رواه أحمد أيضا عن عارم عن عبد الله بن المبارك عن سليمان التيمي عن أبي عثمان — وليس بالنهدي — عن أبيه عن معقل بن يسار قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اقرؤها على موتاكم » -يعني يس- فقد تبينا بهذا الاسناد معرفة المبهم في الرواية الاولى. وقد أخرج هذا الحديث على هذه الصفة في الرواية الثانية أبو داود والنسائي وابن ماجه ، وقد روي الترمذي من حديث حكيم بن جبير وفيه ضعف عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لكل شيء سنام وان سنام القرآن سورة البقرة وفيها آية هي سيدة آي القرآن آية الكرسي » وفي مسند أحمد وصحيح مسلم والترمذي والنسائي من حديث سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم « قال لا تجعلوا بيوتكم قبورا فان البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة لا يدخله الشيطان » وقال الترمذي حسن صحيح وقال أبو عبيد القاسم بن سلام حدثني ابن أبي مريم عن ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن سنان بن سعد عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان الشيطان يخرج من البيت اذا سمع سورة البقرة تقرأ فيه » سنان بن سعد ويقال بالعكس وثقه ابن معين واستنكر حديثه أحمد بن حنبل وغيره . وقال أبو عبيد حدثنا محمد بن جعفر عن شعبة عن سلمة بن كهيل عن أبي الاحوص عن عبد الله — يعني ابن مسعود — رضي الله عنه قال ان الشيطان يفر من البيت يسمع فيه سورة البقرة ورواه النسائي في اليوم والليلة وأخرجه الحاكم في مستدركه من حديث شعبة ثم قال الحاكم. صحيح الاسناد ولم يخرجاه: وقال ابن مردويه حدثنا أحمد بن كامل حدثنا أبو اسمعيل الترمذي حدثنا أيوب بن سليمان بن بلال حدثني أبو بكر بن أبي أويس عن سليمان

سورة البقرة

مدنية وهي مائتان وثمانون وسبع آيات

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم * آلم ﴾ قال الشعبي وجماعة: الم وسائر حروف الهجاء في اوائل السور من المتشابه الذي استأثر الله بعلمه وهي سر القرآن فنحن نؤمن بظاهرها ونكل العلم فيها الى الله تعالى وفائدة ذكرها طلب الايمان بها. قال أبو بكر الصديق: في كل كتاب سر وسر الله في القرآن أوائل

ابن بلال عن محمد بن عجلان عن أبي اسحق عن أبي الاحوص عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا ألفين أحدكم يضع احدي رجليه على الاخرى يتغنى ويدع سورة البقرة يقرؤها فان الشيطان ينفر من البيت تقرأ فيه سورة البقرة وان أصفر البيوت الجوف الصفر من كتاب الله» وهكذا رواه النسائي في اليوم والليلة عن محمد بن نصر عن أيوب بن سليمان به. وروى الدارمي في مسنده عن ابن مسعود قال ما من بيت تقرأ فيه سورة البقرة الا خرج منه الشيطان وله ضراط وقال ان لكل شيء سناما وان سنام القرآن سورة البقرة وان لكل شيء لبابا وان لباب القرآن المفصل. وروى أيضا من طريق الشعبي قال : قال عبد الله ابن مسعود من قرأ عشر آيات من سورة البقرة في ليلة لم يدخل ذلك البيت شيطان تلك الليلة ، أربع من أولها وآية الكرسي ، وآيتان بعدها ، وثلاث آيات من آخرها ، وفي رواية لم يقربه ولا أهله يومئذ شيطان . ولا شيء يكرهه ولا يقرأن على مجنون الا أفاق . وعن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ان لكل شيء سناما وان سنام القرآن البقرة وان من قرأها في بيته ليلة لم يدخله الشيطان ثلاث ليال ومن قرأها في بيته نهارا لم يدخله شيطان ثلاثة أيام» رواه أبو القاسم الطبراني وأبو حاتم وابن حبان في صحيحه وابن مردويه من حديث الازرق بن علي حدثنا حسان بن ابراهيم حدثنا خالد ابن سعيد المدني عن أبي حازم عن سهل به. وعند ابن حبان خالد بن سعيد المديني . وقد روى الترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث عبد الحميد بن جعفر عن سعيد المقبري عن عطاء مولى أبي أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال « بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثا وهم ذوو عدد فاستقرأهم فاستقرأ كل واحد منهم مامعه من القرآن فأتى على رجل من أحدثهم سنا فقال مامعك يافلان فقال معي كذا وكذا وسورة البقرة. فقال أمعك سورة البقرة؟ قال نعم قال: اذهب فانت أميرهم» فقال رجل من أشرافهم والله مامنعني أن أتعلم سورة البقرة الا اني خشيت ان لا أقوم بها. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «تعلموا القرآن واقرؤه فان مثل القرآن لمن تعلمه فقرأ وقام به كمثل جراب محشو مسكا يفوح ريحه في كل مكان ومثل من تعلمه فيرقد وهو في جوفه كمثل جراب أوكي على مسك» هذا لفظ رواية الترمذي ثم قال هذا حديث حسن ثم رواه من حديث الليث عن سعيد عن عطاء مولى أبي أحمد مرسلا فالله أعلم قال البخاري وقال الليث حدثني يزيد بن الهاد عن محمد بن ابراهيم عن أسيد بن حضير رضي الله عنه قال بينما هو يقرأ من الليل سورة البقرة وفرسه مربوطة عنده اذ جالت الفرس ، فسكت فسكنت ، فقرأ فجالت الفرس ، فسكت فسكنت ، ثم قرأ فجالت الفرس ، فانصرف ، وكان ابنه يحيي قريبا منها فاشفق ان تصيبه فلما أخذه رفع رأسه الى السماء حتى مايراها ، فلما أصبح حدث النبي صلى الله عليه وسلم فقال « اقرأ يا ابن حضير » قال قد أشفقت يارسول الله على يحيي وكان منها قريبا فرفعت رأسي

السور وقال علي: ان لكل كتاب صفوة وصفوة هذا الكتاب حروف التهجي وقال داود بن أبي هند كنت اسأل الشعبي عن فواتح السور فقال ياداود ان لكل كتاب سرا وان سر القرآن فواتح السور

وانصرفت اليه فرفعت رأسي الى السماء فاذا مثل الظلة فيها أمثال المصابيح فخرجت حتى لا أراها قال «وتدري ماذاك؟» قال لا قال «تلك الملائكة دنت لصوتك ولو قرأت لاصبحت ينظر الناس اليها لاتتوارى منهم» وهكذا رواه الامام العالم أبو عبيد القاسم بن سلام في كتاب فضائل القرآن عن عبد الله بن صالح ويحيي بن بكير عن الليث به. وقد روى من وجه آخر عن أسيد بن حضير كما تقدم والله أعلم. وقد وقع نحو من هذا لثابت بن قيس بن شماس رضي الله عنه وذلك فيما رواه أبو عبيد حدثنا عباد بن عباد عن جرير بن حازم عن عمه جرير بن يزيد ان أشياخ أهل المدينة حدثوه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل له ألم تر ثابت بن قيس بن شماس لم تزل داره البارحة تزهر مصابيح قال «فلعله قرأ سورة البقرة» قال فسألت ثابتا فقال قرأت سورة البقرة « وهذا اسناد جيد الا ان فيه ابهاما ثم هو مرسل والله أعلم

﴿ ذكر ما ورد في فضلها مع آل عمران ﴾

قال الامام أحمد حدثنا أبو نعيم حدثنا بشر بن مهاجر حدثني عبدالله بن بريدة عن أبيه قال كنت جالسا عند النبي صلى الله عليه وسلم فسمعته يقول « تعلموا سورة البقرة فان أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة» قال ثم سكت ساعة ثم قال «تعلموا سورة البقرة وآل عمران فانهما الزهر وان يظلان صاحبه يوم القيامة كانهما غمامتان أو غيايتان أو فرقان من طير صواف وان القرآن يلقى صاحبه يوم القيامة حين ينشق عنه قبره كالرجل الشاحب فيقول له هل تعرفني؟ فيقول: ما أعرفك فيقول أنا صاحبك القرآن الذي أظمأتك في الهواجر وأسهرت ليلك وان كل تاجر من وراء تجارته وانك اليوم من وراء كل تجارة فيعطى الملك بيمينه والخلد بشماله ويوضع على رأسه تاج الوقار ويكسي والداه حلتان لا يقوم لهما أهل الدنيا فيقولان بما كسينا هذا؟ فيقال بأخذ ولدكما القرآن ثم يقال اقرأ واصعد في درج الجنة وغرفها فهو في صعود مادام يقرأ هذا كان أو ترتيلا » وروى ابن ماجه من حديث بشر بن المهاجر بعضه وهذا اسناد حسن على شرط مسلم فان بشرا هذا خرج له مسلم ووثقه ابن معين وقال النسائي مابه بأس الا ان الامام أحمد قال فيه هو منكر الحديث قد اعتبرت أحاديثه فاذا هي تأتي بالعجب وقال البخاري يخالف في بعض حديثه وقال أبو حاتم الرازي يكتب حديثه ولا يحتج به وقال ابن عدي روى مالا يتابع عليه وقال الدارقطني ليس بالقوى (قلت) ولكن لبعضه شواهد فمن ذلك حديث أبي امامة الباهلي قال الامام أحمد حدثنا عبد الملك بن عمر حدثنا هشام عن يحيي بن أبي كثير عن أبي سلام عن أبي امامة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « اقرؤا القرآن فانه شافع لاهله يوم القيامة اقرؤا الزهراوين البقرة وآل عمران فانهما يأتيان يوم القيامة كانهما غمامتان أو

فدعها وسل عما سوى ذلك، وقال جماعة هي معلومة المعاني فقيل كل حرف منها مفتاح اسم من أسمائه كما قال ابن عباس في كهيعص: الكاف من كاف والهاء من هاد والياء من حكيم والعين من عليم والصاد

كانهما غيايتان أو كانهما فرقان طير صواف يحاجان عن أهلهما يوم القيامه ثم قال اقرؤا البقرة فان أخذها بركة وتركها حسرة ولاتستطيعها البطلة وقد رواه مسلم في الصلاة من حديث معاوية بن سلام عن أخيه زيد بن سلام عن جده أبي سلام ممطور الحبشي عن أبي امامة صدى بن عجلان الباهلى به . الزهراوان المنيرتان ، والغياية ما أظلك من فوقك ، والفرق القطعة من الشيء ، والصواف المصطفة المتضامة ، والبطلة السحرة ، ومعنى لاتستطيعها أي لايمكنهم حفظها وقيل لاتستطيع النفوذ في قارئها والله أعلم . ومن ذلك حديث النواس بن سمعان قال الامام أحمد حدثنا يزيد بن عبد ربه حدثنا الوليد بن مسلم عن محمد بن مهاجر عن الوليد بن عبد الرحمن الجرشي عن جبير بن نفير قال سمعت النواس بن سمعان الكلابي يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يؤتي بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به تقدمهم سورة البقرة وآل عمران » وضرب لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أمثال ما نسيتهن بعد قال « كأنهما غمامتان أو ظلتان سودوان بينهما شرق أو كأنهما فرقان من طير صواف يحاجان عن صاحبهما » ورواه مسلم عن اسحق بن منصور عن يزيد بن عبد ربه به ، والترمذي من حديث الوليد بن عبد الرحمن الجرشي به وقال حسن غريب ، وقال أبو عبيد حدثنا حدثنا حجاج عن حماد بن سلمة عن عبد الملك بن عمير قال : قال حماد أحسبه عن أبي منيب عن عمه ان رجلا قرأ البقرة وآل عمران فلما قضي صلاته قال له كعب أقرأت البقرة وآل عمران؟ قال نعم قال فوالذي نفسي بيده ان فيهما اسم الله الذي اذا دعي به استجاب . قال فأخبرني به قال لا والله لا أخبرك به ولو أخبرتك به لاوشكت أن تدعوه بدعوة أهلك فيها أنا وأنت ، وحدثنا عبد الله ابن صالح عن معاوية بن صالح عن سليم بن عامر انه سمع أبا امامة يقول ان أخالكم أري في المنام ان الناس يسلكون في صدع جبل وعر طويل وعلى رأس الجبل شجرتان خضراوان يهتفان هل فيكم قارىء يقرأ سورة البقرة ؟ وهل فيكم قارىء يقرأ سورة آل عمران ؟ قال فاذا قال الرجل نعم دنتا منه باعذاقهما حتي يتعلق بهما فيخطران به الجبل . وحدثنا عبد الله بن صالح عن معاوية ابن صالح عن أبي عمران أنه سمع أم الدرداء تقول ان رجلا ممن قرأ القرآن أغار على جار له فقتله وانه أقيد به فقتل فما زال القرآن ينسل منه سورة سورة حتي بقيت البقرة وآل عمران جمعة ثم أن آل عمران انسلت منه وأقامت البقرة جمعة فقيل لها (مايبدل القول لدي وما أنا بظلام للعبيد) قال فخرجت كأنها السحابة العظيمة قال أبو عبيد أراه يعني انهما كانتا معه في قبره يدفعان عنه ويؤنسانه فكانتا من آخر مابقي معه من القرآن . وقال أيضا حدثنا أبو مسهر الغساني عن سعيد بن عبد العزيز التنوخي ان يزيد بن الاسود الجرشي كان يحدث انه من قرأ البقرة وآل عمران في يوم بريء من النفاق حتي يمسي ومن قرأهما في ليلة بريء من النفاق حتي يصبح قال فكان يقرؤهما كل يوم وليلة سوى جزئه . وحدثنا

من صادق ، وقيل في المص أنا الله الملك الصادق ، وقال الربيع بن أنس في ألم : الالف مفتاح اسمه الله واللام مفتاح اسمه اللطيف والميم مفتاح اسمه المجيد ، وقال محمد بن كعب الالف آلاء الله واللام لطفه

يزيد عن ورقاء بن أياس عن سعيد بن جبير قال قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه من قرأ البقرة وآل عمران في ليلة كان أو كتب من القانتين.فيه انقطاع ولكن ثبت في الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ بهما في ركعة واحدة

﴿ ذكر ما ورد في فضل السبع الطول ﴾

قال أبو عبيد حدثنا هشام بن اسماعيل الدمشقى عن محمد بن شعيب عن سعيد بن بشير عن قتادة عن أبى المليح عن واثلة بن الاسقع عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أعطيت السبع الطول مكان التوراة وأعطيت المئين مكان الانجيل وأعطيت المثاني مكان الزبور وفضلت بالمفصل» هذا حديث غريب وسعيد بن أبي بشير فيه لين وقد رواه أبو عبيد عن عبد الله بن صالح عن الليث عن سعيد بن أبي هلال قال بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فذكره والله أعلم ثم قال حدثنا اسماعيل بن جعفر عن عمرو بن أبي عمرو مولى المطلب بن عبد الله بن حنطب عن حبيب بن هند الاسلمي عن عروة عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «من أخذ السبع فهو حبر» وهذا أيضا غريب وحبيب بن هند بن اسماء بن هندب بن حارثة الاسلمي وروي عنه عمرو بن عمرو (١) وعبد الله بن أبي بكرة وذكره أبو حاتم الرازي ولم يذكر فيه جرحا فالله أعلم.وقد رواه الامام احمد عن سليمان بن داود وحسين كلاهما عن اسمعيل بن جعفر به ورواه أيضا عن أبي سعيد عن سليمان بن بلال عن حبيب بن هند عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «من أخذ السبع الاول من القرآن فهو حبر» قال أحمد وحدثنا حسين حدثنا ابن أبي الزناد عن الاعرج عن أبى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله قال عبد الله بن أحمد وهذا أري فيه عن أبيه عن الاعرج ولكن كذا كان في الكتاب فلا أدري أغفله أبي أو كذا هو مرسل وروي الترمذي عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث بعثا وهم ذوو عدد وقدم عليهم أحدثهم سنا لحفظه سورة البقرة وقال له «اذهب فأنت أميرهم» وصححه الترمذى ثم قال أبو عبيد حدثنا هشيم أنا أبو بشر عن سعيد بن جبير في قوله تعالى (ولقد آتيناك سبعا من المثاني) قال هي السبع الطول البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والانعام والاعراف ويونس قال وقال مجاهد هي السبع الطول وهكذا قال مكحول وعطيه بن قيس وأبو محمد الفارسي وشداد بن أوس ويحيي بن الحارث الذماري في تفسير الآية بذلك وفي تعدادها وان يونس هي السابعة

﴿ فصل ﴾

والبقرة جميعها مدنية بلا خلاف وهي من أوائل ما نزل بها لكن قوله تعالى فيه (واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله) الآية يقال انها آخر مانزل من القرآن ويحتمل أن تكون منها وكذلك آيات الربا من آخر ما نزل وكان خالد بن معدان يسمى البقرة فسطاط القرآن قال بعض العلماء وهي مشتملة

(١) كذا والذي تقدم عمرو بن أبي عمرو

والميم ملكه ،وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس انه قال معنى الم أنا الله أعلم ومعنى المص أنا الله علم وأفصل ومعنى الر أنا الله أرى ومعنى المر أنا الله أعلم وأرى قال الزجاج وهذا حسن فان العرب تذكر

على ألف خبر وألف أمر وألف نهى وقال العادون آياتهـا مائتان وثمانون وسبع آيات وكلماتها ستة آلاف كلمة ومائتان واحدى وعشرون كلمة وحروفهـا خمسة وعشرون الفا وخمسمائة حرف فالله أعلم . قال ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس نزلت بالمدينة سورة البقرة، وقال خصيف عن مجاهد عن عبد الله بن الزبير قال نزلت بالمدينة سورة البقرة وقال الواقدي حدثني الضحاك بن عثمان عن أبي الزناد عن خارجة بن زيد بن ثابت عن أبيه قال نزلت البقرة بالمدينة وهكذا قال غير واحد من الائمة والعلماء والمفسرين ولاخلاف فيه. وقال ابن مردويه حدثنا محمد بن معمر حدثنا الحسن بن علي بن الوليد الفارسي حدثنا خلف بن هشام وحدثنا عيسى بن ميمون عن موسى بن أنس بن مالك عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تقولوا سورة البقرة ولا سورة آل عمران ولا سورة النساء وكذا القرآن كله ولكن قولوا السورة التي يذكر فيها البقرة والتي يذكر فيها آل عمران وكذا القرآن كله » هذا حديث غريب لا يصح رفعه وعيسى بن ميمون هذا هو أبو سلمة الخواص وهو ضعيف الرواية لا يحتج به وقد ثبت في الصحيحين عن ابن مسعود انه رمى الجمرة من بطن الوادي فجعل البيت عن يساره ومنى عن يمينه ثم قال هـذا مقام الذي أنزلت عليه سورة البقرة أخرجاه، وروى ابن مردويه من حديث شعبة عن عقيل بن طلحة عن عتبة بن مرثد قال رأى النبي صلى الله عليه وسلم في أصحابه تأخرا فقال « يا أصحاب سورة البقرة » واظن هذا كان يوم حنين يوم ولوا مدبرين أمر العباس فناداهم « يا أصحاب الشجرة » يعني أهل بيعة الرضوان وفي رواية « يا أصحاب سورة البقرة » لينشطهم بذلك فجعلوا يقبلون من كل وجه وكذلك يوم اليمامة مع أصحاب مسيلمة جعل الصحابة يفرون لكثافة جيش بني حنيفة فجعل المهاجرون والانصار يتنادون يا أصحاب سورة البقرة حتى فتح الله عليهم رضي الله عن أصحاب رسول الله أجمعين

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم * الم ﴾

قد اختلف المفسرون في الحروف المقطعة التي في أوائل السور فمنهم من قال هي مما استأثر الله بعلمه فردوا علمها الى الله ولم يفسروها حكاه القرطبي في تفسيره عن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وابن مسعود رضي الله عنهم أجمعين ، وقاله عامر الشعبي وسفيان الثوري والربيع بن خيثم واختاره أبو حاتم بن حبان. ومنهم من فسرها واختلف هؤلاء في معناها فقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم انما هي أسماء السور. قال العلامة أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري في تفسيره وعليه اطباق الاكثر ونقله عن سيبويه انه نص عليه ويعتضد لهذا بما ورد في الصحيحين عن أبي هريرة ان رسول صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في صلاة الصبح يوم الجمعة الم السجدة وهل أتى على الانسان. وقال سفيان الثوري عن ابن أبي نجيح عن مجاهد انه قال: الم، وحم، والمص، وص، فواتح افتتح الله بها القرآن، وكذا قال غيره

حرفا من كلمة تريدها كقولهم ، قلت لها قفي فقالت لي قاف ،

عن مجاهد وقال مجاهد في رواية أبي حذيفة موسى بن مسعود عن شبل عن ابن أبي نجيح عنه انه قال: الم اسم من أسماء القرآن وهكذا وقال قتادة وزيد بن أسلم ولعل هذا يرجع الى معنى قول عبد الرحمن بن زيد بن أسلم انه اسم من أسماء السور فان كل سورة يطلق عليها اسم القرآن فانه يبعد ان يكون المص اسما للقرآن كله لان المتبادر الى فهم سامع من يقول قرأت المص انما ذلك عبارة عن سورة الاعراف لا لمجموع القرآن والله أعلم .

وقيل هي اسم من اسماء الله تعالى فقال الشعبي فواتح السور من أسماء الله تعالى وكذلك قال سالم بن عبد الله واسمعيل بن عبد الرحمن السدى الكبير وقال شعبة عن السدى بلغني ان ابن عباس قال الم اسم من أسماء الله الاعظم (؟) هكذا رواه ابن أبي حاتم من حديث شعبة ورواه ابن جرير عن بندار عن ابن مهدي عن شعبة قال سألت السدى عن حم وطس والم فقال قال ابن عباس هي اسم الله الاعظم وقال ابن جرير وحدثنا محمد بن المثني حدثنا أبو النعمان حدثنا شعبة عن اسمعيل السدى عن مرة الهمداني قال : قال عبد الله فذكر نحوه. وحكى مثله عن علي وابن عباس وقال علي ابن أبي طلحة عن ابن عباس هو قسم أقسم الله به وهو من أسماء الله تعالى وروي ابن أبي حاتم وابن جرير من حديث ابن علية عن خالد الحذاء عن عكرمة أنه قال الم قسم . وروينا أيضا من حديث شريك بن عبد الله عن عطاء بن السائب عن أبي الضحى عن ابن عباس : الم قال أنا الله أعلم ، وكذا قال سعيد بن جبير وقال السدى عن أبي مالك

وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الم قال أما الم فهي حروف استفتحت من حروف هجاء أسماء الله تعالى . قال وابو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن ابى العالية في قوله تعالى الم قال هذه الاحرف الثلاثة من التسعة والعشرين حرفا دارت فيها الالسن كلها ليس منها حرف الا وهو مفتاح اسم من اسمائه ، وليس منها حرف الا وهو من آلائه ، و بلائه ، وليس منها حرف الا وهو في مدة اقوام وآجالهم . قال عيسى بن مريم عليه السلام وعجب (١) فقال : اعجب انهم ينطقون بأسمائه ويعيشون في رزقه فكيف يكفرون به ، فالالف مفتاح الله واللام مفتاح اسمه لطيف والميم مفتاح اسمه مجيد فالالف آلاء الله واللام لطف الله والميم مجد الله ، والالف سنة واللام ثلاثون سنة والميم اربعون سنة .

هذا لفظ ابن ابى حاتم . ونحوه رواه ابن جرير ثم شرع يوجه كل واحد من هذه الاقوال ويوفق بينها وانه لا منافاة بين كل واحد منها وبين الآخر وان الجمع ممكن فهي اسماء السور ومن اسماء الله تعالى يفتتح بها السور فكل حرف منها دل على اسم من اسمائه وصفة من صفاته كما افتتح سورا كثيرة بتحميده وتسبيحه وتعظيمه ، قال ولا مانع من دلالة الحرف منها على اسم من اسماء الله وعلى صفة من صفاته وعلى مدة وغير ذلك كما ذكره الربيع بن انس عن ابى العالية لان

(١) قوله وعجب الخ هكذا في الاصل

أي وقفت وعن سعيد بن جبير قال هي أسماء الله تعالى مقطعة لو أحسن الناس تأليفها لعلموا اسم الله

الكلمة الواحدة تطلق على معاني كثيرة كلفظة الامة فانها تطلق ويراد به الدين كقوله تعالى (انا وجدنا آباءنا على امة) وتطلق ويراد بها الرجل المطيع لله كقوله تعالى (ان ابراهيم كان امة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين) وتطلق ويراد بها الجماعة كقوله تعالى (وجد عليه امة من الناس يسقون) وقوله تعالى (ولقد بعثنا في كل امة رسولا) وتطلق ويراد بها الحين من الدهر كقوله تعالى (وقال الذي نجا منهما وادّكر بعد امة) اي بعد حين على اصح القولين قال فكذلك هذا.

هذا حاصل كلامه موجها ولكن هذا ليس كما ذكره ابو العالية فان ابا العالية زعم ان الحرف دل على هذا وعلى هذا وعلى هذا معا ولفظة الامة وما اشبهها من الالفاظ المشتركة في الاصطلاح انما دل في القرآن في كل موطن على معنى واحد دل عليه سياق الكلام فاما حمله على مجموع محامله اذا امكن فمسئلة مختلف فيها بين علماء الاصول ليس هذا موضع البحث فيها والله اعلم. ثم ان لفظة الامة تدل على كل من معانيها في سياق الكلام بدلالة الوضع فأما دلالة الحرف الواحد على اسم يمكن ان يدل على اسم آخر من غير أن يكون احدهما أولى من الآخر في التقدير او الاضمار بوضع ولا بغيره فهذا مما لا يفهم الا بتوقيف، والمسئلة مختلف فيها وليس فيها اجماع حتى يحكم به وما أنشدوه من الشواهد على صحة اطلاق الحرف الواحد على بقية الكلمة فان في السياق ما يدل على ماحذف بخلاف هذا كما قال الشاعر

قلنا قفي لنا فقالت قاف * لا تحسبي انا نسينا الايجاف

تعني وقفت . وقال الآخر :

ماللظليم عال كيف لا يا * ينقد عنه جلده اذايا

فقال ابن جرير كانه أراد أن يقول اذا يفعل كذا وكذا فا كتفى بالياء من يفعل وقال الآخر

بالخير خيرات وان شرافا * ولا أريد الشر الا ان تا

يقول وان شرا فشر ولا أريد الشر ألا ان تشافاكتفى بالفاء والتاء من الكلمتين عن بقيتهما ولكن هذا ظاهر من سياق الكلام والله أعلم .

قال القرطبي وفي الحديث «من اعان على قتل مسلم بشطر كلمة» الحديث قال سفيان هو ان يقول في اقتل «اق».وقال خصيف عن مجاهد انه قال فواتح السور كلها (ق وص وحم وطسم والر) وغير ذلك هجاء موضوع وقال بعض أهل العربية هي حروف من حروف المعجم استغني بذكر ما ذكر منها في أوائل السور عن ذكر بواقيها التي هي تتمة الثمانية والعشرين حرفا كما يقول القائل ابني يكتب في — ا ب ت ث — أي في حروف المعجم الثمانية والعشرين فيستغنى بذكر بعضها عن مجموعها حكاه ابن جرير

الاعظم ألا ترى أنك تقول الر وحم ون فيكون الرحمن وكذلك سائرها الا انا لا نقدر على وصلها وقال قتادة هذه الحروف أسماء القرآن وقال مجاهد وابن زيد هي أسماء السور وبيانه ان القائل اذا قال قرأت

قلت مجموع الحروف المذكورة في أوائل السور بحذف المكرر منها أربعة عشر حرفا وهي — ا ل م ص ر ك ه ي ع ط س ح ق ن — يجمعها قولك: نص حكيم قاطع له سر. وهي نصف الحروف عددا والمذكور منها أشرف من المتروك وبيان ذلك من صناعة التصريف. قال الزمخشري وهذه الحروف الاربعة عشر مشتملة على أصناف أجناس الحروف يعني من المهموسة والمجهورة، ومن الرخوة والشديدة، ومن المطبقة والمفتوحة ومن المستعلية والمنخفضة، ومن حروف القلقلة. وقد سردها مفصلة ثم قال: فسبحان الذي دقت في كل شيء حكمته. وهذه الاجناس المعدودة مكثورة بالمذكورة منها وقد علمت ان معظم الشيء وجله ينزل منزلة كله ومن ههنا لخص بعضهم في هذا المقام كلاما فقال: لاشك ان هذه الحروف لم ينزلها سبحانه وتعالى عبثا ولا سدى، ومن قال من الجهلة ان في القرآن ماهو تعبد لامعنى له بالكلية فقد أخطأ خطأ كبيرا، فتعين ان لها معنى في نفس الامر فان صح لنا فيها عن المعصوم شيء قلنا به والا وقفنا حيث وقفنا وقلنا (آمنا به كل من عند ربنا) ولم يجمع العلماء فيها على شيء معين وانما اختلفوا فمن ظهر له بعض الاقوال بدليل فعليه اتباعه والا فالوقف حتى تبين. هذا مقام

المقام الاخر في الحكمة التي اقتضت ايراد هذه الحروف في أوائل السور ما هي مع قطع النظر عن معانيها في أنفسها، فقال بعضهم انما ذكرت ليعرف بها أوائل السور حكاه ابن جرير وهذا ضعيف لان الفصل حاصل بدونها فيما لم تذكر فيه وفيما ذكرت فيه البسملة تلاوة وكتابة وقال آخرون بل ابتدىء بها لتفتتح لاستماعها اسماع المشركين اذ تواصوا بالاعراض عن القرآن حتى اذا استمعوا له تلا عليهم المؤلف منه حكاه ابن جرير أيضا وهو ضعيف أيضا لانه لو كان كذلك لكان ذلك في جميع السور لايكون في بعضها بل غالبها ليس كذلك ولو كان كذلك أيضا لانبغى الابتداء بها في أوائل الكلام معهم سواء كان افتتاح سورة أو غير ذلك ثم ان هذه السورة والتي تليها أعني البقرة وآل عمران مدنيتان ليستا خطابا للمشركين فانتقض ماذكروه بهذه الوجوه. (١) وقال آخرون بل انما ذكرت هذه الحروف في أوائل السور التي ذكرت فيها بيانا لاعجاز القرآن وان الخلق عاجزون عن معارضته بمثله هذا مع انه مركب من هذه الحروف المقطعة التي يتخاطبون بها وقد حكى هذا المذهب الرازي في تفسيره عن المبرد وجمع من المحققين، وحكى القرطبي عن الفراء وقطرب نحو هذا، وقرره الزمخشري في كشافه ونصره أتم نصر، واليه ذهب الشيخ الامام العلامة أبو العباس ابن تيمية وشيخنا الحافظ المجتهد أبو الحجاج المزي وحكاه لى عن ابن تيمية

قال الزمخشري ولم ترد كلها مجموعة في أول القرآن وانما كررت ليكون أبلغ في التحدي والتبكيت كما كررت قصص كثيرة وكرر التحدي بالصريح في أماكن قال وجاء منها على حرف واحد كقوله — ص ن ق — وحرفين مثل (حم) وثلاثة مثل (الم) وأربعة مثل (المر والمص) وخمسة مثل (كهيعص وحمعسق) لان أساليب

المص عرف السامع انه قرأ السورة التي افتتحت بالمص وروى عن ابن عباس انها أقسام وقال الاخفش

(١) هذه الحكمة أظهر الحكم وقد صورناها وبيناها فى أول تفسير سورة الاعراف بما لا يرد عليه نقض المؤلف فليراجع ذلك من شاء في الجزء الثامن من تفسير المنار وكتبه محمد رشيد رضا

كلامهم على هذا من الكلمات ماهو على حرف وعلى حرفين وعلى ثلاثة وعلى أربعة وعلى خمسة لا أكثر من ذلك (قلت) ولهذا كل سورة افتتحت بالحروف فلا بد أن يذكر فيها الانتصار للقرآن وبيان إعجازه وعظمته وهذا معلوم بالاستقراء (١) وهو الواقع في تسع وعشرين سورة ولهذا يقول تعالى (الم، ذلك الكتاب لاريب فيه) (الم، الله لا اله الا هو الحي القيوم نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه) (المص، كتاب أنزل اليك فلا يكن في صدرك حرج منه) (الر، كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم) (الم تنزيل الكتاب لاريب فيه من رب العالمين) (حم، تنزيل من الرحمن الرحيم) (حم‍عسق، كذلك يوحي اليك والى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم) وغير ذلك من الآيات الدالة على صحة ماذهب اليه هؤلاء لمن أمعن النظر والله أعلم

وأما من زعم انها دالة على معرفة المدد وانه يستخرج من ذلك أوقات الحوادث والفتن والملاحم فقد ادعى ماليس له، وطار في غير مطاره، وقد ورد في ذلك حديث ضعيف وهو مع ذلك أدل على بطلان هذا المسلك من التمسك به على صحته وهو مارواه محمد بن اسحق بن يسار صاحب المغازي حدثني الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس عن جابر بن عبد الله بن رياب قال مر ابو ياسر بن أخطب في رجال من يهود برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتلو فاتحة سورة البقرة (الم ذلك الكتاب لاريب فيه) فاتى أخاه حيي بن أخطب في رجال من اليهود فقال تعلمون والله لقد سمعت محمدا يتلو فيما أنزل الله تعالى عليه (الم ذلك الكتاب لاريب فيه) فقال أنت سمعته قال نعم قال فمشى حيي بن أخطب في أولئك النفر من اليهود الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يامحمد ألم يذكر أنك تتلو فيما انزل الله عليك (الم ذلك الكتاب)؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «بلى» فقالوا جاءك بهذا جبريل من عند الله؟ فقال «نعم» قالوا لقد بعث الله قبلك أنبياء ما نعلمه بين لنبي منهم ما مدة ملكه وما أجل أمته غيرك. فقام حيي بن أخطب وأقبل على من كان معه فقال لهم الالف واحدة واللام ثلاثون والميم أربعون فهذه احدى وسبعون سنة أفتدخلون في دين نبي انما مدة ملكه وأجل أمته احدى وسبعون سنة؟ ثم أقبل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يامحمد هل مع هذا غيره فقال نعم، قال ماذاك؟ قال «المص» قال هذا أثقل وأطول، الالف واحد واللام ثلاثون والميم أربعون والصاد تسعون فهذه احدى وثلاثون ومائة سنة. هل مع هذا يامحمد غيره؟ قال: نعم، قال ما ذاك؟ قال الر. قال هذا أثقل وأطول الالف واحدة واللام ثلاثون والراء مائتان فهذه احدى وثلاثون ومائتا سنة. فهل مع هذا يامحمد غيره؟ قال «نعم» قال ماذا قال «المر» قال هذه أثقل وأطول الالف واحدة واللام ثلاثون والميم أربعون والراء مائتان فهذه احدى وسبعون ومائتان ثم قال: لقد لبس علينا أمرك يامحمد حتى ما ندري أقليلا أعطيت أم كثيرا. ثم قال قوموا عنه، ثم قال أبو ياسر لاخيه حيي بن أخطب ولمن معه من

انما أقسم الله بهذه الحروف لشرفها وفضلها لانها مباني كتبه المنزلة ومبادي أسمائه الحسنى

(١) هذا حجة على التخصيص بدفع بعض إيراده قبله، ولكن الاستقراء غير تام لأن سورة مريم ليست كذلك وقد بينا حكمتها في تفسير المنار

الاحبار ما يدريكم لعله قد جمع هذا لمحمد كله احدى وسبعون واحدى وثلاثون ومائة واحدى وثلاثون ومائتان واحدى وسبعون ومائتان فذلك سبعمائة وأربع سنين ؟ فقالوا لقد تشابه علينا أمره فيزعمون ان هؤلاء الا يات نزلت فيهم (هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات) فهذا الحديث مداره على محمد بن السائب الكلبي وهو ممن لا يحتج بما انفرد به(١) ثم كان مقتضى هذا المسلك ان كان صحيحا ان يحسب ما لكل حرف من الحروف الاربعة عشر التي ذكرناها وذلك يبلغ منه جملة كثيرة وان حسبت مع التكرر فاطم وأعظم والله أعلم

(١) بل هو متهم بالكذب كما صرحوا به

﴿ ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين ﴾

قال ابن جريج قال ابن عباس ذلك الكتاب أي هذا الكتاب وكذا قال مجاهد وعكرمة وسعيد ابن جبير والسدي ومقاتل بن حيان وزيد ابن أسلم وابن جريج ان ذلك بمعنى هذا والعرب تعارض بين اسمي الاشارة فيستعملون كلا منهما مكان الآخر وهذا معروف في كلامهم وقد حكاه البخاري عن معمر بن المثنى عن أبي عبيدة وقال الزمخشري ذلك اشارة الى (الم) كما قال تعالى (لافارض ولا بكر عوان بين ذلك) وقال تعالى (ذلكم حكم الله يحكم بينكم) وقال (ذلكم الله) وأمثال ذلك مما اشير به الى ما تقدم ذكره والله أعلم . وقد ذهب بعض المفسرين فيما حكاه القرطبي وغيره ان ذلك اشارة الى القرآن الذي وعد الرسول صلى الله عليه وسلم بانزاله عليه أو التوراة أو الانجيل أو نحو ذلك في أقوال عشرة . وقد ضعف هذا المذهب كثيرون والله أعلم .

والكتاب القرآن ومن قال : ان المراد بذلك الكتاب الاشارة الى التوراة والانجيل كما حكاه ابن جرير وغيره فقد أبعد النجعة وأغرق في النزع وتكلف ما لا علم له به . والريب الشك قال السدي عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود وعن أناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا ريب فيه) لا شك فيه وقال أبو الدرداء (٢)

(٢) قوله أبو الدرداء الخ لم يذكر بعد سرد الاسماء مقول القول ولعله «مثله» أي مثل ما قبله

قوله ﴿ذلك الكتاب﴾ أي هذا الكتاب وهو القرآن وقيل هذا فيه مضمر أي هذا ذلك الكتاب قال الفراء كان الله قد وعد نبيه صلى الله عليه وسلم ان ينزل عليه كتابا لا يمحوه الماء ولا يخلق عن كثرة الرد فلما أنزل الله القرآن قال هذا ذلك الكتاب الذي وعدتك أن أنزله عليك في التوراة والانجيل وعلى لسان النبيين من قبلك ، وهذا للتقريب وذلك للتبعيد ، وقال ابن كيسان : ان الله تعالى أنزل قبل سورة البقرة سورا كذّب بها المشركون ثم أنزل سورة البقرة فقال (ذلك الكتاب) يعني ما تقدم البقرة من السور لا شك فيه. والكتاب مصدر وهو بمعنى المكتوب كما يقال للمخلوق خلق وهذا الدرهم ضرب فلان أي مضروبه. وأصل الكتب الضم والجمع ويقال للجند كتيبة لاجتماعها وسمي الكتاب كتابا لانه جمع حرف الى أحرف

قوله تعالى ﴿لا ريب فيه﴾ أي لا شك فيه انه من عند الله وانه الحق والصدق وقيل هو خبر بمعنى

وابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وأبو مالك ونافع مولى ابن عمر وعطاء وأبو العالية والربيع بن أنس ومقاتل بن حيان والسدي وقتادة واسمعيل بن أبي خالد — وقال ابن أبي حاتم لا أعلم في هذا خلافا. وقد يستعمل الريب في التهمة قال جميل

بثينة قالت ياجميل أربتني فقلت كلانا يابثين مريب

واستعمل أيضا في الحاجة كما قال بعضهم:

قضينا من تهامة كل ريب وخيبر ثم أجمعنا السيوفا

ومعنى الكلام هنا ان هذا الكتاب هو القرآن لا شك فيه انه نزل من عند الله كما قال تعالى في السجدة (الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين) وقال بعضهم هذا خبر ومعناه النهي أي لا ترتابوا فيه. ومن القراء من يقف على قوله تعالى (لا ريب) ويبتدىء بقوله تعالى (فيه هدى المتقين) والوقف على قوله تعالى (لا ريب فيه) أولى للآية التي ذكرناها ولانه يصير قوله تعالى (هدى) صفة للقرآن وذلك أبلغ من كون فيه هدى. وهدى يحتمل من حيث العربية ان يكون مرفوعا على النعت ومنصوبا على الحال وخصت الهداية المتقين كما قال (قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى اولئك ينادون من مكان بعيد (وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا) الى غير ذلك من الآيات الدالة على اختصاص المؤمنين بالنفع بالقرآن لانه هو في نفسه هدى ولكن لا يناله الا الابرار كما قال تعالى (يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين) وقد قال السدي عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود وعن أناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم (هدى للمتقين) يعني نورا للمتقين وقال أبو روق عن الضحاك عن ابن عباس قال هدى للمتقين قال هم المؤمنون الذين يتقون الشرك بي ويعملون بطاعتي وقال محمد بن اسحق عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس (للمتقين) قال الذين يحذرون من الله عقوبته في ترك ما يعرفون من الهدى ويرجون رحمته في التصديق بما جاء به وقال سفيان الثوري عن رجل عن الحسن البصري قوله تعالى للمتقين قال: اتقوا ما حرم الله عليهم وأدوا ما افترض عليهم، وقال ابو بكر بن عياش سألني الاعمش عن المتقين قال فاجبته فقال لي سل عنها الكلبي فسألته فقال الذين يجتنبون كبائر الاثم قال فرجعت الى الاعمش

النهي أي لاترتابوا فيه كقوله تعالى (فلا رفث ولافسوق) أي لاترفثوا ولا تفسقوا ■ قرأ ابن كثير فيه بالاشباع في الوصل وكذلك كل هاء كناية قبلها ساكن يشبعها وصلا ما لم يلقها ساكن ثم ان كان الساكن قبل الهاء ياء يشبعها بالكسر ياء وان كان غيرها يشبعها بالضم واوا ووافقه حفص في قوله (فيه مهانا) فاشبعه

قوله تعالى (هدى للمتقين) يدغم الغنة عند اللام والراء أبو جعفر وابن كثير وحمزة والكسائي

فقال يرى انه كذلك ولم ينكره . وقال قتادة المتقين هم الذين نعتهم الله بقوله(الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة) الآية والتي بعدها واختيار ابن جرير ان الآية تعم ذلك كله وهو كما قال . وقد روى الترمذي وابن ماجه من رواية أبي عقيل عبد الله بن عقيل عن عبد الله بن يزيد عن ربيعة ابن يزيد وعطية بن قيس عن عطية السعدي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يبلغ العبد ان يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذرا مما به بأس »ثم قال الترمذي حسن غريب وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبد الله بن عمران عن اسحق بن سليمان يعني الرازي عن المغيرة بن مسلم عن ميمون أبي حمزة قال : كنت جالسا عند ابى وائل فدخل علينا رجل يقال له أبو عفيف من أصحاب معاذ فقال له شقيق بن سلمة يا أباعفيف ألا تحدثنا عن معاذ بن جبل قال بلى سمعته يقول يحبس الناس يوم القيامة في بقيع واحد فينادي مناد أين المتقون؟ فيقومون في كنف من الرحمن لا يحتجب الله منهم ولا يستتر . قلت من المتقون قال قوم اتقوا الشرك وعبادة الاوثان وأخلصوا لله العبادة فيمرون الى الجنة. ويطلق الهدى ويراد به مايقر في القلب من الايمان وهذا لا يقدر على خلقه في قلوب العباد الا الله عز وجل قال الله تعالى (انك لاتهدي من أحببت) وقال(ليس عليك هداهم) وقال (من يضلل الله فلا هادي له) وقال(من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا) الى غير ذلك من الآيات ويطلق ويراد به بيان الحق وتوضيحه والدلالة عليه والارشاد اليه قال الله تعالى (وانك لتهدي الى صراط مستقيم) وقال (انما أنت منذر ولكل قوم هاد) وقال تعالى (واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى) وقال (وهديناه النجدين) على تفسير من قال المراد بهما الخير والشر وهو الارجح والله أعلم وأصل التقوى التوقي مما يكره لان أصلها وقوى من الوقاية قال النابغة

سقط النصيف ولم ترد اسقاطه ... فتناولته واتقتنا باليد

وقال الآخر : فالقت قناعا دونه الشمس واتقت ... باحسن موصولين كف ومعصم

وقد قيل ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه سأل أبي بن كعب عن التقوى فقال له أما سلكت طريقا ذا شوك؟ قال بلى ، قال فما عملت قال شمرت واجتهدت قال فذلك التقوى. وقد أخذ هذا المعنى ابن المعتز فقال

خل الذنوب صغيرها ... وكبيرها ذاك التقى
واصنع كماش فوق أر ... ض الشوك يحذر ما يرى
لا تحقرن صغيرة ... ان الجبال من الحصى

وأنشد أبو الدرداء يوما

يريد المرء أن يؤتى مناه ... ويأبى الله الا ما أرادا
يقول المرء فائدتي ومالي ... وتقوى الله أفضل ما استفادا

وفي سنن ابن ماجه عن أبي أمامة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما استفاد المرء بعد تقوى الله خيرا من زوجة صالحة ان نظر اليها سرته، وان أمرها أطاعته ، وان اقسم عليها

زاد حمزة والكسائي عند الياء وزاد حمزة عند الواو والآخرون لا يدغمونها ويخفي أبو جعفر النون

أبرته، وان غاب عنها نصحته في نفسها وماله »

(الذين يؤمنون بالغيب)

قال أبو جعفر الرازي عن العلاء بن المسيب ابن رافع عن أبي اسحق عن أبي الاحوص عن عبد الله قال الايمان التصديق، وقال علي بن أبي طلحة وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما يؤمنون يصدقون وقال معمر عن الزهري: الايمان العمل، وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس يؤمنون يخشون

قال ابن جرير: والاولى ان يكونوا موصوفين بالايمان بالغيب قولا واعتقادا وعملا وقد تدخل الخشية لله في معنى الايمان الذي هو تصديق القول بالعمل، والايمان كلمة جامعة للايمان بالله وكتبه ورسله وتصديق الاقرار بالفعل (قلت) أما الايمان في اللغة فيطلق على التصديق المحض وقد يستعمل في القرآن والمراد به ذلك كما قال تعالى (يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين) وكما قال اخوة يوسف لابيهم (وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين) وكذلك اذا استعمل مقرونا مع الاعمال كقوله تعالى (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) فاما اذا استعمل مطلقا فالايمان الشرعي المطلوب لا يكون الا اعتقادا وقولا وعملا. هكذا ذهب اليه أكثر الائمة بل قد حكاه الشافعي وأحمد بن حنبل وأبو عبيدة وغير واحد اجماعا: ان الايمان قول وعمل يزيد وينقص وقد ورد فيه آثار كثيرة وأحاديث أفردنا الكلام فيها في أول شرح البخاري ولله الحمد والمنة. ومنهم من فسره بالخشية كقوله تعالى (ان الذين يخشون ربهم بالغيب) وقوله (من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب) والخشية خلاصة الايمان والعلم كما قال تعالى (انما يخشى الله من عباده العلماء) وقال بعضهم يؤمنون بالغيب كما يؤمنون بالشهادة وليسوا كما قال تعالى عن المنافقين (واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزؤن) وقال (اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون) فعلى هذا يكون قوله بالغيب حالا أي في حال كونهم غيبا عن الناس

وأما الغيب المراد ههنا فقد اختلفت عبارات السلف فيه وكلها صحيحة ترجع الى ان الجميع مراد، قال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية في قوله تعالى (يؤمنون بالغيب) قال يؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وجنته وناره ولقائه ويؤمنون بالحياة بعد الموت وبالبعث، فهذا غيب كله. وكذا قال قتادة بن دعامة وقال السدي عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أما الغيب فما غاب عن العباد من أمر الجنة وأمر النار وما ذكر في القرآن، وقال محمد بن اسحق عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس بالغيب قال بما جاء منه - يعني من الله تعالى - وقال سفيان الثوري عن عاصم عن زر قال الغيب

والتنوين عند الخاء والغين (هدى للمتقين) أي هو هدى أي رشد وبيان لاهل التقوى، وقيل هو نصب على الحال أي هاديا تقديره لا ريب في هدايته للمتقين والهدى ما يهتدي به الانسان المتقين

القرآن وقال عطاء بن أبي رباح من آمن بالله فقد آمن بالغيب وقال اسمعيل بن ابي خالد يؤمنون بالغيب قال بغيب الاسلام وقال زيد بن أسلم الذين يؤمنون بالغيب قال بالقدر . فكل هذه متقاربة في معنى واحد لان جميع هذه المذكورات من الغيب الذى يجب الايمان به

وقال سعيد بن منصور حدثنا أبو معاوية عن الاعمش عن عمارة بن عمير عن عبد الرحمن بن يزيد قال كنا عند عبد الله بن مسعود جلوسا فذكرنا أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وما سبقونا به فقال عبد الله ان أمر محمد صلى الله عليه وسلم كان بينا لمن رآه والذي لا اله غيره ما آمن أحد قط ايمانا أفضل من ايمان بغيب ثم قرأ (الم ٭ ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب — الى قوله — المفلحون) وهكذا رواه ابن ابي حاتم وابن مردويه والحاكم في مستدركه من طرق عن الاعمش به وقال الحاكم صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . وفي معنى هذا الحديث الذى رواه أحمد حدثنا أبو المغيرة أنا الاوزعي حدثني أسد بن عبد الرحمن عن خالد بن دريك عن ابن محيريز قال قلت لابي جمعة حدثنا حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم أحدثك حديثا جيدا : تغدينا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعنا أبو عبيدة بن الجراح فقال يا رسول الله هل أحد خير منا ؟ أسلمنا معك وجاهدنا معك . قال « نعم قوم من بعدكم يؤمنون بي ولم يروني » طريق أخرى قال أبو بكر بن مردويه في تفسيره حدثنا عبد الله بن جعفر حدثنا اسمعيل عن عبد الله بن مسعود(١) حدثنا عبد الله بن صالح حدثنا معاوية بن صالح عن صالح بن جبير قال قدم علينا أبو جمعة الانصاري صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ببيت المقدس يصلي فيه ومعنا يومئذ رجاء بن حيوة رضي الله عنه فلما انصرف خرجنا نشيعه فلما أراد الانصراف قال ان لكم جائزة وحقا أحدثكم بحديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قلنا هات رحمك الله قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعنا معاذ بن جبل عاشر عشرة فقلنا يا رسول الله هل من قوم أعظم منا أجرا ؟ آمنا بالله واتبعناك ، قال « ما يمنعكم من ذلك ورسول الله بين أظهركم يأتيكم بالوحي من السماء بل قوم بعدكم يأتيهم كتاب من بين لوحين يؤمنون به ويعملون بما فيه أولئك أعظم منكم أجرا » مرتين — ثم رواه من حديث ضمرة بن ربيعة عن مرزوق بن نافع عن صالح بن جبير عن أبي جمعة بنحوه . وهذا الحديث فيه دلالة على العمل بالوجادة التي اختلف فيها أهل الحديث كما قررته في أول شرح البخاري لانه مدحهم على ذلك وذكر انهم أعظم أجرا من هذه الحيثية لا مطلقا وكذا الحديث الآخر الذي رواه الحسن بن عرفة العبدي حدثنا اسمعيل بن عياش الحمصي عن المغيرة بن قيس التميمي عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أي الخلق أعجب اليكم ايمانا ؟ قالوا الملائكة قال « وما لهم لا يؤمنون وهم عند ربهم ؟ قالوا فالنبيون قال « وما لهم لا يؤمنون والوحي ينزل عليهم ؟ قالوا فنحن قال « وما لكم لا تؤمنون

«١» كذا في الاصل

أي للمؤمنين . قال ابن عباس : المتقي من يتقي الشرك والكبائر والفواحش وهو مأخوذ من الاتقاء وأصله الحجز بين شيئين ومنه يقال اتقى بترسه أي جعله حاجزا بين نفسه وبين ما يقصده . وفي الحديث

وانا بين أظهركم ؟ قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ألا ان أعجب الخلق الي ايمانا لقوم يكونون من بعدكم يجدون صحفا فيها كتاب يؤمنون بما فيها» قال أبوحاتم الرازي: المغيرة بن قيس البصري منكر الحديث (قلت) ولكن قد روى أبو يعلى في مسنده وابن مردويه في تفسيره والحاكم في مستدركه من حديث محمد بن حميد - وفيه ضعف - عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثله أو نحوه وقال الحاكم صحيح الاسناد ولم يخرجاه وقد روي نحوه عن أنس بن مالك مرفوعا والله أعلم، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبد الله بن محمد المسندي حدثنا اسحق بن ادريس أخبرني

« كنا اذا احمر البأس اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم » أي اذا اشتد الحرب جعلناه حاجزا بيننا و بين العدو، فكان المتقي يجعل امتثال أمر الله والاجتناب عما نهاه حاجزا بينه وبين العذاب، قال عمر ابن الخطاب لكعب الاحبار (١) حدثني عن التقوى فقال هل أخذت طريقا ذا شوك قال نعم. قال فما عملت فيه قال حذرت وشمرت: قال كعب: ذلك التقوى وقال شهر بن حوشب: المتقي الذي يترك ما لا بأس به حذرا لما به بأس وقال عمر عبدالعزيز: التقوى ترك ما حرم الله واداء ما افترض الله فما رزق الله بعد ذلك فهو خير الى خير. وقيل هو الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم وفي الحديث «جماع التقوى في قوله تعالى (ان الله يأمر بالعدل والاحسان) الآية وقال ابن عمر: التقوى ان لا ترى نفسك خيرا من أحد. وتخصيص المتقين بالذكر تشريف لهم أو لأنهم هم المنتفعون بالهدى

قوله تعالى ﴿ الذين يؤمنون ﴾ موضع الذين خفض نعتا للمتقين يؤمنون يصدقون ويترك همزه أبو عمرو وورش والآخرون يهمزونه وكذلك يتركان كل همزة ساكنة هي فاء الفعل نحو يؤمن ومؤمن الا أحرفا معدودة. وحقيقة الايمان التصديق بالقلب قال الله تعالى (وما أنت بمؤمن لنا) أي بمصدق لنا وهو في الشريعة الاعتقاد بالقلب والاقرار باللسان والعمل بالاركان فسمى الاقرار والعمل ايمانا لوجه من المناسبة لأنه من شرائعه والاسلام هو الخضوع والانقياد فكل ايمان اسلام وليس كل اسلام ايمانا اذا لم يكن معه تصديق قال الله تعالى (قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا) وذلك لان الرجل قد يكون مستسلما في الظاهر غير مصدق في الباطن ويكون مصدقا في الباطن غير منقاد في الظاهر وقد اختلف جواب النبي صلى الله عليه وسلم عنهما حين سأله جبريل عليه السلام وهو ما أخبرنا أبوطاهر محمد بن علي بن محمد بن علي بن محمد بن يويه الزراد البخاري: أنا أبو القاسم علي بن احمد الخزاعي ثنا أبوسعيد الهيثم بن كليب الشاشي ثنا أبو أحمد عيسى بن احمد العسقلاني أنا يزيد بن هرون أنا كهمس ابن الحسن عن عبدالله بن بريدة عن يحيى بن يعمر قال كان أول من تكلم في القدر يعني بالبصرة معبد الجهني فخرجت أنا وحميد بن عبد الرحمن نريد مكة فقلنا لو لقينا أحدا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألناه عما يقول هؤلاء، فلقينا عبدالله بن عمر فاكتنفته أنا وصاحبي أحدنا عن يمينه والآخر عن شماله فعلمت انه سيكل الكلام الي فقلت: أبا عبد الرحمن انه قد ظهر قبلنا أناس يتقفرون هذا العلم ويطلبونه يزعمون ان لا قدر انما الامر أنف قال فاذا لقيت أولئك فاخبرهم اني منهم بريء

(١) كذا في جميع النسخ وفي ابن كثير الا المسؤل هو أبي بن كعب لا كعب الاحبار

ابراهيم بن جعفر بن محمود بن سلمة الانصاري أخبرني جعفر بن محمود عن جدته بديلة بنت أسلم قالت صليت الظهر أو العصر في مسجد بني حارثة فاستقبلنا مسجد ايلياء فصلينا سجدتين ثم جاءنا من يخبرنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استقبل البيت الحرام فتحول النساء مكان الرجال والرجال مكان النساء فصلينا السجدتين الباقيتين ونحن مستقبلون البيت الحرام قال ابراهيم فحدثني رجال من بني حارثة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بلغه ذلك قال «أولئك قوم آمنوا بالغيب» هذا حديث غريب من هذا الوجه

وانهم مني براء والذي نفسي بيده لو أن لاحدهم مثل أحد ذهبا فأنفقه في سبيل الله ما قبل الله منه شيئا حتى يؤمن بالقدر خيره وشره ثم قال حدثنا عمر بن الخطاب قال: بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أقبل رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر ما يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد فاقبل حتى جلس بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وركبته تمس ركبته فقال يامحمد اخبرني عن الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الاسلام(١)تشهد انلااله الاالله وأن محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤدي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلا قال صدقت فتعجبنا من سؤاله وتصديقه . ثم قال فما الايمان قال ان تؤمن بالله وحده وملائكته وكتبه ورسله و بالبعث بعد الموت والجنة والنار و بالقدر خيره وشره فقال صدقت ثم قال فما الاحسان قال ان تعبدالله كانك(٢)تراه فانك انلم تكن تراه فانه يراك قال صدقت ثم قال فاخبرني عن الساعة فقال ما المسئول عنها بأعلم من السائل قال صدقت قال فاخبرني عن أمارتها قال ان تلد الامة ربتها وان ترى الحفاة العراة رعاء الشاء يتطاولون في بنيان المدر قال صدقت ثم انطلق فلما كان بعد ثلاثة قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ياعمر هل تدرى من الرجل قال قلت الله ورسوله أعلم قال ذلك جبرئيل أتاكم يعلمكم أمر دينكم وما أتاني في صورة الا عرفته فيها الا في صورته هذه فالنبي صلى الله عليه وسلم جعل الاسلام في هذا الحديث اسما لما ظهر من الاعمال والايمان اسما لما بطن من الاعتقاد وليس ذلك لان الاعمال ليست من الايمان والتصديق بالقلب ليس من الاسلام بل ذلك تفصيل لجملة هي كلها شيء واحد وجماعها الدين ولذلك قال ذلك جبرائيل أتاكم يعلمكم دينكم والدليل على ان الاعمال من الايمان ما أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أنا ابو القاسم ابراهيم بن محمد بن على بن الشاه ثنا أبو أحمد بن محمد بن قريش بن سليمان ثنا بشير بن موسى ثنا خلف ابن الوليد عن جرير الرازي عن سهيل بن أبي صالح عن عبد الله بن دينار عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الايمان بضع وسبعون شعبة أفضلها قول لا إله الا الله وأدناها اماطة الاذى عن الطريق والحياء شعبة من الايمان والايمان مأخوذ من الامان فسمى المؤمن مؤمنا لانه يؤمن نفسه من عذاب الله والله تعالى مؤمن لانه يؤمن العباد من عذابه قوله (بالغيب) والغيب

(١) ن الاسلام أن تشهد
(٢) ن بحذف فانك

﴿ ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ﴾

قال ابن عباس ويقيمون الصلاة أي يقيمون الصلاة بفروضها وقال الضحاك عن ابن عباس اقامة الصلاة اتمام الركوع والسجود والتلاوة والخشوع والاقبال عليها فيها، وقال قتادة اقامة الصلاة المحافظة على مواقيتها ووضوئها وركوعها وسجودها وقال مقاتل بن حيان اقامتها المحافظة على مواقيتها واسباغ الطهور فيها وتمام ركوعها وسجودها وتلاوة القرآن فيها والتشهد والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فهذا اقامتها

وقال علي بن أبي طلحة وغيره عن ابن عباس (ومما رزقناهم ينفقون) قال زكاة اموالهم ، وقال السدي عن ابي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن اناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم (ومما رزقناهم ينفقون) قال نفقة الرجل على اهله وهذا قبل ان تنزل الزكاة وقال جويبر عن الضحاك كانت النفقات قربانا يتقربون بها الى الله على قدر ميسرتهم وجهدهم حتى نزلت فرائض الصدقات سبع آيات في سورة براءة مما يذكر فيهن الصدقات هن الناسخات المثبتات وقال قتادة (ومما رزقناهم ينفقون) فأنفقوا مما أعطاكم الله ، هذه الاموال عوار وودائع عندك يا ابن آدم يوشك ان تفارقها .

واختار ابن جرير ان الآية عامة في الزكاة والنفقات فانه قال وأولى التأويلات وأحقها بصفة القوم ان يكونوا لجميع اللازم لهم في أموالهم مؤدين — زكاة كانت ذلك أو نفقة من لزمته نفقته من أهل أو

مصدر وضع موضع الاسم فقيل للغائب غيب كما قيل للعادل عدل وللزائر زور والغيب ما كان مغيبا عن العيون قال ابن عباس الغيب ههنا كل ما أمرت بالايمان به فيما غاب عن بصرك من الملائكة والبعث والجنة والنار والصراط والميزان وقيل الغيب ههنا هو الله تعالى وقيل القرآن وقال الحسن الآخرة وقال زر بن حبيش وابن جريج الوحي نظيره (أعنده علم الغيب) وقال ابن كيسان القدر وقال عبد الرحمن بن يزيد كنا عند عبد الله بن مسعود فذكرنا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وما سبقوا به فقال عبد الله ان أمر محمد كان بينا لمن رآه والذي لا اله غيره ما آمن أحد قط ايمانا أفضل من ايمان بغيب ثم قرأ (الم ذلك الكتاب — الى قوله — المفلحون) قرأ أبو جعفر وأبو عمرو وورش يؤمنون بترك الهمزة وكذلك يترك أبو جعفر كل همزة ساكنة الا في أنبئهم وينبئهم ونبئنا ويترك أبو عمرو كلها الا أن يكون علامة للجزم نحو نبئهم وأنبئهم وتسؤهم وتسؤكم وان نشأها وننشأها ونحوها أو يكون خروجا من لغة الى اخرى نحو مؤصدة ورئيا ويترك ورش كل همزة ساكنة كانت فاء الفعل الا تؤوى وتؤويه ولا يترك من عين الفعل الا الرؤيا وبابه الا ما كان على وزن فَعَل

قوله (ويقيمون الصلاة) أي يديمونها ويحافظون عليها في مواقيتها بحدودها ، وأركانها وهيئاتها يقال قام بالامر ، وأقام الامر اذا أتى به معطيا حقوقه والمراد بها الصلوات الخمس ذكر بلفظ الواحد كقوله تعالى فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق يعني الكتب والصلاة

عيال وغيرهم ممن يجب عليهم نفقته بالقرابة والملك وغير ذلك لان الله تعالى عم وصفهم ومدحهم بذلك وكل من الانفاق والزكاة ممدوح به محمود عليه (قلت) كثيرا ما يقرن الله تعالى بين الصلاة والانفاق من الاموال فان الصلاة حق الله وعبادته وهي مشتملة على توحيده والثناء عليه وتمجيده والابتهال اليه ودعائه والتوكل عليه، والانفاق هو من الاحسان الى المخلوقين بالنفع المتعدي اليهم، وأولى الناس بذلك القرابات والاهلون والمماليك، ثم الاجانب فكل من النفقات الواجبة والزكاة المفروضة داخل في قوله تعالى (ومما رزقناهم ينفقون) ولهذا ثبت في الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «بني الاسلام على خمس شهادة ان لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت» والاحاديث في هذا كثيرة وأصل الصلاة في كلام العرب الدعاء. قال الاعشى

لها حارس لا يبرح الدهر بيتها * وان ذبحت صلى عليها وزمزما

وقال أيضا: وقابلها الريح في دنها * وصلى على دنها وارتسم

أنشدهما ابن جرير مستشهدا على ذلك. وقال الآخر وهو الاعشى أيضا

تقول بنتي وقد قربت مرتحلا * يارب جنب أبي الاوصاب والوجعا

عليك مثل الذي صليت فاغتمضي * نوما فان لجنب المرء مضطجعا

يقول عليك من الدعاء مثل الذي دعيته لي. وهذا ظاهر ثم استعملت الصلاة في الشرع في ذات الركوع والسجود والافعال المخصوصة في الاوقات المخصوصة بشروطها المعروفة وصفاتها وانواعها المشهورة. قال ابن جرير وأرى ان الصلاة سميت صلاة لان المصلي يتعرض لاستنجاح طلبته من ثواب الله بعمله مع ما يسأل ربه من حاجاته وقيل هي مشتقة من الصلوين اذا تحركا في الصلاة عند الركوع والسجود وهما عرقان يمتدان من الظهر حتى يكتنفان عجب الذنب ومنه سمى المصلي وهو التالي للسابق في حلبة الخيل، وفيه نظر. وقيل هي مشتقة من الصلى وهو الملازمة للشيء من قوله تعالى (لا يصلاها) أي لا يلزمها ويدوم فيها (الا الاشقى) وقيل مشتقة من تصلية الخشبة في النار لتقوّم كما ان المصلي يقوم عوجه بالصلاة (ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر) واشتقاقها من

في اللغة الدعاء قال الله تعالى (فصلّ عليهم) أي ادع لهم، وفي الشريعة اسم لافعال مخصوصة من قيام وركوع وسجود وقعود ودعاء وثناء وقيل في قوله تعالى (ان الله وملائكته يصلون على النبي) الآية ان الصلاة من الله في هذه الآية الرحمة ومن الملائكة الاستغفار ومن المؤمنين الدعاء قوله ﴿ومما رزقناهم﴾ أي أعطيناهم والرزق اسم لكل ما ينتفع به حتى الولد والعبد وأصله في اللغة الحظ والنصيب ﴿ينفقون﴾ يتصدقون قال قتادة ينفقون في سبيل الله وطاعته وأصل الانفاق الاخراج عن اليد والملك ومنه نفاق السوق لانه يخرج فيه السلعة عن اليد ومنه نفقت الدابة اذا خرجت روحها فهذه الآية في المؤمنين من مشركي العرب

الدعاء أصح وأشهر والله أعلم

وأما الزكاة فسيأتي الكلام عليها في موضعه ان شاء الله تعالى

(والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون)

قال ابن عباس والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك أي يصدقون بما جئت به من الله وماجاء به من قبلك من المرسلين لايفرقون بينهم ولا يجحدون ماجاؤهم به من ربهم وبالآخرة هم يوقنون أي بالبعث والقيامة والجنة والنار والحساب والميزان وانما سميت الآخرة لأنها بعد الدنيا وقد اختلف المفسرون في الموصوفين هنا، هل هم الموصوفون بما تقدم من قوله تعالى (الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون) ومن هم على ثلاثة أقوال حكاها ابن جرير أحدها ان الموصوفين أولاهم الموصوفون ثانيا وهم كل مؤمن مؤمنو العرب ومؤمنو أهل الكتاب وغيرهم قاله مجاهد وأبو العالية والربيع بن انس وقتادة، والثاني هما واحد وهم مؤمنو اهل الكتاب وعلى هذين تكون الواو عاطفة صفات على صفات كما قال تعالى (سبح اسم ربك الاعلى الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى والذي اخرج المرعى فجعله غثاء احوى) وكما قال الشاعر

الى الملك القرم وابن الهمام * وليث الكتيبة في المزدحم

فعطف الصفات بعضها على بعض والموصوف واحد والثالث ان الموصوفين أولا مؤمنو العرب والموصوفون ثانيا بقوله (والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون) لمؤمني أهل الكتاب نقله السدى في تفسيره عن ابن عباس وابن مسعود وأناس من الصحابة واختاره ابن جرير رحمه الله ويستشهد لما قال بقوله تعالى (وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل اليكم وما أنزل اليهم خاشعين لله) الآية وبقوله تعالى (الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرؤن بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون) وبما ثبت في الصحيحين من حديث الشعبي عن أبي بردة عن أبي موسى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بي ورجل مملوك أدى حق الله وحق مواليه ورجل أدب جاريته فاحسن تأديبها ثم أعتقها وتزوجها» وأما ابن جرير فما استشهد على صحة ما قال الا بمناسبة وهي ان الله

قوله ﴿والذين يؤمنون بما أنزل اليك﴾ يعني القرآن ﴿وما أنزل من قبلك﴾ من التوراة والانجيل وسائر الكتب المنزلة على الانبياء عليهم الصلاة والسلام. ويترك أبوجعفر وابن كثير وقالون وأهل البصرة ويعقوب كل مد يقع بين كل كلمتين والآخرون يمدونها وهذه الآية في المؤمنين من أهل الكتب قوله ﴿وبالآخرة﴾ أي بالدار الآخرة سميت الدنيا دنيا لدنوها من الآخرة وسميت الآخرة آخرة لتأخرها وكونها بعد الدنيا ﴿هم يوقنون﴾ أي يستيقنون انها كائنة من الايقان وهو العلم وقيل الايقان واليقين علم عن استدلال ولذلك لايسمى الله موقنا ولا علمه يقينا إذ ليس علمه عن استدلال

وصف في أول هذه السورة المؤمنين والكافرين فكما انه صنف الكافرين الى صنفين كافر ومنافق فكذلك المؤمنون صنفهم الى صنفين عربي وكتابي (قلت) والظاهر قول مجاهد فيما رواه الثوري عن رجل عن مجاهد ورواه غير واحد عن ابن أبي نجيح عن مجاهد انه قال: أربع آيات من أول سورة البقرة في نعت المؤمنين وآيتان في نعت الكافرين وثلاثة عشر في المنافقين فهذه الآيات الاربع عامات في كل مؤمن اتصف بها من عربي وعجمي وكتابي من انسي وجني وليس تصح واحدة من هذه الصفات بدون الاخرى بل كل واحدة مستلزمة للاخرى وشرط معها فلا يصح الايمان بالغيب واقام الصلاة والزكاة الا مع الايمان بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم وما جاء به من قبله من الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين والايقان بالآخرة كما ان هذا لا يصح الا بذلك وقد أمر الله المؤمنين بذلك كما قال (يا أيها الذين آمنوا أمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل) الآية وقال تعالى (ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هي أحسن الا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أنزل الينا وأنزل اليكم والهنا والهكم واحد) الاية وقال تعالى (يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم) وقال تعالى (قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل وما أنزل اليكم من ربكم) وأخبر تعالى عن المؤمنين كلهم بذلك فقال تعالى (آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون ، كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله)وقال تعالى (والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم) الى غير ذلك من الآيات الدالة على جميع أمر المؤمنين بالايمان بالله ورسله وكتبه لكن لمؤمني أهل الكتاب خصوصية وذلك أنهم يؤمنون بما بأيديهم مفصلا فاذا دخلوا في الاسلام وآمنوا به مفصلا كان لهم على ذلك الاجر مرتين واما غيرهم فانما يحصل له الايمان بما تقدم مجملا كما جاء في الصحيح « اذا حدثكم أهل الكتاب فلا تكذبوهم ولا تصدقوهم ولكن قولوا آمنا بالذي أنزل الينا وأنزل اليكم » ولكن قد يكون ايمان كثير من العرب بالاسلام الذي بعث به محمد صلى الله عليه وسلم أتم وأكمل وأعم وأشمل من ايمان من دخل منهم في الاسلام فهم وان حصل لهم أجران من تلك الحيثية فغيرهم يحصل له من التصديق ما ينيف ثوابه على الاجرين اللذين حصلا لهم والله أعلم

﴿ اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون ﴾

يقول الله تعالى (اولئك) أي المتصفون بما تقدم من الايمان بالغيب واقام الصلاة والانفاق

قوله (اولئك) أي أهل هذه الصفة وأولاء كلمة معناها والكناية عن جماعة نحوهم والكاف الخطاب كما في حرف ذلك (على هدى) أي رشد و بيان و بصيرة (من ربهم وأولئك هم المفلحون) الناجون والفائزون فازوا بالجنة ونجوا من النار و يكون الفلاح بمعنى البقاء أي باقون في النعيم المقيم وأصل الفلاح القطع والشق ومنه سمي الزراع فلاحا لانه يشق الارض وفي مثل: الحديد بالحديد يفلح

من الذي رزقهم الله والايمان بما أنزل الى الرسول ومن قبله من الرسل والايقان بالدار الاخرة وهو مستلزم الاستعداد لهامن الاعمال الصالحة وترك المحرمات(على هدى) أي على نور وبيان وبصيرة من الله تعالى(واولئك هم المفلحون)أي في الدنيا والآخرة ، وقال محمد بن اسحق عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس(اولئك على هدى من ربهم) أي على نور من ربهم واستقامة على ما جاءهم به(واولئك هم المفلحون)أي الذين ادركوا ماطلبوا، ونجوا من شر ما منه هربوا،

وقال ابن جرير وأما معنى قوله تعالى (أولئك على هدي من ربهم) فان معنى ذلك فانهم على نور من ربهم و برهان واستقامة وسداد بتسديده اياهم وتوفيقه لهم وتأويل قوله تعالى (وأولئك هم المفلحون) أي المنجحون المدركون ماطلبوا عند الله باعمالهم وايمانهم بالله وكتبه ورسله من الفوز بالثواب والخلود في الجنات والنجاة مما أعد الله لاعدائه من العقاب . وقد حكى ابن جرير قولا عن بعضهم انه أعاد اسم الاشارة في قوله تعالى (أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون) الى مؤمني أهل الكتاب الموصوفين بقوله تعالى (والذين يؤمنون بما أنزل اليك) الآية على ماتقدم من الخلاف. وعلى هذا فيجوز (١) ان يكون قوله تعالى (والذين يؤمنون بما أنزل اليك) منقطعا مما قبله و ن يكون مرفوعا على الابتداء وخبره(أولئك هم المفلحون)واختار انه عائد الى جميع من تقدم ذكره من مؤمني العرب وأهل الكتاب لما رواه السدى عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود وعن أناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . أما الذين يؤمنون بالغيب فهم المؤمنون من العرب والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك هم المؤمنون من أهل الكتاب ثم جمع الفريقين فقال(أولئك على هدى من ربهم) وأولئك هم المفلحون وقد تقدم من الترجيح ان ذلك صفة للمؤمنين عامة والاشارة عائدة عليهم والله أعلم

(١) كذا والقياس يجوز لان مابعد الفاء لا يعمل فيما قبلها

وقد نقل عن مجاهد وأبي العالية والربيع بن أنس وقتادة رحمهم الله(٢)وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا يحيي بن عثمان بن صالح المصري حدثنا أبي حدثنا ابن لهيعة حدثني عبيد الله بن المغيرة عن أبي الهيثم واسمه سليمان بن عبد الله عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم وقيل له يارسول الله انا نقرأ من القرآن فنرجو ونقرأ من القرآن فنكاد أن نيأس او كما قال قال «افلا اخبركم عن اهل الجنة واهل النار قالوا بلى يارسول الله قال(الم ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين) الى — قوله تعالى —المفلحون » هؤلاء اهل الجنة قالوا انا نرجو ان نكون هؤلاء ثم قال(ان الذين كفروا سواء عليهم الى قوله عظيم) هؤلاء اهل النار قالوا لسنا هم يارسول الله . قال : أجل

﴿ ان الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ﴾

يقول تعالى (ان الذين كفروا) اي غطوا الحق وستروه وقد كتب الله تعالى عليهم ذلك

أي يشق فهم المقطوع لهم بالخير في الدنيا والآخرة قوله(ان الذين كفروا) يعني مشركي العرب قال الكلبي

سواء عليهم انذارك وعدمه فانهم لايؤمنون بما جئتهم به . كما قال تعالى (ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لايؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الاليم) وقال تعالى في حق المعاندين من اهل الكتاب (ولئن اتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ماتبعوا قبلتك) الآية أي ان من كتب الله عليه الشقاوة فلا مسعد له ومن أضله فلا هادى له فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وبلغهم الرسالة فمن استجاب لك فله الحظ الاوفر ومن تولى فلا تحزن عليهم ولا يهمنك ذلك (فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب * انما انت نذير والله على كل شيء وكيل) وقال على بن ابى طلحة عن ابن عباس فى قوله تعالى (ان الذين كفروا سوا عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لايؤمنون) قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرص ان يؤمن جميع الناس ويتابعوه على الهدى فاخبره الله تعالى انه لايؤمن الا من سبق له من الله السعادة في الذكر الاول ولا يضل الا من سبق له من الله الشقاوة فى الذكر الاول، وقال محمد بن اسحق حدثني محمد بن أبي محمد عن عكرمة او سعيد بن جبير عن ابن عباس (ان الذين كفروا) اي بما أنزل اليك وان قالوا انا قد آمنا بما جاءنا قبلك (سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لايؤمنون) اي انهم قد كفروا بما عندهم من ذكرك وجحدوا ماأخذ عليهم من الميثاق وقد كفروا بما جاءك وبما عندهم مما جاءهم به غيرك فكيف يسمعون منك انذارا وتحذيرا وقد كفروا بما عندهم من علمك ، وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية قال نزلت هاتان الآيتان في قادة الاحزاب وهم الذين قال الله فيهم (ألم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا

يعنى اليهود والكفر هو الجحود وأصله من الستر ومنه سمى الليل كافرا لانه يستر الاشياء بظلمته وسمى الزراع كافرا لانه يستر الحب بالتراب فالكافر يستر الحق بجحوده. والكفر على أربعة انحاء كفر انكار وكفر جحود وكفر عناد وكفر نفاق فكفر الانكار هو ان لايعرف الله أصلا ولا يعترف به وكفر به وكفر الجحود هو ان يعرف الله بقلبه ولا يعترف بلسانه ككفر ابليس وكفر اليهود قال الله تعالى (فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به) وكفر العناد هو ان يعرف الله بقلبه ويعترف بلسانه ولا يدين به ككفر أبي طالب حيث يقول

ولقد علمت بأن دين محمد ■ من خير أديان البرية دينا
لولا الملامة أو حذار مسبة ■ لوجدتنى سمحا بذاك مبينا

وأما كفر النفاق فهو ان يقر باللسان ولا يعتقد بالقلب وجميع هذه الانواع سواء في أن من لقي الله تعالى بواحد منها لا يغفر له قوله ﴿ سواء عليهم ﴾ متساو لديهم ﴿ أأنذرتهم ﴾ خوفتهم وحذرتهم والانذار اعلام مع تخويف وتحذير فكل منذر معلم وليس كل معلم منذرا وحقق ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي الهمزتين في أأنذرتهم وكذلك كل همزتين تقعان في أول الكلمة والآخرون يلينون الثانية﴿أم﴾ حرف عطف على الاستفهام ﴿لم﴾ حرف جزم لا يلي الاالفعل لان الجزم يختص بالافعال ﴿تنذرهم لايؤمنون﴾ وهذه الآية في اقوام حقت عليهم كلمة الشقاوة في سابق علم الله ثم ذكر سبب تركهم

قومهم دار البوار ، جهنم يصلونها) والمعنى الذي ذكرناه أولا وهو المروي عن ابن عباس في رواية علي ابن أبي طلحة أظهر ويفسر ببقية الآيات التي في معناها والله أعلم

وقد ذكر ابن أبي حاتم ههنا حديثا فقال حدثنا أبي حدثنا يحيي بن عثمان بن صالح المصري حدثنا أبي حدثنا ابن لهيعة حدثني عبد الله بن المغيرة عن أبي الهيثم عن عبد الله بن عمر وقال قيل يارسول الله انا نقرأ من القرآن فنرجو ونقرأ فنكاد أن نيأس فقال «ألا أخبركم» ثم قال (ان الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون) هؤلاء أهل النار » قالوا لسنا منهم يارسول الله قال «أجل» وقوله تعالى (لا يؤمنون) محله من الاعراب انه جملة مؤكدة للتي قبلها (سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم) أي هم كفار فى كلا الحالين فلهذا أكد ذلك بقوله تعالى (لا يؤمنون) ويحتمل أن يكون لا يؤمنون خبرا لان تقديره ان الذين كفروا لا يؤمنون ويكون قوله تعالى (سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم) جملة معترضة والله أعلم

﴿ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم﴾

قال السدي ختم الله أي طبع الله وقال قتادة في هذه الآية استحوذ عليهم الشيطان اذ أطاعوه فختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة فهم لا يبصرون هدى ولا يسمعون ولا يفقهون ولا يعقلون وقال ابن جريج قال مجاهد ختم الله على قلوبهم قال الطبع ثبتت الذنوب على القلب فحفت به من كل نواحيه حتى تلتقي عليه فالتقاؤها عليه الطبع والطبع الختم. قال ابن جريج الختم على القلب والسمع قال ابن جريج وحدثني عبد الله بن كثير أنه سمع مجاهدا يقول : الران أيسر من الطبع ، والطبع أيسر من الاقفال ، والاقفال أشد من ذلك كله وقال الاعمش أرانا مجاهد بيده فقال كانوا يرون أن القلب في مثل هذه يعني الكف فاذا أذنب العبد ذنبا ضم منه وقال باصبعه الخنصر هكذا فاذا أذنب ضم وقال باصبع أخرى فاذا أذنب ضم وقال باصبع أخرى هكذا حتى ضم أصابعه كلها ثم قال يطبع عليه بطابع ، وقال مجاهد كانوا يرون ان ذلك الرين ، ورواه ابن جرير عن أبي كريب عن وكيع عن الاعمش عن مجاهد بنحوه ، قال ابن جرير وقال بعضهم انما معنى قوله تعالى (ختم الله على قلوبهم

الايمان فقال ﴿ختم الله﴾ أي طبع الله ﴿على قلوبهم﴾ فلا تعي خيرا ولا تفهمه وحقيقة الختم الاستيثاق من الشيء كيلا يدخله ما خرج منه ولا يخرج عنه ما فيه ومنه الختم على الباب قال أهل السنة أي حكم على قلوبهم بالكفر لما سبق من علمه الازلي فيهم وقال المعتزلة جعل على قلوبهم علامة تعرفهم الملائكة بها ﴿وعلى سمعهم﴾ أى على موضع سمعهم فلا يسمعون الحق ولا ينتفعون به وأراد على أسماعهم كما قال على قلوبهم وانما وحده لانه مصدر والمصدر لا يثنى ولا يجمع (وعلى أبصارهم غشاوة) هذا ابتداء كلام غشاوة أى غطاء فلا يرون الحق وقرأ أبو عمرو والكسائي أبصارهم بالامالة وكذلك كل ألف بعدها راء مجرورة في الاسماء كانت لام الفعل يميلانها ويميل حمزة منها ما يكرر فيه الراء كالقرار ونحوه

أخبار من الله عن تكبرهم واعراضهم عن الاستماع لما دعوا اليه من الحق كما يقال ان فلانا أصم عن هذا الكلام اذا امتنع من سماعه ورفع نفسه عن تفهمه تكبرا قال وهذا لايصح لان الله تعالى قد أخبر انه هو الذي ختم على قلوبهم واسماعهم (قلت) وقد اطنب الزمخشري في تقرير ماردّه ابن جرير ههنا وتأول الآية من خمسة أوجه وكلها ضعيفة جدا وما جرأه على ذلك الا اعتزاله لان الختم على قلوبهم ومنعها من وصول الحق اليها قبيح عنده يتعالى الله عنه في اعتقاده ولو فهم قوله تعالى (فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم)وقوله (ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون) وما أشبه ذلك من الآيات الدالة على انه تعالى انما ختم علي قلوبهم وحال بينهم وبين الهدى جزاء وفاقا على تماديهم في الباطل وتركهم الحق وهذا عدل منه تعالى حسن وليس بقبيح فلو أحاط علما بهذا لما قال ماقال والله أعلم

قال القرطبي وأجمعت الامة على ان الله عز وجل قد وصف نفسه بالختم والطبع على قلوب الكافرين مجازاة لكفرهم كما قال (بل طبع الله عليها بكفرهم) وذكر حديث تقليب القلوب « ويامقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك » وذكر حديث حذيفة الذي في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « قال تعرض الفتن على القلوب كالحصير عودا عودا فاي قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء وأي قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء حتى تصير على قلبين على أبيض مثل الصفاء فلا تضره فتنة مادامت السموات والارض، والآخر اسود مربادا كالكوز مجخيا لايعرف معروفا ولا ينكر منكرا» الحديث قال ابن جرير والحق عندي في ذلك ماصح بنظيره الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ماحدثنا به محمد بن بشار حدثنا صفوان بن عيسى حدثنا ابن عجلان عن القعقاع عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أن المؤمن اذا أذنب ذنبا كانت نكتة سوداء في قلبه فان تاب ونزع واستعتب صقل قلبه وان زاد زادت حتى تعلو قلبه فذلك الران الذي قال الله تعالى (كلا بل ران علي قلوبهم ماكانوا يكسبون) هذا الحديث من هذا الوجه قد رواه الترمذي والنسائي عن قتيبة والليث بن سعد وابن ماجه عن هشام بن عمار عن حاتم بن اسماعيل والوليد بن مسلم ثلاثتهم عن محمد بن عجلان به وقال الترمذي حسن صحيح ثم قال ابن جرير فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الذنوب اذا تتابعت على القلوب أغلقتها واذا أغلقتها أتاها حينئذ

زاد الكسائي امالة جبارين والجوار والجار ومأواكم ومن أنصاري ونسارع وبابه وكذلك يميل هؤلاء كل ألف بمنزلة لام الفعل أو كانت علما للتأنيث اذا كان قبلها راء فعلم التأنيث مثل الكبرى والاخرى ولام الفعل مثل ترى وافترى يكسرون الراء منها

﴿ ولهم عذاب عظيم ﴾ أي في الآخرة وقيل القتل والاسر في الدنيا والعذاب الدائم في العقبى والعذاب كل ما يعني الانسان ويشق عليه قال الخليل العذاب ما يمنع الانسان عن مراده ومنه الماء

الختم من قبل الله تعالى والطبع فلا يكون للايمان اليها مساك، ولا للكفر عنها مخاص، فذلك هو الختم والطبع الذي ذكر في قوله تعالى (ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم) نظير الختم والطبع على ما تدركه الابصار من الاوعية والظروف التي لا يوصل الى مافيها الا بفض ذلك عنها ثم حلها فكذلك لا يصل الايمان الى قلوب من وصف الله انه ختم على قلوبهم وعلى سمعهم الا بعد فض خاتمه وحله رباطه عنها

واعلم ان الوقف التام على قوله تعالى (ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم) وقوله (وعلى أبصارهم غشاوة) جملة تامة فان الطبع يكون على القلب وعلى السمع * والغشاوة وهي الغطاء يكون على البصر كما قال السدي في تفسيره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمدانى عن ابن مسعود وعن أناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم يقول فلا يعقلون ولا يسمعون يقول وجعل على أبصارهم غشاوة يقول على أعينهم فلا يبصرون وقال ابن جرير حدثني محمد بن سعد حدثنا أبي حدثني عمي الحسين ابن الحسن عن أبيه عن جده عن ابن عباس ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم والغشاوة على أبصارهم قال وحدثنا القاسم حدثنا الحسين يعني ابن داود وهو سنيد حدثني حجاج وهو ابن محمد الاعور حدثني ابن جريج قال : الختم على القلب والسمع والغشاوة على البصر قال الله تعالى (فان يشأ الله يختم على قلبك) وقال (وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة) قال ابن جرير ومن نصب غشاوة من قوله تعالى وعلى أبصارهم غشاوة يحتمل انه نصبها باضمار فعل تقديره وجعل على أبصارهم غشاوة ويحتمل ان يكون نصبها على الاتباع على محل وعلى سمعهم كقوله تعالى (وحور عين) وقول الشاعر:

علفتهـا تبنا وماء باردا　　حتى شتت همالة عيناها

وقال الآخر :

ورأيت زوجك في الوغى　　متقـلدا سيفا ورمحا

تقديره وسقيتها ماء باردا ومعتقلا رمحا * لما تقدم وصف المؤمنين في صدر السورة باربع آيات ثم عرف حال الكافرين بهاتين الآيتين شرع تعالى في بيان حال المنافقين الذين يظهرون الايمان ويبطنون الكفر ولما كان أمرهم يشتبه على كثير من الناس أطنب في ذكرهم بصفات متعددة كل منها نفاق كما أنزل سورة براءة فيهم وسورة المنافقين فيهم وذكرهم في سورة النور وغيرها من السور تعريفا لاحوالهم لتجتنب ويجتنب من تلبس بها أيضا فقال تعالى

(ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين * يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون الا أنفسهم وما يشعرون)

النفاق هو اظهار الخير واسرار الشر وهو أنواع . اعتقادي وهو الذي يخلد صاحبه في النار وعملي

العذب لانه يمنع العطش قوله ﴿ ومن الناس من يقول آمنا بالله ﴾ نزلت في المنافقين عبد الله بن أبي

وهو من أكبر الذنوب كما سيأتي تفصيله في موضعه ان شاء الله تعالى وهذا كما قال ابن جريج : المنافق يخالف قوله فعله ، وسره علانيته ، ومدخله مخرجه ، ومشهده مغيبه ، وانما نزلت صفات المنافقين في السور المدنية لان مكة لم يكن فيها نفاق بل كان خلافه من الناس من كان يظهر الكفر مستكرها وهو في الباطن مؤمن فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وكان بها الانصار من الاوس والخزرج وكانوا في جاهليتهم يعبدون الاصنام على طريقة مشركي العرب (١) وبها اليهود من أهل الكتاب على طريقة اسلافهم وكانوا ثلاث قبائل بنو قينقاع حلفاء الخزرج و بنو النضير و بنو قريظة حلفاء الاوس فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وأسلم من أسلم من الانصار من قبيلتي الاوس والخزرج وقل من أسلم من اليهود الا عبد الله بن سلام رضى الله عنه ولم يكن اذ ذاك نفاق أيضا لانه لم يكن للمسلمين بعد شوكة تخاف بل قد كان عليه الصلاة والسلام وادع اليهود وقبائل كثيرة من احياء العرب حوالي المدينة فلما كانت وقعة بدر العظمى وأظهر الله كلمته وأعز الاسلام وأهله قال عبد الله بن ابي بن سلول وكان راسا في المدينة وهو من الخزرج وكان سيد الطائفتين في الجاهلية وكانوا قد عزموا على ان يملكوه عليهم فجاءهم الخير وأسلموا واشتغلوا عنه فبقي في نفسه من الاسلام وأهله فلما كانت وقعة بدر قال هذا أمر قد توجه فاظهر الدخول في الاسلام ودخل معه طوائف ممن هو على طريقته ونحلته وآخرون من أهل الكتاب فمن ثم وجد النفاق في أهل المدينة ومن حولها من الاعراب. فاما المهاجرون فلم يكن فيهم أحد يهاجر مكرها بل يهاجر فيترك ماله وولده وأرضه رغبة فيما عند الله في الدار الاخرة . قال محمد بن اسحق حدثني محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس (ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الاخر وما هم بمؤمنين) يعني المنافقين من الاوس والخزرج ومن كان على أمرهم وكذا فسرها بالمنافقين من الاوس والخزرج أبو العالية والحسن وقتادة والسدى ولهذا نبه الله سبحانه على صفات المنافقين لئلا يغتر بظاهر أمرهم المؤمنون فيقع بذلك فساد عريض من عدم الاحتراز منهم ومن اعتقاد ايمانهم وهم كفار فى نفس الامر وهذا من المحذورات الكبار ان يظن بأهل الفجور خير فقال تعالى (ومن الناس من يقول آمنا

(١) كذا والوجه ان يقال سائر العرب لانهم منهم أو يقال مشركي مكة

ابن سلول ومعتب بن قشير وجد بن قيس وأصحابهم حيث أظهروا كلمة الاسلام ليسلموا من النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه واعتقدوا خلافها وأكثرهم من اليهود والناس جمع انسان سمي به لانه عهد اليه فنسى كما قال الله تعالى (ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسي) وقيل لظهوره من قولهم آنست أي أبصرت وقيل لانه يستأنس به ﴿ وباليوم الآخر ﴾ أي بيوم القيامة قال الله تعالى ﴿ وما هم بمؤمنين يخادعون الله ﴾ أي يخالفون الله وأصل الخداع في اللغة الاخفاء ومنه المخدع للبيت الذي يخفى فيه المتاع فالمخادع يظهر خلاف ما يضمر والخدع من الله في قوله (وهو خادعهم) أي يظهر لهم و يعجل لهم من النعيم في الدنيا خلاف ما يغيب عنهم من عذاب الآخرة وقيل أصل الخدع الفساد معناه يفسدون ما أظهروا من الايمان بما اضمروا من الكفر وقوله (وهو خادعهم) أي يفسد عليهم نعيمهم في

بالله و باليوم الاخر وما هم بمؤمنين) أي يقولون ذلك قولا ليس وراءه شيء آخر كما قال تعالى (اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله) أي انما يقولون ذلك اذا جاؤك فقط لا في نفس الامر ولهذا يؤكدون في الشهادة بان ولام التأكيد في خبرها . أكدوا أمرهم قالوا آمنا بالله وباليوم الاخر وليس الامر كذلك كما كذبهم الله في شهادتهم وفي خبرهم هذا بالنسبة الى اعتقادهم بقوله تعالى (والله يشهد ان المنافقين لكاذبون) وبقوله (وما هم بمؤمنين)

وقوله تعالى (يخادعون الله والذين آمنوا) أي باظهارهم ما أظهروه من الايمان مع اسرارهم الكفر يعتقدون بجهلهم انهم يخدعون الله بذلك وان ذلك نافعهم عنده وانه يروج عليه كما قد يروج على بعض المؤمنين كما قال تعالى (يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون انهم على شيء الا انهم هم الكاذبون) ولهذا قابلهم على اعتقادهم ذلك بقوله (وما يخادعون الا أنفسهم وما يشعرون) يقول وما يغرون بصنيعهم هذا ولا يخدعون الا أنفسهم وما يشعرون بذلك من أنفسهم كما قال تعالى (ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم) ومن القراء من قرأ (وما يخدعون الا أنفسهم) وكلا القراءتين ترجع الى معنى واحد . قال ابن جرير فان قال قائل كيف يكون المنافق لله وللمؤمنين مخادعا وهو لا يظهر بلسانه خلاف ما هو له معتقد الا تقية ؟ قيل لا تمتنع العرب أن تسمي من أعطى بلسانه غير الذي في ضميره تقية لينجو مما هو له خائف مخادعا فكذلك المنافق سمي مخادعا لله وللمؤمنين باظهاره ما أظهره بلسانه تقية بما يخلص به من القتل والسبي والعذاب العاجل وهو لغير ما أظهره مستبطن وذلك من فعله وإن كان خداعا للمؤمنين في عاجل الدنيا فهو لنفسه بذلك من فعله خادع ، لانه يظهر لها بفعله ذلك بها انه يعطيها أمنيتها ، ويسقيها كأس سرورها ، وهو موردها حياض عطبها ، ومجرعها به كأس عذابها ، ومزيرها من غضب الله وأليم عقابه ما لا قبل لها به ، فذلك خديعته نفسه ظنا منه مع اساءته اليها في أمر معادها انه اليها محسن كما قال تعالى (وما يخدعون الا أنفسهم وما يشعرون) اعلاما منه عباده المؤمنين ان المنافقين باساءتهم الى أنفسهم في اسخاطهم عليها ربهم بكفرهم وشكهم وتكذيبهم

الدنيا بما يصيرهم اليه من عذاب الاخرة فان قيل ما معنى قوله (يخادعون الله) والمفاعلة للمشاركة وقد جل الله تعالى عن المشاركة في المخادعة؟ قيل قد ترد المفاعلة لا على معنى المشاركة كقولك عافاك الله وعافيت فلانا وطارقت النعل . وقال الحسن معناه يخادعون رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قال الله تعالى ان الذين يؤذون الله أي أولياء الله وقيل ذكر الله ههنا تحسين والقصد بالمخادعة الذين آمنوا كقوله تعالى (فان لله خمسه وللرسول) وقيل معناه يفعلون في دين الله ما هو خداع في دينهم ﴿ والذين آمنوا ﴾ أي ويخادعون المؤمنين بقولهم اذا رأوهم آمنا وهم غير مؤمنين (وما يخدعون) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو (وما يخادعون) كالحرف الاول وجعلوه من المفاعلة التي تختص بالواحد وقرأ الباقون وما يخدعون على الاصل ﴿ الا أنفسهم ﴾ لان وبال خداعهم راجع اليهم لان الله يطلع نبيه صلى الله عليه وسلم على نفاقهم فيفتضحون في الدنيا ويستوجبون العقاب في العقبى ﴿ وما يشعرون ﴾ أي

غير شاعرين ولا دارين، ولكنهم على عمى من أمرهم مقيمين. وقال ابن أبي حاتم أنبأنا علي بن المبارك فيما كتب اليّ حدثنا زيد بن المبارك حدثنا محمد بن ثور عن ابن جريج في قوله تعالى يخادعون الله قال يظهرون لا إله الا الله يريدون ان يحرزوا بذلك دماءهم وأموالهم وفي أنفسهم غير ذلك. وقال سعيد عن قتادة (ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين * يخادعون الله والذين آمنوا وما يخادعون الا أنفسهم وما يشعرون) نعت المنافق عند كثير خنع الاخلاق يصدق بلسانه وينكر بقلبه ويخالف بعمله يصبح على حال ويمسي على غيره ويمسي على حال ويصبح على غيره ويتكفأ تكفأ السفينة كلما هبت ريح هبت معها

(في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون)

قال السدى عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرّة الهمداني عن ابن مسعود وعن أناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الآية (في قلوبهم مرض) قال شك فزادهم الله مرضا قال شكا. وقال ابن اسحق عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس في قلوبهم مرض قال شك. وكذلك قال مجاهد وعكرمة والحسن البصري وأبو العالية والربيع بن أنس وقتادة. وعن عكرمة وطاوس في قلوبهم مرض يعني الرياء. وقال الضحاك عن ابن عباس في قلوبهم مرض قال نفاق فزادهم الله مرضا قال نفاقا وهذا كالاول. وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قلوبهم مرض قال هذا مرض في الدين وليس مرضا في الاجساد وهم المنافقون والمرض الشك الذي دخلهم في الاسلام فزادهم الله مرضا قال زادهم رجسا، وقرأ (فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون * واما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم). قال شرا الى شرهم وضلالة الى ضلالتهم، وهذا الذي قاله عبد الرحمن رحمه الله حسن وهو الجزاء من جنس العمل وكذلك قاله الاولون وهو نظير قوله تعالى أيضا (والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم) وقوله (بما كانوا يكذبون) وقرىء يكذّبون وقد كانوا متصفين بهذا وهذا فانهم كانوا كذبة ويكذبون بالغيب يجمعون بين هذا وهذا. وقد سئل القرطبي وغيره من المفسرين عن حكمة كفه عليه الصلاة والسلام عن قتل المنافقين مع علمه باعيان بعضهم وذكروا أجوبة عن ذلك منها ما ثبت في الصحيحين أنه صلى الله عليه وسلم قال لعمر رضي الله عنه «أكره أن يتحدث العرب ان محمداً يقتل أصحابه» ومعنى هذا خشية

لا يعلمون انهم يخدعون أنفسهم وان وبال خداعهم يعود عليهم (في قلوبهم مرض) شك ونفاق وأصل المرض الضعف سمى الشك في الدين مرضا لانه يضعف الدين كالمرض يضعف البدن (فزادهم الله مرضا) لان الآيات كانت تنزل تترى آية بعد آية كلما كفروا بآية ازدادوا كفرا ونفاقا وذلك معنى قوله تعالى وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم قرأ ابن عامر وحمزة فزادهم بالامالة وزاد حمزة امالة زاد حيث وقع وزاغ وخاب وطاب وحاق وضاق والآخرون لا يميلونها (ولهم عذاب أليم)

ان يقع بسبب ذلك تغير لكثير من الاعراب عن الدخول في الاسلام ولا يعلمون حكمة قتله لهم وان قتله اياهم انما هو على الكفر فانهم انما يأخذونه بمجرد ما يظهر لهم فيقولون ان محمد يقتل أصحابه. قال القرطبي وهذا قول علمائنا وغيرهم كما كان يعطي المؤلفة مع علمه بسوء اعتقادهم. قال ابن عطية وهي طريقة أصحاب مالك نص عليه محمد بن الجهم والقاضي اسمعيل والابهرى وعن ابن الماجشون (١) ومنها ما قول مالك انما كف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المنافقين ليبين لامته ان الحاكم لا يحكم بعلمه قال القرطبي: وقد تفق العلماء عن بكرة أبيهم على ان القاضي لا يقتل بعلمه وان اختلفوا في سائر الاحكام قل: ومنها ما قال الشافعي انما منع رسول الله صلى الله عليه وسلم من قتل المنافقين ما كانوا يظهرونه من الاسلام مع العلم بنفاقهم لان ما يظهرونه يجبّ ما قبله. ويؤيد هذا قوله عليه الصلاة والسلام في الحديث المجمع على صحته في الصحيحين وغيرهما «أمرت ان أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم الا بحقها وحسابهم على الله عز وجل» ومعنى هذا ان من قالها جرت عليه أحكام الاسلام ظاهرا فان كان يعتقدها وجد ثواب ذلك فى الدار الآخرة وان لم يعتقدها لم ينفعه جريان الحكم عليه فى الدنيا وكونه كان خليط أهل الايمان (ينادونهم ألم نكن معكم؟ قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الاماني حتى جاء أمر الله) الآية فهم يخالطونهم في بعض المحشر فاذا حقت المحقوقية تميزوا منهم وتخلفوا بعدهم (وحيل بينهم وبين مايشتهون) ولم يمكنهم ان يسجدوا معهم كما نطقت بذلك الاحاديث ومنها ماقاله بعضهم انه انما لم يقتلهم لانه كان يخاف من شرهم مع وجوده عليه الصلاة والسلام بين أظهرهم يتلو عليهم آيات الله مبينات فاما بعده فيقتلون اذا أظهروا النفاق وعلمه المسلمون قال مالك: المنافق فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الزنديق اليوم (قلت) وقد اختلف العلماء في قتل الزنديق اذا أظهر الكفر هل يستتاب أم لا أو يفرق بين أن يكون داعية أم لا أو يتكرر منه ارتداده أم لا أو يكون اسلامه ورجوعه من تلقاء نفسه أو بعد ان ظهر عليه؟ على أقوال متعددة موضع بسطها وتقريرها وعزوها كتاب (٢) الاحكام

﴿ تنبيه ﴾ قول من قال كان عليه الصلاة والسلام يعلم أعيان بعض المنافقين انما مستنده حديث حذيفة بن اليمان في تسمية أولئك الاربعة عشر منافقا في غزوة تبوك الذين هموا ان يفتكوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فى ظلماء الليل عند عقبة هناك عزموا على ان ينفروا به الناقة ليسقط عنها فأوحى الله اليه أمرهم فأطلع على ذلك حذيفة ولعل الكف عن قتلهم كان لمدرك من هذه المدارك أو لغيرها والله أعلم

(١) كذا في الاصل ولعل عن زائدة فابن الماجشون من أصحاب مالك واسمه عبد الملك

(٢) لعل الاصل كتب

مؤلم يخلص وجعه الى قلوبهم ﴿ بما كانوا يكذبون ﴾ ما للمصدر أى بتكذيبهم الله ورسوله في السر وقرأ الكوفيون يكذبون بالتخفيف أى بكذبهم اذ قالوا آمنا وهم غير مؤمنين ﴿ واذا قيل ﴾ قرأ الكسائي قيل وغيض وجيء وحيل وسيق وسيئت بروم أوائلهن الضم وافق أهل المدينة في سيء وسيئت ووافق ابن عامر في سيق وحيل وسيء وسيئت لان أصلها قُول بضم القاف وكسر الواو مثل قتل وكذلك في اخواته فأشير الى الضمة لتكون دالة على الواو المنقلبة والباقون بكسر أوائلهن استثقلوا الحركة على

فاما غير هؤلاء فقد قال الله تعالى (وممن حولكم من الاعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم الآية) وقال تعالى (لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا* ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا) ففيها دليل على انه لم يغر بهم ولم يدرك (١) على أعيانهم وإنما كان تذكر له صفاتهم فيتوسمها في بعضهم كما قال تعالى (ولو نشاء لاريناكهم فلعرفتهم بسيماهم* ولتعرفنهم في لحن القول) وقد كان من أشهرهم بالنفاق عبد الله بن أبي بن سلول وقد شهد عليه زيد بن أرقم بذلك الكلام الذي سبق في صفات المنافقين ومع هذا لما مات صلى عليه النبي صلى الله عليه وسلم وشهد دفنه كما يفعل ببقية المسلمين وقد عاتبه عمر بن الخطاب رضي الله عنه فيه فقال «اني أكره ان تتحدث العرب ان محمدا يقتل أصحابه» وفي رواية في الصحيح «اني خيرت فاخترت» وفي رواية «لو أعلم اني لو زدت على السبعين يغفر له لزدت» (٢)

﴿ واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض قالوا انما نحن مصلحون* ألا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون ﴾

قال السدي في تفسيره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الطيب الهمداني عن ابن مسعود وعن أناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم (واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض قالوا انما نحن مصلحون) قال هم المنافقون أما لا تفسدوا في الارض قال الفساد هو الكفر والعمل

الواو فنقلوا كسرتها الى فاء الفعل وانقلبت الواو ياء لكسرة ما قبلها ﴿ واذا قيل لهم ﴾ يعني المنافقين وقيل لليهود أي قال لهم المؤمنون ﴿ لا تفسدوا في الارض ﴾ بالكفر وتعويق الناس عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وقيل معناه لا تكفروا والكفر أشد فسادا في الدين ﴿ قالوا انما نحن مصلحون ﴾

---

(١) كذا في الاصل والمراد ولم يطلع على أشخاصهم

(٢) لعله قد سقط شيء من الاصل فاضطرب الباقي لحديث «اني أكره» الخ ليس هذا محله وحديث «اني خيرت» ليس رواية منه ولا يفهم المراد منه ومما بعده من عبارته. ونص الحديث في الجنائز من صحيح البخاري عن ابن عباس عن عمر (رض) انه قال «لما مات عبدالله بن أبي ابن سلول دعي له رسول الله (ص) ليصلي عليه فلما قام رسول الله (ص) وثبت اليه فقلت يا رسول الله أتصلي على ابن أبي وقد قال يوم كذا وكذا ـ كذا وكذا؟ أعدد عليه قوله «فتبسم رسول الله (ص) وقال أخر عني يا عمر اني خيرت فاخترت، لو اعلم اني لو زدت على السبعين يغفر له لزدت عليها» قال فصلى عليه رسول الله (ص) ثم انصرف فلم يمكث الا يسيرا حتى نزلت الآيتان من براءة (ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ـ الى قوله ـ وهم فاسقون) ويوضحه حديث ابن عمر في كتاب التفسير منه وفيه ان عمر قال: يارسول الله تصلي عليه وقد نهاك ربك ان تصلي عليه؟ فقال رسول الله (ص) «انما خيرني الله فقال (استغفر لهم أو لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة) وسازيد على السبعين الخ (اقول) وروي في سبب ذلك ان ابن أبي كان أرسل الى النبي (ص) فلما دخل عليه قال له «أهلكك حب يهود» فقال يارسول الله انما ارسلت اليك لتستغفر لي لا لتوبخني. ثم ساله ان يعطيه قميصه ليكفن فيه فأجابه ومن هنا ظن (ص) أنه تاب ومات مؤمنا. وكان طلب ابنه بعد موته لقميص النبي (ص) تنفيذا لطلبه. وكتبه محمد رشيد رضا

بالمعصية وقال أبو جعفر عن الربيع بن أنس عن أبي العالية في قوله تعالى (واذا قيل لهم لاتفسدوا في الارض) قال يعني لاتعصوا في الارض وكان فسادهم ذلك معصية الله لانه من عصى الله في الارض أو أمر بمعصيته فقد أفسد في الارض لان صلاح الارض والسماء بالطاعة وهكذا قال الربيع ابن أنس وقتادة وقال ابن جريج عن مجاهد (واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض) قال اذا ركبوا معصية الله فقيل لهم لاتفعلوا كذا وكذا قالوا انما نحن على الهدى مصلحون وقال وكيع وعيسى بن يونس وعثام بن علي عن الاعمش عن المنهال بن عمرو عن عباد بن عبد الله الاسدى عن سلمان الفارسي واذا قيل لهم لاتفسدوا في الارض قالوا انما نحن مصلحون قال سلمان لم يجئ أهل هذه الآية بعد. وقال ابن جرير حدثني أحمد بن عثمان بن حكيم حدثنا عبد الرحمن بن شريك حدثني أبي عن الاعمش عن زيد بن وهب وغيره عن سلمان الفارسي في هذه الاية قال ماجاء هؤلاء قال ابن جرير يحتمل ان سلمان رضي الله عنه أراد بهذا ان الذين يأتون بهذه الصفة أعظم فسادا من الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم لا انه عنى انه لم يمض ممن تلك صفته أحد . قال ابن جرير فأهل النفاق مفسدون في الارض بمعصيتهم فيها ربهم وركوبهم فيها مانهاهم عن ركوبه وتضييعهم فرائضه وشكهم في دينه الذى لا يقبل من أحد عمل الا بالتصديق به والايقان بحقيقته وكذبهم المؤمنين بدعواهم غير ماهم عليه مقيمون من الشك والريب ومظاهرتهم أهل التكذيب بالله وكتبه ورسله على أولياء الله اذا وجدوا الى ذلك سبيلا، فذلك افساد المنافقين في الارض، وهم يحسبون أنهم بفعلهم ذلك مصلحون فيها . وهذا الذى قاله حسن فان من الفساد في الارض اتخاذ المؤمنين الكافرين أولياء كما قال تعالى (والذين كفروا بعضهم أولياء بعض الا تفعلوه تكن فتنة في الارض وفساد كبير) فقطع الله الموالاة بين المؤمنين والكافرين كما قال تعالى (يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا) ثم قال (ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا) فالمنافق لما كان ظاهره الايمان اشتبه أمره على المؤمنين فكأن الفساد من جهة المنافق حاصل لانه هو الذي غر المومنين بقوله الذى لا حقيقة له ووالى الكافرين علي المومنين ولو انه استمر على حاله الاول لكان شره أخف ولو أخلص العمل لله وتطابق قوله وعمله لافلح وانجح ولهذا قال تعالى (واذا قيل لهم لاتفسدوا في الارض قالوا انما نحن مصلحون) أى نريد أن نداري الفريقين من المومنين والكافرين ونصطلح مع هؤلاء وهؤلاء كما قال محمد بن اسحق عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس واذا قيل لهم لاتفسدوا في الارض قالوا انما نحن مصلحون أي انما نريد الاصلاح بين الفريقين من المؤمنين وأهل الكتاب.

يقولون هذا القول كذبا كقولهم آمنا وهم كاذبون ﴿ ألا ﴾ كلمة تنبيه ينبه بها المخاطب ﴿ أنهم هم المفسدون ﴾ أنفسهم بالكفر والناس بالتعويق عن الايمان ﴿ ولكن لايشعرون ﴾ أى لا يعلمون أنهم مفسدون لانهم يظنون ان الذي هم عليه من إبطان الكفر صلاح وقيل لايعلمون ماأعد الله لهم من العذاب

يقول الله (ألا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون) يقول ألا ان هذا الذى يعتمدونه ويزعمون انه اصلاح هو عين الفساد ولكن من جهلهم لا يشعرون بكونه فسادا

﴿ واذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء؟ ألا أنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون ﴾

يقول تعالى واذا قيل للمنافقين آمنوا كما آمن الناس أى كايمان الناس بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت والجنة والنار وغير ذلك مما أخبر المؤمنين به وعنه، وأطيعوا الله ورسوله في امتثال الاوامر وترك الزواجر (قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء) يعنون - لعنهم الله - أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رضى الله عنهم قاله أبو العالية والسدى في تفسيره بسنده عن ابن عباس وابن مسعود وغير واحد من الصحابة وبه يقول الربيع بن أنس وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهم يقولون أنصير نحن وهؤلاء بمنزلة واحدة وعلى طريقة واحدة وهم سفهاء؟ والسفهاء جمع سفيه لان الحكماء جمع حكيم والحلماء جمع حليم، والسفيه هو الجاهل الضعيف الرأي القليل المعرفة بمواضع المصالح والمضار ولهذا سمى الله النساء والصبيان سفهاء في قوله تعالى (ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياما) قال عامة علماء التفسير هم النساء والصبيان وقد تولى الله سبحانه جوابهم في هذه المواطن كلها فقال (ألا إنهم هم السفهاء) فأكد وحصر السفاهة فيهم (ولكن لا يعلمون) يعني ومن تمام جهلهم انهم لا يعلمون بحالهم في الضلالة والجهل وذلك أردى لهم وأبلغ في العمى والبعد عن الهدى

﴿ واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن

﴿ واذا قيل لهم ﴾ أي للمنافقين وقيل لليهود ﴿ آمنوا كما آمن الناس ﴾ عبد الله بن سلام وغيره من مؤمني أهل الكتاب وقيل كما آمن المهاجرون والانصار ﴿قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء﴾ أي الجهال فان قيل كيف يصح النفاق مع المجاهرة بقولهم: أنؤمن كما آمن السفهاء قيل انهم كانوا يظهرون هذا القول فيما بينهم لا عند المؤمنين فأخبر الله نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بذلك فرد الله عليهم فقال ﴿ألا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون﴾ انهم كذلك والسفيه خفيف العقل رقيق الحلم من قولهم ثوب سفيه أي رقيق وقيل السفيه الكذاب الذي يتعمد بخلاف ما يعلم. قرأ أهل الكوفة والشام (السفهاء ألا) بتحقيق الهمزتين وكذلك كل همزتين وقعتا في كلمتين اتفقتا أو اختلفتا والاخرون يحققون الاولى ويلينون الثانية في المختلفتين طلبا للخفة فان كانتا متفقتين مثل: هؤلاء ان - أولياء أولئك - وجاء أمر ربك - قرأ أبو عمرو والبزي عن ابن كثير بهمزة واحدة وقرأ ابو جعفر وورش والقواس ويعقوب بتحقيق الاولى وتليين الثانية وقرأ قالون بتليين الاولى وتحقيق الثانية لان ما يستأنف أولى بالهمزة مما يسكت عليه ﴿واذا لقوا الذين آمنوا﴾ يعني هؤلاء المنافقين اذا لقوا المهاجرين والانصار ﴿ قالوا آمنا ﴾ كايمانكم ﴿واذا خلوا﴾ رجعوا ويجوز أن يكون من الخلوة و ﴿ الى ﴾ بمعنى الباء أي بشياطينهم

مستهزئون * الله يستهزىء بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون)

يقول تعالى واذا لقي هؤلاء المنافقون المؤمنين قالوا : آمنا أظهروا لهم الايمان والموالاة والمصافاة غرورا منهم للمؤمنين ونفاقا ومصانعة وتقية وليشركوهم فيما أصابوا من خير ومغنم (واذا خلوا الى شياطينهم) يعنى اذا انصرفوا وذهبوا وخلصوا الى شياطينهم فضمن خلوا معنى انصرفوا لتعديته بالى ليدل على الفعل المضمر والفعل الملفوظ به. ومنهم من قال «الى» هنا بمعنى «مع» والاول أحسن وعليه يدور كلام ابن جرير. وقال السدى عن أبى مالك خلوا يعني مضوا وشياطينهم سادتهم وكبراؤهم ورؤساؤهم من أحبار اليهود ورؤس المشركين والمنافقين . قال السدى في تفسيره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمدانى عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم (واذا خلوا الى شياطينهم) يعني هم رؤساءهم في الكفر . وقال الضحاك عن ابن عباس واذا خلوا الى أصحابهم وهم شياطينهم . وقال محمد بن اسحق عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن عن ابن عباس (واذا خلوا الى شياطينهم) من يهود الذين يأمرونهم بالتكذيب وخلاف ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم وقال مجاهد : (واذا خلوا الى شياطينهم) الى أصحابهم من المنافقين والمشركين . وقال قتادة (واذا خلوا الى شياطينهم) قال الى رءوسهم وقادتهم في الشرك والشر وبنحو ذلك فسره أبو مالك وأبو العالية والسدي والربيع بن أنس. قال ابن جرير وشياطين كل شيء مردته ويكون الشيطان من الانس والجن كما قال تعالى (وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الانس والجن يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا) وفي المسند عن أبي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « نعوذ بالله من شياطين الانس والجن » فقلت يارسول الله أو للانس شياطين ؟ قال « نعم » وقوله تعالى (قالوا انا معكم) قال محمد بن اسحق عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس أي أنا على مثل ما أنتم عليه (انما نحن مستهزءون) أي انما نحن نستهزىء بالقوم ونلعب بهم. وقال الضحاك عن ابن عباس قالوا انما نحن مستهزءون ساخرون بأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، وكذلك قال الربيع بن أنس وقتادة . وقوله تعالى جوابا لهم ومقابلة على صنيعهم الله (يستهزىء بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون) وقال ابن جرير أخبر تعالى انه

وقيل الى بمعنى مع كما قال الله تعالى (ولا تأكلوا اموالهم الى اموالكم) أي مع أموالكم ﴿ شياطينهم ﴾ أي رؤسائهم وكهنتهم قال ابن عباس وهم خمسة نفر من اليهود كعب بن الاشرف بالمدينة وأبو بردة في بني أسلم وعبد الدار في جهينة وعوف بن عامر في بني أسد وعبد الله بن السوداء بالشام ولا يكون كاهن الا ومعه شيطان تابع له والشيطان المتمرد العاتي من الجن والانس ومن كل شيء وأصله البعد يقال بئر شطون أى بعيدة العمق سمي الشيطان شيطانا لامتداده في الشر وبعده من الخير وقال مجاهد الى أصحابهم من المنافقين والمشركين ﴿ قالوا انا معكم ﴾ أي على دينكم

فاعل بهم ذلك يوم القيامة في قوله تعالى (يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب) الآية وقوله تعالى (ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خير لانفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا اثما) الآية قال فهذا وما أشبهه من استهزاء الله تعالى ذكره وسخريته ومكره وخديعته للمنافقين وأهل الشرك به عند قائل هذا القول ومتأول هذا التأويل — قال وقال آخرون بل استهزاؤه بهم توبيخه اياهم ولومه لهم على ماركبوا من معاصيه والكفر به قال وقال آخرون هذا وأمثاله على سبيل الجواب كقول الرجل لمن يخدعه اذا ظفر به أنا الذي خدعتك . ولم يكن منه خديعة ولكن قال ذلك اذا صار الامر اليه قالوا وكذلك قوله تعالى (ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين) (والله يستهزىء بهم) على الجواب والله لا يكون منه المكر ولا الهزؤ . والمعنى ان المكر والهزء حاق بهم — وقال آخرون قوله تعالى (انما نحن مستهزؤن الله يستهزىء بهم) وقوله (يخادعون الله وهو خادعهم) وقوله (فيسخرون منهم سخر الله منهم ونسوا الله فنسيهم) وما أشبه ذلك اخبار من الله تعالى انه مجازيهم جزاء الاستهزاء ومعاقبهم عقوبة الخداع فأخرج خبره عن جزائه اياهم وعقابه لهم مخرج خبره عن فعلهم الذي عليه استحقوا العقاب في اللفظ وان اختلف المعنيان كما قال تعالى (وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فاجره على الله) وقوله تعالى (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه) فالاول ظلم والثاني عدل فهما وان اتفق لفظهما فقد اختلف معناهما قال والى هذا المعنى وجهوا كل ما في القرآن من نظائر ذلك. قال وقال آخرون ان معنى ذلك ان الله أخبر عن المنافقين انهم اذا خلوا الى مردتهم قالوا انا معكم على دينكم في تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به ، وانما نحن بما نظهر لهم من قولنا لهم مستهزؤن ، فأخبر تعالى أنه يستهزىء بهم فيظهر لهم من أحكامه في الدنيا يعني من عصمة دمائهم وأموالهم خلاف الذي لهم عنده في الآخرة يعني من العذاب والنكال . ثم شرع ابن جرير يوجه هذا القول وينصره لان المكر والخداع والسخرية على وجه اللعب والعبث منتف عن الله عز وجل بالاجماع واما على وجه الانتقام والمقابلة بالعدل والمجازاة فلا يمتنع ذلك. قال وبنحو ما قلنا فيه روي الخبر عن ابن عباس حدثنا أبو كريب حدثنا أبو عثمان حدثنا بشر عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس في قوله تعالى (الله يستهزىء بهم) قال يسخر بهم للنقمة منهم وقوله تعالى (ويمدهم

﴿ انما نحن مستهزئون ﴾ بمحمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه بما نظهر من الاسلام . قرأ ابو جعفر مستهزون ويستهزون وقل استهزوا وليطفوا وليواطوا ويستنبونك وخاطين وخاطون ومتكين ومتكون فالون والمنشون بترك الهمزة فيهن ﴿ الله يستهزىء بهم ﴾ اى يجازيهم جزاء استهزائهم سمي الجزاء باسمه لانه بمقابلته كما قال الله تعالى (وجزاء سيئة سيئة مثلها) قال ابن عباس هو ان يفتح لهم باب من الجنة فاذا انتهوا اليه سد عنهم وردوا الى النار وقيل هو ان يضرب للمؤمنين نور يمشون به على الصراط فاذا وصل المنافقون اليه حيل بينهم وبين المؤمنين ، كما قال الله تعالى (وحيل بينهم وبين ما يشتهون)

في طغيانهم يعمهون) قال السدى عن أبى مالك وعن أبى صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمدانى عن ابن مسعود وعن أناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم :يمدهم يملي لهم وقال مجاهد يزيدهم وقال تعالى (أيحسبون انما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات؟ بل لايشعرون) وقال (سنستدرجهم من حيث لا يعلمون) قال بعضهم كلما أحدثوا ذنبا أحدث لهم نعمة وهي في الحقيقة نقمة وقال تعالى (فلما نسوا ماذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون* فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمدلله رب العالمين) قال ابن جرير والصواب نزيدهم على وجه الاملاء والترك لهم في عتوهم وتمردهم كما قال تعالى (ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون) والطغيان هو المجاوزة في الشيء كما قال تعالى (انا لما طغى الماء حملناكم في الجارية) وقال الضحاك عن ابن عباس في طغيانهم يعمهون في كفرهم يترددون وكذا فسره السدى بسنده عن الصحابة وبه يقول أبو العالية وقتادة والربيع بن أنس ومجاهد وأبو مالك وعبد الرحمن بن زيد :في كفرهم وضلالتهم .قال ابن جرير والعمه الضلال يقال عمه فلان يعمه عمها وعموها اذا ضل قال وقوله في طغيانهم يعمهون في ضلالتهم وكفرهم الذي غمرهم دنسه وعلاهم رجسه يترددون حيارى ضلالا لايجدون الى المخرج منه سبيلا لان الله قد طبع على قلوبهم وختم عليها وأعمى أبصارهم عن الهدي وأغشاها فلا يبصرون رشدا ولا يهتدون سبيلا . وقال بعضهم العمى في العين والعمه في القلب وقد يستعمل العمى في القلب أيضا قال الله تعالى(فانها لاتعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور)وتقول عمه الرجل يعمه عموها فهو عمه وعامه وجمعه عمه وذهبت ابله العمهاء اذا لم يدر أين ذهبت

(أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين)

قال السدى في تفسيره عن أبى مالك وعن أبى صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من الصحابة (أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى) قال أخذوا الضلالة وتركوا الهدى وقال ابن اسحق عن محمد ابن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى أي الكفر بالايمان

قال الله تعالى (فضرب بينهم بسور له باب) الآية وقال الحسن معناه الله يظهر المؤمنين على نفاقهم ﴿ ويمدهم ﴾ يتركهم و يمهلهم والمد والامداد واحد وأصله الزيادة الا ان المد كثيرا ما يأتي في الشر والامداد في الخير قال الله تعالى في المد (ونمد له من العذاب مدا) وقال في الامداد(وأمددناكم بأموال وبنين)(وأمددناهم بفاكهة) ﴿ في طغيانهم ﴾ أى في ضلالتهم وأصله مجاوزة الحد ومنه طغى الماء ﴿ يعمهون ﴾ أى يترددون في الضلالة متحيرين ﴿ أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى ﴾ أى استبدلوا الكفر بالايمان ﴿ فما ربحت تجارتهم ﴾ أى ما ربحوا في تجارتهم أضاف الربح الى التجارة لان الربح يكون فيها كما تقول العرب ربح بيعك وخسرت صفقتك ﴿ وما كانوا مهتدين ﴾ من الضلالة وقيل

وقال مجاهد آمنوا ثم كفروا وقال قتادة استحبوا الضلالة على الهدى . وهذا الذي قاله قتادة يشبهه في المعنى قوله تعالى في ثمود (فأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى) وحاصل قول المفسرين فيما تقدم ان المنافقين عدلوا عن الهدى الى الضلال واعتاضوا عن الهدى بالضلالة وهو معنى قوله تعالى (أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى) أي بذلوا الهدى ثمنا للضلالة وسواء في ذلك من كان منهم قد حصل له الايمان ثم رجع عنه الى الكفر كما قال تعالى فيهم (ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم) أو أنهم استحبوا الضلالة على الهدى كما يكون حال فريق آخر منهم فانهم أنواع وأقسام ولهذا قال تعالى (فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين) أي ما ربحت صفقتهم في هذه البيعة وما كانوا مهتدين أي راشدين في صنيعهم ذلك وقال ابن جرير حدثنا بشير حدثنا يزيد حدثنا سعيد عن قتادة (فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين) قد والله رأيتموهم خرجوا من الهدى الى الضلالة ومن الجماعة الى الفرقة ومن الامن الى الخوف ومن السنة الى البدعة وهكذا رواه ابن أبي حاتم من حديث يزيد بن زريع عن سعيد عن قتادة بمثله سواء

﴿ مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون • صم بكم عمي فهم لا يرجعون ﴾

يقال مثل ومثل ومثيل أيضا والجمع أمثال قال الله تعالى (وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون) وتقدير هذا المثل ان الله سبحانه شبههم في اشترائهم الضلالة بالهدى، وصيرورتهم بعد البصيرة الى العمى، بمن استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله وانتفع بها وأبصر بها ما عن يمينه وشماله وتأنس بها فبينا هو كذلك اذ طفئت ناره وصار في ظلام شديد لا يبصر ولا يهتدي وهو مع هذا أصم لا يسمع أبكم لا ينطق أعمى لو كان ضياء لما أبصر، فلهذا لا يرجع الى ما كان عليه قبل ذلك فكذلك هؤلاء المنافقون في استبدالهم الضلالة عوضا عن الهدى واستحبابهم الغيّ على الرشد. وفي هذا المثل دلالة على انهم آمنوا ثم كفروا كما أخبر تعالى عنهم في غير هذا الموضع والله أعلم

وقد حكى هذا الذي قلناه الرازي في تفسيره عن السدى • ثم قال والتشبيه ههنا في غاية الصحة لانهم بايمانهم اكتسبوا أولا نورا ثم بنفاقهم ثانيا أبطلوا ذلك فوقعوا في حيرة عظيمة فانه لا حيرة

مصيبين في تجارتهم ﴿ مثلهم ﴾ شبههم وقيل صفتهم والمثل قول سائر في عرف الناس يعرف به معنى الشيء وهو أحد اقسام القرآن السبعة ﴿ كمثل الذى ﴾ يعني الذين بدليل سياق الآية ونظيره (والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون) ﴿ استوقد ﴾ اوقد ﴿ نارا فلما اضاءت ﴾ النار ﴿ ماحوله ﴾ اى حول المستوقد واضاء لازم ومتعد يقال اضاء الشيء بنفسه واضاءه غيره وهو ههنا متعد ﴿ ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون ﴾ قال ابن عباس وقتادة ومقاتل والضحاك والسدى نزلت في المنافقين يقول مثلهم في نفاقهم كمثل رجل اوقد نارا في ليلة مظلمة في مفازة فاستدفأ ورأى ما حوله فاتقى مما يخاف فبينا هو

أعظم من حيرة الدين وزعم ابن جرير ان المضروب لهم المثل ههنا لم يؤمنوا في وقت من الاوقات واحتج بقوله تعالى (ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وماهم بمؤمنين) والصواب ان هذا إخبار عنهم في حال نفاقهم وكفرهم وهذا لاينفي انه كان حصل لهم ايمان قبل ذلك ثم سلبوه وطبع على قلوبهم ولم يستحضر ابن جرير هذه الآية ههنا وهي قوله تعالى(ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لايفقهون)فلهذا وجه هذا المثل بأنهم استضاؤا بما أظهروه من كلمة الايمان أي في الدنيا ثم أعقبهم ظلمات يوم القيامة قال وصح ضرب مثل الجماعة بالواحد كما قال(رأيتهم ينظرون اليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت)أي كدوران الذي يغشى عليه من الموت وقال تعالى (ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة) وقال تعالى(مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا) وقال بعضهم تقدير الكلام مثل قصتهم كقصة الذين استوقدوا نارا ، وقال بعضهم المستوقد واحد لجماعة معه وقال آخرون الذي ههنا بمعنى الذين كما قال الشاعر

وان الذي حانت بفلج دماؤهم * هم القوم كل القوم يا أم خالد

قلت وقد التفت في أثناء المثل من الواحد الى الجمع في قوله تعالى (فلما أضاءت ماحوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لايبصرون صم بكم عمي فهم لايرجعون) وهذا أفصح في الكلام وأبلغ في النظام وقوله تعالى ذهب الله بنورهم أي ذهب عنهم بما ينفعهم وهو النور وأبقى لهم ما يضرهم وهو الاحراق والدخان وتركهم في ظلمات وهو ماهم فيه من الشك والكفر والنفاق لايبصرون لايهتدون الى سبيل خير ولا يعرفونها وهم مع ذلك صم لايسمعون خيرا بكم لايتكلمون بما ينفعهم عمي في ضلالة وعماية البصيرة كما قال تعالى(فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور) فلهذا لايرجعون الى ما كانوا عليه من الهداية التي باعوها بالضلالة

﴿ ذكر اقوال المفسرين من السلف بنحو ما ذكرناه ﴾

قال السدى في تفسيره عن أبي مالك عن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود وعن ناس من الصحابة في قوله تعالى (فلما أضاءت ماحوله) زعم ان ناسا دخلوا في الاسلام مقدم نبي الله صلى الله عليه وسلم المدينة ثم انهم نافقوا وكان مثلهم كمثل رجل كان في ظلمة فأوقد نارا فلما أضاءت ماحوله من قذى أو أذى فابصره حتى عرف ما يتقى منه فبينما هو كذلك

كذلك اذ طفئت ناره فبقي في ظلمة خائفا متحيرا فكذلك المنافقون باظهار كلمة الايمان أمنوا على أموالهم وأولادهم وناكحوا المؤمنين ووارثوهم وقاسموهم الغنائم فذلك نورهم فاذا ماتوا عادوا الى الظلمة والخوف . وقيل ذهاب نورهم في القبر وقيل في القيامة حيث يقولون الذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم. وقيل ذهاب نورهم باظهار عقيدتهم على لسان النبي صلى الله عليه وسلم فضرب النار مثلا ثم لم يقل أطفأ الله نارهم لكن عبر باذهاب النور عنه لان النار نور وحرارة فيذهب نورهم وتبقى الحرارة عليهم . وقال

اذ طفئت ناره فاقبل لا يدرى ما يتقي من أذى فذلك المنافق كان في ظلمة الشرك فأسلم فعرف الحلال والحرام والخير والشر. فبينما هو كذلك اذ كفر فصار لا يعرف الحلال من الحرام ولا الخير من الشر. وقال العوفى عن ابن عباس في هذه الآية قال أما النور فهو ايمانهم الذي كانوا يتكلمون به وأما الظلمة فهي ضلالتهم وكفرهم الذي كانوا يتكلمون به وهم قوم كانوا على هدى ثم نزع منهم فعتوا بعد ذلك. وقال مجاهد :(فلما أضاءت ما حوله) أما اضاءة النار فاقبالهم الى المؤمنين والهدى. وقال عطاء الخراساني في قوله تعالى (مثلهم كمثل الذي استوقد نارا) قال هذا مثل المنافق يبصر أحيانا و يعرف أحيانا ثم يدركه عمى القلب. وقال ابن أبي حاتم : وروى عن عكرمة والحسن والسدى والربيع ابن أنس نحو قول عطاء الخراساني. وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله تعالى (مثلهم كمثل الذي استوقد نارا) قال هذا مثل المنافق يبصر أحيانا ويعرف أحيانا ثم يدركه عمى القلب. وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله تعالى (مثلهم كمثل الذي استوقد نارا) الى آخر الاية . قال هذه صفة المنافقين كانوا قد آمنوا حتى أضاء الايمان في قلوبهم كما أضاءت النار لهؤلاء الذين استوقدوا نارا ثم كفروا فذهب الله بنورهم فانتزعه كما ذهب بضوء هذه النار فتركهم في ظلمات لا يبصرون ، وأما قول ابن جرير فيشبه مارواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى (مثلهم كمثل الذي استوقد نارا) قال هذا مثل ضربه الله للمنافقين انهم كانوا يعتزون بالاسلام فيناكحهم المسلمون ويوارثونهم ويقاسمونهم الفيء فلما ماتوا سلبهم الله ذلك العز كما سلب صاحب النار ضوءه ، وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية (مثلهم كمثل الذي استوقد نارا) فانما ضوء النار ما أوقدتها فاذا خمدت ذهب نورها وكذلك المنافق كلما تكلم بكلمة الاخلاص بلا اله الا الله أضاء له فاذا شك وقع في الظلمة وقال الضحاك (ذهب الله بنورهم) أما نورهم فهو ايمانهم الذي تكلموا به وقال عبد الرازق عن معمر عن قتادة (مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله) فهي لا اله الا الله أضاءت لهم فأكلوا بها وشربوا وآمنوا في الدنيا وأنكحوا النساء وحقنوا دماءهم حتى اذا ماتوا ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون وقال سعيد عن قتادة في هذه الآية ان المعنى ان المنافق تكلم بلا اله الا الله فأضاءت له في الدنيا فناكح بها المسلمين وغازاهم بها ووارثهم بها وحقن بها دمه وماله فلما كان عند الموت سلبها المنافق لانه لم يكن لها أصل في قلبه ولا حقيقة في عمله وتركهم في

مجاهد: اضاءة النار اقبالهم الى المسلمين والهدى وذهاب نورهم اقبالهم الى المشركين والضلالة. وقال عطاء ومحمد بن كعب نزلت في اليهود وانتظارهم خروج النبي صلى الله عليه وسلم واستفتاحهم به على مشركي العرب فلما خرج كفروا به ثم وصفهم الله فقال ﴿ صم ﴾ أي هم صم عن الحق لا يقبلونه واذا لم يقبلوا فكأنهم لم يسمعوا ﴿ بكم ﴾ خرس عن الحق لا يقولونه أو انهم لما ابطنوا خلاف ما أظهروا فكأنهم لم ينطقوا بالحق ﴿ عمي ﴾ أي لا بصائر لهم ومن لا بصيرة له كمن لا بصر له ﴿ فهم لا يرجعون ﴾ عن الضلالة الى الحق

ظلمات لا يبصرون) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (وتركهم في ظلمات لا يبصرون) يقول في عذاب اذا ماتوا، وقال محمد بن اسحق عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس (وتركهم في ظلمات) أي يبصرون الحق ويقولون به حتى اذا خرجوا من ظلمة الكفر أطفؤه بكفرهم ونفاقهم فيه فتركهم في ظلمات الكفر فهم لا يبصرون هدى، ولا يستقيمون على حق، وقال السدى في تفسيره بسنده (وتركهم في ظلمات) فكانت الظلمة نفاقهم وقال الحسن البصري وتركهم في ظلمات لا يبصرون فذلك حين يموت المنافق فيظلم عليه عمله عمل السوء فلا يجد له عملا من خير عمل به يصدق به قول لا اله الا الله (صم بكم عمي) قال السدى بسنده صم بكم عمي فهم خرس عمي، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (صم بكم عمي) يقول لا يسمعون الهدى، ولا يعقلونه وكذا قال أبو العالية وقتادة ابن دعامة فهم لا يرجعون: قال ابن عباس أي لا يرجعون الى هدى، وكذا قال الربيع بن أنس: وقال السدى بسنده (صم بكم عمي) فهم لا يرجعون الى الاسلام. وقال قتادة فهم لا يرجعون أي لا يتوبون ولا هم يذكرون

(أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين * يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيه واذا أظلم عليهم قاموا ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم ان الله على كل شيء قدير)

هذا مثل آخر ضربه الله تعالى لضرب آخر من المنافقين وهم قوم يظهر لهم الحق تارة ويشكون تارة اخرى فقلوبهم في حال شكهم وكفرهم وترددهم (كصيب) والصيب المطر قاله ابن مسعود وابن عباس وناس من الصحابة وأبو العالية ومجاهد وسعيد بن جبير وعطاء والحسن البصري وقتادة وعطية العوفي وعطاء الخراساني والسدى والربيع بن أنس وقال الضحاك هو السحاب والاشهر هو المطر نزل من السماء في حال ظلمات وهي الشكوك والكفر والنفاق ورعد وهو ما يزعج القلوب من الخوف فان من شأن المنافقين الخوف الشديد والفزع كما قال تعالى (يحسبون كل صيحة عليهم) وقال (ويحلفون بالله انهم لمنكم وماهم منكم ولكنهم قوم يفرقون) لو يجدون ملجأ أو مغارات أو مدخلا لولوا اليه

﴿أو كصيب﴾ أي كأصحاب صيب وهذا مثل آخر ضربه الله تعالى للمنافقين بمعنى آخر ان شئت مثلهم بالمستوقد وان شئت بأهل الصيب وقيل أو بمعنى الواو يريد وكصيب كقوله تعالى (أو يزيدون) بمعنى ويزيدون والصيب المطر وكل ما نزل من الاعلى الى الاسفل فهو صيب فيعل من صاب يصوب أي نزل ﴿من السماء﴾ أي من السحاب وقيل هي السماء بعينها والسماء كل ما علاك فاظلك وهي من أسماء الاجناس يكون واحدا وجمعا ﴿فيه﴾ أي في الصيب وقيل في السماء أي في السحاب ولذلك ذكره وقيل السماء يذكر ويؤنث قال الله تعالى (السماء منفطر به). وقال (اذا السماء انفطرت) ﴿ظلمات﴾ جمع ظلمة ﴿ورعد﴾ هو الصوت الذي تسمع من السحاب ﴿وبرق﴾ وهو النار التي تخرج منه. قال علي وابن عباس وأكثر المفسرين: الرعد

وهم يجمحون) (والبرق) هو ما يلمع في قلوب هؤلاء الضرب من المنافقين في بعض الاحيان من نور الايمان ولهذا (قال يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين) أي ولا يجدي عنهم حذرهم شيئاً لان الله محيط بقدرته وهم تحت مشيئته وإرادته كما قال (هل أتاك حديث الجنود فرعون وثمود بل الذين كفروا في تكذيب والله من ورائهم محيط بهم) ثم قال (يكاد البرق يخطف أبصارهم) أي لشدته وقوته في نفسه وضعف بصائرهم وعدم ثباتها للايمان وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (يكاد البرق يخطف أبصارهم) يقول يكاد محكم القرآن يدل على عورات المنافقين وقال ابن اسحق حدثني محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس (يكاد البرق يخطف أبصارهم) أي لشدة ضوء الحق كلما أضاء لهم مشوا فيه واذا أظلم عليهم قاموا أي كلما ظهر لهم من الايمان شيء استأنسوا به واتبعوه وتارة تعرض لهم الشكوك اظلمت قلوبهم فوقفوا حائرين وقال علي ابن أبي طلحة عن ابن عباس كلما أضاء لهم مشوا فيه يقول كلما أصاب المنافقين من عز الاسلام اطمأنوا اليه واذا أصاب الاسلام نكبة قاموا ليرجعوا الى الكفر كقوله تعالى (ومن الناس من يعبد الله على حرف فان أصابه خير اطمأن به) وقال محمد بن اسحق عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس كلما أضاء لهم مشوا فيه واذا أظلم عليهم قاموا أي يعرفون الحق ويتكلمون به فهم من قولهم به على استقامة فاذا ارتكسوا منه الى الكفر قاموا أي متحيرين وهكذا قال أبو العالية والحسن البصري وقتادة والربيع بن أنس والسدي بسنده عن الصحابة وهو أصح وأظهر والله أعلم، وهكذا يكونون يوم القيامة عند ما يعطى الناس النور بحسب ايمانهم فمنهم من يعطى من النور ما يضيء له مسيرة فراسخ وأكثر من ذلك وأقل من ذلك ▪ ومنهم من يطفأ نوره تارة ويضيء أخرى، ومنهم من يمشي على الصراط تارة ويقف أخرى ▪ ومنهم من يطفأ نوره بالكلية وهم الخاص من المنافقين الذين قال تعالى فيهم (يوم يقول

اسم ملك يسوق السحاب والبرق لمعان سوط من نور يزجر به الملك السحاب . وقيل الصوت زجر السحاب وقيل تسبيح الملك وقيل الرعد نطق الملك والبرق ضحكه . وقال مجاهد الرعد اسم الملك ويقال لصوته أيضا رعد والبرق اسم ملك يسوق السحاب، وقال شهر بن حوشب الرعد ملك يزجي السحاب فاذا تبددت ضمها فاذا اشتد غضبه طارت من فيه النار فهي الصواعق، وقيل الرعد صوت انحراق الريح بين السحاب والاول أصح ﴿يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق﴾ جمع صاعقة وهي الصيحة التي يموت من يسمعها أو يغشى عليه ويقال لكل عذاب مهلك صاعقة ▪ وقيل الصاعقة قطعة عذاب ينزلها الله على من يشاء، روي عن سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا سمع صوت الرعد والصواعق قال «اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك» ▪ قوله ﴿حذر الموت﴾ أي مخافة الهلاك ﴿والله محيط بالكافرين﴾ أى عالم بهم وقيل جامعهم . قال مجاهد : يجمعهم فيعذبهم . وقيل مهلكهم دليله قوله تعالى (الا ان يحاط بكم) أى تهلكوا جميعا ويميل أبو عمرو والكسائي الكافرين في محل النصب والخفض ولا يميلان (أول كافر به)

المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا » وقال في حق المؤمنين (يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الانهار) الاية وقال تعالى (يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا انك على كل شيء قدير)

(ذكر الحديث الوارد في ذلك)

قال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة في قوله تعالى (يوم ترى المؤمنين والمؤمنات) الآية ذكر لنا ان نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول من المؤمنين من يضيء نوره من المدينة الى عدن أبين بصنعاء ودون ذلك حتى ان من المؤمنين من لا يضيء نوره الا موضع قدميه رواه ابن جرير ورواه ابن أبي حاتم من حديث عمران ابن داود القطان عن قتادة بنحوه وهذا كما قال المنهال بن عمرو عن قيس بن السكن عن عبد الله بن مسعود قال يؤتون نورهم على قدر أعمالهم فمنهم من يؤتى نوره كالنخلة ومنهم من يؤتى نوره كالرجل القائم وأدناهم نورا على ابهامه يطفأ مرة ويتقد مرة وهكذا رواه ابن جرير عن ابن مثنى عن ابن ادريس عن أبيه عن المنهال وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا محمد بن علي بن محمد الطنافسي حدثنا ابن ادريس سمعت أبي يذكر عن المنهال بن عمرو عن قيس بن السكن عن عبد الله بن مسعود (نورهم يسعى بين أيديهم) قال على قدر أعمالهم يمرون على الصراط منهم من نوره مثل الجبل ومنهم من نوره مثل النخلة وأدناهم نورا من نوره في ابهامه يتقد مرة ويطفأ أخرى، وقال ابن أبي حاتم أيضا حدثنا محمد بن اسماعيل الاحمسي حدثنا أبو يحيى الحماني حدثنا عقبة بن اليقظان عن عكرمة عن ابن عباس قال ليس أحد من أهل التوحيد الا يعطى نورا يوم القيامه فاما المنافق فيطفأ نوره فالمؤمن

﴿يكاد البرق﴾ أى يقرب يقال كاد يفعل اذا قرب ولم يفعل ﴿ يخطف أبصارهم ﴾ يختلسها والخطف استلاب بسرعة ﴿ كلما ﴾ كل حرف جملة ضم الى ما الجزاء فصار أداة للتكرار ومعناهما متى ما ﴿ أضاء لهم مشوا فيه واذا أظلم عليهم قاموا ﴾ أى وقفوا متحيرين فالله تعالى شبههم في كفرهم ونفاقهم بقوم كانوا في مفازة وسواد في ليلة مظلمة أصابهم مطر فيه ظلمات من صفتها ان السارى لا يمكنه المشي فيها ورعد من صفته ان يضم السامعون أصابعهم الى آذانهم من هوله وبرق من صفته ان يقرب من ان يخطف أبصارهم ويعميها من شدة توقده فهذا مثل ضرب به الله للقرآن وصنيع الكافرين والمنافقين معه فالمطر القرآن لانه حياة الجنان، كما ان المطر حياة الابدان، والظلمات ما في القرآن من ذكر الكفر والشرك، والرعد ما خوفوا به من الوعيد، وذكر النار والبرق ما فيه من الهدى والبيان والوعد وذكر الجنة . فالكافرون يسدون آذانهم عند قراءة القرآن مخافة ميل القلب اليه لان الايمان عندهم كفر والكفر موت (يكاد البرق يخطف أبصارهم) أي القرآن يبهر قلوبهم . وقيل هذا مثل ضرب به الله للاسلام فالمطر الاسلام والظلمات ما فيه من البلاء والمحن والرعد ما فيه من الوعيد والمخاوف في

مشفق مما يرى من اطفاء نور المنافقين فهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا، وقال الضحاك بن مزاحم يعطى كل من كان يظهر الايمان في الدنيا يوم القيامة نورا فاذا انتهى الى الصراط طفيء نور المنافقين فلما رأى ذلك المؤمنون شفقوا فقالوا ربنا أتمم لنا نورنا

فاذا تقرر هذا صار الناس أقساما ، مؤمنون خلص وهم الموصوفون بالآيات الاربع في أول البقرة وكفار خلص وهم الموصوفون بالآيتين بعدها ومنافقون وهم قسمان خلص بهم المضروب لهم المثل الناري ومنافقون يترددون تارة يظهر لهم لمع الايمان وتارة يخبو وهم أصحاب المثل المائي وهم أخف حالا من الذين قبلهم . وهذا المقام يشبه من بعض الوجوه ما ذكر في سورة النور من ضرب مثل المؤمن وما جعل الله في قلبه من الهدى والنور بالمصباح في الزجاجة التي كأنها كوكب دري وهي قلب المؤمن المفطور على الايمان واستمداده من الشريعة الخالصة الصافية الواصلة اليه من غير كدر ولا تخليط كما سيأتي تقريره في موضعه ان شاء الله ثم ضرب مثل العباد من الكفار الذين يعتقدون أنهم على شيء وليسوا على شيء وهم أصحاب الجهل المركب في قوله تعالى (والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا) الآية ثم ضرب مثل الكفار الجهال الجهل البسيط وهم الذين قال تعالى فيهم (أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور) فقسم الكفار ههنا الى قسمين داعية ومقلد كما ذكرهما في أول سورة الحج (ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد) وقال (ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير) وقد قسم الله المؤمنين في أول الواقعة وفي آخرها ، وفي سورة الانسان الى قسمين سابقون وهم المقربون وأصحاب يمين وهم الابرار

فتلخص من مجموع هذه الآيات الكريمات ان المؤمنين صنفان مقربون وأبرار وان الكافرين صنفان دعاة ومقلدين . وان المنافقين أيضا صنفان منافق خالص ومنافق فيه شعبة من نفاق كما جاء في الصحيحين عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم « ثلاث من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه واحدة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : من اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا ائتمن خان » استدلوا به على ان الانسان قد تكون فيه شعبة من ايمان

الآخرة والبرق ما فيه من الوعد (يجعلون أصابعهم في آذانهم) يعني ان المنافقين اذا رأوا في الاسلام بلاء وشدة هربوا حذرا من الهلاك (والله محيط بالكافرين) جامعهم يعني لا ينفعهم هربهم لان الله تعالى من ورائهم يجمعهم فيعذبهم يكاد البرق يعني دلائل الاسلام تزعجهم الى النظر لولا ماسبق لهم من الشقاوة (كلما أضاء لهم مشوا فيه) يعني ان المنافقين اذا اظهروا كلمة الايمان آمنوا فاذا ماتوا عادوا الى الظلمة وقيل معناه كلما نالوا غنيمة وراحة في الاسلام ثبتوا وقالوا انا معكم واذا أظلم عليهم يعني رأوا شدة وبلاء تأخروا وقاموا أي وقفوا كما قال الله تعالى (ومن الناس من يعبد الله على حرف) ﴿ ولو شاء الله لذهب بسمعهم ﴾ أي بأسماعهم وأبصارهم الظاهرة كما ذهب بأسماعهم

وشعبة من نفاق . اما عملي لهذا الحديث أو اعتقادي كما دلت عليه الاية كما ذهب اليه طائفة من السلف وبعض العلماء كما تقدم وكما سيأتي ان شاء الله قال الامام أحمد حدثنا أبو النضر حدثنا ابو معاوية يعني شيبان عن ليث عن عمرو بن مرة عن أبي البختري عن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « القلوب أربعة: قلب أجرد فيه مثل السراج يزهر وقلب أغلف مربوط على غلافه وقلب منكوس وقلب مصفح فاما القلب الاجرد فقلب المؤمن فسراجه فيه نوره وأما القلب الاغلف فقلب الكافر وأما القلب المنكوس فقلب المنافق الخالص عرف ثم أنكر وأما القلب المصفح فقلب فيه ايمان ونفاق، ومثل الايمان فيه كمثل البقلة يمدها الماء الطيب ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدها القيح والدم فأي المادتين غلبت على الاخرى غلبت عليه » وهذا اسناد جيد حسن

وقوله تعالى (ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم ان الله على كل شيء قدير) قال محمد بن اسحق حدثني محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله تعالى (ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم) قال لما تركوا من الحق بعد معرفته (ان الله على كل شيء قدير) قال ابن عباس أي ان الله على كل ما أراد بعباده من نقمة أو عفو قدير . وقال ابن جرير : انما وصف الله تعالى نفسه بالقدرة على كل شيء في هذا الموضع لانه حذر المنافقين بأسه وسطوته وأخبرهم انه بهم محيط، وعلى اذهاب أسماعهم وأبصارهم قدير . ومعنى قدير قادر كما معنى عليم عالم

وذهب ابن جرير ومن تبعه من كثير من المفسرين الى ان هذين المثلين مضروبان لصنف واحد من المنافقين وتكون أو في قوله تعالى (أو كصيب من السماء) بمعنى الواو كقوله تعالى (ولا تطع منهم آثما أو كفورا) أو تكون للتخيير أي اضرب لهم مثلا بهذا وان شئت بهذا قال القرطبي : أو للتساوي مثل جالس الحسن أو ابن سيرين على ما وجهه الزمخشري ان كلا منهما مساو للآخر في اباحة الجلوس اليه ويكون معناه على قوله سواء ضربت لهم مثلا بهذا أو بهذا فهو مطابق لحالهم (قلت) وهذا يكون باعتبار جنس المنافقين فانهم أصناف ولهم أحوال وصفات كما ذكرها الله تعالى في سورة براءة - ومنهم - ومنهم - ومنهم يذكر أحوالهم وصفاتهم وما يعتمدونه من الافعال والاقوال فجعل هذين المثلين لصنفين منهم أشد مطابقة لاحوالهم وصفاتهم والله أعلم كما ضرب المثلين في سورة النور لصنفي الكفار الدعاة والمقلدين في قوله تعالى (والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة) الى ان قال (أو كظلمات في بحر لجي) الاية فالاول للدعاة الذين هم في جهل مركب والثاني لذوي الجهل البسيط من الاتباع المقلدين والله أعلم بالصواب

(يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون # الذي جعل

وأبصارهم الباطنة وقيل لذهب بما استفادوا من العز والامان الذى لهم بمنزلة السمع والبصر) ان الله على كل شيء قدير) قادر قرأ ابن عامر وحمزة شاء وجاء حيث كان بالامالة

قوله تعالى ﴿ يا أيها الناس ﴾ قال ابن عباس يا أيها الناس خطاب أهل مكة ويا أيها الذين

لكم الارض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون)

شرع تبارك وتعالى في بيان وحدانية ألوهيته بانه تعالى هو المنعم على عبيده باخراجهم من العدم الى الوجود واسباغه عليهم النعم الظاهرة والباطنة بان جعل لهم الارض فراشا أي مهدا كالفراش مقررة موطأة مثبتة بالرواسي الشامخات والسماء بناء وهو السقف كما قال في الآية الاخرى (وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون) ﴿ وأنزل من السماء ماء ﴾ والمراد به السحاب ههنا في وقته عند احتياجهم اليه فأخرج لهم به من أنواع الزروع والثمار ما هو مشاهد رزقا لهم ولا نعامهم كما قرر هذا في غير موضع من القرآن « ومن أشبه آية بهذه الاية قوله تعالى (الذي جعل لكم الارض قرارا والسماء بناء وصوركم فاحسن صوركم ورزقكم من الطيبات ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين) ومضمونه انه الخالق الرازق مالك الدار وساكنيها ورازقهم فبهذا يستحق ان يعبد وحده ولا يشرك به غيره ولهذا قال (فلا تجعلوا لله اندادا لكم وأنتم تعلمون) وفي الصحيحين عن ابن مسعود قال قلت يارسول الله أي الذنب أعظم عند الله « قال « ان تجعل لله ندا وهو خلقك » الحديث وكذا حديث معاذ أتدري ما حق الله على عباده؟ « أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا » الحديث ، وفي الحديث الآخر « لا يقولن أحدكم ما شاء الله وشاء فلان ولكن ليقل ما شاء الله ثم شاء فلان » وقال حماد بن سلمة حدثنا عبد الملك بن عمير عن ربعي بن خراش عن الطفيل بن سخبرة أخي عائشة أم المؤمنين لأمها قالت رأيت فيما يرى النائم كأني أتيت على نفر من اليهود فقلت من أنتم قالوا نحن اليهود قلت أنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون عزير ابن الله قالوا وإنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون ما شاء الله وشاء محمد ، قال ثم مررت بنفر من النصارى فقلت من أنتم قالوا نحن النصارى قلت أنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون المسيح ابن الله ، قالوا وإنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون ما شاء الله وشاء محمد . فلما أصبحت أخبرت بها من أخبرت ثم أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال « هل أخبرت بها أحدا » قلت نعم فقام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال « أما بعد فان طفيلا رأى رؤيا أخبر بها من أخبر منكم وانكم قلتم كلمة كان يمنعني كذا وكذا ان أنهاكم عنها فلا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد ولكن قولوا ما شاء الله وحده » هكذا رواه ابن مردويه في تفسير هذه الآية من حديث حماد بن سلمة به وأخرجه ابن ماجه من وجه آخر عن عبد الملك بن عمير به بنحوه « وقال سفيان بن سعيد

آمنوا خطاب أهل المدينة وهو ههنا عام الامن حيث انه لا يدخله الصغار والمجانين

﴿ اعبدوا ﴾ وحدوا . قال ابن عباس كل ماورد في القرآن من العبادة فمعناها التوحيد ﴿ ربكم الذي خلقكم ﴾ والخلق اختراع الشيء على غير مثال سبق ﴿ والذين من قبلكم ﴾ أي وخلق الذين من قبلكم ﴿ لعلكم تتقون ﴾ لكي تنجوا من العذاب وقيل معناه كونوا على رجاء التقوى بان تصيروا في ستر

الثورى عن الاجلح بن عبد الله الكندى عن يزيد بن الاصم عن ابن عباس قال قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم ما شاء الله وما شئت فقال « أجعلتني لله ندا؟ قل ما شاء الله وحده » رواه ابن مردويه وأخرجه النسائي وابن ماجه من حديث عيسى بن يونس عن الاجلح به وهذا كله صيانة وحماية لجناب التوحيد والله أعلم . وقال محمد بن اسحق حدثني محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قال الله تعالى (يا أيها الناس اعبدوا ربكم) للفريقين جميعا من الكفار والمنافقين « أي وحدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم وبه عن ابن عباس (فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون) أي لا تشركوا بالله غيره من الانداد التي لا تنفع ولا تضر وأنتم تعلمون أنه لارب لكم يرزقكم غيره وقد علمتم أن الذي يدعوكم اليه الرسول صلى الله عليه وسلم من التوحيد هو الحق الذي لاشك فيه وهكذا قال قتادة وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن عمرو بن أبي عاصم حدثنا أبي عمرو حدثنا أبي الضحاك بن مخلد أبو عاصم حدثنا شبيب بن بشر حدثنا عكرمة عن ابن عباس في قول الله عز وجل (فلا تجعلوا لله أندادا) قال الانداد هو الشرك أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل وهو أن يقول والله وحياتك يا فلان وحياتي ويقول لولا كلبة هذا لاتانا اللصوص البارحة ولولا البط في الدار لاتى اللصوص وقول الرجل لصاحبه ما شاء الله وشئت « وقول الرجل لولا الله وفلان لاتجعل فيها فلان هذا كله به شرك وفي الحديث ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما شاء الله وشئت، قال « أجعلتني لله ندا؟ » وفي الحديث الآخر « نعم القوم أنتم لولا أنكم تنددون تقولون ما شاء الله وشاء فلان قال أبو العالية فلا تجعلوا لله أندادا أي عدلاء شركاء وهكذا قال الربيع بن أنس وقتادة والسدى وأبو مالك واسمعيل بن أبي خالد وقال مجاهد (فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون) قال تعلمون انه اله واحد في التوراة والانجيل

﴿ ذكر حديث في معنى هذه الآية الكريمة ﴾

قال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا أبو خلف موسى بن خلف وكان يعد من البدلاء حدثنا يحيى بن أبي كثير عن زيد بن سلام عن جده ممطور عن الحرث الاشعري أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال « ان الله عز وجل أمر يحيى بن زكريا عليه السلام بخمس كلمات أن يعمل بهن وان يأمر بني اسرائيل ان يعملوا بهن وانه كاد ان يبطيء بها فقال له عيسى عليه السلام انك قد امرت بخمس

ووقاية من عذاب الله وحكم الله من ورائكم يفعل مايشاء كما قال(فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى) أى ادعواه الى الحق وكونا على رجاء التذكر وحكم الله من ورائه يفعل مايشاء قال سيبويه لعل وعسى حرفا ترج وهما من الله واجب ﴿ الذي جعل لكم الارض فراشا ﴾ أى بساطا وقيل مناما وقيل وطاء أى ذللها ولم يجعلها حزنة لايمكن القرار عليها والجعل ههنا بمعنى الخلق والسماء بناء سقفا مرفوعا ﴿ وأنزل

كلمات أن تعمل بهن وتأمر بني اسرائيل ان يعملوا بهن فاما ان تبلغهن واما ان ابلغهن فقال يا أخي اني اخشى ان سبقتني ان اعذب او يخسف بي قال فجمع يحيي بن زكريا بني اسرائيل في بيت المقدس حتى امتلأ المسجد فقعد على الشرف فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ان الله أمرني بخمس كلمات ان اعمل بهن وآمركم ان تعملوا بهن اولهن ان تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا فان مثل ذلك كمثل رجل اشترى عبدا من خالص ماله بورق او ذهب فجعل يعمل ويؤدي غلته الى غير سيده فأيكم يسره ان يكون عبده كذلك وان الله خلقكم ورزقكم فاعبدوه ولا تشركوا به شيئا ، وأمركم بالصلاة فان الله ينصب وجهه لوجه عبده مالم يلتفت فاذا صليتم فلا تلتفتوا ، وأمركم بالصيام فان مثل ذلك كمثل رجل معه صرة من مسك في عصابة كلهم يجد ريح المسك وان خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك ، وأمركم بالصدقة فان مثل ذلك كمثل رجل أسره العدو فشدوا يديه الى عنقه وقدموه ليضربوا عنقه وقال لهم هل لكم ان أفتدي نفسي منكم فجعل يفتدي نفسه منهم بالقليل والكثير حتى فك نفسه ، وأمركم بذكر الله كثيرا وان مثل ذلك كمثل رجل طلبه العدو سراعا في أثره فأتى حصنا حصينا فتحصن فيه وان العبد احصن مايكون من الشيطان اذا كان في ذكر الله » قال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « وأنا آمركم بخمس الله أمرني بهن : الجماعة والسمع والطاعة والهجرة والجهاد في سبيل الله فانه من خرج من الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه الا أن يراجع ومن دعا بدعوى جاهلية فهو من جثى جهنم » قالوا يارسول الله وان صام وصلى فقال « وان صلى وصام وزعم أنه مسلم فادعوا المسلمين باسمائهم على ماسماهم الله عز وجل المسلمين المؤمنين عباد الله » هذا حديث حسن والشاهد منه في هذه الآية قوله « وان الله خلقكم ورزقكم فاعبدوه ولا تشركوا به شيئا » وهذه الآية دالة على توحيده تعالى بالعبادة وحده لاشريك له وقد استدل به كثير من المفسرين كالرازي وغيره على وجود الصانع تعالى وهي دالة على ذلك بطريق الاولى فان من تأمل هذه الموجودات السفلية والعلوية واختلاف أشكالها وألوانها وطباعها ومنافعها ووضعها في مواضع النفع بها محكمة علم قدرة خالقها وحكمته وعلمه واتقانه وعظيم سلطانه كما قال بعض الاعراب وقد سئل ما الدليل على وجود الرب تعالى؟ فقال ياسبحان الله ان البعر ليدل على البعير ، وان أثر الاقدام لتدل على المسير « فسماء ذات أبراج ، وارض ذات فجاج ، وبحار ذات أمواج ؟ ألا يدل ذلك على وجود اللطيف الخبير ؟

وحكى الرازي عن الامام مالك أن الرشيد سأله عن ذلك فاستدل له باختلاف اللغات والاصوات والنغمات وعن أبي حنيفة ان بعض الزنادقة سألوه عن وجود الباري تعالى فقال لهم دعوني فاني مفكر في أمر قد اخبرت عنه ذكروا لي أن سفينة في البحر موقرة فيها أنواع من المتاجر وليس بها أحد

من السماء ﴾ أى من السحاب ﴿ ماء ﴾ وهو المطر ﴿ فأخرج به من الثمرات ﴾ من ألوان الثمرات وأنواع النبات ﴿ رزقا لكم ﴾ طعاما لكم وعلفا لدوابكم ﴿ فلا تجعلوا لله أندادا ﴾ أى أمثالا تعبدونهم كعبادة الله

يحرسها ولا يسوقها وهي مع ذلك تذهب وتجيء وتسير بنفسها وتخترق الامواج العظام حتى تتخلص منها وتسير حيث شاءت بنفسها من غير ان يسوقها أحد فقالوا هذا شيء لايقوله عاقل فقال ويحكم هذه الموجودات بما فيها من العالم العلوي والسفلي وما اشتملت عليه من الاشياء المحكمة ليس لها صانع فبهت القوم ورجعوا الى الحق وأسلموا على يديه * وعن الشافعي انه سئل عن وجود الصانع فقال هذا ورق التوت طعمه واحد تأكله الدود فيخرج منه الابريسم وتأكله النحل فيخرج منه العسل وتأكله الشاة والبقر والانعام فتلقيه بعرا وروثا وتأكله الظباء فيخرج منها المسك وهو شيء واحد وعن الامام أحمد بن حنبل انه سئل عن ذلك فقال ههنا حصن حصين أملس ليس له باب ولا منفذ ظاهره كالفضة البيضاء وباطنه كالذهب الابريز فبينا هو كذلك اذ انصدع جداره فخرج منه حيوان سميع بصير ذو شكل حسن وصوت مليح يعني بذلك البيضة اذا خرج منها الدجاجة وسئل ابو نواس عن ذلك فأنشد :

تأمل في نبات الارض وانظر * الى آثار ما صنع المليك
عيون من لجين شاخصات * بأحداق هي الذهب السبيك
على قضب الزبرجد شاهدات * بأن الله ليس له شريك

وقال ابن المعتز

فياعجبا كيف يعصى الاله * أم كيف يجحده الجاحد
وفي كل شيء له آية * تدل على أنه واحد

وقال آخرون من تأمل هذه السموات في ارتفاعها واتساعها وما فيها من الكواكب الكبار والصغار النيرة من السيارة ومن الثوابت وشاهدها كيف تدور مع الفلك العظيم في كل يوم وليلة دويرة ولها في أنفسها سير يخصها ونظر الى البحار المكتنفة للارض من كل جانب والجبال الموضوعة في الارض لتقر ويسكن ساكنوها مع اختلاف أشكالها وألوانها كما قال تعالى (ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود * ومن الناس والدواب والانعام مختلف الوانه كذلك انما يخشى الله من عباده العلماء ، وكذلك هذه الانهار السارحة من قطر الى قطر للمنافع وما ذرأ في الارض من الحيوانات المتنوعة والنبات المختلف الطعوم والارايبج والاشكال والالوان مع اتحاد طبيعة التربة والماء استدل على وجود الصانع وقدرته العظيمة وحكمته ورحمته بخلقه ولطفه بهم واحسانه اليهم وبره بهم لا اله غيره ولا رب سواه عليه توكلت واليه أنيب ، والايات في القرآن الدالة على هذا المقام كثيرة جدا

(وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من

وقال أبو عبيدة الند الضد وهو من الاضداد والله تعالى بريء من المثل والضد ﴿ وأنتم تعلمون ﴾ انه واحد خالق هذه الاشياء ﴿ وان كنتم في ريب ﴾ أى وان كنتم في شك لان الله تعالى علم انهم شاكون ﴿ مما

دون الله ان كنتم صادقين * فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين)

ثم شرع تعالى في تقرير النبوة بعد أن قرر أنه لا اله الا هو فقال مخاطبا للكافرين (وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم فأتوا بسورة من مثل ماجاء به ان زعمتم أنه من عند غير الله فعارضوه بمثل ماجاء به واستعينوا على ذلك بمن شئتم من دون الله فانكم لاتستطيعون ذلك، قال ابن عباس شهداءكم أعوانكم، وقال السدي عن أبي مالك شركاءكم أي قوما آخرين يساعدونكم على ذلك أي استعينوا بآلهتكم في ذلك يمدونكم وينصرونكم، وقال مجاهد وادعوا شهداءكم قال ناس يشهدون به يعني حكام الفصحاء وقد تحداهم الله تعالى بهذا في غير موضع من القرآن فقال في سورة القصص (قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدي منهما أتبعه ان كنتم صادقين) وقال في سورة سبحان (قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لايأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) وقال في سورة هود (أم يقولون افتراه قل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين) وقال في سورة يونس (وما كان هذا القرآن أن يفتري من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لاريب فيه من رب العالمين * أم يقولون افتراه قل فاتوا بسورة من مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين) وكل هذه الآيات مكية ثم تحداهم بذلك أيضا في المدينة فقال في هذه الآية (وان كنتم في ريب — أي شك — مما نزلناه على عبدنا) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم فاتوا بسورة من مثله يعني من مثل القرآن قاله مجاهد وقتادة واختاره ابن جرير الطبري والزمخشري والرازي ونقله عن عمر وابن مسعود وابن عباس والحسن البصري وأكثر المحققين ورجح ذلك بوجوه من أحسنها انه تحداهم كلهم متفرقين ومجتمعين سواء في ذلك أميهم وكتابيهم وذلك أكمل في التحدي واشمل من أن يتحدى آحادهم الاميين ممن لايكتب ولايعاني شيئا من العلوم وبدليل قوله تعالى (فاتوا بعشر سور مثله) وقوله (لا ياتون بمثله) وقال بعضهم من مثل محمد صلى الله عليه وسلم يعني من رجل أمي مثله والصحيح الاول لان التحدى عام لهم كلهم مع انهم أفصح الامم وقد تحداهم بهذا في مكة والمدينة مرات عديدة مع شدة عداوتهم له وبغضهم لدينه ومع هذا اعجزوا عن ذلك ولهذا قال تعالى (فان لم تفعلوا ولن تفعلوا) ان لنفي التابيد في المستقبل أى ولن تفعلوا ذلك أبدا

﴿ نزلنا ﴾ يعني القرآن ﴿ على عبدنا ﴾ محمد ﴿ فأتوا ﴾ أمر تعجيز ﴿ بسورة ﴾ والسورة قطعة من القرآن معلومة الاول والاخر من أسارت أى أفضلت حذفت الهمزة وقيل السورة اسم المنزلة الرفيعة ومنه سور البلد لارتفاعه سميت سورة لان القاريء ينال بقراءتها منزلة رفيعة حتي يستكمل المنازل باستكماله سور القرآن ﴿ من مثله ﴾ أي مثل القرآن ومن صلة كقوله تعالى (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم)

وهذه أيضا معجزة أخرى وهو أنه أخبر خبرا جازما قاطعا مقدما غير خائف ولا مشفق ان هذا القرآن لايعارض بمثله أبد الآبدين ودهر الداهرين وكذلك وقع الامر لم يعارض من لدنه الى زماننا هذا ولا يمكن وأني يتأتى ذلك لاحد والقرآن كلام الله خالق كل شيء وكيف يشبه كلام الخالق كلام المخلوقين ومن تدبر القرآن وجد فيه من وجوه الاعجاز فنونا ظاهرة وخفية من حيث اللفظ ومن جهة المعنى قال الله تعالى (الر، كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير فاحكمت الفاظه وفصلت معانيه أو بالعكس على الخلاف فكل من لفظه ومعناه فصيح لايحادى ولا يداني فقد أخبر عن مغيبات ماضية كانت ووقعت طبق ما أخبر سواء بسواء وأمر بكل خير ونهى عن كل شر كما قال تعالى (وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا) اى صدقا في الاخبار وعدلا في الاحكام فكله حق وصدق وعدل وهدى ليس فيه مجازفة ولا كذب ولا افتراء كما يوجد في اشعار العرب وغيرهم من الاكاذيب والمجازفات التي لا يحسن شعرهم الا بها كما قيل في الشعران اعذبه اكذبه وتجد القصيدة الطويلة المديدة قد استعمل غالبها في وصف النساء أو الخيل أوالخمر أو في مدح شخص معين أو فرس أو ناقة أو حرب أو كائنة أو مخافة أو سبع أو شيء من المشاهدات المتعينة التي لا تفيد شيئا الا قدرة المتكلم المعبر على الشيء الخفي أو الدقيق أو ابرازه الى الشيء الواضح ثم تجد له فيه بيتا أو بيتين أو أكثرهي بيوت القصيد وسائرها هذر لا طائل تحته، وأما القرآن فجميعه فصيح في غاية نهايات البلاغة عند من يعرف ذلك تفصيلا واجمالا ممن فهم كلام العرب وتصاريف التعبير، فانه ان تأملت أخباره وجدتها في غاية الحلاوة سواء كانت مبسوطة أو وجيزة وسواء تكررت أم لا وكلما تكررت حلا وعلا، لايخلق عن كثرة الرد ، ولا يمل منه العلماء، وان أخذ في الوعيد والتهديد جاء منه ماتقشعر منه الجبال الصم الراسيات فما ظنك بالقلوب الفاهمات وان وعد أتى بما يفتح القلوب والآذان، ويشوق الى دار السلام ومجاورة عرش الرحمن كما قال في الترغيب (فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون) وقال (فيها ماتشتهيه الانفس وتلذ الاعين وأنتم فيها خالدون) وقال في الترهيب (أفأمنتم ان يخسف بكم جانب البر ، أأمنتم من في السماء ان يخسف بكم الارض فاذا هي تمور أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا فستعلمون كيف نذير) : وقال في الزجر (فكلا أخذنا بذنبه) وقال في الوعظ (أفرأيت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم ماكانوا يمتعون) الى غير ذلك من أنواع الفصاحة والبلاغة والحلاوة وان جاءت الآيات في الاحكام والاوامر والنواهي اشتملت على الامر بكل معروف حسن نافع طيب محبوب، والنهي عن كل قبيح رذيل دني، كما قال ابن مسعود وغيره من السلف اذا سمعت الله تعالى يقول في القرآن

وقيل الهاء في مثله راجعة الى محمد صلى الله عليه وسلم أمي لايحسن الخط والكتابة ﴿وادعوا شهداءكم﴾ أي واستعينوا بآلهتكم التي تعبدونها ﴿من دون الله﴾ وقال مجاهد ناسا يشهدون لكم ﴿ان كنتم صادقين﴾ ان محمد صلى الله عليه وسلم تقوله من تلقاء نفسه فلما تحداهم عجزوا فقال ﴿فان لم تفعلوا﴾ فيما مضى ﴿ولن

أيها الذين آمنوا فارعها سمعك فانها خير يأمر به أو شر ينهى عنه ولهذا قال تعالى(يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم أصرهم والاغلال التي كانت عليهم) الآية وان جاءت الآيات في وصف المعاد وما فيه من الاهوال وفي وصف الجنة والنار وما أعد الله فيهما لاوليائه وأعدائه من النعيم والجحيم، والملاذ والعذاب الاليم ، بشرت به وحذرت وأنذرت، ودعت الى فعل الخير واجتناب المنكرات، وزهدت في الدنيا ورغبت في الاخرى، وثبتت على الطريقة المثلى، وهدت الى صراط الله المستقيم، وشرعه القويم، ونفت عن القلوب رجس الشيطان الرجيم . ولهذا ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «ما من نبي من الانبياء الا قد أعطى من الآيات ما آمن على مثله البشر وانما الذي كان أوتيته وحيا أوحاه الله اليّ فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة— لفظ مسلم —وقوله صلى الله عليه وسلم وانما كان الذي أوتيته وحيا أي الذي اختصصت به من بينهم هذا القرآن المعجز للبشر أن يعارضوه بخلاف غيره من الكتب الالهية فانها ليست معجزة عند كثير من العلماء والله أعلم ، وله عليه الصلاة والسلام من الآيات الدالة على نبوته وصدقه فيما جاء به ما لا يدخل تحت حصر ولله الحمد والمنة

وقد قرر بعض المتكلمين الاعجاز بطريق يشمل قول أهل السنة وقول المعتزلة في الصرفة فقال ان كان هذا القرآن معجزا في نفسه لا يستطيع البشر الاتيان بمثله ولا في قواهم معارضته فقد حصل المدعى وهو المطلوب ، وان كان في امكانهم معارضته بمثله ولم يفعلوا ذلك مع شدة عداوتهم له كان ذلك دليلا على انه من عند الله لصرفه إياهم عن معارضته مع قدرتهم على ذلك، وهذه الطريقة وان لم تكن مرضية لان القرآن في نفسه معجز لا يستطيع البشر معارضته كما قررنا الا انها تصلح على سبيل التنزل والمجادلة والمنافحة عن الحق وبهذه الطريقة أجاب الرازي في تفسيره عن سؤاله في السور القصار كالعصر وإنا أعطيناك الكوثر

وقوله تعالى (فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين) أما الوقود بفتح الواو فهو ما يلقى في النار لاضرامها كالحطب ونحوه كما قال تعالى (وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا) وقال تعالى (انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون ، لو كان هؤلاء آلهة ماوردوها وكل فيها خالدون) والمراد بالحجارة ههنا هي حجارة الكبريت العظيمة السوداء الصلبة المنتنة وهي أشد الاحجار حرا اذا حميت أجارنا الله منها : وقال عبد الملك بن ميسرة الزراد عن عبد الرحمن بن سابط عن عمرو بن ميمون عن عبد الله بن مسعود في قوله تعالى (وقودها الناس والحجارة)قال هي حجارة من كبريت خلقها الله يوم خلق السموات والارض في السماء الدنيا يعدها للكافرين. رواه ابن جرير وهذا لفظه وابن أبي حاتم والحاكم في مستدركه وقال على شرط

تفعلوا﴾ أبدا فيما بقي وانما قال ذلك لبيان الاعجاز وان القرآن كان معجز النبي صلى الله عليه وسلم حيث عجزوا عن الاتيان بمثله قوله ﴿فاتقوا النار﴾ أي فآمنوا واتقوا بالايمان النار ﴿ التي وقودها الناس والحجارة ﴾

الشيخين . وقال السدى في تفسيره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من الصحابة اتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أما الحجارة فهي حجارة في النار من كبريت أسود يعذبون به مع النار وقال مجاهد حجارة من كبريت أنتن من الجيفة ، وقال أبو جعفر محمد بن علي حجارة من كبريت وقال ابن جريج حجارة من كبريت أسود في النار وقال لي عمرو بن دينار أصلب من هذه الحجارة وأعظم .وقيل المراد بها حجارة الاصنام والانداد التي كانت تعبد من دون الله كما قال تعالى (انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم) الآية حكاه القرطبي والرازي ورجحه على الاول: قال لان أخذ النار في حجارة الكبريت ليس بمستنكر فجعلها هذه الحجارة أولى. وهذا الذي قاله ليس بقوي وذلك أن النار اذا أضرمت بحجارة الكبريت كان ذلك اشد لحرها وأقوى لسعيرها ولا سيما على ما ذكره السلف من انها حجارة من كبريت معدة لذلك، ثم ان أخذ النار بهذه الحجارة أيضا مشاهد وهذا الجص يكون أحجارا فيعمل فيه بالنار حتى يصير كذلك .وكذلك سائر الاحجار تفتخرها النار وتحرقها وانما سيق هذا في حر هذا النار التي وعدوا بها وشدة ضرامها وقوة لهبها قال تعالى (كلما خبت زدناهم سعيرا) وهكذا رجح القرطبي ان المراد بها الحجارة التي تسعر بها النار لتحمر ويشتد لهبها قال ليكون ذلك أشد عذابا لاهلها قال وقد جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال« كل مؤذ في النار » وهذا الحديث ليس بمحفوظ ولا معروف ثم قال القرطبي وقد فسر بمعنيين أحدهما ان كل من آذى الناس دخل النار والآخر ان كل مايؤذى في النار يتأذى به أهلها من السباع والهوام وغير ذلك

وقوله تعالى (أعدت للكافرين) الاظهر ان الضمير في أعدت عائد الى النار التي وقودها الناس والحجارة ويحتمل عوده الى الحجارة كما قال ابن مسعود ولا منافاة بين القولين في المعنى لانهما متلازمان وأعدت أى أرصدت وحصلت للكافرين بالله ورسوله كما قال ابن اسحق عن محمد عن عكرمة أوسعيد بن جبير عن ابن عباس (اعدت للكافرين) اى لمن كان على مثل ما انتم عليه من الكفر وقد استدل كثير من أئمة السنة بهذه الآية على ان النار موجودة الآن لقوله تعالى (اعدت) اى أرصدت وهيئت وقد وردت أحاديث كثيرة في ذلك منها «تحاجت الجنة والنار» ومنها« استأذنت النار ربها فقالت رب كل بعضي بعضا فأذن لها بنفسين نفس في الشتاء ونفس في الصيف »وحديث ابن مسعود سمعنا وجبة فقلنا ما هذه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «هذا حجر ألقي به من شفير جهنم منذ سبعين سنة الآن وصل الى قعرها »وهو عند مسلم وحديث صلاة الكسوف وليلة الاسراء وغير ذلك من الاحاديث المتواترة في هذا المعنى وقد خالفت المعتزلة بجهلهم

قال ابن عباس وأكثر المفسرين يعني حجارة الكبريت لانها أكثر التهابا وقيل جميع الحجارة وهو دليل على عظم تلك النار وقيل أراد بها الاصنام لان أكثر أصنامهم كانت منحوتة من الحجارة كما قال انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم ﴿ أعدت ﴾ هيئت ﴿ للكافرين ﴾

في هذا ووافقهم القاضي منذر بن سعيد البلوطي قاضي الاندلس

■ (تنبيه ينبغي الوقوف عليه) ■

قوله تعالى (فأتوا بسورة من مثله) وقوله في سورة يونس (بسورة مثله) يعم كل سورة في القرآن طويلة كانت أوقصيرة لانها نكرة في سياق الشرط فتعم كما هي في سياق النفي عند المحققين من الاصوليين كما هو مقرر في موضعه فالاعجاز حاصل في طوال السور وقصارها وهذا ما أعلم فيه نزاعا بين الناس سلفا وخلفا وقد قال الرازي في تفسيره فان قيل قوله تعالى (فأتوا بسورة من مثله) يتناول سورة الكوثر وسورة العصر وقل ياأيها الكافرون ونحن نعلم بالضرورة ان الاتيان بمثله أو بما يقرب منه ممكن ■ فان قلتم ان الاتيان بمثل هذه السور خارج عن مقدار البشر كان مكابرة والاقدام على هذه المكابرات مما يطرق بالتهمة الى الدين (قلنا) فلهذا السبب اخترنا الطريق الثاني وقلنا ان بلغت هذه السورة في الفصاحة حد الاعجاز فقد حصل المقصود وان لم يكن كذلك كان امتناعهم من المعارضة مع شدة دواعيهم الى توهين أمره معجزا فعلى التقديرين يحصل المعجز هذا لفظه بحروفه والصواب ان كل سورة من القرآن معجزة لايستطيع البشر معارضتها طويلة كانت أو قصيرة ، قال الشافعي رحمه الله لو تدبر الناس هذه السورة لكفتهم (والعصر ان الانسان لفي خسر * الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) وقد روينا عن عمرو بن العاص انه وفد على مسيلمة الكذاب قبل ان يسلم فقال له مسيلمة ماذا أنزل على صاحبكم بمكة في هذا الحين فقال له عمرو لقد أنزل عليه سورة وجيزة بليغة فقال وما هي فقال (والعصر ان الانسان لفي خسر) ففكر ساعة ثم رفع رأسه فقال ولقد أنزل علي مثلها فقال وما هو فقال ياوبر ياوبر انما أنت أذنان وصدر وسائرك حقر فقر ثم قال كيف ترى ياعمرو فقال له عمرو والله انك لتعلم أني لاعلم أنك تكذب

(وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الانهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابها ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون)

لما ذكر تعالى ما أعده لاعدائه من الاشقياء الكافرين به وبرسله من العذاب والنكال عطف

قوله تعالى ﴿ وبشر الذين آمنوا ﴾ أي اخبروا البشارة كل خبر صدق تتغير به بشرة الوجه ويستعمل في الخير والشر وفي الخير أغلب ﴿ وعملوا الصالحات ﴾ أي الفعلات الصالحات يعني المؤمنين الذين هم من أهل الطاعات . قال عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه : (وعملوا الصالحات) أي أخلصوا الاعمال كما قال (فليعمل عملا صالحا) أي خاليا عن الرياء . قال معاذ : العمل

يذكر حال أوليائه من السعداء المؤمنين به وبرسله الذين صدقوا ايمانهم بأعمالهم الصالحة وهذا معنى تسمية القرآن مثاني على أصح أقوال العلماء كما سنبسطه في موضعه وهو أن يذكر الايمان ويتبع بذكر الكفر أو عكسه أو حال السعداء ثم الاشقياء أو عكسه ، وحاصله ذكر الشيء ومقابله . وأما ذكر الشيء ونظيره فذاك التشابه كما سنوضحه ان شاء الله، فلهذا قال تعالى (وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات ان لهم جنات تجري من تحتها الانهار) فوصفها بأنها تجري من تحتها الانهار أي من تحت أشجارها وغرفها وقد جاء في الحديث ان انهارها تجري في غير أخدود وجاء في الكوثر ان حافتيه قباب اللؤلؤ المجوف ولا منافاة بينهما فطينها المسك الاذفر ،وحصباؤها اللؤلؤ والجوهر ، نسأل الله من فضله انه هو البر الرحيم(١) وقال ابن أبي حاتم قرأ علي الربيع بن سليمان حدثنا أسد بن موسى حدثنا ابو ثوبان عن عطاء بن قرة عن عبد الله بن ضمرة عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنهار الجنة تفجر من تحت تلال أو من تحت جبل المسك »وقال أيضا حدثنا ابو سعيد حدثنا وكيع عن الاعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق ، قال قال عبد الله : أنهار الجنة تفجر من جبل مسك

وقوله تعالى (كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل) قال السدي في تفسيره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من الصحابة

(١) قد سقط من النسخة المدعو به وهو اما دخول الجنة أو الشرب من الكوثر

الصالح الذي فيه أربعة أشياء ، العلم ، والنية ، والصبر ، والاخلاص ﴿ أن لهم جنات ﴾ جمع الجنة ، والجنة البستان الذي فيه أشجار مثمرة سميت بها لاجتنانها وتسترها بالاشجار . وقال الفراء : الجنة ما فيه النخيل ، والفردوس ما فيه الكرم ﴿ تجري من تحتها ﴾ أي من تحت أشجارها ومساكنها ﴿ الانهار ﴾ أي المياه في الأنهار لان النهر لايجري . وقيل (من تحتها) أي بأمرهم لقوله تعالى حكاية عن فرعون (وهذه الانهار تجري من تحتي) أي بأمري والانهار جمع نهر سمي به لسعته وضيائه ، ومنه النهار. وفي الحديث « أنهار الجنة في غير أخدود » ﴿ كلما ﴾ متى ما ﴿ رزقوا ﴾ أطعموا ﴿ منها ﴾ أي من الجنة ﴿ من ثمرة ﴾ أي ثمرة ومن صلة ﴿ رزقا ﴾ طعاما ﴿ قالوا هذا الذي رزقنا من قبل ﴾ وقبل رفع على الغاية . قال الله تعالى (لله الامر من قبل ومن بعد) قيل : من قبل في الدنيا وقيل : الثمار في الجنة متشابهة في اللون ، مختلفة في الطعم ، فاذا رزقوا ثمرة بعد أخرى ظنوا أنها الاولى ﴿ وأتوا به ﴾ بالرزق ﴿ متشابها ﴾ قال ابن عباس ومجاهد والربيع : متشابها في الالوان ، مختلفا في الطعوم . وقال الحسن وقتادة متشابها أي يشبه بعضها بعضا في الجودة ، أي كلها خيار لا رزالة فيها . وقال محمد بن كعب : يشبه ثمر الدنيا غير أنها أطيب . وقيل : متشابها في الاسم ، مختلفا في الطعم . قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه : ليس في الدنيا مما في الجنة الا الاسامي . أنا أبو حامد أحمد ابن عبد الله الصالحي أنا أبو سعيد محمد بن موسى الصيرفي أنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الصفار أنا أحمد بن محمد بن عيسى البزي أنا محمد بن كثير أنا سفيان الثوري عن الاعمش عن أبي سفيان عن

قالوا هذا الذي رزقنا من قبل ، قال انهم أتوا بالثمرة في الجنة فلما نظروا اليها قالوا هذا الذي رزقنا من قبل في الدنيا وهكذا قال قتادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ونصره ابن جرير وقال عكرمة (قالوا هذا الذى رزقنا من قبل) قال معناه مثل الذي كان بالامس وكذا قال الربيع بن أنس . وقال مجاهد يقولون ما أشبهه به ، قال ابن جرير وقال آخرون بل تأويل ذلك هذا الذي رزقنا من قبل ثمار الجنة من قبل هذا الشدة مشابهة بعضه بعضا لقوله تعالى (وأتوا به متشابها) قال سنيد ابن داود حدثنا شيخ من أهل المصيصة عن الاوزاعي عن يحيي بن أبي كثير قال يؤتي أحدهم بالصحفة من الشيء فيأكل منها ثم يؤتي باخري فيقول هذا الذى أتينا به من قبل فتقول الملائكة كل فاللون واحد والطعم مختلف . وقال ابن ابي حاتم حدثنا أبي حدثنا سعيد بن سليمان حدثنا عامر بن يساف عن يحيي بن أبي كثير قال عشب الجنة الزعفران وكثبانها المسك ويطوف عليهم الولدان بالفواكه فيأكلونها ثم يؤتون بمثلها فيقول لهم أهل الجنة هذا الذى اتيتمونا آنفا به فتقول لهم الولدان كلوا فاللون واحد والطعم مختلف وهو قول الله تعالى (وأتوا به متشابها) وقال ابو جعفر الرازى عن الربيع بن أنس عن أبي العالية (وأتوا به متشابها) قال يشبه بعضه بعضا ويختلف في الطعم ، قال ابن أبي حاتم وروى عن مجاهد والربيع بن أنس والسدي نحو ذلك وقال ابن جرير باسناده عن السدي في تفسيره عن أبي مالك وعن ابي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن

جابر ابن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أهل الجنة يأكلون و يشربون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يمتخطون ولا يبزقون ، يلهمون الحمد والتسبيح كما تلهمون النفس ، طعامهم الجشاء ورشحهم المسك» قوله تعالى ﴿ ولهم فيها ﴾ في الجنان ﴿ أزواج ﴾ نساء وجواري يعني من الحور العين ﴿ مطهرة ﴾ من الغائط والبول والحيض والنفاس والبصاق والمخاط والمني والولد وكل قذر . قال ابراهيم النخعي : في الجنة جماع ما شئت ولا ولد . وقال الحسن : هن عجائزكم الغمص العمش طهرن من قذرات الدنيا . وقيل : مطهرة عن مساوي الاخلاق ﴿ وهم فيها خالدون ﴾ دائمون لا يموتون فيها ولا يخرجون منها . أنا أبو عمرو عبد الواحد بن احمد المليحي أنا أبو حامد احمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف الفربري أنا محمد بن اسماعيل البخاري أنا قتيبة بن سعيد أنا جرير عن عمارة عن أبي زرعة عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر ، ثم الذين يلونهم على أشد كوكب دري في السماء إضاءة لا يبولون ولا يتغوطون ولا يتفلون ولا يمتخطون ، أمشاطهم الذهب ، ورشحهم المسك ، ومجامرهم الالوة ، وأزواجهم الحور العين ، على خلق رجل واحد، على صورة أبيهم آدم ستون ذراعا في السماء » .

أنا عبد الواحد المليحي أنا عبد الرحمن ابن أبي شريح أنا أبو القاسم البغوي أنا علي بن الجعد أنا فضيل هو ابن مرزوق عن عطية عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أول زمرة تدخل الجنة يوم القيامة صورة وجوههم مثل صورة القمر ليلة البدر ، والزمرة الثانية

مسعود وعن ناس من الصحابة في قوله تعالى (وأتوا به متشابها) يعني في اللون والمرأى وليس يشتبه في الطعم وهذا اختيار ابن جرير وقال عكرمة (وأتوا به متشابها) قال يشبه ثمر الدنيا غير ان ثمر الجنة أطيب وقال سفيان الثوري عن الاعمش عن أبي ظبيان عن ابن عباس لا يشبه شيء مما في الجنة مافي الدنيا الا في الاسماء وفي رواية ليس في الدنيا مما في الجنة الا الاسماء ورواه ابن جرير من رواية الثوري وابن أبي حاتم من حديث أبي معاوية كلاهما عن الاعمش به وقال عبد الرحمن بن زيد ابن أسلم في قوله تعالى (وأتوا به متشابها) قال يعرفون اسماءه كما كانوا في الدنيا التفاح بالتفاح والرمان بالرمان قالوا في الجنة هذا الذي رزقنا من قبل في الدنيا وأتوا به متشابها يعرفونه وليس هو مثله في الطعم

وقوله تعالى (ولهم فيها أزواج مطهرة) قال ابن أبي طلحة عن ابن عباس مطهرة من القذر والاذى . وقال مجاهد من الحيض والغائط والبول والنخام والبزاق والمني والولد وقال قتادة مطهرة من الاذى والمائم وفي رواية عنه لا حيض ولا كلف وروى عن عطاء والحسن والضحاك وأبي صالح وعطية والسدي نحو ذلك . وقال ابن جرير حدثني يونس بن عبد الاعلى أنبأنا ابن وهب عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال المطهرة التي لا تحيض ، قال وكذلك خلقت حواء عليها السلام فلما عصت قال الله تعالى اني خلقتك مطهرة وسأدميك كما أدميت هذه الشجرة — وهذا غريب - وقال الحافظ ابو بكر بن مردويه حدثنا ابراهيم بن محمد حدثني جعفر بن محمد بن حرب واحمد بن محمد

على لون أحسن الكواكب في السماء ، لكل رجل منهم زوجتان ، على كل زوجة سبعون حلة يرى مخ سوقهن دون لحومها ودمائها وحللها » — أنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الخرقي المروزي أنا أبو الحسن علي بن عبد الله الطيسفوني أنا عبد الرحمن بن أبي شريح أنا عبد الله بن عمر الجوهري أنا احمد بن علي الكشميهني أنا علي بن حجر أنا اسماعيل بن جعفر بن أبي كثير الهمداني(١) عن حميد الطويل عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لو أن امرأة من نساء أهل الجنة اطلعت على الارض لاضاءت ما بينهما ولملأت ما بينهما ريحا ، ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها » صحيح أخرجه محمد بن عبد الله بن محمد عن معاوية بن عمرو عن أبي اسحق عن حميد . أنا أبو الحسن علي بن يوسف الجويني أنا أبو محمد محمد بن علي بن محمد بن شريك الشافعي أنا عبد الله بن محمد ابن مسلم أنا أبو بكر الجوربذي أنا احمد بن الفرج الحمصي أنا عثمان بن سعيد بن كثير بن دينار أنا محمد بن المهاجر عن الضحاك المعافري عن سليمان بن موسى حدثني كريب أنه سمع أسامة بن زيد يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألا هل من مشمر للجنة ، ان الجنة لا خطر لها هي ورب الكعبة نور يتلألأ ، وريحانة تهتز ، وقصر مشيد ، ونهر مطرد ، وثمرة نضيجة ، وزوجة حسناء جميلة ، وحلل كثيرة ، ومقام أبد في دار سليمة ، وفاكهة خضرة ، وحبرة ، ونعمة في محلة عالية بهية » قالوا : نعم يارسول الله نحن المشمرون لها قال « قولوا ان شاء الله » قال القوم: ان شاء الله . وروي عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أهل الجنة جرد مرد كحل لا يفنى شبابهم ،

(١) ن المدني

الخوارى (١) قالا حدثنا محمد بن عبيد الكندي حدثنا عبد الرزاق بن عمر البزيعي حدثنا عبد الله بن المبارك عن شعبة عن قتادة عن أبي نضرة عن ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى (ولهم فيها ازواج مطهرة) قال من الحيض والغائط والنخاعة والبزاق هذا حديث غريب — وقد رواه — الحاكم في مستدركه عن محمد بن يعقوب عن الحسن بن علي بن عفان عن محمد بن عبيد به وقال صحيح على شرط الشيخين وهذا الذي ادعاه فيه نظر فان عبد الرزاق بن عمر البزيعي هذا قال فيه ابو حاتم بن حبان البستي لايجوز الاحتجاج به (قلت) والاظهر أن هذا من كلام قتادة كما تقدم والله أعلم

وقوله تعالى (وهم فيها خالدون) هذا هو تمام السعادة فانهم مع هذا النعيم في مقام أمين من الموت والانقطاع فلا آخر له ولا انقضاء بل في نعيم سرمدي أبدي على الدوام والله المسئول أن يحشرنا في زمرتهم انه جواد كريم بر رحيم

(١) في لسان الميزان خوري وفي الميزان جوري بالجيم وقد اتهم بالوضع

(ان الله لايستحي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها فاما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا ؟ يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا وما يضل به الا الفاسقين * الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الارض أولئك هم الخاسرون)

ولا تبلى ثيابهم » . انا أبو بكر محمد بن عبد الصمد الترابي أنا الحاكم أبو الفضل الحدادي أنا أبو يزيد محمد بن يحيي أنا اسحق الحنظلي أنا أبو معاوية أنا عبد الرحمن بن اسحق عن النعمان بن سعيد عن عليّ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان في الجنة لسوقا ليس فيه بيع ولا شراء الا الصور من الرجال والنساء ، فاذا اشتهى الرجل صورة دخل فيها » وان فيها لمجتمع الحور العين ينادين بصوت لم يسمع الخلائق مثله : نحن الخالدات فلا نبيد أبدا ، ونحن الناعمات فلا نبأس أبدا ، ونحن الراضيات فلا نسخط أبدا ، فطوبى لمن كان لنا وكنا له أو نحن له » ورواه ابو عيسى عن هناد واحمد ابن منيع عن ابي معاوية مرفوعا وقال : هذا حديث غريب — انا اسماعيل بن عبد القاهر الجرجاني أنا عبد الغافر بن محمد الفارسي انا محمد بن عيسى الجلودي انا ابراهيم بن محمد بن سفيان انا مسلم ابن الحجاج أنا أبو عثمان سعيد بن عبد الجبار البصري أنا حماد بن سلمة عن ثابت البناني عن أنس ابن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ان في الجنة لسوقا يأتونها كل جمعة فتهب ريح الشمال فتحثو في وجوههم وثيابهم فيزدادون حسنا وجمالا فيرجعون الى أهليهم وقد ازدادوا حسنا وجمالا فيقول لهم أهلهم والله لقد ازددتم بعدنا حسنا وجمالا فيقولون وأنتم والله لقد زدتم بعدنا حسنا وجمالا . قوله تعالى ﴿ ان الله لا يستحي أن يضرب مثلاما بعوضة فما فوقها ﴾ سبب نزول هذه الآية ان الله تعالى لما ضرب المثل بالذباب والعنكبوت فقال (ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو

قال السدى في تفسيره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من الصحابة لما ضرب الله هذين المثلين للمنافقين يعني قوله تعالى (مثلهم كمثل الذى استوقد نارا)وقوله(أوكصيب من السماء) الآيات الثلاث قال المنافقون :الله أعلى وأجل من أن يضرب هذه الامثال فأنزل الله هذه الآية الى قوله تعالى (هم الخاسرون) وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة لما ذكر الله تعالى العنكبوت والذباب قال المشركون مابال العنكبوت والذباب يذكران ؟ فانزل الله (ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا مابعوضة فما فوقها) وقال سعيد عن قتادة اى ان الله لا يستحيي من الحق أن يذكر شيئا مما قل أو كثر، وان الله حين ذكر في كتابه الذباب والعنكبوت قال أهل الضلالة ما أراد الله من ذكر هذا؟ فانزل الله (ان الله لايستحيي ان يضرب مثلا مابعوضة فما فوقها) (قلت) العبارة الاولى عن قتادة فيها اشعار ان هذه الآية مكية وليس كذلك وعبارة رواية سعيد عن قتادة أقرب والله أعلم . وروى ابن جريج عن مجاهد نحو هذا الثاني عن قتادة وقال ابن أبي حاتم روي عن الحسن واسماعيل بن ابي خالد نحو قول السدى وقتادة . وقال ابو جعفر الرازى عن الربيع بن أنس في هذه الآية قال هذا مثل ضربه الله للدنيا ان البعوضة تحيا ماجاعت فاذا سمنت ماتت وكذلك مثل هؤلاء القوم الذين ضرب لهم هذا المثل فى القرآن اذا امتلؤا من الدنيا ريا أخذهم الله عند ذلك ثم تلا (فلما نسوا ماذكروا به فتحنا عليهم ابواب كل شيء) هكذا رواه ابن جرير ورواه ابن ابي حاتم من حديث ابي جعفر عن الربيع بن أنس عن ابى العالية بنحوه فالله اعلم فهذا اختلافهم في سبب النزول وقد اختار ابن جرير ماحكاه السدى لانه أمس بالسورة وهو مناسب ومعنى الآية انه تعالى أخبر أنه لايستحيي اى لايستنكف وقيل لايخشى ان يضرب مثلا ما اي مثل كان بأي شيء كان صغيرا كان او كبيرا و ماههنا للتقليل وتكون بعوضة منصوبة على البدل كما تقول لاضربن ضربا ما ،فيصدق بادنى شيء او تكون مانكرة موصوفة ببعوضة واختار ابن جرير أن ماموصولة و بعوضة معربة باعرابها قال وذلك سائغ في كلام العرب انهم يعربون صلة ما ومن باعرابهما لانهما يكونان معرفة تارة ونكرة أخرى كما قال حسان بن ثابت

يكفي بنا فضلا على من غيرنا　＊　حب النبي محمد ايانا

قال ويجوز ان تكون بعوضة منصوبة بحذف الجار وتقدير الكلام ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بين بعوضة الى ما فوقها وهذا الذي اختاره الكسائي والفراء وقرأ الضحاك وابراهيم بن عبلة بعوضة بالرفع قال ابن جني وتكون صلة لما وحذف العائد كما في قوله (تماما على الذي أحسن)أي على

اجتمعوا له) وقال (مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا) قالت اليهود ماأراد الله بذكر هذه الاشياء الخسيسة؟ وقيل قال المشركون انا لانعبد الها يذكر مثل هذه الاشياء فأنزل الله تعالى (ان الله لا يستحيي) أي لايترك ولا يمنعه الحياء ان(يضرب مثلا) يذكر شبها (مابعوضة) ماصلة أي مثلا بالبعوضة وبعوضة نصب بدل عن المثل والبعوض صغار البق سميت بعوضة لانها

الذي هو أحسن وحكى سيبويه : ما انا بالذي قائل لك شيئا . أي بالذي هو قائل لك شيئا .وقوله تعالى (فما فوقها) فيه قولان احدهما فما دونها في الصغر والحقارة كما اذا وصف لك رجل باللؤم والشح فيقول السامع نعم وهو فوق ذلك — يعني فيما وصفت — وهذا قول الكسائي وأبي عبيد قاله الرازي وأكثر المحققين . وفي الحديث «لو ان الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة لما سقى كافراً منها شربة ماء» والثاني فما فوقها لما هو أكبر منها لانه ليس شيء أحقر ولا أصغر من البعوضة وهذا قول قتادة بن دعامة واختيار ابن جرير فانه يؤيده ما رواه مسلم عن عائشة رضى الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال« ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها الا كتب له بها درجة ومحيت عنه بها خطيئة» فأخبر انه لا يستصغر شيئا يضرب به مثلا ولو كان في الحقارة والصغر كالبعوضة كما لا يستنكف عن خلقها كذلك لا يستنكف من ضرب المثل بها كما ضرب المثل بالذباب والعنكبوت في قوله (يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب)وقال (مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون) وقال تعالى (ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين باذن ربها ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون * ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار * يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخره ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء) وقال تعالى (ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء) الاية ثم قال (وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء وهو كل على مولاه أينما يوجهه لا يأت بخير هل يستوى هو ومن يأمر) بالعدل الاية كما قال (ضرب لكم مثلا من أنفسكم هل لكم مما ملكت ايمانكم من شركاء فيما رزقناكم) الاية وقال (ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون) الاية وقال (وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون) وفي القرآن أمثال كثيرة قال بعض السلف اذا سمعت المثل في القرآن فلم أفهمه بكيت على نفسي لان الله قال (وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون) وقال مجاهد في قوله تعالى (ان الله لا يستحي ان يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها) الامثال صغيرها وكبيرها يؤمن بها المؤمنون ويعلمون انها الحق من ربهم ويهديهم الله بها . وقال قتادة (فأما الذين آمنوا فيعلمون انه الحق من ربهم) أي يعلمون انه كلام الرحمن وانه من عند الله ، وروى عن مجاهد والحسن والربيع بن أنس نحو ذلك وقال أبو العالية (فأما الذين آمنوا فيعلمون انه

كانت بعض البق (فما فوقها) يعني الذباب والعنكبوت وقال أبو عبيدة أي فما دونها كما يقال فلان جاهل فيقال وفوق ذلك أي وأجهل ﴿فأما الذين آمنوا﴾ بمحمد والقرآن ﴿فيعلمون أنه﴾ يعني المثل هو ﴿الحق﴾ الصدق ﴿ من ربهم وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا؟ ﴾ أي بهذا المثل فلما حذف الالف واللام نصب على الحال والقطع ثم أجابهم فقال ﴿ يضل به كثيرا ﴾ من الكفار وذلك انهم

الحق من ربهم) يعني هذا المثل (واما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا) كما قال في سورة المدثر (وماجعلنا أصحاب النار الا ملائكة وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا ايمانا * ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلا * كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وما يعلم جنود ربك الا هو) وكذلك قال ههنا (يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا وما يضل به الا الفاسقين) قال السدى في تفسيره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من الصحابة يضل به كثيرا يعني به المنافقين ويهدى به كثيرا يعني به المؤمنين فيزيد هؤلاء ضلالة الى ضلالتهم لتكذيبهم بما قد علموه حقا يقينا من المثل الذي ضربه الله بما ضرب لهم وانه لما ضرب له موافق فذلك اضلال الله إياهم به، ويهدى به يعني المثل كثيرا من أهل الايمان والتصديق فيزيدهم هدى الى هداهم وايمانا الى ايمانهم لتصديقهم بما قد علموه حقا يقينا انه موافق لما ضربه الله له مثلا واقرارهم به وذلك هداية من الله لهم به (وما يضل به الا الفاسقين) قال هم المنافقون وقال أبو العالية (وما يضل به الا الفاسقين) قال هم أهل النفاق وكذا قال ربيع بن أنس وقال ابن جريج عن مجاهد عن ابن عباس (ومايضل به الا الفاسقين) قال يقول يعرفه الكافرون فيكفرون به. وقال قتادة (وما يضل به الا الفاسقين) فسقوا فأضلهم الله على فسقهم وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي عن اسحق بن سليمان عن أبي سنان عن عمرو بن مرة عن مصعب بن سعد عن سعد (يضل به كثيرا) يعني الخوارج . وقال شعبة عن عمرو بن مرة عن مصعب بن سعد قال سألت أبي فقلت قوله تعالى (الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه) الى آخر الآية فقال هم الحرورية وهذا الاسناد وان صح عن سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه فهو تفسير على المعنى لأن الآية اريد منها التنصيص على الخوارج الذين خرجوا على علي بالنهر وان فان أولئك لم يكونوا حال نزول الآية وانما هم داخلون بوصفهم فيها مع من دخل لانهم سموا خوارج لخروجهم عن طاعة الامام والقيام بشرائع الاسلام والفاسق في اللغة هو الخارج عن الطاعة أيضا ، وتقول العرب فسقت الرطبة اذا خرجت من قشرتها « ولهذا يقال للفأرة فويسقة لخروجها عن جحرها للفساد وثبت في الصحيحين عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « خمس فواسق يقتلن في الحل والحرم الغراب والحدأة والعقرب والفأرة والكلب العقور » فالفاسق يشمل الكافر والعاصي ولكن فسق الكافر أشد وأفحش والمراد من الآية الفاسق الكافر والله أعلم بدليل انه وصفهم بقوله تعالى (الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون

يكذبونه فيزدادون ضلالا ﴿ ويهدي به ﴾ أى بهذا المثل ﴿ كثيرا ﴾ من المؤمنين فيصدقونه والاضلال هو الصرف عن الحق الى الباطل وقيل هو الهلاك يقال ضل الماء في اللبن اذا هلك ﴿ وما يضل به الا الفاسقين ﴾ الكافرين وأصل الفسق الخروج يقال فسقت الرطبة اذا خرجت عن قشرها قال الله تعالى (ففسق عن أمر ربه) أى خرج ثم وصفهم فقال ﴿الذين ينقضون﴾ يخالفون ويتركون وأصل النقض

ماأمرالله بهأن يوصل ويفسدون في الارض أولئك هم الخاسرون) وهذه الصفات صفات الكفار المباينة لصفات المؤمنين كما قال تعالى في سورة الرعد (أفمن يعلم انما أنزل اليك من ربك الحق كمن هو أعمى؟ انما يتذكر اولوا الالباب« الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق« والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب) الآيات الى أن قال (والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الارض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار) وقد اختلف أهل التفسير في معنى العهد الذي وصف هؤلاء الفاسقين بنقضه فقال بعضهم هو وصية الله الى خلقه وأمره اياهم بما أمرهم به من طاعته ونهيه اياهم عما نهاهم عنه من معصيته في كتبه وعلى لسان رسله « ونقضهم ذلك هو تركهم العمل به .

وقال آخرون بل هي في كفار أهل الكتاب والمنافقين منهم « وعهد الله الذي نقضوه هو ما أخذه الله عليهم في التوراة من العمل بما فيها واتباع محمد صلى الله عليه وسلم اذا بعث والتصديق به وبما جاء به من عند ربهم ، ونقضهم ذلك هو جحودهم به بعد معرفتهم بحقيقته وانكارهم ذلك وكتمانهم علم ذلك عن الناس بعد اعطائهم الله من أنفسهم الميثاق ليبيننه للناس ولا يكتمونه فأخبر تعالى انهم نبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا . وهذا اختيار ابن جرير رحمه الله وهو قول مقاتل بن حيان

وقال آخرون بل عنى بهذه الآية جميع أهل الكفر والشرك والنفاق وعهده الى جميعهم في توحيده ما وضع لهم من الادلة الدالة على ربوبيته وعهده اليهم في أمره ونهيه ما احتج به لرسله من المعجزات التي لا يقدر أحد من الناس غيرهم ان يأتي بمثله الشاهدة لهم على صدقهم قالوا ونقضهم ذلك تركهم الاقرار بما قد تبينت لهم صحته بالادلة وتكذيبهم الرسل والكتب مع علمهم انما أتوا به حق . وروي عن مقاتل بن حيان أيضا نحو هذا وهو حسن واليه مال الزمخشري فانه قال (فان قلت) فما المراد بعهد الله ؟ قلت ما ركز في عقولهم من الحجة على التوحيد كانه أمر وصاهم به ووثقه عليهم وهو معنى قوله تعالى (وأشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى) اذ أخذ الميثاق عليهم من الكتب المنزلة عليهم كقوله (وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم) — وقال آخرون العهد الذي ذكره تعالى هو العهد الذي أخذه عليهم حين أخرجهم من صلب آدم الذي وصف في قوله (واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا) الآيتين ونقضهم ذلك تركهم الوفاء به وهكذا روى عن مقاتل بن حيان ايضا حكى هذه الاقوال ابن جرير في تفسيره .

وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية في قوله تعالى (الذين ينقضون عهد الله

الكسر ﴿عهد الله﴾ أمر الله الذي عهد اليهم يوم الميثاق بقوله (ألست بربكم؟قالوا بلى) وقيل أراد به العهد الذي اخذه على النبيين وسائر الامم ان يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم في قوله (واذ اخذ الله ميثاق النبيين) الآية وقيل اراد به العهد الذى عهد اليهم في التوراة ان يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ويبينوا نعته ﴿ من بعد ميثاقه ﴾ توكيده والميثاق العهد المؤكد ويقطعون ما امر الله به ان يوصل يعني

من بعد ميثاقه — الى قوله — أولئك هم الخاسرون) قال هي ست خصال من المنافقين اذا كانت فيهم الظهرة على الناس أظهروا هذه الخصال: إذا حدثوا كذبوا ، واذا وعدوا أخلفوا، واذا اؤتمنوا خانوا ، ونقضوا عهد الله من بعد ميثاقه، وقطعوا ما أمر الله به أن يوصل، وأفسدوا في الارض. واذا كانت الظهرة عليهم أظهروا الخصال الثلاث اذا حدثوا كذبوا ، واذا وعدوا أخلفوا ، واذا اؤتمنوا خانوا . وكذا قال الربيع بن أنس أيضا وقال السدي في تفسيره باسناده قوله تعالى (الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه) قال هو ما عهد اليهم في القرآن فأقروا به ثم كفروا فنقضوه

وقوله (ويقطعون ماأمر الله به ان يوصل) قيل المراد به صلة الارحام والقرابات كما فسره قتادة كقوله تعالى (فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا أرحامكم) ورجحه ابن جرير وقيل المراد أعم من ذلك فكل ما أمر الله بوصله وفعله فقطعوه وتركوه. وقال مقاتل بن حيان في قوله تعالى (أولئك هم الخاسرون) قال في الآخرة وهذا كما قال تعالى (أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار) وقال الضحاك عن ابن عباس كل شيء نسبه الله الى غير أهل الاسلام من اسم مثل خاسر فانما يعني به الكفر وما نسبه الى أهل الاسلام فانما يعني به الذنب . وقال ابن جرير في قوله تعالى (أولئك هم الخاسرون) الخاسرون جمع خاسر وهم الناقصون أنفسهم حظوظهم بمعصيتهم الله من رحمته كما يخسر الرجل في تجارته بأن يوضع من رأس ماله في بيعه وكذلك المنافق والكافر خسر بحرمان الله اياه رحمته التي خلقها لعباده في القيامة أحوج ما كانوا الى رحمته يقال منه خسر الرجل يخسر خسرا وخسرانا وخسارا كما قال جرير بن عطية

ان سليطا في الخسار انه　＊　أولاد قوم خلقوا اقنه

﴿ كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون ﴾

يقول تعالى محتجا على وجوده وقدرته وانه الخالق المتصرف في عباده (كيف تكفرون بالله) أي كيف تجحدون وجوده أو تعبدون معه غيره (وكنتم أمواتا فأحياكم) أي وقد كنتم عدما فأخرجكم الى الوجود كما قال تعالى (أم خلقوا من غير شيء ام هم الخالقون ＊ أم خلقوا السموات والارض ؟ بل لايوقنون) وقال تعالى (هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا) والآيات في هذا كثيرة : وقال سفيان الثوري عن أبي اسحق عن أبي الاحوص عن عبد الله بن مسعود رضي

الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبجميع الرسل عليهم السلام لانهم قالوا: نؤمن ببعض ونكفر ببعض وقال المؤمنون (لانفرق بين احد من رسله) وقيل أراد به الارحام ﴿ ويفسدون في الارض ﴾ بالمعاصي وتعويق الناس عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن ﴿ أولئك هم الخاسرون ﴾ المغبونون ، ثم قال لمشركي العرب على وجه التعجب ﴿ كيف تكفرون بالله ﴾ بعد نصب الدلائل ووضوح البرهان ثم ذكر الدلائل فقال ﴿ وكنتم أمواتا ﴾ نطفا في أصلاب آبائكم ﴿ فأحياكم ﴾ في الارحام

الله عنه قالوا (ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا) قال هي التي في البقرة (وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم) وقال ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس كنتم أمواتا فأحياكم: أمواتا في أصلاب آبائكم لم تكونوا شيئا حتى خلقكم ثم يميتكم موتة الحق ثم يحييكم حين يبعثكم قال وهي مثل قوله تعالى (امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين) : وقال الضحاك عن ابن عباس في قوله تعالى (ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين) قال كنتم ترابا قبل ان يخلقكم فهذه ميتة ثم احياكم فخلقكم فهذه حياة ثم يميتكم فترجعون الى القبور فهذه ميتة اخرى ثم يبعثكم يوم القيامة فهذه حياة «أخرى» — فهذه ميتتان وحياتان فهو كقوله (كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم) وهكذا روى عن السدى بسنده عن ابي مالك وعن ابي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من الصحابة وعن ابي العالية والحسن ومجاهد وقتادة وابى صالح والضحاك وعطاء الخراساني نحو ذلك وقال الثوري عن السدى عن ابي صالح (كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون) قال يحييكم في القبر ثم يميتكم وقال ابن جرير عن يونس عن ابن وهب عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : قال خلقهم في ظهر آدم ثم اخذ عليهم الميثاق ثم اماتهم ثم خلقهم في الارحام ثم اماتهم ثم احياهم يوم القيامة . وذلك كقوله تعالى (قالوا ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين) وهذا غريب والذى قبله. والصحيح ماتقدم عن ابن مسعود وابن عباس وأولئك الجماعة من التابعين وهو كقوله تعالى (قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم الى يوم القيامة لاريب فيه) الآية كما قال تعالى في الاصنام (أموات غير أحياء وما يشعرون) الآية (وقال وآية لهم الارض الميتة احييناها واخرجنا منها حبا فمنه يأكلون)

﴿ هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم ﴾

لما ذكر تعالى دلالة من خلقهم وما يشاهدونه من انفسهم ذكر دليلا آخر مما يشاهدونه من خلق السموات والارض فقال (هو الذى خلق لكم مافي الارض جميعا ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات) اى قصد الى السماء والاستواء ههنا مضمن معنى القصد والاقبال لانه عدى بالى فسواهن اى فخلق السماء سبعا ، والسماء ههنا اسم جنس فلهذا قال (فسواهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم) اى وعلمه محيط بجميع ما خلق ، كما قال (الا يعلم من خلق) وتفصيل هذه الآية في سورة حم السجدة

والدنيا ﴿ ثم يميتكم ﴾ عند انقضاء آجالكم ﴿ ثم يحييكم ﴾ للبعث ﴿ ثم اليه ترجعون ﴾ أى تردون في الآخرة فيجزيكم بأعمالكم . قرأ يعقوب ترجعون في كل القرآن بفتح الياء والتاء على تسمية الفاعل

قوله تعالى ﴿ هو الذى خلق لكم مافي الارض جميعا ﴾ لكى تعتبروا وتستدلوا وقيل لكى تنتفعوا ﴿ ثم استوى الى السماء ﴾ قال ابن عباس وأكثر مفسري السلف أى ارتفع الى السماء وقال ابن كيسان

وهو قوله تعالى (قل ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين وتجعلون له اندادا ذلك رب العالمين * وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في اربعة ايام سواء للسائلين * ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين * فقضاهن سبع سموات في يومين واوحى في كل سماء امرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم) ففي هذا دلالة على انه تعالى ابتدأ بخلق الارض اولا ثم خلق السموات سبعا وهذا شأن البناء ان يبدأ بعمارة أسافله ثم أعاليه بعد ذلك وقد صرح المفسرون بذلك كما سنذكره بعد هذا ان شاء الله . فأما قوله تعالى (أأنتم أشد خلقا أم السماء ؟ بناها * رفع سمكها فسواها * وأغطش ليلها وأخرج ضحاها * والارض بعد ذلك دحاها * أخرج منها ماءها ومرعاها * والجبال ارساها * متاعا لكم ولانعامكم) فقد قيل ان ثم ههنا انما هي لعطف الخبر على الخبر لا لعطف الفعل على الفعل كما قال الشاعر

قل لمن ساد ثم ساد ابوه * ثم قد ساد قبل ذلك جده

وقيل ان الدحي كان بعد خلق السموات والارض رواه علي بن ابي طلحة عن ابن عباس . قال السدي في تفسيره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من الصحابة (هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم) قال ان الله تبارك وتعالى كان عرشه على الماء ولم يخلق شيئا غير ما خلق قبل فلما أراد ان يخلق الخلق أخرج من الماء دخانا فارتفع فوق الماء فسما عليه فسماه سماء ثم أيبس الماء فجعله ارضا واحدة ثم فتقها فجعلها سبع أرضين في يومين في الاحد والاثنين فخلق الارض على حوت والحوت هو الذي ذكره في القرآن (ن والقلم) والحوت في الماء والماء على ظهر صفاة والصفاة على ظهر ملك والملك على صخرة والصخرة في الريح وهي الصخرة التي ذكر لقمان ليست في السماء ولا في الارض، فتحرك الحوت فاضطرب فتزلزلت الارض فأرسى عليها الجبال فقرّت فالجبال تفخر على الارض، فذلك قوله تعالى (وجعلنا في الارض رواسي ان تميد بهم) وخلق الجبال فيها وأقوات أهلها وشجرها وما ينبغي لها في يومين في الثلاثاء والاربعاء وذلك حين يقول (قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين وتجعلون له اندادا ذلك رب العالمين * وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها) يقول أنبت شجرها (وقدّر فيها أقواتها) لاهلها (في أربعة أيام سواء للسائلين) يقول من سأل فهكذا الامر (ثم استوى الى السماء وهي دخان) وذلك الدخان من تنفس الماء حين تنفس فجعلها سماء واحدة ثم فتقها فجعلها سبع سموات في يومين في الخميس والجمعة وانما سمي يوم الجمعة لانه جمع فيه خلق السموات والارض (وأوحى في كل سماء أمرها) قال خلق الله في كل سماء خلقها من الملائكة والخلق الذي فيها من البحار وجبال البرد ومما لا يعلم، ثم زين السماء الدنيا بالكواكب

والفراء وجماعة من النحويين أي أقبل على خلق السماء وقيل قصد لانه خلق الارض أولا ثم عمد الى خلق السماء ﴿ فسواهنّ سبع سموات ﴾ خلقهن مستويات لافطور فيها ولا صدوع ﴿ وهو بكل

فجعلها زينة وحفظا تحفظ من الشياطين فلما فرغ من خلق ما أحب استوى على العرش فذلك حين يقول(خلق السموات والارض في ستة أيام ثم استوى على العرش)ويقول (كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي) وقال ابن جرير حدثني المثنى حدثنا عبد الله بن صالح حدثني أبو معشر عن سعيد بن أبي سعيد عن عبد الله بن سلام انه قال ان الله بدأ الخلق يوم الاحد فخلق الارضين في الاحد والاثنين وخلق الاقوات و الرواسي في الثلاثاء والاربعاء وخلق السموات في الخميس والجمعة وفرغ في آخر ساعة من يوم الجمعة فخلق فيها آدم على عجل فتلك الساعة التي تقوم فيها الساعة ،

وقال مجاهد في قوله تعالى (هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا) قال خلق الله الارض قبل السماء فلما خلق الارض ثار منها دخان فذلك حين يقول (ثم استوى الى السماء وهي دخان فسواهن سبع سموات) قال بعضهن فوق بعض وسبع أرضين يعني بعضها تحت بعض. وهذه الآية دالة على ان الارض خلقت قبل السماء كما قال في آية السجدة (قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق الارض في يومين وتجعلون له اندادا ذلك رب العالمين * وجعل فيها رواسى من فوقها و بارك فيها وقدر فيها اقواتها في اربعة أيام سواء للسائلين *ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين *فقضاهن سبع سموات في يومين واوحى في كل سماء امرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم) فهذه وهذه دالتان على ان الارض خلقت قبل السماء وهذا مالا اعلم فيه نزاعا بين العلماء الا مانقله ابن جرير عن قتادة انه زعم ان السماء خلقت قبل الارض وقد توقف في ذلك القرطبي في تفسيره لقوله تعالى (أأنتم اشد خلقا ام السماء؟ بناها* رفع سمكها فسواها* واغطش ليلها واخرج ضحاها *والارض بعد ذلك دحاها *أخرج منها ماءها ومرعاها* والجبال أرساها) قالوا فذكر خلق السماء قبل الارض وفي صحيح البخارى ان ابن عباس سئل عن هذا بعينه فاجاب بان الارض خلقت قبل السماء وان الارض انما دحيت بعد خلق السماء وكذلك أجاب غير واحد من علماء التفسير قديما وحديثا. وقد حررنا ذلك في سورة النازعات وحاصل ذلك ان الدحي (١) مفسر بقوله تعالى (والارض بعد ذلك دحاها *أخرج منها ماءها ومرعاها* والجبال أرساها) ففسر الدحى باخراج ما كان مودعا فيها بالقوة الى الفعل لما أكملت صورة المخلوقات الارضية ثم السماوية دحى بعد ذلك الارض فاخرجت ما كان مودعا فيها من المياه فنبتت النباتات على اختلاف أصنافها وصفاتها وألوانها وأشكالها وكذلك جرت هذه الافلاك فدارت بما فيها من الكواكب الثوابت والسيارة والله سبحانه وتعالى أعلم . وقد ذكر ابن أبي حاتم وابن مردويه في تفسير هذه الاية الحديث الذي رواه مسلم والنسائي في التفسير أيضا من رواية ابن جريج قال أخبرني اسمعيل بن أمية عن أيوب بن خالد عن عبد الله بن رافع مولى أم سلمة عن أبي هريرة قال أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فقال « خلق الله

شيء عليم﴾ قرأ أبو جعفر وأبو عمرو والكسائي وقالون وهو وهي بسكون الهاء اذا كان قبل الهاء واو أو فاء أو لام زاد الكسائي وقالون ثم هو وقالون أن يمل هو

(١) يقال دحاه يدحوه دحوا ويدحيه دحيا ومعناه الاصلي دحرجه يقال دحا المطر الحصا ودحا اللاعبون الجوز اي دحرجوه . وعلماء فسروا دحو الارض ببسطها ليوافق قوله والله جعل لكم الارض بساطا) ولكن معناه جعلها كالبساط كما قال (جعل لكم الارض فراشا)

التربة يوم السبت وخلق الجبال فيها يوم الاحد وخلق الشجرة فيها يوم الاثنين وخلق المكروه يوم الثلاثاء وخلق النور يوم الاربعاء وبث فيها الدواب يوم الخميس وخلق آدم بعد العصر يوم الجمعة من آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر الى الليل »وهذا الحديث من غرائب صحيح مسلم وقد تكلم عليه علي بن المديني والبخاري وغير واحد من الحفاظ وجعلوه من كلام كعب، وان أبا هريرة انما سمعه من كلام كعب الاحبار وانما اشتبه على بعض الرواة فجعلوه مرفوعا وقد حرر ذلك البيهقي(١)

﴿ وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الارض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون ﴾

يخبر تعالى بامتنانه على بني آدم بتنويهه بذكرهم في الملاء الاعلى قبل ايجادهم فقال تعالى (واذ قال ربك الملائكة) أي واذكر يامحمد اذ قال ربك للملائكة واقصص على قومك ذلك . حكى ابن جرير عن بعض أهل العربية وهو أبو عبيدة انه زعم ان اذ ههنا زائدة وان تقدير الكلام وقال ربك ورده ابن جرير، قال القرطبي وكذا رده جميع المفسرين حتى قال الزجاج هذا اجتراء من أبي عبيدة (انى جاعل في الارض خليفة) أي قوما يخلف بعضهم بعضا قرنا بعد قرن وجيلا بعد جيل كما قال تعالى (هو الذي جعلكم خلائف الارض)وقال(ويجعلكم خلفاء الارض)وقال(ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الارض يخلفون)وقال (فخلف من بعدهم خلف)وقرىء في الشاذ (انى جاعل في الارض خليقة) حكاها الزمخشري وغيره ونقل القرطبي عن زيد بن علي وليس المراد ههنا بالخليفة آدم عليه السلام فقط كما يقوله طائفة من المفسرين وعزاه القرطبي الى ابن عباس وابن مسعود وجميع أهل التأويل وفي ذلك نظر بل الخلاف في ذلك كثير حكاه الرازي في تفسيره وغيره والظاهر انه لم يرد آدم عينا اذ لو كان ذلك لما حسن قول الملائكة (أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء) فانهم أرادوا أن من هذا الجنس من يفعل ذلك وكأنهم علموا ذلك بعلم خاص أو بما فهموه من الطبيعة البشرية فانه أخبرهم انه يخلق هذا الصنف من صلصال من حما مسنون أو فهموا من الخليفة انه الذي يفصل بين الناس ما يقع بينهم من المظالم ويردعهم عن المحارم والمآثم قاله القرطبي أو انهم

قوله تعالى﴿ واذ قال ربك ﴾ أى وقال ربك واذ زائدة وقيل معناه واذكر اذ قال ربك وكذلك كل ما ورد في القرآن من هذا النحو فهذا سبيله. واذ واذا حرفا توقيت الا ان اذ للماضي واذا للمستقبل وقد يوضع أحدهما موضع الآخر قال المبرد اذا جاء اذ مع المستقبل كان معناه ماضيا كقوله تعالى (واذ يمكر) يريد واذ مكر. واذا جاء اذا مع الماضي كان معناه مستقبلا كقوله فاذا جاءت الطامة واذا جاء نصر الله، أى يجيء ﴿ الملائكة ﴾ جمع ملك وأصله مألك من المألكة والالوكة والالوك وهي الرسالة فقلب فقيل ملأك ثم حذفت الهمزة طلبا للخفة لكثرة استعماله ونقلت حركتها الى اللام فقيل ملك وأراد بهم الملائكة الذين كانوا في الارض وذلك ان الله تعالى خلق السماء والارض وخلق الملائكة والجن فأسكن

---

(١) بين في كتاب الاسماء والصفات علته ووجه ضعفه ولكن لم يذكر انه سمعه من كعب وحسبنا اثبات البخاري وشيخه ابن المديني لذلك وحسبنا من علة المتن مخالفته لنص القرآن في خلق السموات والارض في ستة أيام

واذا كان هذا الحديث المرفوع الذي غلط مسلم بروايته كذلك فما تقدم من الروايات غير المرفوعة أولى بان تكون اما اسرائيليات واما آراء للتوفيق بين الايات المتعددة في صفة الخلق والله تعالى يقول (ما أشهدتهم خلق السماوات والارض ولا خلق أنفسهم) فلا يتوهمن أحد أن رواية الصخرة والحوت لها حكم المرفوع او انها مما اثبته الاسلام أو مذهب السلف في التكوين، كلا انها رواية من الاسرائيليات التي ذكر المصنف في مقدمة تفسيره هذا سبب ايرادها وايتها لم تكن

قاسوهم على من سبق كما سنذكر أقوال المفسرين في ذلك ، وقول الملائكة هذا ليس على وجه الاعتراض على الله ولا على وجه الحسد لبني آدم كما قد يتوهمه بعض المفسرين وقد وصفهم الله تعالى بأنهم لا يسبقونه بالقول أي لا يسألونه شيئا لم يأذن لهم فيه وههنا لما أعلمهم بانه سيخلق في الارض خلقا قال قتادة وقد تقدم اليهم انهم يفسدون فيها فقالوا (أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء) الآية وانما هو سؤال استعلام واستكشاف عن الحكمة في ذلك يقولون ياربنا ما الحكمة في خلق هؤلاء مع ان منهم من يفسد في الارض ويسفك الدماء فان كان المراد عبادتك فنحن نسبح بحمدك ونقدس لك أي نصلي لك كما سيأتي . أي ولا يصدر منا شيء من ذلك وهلا وقع الاقتصار علينا؟ قال الله تعالى مجيبا لهم عن هذا السؤال (اني أعلم ما لا تعلمون) أى اني أعلم من المصلحة الراجحة في خلق هذا الصنف على المفاسد التي ذكرتموها ما لا تعلمون أنتم فاني سأجعل فيهم الانبياء وأرسل فيهم الرسل ويوجد منهم الصديقون والشهداء والصالحون والعباد والزهاد والاولياء والابرار والمقربون والعلماء العاملون والخاشعون والمحبون له تبارك وتعالى المتبعون رسله صلوات الله وسلامه عليهم ، وقد ثبت في الصحيح ان الملائكة اذا صعدت الى الرب تعالى بأعمال عباده يسألهم وهو أعلم كيف تركتم عبادي؟ فيقولون أتيناهم وهم يصلون وتركناهم وهم يصلون . وذلك لانهم يتعاقبون فينا ويجتمعون في صلاة الصبح وفي صلاة العصر فيمكث هؤلاء ويصعد اولئك بالاعمال كما قال عليه الصلاة والسلام « يرفع اليه عمل الليل قبل النهار وعمل النهار قبل الليل » فقولهم أتيناهم وهم يصلون وتركناهم وهم يصلون من تفسير قوله لهم (اني أعلم ما لا تعلمون) وقيل معنى قوله جوابا لهم (اني أعلم ما لا تعلمون) اني لي حكمة مفصلة في خلق هؤلاء والحالة ما ذكرتم لا تعلمونها ، وقيل انه جواب (ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك) فقال (اني أعلم ما لا تعلمون) أى من وجود ابليس بينكم وليس هو كما وصفتم أنفسكم به . وقيل بل تضمن قولهم (أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك) طلبا منهم ان يسكنوا الارض بدل بني آدم فقال الله تعالى لهم (اني أعلم ما لا تعلمون) من ان بقاءكم في السماء أصلح لكم وأليق بكم . ذكرها الرازي مع غيرها من الاجوبة والله أعلم

الملائكة السماء وأسكن الجن الارض فعبدوا دهرا طويلا في الارض ثم ظهر فيهم الحسد والبغي فافسدوا وقتلوا فبعث الله اليهم جندا من الملائكة يقال لهم الجن وهم خزان الجنان اشتق لهم من الجنة رأسهم ابليس وكان رئيسهم ومرشدهم وأكثرهم علما فهبطوا الى الارض فطردوا الجن الى شعوب الجبال وجزائر البحور وسكنوا الارض وخفف الله عنهم العبادة فاعطى الله ابليس ملك الارض وملك السماء الدنيا وخزانة الجنه وكان يعبد الله تارة في الارض وتارة في السماء وتارة في الجنة فدخله العجب وقال في نفسه ما أعطاني الله هذا الملك الا لاني أكرم الملائكة عليه فقال الله له ولجنده (اني جاعل في الارض خليفة) أى بدلا منكم ورافعكم الي، فكرهوا ذلك لانهم كانوا أهون الملائكة عبادة

﴿ ذكر أقوال المفسرين ببسط ما ذكرناه ﴾

قال ابن جرير حدثني القاسم بن الحسن حدثني الحجاج عن جرير بن حازم ومبارك عن الحسن وأبي بكر عن الحسن وقتادة قالوا قال الله للملائكة اني جاعل في الارض خليفة قال لهم اني فاعل هذا ومعناه انه أخبرهم بذلك، وقال السدي استشار الملائكة في خلق آدم رواه ابن أبي حاتم وقال وروى عن قتادة نحوه وهذه العبارة ان لم ترجع الى معنى الاخبار ففيها تساهل وعبارة الحسن وقتادة في رواية ابن جرير احسن والله أعلم (في الارض) قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي حدثنا أبو سلمة حدثنا حماد بن عطاء بن السائب عن عبد الرحمن بن سابط ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «دحيت الارض من مكة وأول من طاف بالبيت الملائكة فقال الله اني جاعل في الارض خليفة يعني مكة» وهذا مرسل وفي سنده ضعف وفيه مدرج وهو أن المراد بالارض مكة والله أعلم فان الظاهر ان المراد بالارض أعم من ذلك (خليفة) : قال السدي في تفسيره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من الصحابة ان الله تعالى قال للملائكة اني جاعل في الارض خليفة. قالوا ربنا وما يكون ذلك الخليفة قال يكون له ذرية يفسدون في الارض ويتحاسدون ويقتل بعضهم بعضا . قال ابن جرير فكان تأويل الآية على هذا اني جاعل في الارض خليفة مني يخلفني في الحكم بالعدل بين خلقي وان ذلك الخليفة هو آدم ومن قام مقامه في طاعة الله والحكم بالعدل بين خلقه وأما الافساد وسفك الدماء بغير حقها فمن غير خلفائه : قال ابن جرير وانما معنى الخلافة التي ذكرها الله انما هي خلافة قرن منهم قرنا قال والخليفة الفعيلة من قولك خلف فلان فلانا في هذا الامر اذا قام مقامه فيه بعده كما قال تعالى (ثم جعلناكم خلائف في الارض من بعدهم لننظر كيف تعملون) ومن ذلك قيل للسلطان الاعظم خليفة لانه خلف الذي كان قبله فقام بالامر فكان منه خلفا . قال وكان محمد بن اسحق يقول في قوله تعالى (اني جاعل في الارض خليفة) يقول ساكنا وعامرا يعمرها ويسكنها خلقا ليس منكم : قال ابن جرير وحدثنا أبو كريب حدثنا عثمان بن سعيد حدثنا بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس قال ان أول من سكن الارض الجن فأفسدوا فيها وسفكوا فيها الدماء وقتل بعضهم بعضا قال فبعث الله اليهم ابليس فقتلهم ابليس ومن معه حتى الحقهم بجزائر البحور وأطراف الجبال ثم خلق آدم فأسكنه اياها فلذلك قال (اني جاعل في

والمراد بالخليفة ههنا آدم سماه خليفة لانه خلف الجن أي جاء بعدهم وقيل لانه يخلفه غيره والصحيح أنه خليفة الله في أرضه لاقامة أحكامه وتنفيذ قضاياه ﴿قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها﴾ بغير حق أي كما فعل بنو الجان فقاسوا الشاهد على الغائب والا فهم ما كانوا يعلمون الغيب ﴿ونحن نسبح بحمدك﴾ قال الحسن نقول سبحان الله وبحمده وهو صلاة الخلق وصلاة البهائم وغيرهما سوى الآدميين وعليها يرزقون أخبرنا اسمعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى أنا ابراهيم بن محمد بن سفيان أنا

الارض خليفة)وقال سفيان الثوري عن عطاء بن السائب عن ابن سابط اني جاعل في الارض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء؟ قال يعنون به بني آدم وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال الله للملائكة اني أريد أن اخلق في الارض خلقا وأجعل فيها خليفة وليس لله عز وجل خلق الا الملائكة والارض وليس فيها خلق قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها . وقد تقدم ما رواه السدى عن ابن عباس وابن مسعود وغيرهما من الصحابة ان الله أعلم الملائكة بما تفعله ذرية آدم فقالت الملائكة ذلك وتقدم آنفا ما رواه الضحاك عن ابن عباس ان الجن أفسدوا في الارض قبل بني آدم فقالت الملائكة ذلك فقاسوا هؤلاء بأولئك ؛ وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا علي بن محمد الطنافسي حدثنا أبو معاوية عن الاعمش عن بكير بن الاخنس عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو قال كان الجن بنو الجان في الارض قبل أن يخلق آدم بألفي سنة فأفسدوا في الارض وسفكوا الدماء فبعث الله جندا من الملائكة فضربوهم حتى ألحقوا بجزائر البحور فقال الله للملائكة : اني جاعل في الارض خليفة ،قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء؟ قال اني أعلم مالا تعلمون. وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية في قوله تعالى (اني جاعل في الارض خليفة الى قوله أعلم ماتبدون وما كنتم تكتمون) قال خلق الله الملائكة يوم الاربعاء وخلق الجن يوم الخميس وخلق آدم يوم الجمعة فكفر قوم من الجن فكانت الملائكة تهبط اليهم في الارض فتقاتلهم ببغيهم وكان الفساد في الارض فمن ثم قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها كما أفسدت الجن ويسفك الدماء كما سفكوا قل ابن أبي حاتم وحدثنا الحسن بن محمد بن الصباح حدثنا سعيد بن سليمان حدثنا مبارك بن فضالة أخبرنا الحسن : قل قال الله الملائكة اني جاعل في الارض خليفة قال لهم اني فاعل فآمنوا بربهم فعلمهم علما وطوى عنهم علما علمه ولم يعلموه فقالوا بالعلم الذي علمهم أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء؟ قال اني أعلم مالا تعلمون . قال الحسن ان الجن كانوا في الارض يفسدون ويسفكون الدماء ولكن جعل الله في قلوبهم ان ذلك سيكون فقالوا بالقول الذي علمهم . وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة في قوله (أتجعل فيها من يفسد فيها) كان الله أعلمهم انه اذا كان في الارض خلق أفسدوا فيها وسفكوا الدماء فذلك حين قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ؛ وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا هشام الرازي حدثنا ابن المبارك عن معروف يعني ابن خربوذ المكي عمن سمع أبا جعفر محمد بن علي يقول السجل ملك وكان هاروت وماروت من أعوانه وكان له كل يوم ثلاث لمحات في أم الكتاب فنظر نظرة لم تكن له فأبصر فيها خلق

مسلم بن الحجاج أنا زهير بن حرب انا حبان بن هلال أنا وهيب أنا سعيد الجريري عن أبي عبد الله الجسري عن ابن الصامت عن ابي ذر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل أى الكلام أفضل؟ قال «ما اصطفاه الله لملائكته أو لعباده: سبحان الله وبحمده» وقيل ونحن نصلي بأمرك قال ابن عباس كل ما في القرآن من التسبيح فالمراد منه الصلاة ﴿ ونقدس لك ﴾ أى نثني عليك بالقدس والطهارة عما لايليق بعظمتك وجلالك وقيل ونطهر أنفسنا لطاعتك وقيل ونبزهك. واللام صلة وقيل لم يكن هذا من الملائكة على طريق الاعتراض

آدم وما كان فيه من الامور فأسر ذلك الى هاروت وماروت وكانا من أعوانه فلما قال تعالى: اني جاعل في الاض خليفة — قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء. قالا ذلك استطالة على الملائكة. وهذا أثر غريب وبتقدير صحته الى أبي جعفر محمد بن على بن الحسين الباقر فهو نقله عن أهل الكتاب وفيه نكارة توجب رده والله أعلم . ومقتضاه ان الذين قالوا ذلك انما كانوا اثنين فقط وهو خلاف السياق وأغرب منه ما رواه ابن أبي حاتم أيضا حيث قال : حدثنا أبي حدثنا هشام بن أبي عبيد الله حدثنا عبدالله بن يحيى بن أبي كثير قال سمعت أبي يقول ان الملائكة الذين قالوا (أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك) كانوا عشرة آلاف فخرجت نار من عند الله فأحرقتهم وهذا أيضا اسرائيلي منكر كالذي قبله والله أعلم . قال ابن جريج انما تكلموا بما أعلمهم الله انه كائن من خلق آدم فقالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء . قال ابن جرير وقال بعضهم انما قالت الملائكة ما قالت أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء لان الله أذن لهم في السؤال عن ذلك بعد ما أخبرهم ان ذلك كائن من بني آدم فسألته الملائكة فقالت على التعجب منها وكيف يعصونك يارب وأنت خالقهم فأجابهم ربهم (انى أعلم مالا تعلمون) يعنى ان ذلك كائن منهم وان لم تعلموه أنتم ومن بعض ما ترونه لي طائعا. قال وقال بعضهم ذلك من الملائكة على وجه الاسترشاد عما لم يعلموا من ذلك فكأنهم قالوا يارب خبرنا — مسئلة استخبار منهم لا على وجه الانكار — واختاره ابن جرير : وقال سعيد عن قتادة قوله تعالى: واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة — قالوا استشار الملائكة في خلق آدم فقالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء — وقد علمت الملائكة انه لا شيء أكره عند الله من سفك الدماء والفساد في الارض — ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال اني أعلم مالا تعلمون. فكان في علم الله انه سيكون من تلك الخليفة أنبياء ورسل وقوم صالحون وساكنو الجنة قال وذكر لنا عن ابن عباس انه كان يقول ان الله لما أخذ في خلق آدم عليه السلام قالت الملائكة ما الله خالق خلقا أكرم عليه منا ولا أعلم منا فابتلوا بخلق آدم وكل خلق مبتلى كما ابتليت السموات والارض بالطاعة فقال الله تعالى (ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين) وقوله تعالى (ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك) : قال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة قال التسبيح التسبيح والتقديس الصلاة : وقال السدى عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من الصحابة ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال يقولون نصلي لك: وقال مجاهد ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال نعظمك ونكبرك . وقال الضحاك التقديس التطهير وقال محمد بن اسحق ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال لا نعصي ولا نأتي شيئا تكرهه . وقال ابن جرير التقديس هو التعظيم والتطهير . ومنه قولهم سبوح

والعجب بالعمل بل على سبيل التعجب وطلب وجه الحكمة فيه ﴿قال﴾ الله ﴿ إني أعلم مالا تعلمون ﴾ من المصلحة فيه وقيل اني أعلم ان في ذريته من يطيعني ويعبدني من الانبياء والاولياء والصلحاء وقيل اني أعلم ان فيكم من يعصيني وهو ابليس وقيل اني أعلم أنهم يذنبون وأنا أغفر لهم. قرأ أهل الحجاز والبصرة اني أعلم

قدوس يعني بقولهم سبوح تنزيه له ، وبقولهم قدوس طهارة وتعظيم له : وكذلك قيل للارض أرض مقدسة يعني بذلك المطهرة . فمعنى قول الملائكة اذا (ونحن نسبح بحمدك) ننزهك ونبرئك مما يضيفه اليك أهل الشرك بك (ونقدس لك) ننسبك الى ما هو من صفاتك من الطهارة من الادناس وما أضاف اليك أهل الكفر بك . وفي صحيح مسلم عن أبي ذر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل أي الكلام أفضل ؟ قال « ما اصطفى الله للملائكته سبحان الله وبحمده » وروى البيهقي عن عبد الرحمن بن قرط ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به سمع تسبيحا في السموات العلا « سبحان العلي الاعلى سبحانه وتعالى » (قال اني أعلم ما لا تعلمون) قال قتادة فكان في علم الله انه سيكون في تلك الخليفة أنبياء ورسل وقوم صالحون وساكنو الجنة وسيأتي عن ابن مسعود وابن عباس وغير واحد من الصحابة والتابعين أقوال في حكمة قوله تعالى قال (اني أعلم ما لا تعلمون)

وقد استدل القرطبي وغيره بهذه الآية على وجوب نصب الخليفة ليفصل بين الناس فيما اختلفوا فيه ويقطع تنازعهم وينتصر لمظلومهم من ظالمهم ويقيم الحدود ويزجر عن تعاطي الفواحش الى غير ذلك من الامور المهمة التي لا تمكن اقامتها الا بالامام وما لا يتم الواجب الا به فهو واجب . والامامة تنال بالنص كما يقوله طائفة من أهل السنة في أبي بكر أو بالايماء اليه كما يقول آخرون منهم أو باستخلاف الخليفة آخر بعده كما فعل الصديق بعمر بن الخطاب أو بتركه شورى (١) في جماعة صالحين كذلك كما فعله عمر أو باجتماع أهل الحل والعقد على مبايعته (٢) أو بمبايعة واحد منهم له فيجب التزامها عند الجمهور (٣)

(١) كذا ومراده ترك الامر والا لقال تركها

بفتح الياء وكذلك كل ياء اضافة استقبلها ألف مفتوحة الا في مواضع معدودة ويفتحون في بعض المواضع عند الالف المضمومة والمكسورة وعند غير الالف وبين القراء في تفصيله اختلاف

(٢) حاشية : التحقيق الذي عليه المحققون ان أمر الخلافة موكول الى أهل الحل والعقد من المسلمين وهو عين العمل بالشورى . فاما النص فلم يبق فيه فائدة عملية بل لم يبن عليه عمل في الماضي اذ لم تبن مبايعة ابي بكر عليه على ما يقول بعض أهل السنة ولا مبايعة علي على ما تقول الشيعة . وأما العهد فحقيقة ما كان من أبي بكر انه رشح عمر (رضي الله عنهما) وطفق يحدث بذلك أهل الحل والعقد من الصحابة حتى اقنعهم فعهد اليه ان يقيم الحق والعدل الخ وأما في جماعة من الصالحين فهو تعبير غير محدد لفعل عمر، فان سبب حصره الاختيار في الستة فهو صفة أخص من الصلاح وهو انهم سادة بطون قريش وأسبقهم في الايمان ونصر الدين وان النبي (ص) مات وهو راض عنهم كما صرح به عمر . وغاية هذا انهم اذا بايعوا واحدا منهم فان سائر الامة تتبعهم فلا يقع شقاق ولا خلاف . وكذلك كان

(٣) هذا قول ضعيف لا وجه له فان استدل عليه بمبايعة عمر لابي بكر فعمر قد صرح بان تلك البيعة كانت فلتة وقى الله شرها وان من عاد الى مثلها ولم يعمل بمشاورة المسلمين كان عرضة للقتل كما رواه البخاري عنه ولكن لما كان هذا القول محكيا عن الاشعري وجهه بعض الفقهاء بانه محمول على ما اذا انحصر أهل الحل والعقد في هذا الواحد كما بيناه في كتابنا (الخلافة أو الامامة العظمى)
وكتبه محمد رشيد رضا

وحكى على ذلك امام الحرمين الاجماع والله أعلم . أو بقهر واحد الناس على طاعته فتجب لئلا يؤدي ذلك الى الشقاق والاختلاف وقد نص عليه الشافعي وهل يجب الاشهاد على عقد الامامة؟ فيه خلاف فمنهم من قال لا يشترط وقيل بلى ويكفي شاهدان . وقال الجبائي يجب أربعة وعاقد ومعقود له كما ترك عمر رضي الله عنه الامر شورى بين ستة فوقع الامر على عاقد وهو عبد الرحمن بن عوف ومعقود له وهو عثمان ، واستنبط وجوب الاربعة الشهود من الاربعة الباقين وفي هذا نظر (١) والله أعلم

ويجب ان يكون ذكرا حرا بالغا عاقلا مسلما عدلا مجتهدا بصيرا سليم الاعضاء خبيرا بالحروب والآراء قرشيا على الصحيح (٢) . ولا يشترط الهاشمي ولا المعصوم من الخطا خلافا لغلاة الروافض ، ولو فسق الامام هل ينعزل أم لا؟ فيه خلاف والصحيح انه لا ينعزل لقوله عليه الصلاة والسلام « لا أن تروا كفرا بواحا عندكم من الله فيه برهان » وهل له ان يعزل نفسه فيه خلاف ، وقد عزل الحسن بن علي رضي الله عنه نفسه وسلم الامر الى معاوية لكن هذا لعذر وقد مدح على ذلك . فأما نصب امامين في الارض أو أكثر فلا يجوز لقوله عليه الصلاة والسلام « من جاءكم وأمركم جميع يريد أن يفرق بينكم فاقتلوه كائنا من كان » وهذا قول الجمهور وقد حكى الاجماع على ذلك غير واحد منهم امام الحرمين وقالت الكرامية يجوز اثنين فأكثر كما كان علي ومعاوية امامين واجبي الطاعة قالوا واذا جاز بعث نبيين في وقت واحد وأكثر جاز ذلك في الامامة لان النبوة أعلى رتبة بلا خلاف وحكى امام الحرمين عن الاستاذ أبي اسحق انه جوز نصب امامين فأكثر اذا تباعدت الاقطار واتسعت الاقاليم بينهما وتردد امام الحرمين في ذلك قلت وهذا يشبه حال الخلفاء بني العباس بالعراق والفاطميين بمصر والامويين بالمغرب ولنقرر هذا كله في موضع آخر من كتاب الاحكام ان شاء الله تعالى

﴿ وعلم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين * قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم * قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم اني أعلم غيب السموات والارض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون ﴾

هذا مقام ذكر الله تعالى فيه شرف آدم على الملائكة بما اختصه من علم أسماء كل شيء دونهم

قوله ﴿ وعلم آدم الاسماء كلها ﴾ سمي آدم لانه خلق من أديم الارض وقيل لانه كان آدم اللون وكنيته أبو محمد وأبو البشر فلما خلقه الله عز وجل علمه أسماء الاشياء وذلك ان الملائكة قالوا لما قال الله تعالى (اني جاعل في الارض خليفة) : ليخلق ربنا ما شاء فلن يخلق خلقا أكرم عليه منا وان كان غيرنا أكرم عليه فنحن أعلم منه لانا خلقنا قبله ورأينا ما لم يره . فأظهر الله تعالى فضله عليهم بالعلم . وفيه دليل على أن الانبياء أفضل من الملائكة وان كانوا رسلا كما ذهب اليه أهل السنة والجماعة قال ابن عباس ومجاهد وقتادة علمه اسم كل شيء حتى القصعة والقصيعة وقيل اسم ما كان وما يكون الى يوم القيامة وقال الربيع بن أنس أسماء الملائكة

(١) وجه النظر ان ما ذكر كان أمرا اتفاقيا في واقعة حال فلا يتخذ قاعدة شرعية .

(٢) هو الذي وقع عليه اجماع أهل السنة سلفا وخلفا ثم خالف فيه الخوارج بعض المعتزلة وهو كل المراد بمقابل الصحيح

وهذا كان بعد سجودهم له وانما قدم هذا الفصل على ذاك لمناسبة مابين هذا المقام وعدم علمهم بحكمة خلق الخليفة حين سألوا عن ذلك فأخبرهم تعالى بأنه يعلم ما لا يعلمون ولهذا ذكر الله هذا المقام عقيب هذا ليبين لهم شرف آدم بما فضل به عليهم في العلم فقال تعالى (وعلم آدم الاسماء كلها) قال السدي عمن حدثه عن ابن عباس (وعلم آدم الاسماء كلها) قال علمه أسماء ولده إنسانا إنسانا والدواب فقيل هذا الحمار، هذا الجمل، هذا الفرس، وقال الضحاك عن ابن عباس (وعلم آدم الاسماء كلها) قال هي هذه الاسماء التي يتعارف بها الناس انسان ودواب وسماء وأرض وسهل وبحر وخيل وحمار وأشباه ذلك من الامم وغيرها، وروى ابن أبي حاتم وابن جرير من حديث عاصم ابن كليب عن سعيد بن معبد عن ابن عباس (وعلم آدم الاسماء كلها) قال علمه اسم الصحفة والقدر قال نعم حتى الفسوة والفسية ■ وقال مجاهد (وعلم آدم الاسماء كلها) قال علمه اسم كل دابة وكل طير وكل شيء، وكذلك روى عن سعيد بن جبير وقتادة وغيرهم من السلف أنه علمه اسماء كل شيء وقال الربيع في رواية عنه أسماء الملائكة. وقال حميد الشامي أسماء النجوم. وقال عبد الرحمن بن زيد علمه أسماء ذريته كلهم. واختار ابن جرير انه علمه أسماء الملائكة وأسماء الذرية لانه قال (ثم عرضهم) عبارة عما يعقل. وهذا الذى رجح به ليس بلازم فانه لا ينفي أن يدخل معهم غيرهم ويعبر عن الجميع بصيغة من يعقل للتغليب كما قال تعالى (والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على اربع يخلق الله ما يشاء ان الله على كل شيء قدير) وقد قرأ عبدالله بن مسعود ثم عرضهن. وقرأ ابي بن كعب ثم عرضها أى السموات الصحيح انه علمه أسماء الاشياء كلها ذواتها وصفاتها وأفعالها كما قال ابن عباس حتى الفسوة والفسية يعنى ذوات الاسماء والافعال المكبر والمصغر ولهذا قال البخاري في تفسير هذه الآية في كتاب التفسير من صحيحه: حدثنا مسلم ابن ابراهيم حدثنا هشام عن قتادة عن أنس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وقال لى خليفة. حدثنا يزيد بن زريع حدثنا سعيد عن قتادة عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يجتمع المؤمنون يوم القيامة فيقولون لو استشفعنا الى ربنا فيأتون آدم فيقولون انت أبو الناس خلقك الله بيده وأسجد لك ملائكته وعلمك أسماء كل شيء فاشفع لنا الى ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا، فيقول لست هناكم ويذكر ذنبه فيستحي، ائتوا

وقيل أسماء ذريته وقيل صنعة كل شيء قال أهل التأويل ان الله عز وجل علم آدم جميع اللغات ثم تكلم كل واحد من أولاده بلغة فتفرقوا في البلاد واختص كل فرقة منهم بلغة ﴿ثم عرضهم على الملائكة﴾ انما قال عرضهم ولم يقل عرضها لان المسميات اذا جمعت من يعقل ومالا يعقل يكنى عنها بلفظ من يعقل كما يكنى عن الذكور والاناث بلفظ الذكور وقال مقاتل خلق الله كل شيء الحيوان والجماد ثم عرض تلك الشخوص على الملائكة فالكناية راجعة الى الشخوص فلذلك قال عرضهم ﴿فقال أنبؤني﴾ أخبروني ﴿بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين﴾ اني لا أخلق خلقا الا وكنتم أفضل وأعلم منه فقالت الملائكة اقراراً بالعجز

نوحا فأنه أول رسول بعثه الله الى أهل الارض . فيأتونه فيقول لست هنا كم، ويذكر سؤاله ربه ما ليس له به علم فيستحيي. فيقول ائتوا خليل الرحمن فيأتونه فيقول لست هناكم . فيقول ائتوا موسى عبدا كلمه الله وأعطاه التوراة فيأتونه فيقول لست هناكم ويذكر قتل النفس بغير نفس فيستحيي من ربه. فيقول ائتوا عيسى عبدالله ورسوله وكلمة الله وروحه فيأتونه فيقول لست هناكم. ائتوا محمدا عبدا غفرله ما تقدم من ذنبه وما تأخر فيأتوني فأنطلق حتى استأذن ربي فيأذن لى فاذا رأيت ربى وقعت ساجدا فيدعنى ما شاء الله ثم يقال ارفع رأسك وسل تعطه وقل يسمع واشفع تشفع، فأرفع رأسي فأحمده بتحميد يعلمنيه ثم أشفع فيحد لى حدا فأدخلهم الجنة ثم أعود اليه فاذا رأيت ربى مثله ثم أشفع فيحد لى حدا فأدخلهم الجنة ثم أعود الثالثة ثم أعود الرابعة فأقول مابقى في النار الا من حبسه القرآن ووجب عليه الخلود . هكذاساق البخارى هذا الحديث ههنا . وقد رواه مسلم والنسائي من حديث هشام وهو ابن أبي عبدالله الدستوائي عن قتادة به وأخرجه مسلم والنسائي وابن ماجه من حديث سعيد وهو ابن أبي عروبة عن قتادة. ووجه ايراده ههنا والمقصود منه قوله عليه الصلاة والسلام . فيأتون آدم فيقول أنت أبو الناس خلقك الله بيده وأسجد لك ملائكته وعلمك أسماء كل شيء . فدل هذا على انه علمه أسماء جميع المخلوقات ولهذا قال (ثم عرضهم على الملائكة) يعنى المسميات كما قال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة قال ثم عرض تلك الاسماء على الملائكة (فقال أنبئونى بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين) وقال السدي في تفسيره عن أبى مالك وعن أبى صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من الصحابة (وعلم آدم الاسماء كلها) ثم عرض الخلق على الملائكة . وقال ابن جريج عن مجاهد ثم عرض أصحاب الاسماء على الملائكة وقال ابن جرير : حدثنا القاسم حدثنا الحسين حدثنى الحجاج عن جرير بن حازم ومبارك بن فضالة عن الحسن وأبي بكر عن الحسن وقتادة قالا : علمه اسم كل شيء وجعل يسمي كل شيء باسمه وعرضت عليه أمة أمة وبهذا الاسناد عن الحسن وقتادة في قوله تعالى (ان كنتم صادقين) اني لم أخلق خلقا الا كنتم أعلم منه فأخبروني بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين . وقال الضحاك عن ابن عباس ان كنتم صادقين ان كنتم تعلمون اني لم أجعل في الارض خليفة ؟ . وقال السدي عن ابي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من الصحابة ان كنتم صادقين ان بني آدم

﴿ قالوا سبحانك ﴾ تنزيها لك ﴿ لاعلم لنا الا ماعلمتنا ﴾ معناه انك أجل من أن نحيط بشيء من علمك الا ماعلمتنا ﴿ انك أنت العليم ﴾ بخلقك ﴿ الحكيم ﴾ في أمرك والحكيم له معنيان أحدهما الحاكم وهو القاضي العدل والثاني المحكم للامر كى لا يتطرق اليه الفساد وأصل الحكمة في اللغة المنع فهي تمنع صاحبها من بباطل ومنه حكمة الدابة لانها تمنعها من الاعوجاج فلما ظهر عجزهم ﴿ قال ﴾ الله تعالى ﴿ يا آدم أنبئهم بأسمائهم ﴾ أخبرهم بأسمائهم فسمى آدم كل شيء وذكر الحكمة التى لاجلها خلق ﴿ فلما أنبأهم بأسمائهم قال ﴾ الله تعالى ﴿ ألم أقل لكم ﴾ يا ملائكتي ﴿ اني أعلم غيب السموات والارض ﴾ ماكان منهما وما

يفسدون في الارض ويسفكون الدماء . وقال ابن جرير وأولى الاقوال في ذلك تأويل ابن عباس ومن قال بقوله ومعنى ذلك فقال انبئوني باسماء من عرضته عليكم ايها الملائكة القائلون: أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء من غيرنا أم منا . فنحن نسبح بحمدك ونقدس لك — ان كنتم صادقين في قيلكم اني ان جعلت خليفتي في الارض من غيركم عصاني وذريته وأفسدوا وسفكوا الدماء وان جعلتكم فيها اطعتموني واتبعتم أمري بالتعظيم والتقديس فاذا كنتم لا تعلمون اسماء هؤلاء الذين عرضت عليكم وأنتم تشاهدونهم فأنتم بما هو غير موجود من الامور الكائنة التي لم توجد أحرى ان تكونوا غير عالمين (قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت العليم الحكيم) هذا تقديس وتنزيه من الملائكة لله تعالى أن يحيط احد بشيء من علمه الا بما شاء وأن يعلموا شيئا الا ما علمهم الله تعالى ولهذا قالوا (سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت العليم الحكيم) اى العليم بكل شيء الحكيم في خلقك وأمرك وفي تعليمك ما تشاء ومنعك ما تشاء، لك الحكمة في ذلك والعدل التام . قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الاشج حدثنا حفص بن غياث عن حجاج عن ابن أبي مليكة عن ابن عباس: سبحان الله . قال تنزيه الله نفسه عن السوء ثم قال قال عمر لعلي وأصحابه عنده لا اله الا الله قد عرفناها فما سبحان الله ؟ فقال له علي كلمة أحبها الله لنفسه ورضيها وأحب ان تقال . قال وحدثنا أبي حدثنا فضيل بن النضر بن عدي قال سأل رجل ميمون بن مهران عن سبحان الله قال اسم يعظم الله به ويحاشا به من السوء

قوله تعالى (قال يا آدم أنبئهم باسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم اني أعلم غيب السموات والارض وأعلم ماتبدون وما كنتم تكتمون) قال زيد بن أسلم قال أنت جبرائيل أنت ميكائيل أنت اسرافيل حتى عدد الاسماء كلها حتى بلغ الغراب . وقال مجاهد في قول الله قال (يا آدم أنبئهم باسمائهم) قال اسم الحمامة والغراب واسم كل شيء، وروي عن سعيد بن جبير والحسن وقتادة نحو ذلك فلما ظهر فضل آدم عليه السلام على الملائكة عليهم السلام في سرده ماعلمه الله تعالى من أسماء الاشياء ، قال الله تعالى للملائكة (ألم أقل لكم اني أعلم غيب السموات والارض وأعلم ماتبدون وما كنتم تكتمون أي ألم أتقدم اليكم اني أعلم الغيب الظاهر والخفي كما قال تعالى (وان تجهر بالقول فانه يعلم السر وأخفى) وكما قال اخبارا عن الهدهد انه قال لسليمان (ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السموات والارض ويعلم ماتخفون وماتعلنون • الله لا اله الا هو رب العرش العظيم) وقيل في قوله تعالى (وأعلم ماتبدون وما كنتم تكتمون) غير

يكون لانه قد قال لهم « اني أعلم مالا تعلمون » قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو «اني» بفتح الياء وكذلك يفتحون كل ياء اضافة استقبلها ألف قطع مفتوحة الا أحرفا معدودة ويفتح نافع وأبو عمرو عند الالف المكسورة أيضا الا أحرفا معدودة ويفتح نافع عند المضمومة الا أحرفا معدودة والآخرون لا يفتحون الا في أحرف معدودة ﴿ وأعلم ماتبدون ﴾ قال الحسن وقتادة يعني قولهم أتجعل فيها من يفسد فيها ﴿ وما كنتم تكتمون ﴾ قولكم لن يخلق الله خلقا أكرم عليه منا ، قال ابن عباس هو ان ابليس مر على جسد آدم وهو ملقى بين مكة والطائف لا روح فيه فقال لامر ما خلق هذا . ثم دخل في فيه وخرج من دبره وقال

ماذكرناه فروى الضحاك عن ابن عباس (وأعلم ماتبدون وما كنتم تكتمون) قال اعلم السر كما أعلم العلانية يعنى ما كتم ابليس في نفسه من الكبر والاغترار . وقال السدى عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من الصحابة قال قولهم أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء الآية فهذا الذي أبدوا (وما كنتم تكتمون) يعنى ماأسرابليس في نفسه من الكبر وكذلك قال سعيد بن جبير ومجاهد والسدي والضحاك والثوري . واختار ذلك ابن جرير وقال أبو العالية والربيع بن أنس والحسن وقتادة هو قولهم لم يخلق ربنا خلقا الا كنا أعلم منه وأكرم عليه منه. وقال أبوجعفر الرازي عن الربيع بن أنس (وأعلم ماتبدون وما كنتم تكتمون) فكان الذي أبدوا هوقولهم: أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء . وكان الذي كتموا بينهم قولهم لن يخلق ربنا خلقنا الا كنا أعلم منه وأكرم . فعرفوا ان الله فضل عليهم آدم في العلم والكرم. قال ابن جرير حدثنا يونس حدثنا بن وهب عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قصة الملائكة وآدم : فقال الله للملائكة (كما لم تعلموا هذه الاسماء فليس لكم علم انما أردت أن أجعلهم ليفسدوا فيها ، هذا عندي قد علمته فكذلك أخفيت عنكم انى أجعل فيها من يعصيني ومن يطيعني » قال وقد سبق من الله (لاملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين) قال ولم تعلم الملائكة ذلك ولم يدروه قال فلما رأوا ما أعطى الله آدم من العلم أقروا له بالفضل. وقال ابن جرير وأولى الاقوال في ذلك قول ابن عباس وهو ان معنى قوله تعالى: واعلم ماتبدون - وأعلم مع علمي غيب السموات والارض ماتظهرونه بألسنتكم وما كنتم تخفون في انفسكم فلا يخفى علي شيء سواءعندي سرائركم وعلانيتكم والذي أظهروه بألسنتهم قولهم أتجعل فيها من يفسد فيها ، والذي كانوا يكتمون ما كان منطويا عليه ابليس من الخلاف على الله في أوامره والتكبرعن طاعته. قال وصح ذلك وكما تقول العرب(١) قتل الجيش وهزموا، وانما قتل الواحد أو البعض وهزم الواحد أو البعض فيخرج الخبر عن المهزوم منه والمقتول مخرج الخبرعن جميعهم كما قال تعالى (ان الذين ينادونك من وراء الحجرات) ذكر أن الذى نادى انما كان واحداً من بني تميم ، قال وكذلك قوله (وأعلم ماتبدون وما كنتم تكتمون)

﴿ واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس أبى واستكبر وكان من الكافرين ﴾

وهذه كرامة عظيمة من الله تعالى لآدم امتن بها على ذريته حيث أخبر انه تعالى أمر الملائكة

انه خلق لايتماسك لانه اجوف ثم قال للملائكة الذين معه أرأيتم ان فضل هذا عليكم وأمرتم بطاعته ماذا تصنعون؟ قالوا نطيع أمر ربنا ، فقال ابليس في نفسه والله لئن سلطت عليه لاهلكنه ولئن سلط علي لاعصينه فقال الله تعالى « وأعلم ماتبدون » يعني مايبديه الملائكة من الطاعة « وماكنتم تكتمون » يعني ابليس من المعصية وقوله تعالى ﴿ واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ﴾ قرأ أبو جعفر للملائكة اسجدوا بضم التاء على جوار ألف اسجدوا وكذلك قرأ (قل رب احكم بالحق) بضم الباء وضعفه النحاة جدا ونسبوه

(١) كذا في الاصل المطبوع وهو كما ترى وابن جرير قد أورد اشكالا على اسناد ماذكر من الكتمان الى الملائكة مع ارادة ابليس به واجاب عنه بانه غير صواب (قال) وذلك ان في شأن العرب اذا أخبرت خبرا عن بعض جماعة بغير تسمية شخص بعينه ان تخرج الخبر عنه مخرج الخبر عن جميعهم وذلك كقولهم : قتل الجيش وهزموا . الخ ما أورده المصنف . ولعل أصل عبارته : ووضح ذلك ابن جرير بقوله كذا ولعل ماتقدم بلفظه أو لخصه بما يصح عطف قوله : وكما تقول العرب عليه

بالسجود لآدم . وقد دل على ذلك أحاديث أيضا كثيرة منها حديث الشفاعة المتقدم وحديث موسى عليه السلام « رب أرني آدم الذى اخرجنا ونفسه من الجنة فلما اجتمع به قال أنت آدم الذى خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته » قال وذكر الحديث كما سيأتي ان شاء الله. وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا عثمان بن سعيد حدثنا بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس قال كان ابليس من حيّ من أحياء الملائكة يقال لهم الجن خلقوا من نار السموم من بين الملائكة وكان اسمه الحارث وكان خازنا من خزان الجنة قال وخلقت الملائكة كلهم من نور غير هذا الحيّ قال وخلقت الجن الذين ذكروا في القرآن من مارج من نار وهو لسان النار الذى يكون في طرفها اذا ألهبت قال وخلق الانسان من طين فأول من سكن الارض الجن فأفسدوا فيها وسفكوا الدماء وقتل بعضهم بعضا ، قال فبعث الله اليهم ابليس في جند من الملائكة وهم هذا الحيّ الذين يقال لهم الجن فقتلهم ابليس ومن معه حتى ألحقهم بجزائر البحور وأطراف الجبال فلما فعل ابليس ذلك اغتر في نفسه فقال قد صنعت شيئا لم يصنعه أحد قال فاطلع الله على ذلك من قلبه ولم تطلع عليه الملائكه الذين كانوا معه فقال الله تعالى للملائكة الذين كانوا معه: اني جاعل في الارض خليفة. فقالت الملائكة مجيبين له: أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء كما أفسدت الجن وسفكت الدماء وانما بعثتنا عليهم لذلك؟ فقال الله تعالى اني أعلم ما لا تعلمون، يقول اني قد اطلعت على(١) قلب ابليس على مالم تطلعوا عليه من كبره واغتراره قال ثم أمر بتربة آدم فرفعت فخلق الله آدم من طين لازب واللازب اللازج الطيب من حمأ مسنون منتن وانما كان حمأ مسنونا بعد التراب فخلق منه آدم بيده قال فمكث أربعين ليلة جسدا ملقى وكان ابليس يأتيه فيضربه برجله فيصلصل فيصوت فهو قول الله تعالى(من صلصال كالفخار)يقول كالشيء المنفرج الذى ليس بمصمت قال ثم يدخل في فيه ويخرج من دبره ويدخل من دبره ويخرج من فيه ثم يقول لست شيئا للصلصة ولشيء ما خلقت ولئن سلطت عليك لاهلكنك، ولئن سلطت عليّ لاعصينك. قال فلما نفخ الله فيه من روحه أتت النفخة من قبل رأسه فجعل لايجرى شيء منها في جسده الا صار لحما ودما فلما انتهت النفخة الى سرته نظر الى جسده فأعجبه ما رأى من جسده فذهب لينهض فلم يقدر فهو قول الله تعالى (وخلق الانسان عجولا) قال ضجرا لاصبر له على سراء ولا ضراء قال فلما تمت النفخة في جسده عطس فقال «الحمد لله رب العالمين» بالهام الله فقال الله له« يرحمك الله يا آدم» قال ثم قال تعالى للملائكة الذين كانوا مع

(١) لعله : عن

الى الغلط فيه واختلفوا في ان هذا الخطاب مع أي الملائكة فقال بعضهم مع الذين كانوا سكان الارض والاصح انه مع جميع الملائكة لقوله تعالى(فسجد الملائكة كلهم أجمعون)وقوله «اسجدوا» فيه قولان الاصح ان السجود كان لآدم على الحقيقة وتضمن معنى الطاعة لله عزوجل بامتثال أمره وكان ذلك سجود تعظيم وتحية لا سجود عبادة كسجود اخوة يوسف له في قوله عزوجل (وخروا له سجدا) ولم يكن فيه وضع الوجه على الارض انما كان انحناء ، فلما جاء الاسلام أبطل ذلك بالسلام وقيل معني قوله «اسجدوا لآدم»

ابليس خاصة دون الملائكة الذين في السموات اسجدوا لآدم فسجدوا كلهم أجمعون الا ابليس أبي واستكبر لما كان حدث نفسه من الكبر والاغترار فقال لا أسجد له وأنا خير منه وأكبر سنا وأقوى خلقا خلقتني من نار وخلقته من طين يقول ان النار أقوى من الطين قال فلما أبي ابليس أن يسجد أبلسه الله أى آيسه من الخير كله وجعله شيطانا رجيما عقوبة لمعصيته ثم علم آدم الاسماء كلها وهي هذه الاسماء التى يتعارف بها الناس انسان ودابة وأرض وسهل وبحر وجبل وحمار وأشباه ذلك من الامم وغيرها ثم عرض هذه الاسماء على أولئك الملائكة يعني الملائكة الذين كانوا مع ابليس الذين خلقوا من نار السموم وقال لهم أنبئوني بأسماء هؤلاء أي يقول أخبروني بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين ان كنتم تعلمون لم أجعل في الارض خليفة ، قال فلما علمت الملائكة موجدة الله عليهم فيما تكلموا به من علم الغيب الذي لا يعلمه غيره الذي ليس لهم به علم قالوا سبحانك تنزيها لله من أن يكون أحد يعلم الغيب غيره تبنا اليك لا علم لنا الا ما علمتنا تبريا منهم من علم الغيب الا ما علمتنا كما علمت آدم فقال يا آدم أنبئهم باسمائهم يقول أخبرهم بأسمائهم فلما أنبأهم باسمائهم قال (ألم أقل لكم أيتها الملائكة خاصة اني أعلم غيب السموات والارض) ولا يعلم غيري وأعلم ما تبدون يقول ما تظهرون وما كنتم تكتمون يقول أعلم السر كما أعلم العلانية يعني ما كتم ابليس في نفسه من الكبر والاغترار هذا سياق غريب وفيه أشياء فيها نظر يطول مناقشتها وهذا الاسناد الى ابن عباس يروي به تفسير مشهور وقال السدي في تفسيره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن أناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لما فرغ الله من خلق ما أحب استوي على العرش فجعل ابليس على ملك السماء الدنيا وكان من قبيلة من الملائكة يقال لهم الجن وانما سموا الجن لانهم خزان الجنة وكان ابليس مع ملكه خازنا فوقع في صدره وقال ما أعطاني الله هذا الا لمزية لي على الملائكة فلما وقع ذلك الكبر في نفسه اطلع الله على ذلك فقال الله للملائكة : اني جاعل في الارض خليفة . فقالوا ربنا وما يكون ذلك الخليفة ؟ قال يكون له ذرية يفسدون في الارض ويتحاسدون ويقتل بعضهم بعضا، قالوا ربنا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك؟ قال اني أعلم مالا تعلمون ، يعني من شأن ابليس. فبعث الله جبريل الى الارض ليأتيه بطين منها فقالت الارض اني أعوذ بالله منك أن تنقص مني أو تشينني فرجع ولم يأخذ، وقال يارب انها عاذت بك فأعذتها، فبعث ميكائيل فعاذت منه فعاذها، فرجع فقال كما قال جبريل فبعث ملك الموت فعاذت منه فقال وأنا أعوذ بالله أن أرجع ولم أنفذ أمره ، فأخذ من وجه الارض وخلط ولم يأخذ من مكان

أى الى آدم فكان آدم قبلة والسجود لله تعالى كما جعلت الكعبة قبلة للصلاة والصلاة لله عز وجل ﴿ فسجدوا ﴾ يعنى الملائكة ﴿ الا ابليس ﴾ وكان اسمه عزازيل بالسريانية و بالعربية الحارث فلما عصى غير اسمه وصورته فقيل ابليس لانه أبلس من رحمة الله تعالى أى يئس واختلفوا فيه فقال ابن عباس وأكثر المفسرين كان ابليس من الملائكة ، وقال الحسن كان من الجن ولم يكن من الملائكة لقوله تعالى

واحد وأخذ من تربة حمراء وبيضاء وسوداء فلذلك خرج بنو آدم مختلفين فصعد به قبل التراب حتى عاد طينا لازبا واللازب هو الذي يلتزق بعضه ببعض ثم قال للملائكة (إني خالق بشرا من طين ٭ فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين) فخلقه الله بيده لئلا يتكبر ابليس عنه ليقول له تتكبر عما عملت بيدي ولم أتكبر أنا عنه بخلقه بشر ، فكان جسدا من طين أربعين سنة من مقدار يوم الجمعة فمرت به الملائكة ففزعوا منه لما رأوه فكان أشدهم فزعا منه إبليس فكان يمر به فيضربه فيصوت الجسد كما يصوت الفخار يكون له صلصلة فذلك حين يقول من صلصال كالفخار ويقول لأمر مّا خلقت ، ودخل من فيه فخرج من دبره ، وقال للملائكة لا ترهبوا من هذا فان ربكم صمد وهذا أجوف لئن سلطت عليه لاهلكنه ، فلما بلغ الحين الذي يريد الله عزوجل ان ينفخ فيه الروح قال للملائكة اذا نفخت فيه من روحي فاسجدوا له ، فلما نفخ فيه الروح فدخل الروح في رأسه عطس فقالت الملائكة قل الحمد لله فقال ، فقال له الله « يرحمك ربك » فلما دخلت الروح في عينيه نظر الى ثمار الجنة فلما دخل الروح الى جوفه اشتهى الطعام فوثب قبل ان تبلغ الروح رجليه عجلان الى ثمار الجنة فذلك حين يقول الله تعالى (خلق الانسان من عجل) فسجد الملائكة كلهم أجمعون الا ابليس أبى أن يكون مع الساجدين ، أبى واستكبر وكان من الكافرين ، قال الله له ما منعك ان تسجد اذ أمرتك لما خلقت بيدي ؟ قال أنا خير منه لم أكن لاسجد لبشر خلقته من طين ، قال الله له أخرج منها فما يكون لك يعني ما ينبغي لك أن تتكبر فيها فاخرج انك من الصاغرين ، والصغار هو الذل قال : وعلم آدم الاسماء كلها ثم عرض الخلق على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين ان بني آدم يفسدون في الارض ويسفكون الدماء ، فقالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم . قال الله : يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والارض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون) قال : قولهم (أتجعل فيها من يفسد فيها) فهذا الذي أبدوا ، وأعلم ما تكتمون ، يعني ما أسر ابليس في نفسه من الكبر ٭ فهذا الاسناد الى هؤلاء الصحابة مشهور في تفسير السدي ويقع فيه اسرائيليات كثيرة فلعل بعضها مدرج ليس من كلام الصحابة أو انهم أخذوه من بعض الكتب المتقدمة والله أعلم . والحاكم يروي في مستدركه بهذا الاسناد بعينه أشياء ويقول على شرط البخاري

والغرض ان الله تعالى لما أمر الملائكة بالسجود لآدم دخل ابليس في خطابهم لانه وان لم يكن من عنصرهم الا انه كان قد تشبه بهم وتوسم بأفعالهم ، فلهذا دخل في الخطاب لهم وذم في مخالفة الامر ، وسنبسط المسئلة ان شاء الله تعالى عند قوله (الا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه)

(الا ابليس) كان من الجن ففسق عن أمر ربه فهو أصل الجن كما ان آدم أصل الانس ولانه خلق من النار والملائكة خلقوا من النور ، ولان له ذرية ولا ذرية للملائكة ، والاول أصح لان خطاب السجود كان مع الملائكة وقوله (كان من الجن) أي من الملائكة الذين هم خزنة الجنة . وقال سعيد بن جبير : من الذين يعملون في الجنة ، وقال : قوم من الملائكة الذين يصوغون حلي أهل الجنة ٭ وقيل : ان فرقة من الملائكة

ولهذا قال : قال محمد بن اسحق عن خلاد بن عطاء عن طاوس عن ابن عباس قال : كان إبليس قبل أن يركب المعصية من الملائكة اسمه عزازيل ، وكان من سكان الارض ، وكان من أشد الملائكة اجتهادا ، وأكثرهم علما ، فذلك دعاه الى الكبر ، وكان من حي يسمون جنا . وفي رواية عن خلاد عن عطاء عن طاوس أو مجاهد عن ابن عباس أو غيره بنحو . وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي حدثنا سعيد بن سليمان حدثنا عباد يعني ابن العوام عن سفيان بن حسين عن يعلى بن مسلم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : كان إبليس اسمه عزازيل ، وكان من أشراف الملائكة من ذوي الاجنحة الاربعة ، ثم أبلس بعد . وقال سنيد : عن حجاج عن ابن جريج قال : قال ابن عباس : كان إبليس من أشراف الملائكة وأكرمهم قبيلة ، وكان خازنا على الجنان ، وكان له سلطان سماء الدنيا ، وكان له سلطان على الارض ، وهكذا روى الضحاك وغيره عن ابن عباس سواء . وقال صالح مولى التوأمة عن ابن عباس : ان من الملائكة قبيلا يقال لهم الجن ، وكان ابليس منهم ، وكان يوسوس ما بين السماء والارض فعصى فمسخه الله شيطانا رجيما ، رواه ابن جرير . وقال قتادة عن سعيد بن المسيب : كان ابليس رئيس ملائكة سماء الدنيا . وقال ابن جرير : حدثنا محمد بن بشار حدثنا عدي بن أبي عدي عن عوف عن الحسن قال : ما كان ابليس من الملائكة طرفة عين قط وانه لاصل الجن كما ان آدم أصل الانس ، وهذا اسناد صحيح عن الحسن ، وهكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم سواء . وقال شهر بن حوشب : كان ابليس من الجن الذين طردتهم الملائكة فأسره بعض الملائكة فذهب به الى السماء ، رواه ابن جرير . وقال سنيد بن داود : حدثنا هشيم أنبأنا عبد الرحمن بن يحيى عن موسى ابن نمير وعثمان بن سعيد بن كامل عن سعد بن مسعود قال : كانت الملائكة تقاتل الجن فسبي ابليس وكان صغيرا فكان مع الملائكة يتعبد معها فلما أمروا بالسجود لآدم سجدوا فأبى ابليس فلذلك قال تعالى (الا ابليس كان من الجن) وقال ابن جرير حدثنا محمد بن سنان البزاز حدثنا أبو عاصم عن شريك عن رجل عن عكرمة عن ابن عباس قال ان الله خلق خلقا فقال اسجدوا لآدم فقالوا لا نفعل فبعث الله عليهم نارا فأحرقتهم ، ثم خلق خلقا آخر فقال (اني خالق بشرا من طين) اسجدوا لآدم قال فابوا فبعث الله عليهم نارا فاحرقتهم ، ثم خلق هؤلاء فقال اسجدوا لآدم قالوا نعم وكان ابليس من أولئك الذين أبوا ان يسجدوا لآدم — وهذا غريب ولا يكاد يصح اسناده فان فيه رجلا مبهما ومثله لا يحتج به والله أعلم . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الاشج حدثنا أبو أسامة حدثنا صالح بن حيان حدثنا عبد الله بن بريدة قوله تعالى (وكان من الكافرين) من الذين أبو

خلقوا من النار سموا جنا لاستتارهم عن الاعين وابليس كان منهم . والدليل على قوله تعالى (وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا) وهو قولهم الملائكة بنات الله ولما أخرجه الله من الملائكة جعل له ذرية قوله ﴿ أبى ﴾ اى امتنع فلم يسجد ﴿ واستكبر ﴾ أي تكبر عن السجود لآدم ﴿ وكان ﴾ اى وصار ﴿ من الكافرين ﴾ وقال اكثر المفسرين وكان في سابق علم الله من الكافرين الذين وجبت لهم الشقاوة انا ابو بكر محمد بن

فأحرقتهم النار، وقال أبو جعفر رضي الله عنه عن الربيع عن أبي العالية (وكان من الكافرين) يعني من العاصين وقال السدّي وكان من الكافرين الذين لم يخلقهم الله يومئذ يكونون بعد ■ وقال محمد بن كعب القرظي ابتدأ الله خلق ابليس من الكفر والضلالة وعمل بعمل الملائكة فصيره الله الى ما أبدى عليه خلقه على الكفر قال الله تعالى (وكان من الكافرين) وقال قتادة في قوله تعالى (واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم)فكانت الطاعة لله والسجدة لآدم أكرم الله آدم ان أسجد له ملائكته ■ وقال بعض الناس كان هذا سجود تحية وسلام واكرام كما قال تعالى (ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا وقال ياأبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا) وقد كان هذا مشروعا في الامم الماضية ولكنه نسخ في ملتنا . قال معاذ قدمت الشام فرأيتهم يسجدون لاساقفتهم وعلمائهم فأنت يارسول أحق أن يسجد لك فقال « لا . لو كنت آمرا بشرا ان يسجد لبشر لامرت المرأة ان تسجد لزوجها من عظم حقه عليها » ورجحه الرازي وقال بعضهم بل كانت السجدة لله وآدم قبلة فيها كما قال تعالى (أقم الصلاة لدلوك الشمس) وفي هذا التنظيرة نظر والاظهر ان القول الاوّل أولى والسجدة لآدم اكراما واعظاما واحتراما وسلاما وهي طاعة لله عز وجل لانها امتثال لامره تعالى وقوّاه الرازي في تفسيره وضعف ما عداه من القولين الآخرين وهما كونه جعل قبلة اذ لا يظهر فيه شرف والاخر ان المراد بالسجود الخضوع لا الانحناء ووضع الجبهة على الارض وهو ضعيف كما قال ■ وقال قتادة في قوله تعالى (فسجدوا الا ابليس أبى واستكبر وكان من الكافرين) حسد عدو الله ابليس آدم عليه السلام على ما أعطاه الله من الكرامة وقال أنا ناري وهذا طيني وكان بدء الذنوب الكبر استكبر عدو الله ان يسجد لادم عليه السلام قلت وقد ثبت في الصحيح « لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر » وقد كان في قلب ابليس من الكبر — والكفر — العناد ما اقتضى طرده وابعاده عن جناب الرحمة وحضرة القدس . قال بعض المعربين وكان من الكافرين أي وصار من الكافرين بسبب امتناعه كما قال (فكان من المغرقين) وقال (فتكونا من الظالمين) وقال الشاعر

بتيهاء قفر والمطي كأنها ■ قطا الحزن قد كانت فراخا بيوضها

أي قد صارت وقال ابن فورك تقديره وقد كان في علم الله من الكافرين ورجحه القرطبي وذكر ههنا مسئلة فقال قال علماؤنا من أظهر الله على يديه ممن ليس بنبي كرامات وخوارق للعادات فليس ذلك دالا على ولايته خلافا لبعض الصوفية والرافضة هذا لفظه ثم استدل على ما قال بانا لانقطع بهذا الذي جرى الخارق على يديه أنه يوافي الله بالايمان وهو لا يقطع بنفسه لذلك يعني

عبد الصمد الترابي أنا ابن الحاكم أبو الفضل محمد بن الحسين الحدادي أنا أبو يزيد محمد بن يحيى بن خالد أنا اسحق بن ابراهيم الحنظلي أنا جرير ووكيع وأبو معاوية عن الاعمش عن أبي صالح عن ابى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي ويقول ياويله أمر ابن

والولى هو الذي يقطع له بذلك في نفس الامر قلت وقد استدل بعضهم على ان الخارق قد يكون على يد غير الولى بل قد يكون على بار الفاجر والكافر أيضا بما ثبت عن ابن صياد انه قال هو الدخ حين خبأ له رسول الله صلى الله عليه وسلم (فارتقب يوم تأت السماء بدخان مبين) وبما كان يصدر عنه انه كان يملا الطريق اذا غضب حتى ضربه عبدالله بن عمر، وبما ثبتت به الاحاديث عن الدجال بما يكون على يديه من الخوارق الكثيرة من انه يأمر السماء ان تمطر فتمطر والارض ان تنبت فتنبت وتتبعه كنوز الارض مثل اليعاسيب وان يقتل ذلك الشاب ثم يحييه الى غير ذلك من الامور المهولة . وقد قال يونس بن عبدالاعلى الصدفي قلت للشافعي كان الليث بن سعد يقول . اذارأيتم الرجل يمشي على الماء ويطير في الهواء فلا تغتروا به حتى تعرضوا أمره على الكتاب والسنة فقال الشافعي قصر الليث رحمه الله . بل اذا رأيتم الرجل يمشى على الماء ويطير في الهواء فلا تغتروا به حتى تعرضوا أمره على الكتاب والسنة وقد حكى الرازي وغيره قولين للعلماء هل المأمور بالسجود لآدم خاص بملائكة الارض أو عام بملائكة السموات والارض وقد رجح كلا من القولين طائفة وظاهر الاية الكريمة العموم (فسجد الملائكة كلهم أجمعون الا ابليس) فهذه أربعة اوجه مقوية للعموم والله علم

﴿وقلنا ياآدم اسكن انت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين * فازلهما الشيطان عنها فاخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين﴾

يقول الله تعالى اخبارا عما أكرم به آدم إنه أمر الملائكة بالسجود فسجدوا الا ابليس انه أباحه الجنة يسكن منها حيث يشاء ويأكل منها ما شاء رغدا أي هنيئا واسعا طيبا . وروى الحافظ ابوبكر بن مردويه من حديث محمد بن عيسى الدامغاني . حدثنا سلمة بن الفضل عن ميكائيل عن ليث عن ابراهيم التيمي عن أبيه عن أبي ذر قال قلت يا رسول الله أرأيت آدم أنبيا كان قال « نعم نبيا رسولا يكلمه الله قبيلا » — يعني عيانا — فقال (اسكن أنت وزوجك الجنة) وقد اختلف في الجنة التي أسكنها آدم أهي في السماء أوفي الارض فالا كثرون على الاول وحكى القرطبي عن المعتزلة والقدرية القول بأنها في الارض وسيأتي تقرير ذلك في سورة الاعراف ان شاء الله تعالى وسياق الآية يقتضي ان حواء خلقت قبل دخول آدم الجنة وقد صرح بذلك محمد ابن اسحق حيث قال لما فرغ الله من معاتبة ابليس أقبل على آدم وعلمه الاسماء كلها فقال ياآدم انبئهم بأسمائهم الى قوله (انك انت العليم الحكيم) قال ثم القيت السنة على آدم فيما بلغنا عن أهل الكتاب من أهل

آدم بالسجود فأطاع فله الجنة وأمرت بالسجود فعصيت فلي النار قوله تعالى ﴿ وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة ﴾ وذلك ان آدم لم يكن له في الجنة من يجانسه فنام نومة فخلق الله زوجته حواء من قصيراء شقه الايسر وسميت حواء لانها خلقت من حي خلقها الله عز وجل من غير ان أحس بآدم ولا وجد له ألما

التوراة وغيرهم من أهل العلم عن ابن عباس وغيره ثم أخذ ضلعا من أضلاعه من شقه الايسر ولام مكانه لحما وآدم نائم لم يهب من نومه حتى خلق الله من ضلعه تلك زوجته حواء فسواها امرأة ليسكن اليها فلما كشف عنه السنة وهب من نومه رآها الى جنبه فقال فيما يزعمون والله أعلم « لحمي ودمي وزوجتي » فسكن اليها فلما زوجه الله وجعل له سكنا من نفسه قال له قبيلا (يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين) ويقال ان خلق حواء كان بعد دخول الجنة كما قال السدي في خبر ذكره عن ابى مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة ابن مسعود وعن ناس من الصحابة اخرج ابليس من الجنة واسكن آدم الجنة فكان يمشي فيها وحيشا ليس له زوج يسكن اليه فنام نومة فاستيقظ وعند رأسه امرأة قاعدة خلقها الله من ضلعه فسألها ما أنت ؟ قالت امرأة قال ولم خلقت ؟ قالت لتسكن اليّ . قالت له الملائكة ينظرون ما بلغ من علمه ما اسمها يا آدم ؟ قال حواء قالوا ولم حواء ؟ قال انها خلقت من شيء حي . قال الله (يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما)

وأما قوله (ولا تقربا هذه الشجرة) فهو اختبار من الله تعالى وامتحان لآدم وقد اختلف في هذه الشجرة ما هي فقال السدي عمن حدثه عن ابن عباس الشجرة التي نهي عنها آدم عليه السلام هي الكرم وكذا قال سعيد بن جبير والسدي والشعبي وجعدة ابن هبيرة ومحمد بن قيس وقال السدي أيضا في خبر ذكره عن أبي مالك وعن ابي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود عن ناس من الصحابة (ولا تقربا هذه الشجرة) هي الكرم . وتزعم يهود أنها الحنطة . وقال ابن جرير وابن أبي حاتم : حدثنا محمد بن اسماعيل بن سمرة الاحمسي حدثنا أبو يحيى الحماني حدثنا أبو النضر أبو عمر الخراز عن عكرمة عن ابن عباس قال : الشجرة التي نهى عنها آدم عليه السلام هي السنبلة، وقال عبد الرزاق: أنبأنا ابن عيينة وابن المبارك عن الحسن بن عمارة عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: هي السنبلة، وقال محمد بن اسحق عن رجل من أهل العلم عن حجاج عن مجاهد عن ابن عباس قال: هي البر، وقال ابن جرير وحدثني المثنى بن ابراهيم حدثنا مسلم بن ابراهيم حدثنا القاسم حدثني رجل من بني تميم أن ابن عباس كتب الى أبي الجلد يسأله عن الشجرة التي أكل منها آدم والشجرة التي تاب عندها آدم فكتب اليه أبو الجلد سألتني عن الشجرة التي نهى عنها آدم وهي السنبلة ، وسألتني عن الشجرة التي تاب عندها آدم وهي الزيتونة، وكذلك فسره الحسن البصري ووهب بن منبه وعطية العوفي وأبو مالك ومحارب بن دثار وعبد الرحمن بن أبي ليلى . وقال محمد بن اسحق عن بعض أهل اليمن عن وهب بن منبه

ولو وجد ألما لما عطف رجل على امرأة قط فلما هب من نومه رآها جالسة عند رأسه كأحسن ما خلق الله فقال لها من أنت قالت زوجتك خلقني الله تسكن الي وأسكن اليك ﴿ وكلا منها رغدا ﴾ واسعا كثيرا ﴿ حيث شئتما ﴾ كيف شئتما ومتى شئتما وأين شئتما ﴿ ولا تقربا هذه الشجرة ﴾ يعني بالاكل قال بعض العلماء وقع النهي على جنس من الشجر وقال آخرون على شجرة مخصوصة واختلفوا في تلك الشجرة

أنه كان يقول : هي البر ولكن الحبة منها في الجنة ككلي البقر وألين من الزبد وأحلى من العسل . وقال سفيان الثوري عن حصين عن أبي مالك (ولا تقربا هـذه الشجرة) قال النخلة ، وقال ابن جرير عن مجاهد (ولا تقربا هذه الشجرة) قال التينة ، وبه قال قتادة وابن جريج وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية كانت الشجرة من أكل منها أحدث ولا ينبغي أن يكون في الجنة حدث ، وقال عبد الرزاق : حدثنا عمر بن عبد الرحمن بن مهران قال : سمعت وهب ابن منبه يقول : لما أسكن الله آدم وزوجته الجنة ونهاه عن أكل الشجرة و كانت شجرة غصونها متشعب بعضها من بعض وكان لها ثمر تأكله الملائكة لخلدهم وهي الشجرة التي نهى الله عنها آدم وزوجته

فهذه أقوال ستة في تفسير هـذه الشجرة . قال الامام العلامة أبو جعفر بن جرير رحمه الله : والصواب في ذلك أن يقال أن الله عز وجل ثناؤه نهى آدم وزوجته عن أكل شجرة بعينها من أشجار الجنة دون سائر أشجارها فأكلا منها ولا علم عندنا بأي شجرة كانت على التعيين لان الله لم يضع لعباده دليلا على ذلك في القرآن ولا من السنة الصحيحة وقد قيل: كانت شجرة البر وقيل كانت شجرة العنب وقيل كانت شجرة التين وجائز أن تكون واحدة منها وذلك علم إذا علم لم ينفع العالم به علمه وان جهله جاهل لم يضره جهله به والله أعلم، وكذلك رجح الامام الرازى في تفسيره وغيره وهو الصواب

وقوله تعالى (فأزلهما الشيطان عنها) يصح أن يكون الضمير في قوله عنها عائدا الى الجنة فيكون معنى الكلام كما قرأ عاصم فأزالهما أى فنحاهما ويصح أن يكون عائدا على أقرب المذكورين وهو الشجرة فيكون معنى الكلام كما قال الحسن وقتادة فأزلهما أى من قبل الزلل فعلى هذا يكون تقدير الكلام (فأزلهما الشيطان عنها) أى بسببها كما قال تعالى (يؤفك عنه من أفك) أى يصرف بسببه من هو مأفوك ولهذا قال تعالى (فأخرجهما مما كانا فيـه) أى من اللباس والمنزل الرحب والرزق الهنيء والراحة (وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين) أى قرار وأرزاق وآجال ـ الى حين ـ أى الى وقت مؤقت ومقدار معين ثم تقوم القيامة ، وقد ذكر المفسرون من السلف كالسدى بأسانيده وأبي العالية ووهب بن منبه وغيرهم . ههنا أخبارا اسرائيلية عن قصة الحية وابليس وكيف جرى من دخول ابليس الي الجنة ووسوسته وسنبسط ذلك ان شاء الله في سورة الاعراف فهناك القصة أبسط منها ههنا والله الموفق وقد قال ابن أبي حاتم ههنا : حدثنا علي بن الحسن ابن اشكاب ، حدثنا علي بن عاصم عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن الحسن عن أبي بن كعب

قال ابن عباس ومحمد بن كعب ومقاتل هي السنبلة وقال ابن مسعود هي شجرة العنب وقال ابن جريج: شجرة التين وقال قتادة: شجرة العلم وفيها من كل شيء وقال علي: شجرة الكافور ﴿ فتكونا ﴾ فتصيرا ﴿ من الظالمين ﴾ أى الضارين بأنفسكما بالمعصية وأصل الظلم وضع الشيء في غير موضعـه ﴿ فأزلهما ﴾ استزل ﴿ الشيطان ﴾ آدم وحواء أي دعاهما الى الزلة وقرأ حمزة فازالهما أي نحاهما الشيطان فيعال من شطن أى بعد سمي به لبعده عن الخير وعن الرحمة ﴿ عنها ﴾ عن الجنة ﴿ فأخرجهما مما كانا فيه ﴾

قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان الله خلق آدم رجلا طوالا كثير شعر الرأس كأنه نخلة سحوق فلما ذاق الشجرة سقط عنه لباسه فأول ما بدا منه عورته فلما نظر الى عورته جعل يشتد في الجنة فأخذت شعره شجرة فنازعها فناداه الرحمن (يا آدم مني تفر ؟) فلما سمع كلام الرحمن قال يارب لا ، ولكن استحياء . قال : وحدثني جعفر بن أحمد بن الحكم القرشي سنة أربع وخمسين ومائتين » حدثنا سليمان بن منصور بن عمار حدثنا على بن عاصم عن سعيد عن قتادة عن أبي ابن كعب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لما ذاق آدم من الشجرة فرهاربا فتعلقت شجرة بشعره فنودي : يا آدم أفرارا مني ؟ قال : بل حياء منك قال : يا آدم اخرج من جواري فبعزتي لا يساكنني فيها من عصاني ولو خلقت مثلك ملء الارض خلقا ثم عصوني لاسكنتهم دار العاصين »

من النعيم وذلك ان ابليس أراد أن يدخل ليوسوس الى آدم وحواء فمنعته الخزنة فأتى الحية وكانت صديقة لابليس وكانت من أحسن الدواب لها أربع قوائم كقوائم البعير وكانت من خزان الجنة فسألها إبليس أن تدخله فيها فأدخلته ومرت به على الخزنة وهم لا يعلمون فأدخلته الجنة وقال الحسن انما رآهما على باب الجنة لانهما كانا يخرجان منها وقد كان آدم حين دخل الجنة ورأى مافيها من النعيم قال: لوأن خلدا فاغتنم ذلك منه الشيطان فأتاه من قبل الخلد فلما دخل الجنة وقف بين يدي آدم وحواء وهما لا يعلمان أنه إبليس فبكى وناح نياحة أحزنتهما وهو أول من ناح فقالا له ما يبكيك؟ قال أبكي عليكما تموتان فتفارقان ماأنتما فيه من النعمة. فوقع ذلك في أنفسهما فاغتما ومضى إبليس ثم أتاهما بعد ذلك وقال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد فأبى أن يقبل منه وقاسمهما بالله إنه لهما لمن الناصحين ، فاغتروا وما ظنا أن أحداً يحلف بالله كاذبا فبادرت حواء الى أكل الشجرة ثم ناولت آدم حتى أكلها وكان سعيد بن المسيب يحلف بالله ما أكل آدم من الشجرة وهو يعقل ولكن حواء سقته الخمر حتى اذا سكر قادته اليها فأكل قال ابراهيم بن أدهم أورثتنا تلك الاكلة حزنا طويلا قال ابن عباس وقتادة قال الله عزوجل لآدم « ألم يكن فيما أبحتك من الجنة مندوحة عن الشجرة ؟ قال بلى يارب وعزتك ولكن ماظننت أن أحداً يحلف بك كاذبا قال « فبعزتي لاهبطنك الى الارض ثم لا تنال العيش الا كدا » فاهبط من الجنة وكانا يأكلان فيها رغداً فعلم صنعة الحديد ، وأمر بالحرث فحرث وزرع ثم سقي حتى اذا بلغ حصد ثم درس ثم ذراه ثم طحنه ثم عجنه ثم خبزه ثم أكله فلم يبلغه حتى بلغ ماشاء الله . قال سعيد بن جبير : عن ابن عباس: ان آدم لما أكل من الشجرة التي نهي عنها قال الله عز وجل « ما حملك على ماصنعت ؟ قال: يارب زينته لي حواء قال: فاني أعقبتها أن لا تحمل الا كرها ولا تضع الا كرها وأدميتها في الشهر مرتين فرنت حواء عند ذلك قيل عليك الرنة وعلى بناتك فلما أكلا منها فتت عنهما ثيابهما وبدت سوآتهما وأخرجا من الجنة فذلك قوله تعالى ﴿ وقلنا اهبطوا ﴾ انزلوا الى الارض يعني آدم وحواء وابليس والحية ، فهبط آدم بسرنديب من أرض الهند على جبل يقال له نود وحواء بجدة وابليس بالايلة والحية بأصفهان ﴿ بعضكم لبعض عدو ﴾ أراد العداوة التي بين ذرية آدم والحية و بين المؤمنين من ذرية آدم و بين ابليس قال الله تعالى

هذا حديث غريب وفيه انقطاع بل اعضال بين قتادة وأبي بن كعب رضي الله عنهما . وقال الحاكم حدثنا أبو بكر بن باكويه عن محمد بن احمد بن النضر عن معاوية بن عمرو عن زائدة عن عمار بن أبي معاوية البجلي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : ما أسكن آدم الجنة الا مابين صلاة العصر الى غروب الشمس ، ثم قال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . وقال عبد بن حميد في تفسيره حدثنا روح عن هشام عن الحسن قال : لبث آدم في الجنة ساعة من نهار تلك الساعة ثلاثون ومائة سنة من أيام الدنيا . وقال ابو جعفر الرازي : عن الربيع بن أنس قال : خرج آدم من الجنة للساعة التاسعة أو العاشرة فأخرج آدم معه غصنا من شجر الجنة على رأسه تاج من شجر الجنة وهو الاكليل من ورق الجنة . وقال السدى : قال الله تعالى (اهبطوا منها جميعا) فهبطوا ونزل آدم بالهند ونزل معه الحجر الاسود وقبضة من ورق الجنة فبثه بالهند فنبتت شجرة الطيب فانما أصل ما يجاء به من الطيب من الهند من قبضة الورق التي هبط بها آدم ، وانما قبضها آسفا على الجنة حين أخرج منها . وقال عمران بن عيينة : عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : أهبط آدم بدحنا أرض الهند . وقال ابن ابي حاتم : حدثنا أبو زرعة حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا جرير عن عطاء عن سعيد عن ابن عباس قال : أهبط آدم عليه السلام الى أرض يقال لها دحنا بين مكة والطائف . وعن الحسن البصري قال : أهبط آدم بالهند ، وحواء بجدة ، وابليس بدستميسان من البصرة على أميال وأهبطت الحية باصبهان رواه ابن ابي حاتم . وقال ابو محمد بن ابي حاتم : حدثنا محمد بن عمار بن الحرث حدثنا محمد بن سعيد بن سابق حدثنا عمر بن أبي قيس عن الزبير بن عدى عن ابن عمر قال : أهبط آدم بالصفا وحواء بالمروة . وقال رجاء بن سلمة أهبط آدم عليه السلام يداه على ركبتيه مطأطئا رأسه ، وأهبط ابليس مشبكا بين أصابعه رافعا رأسه الى السماء . وقال عبد الرزاق قال معمر أخبرني عوف عن قسامة بن زهير عن ابي موسى قال ان الله حين اهبط آدم من الجنة الى الارض علمه صنعة كل شيء وزوده من ثمار الجنة فثماركم هذه من ثمار الجنة غير ان هذه تتغير وتلك لاتتغير وقال الزهري عن عبد الرحمن بن هرمز الاعرج عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه أدخل الجنة وفيه اخرج منها » رواه

(ان الشيطان لكما عدو مبين) أنا احمد بن عبدالله الصالحي أنا ابو الحسن بن بشران أنا اسماعيل بن محمد الصفار أنا أحمد بن محمد الصفار حدثنا منصور الرمادي أنا عبد الرازق أنا معمر عن أيوب عن عكرمة عن ابن عباس قال لاأعلمه الارفع الحديث انه كان يأمر بقتل الحيات وقال من تركهن خشية أو مخافة ثائر فليس منا وزاد موسى بن مسلم عن عكرمة في الحديث ما سالمناهن منذ حاربناهن ، وروي انه نهى عن ذوات البيوت روي عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم « ان بالمدينة جنا قد أسلموا فان رأيتم منهم شيئا فآذنوه ثلاثة أيام فان بدالكم بعد ذلك فاقتلوه فانما هو شيطان» قوله تعالى ﴿ولكم في الارض مستقر﴾ موضع قرار ﴿ ومتاع ﴾ بلغة ومستمتع ﴿ الى حين ﴾

مسلم والنسائي . وقال الرازي اعلم ان في هذه الآية تهديدا عظيما عن كل المعاصي من وجوه (الاول) انما يتصور ما جرى على آدم بسبب اقدامه على هذه الزلة الصغيرة كان على وجل شديد من المعاصي قال الشاعر

يا ناظرا يرنو بعيني راقد ومشاهد للامر غير مشاهد
تصل الذنوب الى الذنوب وترتجي درج الجنان ونيل فوز العابد
أنسيت ربك حين أخرج آدما منها الى الدنيا بذنب واحد

قال ابن القاسم : ولكننا سبي العدو فهل ترى نعود الى أوطاننا ونسلم

قال الرازي عن فتح الموصلي انه قال كنا قوما من أهل الجنة فسبانا ابليس الى الدنيا فليس لنا الا الهم والحزن حتى نرد الى الدار التي أخرجنا منها . فان قيل فاذا كانت جنة آدم التي أخرج منها في السما كما يقول الجمهور من العلماء فكيف تمكن ابليس من دخول الجنة وقد طرد من هنالك طردا قدريا والقدري لا يخالف ولا يمانع ؟ فالجواب ان هذا بعينه استدل به من يقول ان الجنة التي كان فيها آدم في الارض لا في السماء كما قد بسطنا هذا في أول كتابنا البداية والنهاية واجاب الجمهور بأجوبة أحدها انه منع من دخول الجنة مكرما فأما على وجه السرقة والاهانة فلا يمتنع ولهذا قال بعضهم كما جاء في التوراة انه دخل في فم الحية الى الجنة . وقد قال بعضهم : يحتمل انه وسوس لهما وهو خارج باب الجنة . وقال بعضهم : يحتمل انه وسوس لهما وهو في الارض وهما في السماء ذكرها الزمخشري وغيره . وقد اورد القرطبي ههنا أحاديث في الحيات وقتلهن و بيان حكم ذلك فاجاد وأفاد

(٣٦) فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم *

الى انقضاء آجالكم ﴿ فتلقى ﴾ تلقى والتلقي هو قبول عن فطنة وفهم وقيل هو التعلم ﴿ آدم من ربه كلمات ﴾ قراءة العامة آدم برفع الميم وكلمات بخفض التاء وقرأ ابن كثير آدم بالنصب كلمات برفع التاء بمعنى جاءت الكلمات آدم من ربه وكانت سبب توبته واختلفوا في تلك الكلمات قال سعيد بن جبير ومجاهد والحسن هي قوله (ربنا ظلمنا أنفسنا) الآية وقال مجاهد ومحمد بن كعب القرظي هي قوله لا اله الا أنت سبحانك وبحمدك رب عملت سوءا وظلمت نفسي فاغفر لي انك أنت الغفور الرحيم، لا اله الا أنت سبحانك وبحمدك رب عملت سوءا وظلمت نفسي فارحمني انك أنت أرحم الراحمين) وقال عبيد بن عمير هي ان آدم قال يارب أرأيت ما أتيت أشيء ابتدعته من تلقاء نفسي أم شيء قدرته علي قبل أن تخلقني؟ قال الله تعالى «لا بل شيء قدرته عليك قبل أن أخلقك» قال يا رب فكما قدرته قبل أن تخلقني فاغفر لي ، وقيل هي ثلاثة أشياء الحياء والدعاء والبكاء قال ابن عباس بكى آدم وحواء على مافاتهما من نعيم الجنة مائتى سنة ولم يأكلا ولم يشربا أربعين يوما ولم يقرب آدم حواء مائة سنة وروى المسعودي عن يونس بن خباب وعلقمة بن مرثد قالوا لو ان دموع جميع اهل الارض جمعت لكانت دموع داود اكثر حيث اصاب الخطيئة ولو ان دموع داود ودموع اهل الارض جمعت لكانت دموع آدم اكثر حيث أخرجه الله من الجنة قال شهر بن حوشب بلغني ان آدم لما اهبط الى الارض

قبل ان هذه الكلمات مفسرة بقوله تعالى : (قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) وروى عن مجاهد وسعيد بن جبير وأبي العالية والربيع بن أنس والحسن وقتادة ومحمد بن كعب القرظي وخالد بن معدان وعطاء الخراساني وعبدالرحمن بن زيد بن أسلم وقال ابو اسحق السبيعي عن رجل من بني تميم قال أتيت ابن عباس فسألته ما الكلمات التي تلقى آدم من ربه ؟ قال علم شأن الحج وقال سفيان الثوري عن عبد العزيز بن رفيع أخبرني من سمع عبيد بن عمير وفي رواية قال مجاهد عن عبيد بن عمير أنه قال قال آدم يارب خطيئتي التي أخطأت شيء كتبته علي قبل ان تخلقني أو شيء ابتدعته من قبل نفسي ؟ قال « بل شيء كتبته عليك قبل ان أخلقك » قال فكما كتبته علي فاغفر لي . قال فذلك قوله تعالى (فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه) وقال السدي عمن حدثه عن ابن عباس فتلقى آدم من ربه كلمات قال قال آدم عليه السلام يارب ألم تخلقني بيدك ؟ قال له بلى ، ونفخت في من روحك ؟ قيل له بلى . قال أرأيت ان تبت هل أنت راجعي الى الجنة ؟ قال نعم . وهكذا رواه العوفي وسعيد بن جبير وسعيد بن معبد عن ابن عباس بنحوه ورواه الحاكم في مستدركه من حديث ابن جبير عن ابن عباس وقال صحيح الاسناد ولم يخرجاه وهكذا فسره السدي وعطية العوفي وقد روى ابن أبي حاتم ههنا حديثا شبيها بهذا فقال حدثنا علي بن الحسين بن اشكاب حدثنا ابن عاصم عن سعيد بن ابي عروبة عن قتادة عن الحسن عن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قال آدم عليه السلام أرأيت يارب ان تبت ورجعت أعائدي الى الجنة ؟ قال نعم فذلك قوله (فتلقى آدم من ربه كلمات) وهذا حديث غريب من هذا الوجه وفيه انقطاع : وقال ابو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية في قوله تعالى : فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه . قال ان آدم لما أصاب الخطيئة قال أرأيت ان تبت يارب وأصلحت ؟ قال الله « اذا أدخلك الجنة » فهي الكلمات « ومن الكلمات أيضا (ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) وقال ابن ابي نجيح عن مجاهد أنه كان يقول في قول الله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه قال الكلمات : اللهم لا اله الا انت سبحانك وبحمدك رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي انك خير الغافرين ، اللهم لا اله الا انت سبحانك وبحمدك رب اني ظلمت نفسي فارحمني انك خير الراحمين ، اللهم لا اله الا انت سبحانك وبحمدك رب اني ظلمت نفسي فتب علي انك انت التواب الرحيم . وقوله تعالى (انه هو التواب الرحيم) اى انه يتوب على من تاب اليه وأناب كقوله (الم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة من عباده) وقوله (ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه) الآية وقوله (ومن تاب وعمل صالحا) الى غير ذلك من الايات الدالة على انه تعالى يغفر الذنوب ، ويتوب على من يتوب ، وهذا من لطفه بخلقه ورحمته بعبيده ، لا اله الا هو التواب الرحيم

مكث ثلثمائة سنة لا يرفع رأسه حياء من الله تعالى قوله ﴿ فتاب عليه ﴾ فتجاوز عنه ﴿ انه هو التوّاب ﴾

(٣٧) قلنا اهبطوا منها جميعا فاما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون (٣٨) والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النارهم فيها خالدون ■

يقول تعالى مخبرا عما أنذر به آدم وزوجته وابليس حين أهبطهم من الجنة والمراد الذرية انه سينزل الكتب ويبعث الانبياء والرسل كما قال أبو العالية: الهدى الانبياء والرسل والبينات والبيان ■ وقال مقاتل بن حيان الهدى محمد صلى الله عليه وسلم ■ وقال الحسن الهدى القرآن ■ وهذان القولان صحيحان وقول أبي العالية أعم (فمن اتبع هداي) أي من أقبل على ما أنزلت به الكتب وأرسلت به الرسل (فلا خوف عليهم) أي فيما يستقبلونه من أمر الآخرة (ولا هم يحزنون) على مافاتهم من أمور الدنيا كما قال في سورة طه (قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فاما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى) قال ابن عباس لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة (ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى) كما قال ههنا (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدين) أى مخلدون فيها لا محيد لهم عنها ولا محيص. أورد ابن جرير ههنا حديثا ساقه من طريقين عن أبي سلمة سعيد بن يزيدعن أبي نضرة المنذر بن مالك بن قطعة عن أبي سعيد واسمه سعد بن مالك بن سنان الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ■ أما أهل النار الذين هم أهلها فلا يموتون فيها ولا يحيون ولكن أقوام أصابتهم النار بخطاياهم فأماتتهم اماتة حتى اذا صاروا فحما أذن في الشفاعة » وقد رواه مسلم من حديث شعبة عن أبي سلمة به. وذكر هذا الاهباط الثاني لما تعلق بهما بعده من المعنى المغاير للاول وزعم بعضهم انه تأكيد وتكرير كما يقال قم قم ، وقال آخرون بل الاهباط الاول من الجنة الى السماء الدنيا والثاني من سماء الدنيا الى الارض والصحيح الاول والله أعلم

(٣٩) يابني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم واياي فارهبون (٤٠) وآمنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم ولا تكونوا أول كافر به ولا

يقبل توبة عباده ﴿ الرحيم ﴾ بخلقه قوله تعالى ﴿ قلنا اهبطوا منها جميعا ﴾ يعني هؤلاء الاربعة وقيل الهبوط الاول من الجنة الى السماء الدنيا والهبوط الثاني من السماء الدنيا الى الارض ﴿ فاما يأتينكم ﴾ أى فان يأتكم ياذرية آدم ﴿ مني هدى ﴾ اي رشد وبيان شريعة وقيل كتاب ورسول ﴿ فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ قرأ يعقوب فلا خوف بالفتح في كل القرآن والآخرون بالضم والتنوين فلا خوف عليهم فيما يستقبلهم ولاهم يحزنون على ماخلفوا وقيل لاخوف عليهم في الدنيا ولاهم يحزنون في الآخرة ﴿ والذين كفروا ﴾ جحدوا ﴿ وكذبوا بآياتنا ﴾ بالقرآن ﴿ اولئك اصحاب النار ﴾ يوم القيامة ﴿هم فيها خالدون ﴾ لا يخرجون منها ولا يموتون فيها قوله تعالى ﴿ يابني اسرائيل ﴾ يا اولاد يعقوب ومعنى اسرائيل عبدالله وايل هوالله تعالى وقيل صفوة الله وقرأ ابو جعفر اسرايل بغيرهمزة

تشتروا بآياتي ثمنا قليلا واياي فاتقون *

يقول تعالى آمراً بني اسرائيل بالدخول في الاسلام ، ومتابعة محمد عليه من الله أفضل الصلاة والسلام ، ومهيجا لهم بذكر أبيهم اسرائيل وهو نبي الله يعقوب عليه السلام ، وتقديره يابني العبد الصالح المطيع لله كونوا مثل أبيكم في متابعة الحق كما تقول يا ابن الكريم افعل كذا ، يا ابن الشجاع بارز الابطال ، يا ابن العالم اطلب العلم ، ونحو ذلك . ومن ذلك أيضا قوله تعالى (ذرية من حملنا مع نوح انه كان عبدا شكورا) فاسرائيل هو يعقوب بدليل مارواه أبو داود الطيالسي حدثنا عبد الحميد بن بهرام عن شهر بن حوشب قال حدثني عبد الله بن عباس قال حضرت عصابة من اليهود نبي الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم « هل تعلمون ان اسرائيل يعقوب ؟ قالوا اللهم نعم » فقال النبي صلى الله عليه وسلم « اللهم اشهد » وقال الاعمش عن اسماعيل بن رجاء عن عمير مولى ابن عباس عن عبد الله بن عباس ان اسرائيل كقولك عبد الله وقوله تعالى (اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم) قال مجاهد نعمة الله التي أنعم بها عليهم فيما سمي وفيما سوى ذلك أن فجر لهم الحجر وأنزل عليهم المن والسلوى ونجاهم من عبودية آل فرعون وقال أبو العالية نعمته ان جعل منهم الانبياء والرسل وأنزل عليهم الكتب قلت وهذا كقول موسى عليه السلام لهم (ياقوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا وآتاكم مالم يؤت أحدا من العالمين) يعني في زمانهم وقال محمد بن اسحق حدثني محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله تعالى (اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم) أي بلائي عندكم وعند آبائكم لما كان نجاهم من فرعون وقومه (وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم) قال بعهدي الذي أخذت في أعناقكم للنبي صلى الله عليه وسلم اذا جاءكم أنجز لكم ماوعدتكم عليه من تصديقه واتباعه بوضع ماكان عليكم من الآصار والاغلال التي كانت في أعناقكم بذنوبكم التي كانت من احداثكم . وقال الحسن البصري هو قوله تعالى (ولقد أخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا وقال الله اني معكم لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي وعزرتموهم وأقرضتم الله قرضا حسنا لاكفرن عنكم سيئاتكم ولادخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار) الآية وقال آخرون هو الذي أخذ الله عليهم في التوراة انه سيبعث من بني اسماعيل نبيا عظيما يطيعه جميع الشعوب والمراد به محمد صلى الله عليه وسلم فمن اتبعه غفر الله له ذنبه وأدخله

﴿اذكروا﴾ احفظوا والذكر يكون بالقلب ويكون باللسان وقيل أراد به الشكر وذكر بلفظ الذكر لان في الشكر ذكراً وفي الكفران نسيانا قال الحسن ذكر النعمة شكرها ﴿نعمتي﴾ أي نعمي لفظها واحد ومعناها جمع كقوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لاتحصوها ﴿التي أنعمت عليكم﴾ أي على أجدادكم واسلافكم قال قتادة هي النعم التي خصت بها بنو اسرائيل: فلق البحر وانجاؤهم من فرعون باغراقه وتظليل الغمام عليهم في التيه وانزال المن والسلوى وانزال التوراة في نعم كثيرة لاتحصى . وقال غيره هي جميع النعم التي لله عز وجل على عباده ﴿ وأوفوا بعهدي ﴾ بامتثال أمري ﴿ أوف بعهدكم ﴾

الجنة وجعل له أجرين . وقد أورد الرازى بشارات كثيرة عن الانبياء عليهم الصلاة والسلام بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وقال أبو العالية (وأوفوا بعهدي) قال عهده الى عباده دين الاسلام وان يتبعوه، وقال الضحاك عن ابن عباس أوف بعهدكم قال أرض عنكم وأدخلكم الجنة وكذا قول السدى والضحاك وأبو العالية والربيع بن أنس ، وقوله تعالى (واياي فارهبون) أي فاخشون قاله أبو العالية والسدى والربيع بن أنس وقتادة وقال ابن عباس في قوله تعالى (وأياي فارهبون) أي أن نزل بكم ما أنزلت بمن كان قبلكم من آبائكم من النقمات التى قد عرفتم من المسخ وغيره وهذا انتقال من الترغيب الى الترهيب فدعاهم اليه بالرغبة والرهبة لعلهم يرجعون الى الحق واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم والاتعاظ بالقرآن وزواجره وامتثال أوامره وتصديق أخباره والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم ، ولهذا قال (وآمنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم) يعني به القرآن الذي أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم النبي الامي العربى بشيرا ونذيرا وسراجا منيرا مشتملا على الحق من الله تعالى مصدقا لما بين يديه من التوراة والانجيل قال أبو العالية رحمه الله في قوله تعالى (وآمنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم) يقول يامعشر أهل الكتاب آمنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم يقول لانهم يجدون محمدا صلى الله عليه وسلم مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل ، وروي عن مجاهد والربيع بن أنس وقتادة نحو ذلك وقوله (ولا تكونوا أول كافر به) قال بعض المعربين أول فريق كافر به أو نحو ذلك قال ابن عباس ولا تكونوا أول كافر به وعندكم فيه من العلم ماليس عند غيركم ، قال أبو العالية يقول ولا تكونوا أول من كفر بمحمد صلى الله عليه وسلم يعنى من جنسكم أهل الكتاب بعد سماعكم بمبعثه وكذا قال الحسن والسدي والربيع بن أنس واختار ابن جرير أن الضمير في قوله به عائد على القرآن الذي تقدم ذكره في قوله (بما أنزلت) وكلا القولين صحيح لانهما متلازمان لان من كفر بالقرآن فقد كفر بمحمد صلى الله عليه وسلم ومن كفر بمحمد صلى الله عليه وسلم فقد كفر بالقرآن وأما قوله (أول كافر به) فيعني به أول من كفر به من بني اسرائيل لانه قد تقدمهم من كفار قريش وغيرهم من العرب بشر كثير وانما المراد أول من كفر به من بنى اسرائيل مباشرة فان يهود المدينة

بالقبول والثواب قال قتادة ومجاهد أراد بهذا العهد ما ذكر في سورة المائدة (ولقد أخذ الله ميثاق بنى اسرائيل وبعثنا منهم اثنى عشر نقيبا - الى ان قال - لأ كفرن عنكم سيئاتكم) فهذا قوله أوف بعهدكم ، وقال الحسن هو قوله - واذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة - فهو شريعة التوراة ، وقال مقاتل هو قوله (واذ أخذنا ميثاق بنى اسرائيل لاتعبدون الا الله) وقال الكلبى عهد الله الى بنى اسرائيل على لسان موسى: اني باعث من بني اسماعيل نبيا أميا فمن اتبعه وصدق بالنور الذي يأتي به غفرت له ذنبه وادخلته الجنة وجعلت له أجرين اثنين. وهو قوله (واذ اخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس) يعنى أمر محمد صلى الله عليه وسلم

﴿واياي فارهبون﴾ فخافوني في نقض العهد وأثبت يعقوب اليا آت المحذوفة في الخط مثل فارهبون

أول بني اسرائيل خوطبوا بالقرآن فكفرهم به يستلزم أنهم أول من كفر به من جنسهم ، وقوله تعالى (ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا) يقول لا تعتاضوا عن الايمان بآياتي وتصديق رسولي بالدنيا وشهواتها فانها قليلة فانية كما قال عبد الله بن المبارك أنبأنا عبد الرحمن بن زيد بن جابر عن هرون بن يزيد قال سئل الحسن يعني البصري عن قوله تعالى (ثمنا قليلا) قال الثمن القليل الدنيا بحذافيرها وقال ابن لهيعة حدثني عطاء بن دينار عن سعيد بن جبير في قوله تعالى (ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا) ان آياته كتابه الذى أنزله اليهم وان الثمن القليل الدنيا وشهواتها « وقال السدى ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا يقول لا تأخذوا طمعا قليلا ولا تكتموا اسم الله فذلك الطمع هو الثمن ، وقال أبو جعفر عن الربيع بن أنس عن أبي العالية في قوله تعالى (ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا) يقول لا تأخذوا عليه أجرا قال وهو مكتوب عندهم في الكتاب الاول : يا ابن آدم علم مجانا كما علمت مجانا ، وقيل معناه لا تعتاضوا عن البيان والايضاح ونشر العلم النافع في الناس بالكتمان واللبس لتستمروا على رياستكم في الدنيا القليلة الحقيرة الزائلة عن قريب، وفي سنن أبي داود عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من تعلم علما مما يبتغى به وجه الله لا يتعلمه الا ليصيب به عرضا من الدنيا لم يرح رائحة الجنة يوم القيامة » فأما تعليم العلم بأجرة فان كان قد تعين عليه فلا يجوز أن يأخذ عليه أجرة ويجوز أن يتناول من بيت المال مايقوم به حاله وعياله فان لم يحصل له منه شيء وقطعه التعليم عن التكسب فهو كما لم يتعين عليه واذا لم يتعين عليه فانه يجوز أن يأخذ عليه أجرة عند مالك والشافعي وأحمد وجمهور العلماء كما في صحيح البخاري عن أبي سعيد في قصة اللديغ « ان أحق ما أخذتم عليه أجرا كتاب الله » وقوله في قصة المخطوبة « زوجتكها بما معك من القرآن » فاما حديث عبادة بن الصامت انه علم رجلا من أهل الصفة شيئا من القرآن فأهدى له قوسا فسأل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « ان أحببت أن تطوق بقوس من نار فاقبله » فتركه رواه أبو داود وروي مثله عن أبي ابن كعب مرفوعا فان صح اسناده فهو محمول عند كثير من العلماء منهم ابو عمر ابن عبد البر على انه لما علمه الله لم يجز بعد هذا ان يعتاض عن ثواب الله بذلك القوس فاما اذا كان من أول الامر على التعليم بالاجرة فانه يصح كما في حديث اللديغ وحديث سهل في المخطوبة والله أعلم وقوله (واياي فاتقون) قال ابن أبي حاتم حدثنا ابو عمر الدوري حدثنا ابو اسماعيل المؤدب

فاتقون واخشون، والآخرون يحذفونها على الخط ﴿وآمنوا بما انزلت﴾ يعني القرآن ﴿مصدقا لما معكم﴾ أى موافقا لما معكم من التوراة في التوحيد والنبوة والاخبار ونعت النبي صلى الله عليه وسلم نزلت في كعب بن الاشراف وأصحابه من علماء اليهود ورؤسائهم ﴿ولا تكونوا أول كافر به﴾ أى بالقرآن يريد من أهل الكتاب لان قريشا كفرت قبل اليهود بمكة معناه ولا تكونوا أول من كفر بالقرآن فتتابعكم اليهود على ذلك فتبوؤا بآثامكم وآثامهم ﴿ولا تشتروا﴾ أي ولا تستبدلوا ﴿بآياتي﴾ ببيان صفة محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ثمنا قليلا﴾ اى عوضا يسيرا من الدنيا وذلك ان رؤساء اليهود وعلماءهم

عن عاصم الاحول عن ابى العالية عن طلق بن حبيب قال : التقوى ان تعمل بطاعة الله رجاء رحمة الله على نور من الله وان تترك معصية الله على نور من الله تخاف عقاب الله. ومعنى قوله (واياى فاتقون) انه تعالى يتوعدهم فيما يتعمدونه من كتمان الحق واظهار خلافه ومخالفتهم الرسول صلوات الله وسلامه عليه

(٤١) ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وانتم تعلمون (٤٢) وأقيموا الصلاة وآتو الزكاة واركعوا مع الراكعين *

يقول تعالى ناهيا لليهود عما كانوا يتعمدونه من تلبيس الحق بالباطل وتمويهه وكتمانهم الحق واظهارهم الباطل (ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وانتم تعلمون) فنهاهم عن الشيئين معا وامرهم باظهار الحق والتصريح به ولهذا قال الضحاك عن ابن عباس ـ ولا تلبسوا الحق بالباطل ـ لا تخلطوا الحق بالباطل والصدق بالكذب ، وقال ابو العالية ـ ولا تلبسوا الحق بالباطل ـ يقول ولا تخلطوا الحق بالباطل وأدوا النصيحة لعباد الله من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ويروى عن سعيد بن جبير والربيع بن أنس نحوه وقال قتادة (ولا تلبسوا الحق بالباطل) ولا تلبسوا اليهودية والنصرانية بالاسلام وأنتم تعلمون ان دين الله الاسلام وان اليهودية والنصرانية بدعة ليست من الله . وروى عن الحسن البصري نحو ذلك . وقال محمد بن اسحق حدثني محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس (وتكتموا الحق وأنتم تعلمون) أي لا تكتموا ما عندكم من المعرفة برسولي وبما جاء به وأنتم تجدونه مكتوبا عندكم فيما تعلمون من الكتب التى بأيديكم وروى عن أبي العالية نحو ذلك وقال مجاهد والسدي وقتادة والربيع بن أنس (وتكتموا الحق) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم (قلت) وتكتموا يحتمل أن يكون مجزوما ويحتمل ان يكون منصوبا أي لا تجمعوا بين هذا وهذا كما يقال لا تأكل السمك وتشرب اللبن، قال الزمخشري وفي مصحف ابن مسعود وتكتمون الحق أي في حال كتمانكم الحق وأنتم تعلمون حال أيضا ، ومعناه وأنتم تعلمون الحق . ويجوز أن يكون المعنى وأنتم تعلمون ما في ذلك من الضرر العظيم على الناس من اضلالهم عن الهدى المفضي بهم الى النار ان سلكوا ما تبدونه لهم من الباطل المشوب بنوع من الحق لتروجوه عليهم والبيان الايضاح وعكسه الكتمان وخلط الحق بالباطل (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين) قال مقاتل قوله تعالى لاهل الكتاب (وأقيموا الصلاة)

كانت لهم مأكلة يصيبونها من سفلتهم وجهالهم يأخذون كل عام منهم شيئا معلوما من زروعهم وضروعهم ونقودهم فخافوا انهم ان بينوا صفة محمد صلى الله عليه وسلم وتابعوه ان تفوتهم تلك المأكلة فغيروا نعته وكتموا اسمه فاختاروا الدنيا على الآخرة ﴿واياي فاتقون﴾ فاخشوني ﴿ولا تلبسوا الحق بالباطل﴾ أي لا تخلطوا، يقال لبس الثوب يلبس لبسا ولبس عليه الامر يلبس لبسا، اي خلط ، يقول لا تخلطوا الحق الذى انزلت عليكم من صفة محمد صلى الله عليه وسلم بالباطل الذى تكتبونه بأيديكم من تغيير صفة محمد صلى الله عليه وسلم والاكثرون على انه أراد لا تلبسوا الاسلام باليهودية

أمرهم ان يصلوا مع النبي صلى الله عليه وسلم (وآتوا الزكاة) أمرهم أن يؤتوا الزكاة أي يدفعونها الى النبي صلى الله عليه وسلم (واركعوا مع الراكعين) أمرهم ان يركعوا مع الراكعين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم يقول كونوا معهم ومنهم ، وقال علي بن طلحة عن ابن عباس يعني بالزكاة طاعة الله والاخلاص ■ وقال وكيع عن أبي جناب عن عكرمة عن ابن عباس في قوله وآتوا الزكاة قال مايوجب الزكاة قال مائتان فصاعدا، وقال مبارك بن فضالة عن الحسن في قوله تعالى (وآتوا الزكاة) قال فريضة واجبة لا تنفع الاعمال الا بها وبالصلاة ■ وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا جرير عن أبي حيان التيمي عن الحارث العكلي في قوله تعالى (وآتوا الزكاة) قال صدقة الفطر وقوله تعالى (واركعوا مع الراكعين) أي وكونوا مع المؤمنين في أحسن أعمالهم ومن أخص ذلك وأكمله الصلاة. وقد استدل كثير من العلماء بهذه الآية على وجوب الجماعة ■ وأبسط ذلك في كتاب الاحكام الكبير ان شاء الله تعالى ، وقد تكلم القرطبي على مسائل الجماعة والامامة فاجاد

(٤١) أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون ■

يقول تعالى كيف يليق بكم يامعشر أهل الكتاب وأنتم تأمرون الناس بالبر وهو جماع الخير أن تنسوا أنفسكم فلا تأمرون بما تأمرون الناس به وانتم مع ذلك تتلون الكتاب وتعلمون ما فيه على من قصر في أوامر الله ؟ أفلا تعقلون ما أنتم صانعون بأنفسكم ■ فتنبهوا من رقدتكم ، وتبصروا من عمايتكم . وهذا كما قال عبد الرازق عن معمر عن قتادة في قوله تعالى (أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم) قال كان بنو اسرائيل يأمرون الناس بطاعة الله وبتقواه ■ بالبر ويخالفون فعيرهم الله عز وجل وكذلك قال السدى وقال ابن جريج (أتأمرون الناس بالبر) أهل الكتاب والمنافقون كانوا

والنصرانية ، وقال مقاتل ان اليهود أقروا ببعض صفة محمد صلى الله عليه وسلم وكتموا بعضا ليصدقوا في ذلك فقال ولا تلبسوا الحق الذى تغيرون بالباطل يعني بما تكتمونه فالحق بيانهم والباطل كتمانهم وتكتموا الحق اى لاتكتموه يعني نعت محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ وانتم تعلمون ﴾ انه نبي مرسل

﴿ وأقيموا الصلاة ﴾ يعني الصلاة الخمس بمواقيتها وحدودها ﴿ وآتوا الزكاة ﴾ أدوا زكاة أموالكم المفروضة فهي مأخوذة من زكا الزرع اذا نما وكثر . وقيل : من تزكى أي تطهر وكلا المعنيين موجودان في الزكاة لان فيها تطهيرا وتنمية المال ﴿ واركعوا مع الراكعين ﴾ أي صلوا مع المصلين محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه . وذكر بلفظ الركوع لان الركوع ركن من أركان الصلاة ، ولان صلاة اليهود لم يكن فيها ركوع ، وكأنه قال : صلوا صلاة ذات ركوع قيل : وإعادته بعد قوله (وأقيموا الصلاة) لهذا أي صلوا مع الذين في صلواتهم ركوع . فالاول مطلق في حق الكل ، وهذ في حق أقوام مخصوصين . وقيل : هذا حث على إقام الصلاة جماعة كأنه قال لهم : صلوا مع المصلين الذين سبقوكم بالايمان ﴿ أتأمرون الناس بالبر ﴾ أي بالطاعة ، نزلت في علماء اليهود ، وذلك إن الرجل منهم

يأمرون الناس بالصوم والصلاة ويدعون العمل بما يأمرون به الناس فعيرهم الله بذلك فمن أمر بخير فليكن أشد الناس فيه مسارعة . وقال محمد بن اسحق عن محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس (وتنسون أنفسكم) أي تتركون أنفسكم (وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون) أي تنهون الناس عن الكفر بما عندكم من النبوة والعهد من التوراة وتتركون أنفسكم أي وأنتم تكفرون بما فيها من عهدي اليكم في تصديق رسولي وتنقضون ميثاقي وتجحدون ماتعلمون من كتابي ◼ وقال الضحاك عن ابن عباس في هذه الآية يقول أتأمرون الناس بالدخول في دين محمد صلى الله عليه وسلم وغير ذلك مما أمرتم به من اقام الصلاة وتنسون أنفسكم ◼ وقال ابو جعفر بن جرير حدثني علي بن الحسن حدثنا أسلم الحرمي حدثنا مخلد بن الحسين عن أيوب السختياني عن أبي قلابة في قول الله تعالى (أتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وانتم تتلون الكتاب) قال ابو الدرداء رضي الله عنه لايفقه الرجل كل الفقه حتى يمقت الناس في ذات الله ثم يرجع الى نفسه فيكون لها أشد مقتا ، وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في هذه الآية هؤلاء اليهود اذا جاء الرجل سألهم عن الشيء ليس فيه حق ولا رشوة أمروه بالحق فقال الله تعالى(اتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وانتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون) والغرض ان الله تعالى ذمهم على هذا الصنيع ونبهم على خطئهم في حق أنفسهم حيث كانوا يأمرون بالخير ولا يفعلونه وليس المراد ذمهم على أمرهم بالبر مع تركهم له بل على تركهم له فان الامر بالمعروف معروف وهو واجب علي العالم ولكن الواجب والاولى بالعالم أن يفعله مع من أمرهم به ولا يتخلف عنهم كما قال شعيب عليه السلام (وما أريد ان أخالفكم الى ما أنهاكم عنه ان أريد الا الاصلاح ما استطعت وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه أنيب)فكل من الامر بالمعروف وفعله واجب لايسقط أحدهما بترك الآخر على أصح قولي العلماء من السلف والخلف وذهب بعضهم الى أن مرتكب المعاصي لاينهي غيره عنها وهذا ضعيف واضعف منه تمسكهم بهذه الآية فانه لاحجة لهم فيها ◼ والصحيح ان العالم يأمر بالمعروف وان لم يفعله وينهي عن المنكر وان ارتكبه ، قال مالك عن

كان يقول لقريبه وحليفه من المؤمنين اذا سأله عن أمر محمد صلى الله عليه وسلم : اثبت على دينه فان أمره حق وقوله صدق . وقيل: هو خطاب لاحبارهم حيث أمروا أتباعهم بالتمسك بالتوراة ثم خالفوا وغيروا نعت محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ وتنسون أنفسكم ﴾ أي تتركون أنفسكم فلا تتبعونه ﴿ وأنتم تتلون الكتاب ﴾ تقرؤن التوراة فيها نعته وصفته ﴿ أفلا تعقلون ﴾ أنه حق فتتبعونه ◼ والعقل مأخوذ من عقال الدابة وهو ما يشد به ركبة البعير فيمنعه من الشرود ، فكذلك العقل يمنع صاحبه من الكفر والجحود . أخبرنا احمد بن عبدالله الصالحي أنا أبو عمرو بكر بن محمد المزني أنا أبو بكر محمد بن عبدالله حفيد العباس بن حمزة أنا الحسين بن الفضل البجلي أنا عفان أنا حماد بن سلمة أنا علي بن زيد عن أنس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ◼ رأيت ليلة أسري بي رجالا تقرض شفاههم بمقاريض من نار قلت ◼ من هؤلاء ياجبريل ◼ ◼ قال : هؤلاء خطباء من أمتك يأمرون الناس بالبر

ربيعة سمعت سعيد بن جبير يقول لو كان المرء لايأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر حتى لا يكون فيه شيء ما امر أحد بمعروف ولا نهى عن منكر . قال مالك وصدق من ذا الذي ليس فيه شيء ؟ (قلت) لكنه والحالة هذه مذموم على ترك الطاعة وفعله المعصية لعلمه بها ومخالفته على بصيرة فانه ليس من يعلم كمن لايعلم ولهذا جاءت الاحاديث في الوعيد على ذلك كما قال الامام أبو القاسم الطبراني في معجمه الكبير حدثنا احمد بن المعلى الدمشقي والحسن بن على العمري قالا حدثنا هشام بن عمار حدثنا على بن سليمان الكلبي حدثنا الاعمش عن أبي تميمة الهجيمي عن جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «مثل العالم الذي يعلم الناس الخير ولايعمل به كمثل السراج يضيء للناس ويحرق نفسه» هذا حديث غريب من هذا الوجه *حديث آخر *قال الامام احمد ابن حنبل في مسنده حدثنا وكيع حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد هو ابن جدعان عن أنس ابن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «مررت ليلة أسري بي على قوم تقرض شفاههم بمقاريض من نار — قال قلت من هؤلاء؟ قالوا خطباء امتك من أهل الدنيا ممن كانوا يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب أفلا يعقلون » ورواه عبد بن حميد في مسنده وتفسيره عن الحسن بن موسى عن حماد بن سلمة به ورواه ابن مردويه في تفسيره من حديث يونس بن محمد المؤدب والحجاج بن منهال كلاهما عن حماد بن سلمة به وكذا رواه يزيد بن هرون عن حماد بن سلمة به ، ثم قال ابن مردويه حدثنا محمد بن عبد الله بن ابراهيم حدثنا موسى بن هرون حدثنا اسحق بن ابراهيم التستري ببلخ حدثنا مكي بن ابراهيم حدثنا عمر بن قيس عن علي بن زيد عن ثمامة عن أنس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « مررت ليلة أسري بي على أناس تقرض شفاههم وألسنتهم بمقاريض من نار قلت من هؤلاء ياجبريل قال هؤلاء خطباء أمتك الذين يأمرون الناس بالبر وينسون انفسهم » واخرجه ابن حبان في صحيحه وابن ابي حاتم وابن مردويه ايضا من حديث هشام الدستوائي عن المغيرة يعني ابن حبيب ختن مالك بن دينار عن مالك بن دينار عن ثمامة عن أنس بن مالك قال لما عرج برسول الله صلى الله عليه وسلم مر بقوم تقرض شفاههم «فقال ياجبريل من هؤلاء؟ قال هؤلاء الخطباء من أمتك يأمرون الناس بالبر وينسون انفسهم افلا يعقلون *حديث آخر *قال الامام احمد حدثنا يعلي بن عبيد حدثنا الاعمش عن ابي وائل قال قيل لاسامة وانا رديفه الا تكلم عثمان فقال انكم ترون اني لا أكلمه الا اسمعكم اني لا كلمه فيما بيني وبينه

وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب — أخبرنا عبد الواحد المليحي انا احمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل أنا علي بن عبد الله أنا سفيان الاعمش عن ابي وائل قال « قال أسامة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتابه في النار فيدور كما يدور الحمار برحاه فيجتمع أهل النار عليه فيقولون « أي فلان ما شأنك اليس كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟ قال: كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه « وأنهاكم عن المنكر

دون ان افتتح امرا لا احب ان اكون اول من افتتحه والله لا اقول لرجل انك خير الناس وان كان علي اميرا بعد ان سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول - قالوا وما سمعته يقول؟ قال سمعته يقول « يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق به اقتابه فيدور بها في النار كما يدور الحمار برحاه فيطيف به اهل النار فيقولون يا فلان ما اصابك الم تكن تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟ فيقول كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه وانهاكم عن المنكر وآتيه » ورواه البخاري ومسلم من حديث سليمان ابن مهران الاعمش به نحوه (١) وقال احمد حدثنا سيار بن حاتم حدثنا جعفر بن سليمان عن ثابت عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان الله يعافي الاميين يوم القيامة مالا يعافي العلماء » وقد ورد في بعض الآثار « انه يغفر للجاهل سبعين مرة حتى يغفر للعالم مرة واحدة ليس من يعلم كمن لا يعلم . وقال تعالى (قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون انما يتذكر اولوا الالباب) وروى ابن عساكر في ترجمة الوليد بن عقبة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ان ناسا من اهل الجنة يطلعون على اناس من اهل النار فيقولون بم دخلتم النار؟ فوالله مادخلنا الجنة الا بما تعلمنا منكم فيقولون انا كنا نقول ولا نفعل » ورواه ابن جرير الطبرى عن احمد بن يحيي الخباز الرملي عن زهير ابن عباد الرواسى عن ابي بكر الزاهرى عبد الله بن حكيم عن اسماعيل بن ابي خالد عن الشعبي عن الوليد بن عقبه فذكره وقال الضحاك عن ابن عباس انه جاءه رجل فقال يا ابن عباس اني اريد ان آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، قال أبلغت؟ ذلك قال ارجو، قال ان لم تخش ان تفتضح بثلاث آيات من كتاب الله فافعل، قال وما هن؟ قال قوله تعالى (اتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم) احكمت هذه؟ قال لا، قال فالحرف الثانى قال قوله تعالى (لم تقولون ما لا تفعلون؟ كبر مقتا عند الله ان تقولوا مالا تفعلون) احكمت هذه؟ قال لا قال فالحرف الثالث قال قول العبد الصالح شعيب عليه السلام (وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه ان اريد الا الاصلاح) احكمت هذه الاية؟ قال لا قال فابدأ بنفسك . رواه بن مردويه فى تفسيره وقال الطبرانى حدثنا عبدان بن احمد حدثنا زيد بن الحارث حدثنا عبدالله بن خراش عن العوام بن حوشب عن المسيب بن رافع عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من دعا الناس الى قول أو عمل ولم يعمل هو به لم يزل في ظل سخط الله حتى يكف أو يعمل ما قال أو دعا اليه » اسناده فيه ضعف وقال ابراهيم النخعى اني لأكره القصص لثلاث آيات قوله تعالى (أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم) وقوله (يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون * كبر مقتا عند الله ان تقولوا مالا تفعلون) وقوله اخبارا عن شعيب (وما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه أن أريد الا اصلاح ما استطعت وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه أنيب)

(١) يراجع في البغوي من صفحة ١٥٥

---

(٤٤) واستعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة الا على الخاشعين (٤٥) الذين يظنون أنهم

وآتيه » . وقال شعبة عن الاعمش « فيطحن بها كما يطحن الحمار برحاه » ﴿ واستعينوا ﴾ على

ملاقو ربهم وأنهم اليه راجعون ■

يقول تعالى آمرا عبيده فيما يؤملون من خير الدنيا والآخرة بالاستعانة بالصبر والصلاة كما قال مقاتل ابن حيان في تفسير هذه الآية استعينوا على طلب الآخرة بالصبر على الفرائض والصلاة فأما الصبر فقيل انه الصيام نص عليه مجاهد قال القرطبي وغيره ولهذا يسمى رمضان شهر الصبر كما نطق به الحديث وقال سفيان الثوري عن أبي اسحق عن جري بن كليب عن رجل من بني سليم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «الصوم نصف الصبر (١)» وقيل المراد بالصبر الكف عن المعاصي ولهذا قرنه بأداء العبادات وأعلاها فعل الصلاة. قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبد الله بن حمزة بن اسماعيل حدثنا اسحق بن سليمان عن أبي سنان عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال الصبر صبران صبر عند المصيبة حسن واحسن منه الصبر عن محارم الله. قال وروي عن الحسن البصري نحو قول عمر وقال ابن المبارك عن ابن لهيعة عن مالك بن دينار عن سعيد جبير قال الصبر اعتراف العبد لله بما أصيب فيه واحتسابه عند الله ورجاء ثوابه وقد يجزع الرجل وهو يتجلد لا يرى منه الا الصبر. وقال أبو العالية في قوله تعالى (واستعينوا بالصبر والصلاة) قال على مرضاة الله واعلموا انها من طاعة الله واما قوله والصلاة ان الصلاة من أكبر العون على الثبات في الامر كما قال تعالى (اتل ما اوحى اليك من الكتاب وأقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله اكبر) الاية وقال الامام احمد حدثنا خلف بن الوليد حدثنا يحيى بن زكريا بن أبي زائدة عن عكرمة بن عمار عن محمد بن عبد الله الدؤلي قال قال عبد العزيز أخو حذيفة قال حذيفة يعني ابن اليمان رضى الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حزبه أمر صلى ورواه أبو دود عن محمد بن عيسى عن يحيي بن زكريا عن عكرمة بن عمار كما سيأتي وقد رواه ابن جرير من حديث ابن جريج عن عكرمة بن عمار عن محمد

(١) رواه الترمذي وحسنه ورواه ابن ماجه بلفظ الصيام من حديث أبي هريرة وعلم عليه السيوطي في الجامع الصغير بالصحة

مايستقبلكم من انواع البلاء وقيل : على طلب الآخرة ﴿ بالصبر والصلاة ﴾ على تمحيص محو الذنوب اراد حبس النفس عن المعاصي . وقيل: أراد بالصبر الصبر على اداء الفرائض. وقال مجاهد : الصبر الصوم ، ومنه سمي شهر رمضان شهر الصبر ، وذلك لان الصوم يزهده في الدنيا ، والصلاة ترغبه في الآخرة . وقيل : الواو بمعنى على أي واستعينوا بالصبر على الصلاة كما قال الله تعالى (وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها) ﴿ وانها ﴾ ولم يقل وانهما رد الكناية الى كل واحد منهما أي وان كل خصلة منهما كما قال (كلتا الجنتين آتت أكلها) أي أكل كل واحد منهما . وقيل: معناه (واستعينوا بالصبر) وانه لكبير وبالصلاة وانها لكبيرة . فحذف احدهما اختصارا . وقال المورج : رد الكناية الى الصلاة لانها أعم كقوله تعالى (والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها) رد الكناية الى الفضة لانها أعم وقيل رد الكناية الى الصلاة لان الصبر داخل فيها كما قال الله تعالى (والله ورسوله أحق أن يرضوه) ولم يقل يرضوهما لان رضى الرسول داخل في رضى الله عز وجل . وقال الحسين بن الفضل: رد الكناية الى الاستعانة ﴿ لكبيرة ﴾ اي لثقيلة ﴿ الا على الخاشعين ﴾ يعني المؤمنين وقال الحسن : الخاشعين وقيل : المطيعين وقال

بن أبي عبيـد بن ابى قدامة عن عبد العزيز بن اليمان عن حذيفة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حزبه أمر فزع الى الصـلاة ورواه بعضهم عن عبد العزيز بن اخي حذيفة ويقال اخي حذيفة مرسلا عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال محمد بن نصر المروزى في كتاب الصلاة حدثنا سهل ابن عثمان العسكرى حدثنا يحيي بن زكريا بن ابي زائدة قال قال عكرمة بن عمار قال محمد بن عبدالله الدؤلى قال عبد العزيز قال حذيفة رجعت الى النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الاحزاب وهو مشتمل في شملة يصلي وكان اذا حزبه امر صلى. حدثنا عبد الله بن معاذ حدثنا ابى حدثنا شعبة عن أبي اسحق سمع حارثة بن مضرب سمع عليا رضي الله عنه يقول لقد رأيتنا ليلة بدروما فينا الا نائم غير رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى ويدعو حتى أصبح. قال ابن جرير وروي عنه عليه الصلاة والسلام انه مر بأبى هريرة وهومنبطح على بطنه فقال له «اشكم درد»(١) ومعناه أيوجعك بطنك؟ قال نعم - قال «قم فصل فان الصلاة شفاء» قال ابن جرير وقد حدثنا محمد بن الفضل ويعقوب بن ابراهيم قالا حدثنا ابن علية حدثنا عيينة بن عبدالرحمن عن ابيه ان ابن عباس نعي اليه اخوه قثم وهو في سفر فاسترجع ثم تنحى عن الطريق فأناخ فصلى ركعتين أطال فيهما الجلوس ثم قام يمشى الى راحلته وهو يقول (واستعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة الا على الخاشعين) وقال سنيد عن حجاج عن ابن جريج (واستعينوا بالصبر والصلاة) قال انهما معونتان على رحمة الله. والضمير في قوله وانها لكبيرة عائد لى الصلاة نص عليه مجاهد واختاره ابن جرير ويحتمل ان يكون عائدا على ما يدل عليه الكلام وهو الوصية بذلك كقوله تعالى في قصة قارون (وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقاها الا الصابرون) وقال تعالى (ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي احسن فاذا بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم « وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم) اى وما يلقى هذه الوصية الا الذين صبروا وما يلقاها اى يؤتاها ويلهمها الا ذو حظ عظيم. وعلى كل تقدير فقوله تعالى وانها لكبيرة أى مشقة ثقيلة الا على الخاشعين قال ابن ابي طلحة عن ابن عباس يعنى المصدقين بما انزل الله « وقال مجاهد المؤمنين حقا وقال ابو العالية الا على الخاشعين الخائفين وقال مقاتل بن حيان الا على الخاشعين يعنى به المتواضعين وقال الضحاك وانها لكبيرة قال انها لثقيلة الا على الخاضعين لطاعته الخائفين سطوته المصدقين بوعده ووعيده. وهذا يشبه ما جاء في الحديث « لقد سألت عن عظيم وانه ليسير على من يسره الله عليه »وقال ابن جرير معنى الاية واستعينوا ايها الاحبار من أهل الكتاب بحبس انفسكم على طاعة الله وباقامة الصلاة المانعة من الفحشاء والمنكر المقربة من رضاء الله العظيمة اقامتها الا على الخاشعين اي المتواضعين المستكينين

(١) في تكملة مجمع البحار: أشكنب ددم - بهمزة مفتوحة وسكون شين وفتح كاف وسكون نون وكسر موحدة - وبدالين مفتوحتين فميم ساكنة. عن أبي الدرداء: زارني رسول الله (ص) وأنا نائم مضطجع على بطني فقال «اشكنب ددم» أي أيشتكي بطنك؟ قلت نعم قال « قم فصل فان في الصلاة شفاء من كل داء » اه بحروفه أعني أنه قال في الحديث درد لا ددم فليحرر

مقاتل ابن حيان: المتواضعين، وأصل الخشوع السكون قال الله تعالى (وخشعت الاصوات للرحمن) فالخاشع ساكن الى طاعة الله تعالى ﴿ الذين يظنون ﴾ يستيقنون فالظن من الاضداد يكون شكا ويقينا كالرجاء يكون أمنا وخوفا ﴿ أنهم ملاقو ﴾ معاينو ﴿ ربهم ﴾ في الآخرة وهو رؤية الله تعالى وقيل:

لطاعته المتذللين من مخافته . هكذا قال والظاهر ان الآية وان كانت خطابا في سياق انذار بنى اسرائيل فانهم لم يقصدوا بها على سبيل التخصيص وانما هى عامة لهم ولغيرهم والله اعلم

وقوله تعالى (الذين يظنون انهم ملاقو ربهم وانهم اليه راجعون) هذا من تمام الكلام الذى قبله اي ان الصلاة أو الوصاة الثقيلة الا على الخاشعين الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم اى يعلمون انهم محشورون اليه يوم القيامة معروضون عليه وانهم اليه راجعون أى امورهم راجعة الى مشيئته يحكم فيها ما يشاء بعدله فلهذا لما أيقنوا بالمعاد والجزاء سهل عليهم فعل الطاعات وترك المنكرات فاما قوله (يظنون انهم ملاقو ربهم) قال ابن جرير رحمه الله العرب قد تسمى اليقين ظنا والشك ظنا (١) نظير تسميتهم الظلمة سدفة والضياء سدفة والمغيث صارخا والمستغيث صارخا وما أشبه ذلك من الاسماء التي يسمى بها الشيء وضده كما قال دريد بن الصمة

فقلت لهم ظنوا بألفي مدجج ＊ سراتهم في الفارسي المسرد

يعنى بذلك تيقنوا بألفى مدجج يأتيكم ، وقال عمير بن طارق

فان يعبروا قومي وأقعد فيكم ＊ وأجعل مني الظن غيبا مرجما

يعني وأجعل مني اليقين غيبا مرجما ، قال والشواهد من أشعار العرب وكلامها على أن الظن في معنى اليقين أكثر من ان تحصر وفيما ذكرنا لمن وفق لفهمه كفاية ومنه قول الله تعالى (ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها) ثم قال ابن جرير حدثنا محمد بن بشار حدثنا ابو عاصم حدثنا سفيان عن جابر عن مجاهد كل ظن في القرآن يقين أي ظننت وظنوا ، وحدثني المثنى حدثنا اسحق حدثنا ابو داود الجبري عن سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال كل ظن في القرآن فهو علم وهذا سند صحيح (٢) وقال ابو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية في قوله تعالى (الذين يظنون أنهم ملاقو ربهم) قال الظن ههنا يقين ، قال ابن أبي حاتم وروي عن مجاهد والسدى والربيع بن أنس وقتادة نحو قول أبي العالية ، وقال سنيد عن حجاج عن ابن جريج (الذين يظنون أنهم ملاقو ربهم) علموا أنهم ملاقو ربهم كقوله (أني ظننت أني ملاق حسابيه) يقول علمت وكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم (قلت) وفي الصحيح ان الله تعالى يقول للعبد يوم القيامة « ألم أزوجك ألم أكرمك ألم أسخر لك الخيل والابل وأذرك ترأس وترتع فيقول بلى فيقول الله تعالى » أظننت انك ملاقي « فيقول لا فيقول الله » اليوم أنساك كما نسيتني »وسيأتي مبسوطا عند قوله تعالى (نسوا الله فنسيهم) ان شاء الله تعالى

(٤٦) يابنى اسرائيل اذكروا نعمتي التى انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين ＊

(١) التحقيق ان الظن فى أصل اللغة الاعتقاد المبني على الامارات دون الحس ودون الضرورة فلا يقال أظن أن العسل حلو وأظن أن الواحد نصف الاثنين وقد يجامع اليقين غير الحسي والضرورى في الواقع بان يكون عن أمارات دقيقة ودلائل نظرية صحيحة أو فى اعتقاد المعتقد بان كان جازما مخطئا . وقد يفارقه بأن يكون اعتقادا راجحا فقط ومنه (أن نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين) والاول يلقي في الايمان وبه تفسر الآية وأمثالها دون الثاني وهو المراد بقوله تعالى (ان الظن لا يغني من الحق شيئا) ولا يشترط فى الايمان العلم اليقيني المنطقي

(٢) ولكن معناه غير صحيح

المراد من اللقاء الصيرورة اليه ﴿ وأنهم اليه راجعون ﴾ فيجزيهم بأعمالهم ﴿ يابنى إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم على العالمين ﴾ اى عالمي زمانكم ، وذلك التفضيل وان كان

يذكرهم تعالى بسالف نعمه على آبائهم وأسلافهم وما كان فضلهم به من ارسال الرسل منهم وانزال الكتب عليهم وعلى سائر الامم من أهل زمانهم كما قال تعالى (ولقد اخترناهم على علم على العالمين) وقال تعالى (واذ قال موسى لقومه ياقوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا وآتاكم مالم يؤت أحدا من العالمين) قال ابو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية في قوله تعالى (واني فضلتكم على العالمين) قال بما أعطوا من الملك والرسل والكتب على عالم من كان في ذلك الزمان فان لكل زمان عالما ■ وروي عن مجاهد والربيع بن أنس وقتادة واسماعيل بن أبي خالد نحو ذلك ويجب الحمل على هذا لان هذه الامة أفضل منهم لقوله تعالى خطابا لهذه الامة (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم) وفي المسانيد والسنن عن معاوية بن حيدة القشيري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنتم توفون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله ، والاحاديث في هذا كثيرة تذكر عند قوله تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس) وقيل المراد تفضيل بنوع ما من الفضل على سائر الناس ولا يلزم تفضيلهم مطلقا حكاه الرازي وفيه نظر ■ وقيل انهم فضلوا على سائر الامم لاشتمال أمتهم على الانبياء منهم حكاه القرطبي في تفسيره وفيه نظر لان العالمين عام يشتمل من قبلهم ومن بعدهم من الانبياء فابراهيم الخليل قبلهم وهو أفضل من سائر أنبيائهم ومحمد بعدهم وهو أفضل من جميع الخلق وسيد ولد آدم في الدنيا والآخرة صلوات الله وسلامه عليه

(٤٧) واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون *

لما ذكرهم تعالى بنعمه أولا عطف على ذلك التحذير من طول نقمه بهم يوم القيامة فقال (واتقوا يوما) يعني يوم القيامة (لاتجزى نفس عن نفس شيئا) أى لايغنى أحد عن أحد كما قال (ولا تزر وازرة وزر أخرى) وقال (لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه) وقال (يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لايجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا) فهذا أبلغ المقامات ان كلا من الوالد وولده لايغنى أحدهما عن الآخر شيئا، وقوله تعالى (ولا يقبل منها شفاعة) يعني من الكافرين

في حق الآباء ولكن يحصل به الشرف في حق الابناء ﴿واتقوا يوما﴾ واخشوا عقاب يوم ﴿لاتجزي نفس﴾ لا تقضي نفس ﴿عن نفس شيئا﴾ اي حقا لزمها وقيل : لاتغني وقيل: لا تكفي شيئا من الشدائد ﴿ولا يقبل منها شفاعة﴾ قرأ ابن كثير وابو عمرو ويعقوب بالتاء لتأنيث الشفاعة ، وقرأ الباقون بالياء لان الشفع والشفاعة بمعنى واحد كالوعظ والموعظة ■ فالتذكير على المعنى ، والتأنيث على اللفظ كقوله تعالى (قد جاءتكم موعظة من ربكم) وقال في موضع آخر (فمن جاءه موعظة من ربه) اي لا تقبل منها شفاعة اذا كانت كافرة ﴿ولا يؤخذ منها عدل﴾ اي فداء وسمي به لانه مثل المعدي

كما قال (فما تنفعهم شفاعة الشافعين) وكما قال عن أهل النار (فما لنا من شافعين ولا صديق حميم) وقوله تعالى (ولا يؤخذ منها عدل) أى لايقبل منها فداء كما قال تعالى (ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الارض ذهبا ولو افتدى به) وقال (ان الذين كفروا لو أن لهم مافي الارض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ماتقبل منهم ولهم عذاب أليم) وقال تعالى (وان تعدل كل عدل لا يؤخذ منها) وقال (فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا مأواكم النار هي مولاكم) الآية فأخبر تعالى أنهم ان لم يؤمنوا برسوله ويتابعوه على ما بعثه به ووافوا الله يوم القيامة على ماهم عليه فانه لاينفعهم قرابة قريب ولا شفاعة ذى جاه ولا يقبل منهم فداء ولو بملء الارض ذهبا كما قال تعالى (من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة) وقال (لا بيع فيه ولا خلال) قال سنيد حدثني حجاج حدثني ابن جريج قال قال مجاهد قال ابن عباس (ولا يؤخذ منها عدل) قال بدل والبدل الفدية ، وقال السدي أما عدل فيعدلها من العدل يقول لو جاءت بملء الارض ذهبا تفتدي به ما تقبل منها ، وكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وقال ابو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية في قوله ــ ولا يقبل منها عدل ــ يعني فداء . قال ابن أبي حاتم وروى عن أبي مالك والحسن وسعيد بن جبير وقتادة والربيع بن أنس نحو ذلك ، وقال عبد الرازق أنبأنا الثوري عن الاعمش عن ابراهيم التيمي عن أبيه عن على رضي الله عنه في حديث طويل قال والصرف والعدل التطوع والفريضة . وكذا قال الوليد بن مسلم عن عثمان بن أبي العاتكة عن عمير بن هانيء وهذا القول غريب ههنا والقول الاول أظهر في تفسير هذه الآية وقد ورد حديث يقوّيه وهو ماقال ابن جرير حدثني نجيح بن ابراهيم حدثنا علي بن حكيم حدثنا حميد ابن عبد الرحمن عن أبيه عن عمرو بن قيس الملائي عن رجل من بني أمية من أهل الشام أحسن عليه الثناء قال قيل يارسول الله ما العدل؟ قال « العدل الفدية » وقوله تعالى (ولا هم ينصرون) أي ولا أحد يغضب لهم فينصرهم وينقذهم من عذاب الله كما تقدم من أنه لا يعطف عليهم ذو قرابة ولا ذو جاه ولا يقبل منهم فداء هذا كله من جانب التلطف ولا لهم ناصر من أنفسهم ولا من غيرهم كما قال (فما له من قوة ولا ناصر) أي انه تعالى لايقبل فيمن كفر به فدية ولا شفاعة ولا ينقذ أحدا من عذابه منقذ ولا يخلص منه أحد ولا يجير منه أحد كما قال تعالى (وهو يجير ولا يجار عليه) وقال (فيومئذ لا يعذب عذابه أحد ولا يوثق وثاقه أحد) وقال (مالكم لاتناصرون بل هم اليوم مستسلمون) وقال (فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة بل ضلوا عنهم) الاية ، وقال الضحاك عن ابن عباس في قوله تعالى (مالكم لاتناصرون) مالكم اليوم لاتمانعون منا هيهات ليس ذلك لكم اليوم قال ابن جرير وتأويل قوله (ولاهم ينصرون) يعني أنهم يومئذ لا ينصرهم ناصر كما لا يشفع لهم شافع ولا يقبل منهم عدل ولا فدية بطلت هنالك المحاباة واضمحلت الرشى

العدل والعدل المثل ﴿ ولا ينصرون ﴾ يمنعون من عذاب الله

والشفاعات وارتفع من القوم التناصر والتعاون وصار الحكم الى الجبار العدل الذي لا ينفع لديه الشفعاء والنصراء فيجزي بالسيئة مثلها وبالحسنة أضعافها وذلك نظير قوله تعالى (وقفوهم انهم مسؤلون *مالكم لاتناصرون* بل هم اليوم مستسلمون)

(٤٨) واذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم (٤٩) واذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون *

يقول تعالى اذكروا يا بني اسرائيل نعمتي عليكم اذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب أي خلصتكم منهم وأنقذتكم من أيديهم صحبة موسى عليه السلام وقد كانوا يسومونكم أي يوردونكم ويذيقونكم ويولونكم سوء العذاب وذلك ان فرعون لعنه الله كان قد رأى رؤيا هالته رأى نارا خرجت من بيت المقدس فدخلت بيوت القبط ببلاد مصر الا بيوت بني اسرائيل مضمونها أن زوال ملكه يكون على يدي رجل من بني اسرائيل ويقال بعد تحدث سماره عنده بان بني اسرائيل يتوقعون خروج رجل منهم يكون لهم به دولة ورفعة وهكذا جاء في حديث الفتون كما سيأتي في موضعه في سورة طه ان شاء الله تعالى فعند ذلك أمر فرعون لعنه الله بقتل كل ذكر

﴿ وإذ نجيناكم ﴾ اي اسلافكم واجدادكم فاعتدها منة عليهم لانهم نجوا بنجاتهم ﴿ من آل فرعون ﴾ اتباعه واهل دينه وفرعون هو الوليد بن مصعب بن الريان وكان من القبط العماليق وعمر أكثر من اربعمائة سنة ﴿ يسومونكم ﴾ يكلفونكم ويذيقونكم ﴿ سوء العذاب ﴾ أشد العذاب وأسوأه وقيل : يصرفونكم في العذاب مرة هكذا ومرة هكذا كالابل السائمة في البرية ، وذلك أن فرعون جعل بني اسرائيل خدما وخولا وصنفهم في الاعمال ، فصنف يبنون ، وصنف يحرثون ويزرعون ، وصنف يخدمونه ، ومن لم يكن منهم في عمل وضع عليه الجزية . قال وهب : كانوا أصنافا في أعمال فرعون فذوو القوة ينحتون السواري من الجبال حتى قرحت أعناقهم ودبرت ظهورهم من قطعها ونقلها ، وطائفة ينقلون الحجارة ، وطائفة يبنون له القصور ، وطائفة منهم يضربون اللبن ويطبخون الآجر ، وطائفة نجارون وحدادون ، والضعفة منهم يضرب عليهم الخراج ضريبة يؤدونها كل يوم فمن غربت عليه الشمس قبل أن يؤدي ضريبته غلت يمينه الى عنقه شهراً ، والنساء يغزلن الكتان وينسجن . وقيل : تفسير قوله ـ يسومونكم ـ سوء العذاب ـ ما بعده وهو قوله تعالى ﴿ يذبحون أبناءكم ﴾ فهو مذكور على وجه البدل من قوله ـ يسومونكم سوء العذاب ـ ﴿ ويستحيون نساءكم ﴾ يتركونهن أحياء ، وذلك أن فرعون رأى في منامه كأن نارا أقبلت من بيت المقدس وأحاطت بمصر وأحرقت كل قبطي فيها ولم تتعرض لبني إسرائيل فهاله ذلك وسأل الكهنة عن رؤياه ؟ فقالوا يولد في بني إسرائيل غلام يكون على يده هلاكك وزوال ملكك فأمر

يولد بعد ذلك من بني اسرائيل وان تترك البنات وأمر باستعمال بنى اسرائيل في مشاق الاعمال وأرذلها وههنا فسر العذاب بذبح الابناء وفي سورة ابراهيم عطف عليه كما قال (يسومونكم سوء العذاب ويذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم)وسيأتي تفسير ذلك في أول سورة القصص ان شاء الله تعالى وبه الثقة والمعونة والتأييد. ومعنى يسومونكم يولونكم قاله أبو عبيدة كما يقال سامه خطة خسف اذا أولاه اياها قال عمرو بن كلثوم

اذا ما الملك سام الناس خسفا * أبينا أن نقر الخسف فينا

وقيل معناه يديمون عذابكم كما يقال سائمة الغنم من ادامتها الرعي . نقله القرطبي وانما قال ههنا (يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم)ليكون ذلك تفسيرا للنعمة عليهم في قوله (يسومونكم سوء العذاب) ثم فسره بهذا لقوله ههنا (اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم) وأما في سورة ابراهيم فلما قال (وذكرهم بايام الله) أي باياديه ونعمه عليهم فناسب ان يقول هناك(يسومونكم سوء العذاب ويذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم) فعطف عليه الذبح ليدل على تعدد النعم والايادي على (بني اسرائيل)وفرعون علم كل من ملك مصر كافرا من العماليق وغيرهم كما ان قيصر علم على كل من ملك الروم مع الشام كافرا وكسرى لمن ملك الفرس، وتبع لمن ملك اليمن كافرا، والنجاشي لمن ملك الحبشة، وبطليموس لمن ملك

فرعون بقتل كل غلام يولد في بني إسرائيل وجمع القوابل فقال لهن : لا يسقط على أيديكن غلام من بني إسرائيل الا قتل ، ولا جارية الا تركت، ووكل بالقوابل فكن يفعلن ذلك حتى قيل: إنه قتل في طلب موسى عليه السلام اثنى عشر الف صبي . وقال وهب : بلغني أنه ذبح في طلب موسى عليه السلام تسعين الف وليد ، ثم أسرع الموت في مشيخة بنى إسرائيل فدخل رءوس القبط على فرعون وقالوا : ان الموت قد وقع في بنى إسرائيل فتذبح صغارهم ويموت كبارهم فيوشك أن يقع العمل علينا فأمر فرعون أن يذبحوا سنة ويتركوا سنة ، فولد هرون في السنة التي لا يذبحون فيها ، وولد موسى في السنة التي يذبحون فيها ﴿ وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم ﴾ قيل: البلاء المحنة أي في سومهم إياكم سوء العذاب محنة عظيمة . وقيل: البلاء النعمة أي في انجائي اياكم منهم نعمة عظيمة . فالبلاء يكون بمعنى النعمة وبمعنى الشدة فالله تعالى قد يختبر على النعمة بالشكر ، وعلى الشدة بالصبر، قال الله تعالى (ونبلوكم بالشر والخير فتنة) ﴿ واذ فرقنا بكم البحر ﴾ قيل : معناه فرقنا لكم وقيل : فرقنا البحر بدخولكم اياه . وسمي البحر بحراً لاتساعه ومنه قيل للفرس : بحر اذا اتسع في جريه ، وذلك انه لما دنا هلاك فرعون أمر الله تعالى موسى عليه السلام أن يسري ببنى اسرائيل من مصر ليلا فأمر موسى قومه أن يسرجوا في بيوتهم الى الصبح ، وأخرج الله تعالى كل ولد زنا في القبط من بني اسرائيل اليهم ، وكل ولد زنا في بني اسرائيل من القبط الى القبط حتى رجع كل الى أبيه ، وألقى الله الموت على القبط فمات كل بكر لهم فاشتغلوا بدفنهم حتى(١) أصبحوا حتى طلعت الشمس ، وخرج موسى عليه السلام في ستمائة وعشرين الف مقاتل ؟ لا يعدون ابن العشرين لصغره ، ولا ابن الستين لكبره .

(١) كذا في الاصل

الهند ويقال كان اسم فرعون الذي كان في زمن موسى عليه السلام الوليد بن مصعب بن الريان وقيل مصعب بن الريان فكان من سلالة عمليق بن الاود بن ارم بن سام بن نوح وكنيته أبو مرة وأصله فارسي من اصطخر وأياما كان فعليه لعنة الله وقوله تعالى (وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم) قال ابن جرير وفي الذي فعلنا بكم من انجائنا آباءكم مما كنتم فيه من عذاب آل فرعون بلاء لكم من ربكم عظيم أى نعمة عظيمة عليكم في ذلك ه وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله تعالى (بلاء من ربكم عظيم) قال نعمة، وقال مجاهد — بلاء من ربكم عظيم — قال نعمة من ربكم عظيمة، وكذا قال ابو العالية وابو مالك والسدى وغيرهم وأصل البلاء الاختبار وقد يكون بالخير والشر كما قال تعالى (ونبلوكم بالشر والخير فتنة) وقال (وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون) قال ابن جرير وأكثر ما يقال في الشر بلوته أبلوه بلاء وفي الخير أبليه ابلاء وبلاء قال زهير بن أبي سلمي

جزى الله بالاحسان ما فعلا بكم ■ وأبلاهما خير البلاء الذى يبلو

قال فجمع بين اللغتين لانه أراد فانعم الله عليهما خير النعم التي يختبر بها عباده وقيل المراد بقوله (وفي ذلكم بلاء) اشارة الى ما كانوا فيه من العذاب المهين من ذبح الابناء واستحياء النساء

وكانوا يوم دخلوا مصر مع يعقوب اثنين وسبعين انسانا ما بين رجل وامرأة . وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كان أصحاب موسى ستمائة الف وسبعين الفا . وعن عمرو بن ميمون قال : كانوا ستمائة الف فلما أرادوا السير ضرب عليهم التيه فلم يدروا أين يذهبون فدعا موسى مشيخة بني اسرائيل وسألهم عن ذلك فقالوا : ان يوسف عليه السلام لما حضره الموت أخذ على اخوته عهدا أن لا يخرجوا من مصر حتى يخرجوه معهم فلذلك انسد علينا الطريق فسألهم عن موضع قبره فلم يعلموا فقام موسى ينادي أنشد الله كل من يعلم أين موضع قبر يوسف عليه السلام الا أخبرني به ومن لم يعلم به فصمت أذناه عن قولي وكان يمر بين الرجلين ينادي ولا يسمعان صوته حتى سمعته عجوز لهم فقالت : أرأيتك ان دللتك على قبره أتعطيني كل ما سألتك ؟ فأبى عليها وقال : حتى أسأل ربي فأمره الله تعالى بايتائها سؤلها فقالت : اني عجوز كبيرة لا أستطيع المشي فاحملني وأخرجني من مصر هذا في الدنيا، وأما في الآخرة فأسألك أن لا تنزل غرفة من الجنة الا نزلتها معك قال : نعم قالت : انه في جوف الماء في النيل فادع الله حتى يحسر عنه الماء، فدعا الله تعالى فحسر عنه الماء، ودعا أن يؤخر طلوع الفجر الى أن يفرغ من أمر يوسف عليه السلام فحفر موسى عليه السلام ذلك الموضع واستخرجه في صندوق من مرمر وحمله حتى دفنه بالشام ففتح لهم الطريق فساروا وموسى عليه السلام على ساقتهم وهرون على مقدمتهم وندر بهم فرعون فجمع قومه وأمرهم ان لا يخرجوا في طلب بني اسرائيل حتى يصيح الديك فوالله ما صاح ديك تلك الليلة فخرج فرعون في طلب بني اسرائيل وعلى مقدمة عسكره هامان في الف الف وسبعمائة الف ■ وكان فيهم سبعون الفا من دهم الخيل سوى سائر الشيات . وقال

قال القرطبي وهذا قول الجمهور ولفظه بعد ماحكى القول الاول ، ثم قال: وقال الجمهور الاشارة الى الذبح ونحوه والبلاء ههنا في الشر والمعنى وفي الذبح مكروه وامتحان وقوله تعالى (واذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون) معناه وبعد ان انقذناكم من آل فرعون وخرجتم مع موسى عليه السلام خرج فرعون في طلبكم ففرقنا بكم البحر كما أخبر تعالى عن ذلك مفصلا كما سيأتي في مواضعه ومن أبسطها مافي سورة الشعراء ان شاء الله فأنجيناكم أي خلصناكم منهم وحجزنا بينكم وبينهم وأغرقناهم وأنتم تنظرون ليكون ذلك أشفى لصدوركم وأبلغ في اهانة عدوكم. قال عبد الرزاق أنبأنا معمر عن أبي اسحق الهمداني عن عمرو بن ميمون الاودى في قوله تعالى (واذ فرقنا بكم البحر — الى قوله — وانتم تنظرون) قال لما خرج موسى ببنى اسرائيل بلغ ذلك فرعون فقال لا تتبعوهم حتى تصيح الديكة قال فوالله ماصاح ليلتئذ ديك حتى أصبحوا فدعا بشاة فذبحت ثم قال لا أفرغ من كبدها حتى يجتمع الي ستمائة ألف من القبط فلم يفرغ من كبدها حتى اجتمع اليه ستمائة ألف من القبط فلما أتى موسى البحر قال له رجل من أصحابه يقال له يوشع بن نون أين أمر ربك ؟ قال أمامك يشير الى البحر فأقحم يوشع فرسه في البحر حتى بلغ الغمر فذهب به الغمر ثم رجع فقال أين أمر ربك يا موسى؟ فوالله ما كذبت، ولا كذبت، ففعل ذلك ثلاث مرات

محمد بن كعب رضي الله عنه : كان في عسكر فرعون مائة الف حصان ادهم سوى سائر الشيات ، وكان فرعون يكون في الدهم وقيل: كان فرعون في سبعة آلاف الف، وكان بين يديه مائة الف ناشب، ومائة الف أصحاب حراب ، ومائة الف أصحاب الاعمدة ، فسارت بنو اسرائيل حتى وصلوا الى البحر والماء في غاية الزيادة ونظروا فاذا هم بفرعون حين أشرقت الشمس فبقوا متحيرين فقالوا : ياموسى كيف نصنع ؟ وأين ما وعدتنا هذا فرعون خلفنا ان أدركنا قتلنا ، والبحر أمامنا ان دخلناه غرقنا قال الله تعالى :فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون ، قال (موسى) كلا ان معي ربي سيهدين ، فأوحى الله اليه أن اضرب بعصاك البحر فضربه فلم يطعه فأوحى الله اليه أن كنه فضربه وقال : انفلق يا أبا خالد باذن الله تعالى ، فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم وظهر فيه اثنا عشر طريقا لكل سبط طريق وارتفع الماء بين كل طريقين كالجبل وأرسل الله الريح والشمس على قعر البحر حتى صار يبسا فخاضت بنو اسرائيل البحر كل سبط في طريق وعن جانبيهم الماء كالجبل الضخم ولا يرى بعضهم بعضا فخافوا وقال كل سبط : قد قتل اخواننا فأوحى الله تعالى الى جبال الماء أن تشبكي فصار الماء شبكات كالطبقات يرى بعضهم بعضا ويسمع بعضهم كلام بعض حتى عبروا البحر سالمين فذلك قوله تعالى (واذ فرقنا بكم البحر) ﴿ فأنجيناكم ﴾ من آل فرعون والغرق ﴿ وأغرقنا آل فرعون ﴾ وذلك ان فرعون لما وصل الى البحر فرآه منفلقا قال لقومه : انظروا الى البحر انفلق من هيبتي حتى أدرك عبيدي الذين أبقوا ادخلوا البحر فهاب قومه أن يدخلوه وقيل : قالوا له ان كنت ربا فادخل البحر كما دخل موسى ، وكان فرعون على حصان أدهم ولم يكن في خيل فرعون أنثى

ثم أوحى الله الى موسى أن اضرب بعصاك البحر فضرب به فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم —يقول مثل الجبل— ثم سار موسى ومن معه واتبعهم فرعون في طريقهم حتى اذا تتاموا فيه أطبقه الله عليهم فلذلك قال (وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون) وكذلك قال غير واحد من السلف كما سيأتي بيانه في موضعه وقد ورد أن هذا اليوم كان يوم عاشوراء كما قال الامام احمد حدثنا عفان حدثنا عبد الوارث حدثنا أيوب عن عبد الله بن سعيد بن جبير عن أبيه عن ابن عباس قال قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فرأى اليهود يصومون يوم عاشوراء فقال «ماهذا اليوم الذى تصومون؟ قالوا هذا يوم صالح هذا يوم نجى الله عز وجل فيه بنى اسرائيل من عدوهم فصامه موسى عليه السلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنا أحق بموسى منكم » فصامه وأمر بصومه وروى هذا الحديث البخارى ومسلم والنسائي وابن ماجه من طرق عن أيوب السختياني به نحو ما تقدم وقال ابو يعلى الموصلي حدثنا ابو الربيع حدثنا سلام يعني ابن سليم عن زيد العمي عن يزيد الرقاشي عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « فلق الله البحر لبنى اسرائيل يوم عاشوراء » وهذا ضعيف من هذا الوجه فان زيد العمي فيه ضعف وشيخه يزيد الرقاشي أضعف منه

(٥٠) واذ واعدنا موسى أربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده وانتم ظالمون (٥١) ثم عفونا عنكم من بعد ذلك لعلكم تشكرون (٥٢) واذ آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون*

يقول تعالى واذكروا نعمتي عليكم في عفوى عنكم لما عبدتم العجل بعد ذهاب موسى لميقات ربه عند انقضاء أمد المواعدة وكانت أربعين يوما وهي المذكورة في الاعراف فيقوله تعالى (وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر) قيل انها ذو القعدة بكماله وعشر من ذي الحجة

فجاء جبريل على فرس أنثى وديق فتقدمهم وخاض البحر فلما شم أدهم فرعون ريحها اقتحم البحر في أثرها وهم لايرونه ولم يملك فرعون من أمره شيئا وهو لايرى فرس جبريل واقتحمت الخيول خلفه في البحر وجاء ميكائيل على فرس خلف القوم يسوقهم حتى لايشذ رجل منهم و يقول لهم : الحقو بأصحابكم حتى خاضوا كلهم البحر ، وخرج جبريل من البحر ، وخرج ميكائيل من البحر ، وهم أولهم بالخروج فأمر الله تعالى البحر أن يأخذهم فالتطم عليهم وأغرقهم أجمعين ، وكان بين طرفي البحر أربعة فراسخ وهو على طرف بحر من بحر فارس(١) . قال قتادة : بحر من وراء مصر يقال له اساف . وذلك بمرأى من بني اسرائيل فذلك قوله تعالى ﴿ وأنتم تنظرون ﴾ الى مصارعهم وقيل: الى هلاكهم ﴿ واذ واعدنا ﴾ هو من المفاعلة التي تكون من الواحد كقولهم: عافاك الله وعاقبت اللص وطارقت النعل . وقال الزجاج : كان من الله الامر ومن موسى القبول فلذلك ذكر بلفظ المواعدة . وقرأ أبو عمرو وأهل البصرة (واذ وعدنا) من الوعد. موسى اسم عبري عرب وهو بالعبرانية «مو» الماء «وشى» الشجر سمي به لانه أخذ من بين الماء والشجر ثم قلبت الشين سينا في العربية ﴿ أربعين ليلة ﴾ أي انقضاءها:

(١) وفي بعض النسخ وهو بحر القلزم بحر من بحر فارس . والصواب ان بحر القلزم وهو المسمى الآن بالبحر الاحمر فرع من المحيط الجنوبي الذي يسمى الهندي وسواحله تسمى بحر العرب

وكان ذلك بعد خلاصهم من فرعون وانجائهم من البحر وقوله تعالى (واذ آتينا موسى الكتاب) يعني التوراة (والفرقان) وهو مايفرق بين الحق والباطل والهدى والضلالة (لعلكم تهتدون) وكان ذلك أيضا بعد خروجهم من البحر كما دل عليه سياق الكلام في سورة الاعراف ولقوله تعالى (ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الاولى بصائر للناس وهدى ورحمة لعلهم يتذكرون) وقيل الواو زائدة والمعنى ولقد آتينا موسى الكتاب الفرقان وهذا غريب وقيل عطف عليه وان كان المعنى واحدا كما في قول الشاعر :

وقدمت الاديم لراقشيه ▪ فألفى قولها كذبا ومينا

ثلاثون من ذي القعدة وعشر من ذي الحجة ، وقرن بالليل دون النهار لان شهور العرب وضعت على سير القمر ، والهلال انما يهل بالليل وقيل : لان الظلمة أقدم من الضوء ، وخلق الليل قبل النهار قال الله تعالى (وآية لهم الليل نسلخ منه النهار) وذلك ان بني اسرائيل لما أمنوا من عدوهم ودخلوا مصر(١) لم يكن لهم كتاب ولا شريعة ينتهون اليهما فوعد الله موسى أن ينزل عليه التوراة فقال موسى لقومه : اني ذاهب لميقات ربكم آتيكم بكتاب فيه بيان ماتأتون وما تذرون ، وواعدهم أربعين ليلة ثلاثين من ذي القعدة وعشر من ذي الحجة ، واستخلف عليهم أخاه هارون ، فلما أتى الوعد جاء جبريل على فرس يقال له فرس الحياة لا يصيب شيئا الا حيي ليذهب بموسى الى ربه فلما رآه السامري وكان رجلا صائغا من أهل باجرمى واسمه ميخا . وقال سعيد بن جبير : وكان من أهل كرمان . وقال ابن عباس : اسمه موسى بن ظفر . وقال قتادة : كان من بني اسرائيل من قبيلة يقال لها سامرة ، ورأى موضع قدم الفرس تخضر من ذلك ، وكان منافقا أظهر الاسلام ، وكان من قوم يعبدون البقر ، فلما رأى جبرائيل على ذلك الفرس علم ان لهذا شأنا فأخذ قبضة من تربة حافر فرس جبرائيل عليه السلام . قال عكرمة : ألقي في روعه انه اذا ألقي في شيء غيره(٢) وكانت بنو اسرائيل قد استعاروا حلية كثيرة من قوم فرعون حين أرادوا الخروج من مصر لعلة عرس لهم فأهلك الله فرعون وبقيت تلك الحلي في أيدي بني اسرائيل ▪ فلما فصل موسى قال السامري لبني اسرائيل : ان الحلي التي استعرتموها من قوم فرعون غنيمة لا تحل لكم فاحفروا حفرة وادفنوها فيها حتى يرجع موسى فيرى فيها رأيه . وقال السدي : ان هارون عليه السلام أمرهم أن يلقوها في حفيرة حتى يرجع موسى ففعلوا فلما اجتمعت الحلي صاغها السامري عجلا في ثلاثة ايام ثم ألقى فيها القبضة التي أخذها من تراب أثر فرس جبرائيل عليه السلام فخرج عجلا من ذهب مرصعا بالجواهر كأحسن ما يكون ، فخار خورة . وقال السدي : كان يخور ويمشي فقال السامري (هذا إلهكم وإله موسى فنسي) أي فتركه ههنا وخرج يطلبه ▪ وكانت بنو اسرائيل قد أخلفوا الوعد فعدوا اليوم مع الليلة يومين فلما مضى عشرون يوما ولم يرجع موسى وقعوا في الفتنة وقيل : كان موسى قد وعدهم ثلاثين ليلة ثم زيدت العشرة فكانت

(١) كذا والوجه أن يقال ودخلوا الارض المقدسة

(٢) يعني بالتغيير جعله غير الحي حيا

وقال الآخر:

ألا حبذا هند وأرض بها هند * وهند أتى من دونها النأي والبعد

فالكذب هو المين، والنأي هو البعد. وقال عنترة:

حييت من طلل تقادم عهده * أقوى وأقفر بعد أم الهيثم

فعطف الاقفار على الاقواء وهو هو

(٥٣) واذ قال موسى لقومه يا قوم انكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل، فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم إنه هو التواب الرحيم *

هذه صفة توبته تعالى على بني اسرائيل من عبادة العجل. قال الحسن البصري رحمه الله في قوله تعالى (واذ قال موسى لقومه يا قوم انكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل) فقال ذلك حين وقع في قلوبهم من شأن عبادتهم العجل ما وقع حتى قال الله تعالى (ولما سقط في أيديهم ورأوا أنهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا) الآية. قال: فذلك حين يقول موسى (يا قوم انكم

فتنتهم في تلك العشرة فلما مضت الثلاثون ولم يرجع موسى ظنوا انه قد مات ورأوا العجل وسمعوا قول السامري فعكف ثمانية آلاف رجل منهم على العجل يعبدونه وقيل: كلهم عبدوه الا هارون مع اثنى عشر الف رجل. وهذا أصح. وقال الحسن: كلهم عبدوه الا هارون وحده فذلك قوله تعالى ﴿ثم اتخذتم العجل﴾ أي الها ﴿من بعده﴾ أظهر ابن كثير وحفص الذال من أخذت واتخذت والآخرون يدغمونها ﴿وأنتم ظالمون﴾ ضارون لانفسكم بالمعصية واضعون العبادة في غير موضعها ﴿ثم عفونا عنكم﴾ محونا ذنوبكم ﴿من بعد ذلك﴾ من بعد عبادتكم العجل ﴿لعلكم تشكرون﴾ لكي تشكروا عفوي عنكم وصنيعي اليكم. قيل: الشكر هو الطاعة بجميع الجوارح في السر والعلانية قال الحسن: شكر النعمة ذكرها قال الله تعالى (وأما بنعمة ربك فحدث) قال الفضيل: شكر كل نعمة أن لا يعصى الله بعد تلك النعمة وقيل: حقيقة الشكر العجز عن الشكر(١). حكي أن موسى عليه السلام قال: الهي أنعمت علي النعم السوابغ وأمرتني بالشكر وانما شكري إياك نعمة منك. قال الله تعالى: ياموسى تعلمت العلم الذي لا يفوقه شيء من علم، حسبي من عبدي أن يعلم ان ما به من نعمة فهو مني. وقال داود: سبحان من جعل اعتراف العبد بالعجز عن شكره شكرا كما جعل اعترافه بالعجز عن معرفته معرفة. قوله تعالى ﴿واذ آتينا موسى الكتاب﴾ يعني التوراة ﴿والفرقان﴾ قال مجاهد: هو التوراة أيضا ذكرها باسمين. وقال الكسائي: الفرقان نعت والواو زائدة يعني الكتاب الفرقان أي المفرق بين الحلال والحرام. وقال يمان بن رياب: أراد بالفرقان انفراق البحر كما قال (واذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم) ﴿لعلكم تهتدون﴾ بالتوراة ﴿واذ قال موسى لقومه﴾ الذين عبدوا العجل

(١) هذا لا يصح لأن العجز ليس عملا للعبد والشكر من عمله والصواب ما سيذكر عن داود عليه السلام

ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل) وقال أبو العالية وسعيد بن جبير والربيع بن أنس (فتوبوا الى بارئكم) أي الى خالقكم قلت وفي قوله ههنا (الى بارئكم) تنبيه على عظم جرمهم أي فتوبوا الى الذي خلقكم وقد عبدتم معه غيره . وقد روى النسائي وابن جرير وابن أبي حاتم من حديث يزيد ابن هارون عن الاصبغ بن زيد الوراق عن القاسم بن أبي أيوب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : فقال الله تعالى ان توبتهم أن يقتل كل واحد منهم من لقي من والد وولد فيقتله بالسيف ولايبالي من قتل في ذلك الموطن فتاب أولئك الذين كانوا خفي على موسى وهرون ما اطلع الله على ذنوبهم فاعترفوا بها وفعلوا ما امروا به فغفر الله للقاتل والمقتول وهـذا قطعة من حديث الفتون وسيأتي في سورة طه بكماله ان شاء الله . وقال ابن جرير : حدثني عبدالكريم بن الهيثم حدثنا ابراهيم بن بشار حدثنا سفيان بن عيينة قال : قال أبوسعيد عن عكرمة عن ابن عباس قال : قال موسى لقومه توبوا الى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم انه هو التواب الرحيم * قال أمر موسى قومه عن امر ربه عز وجل أن يقتلوا أنفسهم قال : وأخبر الذين عبـدوا العجل فجلسوا وقام الذين لم يعكفوا على العجل فأخذوا الخناجر بأيديهم وأصابتهم ظلمة شديدة فجعل يقتل بعضهم بعضا فانجلت الظلمة عنهم وقد جلوا عن سبعين ألف قتيل كل من قتل منهم كانت له توبة وكل من بقي كانت له توبة . وقال ابن جرير : أخبرني القاسم بن أبي برة انه سمع سعيد بن جبير ومجاهدا يقولان في قوله تعالى (فاقتلوا أنفسكم) قالا : قام بعضهم الى بعض بالخناجر يقتل بعضهم بعضا لا يحنو رجل على قريب ولا بعيد حتى ألوى موسى بثوبه فطرحوا ما بأيديهم فكشف عن سبعين ألف قتيل وان الله أوحى الى موسى أن حسبي فقد اكتفيت فذلك حين ألوى موسى بثوبه وروي عن علي رضي الله عنه نحو ذلك وقال قتادة : أمر القوم بشديد من الامر فقاموا يتناحرون بالشفار يقتل بعضهـم بعضا حتى بلغ الله فيهم نقمته فسقطت الشفار من أيديهم فأمسك عنهم القتل فجعل لحيهم توبة والمقتول شهادة. وقال الحسن البصري : أصابتهم ظلمة حندس فقتل بعضهم بعضا ثم انكشف عنهـم فجعل توبتهم في ذلك وقال السدي : في قوله (فاقتلوا أنفسكم) قال فاجتلد الذين عبدوه والذين لم يعبدوه بالسيوف فكان من قتل من الفريقين شهيدا حتى كثر القتل حتى كادوا أن يهلكوا حتى قتل منهم

﴿ يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم ﴾ ضررتم بأنفسكم ﴿ باتخاذكم العجل ﴾ الها قالوا : فأي شيء نصنع قال ﴿ فتوبوا ﴾ فارجعوا ﴿ الى بارئكم ﴾ خالقكم قالوا : كيف نتوب قال ﴿ فاقتلوا أنفسكم ﴾ يعني ليقتل البريء منكم المجرم ﴿ ذلكم ﴾ أي القتل ﴿ خير لكم عند بارئكم ﴾ فلما أمرهم موسى بالقتل قالوا : نصبر لامر الله فجلسوا بالافنية محتبين وقيل لهم : من مد حبوته أو مد طرفه الى قاتله أو اتقاه بيد أو رجل فهو ملعون مردودة توبته ، وأصلت القوم عليهم الخناجر ، وكان الرجل يرى ابنه وأباه وأخاه وقريبه وصديقه وجاره فلم يمكنهم المضي لامر الله تعالى قالوا : ياموسى كيف نفعل؟ فأرسل الله تعالى عليهم ضبابة وسحابة سوداء لايبصر بعضهم بعضا فكانوا يقتلونهم الى المساء فلما كثر القتل دعا موسى

سبعون ألفا وحتى دعا موسى وهرون ربنا أهلكت بني اسرئيل ربنا البقية البقية فأمرهم أن يلقوا السلاح وتاب عليهم فكان من قتل منهم من الفريقين شهيدا ومن بقي مكفرا عنه فذلك قوله (فتاب عليكم انه هو التواب الرحيم) وقال الزهري : لما أمرت بنو اسرائيل بقتل أنفسها برزوا ومعهم موسى فاضطربوا بالسيوف وتطاعنوا بالخناجر وموسى رافع يديه حتى اذا فتر بعضهم قالوا يا نبي الله ادع الله لنا وأخذوا بعضديه يسندون يديه فلم يزل أمرهم على ذلك حتى اذا قبل الله توبتهم قبض أيديهم بعضهم عن بعض فألقوا السلاح وحزن موسى وبنو اسرائيل للذي كان من القتل فيهم فأوحى الله جل ثناؤه الى موسى مايحزنك أما من قتل منهم فحي عندي يرزقون وأما من بقي فقد قبلت توبته فسر بذلك موسى وبنو اسرائيل رواه ابن جرير باسناد جيد عنه وقال ابن اسحق لما رجع موسى الى قومه وأحرق العجل وذراه في اليم خرج الى ربه بمن اختار من قومه فأخذتهم الصاعقة ثم بعثوا فسأل موسى ربه التوبة لبني اسرائيل من عبادة العجل فقال لا الا ان يقتلوا أنفسهم قال فبلغني انهم قالوا لموسى نصبر لامر الله فأمر موسى من لم يكن عبد العجل ان يقتل من عبده فجلسوا بالافنية واصلت عليهم القوم السيوف فجعلوا يقتلونهم فهش موسى فبكى اليه النساء والصبيان يطلبون العفو عنهم فتاب الله عليهم وعفا عنهم وأمر موسى أن ترفع عنهم السيوف وقال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم لما رجع موسى الى قومه وكانوا سبعين رجلا قد اعتزلوا مع هرون العجل لم يعبدوه فقال لهم موسى انطلقوا الى موعد ربكم فقالوا ياموسى مامن توبة قال بلى: أقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم- الآية فاخترطوا السيوف والجزرة والخناجر والسكاكين . قال وبعث عليهم ضبابة قال فجعلوا يتلامسون بالايدي ويقتل بعضهم بعضا قال ويلقي الرجل أباه وأخاه فيقتله وهو لا يدري . قال ويتنادون فيها رحم الله عبداً صبر نفسه حتي يبلغ الله رضاه ، قال فقتلاهم شهداء وتيب على أحيائهم ثم قرأ (فتاب عليكم إنه هو التواب الرحيم

---

(٥٤) واذ قلتم ياموسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون (٥٥) ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون ■

يقول تعالى واذكروا نعمتي عليكم في بعثي لكم بعد الصعق إذ سألتم رؤيتي جهرة عيانا مما

وهارون عليهما السلام وبكيا وتضرعا وقالا : يارب هلكت بنو اسرائيل، البقية البقيةَ، فكشف الله تعالى السحابة وأمرهم أن يكفوا عن القتل فكشفت عن ألوف من القتلى يروى عن علي رضي الله عنه أنه قال : كان عدد القتلى سبعين الفا فاشتد ذلك على موسى فأوحى الله تعالى اليه : أما يرضيك أن أدخل القاتل والمقتول في الجنة ■ فكان من قتل منهم شهيدا ■ ومن بقي مكفرا عنه ذنوبه، فذلك قوله تعالى ﴿ فتاب عليكم ﴾ أي فعلتم ما أمرتم به فتاب عليكم فتجاوز عنكم ﴿ انه هو التواب ﴾ القابل التوبة ﴿ الرحيم ﴾ بهم. قوله تعالى ﴿ واذ قلتم ياموسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ﴾ وذلك أن الله تعالى

لا يستطاع لكم ولا لامثالكم كما قال ابن جريج قال ابن عباس في هذه الآية (وإذ قلتم ياموسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة) قال علانية وكذا قال ابراهيم بن طهمان عن عباد بن اسحق عن أبي الحويرث عن ابن عباس انه قال في قول الله تعالى (لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة) أي علانية أي حتى نرى الله وقال قتادة والربيع بن أنس (حتى نرى الله جهرة) أي عيانا وقال أبو جعفر عن الربيع بن أنس هم السبعون الذين اختارهم موسى فساروا معه قال فسمعوا كلاما فقالوا (لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة) قال فسمعوا صوتا فصعقوا يقول ماتوا. وقال مروان بن الحكم فيما خطب به على منبر مكة الصاعقة صيحة من السماء وقال السدي في قوله (فأخذتكم الصاعقة) نار، وقال عروة بن رويم في قوله (وأنتم تنظرون) قال صعق بعضهم وبعض ينظرون ثم بعث هؤلاء وصعق هؤلاء وقال السدي (فأخذتكم الصاعقة) فماتوا فقام موسى يبكي ويدعو الله ويقول رب ماذا أقول لبني اسرائيل اذا أتيتهم وقد أهلكت خيارهم (لو شئت أهلكتهم من قبل واياي أتهلكنا بما فعل السفهاء منا) فأوحى الله الى موسى ان هؤلاء السبعين ممن اتخذوا العجل ثم ان الله أحياهم فقاموا وعاشوا رجل رجل ينظر بعضهم الى بعض كيف يحيون: قال فذلك قوله تعالى (ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون) وقال الربيع بن أنس كان موتهم عقوبة لهم فبعثوا من بعد الموت ليستوفوا آجالهم وكذا قال قتادة وقال ابن جرير حدثنا محمد بن حميد حدثنا سلمة بن الفضل عن محمد بن اسحق ، قال لما رجع موسى الى قومه فرأى ماهم عليه من عبادة العجل وقال لاخيه وللسامري ماقال وحرق العجل وذراه في اليم اختار موسى منهم سبعين رجلا الخير فالخير وقال انطلقوا الى الله وتوبوا الى الله مما صنعتم، واسألوه التوبة على من تركتم وراءكم من قومكم، صوموا وتطهروا وطهروا ثيابكم. فخرج بهم الى طور سيناء لميقات وقته له ربه وكان لا يأتيه الا باذن منه وعلم فقال له السبعون فيما ذكر لي حين صنعوا ما أمروا به وخرجوا للقاء الله قالوا ياموسى اطلب لنا الى ربك نسمع كلام ربنا فقال أفعل فلما دنا موسى من الجبل وقع عليه الغمام حتى تغشى الجبل كله ودنا موسى فدخل فيه وقال للقوم ادنوا وكان موسى اذا كلمه الله وقع على جبهته نور ساطع لا يستطيع أحد من بني آدم أن ينظر اليه فضرب دونه بالحجاب ودنا القوم حتى اذا دخلوا في الغمام وقعوا سجودا فسمعوه وهو يكلم موسى يأمره وينهاه: افعل ولا تفعل فلما فرغ اليه من أمره انكشف عن موسى الغمام فأقبل اليهم فقالوا لموسى: لن نؤمن لك حتى

أمر موسى عليه السلام أن يأتيه في ناس من بني اسرائيل يعتذرون اليه من عبادة العجل فاختار موسى سبعين رجلا من قومه من خيارهم قال لهم: صوموا وتطهروا وطهروا ثيابكم، ففعلوا فخرج بهم موسى الى طور سينا لميقات ربه فقالوا لموسى: اطلب لنا أن نسمع كلام ربنا فقال: افعل، فلما دنا موسى من الجبل وقع عليه عمود الغمام وتغشى الجبل كله فدخل في الغمام وقال للقوم: ادنوا فدنا القوم حتى دخلوا في الغمام وخرّوا سجدا، وكان موسى اذا كلمه ربه وقع على وجهه نور ساطع لا يستطيع أحد من بني آدم ان ينظر اليه فضرب دونهم الحجاب وسمعوه وهو يكلم موسى يأمره وينهاه

نرى الله جهرة فأخذتهم الرجفة وهي الصاعقة فماتوا جميعا وقام موسى يناشد ربه ويدعوه ويرغب اليه ويقول رب (لوشئت اهلكتهم من قبل واياي) قد سفهوا أفتهلك من ورائي من بني اسرائيل بما يفعل السفهاء منا؟ أي ان هذا لهم هلاك واخترت منهم سبعين رجلا الخير فالخير أرجع اليهم وليس معي منهم رجل واحد فما الذى يصدقوني به ويأمنوني عليه بعد هذا؟ اناهدنا اليك. فلم يزل موسى يناشد ربه عز وجل و يطلب اليه حتى ردّ اليهم أرواحهم وطلب اليه التوبة لبني اسرائيل من عبادة العجل فقال لا الا أن يقتلوا أنفسهم- هذا سياق محمد بن اسحق- وقال اسماعيل بن عبدالرحمن السدي الكبير لما تابت بنو اسرائيل من عبادة العجل وتاب الله عليهم بقتل بعضهم لبعض كما أمرهم الله به أمر الله موسى أن يأتيه في كل أناس من بني اسرائيل يعتذرون اليه من عبادة العجل ووعدهم موسى فاختار موسى سبعين رجلا على عينه ثم ذهب بهم ليعتذروا وساق البقية وهذا السياق يقتضي أن الخطاب توجه الى بني اسرائيل في قوله (واذ قلتم ياموسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة) والمراد السبعون المختارون منهم ولم يحك كثير من المفسرين سواه، وقد أغرب الرازى في تفسيره حين حكى في قصة هؤلاء السبعين انهم بعد احيائهم قالوا ياموسى انك لاتطلب من الله شيئا الا أعطاك فادعه أن يجعلنا أنبياء فدعا بذلك فاجاب الله دعوته ، وهذا غريب جدا اذ لايعرف في زمان موسى نبي سوى هرون ثم يوشع بن نون وقد غلط أهل الكتاب أيضا في دعواهم ان هؤلاء رأوا الله عز وجل فان موسى الكليم عليه السلام قد سأل ذلك فمنع منه فكيف يناله هؤلاء السبعون .

القول الثاني في الآية قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في تفسير هذه الآية قال لهم موسى لما رجع من عند ربه بالالواح قد كتب فيها التوراة فوجدهم يعبدون العجل ، فأمرهم بقتل أنفسهم ففعلوا فتاب الله عليهم فقال ان هذه الالواح فيها كتاب الله فيه أمركم الذي أمركم به ونهيكم الذي نهاكم عنه ، فقالوا ومن يأخذه بقولك أنت ؟ لا والله حتى نرى الله جهرة حتى يطلع الله علينا فيقول هذا كتابي فخذوه فما له لايكلمنا كما يكلمك أنت ياموسى وقرأ قول الله (لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة) قال فجاءت غضبة من الله فجاءتهم صاعقة بعد التوبة فصعقتهم فماتوا أجمعون ، قال ثم أحياهم الله من بعد موتهم وقرأ قول الله (ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون) فقال لهم موسى خذوا كتاب الله فقالوا لا ، فقال أي شيء أصابكم ؟ فقالوا أصابنا انا متنا ثم أحيينا ، قال خذوا كتاب الله قالوا

وأسمعهم الله : اني انا الله لا اله الا أنا ذو بكة أخرجتكم من أرض مصر بيد شديدة فاعبدوني ولا تعبدوا غيري. فلما فرغ موسى وانكشف الغمام أقبل اليهم فقالوا له (لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة) معاينة وذلك ان العرب تجعل العلم بالقلب رؤية فقال جهرة ليعلم ان المراد منه العيان ﴿ فأخذتكم الصاعقة ﴾ أى الموت وقيل نار جاءت من السماء أحرقتهم ﴿ وأنتم تنظرون ﴾ أى ينظر بعضكم الى بعض حين أخذكم الموت وقيل تعلمون والنظر يكون بمعنى العلم فلما هلكوا جعل موسى يبكى ويتضرع ويقول: ماذا أقول لبني اسرائيل اذا أتيتهم وقد هلك خيارهم؟ (لوشئت أهلكتهم من قبل واياي أتهلكنا بما فعل السفهاء

لا ، فبعث الله ملائكة فنتقت الجبل فوقهم . وهذا السياق يدل على انهم كلفوا بعد ما أحيوا . وقد حكى الماوردي في ذلك قولين أحدهما انه سقط التكليف عنهم لمعاينتهم الامر جهرة حتى صار واضطرين الى التصديق والثاني انهم مكلفون لئلا يخلو عاقل من تكليف قال القرطبي وهذا هو الصحيح لان معاينتهم للامور العظيمة لا تمنع تكليفهم لان بني اسرائيل قد شاهدوا أمورا عظاما من خوارق العادات وهم في ذلك مكلفون وهذا واضح والله أعلم

(٥٦) وظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ■

لما ذكر تعالى مادفعه عنهم من النقم شرع يذكرهم أيضا بما أسبغ عليهم من النعم فقال (وظللنا عليكم الغمام) وهو جمع غمامة سمي بذلك لانه يغم السماء أي يواريها ويسترها وهو السحاب الابيض ظللوا به في التيه ليقيهم حر الشمس كما رواه النسائي وغيره عن ابن عباس في حديث الفتون قال ثم ظلل عليهم في التيه بالغمام قال ابن أبي حاتم وروي عن ابن عمرو الربيع بن أنس وأبي مجلز والضحاك والسدى نحو قول ابن عباس وقال الحسن وقتادة (وظللنا عليكم الغمام) كان هذا في البرية ظلل عليهم الغمام من الشمس وقال ابن جرير قال آخرون وهو غمام أبرد من هذا واطيب . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا ابو حذيفة حدثنا شبل عن ابن ابي نجيح عن مجاهد (وظللنا عليكم الغمام) قال ليس بالسحاب هو الغمام الذى يأتي الله فيه يوم القيامة ولم يكن الالهم. وهكذا رواه ابن جرير عن المثنى ابن ابراهيم عن ابي حذيفة وكذا رواه الثورى وغيره عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وكانه يريد والله أعلم انه ليس من زي هذا السحاب بل احسن منه وأطيب وابهى منظرا كما قال سنيد في تفسيره عن حجاج بن محمد عن ابن جريج قال قال ابن عباس (وظللنا عليكم الغمام) قال غمام أبرد من هذا واطيب وهو الذى يأتي الله فيه في قوله (هل ينظرون الا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة) وهو الذي جاءت فيه الملائكة يوم بدر . قال ابن عباس وكان معهم في التيه : وقوله تعالى (وأنزلنا عليكم المن) اختلفت عبارات المفسرين في المن ماهو ؟ فقال علىّ بن ابي طلحة عن ابن عباس كان المن ينزل عليهم على الاشجار فيغدون اليه فيأكلون منه ماشاؤا . وقال مجاهد المن صمغة وقال عكرمة المن شيء أنزله الله عليهم مثل الطل شبه الرُّب الغليظ وقال السدى قالوا ياموسى كيف لنا بما ههنا أين الطعام فأنزل الله عليهم المن فكان يسقط على شجرة الزنجبيل وقال قتادة كان المن

منا) فلم يزل يناشد ربه حتى أحياهم الله تعالى رجلا رجلا بعد ماماتوا يوما وليلة ينظر بعضهم الى بعض كيف يحيون فذلك قوله تعالى ﴿ثم بعثناكم﴾ احييناكم والبعث اثارة الشيء عن محله يقال بعثت البعير وبعثت النائم فانبعث ﴿من بعد موتكم﴾ قال قتاده أحياهم ليستوفوا آجالهم وأرزاقهم ولو ماتوا بآجالهم لم يبعثوا الى يوم القيامة ﴿لعلكم تشكرون * وظللنا عليكم الغمام﴾ في التيه يقيكم حر الشمس

ينزل عليهم في محلهم سقوط الثلج أشد بياضا من اللبن واحلى من العسل يسقط عليهم من طلوع الفجر الى طلوع الشمس يأخذ الرجل منهم قدر مايكفيه يومه ذلك فاذا تعدى ذلك فسد ولم يبق حتى اذا كان يوم سادسه يوم جمعته أخذ مايكفيه ليوم سادسه ويوم سابعه لانه كان يوم عيد لايشخص فيه لامر معيشته ولا يطلبه لشيء وهذا كله في البرية وقال الربيع بن أنس المن شراب كان ينزل عليهم مثل العسل فيمزجونه بالماء ثم يشربونه . وقال وهب بن منبه وسئل عن المن فقال خبز رقاق مثل الذرة أو مثل النقي وقال أبو جعفر بن جرير حدثني محمد بن اسحق حدثنا ابو احمد حدثنا اسرائيل عن جابر عن عامر وهو الشعبي قال عسلكم هذا جزء من سبعين جزءا من المن وكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم انه العسل ووقع في شعر أمية بن ابي الصلت حيث قال

فرأى الله أنهم بمضيع لابذي مزرع ولا مثمورا
فسناها عليهم غاديات ويرى مزنهم خلايا وخورا
عسلا ناطفا وماء فراتا وحليبا ذا بهجة مزمورا

فالناطف هو السائل والحليب المزمور الصافي منه والغرض أن عبارات المفسرين متقاربة في شرح المن فمنهم من فسره بالطعام ومنهم من فسره بالشراب . والظاهر والله أعلم انه كل ما امتن الله به عليهم من طعام وشراب وغير ذلك مما ليس لهم فيه عمل ولا كد فالمن المشهور ان أكل وحده كان طعاما وحلاوة وان مزج مع الماء صار شرابا طيبا وان ركب مع غيره صار نوعا آخر ولكن ليس هو المراد من الآية وحده والدليل على ذلك قول البخاري حدثنا ابو نعيم حدثنا سفيان عن عبد الملك بن عمير بن حريث عن سعيد بن زيد رضي الله عنه . قال قال النبي صلى الله عليه وسلم «الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين» وهذا الحديث رواه الامام احمد عن سفيان بن عيينة عن عبد الملك وهو ابن عمير به وأخرجه الجماعة في كتبهم الا أبا داود من طرق عن عبد الملك وهو ابن عمير به وقال الترمذي حسن صحيح ورواه البخاري ومسلم من رواية الحكم عن الحسن العرني عن عمرو بن حريث به وقال الترمذي حدثنا ابو عبيدة بن ابي السفر ومحمود بن غيلان قالا حدثنا سعيد بن عامر عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «العجوة من الجنة وفيها شفاء من السم والكمأة من المن وماؤها شفاء للعين» تفرد باخراجه الترمذي ثم قال هذا حديث حسن غريب لانعرفه الا من حديث محمد بن محمد بن عمرو ولا من حديث سعيد بن عامر عنه» وفي الباب عن سعيد بن زيد وابي سعيد وجابر - كذا قال - وقد رواه الحافظ ابو بكر بن

والغمام من الغم وأصله التغطية والستر سمي السحاب غماما لانه يغطي وجه الشمس وذلك انه لم يكن لهم في التيه كن يسترهم فشكوا الى موسى فارسل الله تعالى غماما أبيض رقيقا أطيب من غمام المطر وجعل لهم عمودا من نور يضيء لهم الليل اذا لم يكن لهم قمر ﴿ وأنزلنا عليكم المن والسلوى ﴾ أى في التيه الاكثرون على أن المنّ هو الترنجبين وقال مجاهد هو شيء كالصمغ كان يقع على الاشجار طعمه

مردويه في تفسيره من طريق آخر عن ابي هريرة فقال حدثنا أحمد بن الحسن بن احمد البصري حدثنا أسلم بن سهل حدثنا القاسم بن عيسى حدثنا طلحة بن عبد الرحمن عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الكماة من المن وماؤها شفاء للعين » وهذا حديث غريب من هذا الوجه وطلحة بن عبد الرحمن هذا السلمي الواسطي يكنى بأبي محمد وقيل ابو سليمان المؤدب قال فيه الحافظ ابو احمد بن عدي : روى عن قتادة أشياء لايتابع عليها. ثم قال الترمذي حدثنا محمد بن بشار حدثنا معاذ بن هشام حدثنا أبي عن قتادة عن شهر بن حوشب عن أبي هريرة ان ناسا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا الكمأة جدري الارض فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم «الكماة من المن وماؤها شفاء للعين والعجوة من الجنة وهي شفاء من السم» وهذا الحديث قد رواه النسائي عن محمد بن بشار به وعنه عن غندر عن شعبة عن ابي بشر جعفر بن اياس عن شهر بن حوشب عن ابي هريرة به وعن محمد بن بشار عن عبد الاعلى عن خالد الحذاء عن شهر بن حوشب بقصة الكمأة فقط . وروى النسائي أيضا وابن ماجه من حديث محمد بن بشار عن أبي عبد الصمد ابن عبد العزيز بن عبد الصمد عن مطر الوراق عن شهر بقصة العجوة عند النسائي وبالقصتين عند ابن ماجه وهذه الطريق منقطعة بين شهر بن حوشب وأبي هريرة فانه لم يسمع منه بدليل ما رواه النسائي في الوليمة من سننه عن علي بن الحسين الدرهمي عن عبد الاعلى عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم عن أبي هريرة . قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يذكرون الكمأة وبعضهم يقول جدري الارض فقال «الكماة من المن وماؤها شفاء للعين» وروي عن شهر بن حوشب عن أبي سعيد وجابر كما قال الامام احمد حدثنا اسباط بن محمد حدثنا الاعمش عن جعفر ابن اياس عن شهر بن حوشب عن جابر بن عبد الله وأبي سعيد الخدري قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «الكماة من المن وماؤها شفاء للعين والعجوة من الجنة وهي شفاء من السم» وقال النسائي في الوليمة أيضا حدثنا محمد بن بشار حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن أبي بشر جعفر بن اياس عن شهر بن حوشب عن أبي سعيد وجابر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «الكماة من المن وماؤها شفاء للعين» ثم رواه أيضا وابن ماجه من طرق عن الاعمش عن أبي بشر عن شهر عنهما به وقد رويا - أعني النسائي من حديث جرير وابن ماجه من حديث سعيد بن أبي سلمة - كلاهما عن الاعمش عن جعفر بن اياس عن أبي نضرة عن أبي سعيد رواه النسائي وحديث جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «الكماة من المن وماؤها شفاء للعين» ورواه ابن مردويه عن احمد بن عثمان عن عباس الدوري عن لاحق بن

كالشهد وقال وهب هو الخبز الرقاق قال الزجاج جملة المن ما بمن الله به من غير تعب أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل أنا أبو نعيم أنا سفيان عن عبد الملك هو ابن عمير عن عمرو بن حريث عن سعيد بن زيد قال قال النبي صلى الله عليه وسلم «الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين» قالوا فكان هذا المن كل ليلة يقع على أشجارهم مثل الثلج لكل إنسان منهم صاع

صواب عن عمار بن رزيق عن الاعمش كابن ماجه وقال ابن مردويه أيضا حدثنا احمد بن عثمان حدثنا عباس الدوري حدثنا الحسن بن الربيع حدثنا أبو الاحوص عن الاعمش عن المنهال بن عمرو عن عبد الرحمن بن ابي ليلى عن أبي سعيد الخدري قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي يده كمأت فقال «الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين» وأخرجه النسائي عن عمرو بن منصور عن الحسن بن الربيع به ثم ابن مردويه رواه أيضا عن عبد الله بن اسحق عن الحسن بن سلام عن عبيد الله بن موسى عن شيبان عن الاعمش به ، وكذا رواه النسائي عن أحمد بن عثمان بن حكيم عن عبيد الله بن موسى وقد روى من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه كما قال ابن مردويه حدثنا محمد بن عبد الله بن ابراهيم حدثنا حمدون بن أحمد حدثنا جويرة بن أشرس (١) حدثنا حماد عن شعيب بن الحبحاب عن أنس ان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تداروا في الشجرة التي اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار، فقال بعضهم نحسبه الكمأة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «الكمأة من المن وماؤها شفاء العين والعجوة من الجنة وفيها شفاء من السم» وهذا الحديث محفوظ أصله من رواية حماد بن سلمة . وقد روى الترمذي والنسائي من طريقه شيئا من هذا والله أعلم . وروي عن شهر عن ابن عباس كما رواه النسائي أيضا في الوليمة عن أبي بكر أحمد بن علي بن سعيد عن عبد الله بن عون الخراز عن أبي عبيدة الحداد عن عبد الجليل بن عطية عن عبد الله بن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين» فقد اختلف كما ترى فيه على شهر بن حوشب ويحتمل عندي انه حفظه ورواه من هذه الطرق كلها وقد سمعه من بعض الصحابة وبلغه عن بعضهم فان الاسانيد اليه جيدة وهو لا يتعمد الكذب وأصل الحديث محفوظ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما تقدم من رواية سعيد بن زيد رضى الله عنه

وأما السلوى فقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس السلوى طائر يشبه بالسماني كانوا يأكلون منه . وقال السدي في خبره ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من الصحابة السلوى طائر يشبه السماني ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث حدثنا قرة بن خالد عن جهضم عن ابن عباس. قال السلوى هو السماني وكذا قال مجاهد والشعبي والضحاك والحسن وعكرمة والربيع بن أنس رحمهم الله تعالى وعن عكرمة اما السلوى فطير كطير يكون بالجنة أكبر من العصفور أو نحو ذلك . وقال قتادة : السلوى كان من طير الى الحمرة تحشرها عليهم الريح الجنوب وكان الرجل يذبح منها قدر

(١) هذا الاسم غير معروف في رجال الحديث

فقالوا ياموسى قتلنا هذا المن بحلاوته فادع لنا ربك ان يطعمنا اللحم فانزل الله تعالى عليهم السلوى وهو طائر يشبه السماني وقيل هو السماني بعينه بعث الله سحابة فمطرت السماني في عرض ميل وطول رمح في السماء بعضه على بعض وقال المؤرخ السلوى العسل فكان الله ينزل عليهم المن والسلوى كل صباح من طلوع الفجر الى طلوع الشمس فيأخذ كل واحد منهم مايكفيه يوما وليلة واذا كان يوم الجمعة

ما يكفيه يومه ذلك فاذا تعدى فسد ولم يبق عنده حتى اذا كان يوم سادسه ليوم جمعته أخذ ما يكفيه ليوم سادسه ويوم سابعه لانه كان يوم عبادة لا يشخص فيه لشيء ولا يطلبه . وقال وهب بن منبه : السلوى طير سمين مثل الحمامة كان يأتيهم فيأخذون منه من سبت الى سبت وفي رواية عن وهب قال سألت بنو اسرائيل موسى عليه السلام لحما فقال الله لاطعمنهم من أقل لحم يعلم في الارض فأرسل عليهم ريحا فاذرت عند مساكنهم السلوى وهو السماني مثل ميل في ميل قيد رمح في السماء فخبؤا للغد فنتن اللحم وخنز الخبز ، وقال السدي لما دخل بنو اسرائيل التيه قالوا لموسى عليه السلام كيف لنا بما ههنا أين الطعام فأنزل الله عليهم المن فكان ينزل علي شجر الزنجبيل، والسلوى وهو طائر يشبه السماني أكبر منه فكان يأتي أحدهم فينظر الى الطير فان كان سمينا ذبحه والا أرسله فاذا سمن أتاه فقالوا هذا الطعام فأين الشراب ؟ فأمر موسى فضرب بعصاه الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا فشرب كل سبط من عين ، فقالوا هذا الشراب فأين الظل ؟ فظالل عليهم الغمام ، فقالوا هذا الظل فأين اللباس ؟ فكانت ثيابهم تطول معهم كما تطول الصبيان ولا يتخرق لهم ثوب فذلك قوله تعالى (وظللنا عليهم الغمام وأنزلنا عليهم المن والسلوى) وقوله (واذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشر عينا قد علم كل أناس مشربهم كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الارض مفسدين) وروي عن وهب بن منبه وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم نحو ما قاله السدي وقال سنيد عن حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس خلق لهم في التيه ثياب لا تخرق ولا تدرن ، قال ابن جريج : فكان الرجل اذا أخذ من المن والسلوى فوق طعام يوم فسد الا أنهم كانوا يأخذون في يوم الجمعة طعام يوم السبت فلا يصبح فاسدا قال ابن عطية السلوى طير باجماع المفسرين وقد غلط الهذلي في قوله انه العسل وأنشد في ذلك مستشهدا

وقاسمها بالله جهدا لانتم ألذ من السلوى اذا ما أشورها

قال فظن ان السلوى عسلا ، قال القرطبي : دعوى الاجماع لا يصح لان المؤرج أحد علماء اللغة والتفسير قال انه العسل واستدل ببيت الهذلي هذا وذكر انه كذلك في لغة كنانة لانه يسلى به ومنه عين سلوان ، وقال الجوهري : السلوى العسل واستشهد ببيت الهذلي أيضا والسلوانة بالضم خرزة كانوا يقولون اذا صب عليها ماء المطر فشربها العاشق سلا قال الشاعر :

شربت على سلوانة ماء مزنة فلا وجديد العيش يامي ما أسلو

واسم ذلك الماء السلوان . وقال بعضهم . السلوان دواء يشفي الحزين فيسلو والاطباء يسمونه

أخذ كل واحد منهم ما يكفيه ليومين لانه لم يكن ينزل يوم السبت

﴿ كلوا ﴾ أى وقلنا لهم كلوا ﴿ من طيبات ﴾ حلالات ﴿ ما رزقناكم ﴾ ولا تدخروا لغد ففعلوا فقطع الله ذلك عنهم ودود وفسد ما أدخروا فقال الله تعالى ﴿ وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون ﴾ أي وما بخسوا بحقنا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون باستيجابهم عذابي . وقطع مادة الرزق الذي كان

مفرج ، قالوا والسلوى جمع بلفظ الواحد أيضا كما يقال سماني للمفرد والجمع و ويلى كذلك ، وقال الخليل واحده سلواة وأنشد :

واني لتعروني لذكراك هزة كما انتفض السلواة من بلل القطر

وقال الكسائي : السلوى واحدة وجمعه سلاوى. نقله كله القرطبي. وقوله تعالى (كلوا من طيبات ما رزقناكم) أمر اباحة وارشاد وامتنان ، وقوله تعالى (وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) أي أمرناهم بالاكل مما رزقناهم وان يعبدوا كما قال (كلوا من رزق ربكم واشكروا له) فخالفوا وكفروا فظلموا أنفسهم هذا مع ما شاهدوه من الآيات البينات ، والمعجزات القاطعات ، وخوارق العادات ، ومن ههنا تتبين فضيلة أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم على سائر أصحاب الانبياء في صبرهم وثباتهم وعدم تعنتهم مع ما كانوا معه في اسفاره وغزواته منها عام تبوك في ذلك القيظ والحر الشديد والجهد لم يسألوا خرق عادة ولا ايجاد أمر مع ان ذلك كان سهلا على النبي صلى الله عليه وسلم ، ولكن لما أجهدهم الجوع سألوه في تكثير طعامهم فجمعوا ما معهم فجاء قدر مبرك الشاة فدعا الله فيه وأمرهم فملؤا كل وعاء معهم وكذا لما احتاجوا الى الماء سأل الله تعالى فجاءتهم سحابة فأمطرتهم فشربوا وسقوا الابل وملؤا أسقيتهم ، ثم نظروا فاذا هي لم تجاوز العسكر. فهذا هو الاكمل في اتباع الشيء مع قدر الله مع متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم

(٥٧) واذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين (٥٨) فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم فانزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء بما كانوا يفسقون *

يقول تعالى لائما لهم على نكولهم عن الجهاد ودخولهم الارض المقدسة لما قدموا من بلاد مصر صحبة موسى عليه السلام فأمروا بدخول الارض المقدسة التي هي ميراث لهم عن أبيهم اسرائيل وقتال من فيها من العماليق الكفرة فنكلوا عن قتالهم وضعفوا واستحسروا فرماهم الله في التيه عقوبة لهم كما ذكره تعالى في سورة المائدة ، ولهذا كان أصح القولين ان هذه البلدة هي بيت المقدس كما نص على ذلك السدي والربيع بن أنس وقتادة وأبو مسلم الاصفهاني وغير واحد ، وقد قال الله تعالى حاكيا عن موسى (ياقوم ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا) الآيات. وقال آخرون

ينزل عليهم بلا مؤنة في الدنيا ولا حساب في العقبى . أخبرنا حسان بن سعيد المنيعي أنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزيادي أنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان أنا احمد بن يوسف السلمي أنا عبد الرزاق أنا معمر عن همام بن منبه أنا أبو هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لولا بنو اسرائيل لم يخنث الطعام ولم يخنز اللحم ، ولولا حواء لم تخن أنثى زوجها الدهر » قوله تعالى ﴿ واذ قلنا ادخلوا هذه القرية ﴾ سميت القرية قرية لانها تجمع أهلها ، ومنه المقراة للحوض لانها تجمع الماء

هي أريحا ، ويحكي عن ابن عباس وعبد الرحمن بن زيد وهذا بعيد لانها ليست على طريقهم وهم قاصدون بيت المقدس لا أريحا ، وأبعد من ذلك قول من ذهب الى أنها مصر ، حكاه الرازي في تفسيره والصحيح الاول أنها بيت المقدس ، وهذا كان لما خرجوا من التيه بعد أربعين سنة مع يوشع بن نون عليه السلام وفتحها الله عليهم عشية جمعة وقد حبست لهم الشمس يومئذ قليلا حتى أمكن الفتح ، ولما فتحوها أمروا ان يدخلوا الباب باب البلد (سجدا) أي شكراً لله تعالى على ما أنعم به عليهم من الفتح والنصر ورد بلدهم عليهم وانقاذهم من التيه والضلال ، قال العوفي في تفسيره عن ابن عباس انه كان يقول في قوله تعالى (وادخلوا الباب سجدا) أي ركعا ، وقال ابن جرير : حدثنا محمد بن بشار حدثنا أبو أحمد الزبيري حدثنا سفيان عن الاعمش عن المنهال بن عمرو وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله (وادخلوا الباب سجدا) قال ركعا من باب صغير رواه الحاكم من حديث سفيان به ، ورواه ابن أبي حاتم من حديث سفيان وهو الثوري به وزاد فدخلوا من قبل استاهم ، وقال الحسن البصري أمروا ان يسجدوا على وجوههم حال دخولهم واستبعده الرازي وحكى عن بعضهم ان المراد ههنا بالسجود الخضوع لتعذر حمله على حقيقته ، وقال خصيف ، قال عكرمة قال ابن عباس كان الباب قبل القبلة ، وقال ابن عباس ومجاهد والسدي وقتادة والضحاك هو باب الحطة من باب ايلياء بيت المقدس ، وحكى الرازي عن بعضهم انه عني بالباب جهة من جهات القبلة ، وقال خصيف قال عكرمة قال ابن عباس فدخلوا على شق ، وقال السدي عن أبي سعيد الازدي عن أبي الكنود عن عبد الله بن مسعود قيل لهم ادخلوا الباب سجدا فدخلوا مقنعي رؤسهم أي رافعي رؤسهم خلاف ما أمروا ، وقوله تعالى (وقولوا حطة) قال الثوري عن الاعمش عن المنهال عن سعيد بن جبير عن ابن عباس (وقولوا حطة) قال مغفرة استغفروا ، وروي عن عطاء والحسن وقتادة والربيع بن أنس نحوه ، وقال الضحاك عن ابن عباس (وقولوا حطة) قال قولوا هذا الامر حق كما قيل لكم ، وقال عكرمة قولوا (لا إله الا الله) وقال الاوزاعي : كتب ابن عباس الى رجل قد سماه فسأله عن قوله تعالى (وقولوا حطة) فكتب اليه ان أقروا بالذنب وقال الحسن وقتادة أي احطط عنا خطايانا (نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين) وقال هذا جواب الامر أي اذا فعلتم ما أمرناكم غفرنا لكم الخطيئات وضاعفنا لكم الحسنات وحاصل الامر أنهم أمروا ان يخضعوا لله تعالى عند الفتح بالفعل والقول وان يعترفوا بذنوبهم ويستغفروا منها والشكر

قال ابن عباس رضي الله عنهما : هي أريحا وهي قرية الجبارين كان فيها قوم من بقية عاد يقال لهم العمالقة ورأسهم عوج بن عنق وقيل : بلقاء وقال مجاهد : بيت المقدس وقال الضحاك : هي الرملة والاردن وفلسطين وتدمر وقال مقاتل : ايليا وقال ابن كيسان : الشام ﴿ وكلوا منها حيث شئتم رغدا ﴾ موسعاً عليكم ﴿ وادخلوا الباب ﴾ يعني بابا من أبواب القرية وكان لها سبعة أبواب ﴿سجدا﴾ أي ركعا خضعا منحنين وقال وهب : فاذا دخلتموه فاسجدوا شكراً لله تعالى ﴿ وقولوا حطة ﴾ قال

على النعمة عندها والمبادرة الى ذلك من المحبوب عند الله تعالى كما قال تعالى (اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا) فسره بعض الصحابة بكثرة الذكر والاستغفار عند الفتح والنصر ، وفسره ابن عباس بانه نعي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أجله فيها وأقره على ذلك عمر رضى الله عنه، ولا منافاة بين أن يكون قد أمر بذلك عند ذلك ونعي اليه روحه الكريمة أيضا ولهذا كان عليه الصلاة والسلام يظهر عليه الخضوع جدا عند النصر كما روى انه كان يوم الفتح فتح مكة داخلا اليها من الثنية العليا وانه لخاضع لربه حتى ان عثنونه ليمس مورك رحله شكراً لله على ذلك ، ثم لما دخل البلد اغتسل وصلى ثماني ركعات وذلك ضحى فقال بعضهم هذه صلاة الضحى ، وقال آخرون بل هي صلاة الفتح فاستحبوا للامام وللامير اذا فتح بلدا أن يصلي فيه ثماني ركعات عند أول دخوله كما فعل سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه لما دخل وان كسرى صلى فيه ثماني ركعات والصحيح انه يفصل بين كل ركعتين بتسليم ، وقيل يصليها كلها بتسليم واحد والله أعلم .

وقوله تعالى (فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم) قال البخاري حدثني محمد حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن ابن المبارك عن معمر عن همام بن منبه عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : قيل لبني اسرائيل : ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة ـ فدخلوا يزحفون على أستاههم فبدلوا وقالوا حبة في شعرة ، ورواه النسائي عن محمد بن اسمعيل بن ابراهيم عن عبد الرحمن به موقوفا وعن محمد بن عبيد بن محمد عن ابن المبارك ببعضه مسندا في قوله تعالى (حطة) قال فبدلوا وقالوا حبة وقال عبد الرزاق أنبأنا معمر عن همام بن منبه أنه سمع أبا هريرة يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله لبني اسرائيل (ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم) فبدلوا ودخلوا الباب يزحفون على أستاههم فقالوا حبة في شعرة ، وهذا حديث صحيح رواه البخاري عن اسحق بن نصر ومسلم عن محمد بن رافع والترمذي عن عبد الرحمن بن حميد كلهم عن عبد الرزاق به ، وقال الترمذي حسن صحيح، وقال محمد بن اسحق كان تبديلهم كما حدثني صالح بن كيسان عن صالح مولى التوأمة عن أبي هريرة وعمن لا أتهم عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال دخلوا الباب ـ الذي أمروا ان يدخلوا فيه سجدا ـ يزحفون على أستاههم وهم يقولون حنطة في شعيرة ، وقال أبو داود حدثنا احمد بن صالح وحدثنا سليمان بن داود حدثنا عبد الله بن وهب حدثنا هشام بن

قتادة : حط عنا خطايانا أمروا بالاستغفار . وقال ابن عباس : لا اله الا الله لانها تحط الذنوب ورفعها على تقدير قولوا مسئلتنا حطة ﴿ نغفر لكم خطاياكم ﴾ من الغفر وهو الستر ، فالمغفرة تستر الذنوب وقرأ نافع بالياء وضمها وفتح الفاء ، وقرأها ابن عامر بالتاء وضمها وفتح الفاء . وفي الاعراف قرأ جميعا ويعقوب بالتاء وضمها ، وقرأ الآخرون فيهما بنصب النون وكسر الفاء ﴿ وسنزيد المحسنين ﴾ ثوابا من فضلنا ﴿ فبدل ﴾ فغير ﴿ الذين ظلموا ﴾ أنفسهم وقالوا ﴿ قولا غير الذي قيل لهم ﴾ وذلك انهم

سعد عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الله لبني اسرائيل ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم ثم قال أبو داود حدثنا احمد ابن مسافر حدثنا ابن أبي فديك عن هشام بمثله هكذا رواه منفردا به في كتاب الحروف مختصرا وقال ابن مردويه حدثنا عبد الله بن جعفر حدثنا ابراهيم بن مهدى حدثنا احمد بن محمد بن المنذر القزاز حدثنا محمد بن اسماعيل بن ابي فديك عن هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدرى قال سرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان من آخر الليل أجزنا في ثنية يقال لها ذات الحنظل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مامثل هذه الثنية الليلة الا كمثل الباب الذى قال الله لبني اسرائيل ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم » وقال سفيان الثورى عن أبي اسحق عن البراء (سيقول السفهاء من الناس) قال اليهود قيل لهم ادخلوا الباب سجدا قال ركعا وقولوا حطة أى مغفرة فدخلوا على استاههم وجعلوا يقولون حنطة حمراء فيها شعيرة فذلك قول الله تعالى (فبدل الذين ظلموا قولا غير الذى قيل لهم) وقال الثوري عن السدى عن أبي سعد الازدي عن أبي الكنود عن ابن مسعود وقولوا حطة فقالوا حنطة حبة حمراء فيها شعيرة فأنزل الله (فبدل الذين ظلموا قولا غير الذى قيل لهم) وقال أسباط عن السدى عن مرة عن ابن مسعود انه قال انهم قالوا هطا سمعاتا أزبة مزبا(١) فهي بالعربية حبة حنطة حمراء مثقوبة فيها شعرة سوداء فذلك قوله تعالى (فبدل الذين ظلموا قولا غير الذى قيل لهم) وقال الثورى عن الاعمش عن المنهال عن سعيد عن ابن عباس في قوله تعالى (ادخلوا الباب سجدا) قال ركعا من باب صغير فدخلوا من قبل استاههم وقالوا حنطة فذلك قوله تعالى (فبدل الذين ظلموا قولا غير الذى قيل لهم) وهكذا روي عن عطاء ومجاهد وعكرمة والضحاك والحسن وقتادة والربيع بن أنس ويحيي بن رافع. وحاصل ماذكره المفسرون وما دل عليه السياق انهم بدلوا أمر الله لهم من الخضوع بالقول والفعل فأمروا أن يدخلوا سجدا فدخلوا يزحفون على أستاههم من قبل أستاههم رافعي رؤسهم وأمروا أن يقولوا حطة أي أحطط عنا ذنوبنا وخطايانا فاستهزؤا فقالوا حنطة في شعيرة وهذا في غاية مايكون من المخالفة والمعاندة ولهذا أنزل الله بهم بأسه وعذابه بفسقهم وهو خروجهم عن طاعته . ولهذا قال (فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء بما كانوا يفسقون) وقال الضحاك عن ابن عباس كل شيء في كتاب الله من الرجز يعني به العذاب وهكذا روي عن مجاهد وأبي مالك والسدي والحسن

(١) كذا والعبارة في البغوي كما ترى في أدنى هذه الصفحة وفي ابن جرير : هطى سمقايا ازبة هزبا - وفي الدر المنثور : هطى سمقاثا ازبة مزبا - وهذا ومثاله مما غش اليهود به المسلمين

بدلوا قول الحطة بالحنطة فقالوا بلسانهم: حطانا سمقاثا اى حنطة حمراء استخفافا بأمر الله تعالى وقال مجاهد : طؤطئ لهم الباب ليخفضوا رؤسهم فأبوا أن يدخلوها سجدا فدخلوا يزحفون على أستاههم مخالفة في الفعل كما بدلوا القول وقالوا قوما غير الذي قيل لهم . أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا احمد بن عبد الله النعيمي انا محمد بن يوسف انا محمد بن اسماعيل انا اسحق بن نصر أنا عبد الرزاق عن معمر عن همام بن منبه أنه سمع أبا هريرة يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قيل لبني اسرائيل

وقتادة انه العذاب وقال ابو العالية الرجز الغضب » وقال الشعبي الرجز اما الطاعون وأما البرد وقال سعيد بن جبير هو الطاعون وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الاشج حدثنا وكيع عن سفيان عن حبيب بن أبي ثابت عن ابراهيم بن سعد يعني ابن أبي وقاص عن سعد بن مالك واسامة بن زيد وخزيمة بن ثابت رضي الله عنهم قالوا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الطاعون رجز عذاب عذب به من كان قبلكم » وهكذا رواه النسائي من حديث سفيان الثورى به وأصل الحديث في الصحيحين من حديث حبيب بن أبي ثابت « اذا سمعتم الطاعون بارض فلا تدخلوها » الحديث قال ابن جرير اخبرنى يونس بن عبد الاعلى عن ابن وهب عن يونس عن الزهرى قال أخبرنى عامر بن سعد بن أبي وقاص عن اسامة بن زيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ان هذا الوجع والسقم رجز عذب به بعض الامم قبلكم » وهذا الحديث أصله مخرج في الصحيحين من حديث الزهرى ومن حديث مالك عن محمد بن المنكدر وسالم بن أبي النضر عن عامر بن سعد بنحوه

---

(٦٩) واذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل أناس مشربهم كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الارض مفسدين)

يقول تعالى واذكروا نعمتي عليكم في اجابتي لنبيكم موسى عليه السلام حين استسقانى لكم وتيسيري لكم الماء وإخراجه لكم من حجر يحمل معكم وتفجيري الماء لكم منه من ثنتى عشرة عينا لكل سبط من أسباطكم عين قد عرفوها فكلوا من المن والسلوى واشربوا من هذا الماء الذي أنبعته لكم بلا سعي منكم ولا كدّ واعبدوا الذي سخر لكم ذلك (ولا تعثوا فى الارض مفسدين) ولا تقابلوا النعم بالعصيان فتسلبوها. وقد بسطه المفسرون في كلامهم كما قال ابن عباس رضي الله عنه وجعل بين ظهرانيهم حجر مربع وأمر موسى عليه السلام فضربه بعصاه فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا في كل ناحية منه ثلاث عيون وأعلم كل سبط عينهم يشربون منها لايرتحلون من منقلة الا وجدوا ذلك معهم

ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة فبدلوا فدخلوا يزحفون على أستاههم وقالوا في حبة شعرة ﴿ فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء ﴾ قيل: أرسل الله عليهم طاعونا فهلك منهم في ساعة واحدة سبعون الفا ﴿ بما كانوا يفسقون ﴾ يعصون ويخرجون من أمر الله تعالى ﴿ واذ استسقى موسى ﴾ طلب السقيا ﴿ لقومه ﴾ وذلك انهم عطشوا في التيه فسألوا موسى ان يستسقي لهم ففعل فأوحى الله اليه كما قال: ﴿ فقلنا اضرب بعصاك ﴾ وكانت من آس الجنة ، طولها عشرة أذرع على طول موسى عليه السلام ولها شعبتان تتقدان في الظلمة نورا واسمها عليق حملها آدم من الجنة فتوارثها الانبياء حتى وصلت الى شعيب عليه السلام فأعطاها موسى عليه السلام . قال مقاتل: اسم العصا بنعته قوله تعالى ﴿ الحجر ﴾ اختلفوا فيه قال وهب : لم يكن حجرا معينا بل كان موسى يضرب أى حجر كان من عرض الحجارة فينفجر عيونا لكل سبط عين ، وكانوا اثنى عشر سبط ثم تسيل كل عين في جدول الى السبط الذي

بالمكان الذي كان منهم بالمنزل الاول وهذا قطعة من الحديث الذي رواه النسائي وابن جرير وابن أبي حاتم وهو حديث الفتون الطويل . وقال عطية العوفي وجعل لهم حجرا مثل رأس الثور يحمل على ثور فاذا نزلوا منزلا وضعوه فضرب به موسى عليه السلام بعصاه فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا فاذا ساروا حملوه على ثور فاستمسك الماء وقال عثمان بن عطاء الخراساني عن أبيه كان لبني اسرائيل حجر فكان يضعه هرون ويضربه موسى بالعصا وقال قتادة كان حجرا طوريا من الطور يحملونه معهم حتى اذا نزلوا ضربه موسى بعصاه ، وقال الزمخشري وقيل كان من رخام وكان ذراعا في ذراع وقيل مثل رأس الانسان وقيل كان من الجنة طوله عشرة أذرع على طول موسى وله شعبتان يتقدان في الظلمة وكان يحمل على حمار قال وقيل أهبطه آدم من الجنة فتوارثوه حتى وقع الى شعيب فدفعه اليه مع العصا وقيل هو الحجر الذي وضع عليه ثوبه حين اغتسل فقال له جبريل ارفع هذا الحجر فان فيه قدرة ولك فيه معجزة فحمله في مخلاته ، قال الزمخشري ويحتمل أن تكون اللام للجنس لا للعهد أي اضرب الشيء الذي يقال له الحجر وعن الحسن لم يأمره ان يضرب حجرا بعينه ، قال وهذا أظهر في المعجزة وأبين في القدرة فكان يضرب الحجر بعصاه فينفجر ثم يضربه فييبس فقالوا ان فقد موسى هذا الحجر عطشنا ، فأوحى الله اليه ان يكلم الحجارة فتنفجر ولا يمسها بالعصا لعلهم يقرّون والله أعلم ، وقال يحيى بن النضر : قلت لجويبر كيف علم كل أناس مشربهم ؟ قال : كان موسى يضع الحجر ويقوم من كل سبط رجل ويضرب موسى الحجر فينفجر منه اثنتا عشرة عينا فينضح من كل عين على رجل فيدعو ذلك الرجل سبطه الى تلك العين ، وقال الضحاك : قال ابن عباس لما كان بنو اسرائيل في التيه شق لهم من الحجر أنهارا ، وقال الثوري عن أبي سعيد عن عكرمة عن ابن عباس : قال ذلك في التيه ضرب لهم موسى الحجر فصار منه اثنتا عشرة عينا من ماء لكل سبط منهم عين يشربون منها ، وقال مجاهد نحو قول ابن عباس وهذه القصة شبيهة بالقصة التي في سورة الاعراف ولكن

أمر ان يسقيهم . وقال الآخرون : كان حجرا معينا بدليل انه عرفه بالالف واللام . قال ابن عباس كان حجرا خفيفا مربعا على قدر رأس الرجل كان يضعه في مخلاته فاذا احتاجوا الى الماء وضعه وضرب به بعصاه . وقال عطاء : كان للحجر أربعة وجوه لكل وجه ثلاثة أعين لكل سبط عين . وقيل : كان الحجر رخاما . وقيل : كان من الكذان فيه اثنتا عشرة حفرة ، ينبع من كل حفرة عين ماء عذب ، فاذا فرغوا وأراد موسى حمله ضرب به بعصاه فيذهب الماء ، وكان يسقي كل يوم ستمائة الف . وقال سعيد بن جبير : هو الحجر الذي وضع موسى ثوبه عليه ليغتسل ففر بثوبه ومرّ به على ملأ من بني اسرائيل حين رموه بالادرة فلما وقف أتاه جبريل فقال : ان الله تعالى يقول: ارفع هذا الحجر فلي فيه قدرة ، ولك فيه معجزة ، فرفعه ووضعه في مخلاته . قال عطاء : كان يضربه موسى اثنتي عشرة ضربة فيظهر على موضع كل ضربة مثل ثدي المرأة فيعرق تفجر الانهار ثم يسيل . وأكثر أهل التفسير يقولون : انبجست وانفجرت واحد . وقال أبو عمرو بن العلاء : انبجست عرقت

تلك مكية ، فلذلك كان الاخبار عنهم بضمير الغائب لان الله تعالى يقص على رسوله صلى الله عليه وسلم ما فعل بهم . وأما في هذه السورة وهي البقرة فهي مدنية فلهذا كان الخطاب فيها متوجها اليهم وأخبر هناك بقوله (فانبجست منه اثنتا عشرة عينا) وهو أول الانفجار وأخبر ههنا بما آل اليه الحال آخرا وهو الانفجار فناسب ذكر الانفجار ههنا وذاك هناك والله أعلم . وبين السياقين تباين من عشرة أوجه لفظية ومعنوية قد سأل عنها الزمخشري في تفسيره وأجاب عنها بما عنده والامر في ذلك قريب والله أعلم

(٦٠) واذ قلتم ياموسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها قال أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير اهبطوا مصرا فان لكم ما سألتم

يقول تعالى واذكروا نعمتي عليكم في انزالي عليكم المن والسلوى طعاما طيبا نافعا هنيئا سهلا واذكروا دبركم وضجركم مما رزقناكم وسؤالكم موسى استبدال ذلك بالاطعمة الدنيئة (١) من البقول ونحوها مما سألتم قال الحسن البصري فبطروا ذلك فلم يصبروا عليه وذكروا عيشهم الذي كانوا فيه وكانوا قوما أهل اعداس وبصل وبقل وفوم . فقالوا (ياموسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها) وانما قالوا على طعام واحد وهم يأكلون المن والسلوى لانه لايتبدل ولا يتغير كل يوم فهو مأكل واحد . فالبقول والقثاء والعدس والبصل كلها معروفة ، وأما الفوم فقد اختلف السلف في معناه فوقع في قراءة ابن مسعود وثومها بالثاء ، وكذا فسره مجاهد في رواية ليث بن أبي سليم عنه بالثوم . وكذا الربيع بن أنس وسعيد بن جبير . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عمرو بن رافع حدثنا أبو عمارة يعقوب بن اسحق البصري عن يونس عن الحسن في قوله (وفومها) قال : قال ابن عباس الثوم ، قال وفي اللغة القديمة فوّموا لنا بمعنى اختبزوا ، قال ابن جرير : فان كان ذلك صحيحا فانه من الحروف المبدلة كقولهم : وقعوا في عاثور شر وعافور شر وأثافي وأثاثي ومغافير ومغاثير : وأشباه ذلك مما تقلب الفاء ثاء والثاء فاء لتقارب مخرجيهما والله أعلم . وقال آخرون الفوم الحنطة وهو البر الذي يعمل منه الخبز

(١) أدخل الباء على البدل خلافا للآية ومثالها في إدخالها على المبدل منه ولعله من غلط النسخ أو الطبع

وانفجرت أي سالت فذلك قوله تعالى ﴿ فانفجرت ﴾ أي فضرب فانفجرت أي سالت ﴿ منه اثنتا عشرة عينا ﴾ على عدد الاسباط ﴿ قد علم كل أناس مشربهم ﴾ موضع شربهم لايدخل سبط على غيره في شربه ﴿ كلوا واشربوا من رزق الله ﴾ أي وقلنا لهم كلوا من المن والسلوى واشربوا من الماء فهذا كله من رزق الله الذي يأتيكم بلا مشقة ﴿ ولا تعثوا في الارض مفسدين ﴾ والعثى أشد الفساد يقال عثي يعثى عثيا وعثا يعثو عثوا وعاث يعيث عيثا قوله تعالى ﴿ واذ قلتم ياموسى لن نصبر على طعام واحد ﴾ وذلك انهم اجمعوا وسئموا من أكل المن والسلوى وانما قال (على طعام واحد) وهم

قال ابن أبي حاتم : حدثنا يونس بن عبد الاعلى قراءة أنبأنا ابن وهب قراءة حدثني نافع بن أبي نعيم ان ابن عباس سئل عن قول الله (وفومها) ما فومها؟ قال الحنطة . قال ابن عباس : أما سمعت قول أحيحة بن الجلاح وهو يقول

قد كنت أغنى الناس شخصا واحدا ورد المدينة عن زراعة فوم

وقال ابن جرير حدثنا علي بن الحسن حدثنا مسلم الجهني حدثنا عيسى بن يونس عن رشيد بن كريب عن أبيه عن ابن عباس في قول الله (وفومها) قال الفوم الحنطة بلسان بني هاشم ، وكذا قال علي بن أبي طلحة والضحاك عن ابن عباس وعكرمة عن ابن عباس ان الفوم الحنطة ، وقال سفيان الثوري : عن ابن جريج عن مجاهد وعطاء (وفومها) قالا وخبزها . وقال هشيم عن يونس عن الحسن وحصين عن أبي مالك (وفومها) قال الحنطة وهو قول عكرمة والسدي والحسن البصري وقتادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهم فالله أعلم ، وقال الجوهري : الفوم الحنطة ، وقال ابن دريد : الفوم السنبلة . وحكى القرطبي عن عطاء وقتادة ان الفوم كل حب يختبز . قال وقال بعضهم هو الحمص لغة شامية ومنه يقال لبائعه فامي مغير عن فومى ، قال البخاري : وقال بعضهم الحبوب التي تؤكل كلها فوم * وقوله تعالى (قال أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير) فيه تقريع لهم وتوبيخ على ما سألوا من هذه الاطعمة الدنيئة مع ما هم فيه من العيش الرغيد والطعام الهنيء الطيب النافع * وقوله تعالى (اهبطوا مصرا) هكذا هو منوّن مصروف مكتوب بالالف في المصاحف الائمة العثمانية وهو قراءة الجمهور بالصرف . قال ابن جرير : ولا أستجيز القراءة بغير ذلك لاجماع المصاحف على ذلك : وقال ابن عباس (اهبطوا مصرا) من الامصار رواه ابن أبي حاتم من حديث أبي سعيد البقال سعيد بن المرزبان عن عكرمة عنه قال : وروي عن السدي وقتادة والربيع بن أنس نحو ذلك . وقال ابن جرير وقع في قراءة أبي بن كعب وابن مسعود (اهبطوا مصر) من غير اجراء يعني من غير صرف . ثم روى عن أبي العالية والربيع بن أنس أنهما فسرا ذلك بمصر فرعون وكذا رواه ابن أبي حاتم عن أبي العالية والربيع وعن الاعمش أيضا . قال ابن جرير ويحتمل ان يكون المراد مصر فرعون على قراءة الاجراء أيضا . ويكون ذلك من باب الاتباع لكتابة المصحف كما في قوله تعالى (قواريرا قواريرا) ثم توقف في المراد ما هو أمصر فرعون أم مصر من الامصار

اثنان لان العرب تعبر عن الاثنين بلفظ الواحد كما تعبر عن الواحد بلفظ الاثنين كقوله تعالى (يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان) وانما يخرج من المالح دون العذب(١) وقيل: كانوا يأكلون أحدهما بالآخر فكانا كطعام واحد . وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : كانوا يعجنون المن بالسلوى فيصيران واحدا ﴿ فادع لنا ﴾ فسل لاجلنا ﴿ ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها وقثائها وفومها ﴾ قال ابن عباس والفوم الخبز وقال عطاء : الحنطة وقال القتيبي رحمه الله تعالى: الحبوب التي تؤكل كلها وقال الكلبي: الثوم ﴿ وعدسها وبصلها قال ﴾ لهم موسى عليه السلام ﴿ أتستبدلون الذي هو أدنى ﴾ أخس وأردأ

(١) قد ثبت قطعا خروج اللؤلؤ من بعض الانهار كما هو لفظ الاية . وكتبه محمد رشيد رضا

وهذا الذي قاله فيه نظر والحق ان المراد مصر من الامصار كما روى عن ابن عباس وغيره والمعنى على ذلك لان موسى عليه السلام يقول لهم هذا الذي سألتم ليس بأمر عزيز بل هو كثير في أي بلد دخلتموها وجدتموه فليس يساوي مع دناءته وكثرته في الامصار ان أسأل الله فيه . ولهذا قال (أتستبدلون الذى هو أدنى بالذي هو خير اهبطوا مصرا فان لكم ما سألتم) أي ما طلبتم . ولما كان سؤالهم هذا من باب البطر والاشر ولا ضرورة فيه لم يجابوا اليه والله أعلم

وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤا بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون

بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون*

يقول تعالى (وضربت عليهم الذلة والمسكنة) أي وضعت عليهم وألزموا بها(١) شرعا وقدرا أي لا يزالون مستذلين من وجدهم استذلهم وأهانهم وضرب عليهم الصغار وهم مع ذلك في أنفسهم أذلاء مستكينون . وقال الضحاك عن ابن عباس (وضربت عليهم الذلة والمسكنة) قال هم أصحاب القبالات يعني الجزية . وقال عبد الرازق عن معمر عن الحسن وقتادة في قوله تعالى (وضربت عليهم الذلة) قال يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون وقال الضحاك (وضربت عليهم الذلة) قال الذل . وقال الحسن أذلهم الله فلا منعة لهم وجعلهم تحت أقدام المسلمين ولقد أدركتهم هذه الامة وان المجوس لتجبيهم الجزية ، وقال أبو العالية والربيع بن أنس والسدي المسكنة الفاقة . وقال عطية العوفي الخراج ، وقال الضحاك الجزية . وقوله تعالى (وباؤا بغضب من الله) قال الضحاك استحقوا الغضب من الله ، وقال الربيع بن أنس فحدث عليهم غضب من الله وقال سعيد ابن جبير (وباؤا بغضب من الله) يقول استوجبوا سخطا ، وقال ابن جرير : يعني بقوله (وباؤا بغضب من الله) انصرفوا ورجعوا ولا يقال باء الا موصولا اما بخير واما بشر يقال منه باء فلان بذنبه يبوء به بوءاً وبواء ومنه قوله تعالى (اني أريد ان تبوء باثمي واثمك) يعني تنصرف متحملهما وترجع

﴿ بالذي هو خير ﴾ أشرف وأفضل وجعل الحنطة أدنى في القيمة ، وإن كانت هي خيرا من المن والسلوى أو أراد انها أسهل وجودا على العادة ويجوز أن يكون الخير راجعا الى اختيار الله لهم واختيارهم لانفسهم ﴿ اهبطوا مصرا ﴾ يعني فان أبيتم الا ذلك فانزلوا مصرا من الامصار وقال الضحاك هو مصر موسى وفرعون والاول أصح لانه لو أراده لم يصرفه ﴿ فان لكم ماسألتم ﴾ من نبات الارض ﴿ وضربت عليهم ﴾ جعلت عليهم وألزموا ﴿ الذلة ﴾ الذل والهوان(٢) قيل: بالجزية. وقال عطاء بن السائب: هو الكستيج والزنار وزي اليهودية ﴿ والمسكنة ﴾ الفقر سمي الفقير مسكينا لان الفقر أسكنه وأقعده عن الحركة فترى اليهود وان كانوا مياسير كأنهم فقراء وقيل : الذلة هي فقر القلب فلا ترى في أهل الملل أذل وأحرص على المال من اليهود ﴿ وباؤا بغضب من الله ﴾ رجعوا ولا يقال باء الا بالشر . وقال أبو عبيدة : احتملوا وأقروا به ومنه الدعاء : أبوء لك بنعمتك عليّ وأبوء بذنبي أي

(١) اللغة الصحيحة الفصيحة . تعدية الزم بنفسه لا بالباء بل هو تعدية للزم الثلاثي بالهمزة

(٢) التحقيق أن المراد بالذلة والمسكنة فقد الملك

بهما قدصارا عليك دوني. فمعنى الكلام اذا رجعوا منصرفين متحملين غضب الله قدصار عليهم من الله غضب ووجب عليهم من الله سخط* وقوله تعالى (ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق) يقول تعالى هذا الذي جازيناهم من الذلة والمسكنة واحلال الغضب بهم من الذلة بسبب استكبارهم عن اتباع الحق وكفرهم بآيات الله واهانتهم حملة الشرع وهم الانبياء وأتباعهم فانتقصوهم الى أن أفضى بهم الحال الى أن قتلوهم فلا كفر أعظم من هذا * انهم كفروا بآيات الله وقتلوا أنبياء الله بغير الحق، ولهذا جاء في الحديث المتفق على صحته ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « الكبر بطر الحق وغمط الناس » وقال الامام احمد رحمه الله حدثنا اسماعيل عن ابن عون عن عمرو بن سعيد عن حميد بن عبد الرحمن قال قال ابن مسعود كنت لا أحجب عن النجوى ولا عن كذا ولا عن كذا فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده مالك بن مرارة الرهاوي فادركته من آخر حديثه وهو يقول يا رسول الله قد قسم لي من الجمال ما ترى فما أحب ان أحدا من الناس فضلني بشراكين فما فوقهما أليس ذلك هو البغي؟ فقال « لا ليس ذلك من البغي ولكن البغي من بطر أو قال سفه الحق وغمط الناس » يعني رد الحق وانتقاص الناس والازدراء بهم والتعاظم عليهم. ولهذا لما ارتكب بنو اسرائيل ما ارتكبوه من الكفر بآيات الله وقتلهم أنبياءه أحل الله بهم بأسه الذي لا يرد، وكساهم ذلا في الدنيا موصولا بذل الآخرة جزاء وفاقا، قال أبو داود الطيالسي حدثنا شعبة عن الاعمش عن ابراهيم عن أبي معمر عن عبد الله بن مسعود قال كانت بنو اسرائيل في اليوم تقتل ثلثمائة نبي ثم يقيمون سوق بقلهم من آخر النهار وقد قال الامام احمد حدثنا عبد الصمد حدثنا أبان حدثنا عاصم عن أبي وائل عن عبد الله يعني ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أشد الناس عذابا يوم القيامة رجل قتله نبي أو قتل نبيا وامام ضلالة وممثل من الممثلين » وقوله تعالى (ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) وهذه علة أخرى في مجازاتهم بما جوزوا به انهم كانوا يعصون ويعتدون فالعصيان فعل المناهي والاعتداء المجاوزة في حد المأذون فيه والمأمور به والله أعلم.

أقر ﴿ ذلك ﴾ أي الغضب ﴿ بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ﴾ بصفة محمد صلى الله عليه وسلم وآية الرجم في التوراة ويكفرون بالانجيل والقرآن ﴿ ويقتلون النبيين ﴾ تفرد نافع بهمز النبي وبابه فيكون معناه المخبر من أنبأ ينبئ ونبأ ينبئ * والقراءة المعروفة ترك الهمزة وله وجهان (أحدهما) هو أيضا من الانباء تركت الهمزة فيه تخفيفا لكثرة الاستعمال (والثاني) هو بمعنى الرفيع مأخوذ من النبوة وهي المكان المرتفع فعلى هذا يكون النبيين على الاصل ﴿ بغير الحق ﴾ أي بلا جرم * فان قيل: فلم قال: بغير الحق - وقتل النبيين لا يكون الا بغير الحق؟ قيل: ذكره وصفا للقتل والقتل تارة يوصف بغير الحق وهو مثل قوله تعالى (قال رب احكم بالحق) ذكر الحق وصفا للحكم لا ان حكمه ينقسم الى الجور والحق. ويروى ان اليهود قتلت سبعين نبيا في أول النهار وقامت سوق بقلهم في آخر النهار

(٦١) ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون *

لما بين تعالى حال من خالف أوامره وارتكب زواجره وتعدى في فعل مالا اذن فيه وانتهك المحارم وما أحل بهم من النكال نبه تعالى على أن من أحسن من الامم السالفة واطاع فان له جزاء الحسنى وكذلك الامر الى قيام الساعة كل من اتبع الرسول النبي الامي فله السعادة الابدية ولا خوف عليهم فيما يستقبلونه ولا هم يحزنون على مايتركونه ويخلفونه كما قال تعالى (ألا ان أولياء الله لاخوف عليهم ولا هم يحزنون) وكما تقول الملائكة للمؤمنين عند الاحتضار في قوله (ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون) قال ابن أبي حاتم ـ ثنا أبي حدثنا عمر بن أبي عمر العدوي حدثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال قال سلمان رضي الله عنه سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن أهل دين كنت معهم فذكرت من صلاتهم وعبادتهم فنزلت (ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر) الى آخر الآية وقال السدي (ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر) وعمل صالحا الآية نزلت في أصحاب سلمان الفارسي بينا هو يحدث النبي صلى الله عليه وسلم اذ ذكر أصحابه فاخبره خبرهم فقال كانوا يصلون ويصومون ويؤمنون بك ويشهدون انك ستبعث نبيا فلما فرغ سلمان من ثنائه عليهم قال له نبي الله صلى الله عليه وسلم « يا سلمان هم من أهل النار » فاشتد ذلك على سلمان فانزل الله هذه الآية فكان ايمان اليهود أنه من تمسك بالتوراة وسنة موسى عليه السلام حتى جاء عيسى فلما جاء عيسى كان من تمسك بالتوراة وأخذ بسنة موسى فلم يدعها ولم يتبع عيسى كان هالكا(١) وايمان النصاري ان من تمسك بالانجيل منهم وشرائع عيسى كان مؤمنا مقبولا منه حتى جاء محمد صلى الله عليه وسلم فمن لم يتبع محمدا صلى الله

(١) لعله سقط من هنا : كان مؤمنا مقبولا منه ـ كما يدل عليه في مثله في النصاري بعده.

﴿ ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ﴾ يتجاوزون أمري ويرتكبون محارمي قوله تعالى ﴿ ان الذين آمنوا والذين هادوا ﴾ يعني اليهود سموا به لقولهم :انا هدنا اليك أي ملنا اليك ـ وقيل: لانهم هادوا أي تابوا عن عبادة العجل وقيل : لانهم مالوا عن دين الاسلام ، وعن دين موسى عليه السلام . وقال أبوعمرو بن العلاء : لانهم يتهوّدون أي يتحركون عند قراءة التوراة ويقولون: ان السموات والارض تحركت حين آتى الله موسى التوراة ﴿والنصارى﴾ سموا به لقول الحواريين : نحن أنصار الله . وقال مقاتل : لانهم نزلوا قرية يقال لها ناصرة وقيل : لاعتزائهم الى نصرة وهي قرية كان ينزلها عيسى عليه السلام ﴿ والصابئين ﴾ قرأ أهل المدينة والصابين والصابون بترك الهمزة والباقون بالهمزة وأصله الخروج يقال صبا فلان أي خرج من دين الى دين آخر ، وصبأت النجوم اذا خرجت من مطالعها ، وصبأ ناب البعير اذا خرج ، فهؤلاء سموا به لخروجهم من دين الى دين . قال عمر بن الخطاب وابن

عليه وسلم منهم ويدع ماكان عليه من سنة عيسى والانجيل كان هالكا. قال ابن أبي حاتم وروي عن سعيد بن جبير نحو هذا (قلت) هذا لاينافي ماروى على ابن أبي طلحة عن ابن عباس (ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر) الآية -قال- فأنزل الله بعد ذلك (ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين) فان هذا الذي قاله ابن عباس أخبار عن انه لايقبل من أحد طريقة ولا عملا الا ما كان موافقا لشريعة محمد صلى الله عليه وسلم بعد أن بعثه بما بعثه به فاما قبل ذلك فكل من اتبع الرسول في زمانه فهو على هدى وسبيل ونجاة فاليهود أتباع موسى عليه السلام الذين كانوا يتحاكمون الى التوراة في زمانهم * واليهود من الهوادة وهي المودة أو التهود وهي التوبة كقول موسى عليه السلام (اناهدنا اليك) أي تبنا فكأنهم سموا بذلك في الاصل لتوبتهم ومودتهم في بعضهم لبعض وقيل لنسبتهم الى يهودا أكبر أولاد يعقوب * وقال أبو عمرو بن العلاء لانهم يتهودون أي يتحركون عند قراءة التوراة فلما بعث عيسى صلى الله عليه وسلم وجب على بني اسرائيل اتباعه والانقياد له فاصحابه وأهل دينه هم النصارى وسموا بذلك لتناصرهم فيما بينهم وقد يقال لهم أنصار أيضا كما قال عيسى عليه السلام (من أنصاري الى الله قال الحواريون نحن أنصار الله) وقيل انهم انما سموا بذلك من أجل انهم نزلوا أرضا يقال لها ناصرة ، قاله قتادة وابن جريج وروي عن ابن عباس أيضا والله أعلم . والنصارى جمع نصران كنشاوى جمع نشوان وسكارى جمع سكران ويقال للمرأة نصرانة قال الشاعر :— نصرانة لم تحنف —

فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم خاتما للنبيين ورسولا الى بني آدم على الاطلاق وجب عليهم تصديقه فيما أخبر وطاعته فيما أمر والانكفاف عما عنه زجر وهؤلاء هم المؤمنون حقا وسميت أمة محمد صلى الله عليه وسلم مؤمنين لكثرة ايمانهم وشدة ايقانهم ولانهم يؤمنون بجميع الانبياء الماضية والغيوب الآتية ، وأما الصابئون فقد اختلف فيهم فقال سفيان الثوري عن ليث بن أبي سليم عن

عباس : هم قوم من أهل الكتاب قال عمر : تحل ذبائحهم مثل ذبائح أهل الكتاب . وقال ابن عباس: لاتحل ذبائحهم ولا مناكحتهم . وقال مجاهد : هم قبيلة نحو الشام بين اليهود والمجوس . وقال الكلبي : هم قوم من اليهود والنصارى يحلقون أوساط رؤسهم ويجبون مذاكيرهم . وقال قتادة : قوم يقرّون بالله ويقرؤن الزبور ويعبدون الملائكة ويصلون الى الكعبة أخذوا من كل دين شيئا. قال عبد العزيز بن يحيى : انقرضوا ﴿ من آمن بالله واليوم الآخر ﴾ فان قيل كيف يستقيم قوله (من آمن بالله) وقد ذكر في ابتداء الآية (ان الذين آمنوا) ؟ قيل : اختلفوا في حكم الآية فقال بعضهم : أراد بقوله (ان الذين آمنوا) على التحقيق ثم اختلفوا في هؤلاء المؤمنين فقال قوم : هم الذين آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل المبعث وهم طلاب الدين مثل حبيب النجار وقس بن ساعدة وزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل والبراء الشني وأبي ذر الغفاري وسلمان الفارسي وبحيرا الراهب ووفد النجاشي فمنهم من أدرك النبي صلى الله عليه وسلم وتابعه * ومنهم من لم يدركه . وقيل: هم المؤمنون من الامم

مجاهد « قال الصابئون قوم بين المجوس واليهود والنصارى ليس لهم دين وكذا رواه ابن أبي نجيح عنه وروي عن عطاء وسعيد بن جبير نحو ذلك وقال أبو العالية والربيع بن أنس والسدى وأبو الشعثاء جابر بن زيد والضحاك واسحق بن راهويه الصابئون فرقة من أهل الكتاب يقرؤن الزبور ولهذا قال أبو حنيفة واسحق لا بأس بذبائحهم ومناكحتهم وقال هشيم عن مطرف كنا عند الحكم ابن عتبة فحدثه رجل من أهل البصرة عن الحسن أنه كان يقول في الصابئين انهم كالمجوس فقال الحكم ألم أخبركم بذلك » وقال عبد الرحمن بن مهدى عن معاوية بن عبد الكريم سمعت الحسن ذكر الصابئين فقال هم قوم يعبدون الملائكة وقال ابن جرير حدثنا محمد بن عبد الاعلى حدثنا المعتمر ابن سليمان عن أبيه عن الحسن قال أخبر زياد ان الصابئين يصلون الى القبلة ويصلون الخمس قال فأراد أن يضع عنهم الجزية قال فخبر بعد أنهم يعبدون الملائكة « وقال أبو جعفر الرازى بلغني أن الصابئين قوم يعبدون الملائكة ويقرؤن الزبور ويصلون للقبلة وكذا قال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا يونس بن عبد الاعلى أخبرنا ابن وهب أخبرني ابن أبي الزناد عن أبيه قال الصابئون قوم مما يلي العراق وهم بكوثي وهم يؤمنون بالنبيين كلهم ويصومون من كل سنة ثلاثين يوما ويصلون الى اليمن كل يوم خمس صلوات « وسئل وهب بن منبه عن الصابئين فقال الذى يعرف الله وحده وليست له شريعة يعمل بها ولم يحدث كفرا « وقال عبد الله بن وهب قال عبد الرحمن بن زيد الصابئون أهل دين من الاديان كانوا بجزيرة الموصل يقولون لا اله الا الله وليس لهم عمل ولا كتاب ولا نبي الا قول لا اله الا الله قال ولم يؤمنوا برسول فمن أجل ذلك كان المشركون يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه هؤلاء الصابئون يشبهونهم بهم يعني في قوله لا اله الا الله وقال الخليل هم قوم يشبه دينهم دين النصارى الا أن قبلتهم نحو مهب الجنوب يزعمون أنهم على دين نوح عليه السلام وحكي القرطبي عن مجاهد والحسن وابن أبي نجيح انهم قوم تركب دينهم بين اليهود والمجوس ولا تؤكل ذبائحهم ولا تنكح نساؤهم ، قال القرطبي والذى تحصل من مذهبهم

الماضية وقيل : هم المؤمنون من هذه الامة «والذين هادوا» الذين كانوا على دين موسى عليه السلام ولم يبدلوا ، والنصارى الذين كانوا على دين عيسى عليه السلام ولم يغيروا وماتوا على ذلك . قالوا: وهذان الاسمان لزماهم زمن موسى وعيسى عليهما السلام حيث كانوا على الحق كالاسلام لامة محمد صلى الله عليه وسلم والصابئون زمن استقامة أمرهم « من آمن » أي من مات منهم وهو مؤمن لان حقيقة الايمان بالوفاة ، ويجوز أن يكون الواو مضمراً أي ومن آمن بعدك يا محمد الى يوم القيامة . وقال بعضهم : ان المذكورين بالايمان في أول الآية على طريق المجاز دون الحقيقة ، ثم اختلفوا فيهم فقال بعضهم : الذين آمنوا بالانبياء الماضين ولم يؤمنوا بك وقيل : أراد بهم المنافقين الذين آمنوا بألسنتهم ولم يؤمنوا بقلوبهم . واليهود والنصارى الذين اعتقدوا اليهودية والنصرانية بعد التبديل والصابئون بعض أصناف الكفار «من آمن بالله واليوم الآخر» من هذه الاصناف بالقلب واللسان

فيما ذكره بعض العلماء أنهم موحدون ويعتقدون تأثير النجوم وانها فاعلة ولهذا أفتى أبو سعيد الاصطخري بكفرهم للقادر بالله حين سأله عنهم واختار الرازي ان الصابئين قوم يعبدون الكواكب بمعنى ان الله جعلها قبلة للعبادة والدعاء أو بمعنى ان الله فوض تدبير أمر هذا العالم اليها قال وهذا القول هو المنسوب الى الكشرانيين الذين جاءهم ابراهيم عليه السلام رادا عليهم ومبطلا لقولهم وأظهر الاقوال والله أعلم. قول مجاهد ومتابعيه ووهب بن منبه أنهم قوم ليسوا على دين اليهود ولا النصارى ولا المجوس ولا المشركين وانما هم قوم باقون على فطرتهم ولا دين مقرر لهم يتبعونه ويقتفونه . ولهذا كان المشركون ينبزون من أسلم بالصابىء أي انه قد خرج عن سائر أديان أهل الارض اذ ذاك، وقال بعض العلماء الصابئون الذين لم تبلغهم دعوة نبي والله أعلم

(٦٢) واذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا مافيه لعلكم تتقون(٦٣) ثم توليتم من بعد ذلك فلولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين

يقول تعالى مذكرا بني اسرائيل ما أخذ عليهم من العهود والمواثيق بالإيمان به وحده لا شريك له واتباع رسله وأخبر تعالى انه لما أخذ عليهم الميثاق رفع الجبل فوق رؤسهم ليقروا بما عوهدوا عليه ويأخذوه بقوة وجزم وامتثال كما قال تعالى (واذ نتقنا الجبل فوقهم كانه ظلة وظنوا أنه واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا مافيه لعلكم تتقون) فالطور هو الجبل كما فسره به في الاعراف ونص على ذلك ابن عباس ومجاهد وعطاء وعكرمة والحسن والضحاك والربيع بن أنس وغير واحد وهذا ظاهر وفي رواية عن ابن عباس الطور ما أنبت من الجبال وما لم ينبت فليس بطور وفي حديث الفتون عن ابن عباس انهم لما امتنعوا عن الطاعة رفع عليهم الجبل ليسمعوا : وقال السدى فلما أبوا

﴿ وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ﴾ وانما ذكر بلفظ الجمع لان من يصلح للواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث ﴿ ولا خوف عليهم ﴾ في الدنيا ﴿ ولا هم يحزنون ﴾ في الآخرون قوله تعالى ﴿ واذ أخذنا ميثاقكم ﴾ عهدكم يامعشر اليهود ﴿ ورفعنا فوقكم الطور ﴾ وهو الجبل بالسريانية في قول بعضهم وهو قول مجاهد وقيل : ما من لغة في الدنيا الا في القرآن . وقال الاكثرون : ليس في القرآن لغة غير لغة العرب لقوله تعالى (قرآنا عربيا) وانما هذا وأشباهه وفاق بين اللغتين . وقال ابن عباس: أمر الله تعالى جبلا من جبال فلسطين فانقلع من أصله حتى قام على رؤسهم، وذلك ان الله تعالى أنزل التوراة على موسى عليه السلام فأمر موسى قومه أن يقبلوها و يعملوا بأحكامها فأبوا أن يقبلوها للآصار والاثقال التي هي فيها، وكانت شريعة ثقيلة فأمر الله تعالى جبريل عليه السلام فقلع جبلا على قدر عسكرهم ، وكان فرسخا في فرسخ فرفعه فوق رؤسهم مثل قامة الرجل كالظلة وقال لهم : ان لم تقبلوا التوراة أرسلت هذا الجبل عليكم . وقال عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما : رفع الله فوق رؤسهم

أن يسجدوا أمر الله الجبل أن يقع عليهم فنظروا اليه وقد غشيهم فسقطوا سجدا فسجدوا على شق ونظروا بالشق الآخر فرحمهم الله فكشفه عنهم فقالوا والله ما سجدة أحب الى الله من سجدة كشف بها العذاب عنهم فهم يسجدون كذلك ، وذلك قول الله تعالى (ورفعنا فوقكم الطور) وقال الحسن في قوله (خذوا ما آتيناكم بقوة) يعني التوراة ، وقال أبو العالية والربيع ابن أنس بقوة أي بطاعة . وقال مجاهد : بقوة بعمل بما فيه ، وقال قتادة (خذوا ما آتيناكم بقوة) قوة الجد والا قذفته عليكم قال فأقروا بذلك أنهم يأخذون ما أوتوا بقوة ، ومعنى قوله والا قذفته عليكم أي اسقطه عليكم ، يعني الجبل . وقال أبو العالية والربيع (واذكروا ما فيه) يقول اقرأوا ما في التوراة واعملوا به * وقوله تعالى (ثم توليتم من بعد ذلك فلولا فضل الله) يقول تعالى ، ثم بعد هذا الميثاق المؤكد العظيم توليتم عنه وانثنيتم ونقضتموه (فلولا فضل الله عليكم ورحمته) أي بتوبته عليكم وارساله النبيين والمرسلين اليكم (لكنتم من الخاسرين) بنقضكم ذلك الميثاق في الدنيا والآخرة

(٦٤) ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين (٦٥) فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين *

يقول تعالى (ولقد علمتم) يامعشر اليهود ما أحل من البأس بأهل القرية التي عصت أمر الله وخالفوا عهده وميثاقه فيما أخذه عليهم من تعظيم السبت والقيام بأمره اذا كان مشروعا لهم فتحيلوا على اصطياد الحيتان في يوم السبت بما وضعوا لها من الشصوص والحبائل والبرك قبل يوم السبت فلما جاءت يوم السبت على عادتها في الكثرة نشبت بتلك الحبائل والحيل فلم تخلص منها يومها ذلك

الطور ، وبعث ناراً من قبل وجوههم ، وأتاهم البحر الملح من خلفهم ﴿ خذوا ﴾ أى قلنا لهم خذوا ﴿ ما آتيناكم ﴾ أعطيناكم ﴿ بقوة ﴾ بجد واجتهاد ومواظبة ﴿ واذكروا ﴾ وادرسوا ﴿ ما فيه ﴾ وقيل احفظوا واعملوا ﴿ لعلكم تتقون ﴾ لكي تنجوا من الهلاك في الدنيا والعذاب في العقبى فان قبلتم والا رضختكم بهذا الجبل وأغرقتكم في هذا البحر وأحرقتكم بهذه النار فلما رأوا أن لا مهرب لهم منها قبلوا وسجدوا وجعلوا يلاحظون الجبل وهم سجود فصار سنة في اليهود لا يسجدون الا على أنصاف وجوههم ويقولون : بهذا السجود رفع العذاب عنا ﴿ ثم توليتم ﴾ أعرضتم ﴿ من بعد ذلك ﴾ من بعد ما قبلتم التوراة ﴿ فلولا فضل الله عليكم ورحمته ﴾ يعني بالامهال والادراج وتأخير العذاب عنكم ﴿ لكنتم ﴾ لصرتم ﴿ من الخاسرين ﴾ من المغبونين بالعقوبة وذهاب الدنيا والآخرة وقيل : من المعذبين في الحال كأنه رحمهم بالامهال قوله تعالى ﴿ ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت ﴾ أى جاوزوا الحد وأصل السبت القطع قيل: سمي يوم السبت بذلك لان الله تعالى قطع فيه الخلق وقيل: لان اليهود أمروا فيه بقطع الاعمال . والقصة فيه أنهم كانوا في زمن داود عليه السلام بأرض يقال لها ايلة حرم الله عليهم صيد السمك يوم السبت ، فكان اذا دخل السبت لم يبق حوت في البحر الا

فلما كان الليل أخذوها بعد انقضاء السبت • فلما فعلوا ذلك مسخهم الله الى صورة القردة وهي أشبه شيء بالأناسي في الشكل الظاهر وليست بانسان حقيقة • فكذلك أعمال هؤلاء وحيلتهم لما كانت مشابهة للحق في الظاهر ومخالفة له في الباطن كان جزاؤهم من جنس عملهم • وهذه القصة مبسوطة في سورة الاعراف حيث يقول تعالى (واسألهم عن القرية التى كانت حاضرة البحر اذ يعدون في السبت إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون) القصة بكمالها • وقال السدي : أهل هذه القرية هم أهل أيلة ، وكذا قال قتادة وسنورد أقوال المفسرين هناك مبسوطة ان شاء الله وبه الثقة • وقوله تعالى (فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين) قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو حذيفة حدثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد (فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين) قال مسخت قلوبهم ولم يمسخوا قردة . وانما هو مثل ضربه الله (كمثل الحمار يحمل أسفارا) ورواه ابن جرير عن المثنى عن أبي حذيفة وعن محمد بن عمر الباهلي وعن أبي عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد به وهذا سند جيد عن مجاهد وقول غريب خلاف الظاهر من السياق في هذا المقام وفي غيره قال الله تعالى (قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت) الآية وقال العوفي في تفسيره عن ابن عباس (فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين) فجعل الله منهم القردة والخنازير ، فزعم أن شباب القوم صاروا قردة ، وان الشيخة صاروا خنازير : وقال شيبان النحوي عن قتادة (فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين) فصار القوم قردة تعاوى لها أذناب بعد ما كانوا رجالا ونساء . وقال عطاء الخراساني نودوا يا أهل القرية (كونوا قردة خاسئين) فجعل الذين نهوهم يدخلون عليهم فيقولون يافلان ألم ننهكم فيقولون برؤسهم أي بلى • وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسن حدثنا عبد الله بن محمد بن ربيعة بالمصيصة حدثنا محمد بن مسلم يعني الطائفي عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس قال انما كان الذين اعتدوا في السبت فجعلوا قردة فواقا ثم هلكوا ما كان للمسخ نسل . وقال الضحاك عن ابن عباس فمسخهم الله قردة بمعصيتهم يقول اذ لا يحيون في الارض الا ثلاثة أيام قال ولم يعش مسخ قط فوق ثلاثة أيام ولم يأكل ولم يشرب ولم ينسل • وقد خلق الله

اجتمع هناك حتى يخرجن خراطيمهن من الماء لا منها حتى لايرى الماء لكثرتها ، فاذا مضى السبت تفرقن ولزمن قعر البحر فلا يرى شيء منها فذلك قوله تعالى (إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم) ثم ان الشيطان وسوس اليهم وقال : انما نهيتم عن أخذها يوم السبت فعمد رجال فحفروا الحياض حول البحر وشرعوا منه اليها في الانهار ، فاذا كانت عشية الجمعة فتحوا تلك الانهار فأقبل الموج بالحيتان الى الحياض فلا يقدرن على الخروج لبعد عمقها وقلة مائها • فاذا كان يوم الاحد أخذوها وقيل: كانوا يسوقون الحيتان الى الحياض يوم السبت ولا يأخذونها ثم يأخذونها يوم الاحد وقيل : كانوا ينصبون الحبائل والشخوص يوم الجمعة ويخرجونها يوم الاحد ففعلوا ذلك زمانا

القردة والخنازير وسائر الخلق في الستة الايام التي ذكرها الله في كتابه فمسخ هؤلاء القوم في صورة القردة ، وكذلك يفعل بمن يشاء كما يشاء ويحوله كما يشاء . وقال أبو جعفر عن الربيع عن أبي العالية في قوله (كونوا قردة خاسئين) قال يعني أذلة صاغرين ، وروى عن مجاهد وقتادة والربيع وأبي مالك نحوه وقال محمد بن اسحق عن داود بن أبي الحصين عن عكرمة قال : قال ابن عباس ان الله انما افترض على بني اسرائيل اليوم الذي افترض عليكم في عيدكم - يوم الجمعة - فخالفوا الى السبت فعظموه وتركوا ما أمروا به فلما أبوا إلا لزوم السبت ابتلاهم الله فيه فحرَّم عليهم ما أحل لهم في غيره . وكانوا في قرية بين أيلة والطور يقال لها مدين ، فحرم الله عليهم في السبت الحيتان صيدها وأكلها وكانوا اذا كان يوم السبت أقبلت اليهم شرعا الى ساحل بحرهم حتى اذا ذهب السبت ذهبن فلم يروا حوتا صغيرا ولا كبيرا حتى اذا كان يوم السبت أتين شرعا حتى اذا ذهب السبت ذهبن فكانوا كذلك حتى طال عليهم الامد وقرموا الى الحيتان عمد رجل منهم فأخذ حوتا سرا يوم السبت فخزمه بخيط ثم أرسله في الماء وأوتد له وتدا في الساحل فاوثقه ثم تركه حتى اذا كان الغد جاء فأخذه أي اني لم آخذه في يوم السبت فانطلق به فأكله حتى اذا كان يوم السبت الاخر عاد لمثل ذلك ووجد الناس ريح الحيتان فقال أهل القرية والله لقد وجدنا ريح الحيتان ، ثم عثروا على صنيع ذلك الرجل ، قال ففعلوا كما فعل وصنعوا سرا زمانا طويلا لم يعجل الله عليهم العقوبة حتى صادوها علانية وباعوها بالاسواق . فقالت طائفة منهم من أهل البقية ويحكم اتقوا الله ونهوهم عما كانوا يصنعون ، فقالت طائفة أخرى لم تأكل الحيتان ولم تنه القوم عما صنعوا : لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا ؟ قالوا معذرة الى ربكم بسخطنا أعمالهم ولعلهم يتقون ، قال ابن عباس ، فبيناهم على ذلك أصبحت تلك البقية في أنديتهم ومساجدهم فقدوا الناس فلم يروهم قال فقال بعضهم لبعض ان للناس شأنا فانظروا ما هو فذهبوا ينظرون في دورهم فوجدوها مغلقة عليهم قد دخلوها ليلا فغلقوها على أنفسهم كما يغلق الناس على أنفسهم فأصبحوا فيها قردة وانهم ليعرفون الرجل بعينه وانه لقرد والمرأة بعينها وإنها لقردة والصبي بعينه وأنه لقرد ، قال قال ابن عباس فلولا ما ذكر الله انه نجى الذين نهوا عن السوء لقد أهلك الله الجميع منهم ، قال وهي القرية التي قال جل ثناؤه لمحمد صلى الله عليه وسلم

ولم تنزل عليهم عقوبة فتجرؤا على الذنب وقالوا ما ندري السبت الا وقد أحل لنا فأخذوا وأكلوا وملحوا وباعوا وأثروا وكثر مالهم فلما فعلوا ذلك صار أهل القرية وكانوا نحوا من سبعين الفا ثلاثة أصناف ، صنف أمسك ونهى ، وصنف أمسك ولم ينه ، وصنف انتهك الحرمة ، وكان الناهون اثنى عشر الفا ، فلما أبى المجرمون قبول نصحهم قالوا : والله لا نساكنكم في قرية واحدة فقسموا القرية بجدار وعبروا بذلك سنتين ولعنهم داود عليه السلام ، وغضب الله عليهم لاصرارهم على المعصية فخرج الناهون ذات يوم من بابهم ولم يخرج من المجرمين أحد ولم يفتحوا بابهم فلما أبطؤا تسوروا عليهم الحائط فاذا هم جميع قردة لها أذناب يتعاوون . قال قتادة : صار الشبان قردة والشيوخ خنازير

(واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر) الآية . وروى الضحاك عن ابن عباس نحوا من هذا ، وقال السدي في قوله تعالى (ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين) قال هم أهل أيلة ، وهي القرية التي كانت حاضرة البحر فكانت الحيتان اذا كان يوم السبت -وقد حرم الله على اليهود ان يعملوا في السبت شيئا - لم يبق في البحر حوت الا خرج حتى يخرجن خراطيمهن من الماء فاذا كان يوم الاحد لزمن سفل البحر فلم ير منهن شيء حتى يكون يوم السبت فذلك قوله تعالى (واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر اذ يعدون في السبت اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم) فاشتهى بعضهم السمك فجعل الرجل يحفر الحفيرة ويجعل لها نهرا الى البحر ، فاذا كان يوم السبت فتح النهر فأقبل الموج بالحيتان يضربها حتى يلقيها في الحفيرة فيريد الحوت ان يخرج فلا يطيق من أجل قلة ماء النهر فيمكث فيها فاذا كان يوم الاحد جاء فأخذه فجعل الرجل يشوي السمك فيجد جاره روائحه فيسأله فيخبره فيصنع مثل ما صنع جاره حتى فشا فيهم أكل السمك ، فقال لهم علماؤهم: ويحكم انما تصطادون يوم السبت وهو لا يحل لكم ، فقالوا انما صدناه يوم الاحد حين أخذناه ، فقال الفقهاء لا ولكنكم صدتموه يوم فتحتم له الماء فدخل ، قال وغلبوا ان ينتهوا . فقال بعض الذين نهوهم لبعض (لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا) ؟ يقول لم تعظوهم وقد وعظتموهم فلم يطيعوكم ، فقال بعضهم (معذرة الى ربكم ولعلهم يتقون) فلما أبوا قال المسلمون والله لا نسا كنكم في قرية واحدة فقسموا القرية بجدار ففتح المسلمون بابا والمعتدون في السبت بابا ولعنهم داود عليه السلام ، فجعل المسلمون يخرجون من بابهم والكفار من بابهم ، فخرج المسلمون ذات يوم ولم يفتح الكفار بابهم فلما ابطؤا عليهم تسور المسلمون عليهم الحائط فاذا هم قردة يثب بعضهم على بعض ففتحوا عنهم فذهبوا في الارض فذلك قول الله تعالى (فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين) وذلك حين يقول (لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم) الآية فهم القردة (قلت) والغرض من هذا السياق عن هؤلاء الائمة بيان خلاف ما ذهب اليه مجاهد رحمه الله من أن مسخهم انما كان معنويا لا صوريا بل

فمكثوا ثلاثة أيام ثم هلكوا ولم يمكث مسخ فوق ثلاثة أيام لم يتوالدوا قال الله تعالى ﴿ فقلنا لهم كونوا قردة ﴾ أمر تحويل وتكوين ﴿ خاسئين ﴾ مبعدين مطرودين قيل: فيه تقديم وتأخير أي كونوا خاسئين قردة ولذلك لم يقل خاسئات، والخسأ الطرد والابعاد وهو لازم ومتعد يقال خسأته خسئا فخسأ خسوءا مثل رجعته رجعا فرجع رجوعا ﴿ فجعلناها ﴾ أي جعلنا عقوبتهم بالمسخ ﴿ نكالا ﴾ أي عقوبة وعبرة ، والنكال اسم لكل عقوبة ينكل الناظر من فعل ما جعلت العقوبة جزاء عليه ، ومنه النكول عن اليمين وهو الامتناع ، وأصله من النكل وهو القيد وجمعه يكون أنكالا ﴿ لما بين يديها ﴾ قال قتادة : أراد بما بين يديها يعني ما سبقت من الذنوب أي جعلنا تلك العقوبة جزاء لما تقدم من ذنوبهم قبل نهيهم عن أخذ الصيد ﴿ وما خلفها ﴾ ما حضرت من الذنوب التي أخذوا بها وهي العصيان بأخذ الحيتان

الصحيح انه معنوي صوري والله تعالى أعلم . وقوله تعالى (فجعلناها نكالا) قال بعضهم الضمير في فجعلناها عائد على القردة وقيل على الحيتان وقيل على العقوبة وقيل على القرية حكاها ابن جرير والصحيح أن الضمير عائد على القرية ، أي فجعل الله هذه القرية والمراد أهلها بسبب اعتدائهم في سبتهم (نكالا) أي عاقبناهم عقوبة فجعلناها عبرة كما قال الله عن فرعون (فأخذه الله نكال الآخرة والاولى) وقوله تعالى (لما بين يديها وما خلفها) أي من القرى ، قال ابن عباس : يعني جعلناها بما أحللنا بها من العقوبة عبرة لما حولها من القرى كما قال تعالى (ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى وصرفنا الآيات لعلهم يرجعون) ومنه قوله تعالى (أو لم يروا انا نأتي الارض ننقصها من أطرافها) الآية على احد الاقوال فالمراد لما بين يديها وما خلفها في المكان كما قال محمد بن اسحق عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس: لما بين يديها من القرى وما خلفها من القرى ، وكذا قال سعيد بن جبير لما بين يديها وما خلفها ، قال من بحضرتها من الناس يومئذ . وروي عن اسمعيل بن أبي خالد وقتادة وعطية العوفي (فجعلناها نكالا لما بين يديها) قال ما قبلها من الماضين في شأن السبت ، وقال أبو العالية والربيع وعطية :وما خلفها لما بقي بعدهم من الناس من بني اسرائيل ان يعملوا مثل عملهم، وكان هؤلاء يقولون المراد لما بين يديها وما خلفها في الزمان. وهذا مستقيم بالنسبة الى من يأتي بعدهم من الناس أن تكون أهل تلك القرية عبرة لهم ، وأما بالنسبة الى من سلف قبلهم من الناس فكيف يصح هذا الكلام أن تفسر الآية به وهو أن يكون عبرة لمن سبقهم ؟ وهذا لعل أحدا من الناس لا يقوله بعد تصوره ـ فتعين أن المراد بما بين يديها وما خلفها في المكان وهو ما حولها من القرى كما قاله ابن عباس وسعيد بن جبير والله أعلم . وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية (فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها) أي عقوبة لما خلا من ذنوبهم ، وقال ابن أبي حاتم : وروي عن عكرمة ومجاهد والسدي والفراء وابن عطية: لما بين يديها من ذنوب القوم وما خلفها لمن يعمل بعدها مثل تلك الذنوب ، وحكى الرازي ثلاثة أقوال . أحدها ان المراد بما بين يديها وما خلفها من تقدمها من القرى بما عندهم من العلم بخبرها بالكتب المتقدمة ومن بعدها . والثاني المراد بذلك من بحضرتها من القرى والامم . والثالث انه تعالى جعلها عقوبة لجميع ما ارتكبوه من قبل هذا الفعل وما بعده وهو قول الحسن (قلت) وأرجح الاقوال المراد بما بين يديها وما خلفها : من بحضرتها من القري يبلغهم خبرها وما حل بها كما قال تعالى (ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى) الآية وقال تعالى

وقال أبو العالية والربيع : عقوبة لما مضى من ذنوبهم وعبرة لمن بعدهم أن يستنوا بسنتهم ، وما الثانية بمعنى من وقيل (جعلناها) أى جعلنا قرية أصحاب السبت عبرة لما بين يديها أى القرى التي كانت مبنية في الحال (وما خلفها) وما يحدث من القرى من بعد ليتعظوا وقيل : فيه تقديم وتأخير تقديره فجعلناها وما خلفها أي ما أعد لهم من العذاب في الآخرة نكالا وجزاء لما بين يديها أي لما تقدم من ذنوبهم باعتدائهم في السبت ﴿ وموعظة للمتقين ﴾ للمؤمنين من أمة محمد صلى الله

(ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة) الآية وقال تعالى (أفلا يرون انا نأتي الارض ننقصها من أطرافها) فجعلهم عبرة ونكالا لمن في زمانهم وموعظة لمن يأتي بعدهم بالخبر المتواتر عنهم ولهذا قال (وموعظة للمتقين): وقوله تعالى (وموعظة للمتقين) قال محمد بن اسحق عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس (وموعظة للمتقين) للذين من بعدهم الى يوم القيامة وقال الحسن وقتادة (وموعظة للمتقين) بعدهم فيتقون نقمة الله ويحذرونها وقال السدى وعطية العوفي (وموعظة للمتقين) قال أمة محمد صلى الله عليه وسلم (قلت) المراد بالموعظة ههنا الزاجر اى جعلنا ما أحللنا بهؤلاء من البأس والنكال في مقابلة ما ارتكبوه من محارم الله وما تحيلوا به من الحيل فليحذر المتقون صنيعهم لئلا يصيبهم ما أصابهم كما قال الامام أبو عبد الله بن بطة حدثنا احمد بن محمد بن مسلم حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح الزعفراني حدثنا يزيد بن هرون حدثنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «لا ترتكبوا ما ارتكبت اليهود فتستحلوا محارم الله بأدنى الحيل» وهذا اسناد جيد واحمد بن محمد بن مسلم هذا وثقه الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي وباقي رجاله مشهورون على شرط الصحيح والله أعلم

(٦٦) واذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا اتتخذنا هزوا؟ قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين

يقول تعالى واذكروا يابني اسرائيل نعمتي عليكم في خرق العادة لكم في شأن البقرة وبيان القاتل من هو بسببها واحياء الله المقتول ونصه على من قتله منهم

﴿ذكر بسط القصة﴾

قال ابن أبي حاتم حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح حدثنا يزيد بن هرون أنبأنا هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن عبيدة السلماني، قال: كان رجل من بني اسرائيل عقيما لا يولد له وكان له مال كثير وكان ابن أخيه وارثه فقتله ثم احتمله ليلا فوضعه على باب رجل منهم ثم أصبح يدعيه عليهم حتى تسلحوا وركب بعضهم على بعض. فقال ذوو الرأي منهم والنهى: علام يقتل بعضكم

عليه وسلم فلا يفعلون مثل فعلهم قوله عز وجل ﴿وإذ قال موسى لقومه: إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة﴾ البقرة هي الانثى من البقر يقال: هي مأخوذة من البقر وهو الشق، سميت به لانها تبقر الارض أي تشقها للحراثة — والقصة فيه أنه كان في بني اسرائيل رجل غني وله ابن عم فقير لا وارث له سواه فلما طال عليه موته قتله ليرثه وحمله الى قرية أخرى وألقاه بفنائهم ثم أصبح يطلب ثاره وجاء بناس الى موسى يدعي عليهم القتل فسألهم موسى فجحدوا فاشتبه أمر القتيل على موسى. قال الكلبي: وذلك قبل نزول القسامة في التوراة فسألوا موسى أن يدعو الله ليبين لهم بدعائه فأمرهم الله بذبح بقرة فقال لهم موسى: ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة ﴿قالوا أتتخذنا هزوا﴾ أي تستهزيء

بعضا وهذا رسول الله فيكم ؟ فأتوا موسى عليه السلام فذكروا ذلك له فقال (ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة قالوا أتتخذنا هزوا قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين) قال فلولم يعترضوا الاجزأت عنهم أدنى بقرة ولكنهم شددوا فشدد عليهم حتى انتهوا الى البقرة التى أمروا بذبحها فوجدوها عند رجل ليس له بقرة غيرها فقال والله لا أنقصها من ملء جلدها ذهبا فأخذوها فذبحوها فضربوه ببعضها فقام فقالوا من قتلك؟ فقال: هذا- لابن أخيه، ثم مال ميتا فلم يعط من ماله شيئا فلم يورث قاتل بعد ورواه ابن جرير من حديث أيوب عن محمد بن سيرين عن عبيدة بنحو من ذلك والله أعلم . ورواه عبد بن حميد في تفسيره ، أنبأنا يزيد بن هرون به ورواه آدم بن أبي اياس في تفسيره عن أبي جعفر هو الرازي عن هشام بن حسان به ، وقال آدم بن أبي اياس في تفسيره : أنبأنا أبو جعفر الرازي عن الربيع عن أبي العالية في قول الله تعالى (ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة) قال كان رجل من بني اسرائيل وكان غنيا ولم يكن له ولد وكان له قريب وكان وارثه فقتله ليرثه ثم ألقاه على مجمع الطريق واتى موسى عليه السلام فقال له ان قريبي قتل وإني الى أمر عظيم واني لا أجد أحدا يبين لي من قتله غيرك يانبي الله ، قال فنادى موسى في الناس فقال : أنشد الله من كان عنده من هذا علم الا يبينه لنا، فلم يكن عندهم علم ، فأقبل القاتل على موسى عليه السلام ، فقال له أنت نبي الله فسل لنا ربك ان يبين لنا ، فسأل ربه فاوحى الله (ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة) فعجبوا من ذلك فقالوا: أتتخذنا هزوا ؟ قال أعوذ بالله ان أكون من الجاهلين ، قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي ؟ قال انه يقول انها بقرة لافارض) يعني لا هرمة (ولا بكر) يعني ولا صغيرة (عوان بين ذلك) أي نصف بين البكر والهرمة (قالوا أدع لنا ربك يبين لنا ما لونها ؟ قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها) أي صاف لونها (تسر الناظرين) أي تعجب الناظرين (قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ماهي؟ إن البقرة تشابه علينا وانا ان شاء الله لمهتدون ، قال انه يقول انها بقرة لا ذلول) أي لم يذللها العمل (تثير الارض

بنا نحن نسألك عن أمر القتيل وتأمرنا بذبح البقرة ، وانما قالوا ذلك لبعد مابين الامرين في الظاهر ولم يدروا ما الحكمة فيه ، قرأ حمزة هزوا وكفوا بالتخفيف ، وقرأ الآخرون بالتثقيل ويترك الهمزة حفص ﴿ قال ﴾ موسى ﴿ أعوذ بالله ﴾ أمتنع بالله ﴿ أن أكون من الجاهلين ﴾ أي من المستهزئين بالمؤمنين وقيل : من الجاهلين بالجواب لا على وفق السؤال لان الجواب لا على وفق السؤال جهل فلما علم القوم ان ذبح البقرة عزم من الله عز وجل استوصفوها ولو انهم عمدوا الى أدنى بقرة فذبحوها لاجزأت عنهم ولكنهم شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم ، وكانت تحته حكمة ، وذلك انه كان في بني اسرائيل رجل صالح له ابن طفل وله عجلة أتى بها الى غيضة وقال : اللهم إني أستودعك هذه العجلة حتى تكبر ، ومات الرجل فصارت العجلة في الغيضة عوانا ، وكانت تهرب من كل من رآها فلما كبر الابن كان بارا بوالدته ، وكان يقسم الليل ثلاثة أثلاث يصلي ثلثا ، وينام ثلثا ، ويجلس عند رأس أمه ثلثا ، فاذا أصبح انطلق فاحتطب على ظهره فيأتي به الى السوق فيبيعه بما شاء الله ثم

ولا تسقي الحرث) يعني وليست بذلول تثير الارض ولا تسقي الحرث يعني ولا تعمل في الحرث (مسلمة) يعني مسلمة من العيوب (لاشية فيها) يقول لا بياض فيها (قالوا الآن جئت بالحق فذبحوها وما كادوا يفعلون) قال ولو أن القوم حين أمروا بذبح بقرة استعرضوا بقرة من البقر فذبحوها لكانت اياها ولكن شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم ولولا ان القوم استثنوا فقالوا وانا ان شاء الله لمهتدون لما هدوا اليها ابدا فبلغنا أنهم لم يجدوا البقرة التي نعت لهم الا عند عجوز وعندها يتامى وهي القيمة عليهم فلما علمت انه لا يزكوا لهم غيرها أضعفت عليهم الثمن فأتوا موسى فأخبروه انهم لم يجدوا هذا النعت الا عند فلانة وانها سألت أضعاف ثمنها ، فقال موسى ان الله قد خفف عليكم فشددتم على أنفسكم فاعطوها رضاها وحكمها ، ففعلوا واشتروها فذبحوها فأمرهم موسى عليه السلام ان يأخذوا عظما منها فيضربوا به القتيل ففعلوا فرجع اليه روحه فسمى لهم قاتله ثم عاد ميتا كما كان فأخذ قاتله وهو الذي كان أتى موسى عليه السلام فشكا اليه فقتله الله على أسوإ عمله ، وقال محمد بن جرير حدثني محمد بن سعيد حدثني أبي حدثني عمي حدثني أبي عن أبيه عن ابن عباس في قوله في شأن البقرة وذلك أن شيخا من بني اسرائيل على عهد موسى عليه السلام كان مكثرا من المال وكان بنو أخيه فقراء لا مال لهم وكان الشيخ لا ولد له وكان بنو أخيه ورثته فقالوا ليت عمنا قد مات فورثنا ماله وانه لما تطاول عليهم أن لا يموت عمهم أتاهم الشيطان فقال لهم هل لكم الى أن تقتلوا عمكم فترثوا ماله وتغرموا أهل المدينة التي لستم بها ديته وذلك انهما كانتا مدينتين كانوا في أحداهما وكان القتيل اذا قتل وطرح بين المدينتين قيس ما بين القتيل والقريتين فايتهما كانت أقرب اليه غرمت الدية وانهم لما سوّل لهم الشيطان ذلك وتطاول عليهم أن لا يموت عمهم عمدوا اليه فقتلوه ثم عمدوا فطرحوه على باب المدينة التي ليسوا فيها فلما أصبح أهل المدينة جاء بنو أخي الشيخ فقالوا عمنا قتل على باب مدينتكم فوالله لتغرمن لنا دية عمنا قال أهل المدينة نقسم بالله ما قتلنا ولا علمنا قاتلا ولا فتحنا باب مدينتنا منذ أغلق حتى أصبحنا ، وانهم عمدوا الى موسى عليه

يتصدق بثلثه ، ويأكل ثلثه ، ويعطي والدته ثلثه . فقالت له أمه يوما : إن أباك ورثك عجلة استودعها الله في غيضة كذا فانطلق وادع إله ابراهيم واسماعيل واسحق أن يردها عليك ، وعلامتها إنك إذا نظرت اليها يخيل اليك أن شعاع الشمس يخرج من جلدها . وكانت تلك البقرة تسمى المذهبة لحسنها وصفرتها فأتى الفتى الغيضة فرآها ترعى فصاح بها وقال : أعزم عليك باله ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب فأقبلت تسعى حتى قامت بين يديه فقبض على عنقها يقودها فتكلمت البقرة باذن الله تعالى فقالت: أيها الفتى البار بوالدتك اركبني فان ذلك أهون عليك فقال الفتى : إن أمي لم تأمرني بذلك ولكن قالت : خذ بعنقها فقالت البقرة : باله بني اسرائيل لو ركبتني ما كنت تقدر علي أبدا فانطلق فانك لو أمرت الجبل أن ينقلع من أصله وينطلق معك لفعل لبرك بأمك . فسار الفتى بها الى أمه فقالت له : إنك فقير لا مال لك فيشق عليك الاحتطاب بالنهار والقيام بالليل فانطلق فبع هذه البقرة قال: بكم

السلام فلما أتوه قال بنو أخي الشيخ عمنا وجدناه مقتولا على باب مدينتهم وقال أهل المدينة نقسم بالله ماقتلناه ولا فتحنا باب المدينة من حين أغلقناه حتى أصبحنا وان جبرائيل جاء بأمر السميع العليم الى موسى عليه السلام فقال قل لهم (ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة) فتضربوه ببعضها وقال السدي (واذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة) قال كان رجل من بني اسرائيل مكثرا من المال فكانت له ابنة وكان له ابن أخ محتاج فخطب اليه ابن أخيه ابنته فابي أن يزوجه فغضب الفتى وقال والله لاقتلن عمي ولآخذن ماله ، ولا نكحن ابنته ولآكلن ديته فأتاه الفتى وقد قدم تجار في بعض أسباط بني اسرائيل فقال ياعم انطلق معي فخذلي من تجارة هؤلاء القوم لعلي أن أصيب منها فانهم اذا رأوك معي أعطوني فخرج العم مع الفتى ليلا فلما بلغ الشيخ ذلك السبط قتله الفتى ثم رجع الى أهله فلما أصبح جاء كانه يطلب عمه كانه لا يدري أين هو فلم يجده فانطلق نحوه فاذا هو بذلك السبط مجتمعين عليه فاخذهم وقال قتلتم عمي فأدوا لي ديته ، فجعل يبكي ويحثو التراب على رأسه وينادي واعماه فرفعهم الى موسى فقضى عليهم بالدية فقالوا له يارسول الله ادع لنا ربك حتى يبين لنا من صاحبه فيؤخذ صاحب القضية فوالله ان ديته علينا لهينة ولكن نستحي أن نعير به فذلك حين يقول تعالى (واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون) فقال لهم موسى (ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة) قالوا نسألك عن القتيل وعمن قتله وتقول اذبحوا بقرة أتهزأ بنا (قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين) قال ابن عباس فلو اعترضوا بقرة فذبحوها لاجزأت عنهم ولكن شددوا وتعنتوا على موسى فشدد الله عليهم فقالوا (ادع لنا ربك يبين لنا ماهي قال انه يقول انها بقرة لافارض ولا بكر عوان بين ذلك) والفارض الهرمة التى لا تولد والبكر التى لم تلد الا ولدا واحدا والعوان النصف التي بين ذلك التي قد ولدت وولد ولدها (فافعلوا ماتؤمرون ۝ قالوا ادع لنا ربك يبين لنا مالونها قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها) قال نقي لونها (تسر الناظرين) قال تعجب الناظرين (قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ماهي ان البقر تشابه علينا وإنا ان شاء الله لمهتدون ۝ قال انه يقول انها بقرة لاذلول تثير الارض ولا تسقي الحرث مسلمة لا شية فيها) من بياض ولا سواد ولا حمرة قالوا (الآن جئت بالحق) فطلبوها فلم يقدروا عليها وكان رجل في بني اسرائيل من أبر الناس بأبيه وان رجلا مر به معه لؤلؤ يبيعه وكان أبوه نائما تحت رأسه المفتاح فقال له الرجل تشتري مني هذا اللؤلؤ بسبعين ألفا؟ فقال له الفتى كما أنت حتى يستيقظ أبي فآخذه منك بثمانين ألفا، قال الآخر أيقظ أباك وهو لك

ابيعها ؟ قالت : بثلاثة دنانير ولا تبع بغير مشورتي ، وكان ثمن البقرة يومئذ ثلاثة دنانير ۔ فانطلق بها الى السوق ۔ فبعث الله ملكا ليري خلقه قدرته وليختبر الفتى كيف بره أمه ، وكان الله به خبيرا فقال له الملك : بكم تبيع هذه البقرة قال : بثلاثة دنانير وأشترط عليك رضى والدتي فقال الملك : لك ستة دنانير ولا تستأمر والدتك فقال الفتى : لو أعطيتني وزنها ذهبا لم آخذه إلا برضا أمي فردها الى أمه وأخبرها بالثمن فقالت : ارجع فبعها بستة دنانير على رضى مني فانطلق بها الى السوق وأتى الملك

بستين ألفا فجعل التاجر يحط له حتى بلغ ثلاثين ألفا وزاد الاخر على ان ينتظر أباه حتى يستيقظ حتى بلغ مائة الف فلما أكثر عليه قال والله لا اشتريه منك بشيء أبدا وأبي أن يوقظ أباه فعوضه الله من ذلك اللؤلؤ أن جعل له تلك البقرة فمرت به بنو اسرائيل يطلبون البقرة وأبصروا البقرة عنده فسألوه أن يبيعهم اياها بقرة ببقرة فأبى فاعطوه ثنتين فابي فزادوه حتى بلغوا عشرا فقالوا والله لا نتركك حتى نأخذها منك فانطلقوا به الى موسى عليه السلام فقالوا يا بني الله انا وجدناها عند هـذا وأبي أن يعطيناها وقد أعطيناه ثمنا فقال له موسى أعطهم بقرتك فقال يارسول الله أنا أحق بمالي فقال صدقت وقال للقوم أرضوا صاحبكم فاعطوه وزنها ذهبا فأبي فاضعفوه له حتي أعطوه وزنها عشر مرات ذهبا فباعهم اياها وأخذ ثمنها فذبحوها، قال اضربوه ببعضها فضربوه بالبضعة التي بين الكتفين فعاش فسألوه من قتلك فقال لهم ابن أخي قال: أقتله فآخذ ماله وأنكح ابنته. فأخذوا الغلام فقتلوه، وقال سنيد حدثنا حجاج هو ابن محمد عن ابن جريج عن مجاهد وحجاج عن أبي معشر عن محمد بن كعب القرظي ومحمد بن قيس-دخل حديث بعضهم في حديث بعض- « قالوا ان سبطا من بني اسرائيل لما رأوا كثرة شرور الناس بنوا مدينة فاعتزلوا شرور الناس فكانوا اذا أمسوا لم يتركوا أحدا منهم خارجا الا أدخلوه واذا اصبحوا قام رئيسهم فنظر وأشرف فاذا لم ير شيئا فتح المدينة فكانوا مع الناس حتى يمسوا قال وكان رجل من بني اسرائيل له مال كثير ولم يكن له وارث غير أخيه فطال عليه حياته فقتله ليرثه ثم حمله فوضعه على باب المدينة ثم كمن في مكان هو وأصحابه قال فأشرف رئيس المدينة على باب المدينة فنظر فلم ير شيئا ففتح الباب فلما رأى القتيل رد الباب فناداه أخو المقتول وأصحابه هيهات قتلتموه ثم تردون الباب؟ وكان موسى لما رأى القتل كثيرا في بني اسرائيل كان اذا رأى القتيل بين ظهراني القوم أخذهم فكاد يكون بين أخي المقتول وبين أهل المدينة قتال حتى لبس الفريقان السلاح ثم كف بعضهم عن بعض فأتوا موسى فذكروا له شأنهم، قالوا ياموسى ان هؤلاء قتلوا قتيلا ثم ردوا الباب قال اهل المدينة يارسول الله قد عرفت اعتزالنا الشرور وبنينا مدينة كما رأيت نعتزل شرور الناس والله ماقتلنا ولاعلمنا. قاتلا فأوحى الله تعالى اليه أن يذبحوا بقرة فقال لهم موسى (ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة) وهذه السياقات عن عبيدة وأبي العالية والسدي وغيرهم فيها اختلاف والظاهر أنها مأخوذة من كتب بني اسرائيل وهي مما يجوز نقلها ولكن لا تصدق ولا تكذب فلهذا لا يعتمد عليها (١) الا ماوافق الحق عندنا والله أعلم

فقال: استأمرت أمك فقال الفتى: إنها أمرتني أن لا أنقصها عن ستة دنانير على أن استأمرها فقال الملك: فاني أعطيتك إثنى عشر على أن لا تستأمرها، فأبى الفتي ورجع الى أمه فأخبرها بذلك فقالت إن الذي يأتيك ملك في صورة آدمي ليختبرك فاذا أتاك فقل له: أتأمرنا أن نبيع هذه البقرة أم لا؟ ففعل فقال له الملك: اذهب الى أمك وقل لها امسكي هذه البقرة فان موسى بن عمران عليه السلام يشتريها منك لقتيل يقتل في بني إسرائيل فلا تبعها إلا بملء مسكها دنانير فامسكها، وقدر الله تعالى-

(١) الحق انه لم يكن ينبغي حشر تلك الاساطير الاسرائيلية في تفسير كتاب الله وان المراد بحديث أبي هريرة عند أبي داود « حدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج » ما كان من العبر التاريخية التى لا تضل الناس في في تفسير أمر الدين كتفسير الله تعالى أو سنة رسوله (ص) وقد كان منهم من يتعمد اضلال المسلمين وتلبيس دينهم عليهم ولذلك كانوا يخبرونهم بما لا يصح عنهم ويكتمون عنهم نصوص التوراة نفسها

(٦٧) قالوا ادع لنا ربك يبين لناماهي قال انه يقول انها بقرة لافارض ولا بكر عوان بين ذلك فافعلوا ماتؤمرون (٦٨) قالوا ادع لنا ربك يبين لنا مالونها قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين (٦٩) قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي ان البقر تشابه علينا وانا ان شاء الله لمهتدون (٧٠) قال انه يقول انها بقرة لاذلول تثير الارض ولا تسقي الحرث مسلمة لا شية فيها قالوا الآن جئت بالحق فذبحوها وما كادوا يفعلون

أخبر تعالى عن تعنت بني اسرائيل وكثرة سؤالهم لرسولهم ولهذا لما ضيقوا على انفسهم ضيق الله عليهم ولو أنهم ذبحوا أي بقرة كانت لوقعت الموقع عنهم كما قال ابن عباس وعبيدة وغير واحد ولكنهم شددوا فشدد عليهم فقالوا (ادع لنا ربك يبين لنا ما هي) أي ماهذه البقرة وأي شيء صفتها قال ابن جرير حدثنا ابو كريب حدثنا هشام بن علي عن الاعمش عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لو أخذوا أدنى بقرة لاكتفوا بها ولكنهم شددوا فشدد عليهم — اسناد صحيح — وقد رواه غير واحد عن ابن عباس وكذا قال عبيدة والسدي ومجاهد وعكرمة وابو العالية وغير واحد ، وقال ابن جريج قال لي عطاء لو أخذوا أدنى بقرة لكفتهم قال ابن جريج قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «انما أمروا بادني بقرة ولكنهم لما شددوا شدد الله عليهم وايم الله لو أنهم لم يستثنوا لما بينت لهم آخر الابد » قال(انه يقول انها بقرة لافارض ولا بكر) أي لا كبيرة هرمة ولا صغيرة لم يلحقها الفحل كما قاله أبو العالية والسدي ومجاهد وعكرمة وعطية العوفي وعطاء الخراساني ووهب بن منبه والضحاك والحسن وقتادة وقاله ابن عباس أيضا وقال الضحاك عن ابن عباس عوان بين ذلك يقول نصف بين الكبيرة والصغيرة وهي أقوى مايكون من الدواب والبقر وأحسن ماتكون، وروي عن عكرمة ومجاهد وأبي العالية والربيع بن أنس وعطاء الخراساني والضحاك نحو ذلك ؛ وقال السدي العوان النصف التي بين ذلك التي قد ولدت وولد ولدها : وقال هشيم عن جويبر عن كثير بن زياد عن الحسن في البقرة كانت بقرة وحشية : وقال ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس من لبس نعلا صفراء لم يزل

على بني اسرائيل ذبح تلك البقرة بعينها فما زالوا يستوصفونها حتى وصفت لهم تلك البقرة بعينها مكافأة له على برّه بوالدته فضلا منه ورحمة فذلك قوله تعالى ﴿ قالوا : ادع لنا ربك يبين لنا ما هي ﴾ أي ما سنها ﴿ قال ﴾ موسى ﴿ انه يقول ﴾ يعني فسأل الله تعالى فقال انه يعني ان الله تعالى يقول ﴿ إنها بقرة لا فارض ولا بكر ﴾ أي لا كبيرة ولا صغيرة ؛ والفارض المسنة التي لا تلد يقال منه فرضت تفرض فروضا ؛ والبكر الفتية الصغيرة التي لم تلد قط ، وحذفت الهاء منهما للاختصاص بالاناث كالحائض ﴿ عوان ﴾ وسط نصف ﴿ بين ذلك ﴾ أى بين السنين يقال عونت المرأة تعوينا اذا زادت على الثلاثين : قال الاخفش : العوان التي نتجت مرارا وجمعها عون ﴿ فافعلوا ما تؤمرون ﴾ من ذبح

في سرور مادام لابسها وذلك قوله تعالى (تسر الناظرين) وكذا قال مجاهد ووهب بن منبه كانت صفراء . وعن ابن عمر كانت صفراء الظلف وعن سعيد بن جبير كانت صفراء القرن والظلف .وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا نصر بن علي حدثنا نوح بن قيس أنبأنا أبو رجاء عن الحسن في قوله تعالى (بقرة صفراء فاقع لونها) قال سوداء شديدة السواد وهذا غريب والصحيح الاول ولهذا أكد صفرتها بانه (فاقع لونها) وقال عطية العوفي (فاقع لونها) تكاد تسود من صفرتها وقال سعيد بن جبير (فاقع لونها) قال صافية اللون . وروي عن أبي العالية والربيع بن أنس والسدي والحسن وقتادة نحوه : وقال شريك عن معمر عن ابن عمر (فاقع لونها) قال صاف . وقال العوفي في تفسيره عن ابن عباس (فاقع لونها) شديدة الصفرة تكاد من صفرتها تبيض وقال السدي (تسر الناظرين) أي تعجب الناظرين وكذا قال أبو العالية وقتادة والربيع بن أنس . وقال وهب بن منبه اذا نظرت الى جلدها تخيلت أن شعاع الشمس يخرج من جلدها . وفي التوراة انها كانت حمراء فلعل هذا خطأ في التعريب ، أو كما قال الاول انها كانت شديدة الصفرة تضرب الى حمرة وسواد والله أعلم . وقوله تعالى (ان البقرة تشابه علينا) أي لكثرتها فميز لنا هذه البقرة وصفها وحلها لنا (وانا ان شاء الله) اذا بينتها لنا (لمهتدون) اليها وقال ابن أبي حاتم حدثنا احمد بن يحيى الاودي الصوفي حدثنا أبو سعيد احمد بن داود الحداد حدثنا سرور بن المغيرة الواسطي ابن أخي منصور بن زاذان عن عباد بن منصور عن الحسن عن أبي رافع عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لولا ان بني اسرائيل قالوا (وانا ان شاء الله لمهتدون) لما أعطوا ولكن استثنوا» ورواه الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسيره من وجه آخر عن سرور بن المغيرة عن زاذان عن عباد بن منصور عن الحسن عن حديث أبي رافع عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لولا ان بني اسرائيل قالوا (وانا ان شاء الله لمهتدون) ما أعطوا أبدا ولو انهم اعترضوا بقرة من البقر فذبحوها لاجزأت عنهم ولكن شددوا فشدد الله عليهم» وهذا حديث غريب من هذا الوجه وأحسن أحواله ان يكون من كلام أبي هريرة كما تقدم مثله عن السدى والله أعلم (قال انه يقول انها بقرة لا ذلول تثير الارض ولا تسقى الحرث) أي انها ليست مذللة بالحراثة ولا معدة للسقي في الساقية بل هي مكرمة حسنة صبيحة مسلمة صحيحة لا عيب فيها (لاشية فيها) أي ليس فيها لون غير لونها ، وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة مسلمة يقول لا عيب

البقرة ولا تكثروا السؤال ﴿ قالوا : ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال : انه يقول إنها بقرة صفراء فاقع لونها ﴾ قال ابن عباس : شديد الصفرة وقال قتادة : صاف وقال الحسن : الصفراء السوداء والاول أصح لانه لا يقال أسود فاقع انما يقال : أصفر فاقع ، واسود حالك ، واحمر قانيء ، واخضر ناضر ، وابيض يقق للمبالغة ﴿ تسر الناظرين ﴾ اليها يعجبهم حسنها وصفاء لونها ﴿ قالوا : ادع لنا ربك يبين لنا ما هي ﴾ أسائمة أم عاملة ﴿ إن البقر تشابه علينا ﴾ ولم يقل تشابهت لتذكير لفظ البقر كقوله تعالى (أعجاز نخل منقعر) وقال الزجاج : أي جنس البقر تشابه أي التبس واشتبه أمره علينا

فيها ، وكذا قال أبو العالية والربيع وقال مجاهد مسلمة من الشية ، وقال عطاء الخراساني مسلمة القوائم والخلق لاشية فيها ، قال مجاهد لا بياض ولا سواد ، وقال أبو العالية والربيع والحسن وقتادة ليس فيها بياض وقال عطاء الخراساني لاشية فيها قال لونها واحد بهيم ، وروى عن عطية العوفي ووهب ابن منبه واسمعيل بن أبي خالد نحو ذلك ، وقال السدي لاشية فيها من بياض ولا سواد ولا حمرة وكل هذه الاقوال متقاربة في المعنى ، وقد زعم بعضهم ان المعنى في ذلك قوله تعالى (انها بقرة لا ذلول) ليست بمذللة بالعمل ثم استأنف فقال (تثير الارض) أي يعمل عليها بالحراثة لكنها لا تسقى الحرث وهذا ضعيف لانه فسر الذلول التي لم تذلل بالعمل بأنها لا تثير الارض ولا تسقي الحرث، كذا قرره القرطبي وغيره (قالوا الآن جئت بالحق) قال قتادة الآن بينت لنا وقال عبد الرحمن ابن زيد بن أسلم وقيل ذلك والله جاءهم الحق (فذبحوها وما كادوا يفعلون) قال الضحاك عن ابن عباس كادوا ان لا يفعلوا ولم يكن ذلك الذي أرادوا لانهم أرادوا ان لا يذبحوها ، يعني أنهم مع هذا البيان وهذه الاسئلة والاجوبة والايضاح ما ذبحوها الا بعد الجهد، وفي هذا ذم لهم وذلك انه لم يكن غرضهم الا التعنت فلهذا ما كادوا يذبحونها ، وقال محمد بن كعب ومحمد بن قيس فذبحوها وما كادوا يفعلون لكثرة ثمنها وفي هذا نظر لان كثرة الثمن لم يثبت الا من نقل بني اسرائيل كما تقدم من حكاية أبي العالية والسدي ، ورواه العوفي عن ابن عباس ، وقال عبيدة ومجاهد ووهب بن منبه وأبو العالية وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم أنهم اشتروها بمال كثير وفيه اختلاف ثم قد قيل في ثمنها غير ذلك ، وقال عبد الرزاق أنبأنا ابن عيينة أخبرني محمد بن سوقة عن عكرمة قال : ما كان ثمنها الا ثلاثة دنانير وهذا اسناد جيد عن عكرمة والظاهر انه نقله عن أهل الكتاب أيضا ، وقال ابن جرير وقال آخرون لم يكادوا أن يفعلوا ذلك خوف الفضيحة ان اطلع الله على قاتل القتيل الذي اختصموا فيه ولم يسنده عن أحد ثم اختار ان الصواب في ذلك انهم لم يكادوا يفعلوا ذلك لغلاء ثمنها وللفضيحة وفي هذا نظر بل الصواب والله أعلم ما تقدم من رواية الضحاك عن ابن عباس على ما وجهناه وبالله التوفيق

(مسئلة) استدل بهذه الآية في حصر صفات هذه البقرة حتى تعينت أو تم تقييدها بعد الاطلاق على صحة السلم في الحيوان كما هو مذهب مالك والاوزاعي والليث والشافعي وأحمد وجمهور العلماء

فلا نهتدي اليه ﴿ وإنا إن شاء الله لمهتدون ﴾ إلى وصفها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « وأيم الله لو لم يستثنوا لما بينت لهم الى آخر الابد » ﴿ قال : إنه يقول انها بقرة لا ذلول ﴾ مذللة بالعمل يقال: رجل ذلول بين الذل ، ودابة ذلول بينة الذل ﴿ تثير الارض ﴾ تقلبها للزراعة ﴿ ولا تسقي الحرث ﴾ أي ليست بساقية ﴿ مسلمة ﴾ بريئة من العيوب ﴿ لاشية فيها ﴾ لا لون لها سوى لون جميع جلدها قال عطاء : لا عيب فيها وقال مجاهد : لا بياض فيها ولا سواد ﴿ قالوا : الآن جئت بالحق ﴾ أي بالبيان التام الشافي الذي لا إشكال فيه وطلبوها فلم يجدوا بكمال وصفها إلا مع الفتى فاشتروها بملء

سلفا وخلفا بدليل ما ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم « لا تنعت المرأة المرأة لزوجها كأنه ينظر اليها » وكما وصف النبي صلى الله عليه وسلم ابل الدية في قتل الخطأ وشبه العمد بالصفات المذكورة بالحديث وقال أبوحنيفة والثوري والكوفيون لايصح السلم في الحيوان لانه لاتنضبط أحواله وحكي مثله عن ابن مسعود وحذيفة بن اليمان وعبد الرحمن بن سمرة وغيرهم

(٧١) واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها والله مخرج ماكنتم تكتمون (٧٢) فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون

قال البخاري (فادارأتم فيها) اختلفتم وهكذا قال مجاهد فيما رواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن أبي حذيفة عن شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد انه قال في قوله تعالى (واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها) اختلفتم ، وقال عطاء الخراساني والضحاك اختصمتم فيها ، وقال ابن جريج (واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها) قال قال بعضهم أنتم قتلتموه ، وقال آخرون بل أنتم قتلتموه وكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم (والله مخرج ما كنتم تكتمون) قال مجاهد ما تغيبون ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا عمرة بن أسلم البصري حدثنا محمد بن الطفيل العبدي حدثنا صدقة بن رستم سمعت المسيب بن رافع يقول ما عمل رجل حسنة في سبعة أبيات الا أظهرها الله وما عمل رجل سيئة في سبعة أبيات الا أظهرها الله وتصديق ذلك في كلام الله (والله مخرج ما كنتم تكتمون. فقلنا اضربوه ببعضها) هذا

مسكها ذهبا ﴿ فذبحوها وما كادوا يفعلون ﴾ من غلاء ثمنها وقال محمد بن كعب : وما كادوا يجدونها باجتماع أوصافها وقيل (وما كادوا يفعلون) من شدة اضطرابهم واختلافهم فيها ، قوله عز وجل ﴿ وإذ قتلتم نفسا ﴾ هذا أول القصة وإن كان مؤخرا في التلاوة وإسم القتيل عاميل ﴿ فادّارأتم فيها ﴾ أصله تدارأتم فأدغمت التاء في الدال وأدخلت الالف مثل قوله اثاقلتم . قال ابن عباس ومجاهد : معناه فاختلفتم وقال الربيع بن أنس : تدافعتم أي يحيل بعضكم على بعض من الدرء وهو الدفع فكان كل واحد يدفع عن نفسه ﴿ والله مخرج ﴾ أي مظهر ﴿ ما كنتم تكتمون ﴾ فان القاتل كان يكتم القتل قوله عز وجل ﴿ فقلنا اضربوه ﴾ يعني القتيل ﴿ ببعضها ﴾ أى ببعض البقرة ، واختلفوا في ذلك البعض قال ابن عباس رضي الله عنه وأكثر المفسرين : ضربوه بالعظم الذي يلي الغضروف وهو المقتل . وقال مجاهد وسعيد بن جبير : بعجب الذنب لانه أول ما يخلق وآخر ما يبلى ، ويركب عليه الخلق ثانيا وهو البعث . وقال الضحاك : بلسانها وقال الحسين بن الفضل: هذا أدل بها لانه آلة الكلام وقال الكلبي وعكرمة : بفخذها الايمن وقيل : بعضو منها لا بعينه. ففعلوا ذلك فقام القتيل حيا باذن الله تعالى وأوداجه أي عروق العنق تشخب دما وقال : قتلني فلان ثم سقط ومات مكانه فحرم قاتله الميراث . وفي الخبر « ماورث قاتل بعد صاحب البقرة » وفيه إضمار تقديره فضربت فحيي ﴿ كذلك يحيي الله الموتى ﴾ كما أحيا عاميل ﴿ ويريكم آياته لعلكم تعقلون ﴾ قيل تمنعون أنفسكم من المعاصي .

البعض أي شيء كان من أعضاء هذه البقرة فالمعجزة حاصلة به وخرق العادة به كائن وقد كان معينا في نفس الامر فلو كان في تعيينه لنا فائدة تعود علينا في أمر الدين اوالدنيا لبينه الله تعالى لنا ولكنه أبهمه ولم يجيء من طريق صحيح عن معصوم بيانه فنحن نبهمه كما أبهمه الله(١) ولهذا قال ابن أبي حاتم حدثنا احمد بن سنان حدثنا عفان بن مسلم حدثنا عبد الواحد بن زياد حدثنا الاعمش عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال ان أصحاب بقرة بني اسرائيل طلبوها أربعين سنة حتى وجدوها عند رجل في بقر له وكانت بقرة تعجبه قال فجعلوا يعطونه بها فيأبى حتى أعطوه ملء مسكها دنانير فذبحوها فضربوه — يعني القتيل — بعضو منها فقام تشخب أوداجه دما فقالوا له من قتلك قال قتلني فلان . وكذا قال الحسن وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم أنه ضرب ببعضها . وفي رواية عن ابن عباس انه ضرب بالعظم الذي يلي الغضروف . وقال عبد الرزاق أنبأنا معمر قال قال أيوب عن ابن سيرين عن عبيدة ضربوا القتيل ببعض لحمها ، قال معمر قال قتادة ضربوه بلحم فخذها فعاش فقال قتلني فلان وقال وكيع بن الجراح في تفسيره حدثنا النضر بن عربي عن عكرمة (فقلنا اضربوه ببعضها) فضرب بفخذها فقام فقال قتلني فلان ، قال ابن أبي حاتم وروي عن مجاهد وقتادة وعكرمة نحو ذلك . وقال السدي فضربوه بالبضعة التي بين الكتفين فعاش فسألوه فقال قتلني ابن أخي . وقال أبو العالية أمرهم موسى عليه السلام أن يأخذوا عظما من عظامها فيضربوا به القتيل ففعلوا فرجع اليه روحه فسمى لهم قاتله ثم عاد ميتا كما كان ، وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : فضربوه ببعض

(١) ياليته هو وسائر المفسرين عملوا بهذا فى كل مبهمات القرآن ، واذا لاستغنى عن أكثر ما دونه في هذه القصة وأمثالها

أما حكم هذه المسئلة في الاسلام اذا وجد قتيل في موضع ولا يعرف قاتله فان كان ثم لوث على إنسان واللوث أن يغلب على القلب صدق المدعي بأن اجتمع جماعة في بيت أو صحراء فتفرقوا عن قتيل يغلب على القلب أن القاتل فيهم . أو وجد قتيل في محلة أو قرية كلهم أعداء للقتيل لايخالطهم غيرهم فيغلب على القلب أنهم قتلوه . فادعى الولي على بعضهم ـ يحلف المدعي خمسين يمينا على من يدعي عليه ، وان كان الاولياء جماعة توزع الايمان عليهم ، ثم بعد ما حلفوا أخذوا الدية من عاقلة المدعى عليه إن ادعوا قتل خطأ . وان ادعوا قتل عمد فمن ماله ولا قود على قول الاكثرين وذهب بعضهم الى وجوب القود ، وهو قول عمر بن عبد العزيز وبه قال مالك واحمد . وان لم يكن على المدعى عليه لوث فالقول قول المدعى عليه مع يمينه ، ثم هل يحلف يمينا واحدة أم خمسين يمينا؟ فيه قولان (أحدهما) يمينا واحدة كما في سائر الدعاوي (والثاني) يحلف خمسين يمينا تغليظا لامر الدم ، وعند أبي حنيفة رضي الله عنه : لاحكم للوث ولا يبدأ بيمين المدعي وقال : اذا وجد قتيل في محلة يختار الامام خمسين رجلا من صلحاء أهلها فيحلفهم أنهم ماقتلوه ولا عرفوا له قاتلا ثم يأخذ الدية من سكانها . والدليل على إن البداية بيمين المدعي عند وجود اللوث ما أخبرنا عبد الوهاب ابن محمد الخطيب أنا عبد العزيز بن احمد الخلال أنا أبو العباس محمد بن يعقوب الاصم أنا الربيع أنا الشافعي أنا عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي عن يحيى بن سعيد عن بشير بن يسار عن سهل بن

ارابها وقيل بلسانها وقيل بعجب ذنبها ، وقوله تعالى (كذلك يحيي الله الموتى) أي فضربوه فحيي ونبه تعالى على قدرته واحيائه الموتى بما شاهدوه من أمر القتيل جعل تبارك وتعالى ذلك الصنيع حجة لهم على المعاد، وفاصلا ما كان بينهم من الخصومة والعناد ، والله تعالى قد ذكر في هذه السورة مما خلقه من احياء الموتى في خمسة مواضع (ثم بعثنا كم من بعد موتكم) وهذه القصة وقصة الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت وقصة الذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها وقصة ابراهيم عليه السلام والطيور الاربعة، ونبه تعالى باحياء الارض بعد موتها على إعادة الاجسام بعد صيرورتها رميما كما قال أبو داود الطيالسي : حدثنا شعبة أخبرني يعلى بن عطاء قال سمعت وكيع بن عدس يحدث عن أبي رزين العقيلي رضي الله عنه ، قال قلت يارسول الله كيف يحيي الله الموتى ؟ قال « أما مررت بواد ممحل ثم مررت به خضرا ؟ قال بلى: قال« كذلك النشور » أو قال« كذلك يحيي الله الموتى » وشاهد هذا قوله تعالى (وآية لهم الارض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون ، وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون)

(مسئلة) استدل لمذهب الامام مالك في كون قول الجريح فلان قتلني لوثا بهذه القصة لان القتيل لما حيي سئل عمن قتله فقال فلان قتلني فكان ذلك مقبولا منه لانه لا يخبر حينئذ الا بالحق ولا يتهم والحالة هذه ورجحوا ذلك لحديث أنس أن يهوديا قتل جارية على أوضاح لها فرضخ رأسها بين حجرين فقيل من فعل بك هذا أفلان أفلان حتى ذكروا اليهودي فأومأت برأسها فأخذ اليهودي فلم يزل به حتى اعترف فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يرض رأسه بين حجرين ، وعند مالك اذا كان لوثا حلف أولياء القتيل قسامة وخالف الجمهور في ذلك ولم يجعلوا قول القتيل في ذلك لوثا

أبي حثمة أن عبد الله بن سهل ومحيصة بن مسعود خرجا الى خيبر فتفرقا لحاجتهما فقتل عبد الله بن سهل فانطلق هو وعبد الرحمن أخو المقتول وحويصة بن مسعود الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكروا له قتل عبد الله بن سهل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تحلفون خمسين يمينا وتستحقون دم صاحبكم أو قاتلكم » فقالوا يارسول الله لم نشهد ولم نحضر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « فتبرئكم يهود بخمسين يمينا » فقالوا : يارسول الله كيف نقبل أيمان قوم؟ كفار فزعم النبي صلى الله عليه وسلم عقله من عنده . وفي لفظ آخر فزعم ان النبي صلى الله عليه وسلم عقله من عنده . قال بشير ابن يسار: قال سهل لقد ركضتني فريضة من تلك الفرائض في مربد لنا ، وفي رواية : لقد ركضتني ناقة حمراء من تلك الفرائض في مربد لنا . وجه الدليل من الخبر : أن النبي صلى الله عليه وسلم بدأ بأيمان المدعين لتقوى جانبهم باللوث وهو أن عبد الله بن سهل وجد قتيلا في خيبر وكانت العداوة ظاهرة بين الانصار وأهل خيبر ، وكان يغلب على القلب أنهم قتلوه واليمين أبدا تكون حجة لمن يقوى جانبه ، وعند عدم اللوث تقوى جانب المدعى عليه من حيث ان الاصل براءة ذمته وكان القول قوله مع يمينه ،

ابن عباس (واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى) قال مقام ابراهيم الحرم كله . وروى عن مجاهد وعطاء مثل ذلك . وقال أيضا أخبرنا الحسن بن محمد بن الصباح حدثنا حجاج عن ابن جريج قال: سألت عطاء عن (واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى) فقال سمعت ابن عباس قال : أما مقام ابراهيم الذي ذكر ههنا فمقام ابراهيم هذا الذي في المسجد . ثم قال ومقام ابراهيم(١) يعد كثير مقام ابراهيم الحج كله . ثم فسره لي عطاء فقال: التعريف وصلاتان بعرفة والمشعر(٢) ومنى ورمي الجمار والطواف بين الصفا والمروة ، فقلت أفسره ابن عباس ؟ قال لا . ولكن قال مقام ابراهيم الحج كله . قلت أسمعت ذلك لهذا أجمع ؟ قال نعم سمعته منه . وقال سفيان الثوري عن عبد الله بن مسلم عن سعيد بن جبير (واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى) قال الحجر مقام ابراهيم نبي الله قد جعله الله رحمة فكان يقوم عليه ويناوله اسماعيل الحجارة ولو غسل رأسه كما يقولون لاختلف رجلاه . وقال السدي : المقام الحجر الذي وضعته زوجة اسمعيل تحت قدم ابراهيم حتى غسلت رأسه . حكاه القرطبي وضعفه ورجحه غيره ، وحكاه الرازي في تفسيره عن الحسن البصري وقتادة والربيع بن أنس . وقال ابن أبي حاتم : أخبرنا الحسن بن محمد بن الصباح أخبرنا عبد الوهاب بن عطاء عن ابن جريج عن جعفر بن محمد عن أبيه سمع جابرا يحدث عن حجة النبي صلى الله عليه وسلم . قال: لما طاف النبي صلى الله عليه وسلم قال له عمر هذا مقام أبينا ؟ قال نعم ، قال أفلا نتخذه مصلى؟ فأنزل الله عز وجل (واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى) وقال عثمان بن أبي شيبة أخبرنا أبو أسامة عن زكريا عن أبي اسحق عن أبي ميسرة قال قال عمر قلت يارسول الله هذا مقام خليل ربنا ؟ قال نعم . قال أفلا نتخذه مصلى ؟ فنزلت (واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى) وقال ابن مردويه اخبرنا دعلج بن أحمد أخبرنا غيلان بن عبد الصمد أخبرنا مسروق بن المرزبان أخبرنا زكريا ابن أبي زائدة عن أبي اسحق عن عمرو بن ميمون عن عمر بن الخطاب أنه مر بمقام ابراهيم فقال: يا رسول الله أليس نقوم بمقام خليل ربنا؟ قال بلى ، قال أفلا نتخذه مصلى ؟ فلم يلبث الا يسيرا حتى نزلت (واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى) وقال ابن مردويه أخبرنا علي بن أحمد بن محمد القزويني أخبرنا علي بن الحسين حدثنا الجنيد أخبرنا هشام بن خالد أخبرنا الوليد عن مالك بن أنس عن جعفر بن محمد

(١) كذا في الاصل وسبب أمثال هذا التكرار الامانة في النقل بحكاية ماقيل بلفظه

(٢) أي مزدلفة

في المسجد يصلي اليه الائمة ، وذلك الحجر الذي قام عليه ابراهيم عند بناء البيت ، وقيل : كان أثر أصابع رجليه بينا فيه فاندرس من كثرة المسح بالايدي ، قال قتادة ومقاتل والسدي: أمروا بالصلاة عند مقام ابراهيم ولم يؤمروا بمسحه وتقبيله . أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا احمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل أنا مسدد عن يحيى بن حميد عن أنس قال : قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : وافقت الله في ثلاث أو وافقني ربي في ثلاث قلت يارسول الله لو اتخذت مقام ابراهيم مصلى ! فأنزل الله تعالى (واتخذوا من مقام ابراهيم مصلي) وقلت يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب فأنزل الله عز وجل آية الحجاب ، قال وبلغني

عن أبيه عن جابر قال : لما وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة عند مقام ابراهيم قال له عمر يارسول الله هذا مقام ابراهيم الذي قال الله (واتخذو من مقام ابراهيم مصلى) قال نعم : قال الوليد : قلت لمالك هكذا احدثك واتخذوا(١)قال نعم هكذا وقع في هذه الرواية وهو غريب وقد روى النسائي من حديث الوليد بن مسلم نحوه . وقال البخاري : باب قوله (واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى) مثابة يثوبون يرجعون . حدثنا مسدد أخبرنا يحيى عن حميد عن أنس بن مالك . قال قال عمر بن الخطاب : وافقت ربي في ثلاث أو وافقني ربي في ثلاث : قلت يارسول الله لو اتخذت من مقام ابراهيم مصلى فنزلت (واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى) وقلت يارسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب فأنزل الله آية الحجاب . قال وبلغني معاتبة النبي صلى الله عليه وسلم بعض نسائه فدخلت عليهن فقلت ان انتهيتن أو ليبدلن الله رسوله خيرا منكن حتى أتت احدى نسائه قالت : ياعمر أما في رسول الله ما يعظ نساءه حتى تعظهن أنت فأنزل الله (عسى ربه ان طلقكن ان يبدله أزواجا خيرا منكن مسلمات) الآية وقال ابن أبي مريم أخبرنا يحيى بن أيوب حدثني حميد قال سمعت أنسا عن عمر رضي الله عنهما هكذا ساقه البخاري ههنا وعلق الطريق الثانية عن شيخه سعيد بن الحكم المعروف بابن أبي مريم المصري وقد تفرد بالرواية عنه البخاري من بين أصحاب الكتب الستة . وروى عنه الباقون بواسطة وغرضه من تعليق هذا الطريق ليبين فيه اتصال اسناد الحديث وانما لم يسنده لان يحيى بن أبي أيوب الغافقي فيه شيء كما قال الامام أحمد فيه هو سيء الحفظ والله أعلم . وقال الامام أحمد حدثنا هشيم أخبرنا حميد عن أنس قال : قال عمر رضي الله عنه وافقت ربي عز وجل في ثلاث قلت : يارسول الله لو اتخذت من مقام ابراهيم مصلى فنزلت (واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى) وقلت يارسول الله ان نساءك يدخل عليهن البر والفاجر فلو أمرتهن ان يحتجبن فنزلت آية الحجاب . واجتمع على رسول الله صلى الله عليه وسلم نساؤه في الغيرة فقلت لهن (عسى ربه ان طلقكن ان يبدله ازواجا خيرا منكن) فنزلت كذلك « ثم رواه أحمد عن يحيى وابن أبي عدي كلاهما عن حميد عن أنس عن عمر أنه قال

(١) كذا في الاصل

معاتبة النبي صلى الله عليه وسلم بعض نسائه فدخلت عليهن فقلت لهن : إن انتهيتن أو ليبدلنه الله خيرا منكن فأنزل الله تعالى (عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن) الآية ورواه محمد بن اسماعيل أيضا عن عمرو بن عون أنا هشام عن حميد عن أنس رضي الله عنه قال : قال عمر رضي الله عنه : وافقت ربي في ثلاث قلت يارسول الله لو اتخذت من مقام ابراهيم مصلى فنزلت (واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى) . وأما بدء قصة المقام فقد روى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما أتى ابراهيم باسماعيل وهاجر وضعهما بمكة وأتت على ذلك مدة ونزلها الجرهميون وتزوج اسماعيل منهم امرأة وماتت هاجر واستأذن ابراهيم سارة أن يأتي هاجر فأذنت له وشرطت عليه أن لا ينزل فقدم ابراهيم مكة وقد ماتت هاجر فذهب الى بيت اسماعيل فقال لامرأته

قالت ألا ليتما هذا الحمام لنا   الى حمامتنا أو نصفه فقد

تريد ونصفه قاله ابن جرير : وقال جرير بن عطية

نال الخلافة أو كانت له قدرا   كما أتى ربه موسى على قدر

قال ابن جرير يعني نال الخلافة وكانت له قدرا وقال آخرون أو ههنا بمعنى بل فتقديره (فهي كالحجارة بل أشد قسوة) وكقوله (اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية) (وأرسلناه الى مائة الف أو يزيدون) (فكان قاب قوسين أو أدنى) وقال آخرون معني ذلك (فهي كالحجارة أو أشد قسوة عندكم) حكاه ابن جرير : وقال آخرون المراد بذلك الابهام على المخاطب كما قال ابو الاسود

أحب محمدا حبا شديدا   وعباسا وحمزة والوصيا

فان يك حبهم رشدا أصبه   وليس بمخطىء ان كان غيا

قال ابن جرير قالوا ولا شك أن أبا الاسود لم يكن شاكا في ان حب من سمى رشدولكنه أبهم على من خاطبه قال وقد ذكر عن أبي الاسود انه لما قال هذه الابيات قيل له شككت فقال كلا والله ثم انتزع يقول الله تعالى (وانا أواياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين) فقال أو كان شاكا من أخبر بهذا من الهادي منهم ومن الضال؟ وقال بعضهم معني ذلك فقلوبكم لا تخرج عن أحد هذين المثلين اما ان تكون مثل الحجارة في القسوة واما ان تكون أشد منها في القسوة ▪ قال ابن جرير

العلوي انا احمد بن محمد بن عبد الوهاب النيسابوري انا محمد بن اسماعيل الصائغ انا يحيى بن أبي بكر انا ابراهيم بن طهمان عن سماك بن حرب عن جابر بن سمرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إني لاعرف حجرا بمكة كان يسلم عليّ قبل أن أبعث وإني لاعرفه الآن » هذا حديث صحيح أخرجه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة عن يحيى بن أبي بكر . وصح عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طلع على أحد فقال « هذا جبل يحبنا ونحبه » . وروي عن ابي هريرة يقول : صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبح ثم أقبل على الناس بوجهه وقال « بينما رجل يسوق بقرة إذ عيي فركبها فضربها فقالت : إنا لم نخلق لهذا ، إنما خلقنا لحراثة الارض » فقال الناس : سبحان الله بقرة تتكلم ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « فاني أومن به أنا وأبو بكر وعمر وما هما ثم » وقال « بينما رجل في غنم له اذ عدا الذئب على شاة منها فأدركها صاحبها فاستنقذها فقال الذئب : فمن لها يوم السبع » أي يوم القيامة « يوم لا راعي لها غيري » فقال الناس : سبحان الله ذئب يتكلم ! ؟ فقال « أومن به أنا وأبو بكر وعمر وما هما ثم » . وصح عن أبي هريرة قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم على حراء هو وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير فتحركت الصخرة فقال النبي صلى الله عليه وسلم « إهدأ — أي اسكن — فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد » صحيح أخرجه مسلم . أنا احمد بن عبد الله الصالحي أنا أبو سعيد يحيى بن احمد بن علي الصائغ أنا أبو الحسن علي بن اسحق بن هشام

ومعني ذلك على هذا التأويل فبعضها كالحجارة قسوة و بعضها اشد قسوة من الحجارة وقد رجحه ابن جرير مع توجيه غيره (قلت) وهذا القول الاخير يبقى شبيها بقوله تعالى (مثلهم كمثل الذي استوقد نارا) مع قوله (أو كصيب من السماء) وكقوله (والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة) مع قوله (او كظلمات في بحر لجي) الآية أي ان منهم من هو هكذا ومنهم من هو هكذا والله أعلم :
وقال الحافظ ابو بكر بن مردويه حدثنا محمد بن احمد بن ابراهيم حدثنا محمد بن ايوب حدثنا محمد ابن عبد الله بن ابي الثلج حدثنا على بن حفص حدثنا ابراهيم بن عبد الله بن حاطب عن عبد الله ابن دينار عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله فان كثرة الكلام بغير ذكر الله قسوة القلب وان أبعد الناس من الله القلب القاسي » رواه الترمذي في كتاب الزهد من جامعه عن محمد بن عبد الله بن ابي الثلج صاحب الامام احمد به ومن وجه آخر عن ابراهيم بن عبد الله بن الحرث بن حاطب به ، وقال غريب لا نعرفه الا من حديث ابراهيم .
وروي البزار عن أنس مرفوعا « اربع من الشقا جمود العين وقساوة القلب وطول الأمل والحرص على الدنيا »

(٧٤) أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون (٧٥) واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلا بعضهم الى

الرازي أنا محمد أيوب بن ضريس وهو بجلي الرازي أنا محمد بن الصباح عن الوليد بن أبي ثور عن السدي عن عبادة بن أبي يزيد عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فخرجنا في نواحيها خارجا من مكة بين الجبال والشجر فلم يمر بشجرة ولا جبل إلا قال: السلام عليك يا رسول الله . أنا أبو الحسن عبد الوهاب بن محمد الخطيب أنا عبد العزيز بن احمد الخلال أنا أبو العباس الاصم أنا الربيع أنا الشافعي أنا عبد المجيد بن عبد العزيز عن ابن جريج أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله رضي الله عنه يقول : كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا خطب استند الى جذع نخلة من سواري المسجد فلما صنع له المنبر فاستوى عليه اضطربت تلك السارية وحنت كحنين الناقة حتى سمعها أهل المسجد حتى نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتنقها فسكتت ■ قال مجاهد : لا ينزل حجر من الاعلى الى الاسفل الا من خشية الله ، ويشهد لما قلنا قوله تعالى (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون) — قوله عز وجل ﴿ وما الله بغافل ﴾ بساه ﴿ عما تعملون ﴾ وعيد وتهديد وقيل: بتارك عقوبة ماتعملون بل يجازيكم به ، قرأ ابن كثير يعملون بالياء والآخرون بالتاء ■ قوله عز وجل ﴿ أفتطمعون ﴾ أفترجون يريد محمدا وأصحابه ﴿ أن يؤمنوا لكم ﴾ تصدقكم اليهود بما تخبرونهم به ﴿ وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ﴾ يعنى التوراة ﴿ ثم يحرفونه ﴾ يغيرون ما فيها من الاحكام ﴿ من بعد ما عقلوه ﴾ علموه كما غيروا صفة محمد صلى الله عليه وسلم وآية الرجم ﴿ وهم يعلمون ﴾

بعض قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم افلا تعقلون (٧٦) أولا يعلمون ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون *

يقول تعالى (أفتطمعون) ايها المؤمنون (أن يؤمنوا لكم) أي ينقاد لكم بالطاعة هؤلاء الفرقة الضالة من اليهود الذين شاهد آباؤهم من الآيات البينات ماشاهدوه ثم قست قلوبهم من بعد ذلك (وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه) اي يتأولونه على غير تأويله (من بعد ماعقلوه) أي فهموه على الجلية ومع هذا يخالفونه على بصيرة (وهم يعلمون) أنهم مخطئون فيما ذهبوا اليه من تحريفه وتأويله وهذا المقام شبيه بقوله تعالى (فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه) قال محمد بن اسحق حدثني محمد بن ابي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس انه قال ثم قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ولمن معه من المؤمنين يؤيسهم منهم (أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله) وليس قوله ليسمعون التوراة كلهم قد سمعها ولكن هم الذين سألوا موسى رؤية ربهم فأخذتهم الصاعقة فيها . وقال محمد بن اسحق فيما حدثني بعض أهل العلم انهم قالوا لموسى ياموسى قد حيل بيننا وبين رؤية ربنا تعالى فأسمعنا كلامه حين يكلمك فطلب ذلك موسى الى ربه تعالى فقال نعم مرهم فليتطهروا وليطهروا ثيابهم ويصوموا ففعلوا ثم خرج بهم حتى أتوا الطور فلما غشيهم الغمام أمرهم موسى أن يسجدوا فوقعوا سجودا وكلمه ربه فسمعوا كلامه يأمرهم وينهاهم حتى عقلوا منه ماسمعوا ثم انصرف بهم الى بني اسرائيل فلما جاءهم حرف فريق منهم ما أمرهم به وقالوا حين قال موسى لبني اسرائيل ان الله قد أمركم بكذا وكذا قال ذلك الفريق الذين ذكرهم الله انما قال كذا وكذا خلافا لما قال الله عز وجل لهم فهم الذين عنى الله لرسوله صلى الله عليه وسلم، وقال السدي (وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه) قال هي التوراة حرفوها. وهذا الذي ذكره السدي أعم مما ذكره ابن عباس وابن اسحق وان كان قد اختاره ابن جرير لظاهر السياق فانه ليس يلزم من سماع كلام الله ان يكون منه كما سمعه الكليم موسى بن عمران عليه الصلاة والسلام وقد قال الله تعالى (وان أحد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله أي مبلغا اليه ولهذا قال قتادة في قوله (ثم يحرفونه من بعد ماعقلوه وهم يعلمون) قال هم اليهود كانوا يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه ووعوه وقال مجاهد الذين

انهم كاذبون ، هذا قول مجاهد وقتادة وعكرمة والسدي وجماعة . وقال ابن عباس ومقاتل : نزلت في السبعين الذين اختارهم موسى لميقات ربه ، وذلك انهم لما رجعوا بعد ماسمعوا كلام الله الى قومهم رجع الناس الى قولهم . وأما الصادقون منهم فأدوا كما سمعوا . وقالت طائفة منهم : سمعنا الله يقول في آخر كلامه إن استطعتم أن تفعلوا فافعلوا ، وان شئتم فلا تفعلوا ، فهذا تحريفهم وهم يعلمون أنه الحق* قوله عز وجل ﴿ وإذا لقوا الذين آمنوا ﴾ قال ابن عباس والحسن وقتادة : يعني منافقي اليهود

يحرفونه والذين يكتمونه هم العلماء منهم وقال ابو العالية عمدوا الى ما أنزل الله في كتابهم من نعت محمد صلى الله عليه وسلم فحرفوه عن مواضعه وقال السدى (وهم يعلمون) اى انهم أذنبوا وقال ابن وهب قال ابن زيد في قوله (يسمعون كلام الله ثم يحرفونه) قال التوراة التى أنزلها الله عليهم يحرفونها يجعلون الحلال فيها حراما والحرام فيها حلالا والحق فيها باطلا والباطل فيها حقا، اذا جاءهم المحق برشوة أخرجوا له كتاب الله، واذا جاءهم المبطل برشوة اخرجوا له ذلك الكتاب فهو فيه محق، واذا جاءهم احد يسألهم شيئا ليس فيه حق ولا رشوة ولا شيء امروه بالحق، فقال الله لهم (اتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وانتم تتلون الكتاب افلا تعقلون)

وقوله تعالى (واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلا بعضهم الى بعض) الاية قال محمد بن اسحق حدثنا محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس (واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا) أي ان صاحبكم رسول الله ولكنه اليكم خاصة واذا خلا بعضهم الى بعض قالوا: لا تحدثوا العرب بهذا فانكم قد كنتم تستفتحون به عليهم فكان منهم فانزل الله (واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلا بعضهم الى بعض قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليهم ليحاجوكم به عند ربكم) أي تقرون بانه نبي. وقد علمتم انه قد أخذ له الميثاق عليكم باتباعه وهو يخبرهم انه النبي الذي كنا ننتظر ونجد في كتابنا، اجحدوه ولا تقروا به. يقول الله تعالى (أولا يعلمون ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون) وقال الضحاك عن ابن عباس، يعني المنافقين من اليهود كانوا اذا لقوا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم قالوا آمنا، وقال السدي: هؤلاء ناس من اليهود آمنوا ثم نافقوا. وكذا قال الربيع بن أنس وقتادة وغير واحد من السلف والخلف حتى قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم فيما رواه ابن وهب عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال لا يدخلن علينا قصبة المدينة الا مؤمن. فقال رؤساؤهم من أهل الكفر والنفاق اذهبوا فقولوا آمنا واكفروا اذا رجعتم الينا فكانوا يأتون المدينة بالبكر ويرجعون اليهم بعد العصر. وقرأ قول الله تعالى (وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون) وكانوا يقولون اذا دخلوا المدينة نحن مسلمون ليعلموا خبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمره. فاذا رجعوا رجعوا الى الكفر فلما أخبر الله نبيه صلى الله عليه وسلم قطع ذلك عنهم فلم يكونوا يدخلون، وكان المؤمنون يظنون انهم

الذين آمنوا بألسنتهم اذا لقوا المؤمنين المخلصين ﴿قالوا: آمنا﴾ كايمانكم ﴿واذا خلا﴾ رجع ﴿بعضهم الى بعض﴾ كعب بن الاشرف وكعب بن أسد ووهب بن يهودا أو غيرهم من رؤساء اليهود لاموهم على ذلك ﴿قالوا، أتحدثونهم بما فتح الله عليكم﴾ بما قص الله عليكم في كتابكم: أن محمدا حق وقوله صدق والفتاح القاص. وقال الكسائي: بما بينه لكم من العلم بصفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته وقال الواقدي: بما أنزل الله عليكم وأعطاكم ونظيره (لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض) أي أنزلنا. وقال أبو عبيدة: بما منّ الله عليكم وأعطاكم ﴿ليحاجوكم به﴾ ليخاصموكم به يعني أصحاب

مؤمنون فيقولون أليس قد قال الله لكم كذا وكذا . فيقولون بلى . فاذا وجه الى قومهم يعني الرؤساء فقالوا (أتحدثونهم بما فتح الله عليكم) الآية . وقال أبو العالية (أتحدثونهم بما فتح الله عليكم) يعني بما أنزل عليكم في كتابكم من بعث محمد صلى الله عليه وسلم . وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة (أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم) قال كانوا يقولون سيكون نبي فخلا بعضهم ببعض (فقالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم) ـ قول آخر في المراد بالفتح . قال ابن جريج : حدثني القاسم بن أبي بزة عن مجاهد في قوله تعالى (أتحدثونهم بما فتح الله عليكم) قال قام النبي صلى الله عليه وسلم يوم قريظة تحت حصونهم ، فقال يا إخوان القردة والخنازير وياعبدة الطاغوت فقالوا من أخبر بهذا الامر محمدا؟ ما خرج هذا القول الا منكم (أتحدثونهم بما فتح الله عليكم) بما حكم الله للفتح ليكون لهم حجة عليكم . قال ابن جريج عن مجاهد هذا حين أرسل اليهم عليا فآذوا محمدا صلى الله عليه وسلم . وقال السدي (أتحدثونهم بما فتح الله عليكم من العذاب ليحاجوكم به عند ربكم) هؤلاء ناس من اليهود آمنوا ثم نافقوا فكانوا يحدثون المؤمنين من العرب بما عذبوا به . فقال بعضهم لبعض (أتحدثونهم بما فتح الله عليكم) من العذاب ليقولوا نحن أحب الى الله منكم وأكرم على الله منكم وقال عطاء الخراساني (أتحدثونهم بما فتح الله عليكم) يعني بما قضى لكم وعليكم . وقال الحسن البصري : هؤلاء اليهود كانوا اذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلا بعضهم الى بعض قال بعضهم لا تحدثوا أصحاب محمد بما فتح الله عليكم مما في كتابكم ليحاجوكم به عند ربكم فيخصموكم . وقوله تعالى (أو لا يعلمون ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون) قال أبو العالية : يعني ما أسروا من كفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وتكذيبهم به وهم يجدونه مكتوبا عندهم وكذا قال قتادة . وقال الحسن (ان الله يعلم ما يسرون) قال كان ما أسروا انهم كانوا اذا تولوا عن أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وخلا بعضهم الى بعض تناهوا ان يخبر أحد منهم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم بما فتح الله عليهم مما في كتابهم خشية ان يحاجهم اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم بما في كتابهم عند ربهم (وما يعلنون) يعنى حين قالوا لاصحاب محمد صلى الله عليه وسلم آمنا . وكذا قال أبو العالية والربيع وقتادة

محمد صلى الله عليه وسلم ويحتجوا بقولكم عليكم فيقولوا : قد أقررتم أنه نبي حق في كتابكم ثم لا تتبعونه وذلك انهم قالوا لاهل المدينة حين شاوروهم في اتباع محمد صلى الله عليه وسلم : آمنوا به فانه حق ثم قال بعضهم لبعض : (أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به) يعنى لتكون لهم الحجة عليكم ﴿ عند ربكم ﴾ في الدنيا والآخرة وقيل : إنهم أخبروا المؤمنين بما عذبهم الله به على الجنايات فقال بعضهم لبعض : أتحدثونهم بما أنزل الله عليكم من العذاب ليحاجوكم به عند ربكم ليروا الكرامة لانفسهم عليكم عند الله . وقال مجاهد : هو قول يهود قريظة قال بعضهم لبعض حين قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم « يا إخوان القردة والخنازير » فقالوا : من أخبر محمدا بهذا؟ ما خرج هذا الا منكم ﴿ أفلا تعقلون ﴾ قوله عز وجل ﴿ أولا يعلمون أن الله يعلم مايسرون ﴾ يخفون ﴿ وما يعلنون ﴾ يبدون

(٧٧) ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب الا أماني وان هم الا يظنون (٧٨) فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون *

يقول تعالى (ومنهم أميون) أي ومن أهل الكتاب قاله مجاهد : والاميون جمع أمي وهو الرجل الذي لا يحسن الكتابة . قاله أبو العالية والربيع وقتادة وابراهيم النخعي وغير واحد وهو ظاهر في قوله تعالى (لا يعلمون الكتاب) أي لا يدرون ما فيه . ولهذا في صفات النبي صلى الله عليه وسلم : أنه الامي لانه لم يكن يحسن الكتابة كما قال تعالى (وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون) وقال عليه الصلاة والسلام« انا امة أمية لا نكتب ولا نحسب الشهر هكذا وهكذا وهكذا »الحديث أي لا نفتقر في عبادتنا ومواقيتها الى كتاب ولا حساب ، وقال تبارك وتعالى (هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم) وقال ابن جرير : نسبت العرب من لا يكتب ولا يخط من الرجال الى أمه في جهله بالكتاب دون أبيه . قال وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قول خلاف هذا وهو ما حدثنا به أبو كريب حدثنا عثمان بن سعيد عن بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس في قوله تعالى (ومنهم أميون) قال الاميون قوم لم يصدقوا رسولا أرسله الله ولا كتابا أنزله الله فكتبوا كتابا بأيديهم ثم قالوا لقوم سفلة جهال هذا من عند الله ، وقال قد أخبر انهم يكتبون بأيديهم ثم سماهم أميين لجحودهم كتب الله ورسله ، ثم قال ابن جرير : وهذا التأويل تأويل على خلاف ما يعرف من كلام العرب المستفيض بينهم ، وذلك ان الامي عند العرب الذي لا يكتب . قلت ثم في صحة هذا عن ابن عباس بهذا الاسناد نظر والله أعلم . وقوله تعالى (الا أماني)

يعني اليهود وقوله تعالى ﴿ ومنهم أميون ﴾ أي من اليهود أميون لايحسنون القراءة والكتابة جمع أمي منسوب الى الام كأنه باق على ما انفصل من الام لم يعلم كتابة ولا قراءة . وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « إنا أمة أمية » أي لا نكتب ولا نحسب وقيل : هو منسوب إلى أم القرى وهي مكة ﴿ لا يعلمون الكتاب إلا أمانيّ ﴾ قرأ ابو جعفر اماني بتخفيف الياء كل القرآن حذف إحدى الياءين تخفيفا ، وقراءة العامة بالتشديد و هو جمع الامنية وهي التلاوة قال الله تعالى (إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته) اي في قراءته قال أبوعبيدة : الا تلاوة وقراءة عن ظهر القلب لايقرؤنه من كتاب. وقيل : يعلمونه حفظا وقراءة لا يعرفون معناه قال ابن عباس : يعني غير عارفين بمعاني الكتاب وقال مجاهد وقتادة : الا كذبا و باطلا قال الفراء (الا أماني) الاحاديث المفتعلة قال عثمان رضي الله عنه : ماتمنيت منذ أسلمت أي ما كذبت ، وأراد بها الاشياء التي كتبها علماؤهم من عند أنفسهم ثم أضافوها الى الله من تغيير نعت النبي صلى الله عليه وسلم وغيره وقال الحسن وأبوالعالية: هي من التمني وهي أمانيهم الباطلة التي يتمنونها على الله عز وجل مثل قولهم (لن يدخل الجنة إلا من

قال ابن أبي طلحة عن ابن عباس الا أماني الاحاديث وقال الضحاك عن ابن عباس في قوله تعالى (الا أمانيّ) يقول الا قولا يقولون بأفواههم كذبا. وقال مجاهد الا كذبا : وقال سنيد عن حجاج عن ابن جريج عن مجاهد (ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب الا أماني) قال أناس من اليهود لم يكونوا يعلمون من الكتاب شيئا وكانوا يتكلمون بالظن بغير ما في كتاب الله ويقولون هو من الكتاب ، أماني يتمنونها وعن الحسن البصري نحوه ، وقال ابو العالية والربيع وقتادة الا أمانيّ يتمنون على الله ما ليس لهم ، وقال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم الا أمانيّ قال تمنوا فقالوا نحن من اهل الكتاب وليسوا منهم ، قال ابن جرير والاشبه بالصواب قول الضحاك عن ابن عباس وقال مجاهد ان الاميين الذين وصفهم الله تعالى انهم لا يفقهون من الكتاب الذي انزله الله تعالى على موسى شيئا ولكنهم يتخرصون الكذب يتخرصون الاباطيل كذبا وزورا ، والتمني في هذا الموضوع هو تخلق الكذب وتخرصه ، ومنه الخبر المروي عن عثمان بن عفان رضي الله عنه ماتغنيت ولا تمنيت يعني ما تخرصت الباطل ولا اختلقت الكذب ، وقيل المراد بقوله الا أمانيّ بالتشديد والتخفيف ايضا اي الا تلاوة فعلى هذا يكون استثناء منقطعا واستشهدوا على ذلك بقوله تعالى (الا اذا تمنى - أى تلا - ألقى الشيطان في أمنيته) الآية ، وقال كعب بن مالك الشاعر :

تمني كتاب الله أول ليلة وآخره لاقى حمام المقادر

وقال آخر :

تمني كتاب الله آخر ليلة تمني داود الكتاب على رسل

وقال محمد بن اسحق حدثني محمد بن ابي محمد عن عكرمة او سعيد بن جبير عن عباس (لا يعلمون الكتاب الا أماني وان هم الا يظنون) أى (ولا يدرون مافيه وهم يجحدون نبوتك بالظن) وقال مجاهد (وان هم الا يظنون) يكذبون وقال قتادة وابو العالية والربيع ، يظنون بالله الظنون بغير الحق . وقوله تعالى (فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم) ثم يقولون (هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا) الآية هؤلاء صنف آخر من اليهود وهم الدعاة الى الضلال بالزور والكذب على الله وأكل أموال الناس بالباطل والويل الهلاك والدمار وهي كلمة مشهورة في اللغة : وقال سفيان

كان هودا أو نصارى) وقولهم (لن تمسنا النار إلا أياما معدودة) وقولهم (نحن أبناء الله وأحباؤه) فعلى هذا لا يكون «إلا» بمعنى «لكن» أي لا يعلمون الكتاب لكن يتمنون أشياء لا تحصل لهم ﴿وإن هم﴾ وماهم ﴿ إلا يظنون ﴾ يعني ومايظنون الاظنا وتوهما لا يقينا قاله قتادة والربيع . قال مجاهد: يكذبون * قوله عز وجل ﴿ فويل ﴾ قال الزجاج : ويل كلمة تقولها العرب لكل واقع في هلكة . وقيل : هو دعاء الكفار على أنفسهم بالويل والثبور . وقال ابن عباس: شدة العذاب وقال سعيد بن المسيب : ويل واد في جهنم لو سيرت فيه جبال الدنيا لانماعت ولذابت من شدة حرها . أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبي توبة أنا أبو طاهر محمد بن احمد بن الحارث أنا أبو الحسن محمد بن يعقوب الكسائي

الثوري عن زياد بن فياض سمعت أبا عياض يقول : ويل صديد في أصل جهنم . وقال عطاء بن يسار : الويل واد في جهنم لو سيرت فيه الجبال لماعت . وقال ابن ابي حاتم حدثنا يونس بن عبد الاعلى أخبرنا ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث عن دراج عن ابى الهيثم عن أبي سعيد الخدرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «ويل واد في جهنم يهوى فيه الكافر أربعين خريفا قبل ان يبلغ قعره» ورواه الترمذى عن عبد الرحمن بن حميد عن الحسن ابن موسى عن ابن لهيعة عن دراج به وقال هذا حديث غريب لا نعرفه الا من حديث ابن لهيعة (قلت) لم ينفرد به ابن لهيعة كما ترى ولكن الآفة ممن بعده وهذا الحديث بهذا الاسناد مرفوعا منكر والله أعلم. وقال ابن جرير حدثنا المثنى حدثنا ابرهيم بن عبد السلام حدثنا صالح القشيرى حدثنا عليّ بن جرير عن حماد بن سلمة عن عبد الحميد بن جعفر عن كنانة العدوي عن عثمان بن عفان رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون) قال «الويل جبل في النار وهو الذي أنزل في اليهود لانهم حرفوا التوراة زادوا فيها ما أحبوا ومحوا منها مايكرهون ومحوا اسم محمد صلى الله عليه وسلم من التوراة ولذلك غضب الله عليهم فرفع بعض التوراة فقال تعالى (فويل لهم مما كتبت ايديهم وويل لهم مما يكسبون) وهذا غريب ايضا جدا ، وعن ابن عباس الويل المشقة من العذاب وقال الخليل بن احمد الويل شدة الشر وقال سيبويه ويل لمن وقع في الهلكة وويح لمن اشرف عليها وقال الاصمعي الويل تفجع والويل ترحم وقال غيره الويل الحزن ، وقال الخليل وفي معنى ويل ويح وويش وويه وويك وويب ومنهم من فرق بينها ، وقال بعض النحاة انما جاز الابتداء بها وهي نكرة لان فيها معنى الدعاء ومنهم من جوز نصبها بمعنى ألزمهم ويلا (قلت) لكن لم يقرأ بذلك أحد ، وعن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما (فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم) قال هم أحبار اليهود وكذا قال سعيد عن قتادة هم اليهود وقال سفيان الثوري عن عبد الرحمن ابن علقمة سألت ابن عباس رضي الله عنه عن قوله تعالى (فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم) قال نزلت فى المشركين وأهل الكتاب وقال السدى كان ناس من اليهود كتبوا كتابا من عندهم يبيعونه من العرب ويحدثونهم انه من عند الله فيأخذوا به ثمنا قليلا وقال الزهري أخبرني عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس انه قال : يا معشر المسلمين كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء وكتاب الله الذى أنزله على نبيه أحدث

أنا عبد الله بن محمود أنا أبو اسحق ابراهيم بن عبد الله الخلال أنا عبد الله بن المبارك عن رشيد بن سعد عن عمرو بن الحارث أنه حدث عن أبي السمح عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « الويل واد في جهنم يهوي فيه الكافر أربعين خريفا قبل أن يبلغ قعره . والصعود جبل من نار يتصعد فيه سبعين خريفا ثم يهوي فهو كذلك » ﴿ للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا ﴾ وذلك ان أحبار اليهود خافوا ذهاب ما كلهم وزوال رياستهم حين قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة فاحتالوا في تعويق اليهود

أخبار الله تقرؤنه غضا لم يشب وقد حدثكم الله تعالى ان أهل الكتاب قد بدلوا كتاب الله وغيروه وكتبوا بأيديهم الكتاب وقالوا هو من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا ، أفلا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مساءلتهم ولا والله مارأينا منهم أحدا قط سألكم عن الذى أنزل عليكم رواه البخارى من طرق عن الزهري ، وقال الحسن بن أبي الحسن البصرى: الثمن القليل الدنيا بحذافيرها. وقوله تعالى (فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون) أى فويل لهم مما كتبوا بأيديهم من الكذب والبهتان والافتراء وويل لهم مما أكلوا به من السحت كما قال الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما (فويل لهم) يقول فالعذاب عليهم من الذي كتبوا بأيديهم من ذلك الكذب وويل لهم مما يكسبون يقول مما يأكلون به الناس السفلة وغيرهم

(٧٩) وقالوا لن تمسنا النار الا أياما معدودة .قل أتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده أم تقولون على الله مالا تعلمون

يقول تعالى اخبارا عن اليهود فيما نقلوه وادعوه لانفسهم من أنهم لم تمسهم النار الا أياما معدودة ثم ينجون منها فرد الله عليهم ذلك بقوله تعالى (قل اتخذتم عند الله عهدا) أى بذلك فان كان قد وقع عهد فهو لايخلف عهده ولكن هذا ماجرى ولا كان ولهذا أتى بأم التي بمعنى بل أى بل تقولون على الله مالا تعلمون من الكذب والافتراء عليه . قال محمد بن اسحق عن سيف بن سليمان عن مجاهد عن ابن عباس ان اليهود كانوا يقولون ان هذه الدنيا سبعة آلاف سنة وانما نعذب بكل ألف سنة يوما في النار وانما هي سبعة أيام معدودة فأنزل الله تعالى (وقالوا لن تمسنا النار الا أياما معدودة) الى قوله (خالدون) ثم رواه عن محمد عن سعيد أو عكرمة عن ابن عباس بنحوه ، وقال العوفي عن ابن عباس (وقالوا لن تمسنا النار الا أياما معدودة) اليهود قالوا لن تمسنا النار الا أربعين ليلة زاد غيره وهي مدة عبادتهم العجل وحكاه القرطبي عن ابن عباس وقتادة ، وقال الضحاك قال ابن عباس زعمت اليهود أنهم وجدوا في التوراة مكتوبا ان مابين طرفي جهنم مسيرة أربعين سنة الى أن

عن الايمان به فعمدوا الى صفته في التوراة ، وكانت صفته فيها حسن الوجه ، حسن الشعر ، أكحل العينين ، ربعة القامة ، فغيروها وكتبوا مكانها طوال أزرق سبط الشعر ، فاذا سألهم سفلتهم عن صفته قرؤا ما كتبوه فيجدونه مخالفا لصفته ويكذبونه قال الله تعالى ﴿ فويل لهم مما كتبت أيديهم ﴾ يعني كتبوه بأنفسهم اختراعا من تغيير نعته صلى الله عليه وسلم ﴿ وويل لهم مما يكسبون ﴾ من المآكل ويقال : من المعاصي ﴿ وقالوا ﴾ يعني اليهود ﴿ لن تمسنا النار ﴾ لن تصيبنا النار ﴿ إلا أياما معدودة ﴾ قدرا مقدورا ثم يزول عنا العذاب ، واختلفوا في هذه الايام فقال ابن عباس ومجاهد : كانت اليهود يقولون : مدة الدنيا سبعة آلاف سنة ، وانما نعذب بكل الف سنة يوما واحدا ثم ينقطع العذاب بعد سبعة أيام . وقال قتادة وعطاء : يعنون أربعين يوما التي عبد فيها آباؤهم العجل . وقال الحسن وأبو

ينتهوا الى شجرة الزقوم التى هي ثابتة في أصل الجحيم • وقال أعداء الله انما نعذب حتى ننتهي الى شجرة الزقوم فتذهب جهنم وتهلك. فذلك قوله تعالى (وقالوا لن تمسنا النار الا أياما معدودة) وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة (وقالوا لن تمسنا النار الا أياما معدودة) يعني الايام التى عبدنا فيها العجل • وقال عكرمة خاصمت اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لن ندخل النار الا أربعين ليلة وسيخلفنا فيها قوم آخرون يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده على رؤسهم «بل أنتم خالدون مخلدون لا يخلفكم فيها أحد» فأنزل الله عز وجل (وقالوا لن تمسنا النار الا أياما معدودة) الاية: وقال الحافظ ابو بكر بن مردويه رحمه الله حدثنا عبد الرحمن بن جعفر حدثنا محمد بن محمد بن صخر حدثنا ابو عبد الرحمن المقرىء حدثنا ليث بن سعد حدثني سعيد بن ابي سعيد عن ابي هريرة قال لما فتحت خيبر اهديت لرسول الله صلى الله عليه وسلم شاة فيها سم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «اجمعوا اليّ من كان من اليهود ههنا» فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم «من ابوكم؟» قالوا فلان قال «كذبتم بل ابو فلان» فقالوا صدقت وبررت ثم قال لهم «هل انتم صادقي عن شيء ان سألتكم عنه؟» قالوا نعم يا ابا القاسم وان كذبناك عرفت كذبنا كما عرفته في ابينا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم «من اهل النار؟» فقالوا نكون فيها يسيرا ثم تخلفونا فيها فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم (اخسؤا والله لا نخلفكم فيها ابدا) ثم قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم «هل انتم صادقي عن شيء ان سألتكم عنه؟» قالوا نعم يا ابا القاسم قال «هل جعلتم في هذه الشاة سما؟» فقالوا نعم قال «فما حملكم على ذلك» فقالوا اردنا ان كنت كاذبا ان نستريح منك وان كنت نبيا لم يضرك ورواه الامام احمد والبخاري والنسائي من حديث الليث ابن سعد بنحوه

(٨٠) بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فاولئك أصحاب النار هم فيها خالدون والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون)

يقول تعالى ليس الامر كما تمنيتم ولا كما تشتهون بل الامر أنه من عمل سيئة وأحاطت به خطيئته وهو من وافى يوم القيامة وليست له حسنة بل جميع أعماله سيئات فهذا من أهل النار (والذين آمنوا

العالية: قالت اليهود: إن ربنا عتب علينا في أمرنا فأقسم الله ليعذبنا أربعين يوما • فلن تمسنا النار إلا أربعين يوما تحلة القسم فقال الله عز وجل تكذيبا لهم ﴿ قل ﴾ يا محمد ﴿ أتخذتم عند الله ﴾ الف استفهام دخلت على الف الوصل ﴿ عهدا ﴾؟ موثقا أن لا يعذبكم الا هذه المدة ﴿ فلن يخلف الله عهده ﴾ وعده قال ابن مسعود: عهدا بالتوحيد يدل عليه قوله تعالى (إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا) يعني قول لا إله إلا الله ﴿ أم تقولون على الله ما لا تعلمون؟ ﴾ ثم قال ﴿ بلى ﴾ وبلى وبل حرفا استدراك ومعناهما نفي الخبر الماضي واثبات الخبر المستقبل ﴿ من كسب سيئة ﴾ يعني الشرك ﴿ وأحاطت به خطيئته ﴾ قرأ أهل المدينة خطيئاته بالجمع والاحاطة الاحداق بالشيء من جميع نواحيه

وعملوا الصالحات) أى آمنوا بالله ورسوله وعملوا الصالحات من العمل الموافق للشريعة فهم من أهل الجنة وهذا المقام شبيه بقوله تعالى (ليس بامانيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوأ يجزبه ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا ٭ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا) قال محمد بن اسحق حدثني محمد بن أبي محمد عن سعيد أو عكرمة عن ابن عباس (بلى من كسب سيئة) أى عمل مثل أعمالكم وكفر بمثل ماكفرتم به حتي يحيط به كفره فماله من حسنة ، وفي رواية عن ابن عباس قال الشرك ، قال ابن أبي حاتم . وروي عن وائل وأبي العالية ومجاهد وعكرمة والحسن وقتادة والربيع بن انس نحوه وقال الحسن أيضا والسدي السيئة الكبيرة من الكبائر . وقال ابن جريج عن مجاهد (واحاطت به خطيئته) قال بقلبه وقال ابو هريرة وابو وائل وعطاء والحسن (واحاطت به خطيئته) قالوا احاط به شركه . وقال الاعمش عن ابي رزين عن الربيع ابن خيثم (واحاطت به خطيئته) قال الذي يموت على خطاياه من قبل ان يتوب وعن السدي وابي رزين نحوه وقال ابو العالية ومجاهد والحسن في رواية عنهما وقتادة والربيع بن انس (واحاطت به خطيئته) الموجبة الكبيرة وكل هذه الاقوال متقاربة في المعنى والله اعلم . ويذكر ههنا الحديث الذي رواه الامام احمد حيث قال حدثنا سليمان بن داود حدثنا عمرو بن قتادة عن عبد ربه عن أبي عياض عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إياكم ومحقرات الذنوب فانهن يجتمعن على الرجل حتي يهلكنه » وان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب لهم مثلا كمثل قوم نزلوا بأرض فلاة فحضر صنيع القوم فجعل الرجل ينطلق فيجيء بالعود والرجل يجيء بالعود حتى جمعوا سوادا وأججوا نارا فأنضجوا ماقذفوا فيها . وقال محمد بن اسحق حدثني محمد عن سعيد أو عكرمة عن ابن عباس (والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة ٭ فيها خالدون) أي من آمن بما كفرتم وعمل بما تركتم من دينه فلهم الجنة خالدين فيها يخبرهم أن الثواب بالخير والشر مقيم على أهله أبدا لاانقطاع له

---

(٨١) واذ أخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون الا الله وبالوالدين احسانا وذي القربى

قال ابن عباس وعطاء والضحاك وابو العالية والربيع وجماعة : هى الشرك يموت عليه وقيل ، السيئة الكبيرة والاحاطة به أن يصر عليها فيموت غير تائب قاله عكرمة والربيع بن خيثم . قال الواحدي رحمه الله في تفسيره الوسيط : المؤمنون لايدخلون في حكم هذه الآية لان الله تعالى أوعد بالخلود في النار من أحاطت به خطيئته وتقدمت منه سيئة وهي الشرك ، والمؤمن وان عمل الكبائر لم يوجد منه الشرك وقال مجاهد : هي الذنوب تحيط بالقلب كلما عمل ذنبا ارتفعت حتي يغشى القلب وهي الرين . قال الكلبي : أوبقته ذنوبه ، دليله قوله تعالى (الا أن يحاط بكم) أي تهلكوا ﴿ فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ٭ والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون ﴾ قوله تعالى

واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسنا وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ثم توليتم الا قليلا منكم وأنتم معرضون

يذكر تبارك وتعالى بني اسرائيل بما أمرهم به من الاوامر وأخذه ميثاقهم على ذلك وأنهم تولوا عن ذلك كله وأعرضوا قصدا وعمدا وهم يعرفونه ويذكرونه فأمرهم تعالى أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا وبهذا أمر جميع خلقه ولذلك خلقهم كما قال تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه أنه لا إله الا انا فاعبدون) وقال تعالى (ولقد بعثنا في كل امة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) وهذا هو اعلى الحقوق واعظمها وهو حق الله تبارك وتعالى ان يعبد وحده لا شريك له ثم بعده حق المخلوقين وآكدهم وأولاهم بذلك حق الوالدين ولهذا يقرن تبارك وتعالى بين حقه وحق الوالدين كما قال تعالى (أن اشكر لي ولوالديك الي المصير) وقال تبارك وتعالى (وقضى ربك ان لا تعبدوا الا إياه وبالوالدين إحسانا) الى ان قال (وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل) وفي الصحيحين عن ابن مسعود قلت يارسول الله اى العمل افضل؟ قال «الصلاة على وقتها» قلت ثم أى؟ قال « بر الوالدين» قلت ثم اي؟ قال «الجهاد في سبيل الله » ولهذا جاء في الحديث الصحيح ان رجلا قال يارسول الله من أبر؟ قال « أمك» قال ثم من؟ قال « امك» قال ثم من ؟ قال « اباك ؟ ثم ادناك ثم ادناك » وقوله تعالى (لا تعبدون الا الله) قال الزمخشري خبر بمعنى الطلب وهو آكد وقيل كان اصله (ان لا تعبدوا الا الله) كما قرأها من قرأها من السلف فحذفت ان فارتفع وحكي عن ابي وابن مسعود انهما قرآها (لا تعبدوا الا الله) ونقل هذا التوجيه القرطبي في تفسيره عن سيبويه . قال واختاره الكسائي والفراء قال (واليتامى) وهم الصغار الذين لا كاسب لهم من الآباء والمساكين الذين لا يجدون ما ينفقون على أنفسهم واهليهم وسيأتي الكلام على هذه الاصناف عند آية النساء التي امرنا الله تعالى بها صريحا في قوله (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا) الآية وقوله تعالى (وقولوا للناس حسنا) اي كلموهم طيبا ولينوا لهم جانبا ويدخل في ذلك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر بالمعروف كما قال الحسن البصري في قوله تعالى (وقولوا للناس حسنا) فالحسن من القول يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويحلم ، يعفو ويصفح ويقول للناس حسنا كما قال الله وهو كل خلق حسن رضيه الله

﴿ وإذ أخذنا ميثاق بنى إسرائيل ﴾ في التوراة والميثاق العهد الشديد ﴿ لا تعبدون إلا الله ﴾ قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي (لا يعبدون) بالياء والآخرون بالتاء كقوله تعالى (وقولوا للناس حسنا) معناه أن لا تعبدوا فلما حذف أن صار الفعل مرفوعا ، وقرأ أبيّ بن كعب لا تعبدوا على النهي ﴿ وبالوالدين ﴾ أي ووصيناهم بالوالدين ﴿ إحسانا ﴾ برّا بهما وعطفا عليهما ونزولا عند أمرهما فيما لا يخالف أمر الله تعالى ﴿ وذي القربى ﴾ أي وبذي القرابة والقربى مصدر كالحسنى ﴿ واليتامى ﴾ جمع يتيم وهو الطفل الذي لا أب له ﴿ والمساكين ﴾ يعني الفقراء ﴿ وقولوا للناس حسنا ﴾ صدقا وحقا في شأن

وقال الامام احمد : حدثنا روح حدثنا أبو عامر الخراز عن أبي عمران الجوني عن عبد الله بن الصامت عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « لا تحقرن من المعروف شيئا وإن لم تجد فالق أخاك بوجه منطلق » وأخرجه مسلم في صحيحه والترمذي وصححه من حديث أبي عامر الخراز واسمه صالح بن رستم به وناسب أن يأمرهم بأن يقولوا للناس حسنا بعد ما أمرهم بالاحسان اليهم بالفعل فجمع بين طرفي الاحسان الفعلي والقولي . ثم أكد الامر بعبادته والاحسان الى الناس بالمتعين من ذلك وهو الصلاة والزكاة فقال (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) واخبر انهم تولوا عن ذلك كله أي تركوه وراء ظهورهم واعرضوا عنه على عمد بعد العلم به الا القليل منهم . وقد امر الله هذه الامة بنظير ذلك في سورة النساء بقوله (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت ايمانكم ، إن الله لايحب من كان مختالا فخورا) فقامت هذه الامة من ذلك بما لم تقم به امة من الامم قبلها ولله الحمد والمنة . ومن النقول الغريبة ههنا ما ذكره ابن ابي حاتم في تفسيره : حدثنا ابي حدثنا محمد بن خلف العسقلاني حدثنا عبد الله بن يوسف يعني التنيسي حدثنا خالد بن صبيح عن حميد بن عقبة عن اسد بن وداعة انه كان يخرج من منزله فلا يلقى يهوديا ولا نصرانيا الا سلم عليه فقيل له : ما شأنك تسلم على اليهودي والنصراني ؟ فقال : إن الله تعالى يقول (وقولوا للناس حسنا) وهو السلام . قال : وروي عن عطاء الخراساني نحوه (قلت) وقد ثبت في السنة انهم لايبدؤن بالسلام والله اعلم

(٨٣) وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ثم أقررتم وأنتم تشهدون (٨٤) ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان . وإن يأتوكم أسارى تفادوهم وهو محرم عليكم اخراجهم . أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض . فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة

محمد صلى الله عليه وسلم فمن سألكم عنه فاصدقوه وبينوا صفته ولا تكتموا أمره ، هذا قول ابن عباس وسعيد بن جبير وابن جريج ومقاتل . وقال سفيان الثوري : مروهم بالمعروف وانهوهم عن المنكر . وقيل : هو اللين في القول والمعاشرة بحسن الخلق . قرأ حمزة والكسائي ويعقوب حسنا بفتح الحاء والسين أي قولا حسنا ﴿ وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ثم توليتم ﴾ أعرضتم عن العهد والميثاق ﴿ إلا قليلا منكم ﴾ وذلك أن قوما منهم آمنوا ﴿ وأنتم معرضون ﴾ كاعراض آبائكم . قوله عز وجل ﴿ وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون ﴾ أي لا تريقون ﴿ دماءكم ﴾ أي لا يسفك بعضكم دم بعض وقيل : لا تسفكوا دماء غيركم فيسفك دماءكم فكأنكم سفكتم دماء أنفسكم ﴿ ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ﴾ لا يخرج بعضكم بعضا من داره وقيل : لا تسيئوا جوار من جاوركم فتلجؤهم الى الخروج

الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب ، وما الله بغافل عما تعملون (٨٥) أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون ،

يقول الله تبارك وتعالى منكرا على اليهود الذين كانوا في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة وما كانوا يعانونه من القتال مع الاوس والخزرج ، وذلك ن الاوس والخزرج وهم الانصار كانوا في الجاهلية عباد أصنام، وكانت بينهم حروب كثيرة ، وكانت يهود المدينة ثلاث قبائل بنو قينقاع وبنو النضير حلفاء الخزرج وبنو قريظة حلفاء الاوس ، فكانت الحرب اذا نشبت بينهم قاتل كل فريق مع حلفائه فيقتل اليهودي أعداءه، وقد يقتل اليهودي الآخر من الفريق الآخر ، وذلك حرام عليهم في دينهم ونص كتابهم، ويخرجونهم من بيوتهم وينتهبون مافيها من الاثاث والامتعة والاموال ثم اذا وضعت الحرب أوزارها استفكوا الاسارى من الفريق المغلوب عملا بحكم التوراة ، ولهذا قال تعالى (أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ؟) ولهذا قال تعالى (وإذ أخذنا ميثاقكم لاتسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم) أي لا يقتل بعضكم بعضا ولا يخرجه من منزله ولا يظاهر عليه كما قال تعالى (فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم) وذلك ان أهل الملة الواحدة بمنزلة النفس الواحدة كما قال عليه الصلاة والسلام ، مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتواصلهم بمنزلة الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر ، وقوله تعالى (ثم أقررتم وأنتم تشهدون) أي ثم أقررتم بمعرفة هذا الميثاق وصحته وأنتم تشهدون به (ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم) الآية ، قال محمد بن اسحق بن يسار حدثني محمد بن أبي محمد عن سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس (ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم) الآية قال: أنبأهم الله بذلك من فعلهم وقد حرم عليهم في التوراة سفك دمائهم وافترض عليهم فيها فداء أسراهم فكانوا فريقين طائفة منهم بنو قينقاع وهم حلفاء الخزرج والنضير، وقريظة وهم حلفاء الاوس، فكانوا اذا كانت بين الاوس والخزرج حرب خرجت بنو قينقاع

بسوء جواركم ﴿ ثم أقررتم ﴾ بهذا العهد أنه حق وقبلتم ﴿ وأنتم تشهدون ﴾ اليوم على ذلك يا معشر اليهود وتعترفون بالقبول ، قوله عز وجل ﴿ ثم أنتم هؤلاء ﴾ يعني ياهؤلاء وهؤلاء للتنبيه ﴿ تقتلون أنفسكم ﴾ أي يقتل بعضكم بعضا ﴿ وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم ﴾ بتشديد الظاء أي تتظاهرون ادغمت التاء في الظاء ، وقرأ عاصم وحمزة والكسائي بتخفيف الظاء فحذفوا تاء التفاعل وأبقوا تاء الخطاب كقوله تعالى (ولا تعاونوا) معناهما جميعا تتعاونون والظهير العون ﴿ بالاثم والعدوان ﴾ بالمعصية والظلم ﴿ وإن يأتوكم أسارى ﴾ قرأ حمزة أسرى وهما جمع أسير ومعناهما واحد ﴿ تفدوهم ﴾ بالمال وتنقذوهم وقرأ أهل المدينة وعاصم والكسائي ويعقوب (تفادوهم) أي تبادلوهم أراد مفاداة الاسير بالاسير . وقيل : معنى القراءتين واحد ومعنى الآية قال السدي : إن الله تعالى

مع الخزرج وخرجت النضير وقريظة مع الاوس، يظاهر كل واحد من الفريقين حلفاءه على اخوانه حتى تسافكوا دماءهم بينهم وبأيديهم التوراة يعرفون فيها ما عليهم وما لهم . والاوس والخزرج أهل شرك يعبدون الاوثان ولا يعرفون جنة ولا نارا ولا بعثا ولا قيامة ولا كتابا ولا حلالا ولا حراما . فاذا وضعت الحرب أوزارها افتدوا أسراهم تصديقا لما في التوراة وأخذاً به بعضهم من بعض يفتدي بنو قينقاع ما كان من أسراهم في أيدي الاوس ، ويفتدي النضير وقريظة ما كان في أيدي الخزرج منهم ويطلبون ما أصابوا من دمائهم وقتلوا من قتلوا منهم فيما بينهم مظاهرة لاهل الشرك عليهم يقول الله تعالى ذكره حيث أنبأهم بذلك (أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض) أي تفادونهم بحكم التوراة ، وتقتلونهم وفي حكم التوراة أن لا يقتل ولا يخرج من داره ولا يظاهر عليه من يشرك بالله ويعبد الاوثان من دونه ابتغاء عرض الدنيا ؟ ففي ذلك من فعلهم مع الاوس والخزرج فيما بلغني نزلت هذه القصة . وقال أسباط عن السدي : كانت قريظة حلفاء الاوس وكانت النضير حلفاء الخزرج فكانوا يقتتلون في حرب بينهم ، فتقاتل بنو قريظة مع حلفائها النضير وحلفاءهم . وكانت النضير تقاتل قريظة وحلفاءها ويغلبونهم فيخربون ديارهم ويخرجونهم منها . فاذا أسر رجل من الفريقين كلاهما جمعوا له حتى يفدوه فتعيرهم العرب بذلك ويقولون : كيف تقاتلونهم وتفدونهم ؟ قالوا : إنا أمرنا أن نفديهم وحرم علينا قتالهم قالوا : فلم تقاتلونهم ؟ قالوا : إنا نستحيي أن تستذل حلفاؤنا فذلك حين عيرهم الله تبارك وتعالى فقال تعالى (ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم) الآية . وقال اسباط عن السدي عن الشعبي : نزلت هذه الآية في قيس ابن الحطيم (ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم) الآية . وقال اسباط عن السدي عن عبد خير قال : غزونا مع سلمان بن ربيعة الباهلي بانجر فحاصرنا أهلها ففتحنا المدينة وأصبنا سبايا واشترى عبد الله بن سلام يهودية بسبعمائة فلما مر برأس الجالوت نزل به فقال له عبد الله : يارأس الجالوت هل لك في عجوز ههنا من أهل دينك تشتريها مني قال : نعم قال : أخذتها بسبعمائة درهم قال : فاني أربحك سبعمائة أخرى قال : فاني قد حلفت أن لا أنقصها من اربعة

أخذ على بني إسرائيل في التوراة أن لا يقتل بعضهم بعضا ، ولا يخرج بعضهم بعضا من ديارهم . وأيما عبد أو أمة وجدتموه من بني إسرائيل فاشتروه بما قام من ثمنه وأعتقوه ، وكانت قريظة حلفاء الاوس والنضير حلفاء الخزرج ، وكانوا يقتتلون في حرب سنين (؟) فيقاتل بنو قريظة مع حلفائهم وبنو النضير مع حلفائهم واذا غلبوا خربوا ديارهم واخرجوهم منها ، واذا أسر رجل من الفريقين جمعوا له حتى يفدوه وان كان الاسير من عدوهم . فتعيرهم العرب ويقولون : كيف تقاتلونهم وتفدونهم قالوا: انا أمرنا أن نفديهم فيقولون : فلم تقاتلونهم ؟ قالوا : انا نستحي أن تذل حلفاؤنا . فعيرهم الله تعالى فقال (ثم أنتم هؤلاء تقتلون انفسكم) وفي الآية تقديم وتأخير ونظمها (وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان) ﴿ وهو محرم عليكم إخراجهم ﴾ وإن يأتوكم أسارى تفادوهم

آلاف قال : لا حاجة لي فيها قال : والله لتشترينها مني أو لتكفرن بديك الذى أنت عليه قال : ادن مني فدنا منه فقرأ في أذنه مما في التوراة : إنك لاتجد مملوكا من بني إسرائيل الا اشتريته فأعتقته (وإن يأتوكم أسارى تفادوهم وهو محرم عليكم إخراجهم) قال : أنت عبد الله بن سلام؟ قال: نعم قال: فجاء بأربعة آلاف فأخذ عبد الله الفين ورد عليه الفين . وقال آدم بن إياس في تفسيره : حدثنا ابو جعفر يعني الرازى حدثنا الربيع بن أنس أخبرنا أبو العالية : ان عبد الله بن سلام مر على رأس الجالوت بالكوفة وهو يفادى من النساء من لم يقع عليه العرب ولا يفادي من وقع عليه العرب، فقال عبد الله : أما انه مكتوب عندك في كتابك أن تفاديهن كلهن . والذى أرشدت اليه الآية الكريمة وهذا السياق ذم اليهود في قيامهم بأمر التوراة التي يعتقدون صحتها، ومخالفة شرعها مع معرفتهم بذلك وشهادتهم له بالصحة فلهذا لايؤتمنون على مافيها ولا على نقلها ولا يصدقون فيما كتموه من صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ونعته ومبعثه ومخرجه ومهاجره وغير ذلك من شؤونه التي أخبرت بها الانبياء قبله عليهم الصلاة والسلام . واليهود عليهم لعائن الله يتكاتمونه بينهم ولهذا قال تعالى (فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا) أى بسبب مخالفتهم شرع الله وأمره (ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب) جزاء على مخالفتهم كتاب الله الذى بأيديهم (وما الله بغافل عما تعملون . أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة) واختاروها (فلا يخفف عنهم العذاب) اى لايفتر عنهم ساعة واحدة (ولا هم ينصرون) أى وليس لهم ناصر ينقذهم مما هم فيه من العذاب الدائم السرمدى ولا يجيرهم منه

---

(٨٦) ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينامن بعده بالرسل وآتيناعيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون ؟

فكان الله تعالى أخذ عليهم أربعة عهود : ترك القتال ، وترك الاخراج ، وترك المظاهرة عليهم مع أعدائهم ، وفداء أسراهم، فأعرضوا عن الكل الا الفداء قال الله تعالى ﴿ أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ﴾ قال مجاهد : يقول ان وجدته في يد غيرك فديته وأنت تقتله بيدك ﴿ فما جزاء من يفعل ذلك منكم ﴾ يامعشر اليهود ﴿ إلا خزي ﴾ عذاب وهوان ﴿ في الحياة الدنيا ﴾ فكان خزي بني قريظة القتل والسبي ، وخزي بني النضير الجلاء والنفي من منازلهم الى أذرعات وأريحاء من الشام ﴿ ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب ﴾ وهو عذاب النار ﴿ وما الله بغافل عما تعملون ﴾ قرأ ابن كثير ونافع وأبو بكر بالياء والباقون بالتاء قوله عز وجل ﴿ أولئك الذين اشتروا ﴾ استبدلوا ﴿ الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف ﴾ يهون ﴿ عنهم العذاب ولا هم ينصرون ﴾ لايمنعون من عذاب الله عز وجل قوله تعالى ﴿ ولقد آتينا ﴾ أعطينا ﴿ موسى الكتاب ﴾ التوراة جملة واحدة ﴿ وقفينا ﴾ وأتبعنا ﴿ من

ينعت تبارك وتعالى بني إسرائيل بالعتوّ والعناد والمخالفة والاستكبار على الانبياء وانهم انما يتبعون أهواءهم فذكر تعالى انه آتى موسى الكتاب وهو التوراة فحرفوها وبدلوها وخالفوا أوامرها وأولوها وارسل الرسل والنبيين من بعده الذين يحكمون بشريعته كما قال تعالى (إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين اسلموا للذين هادوا والربانيون والاحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء) الآية ولهذا قال تعالى (وقفينا من بعده بالرسل) قال السدى عن ابي مالك : أتبعنا . وقال غيره : اردفنا . والكل قريب كما قال تعالى (ثم أرسلنا رسلنا تترى) حتى ختم انبياء بني إسرائيل بعيسى بن مريم فجاء بمخالفة التوراة في بعض الاحكام ولهذا اعطاه الله من البينات وهي المعجزات . قال ابن عباس : من إحياء الموتى ، وخلقه من الطين كهيئة الطير فينفخ فيها فتكون طيرا باذن الله ، وإبراء الاسقام ، واخباره بالغيوب ، وتأييده بروح القدس وهو جبريل عليه السلام ما يدلهم على صدقه فيما جاءهم به ، فاشتد تكذيب بني إسرائيل له وحسدهم وعنادهم لمخالفة التوراة في البعض كما قال تعالى إخبارا عن عيسى (ولاحل لكم بعض الذى حرم عليكم وجئتكم بآية من ربكم) الآية فكانت بنو اسرائيل تعامل الانبياء اسوأ المعاملة ففريقا يكذبونه ، وفريقاً يقتلونه ، وما ذاك الا لانهم يأتونهم بالامور المخالفة لاهوائهم وآرائهم وبالالزام بأحكام التوراة التي قد تصرفوا في مخالفتها ، فلهذا كان ذلك يشق عليهم فكذبوهم وربما قتلوا بعضهم ، ولهذا قال تعالى (أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون)

والدليل على ان روح القدس هو جبريل كما نص عليه ابن مسعود في تفسير هذه الآية وتابعه على ذلك ابن عباس ومحمد بن كعب واسماعيل بن خالد والسدى والربيع بن أنس وعطية العوفي وقتادة مع قوله تعالى (نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين) ماقال البخاري: وقال ابن أبي الزناد عن أبيه عن أبي هريرة عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وضع لحسان بن ثابت منبرا في المسجد فكان ينافح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه

بعده بالرسل ﴾ رسولا بعد رسول ﴿ وآتينا عيسى ابن مريم البينات ﴾ الدلالات الواضحات وهي ما ذكر الله في سورة آل عمران والمائدة وقيل : أراد الانجيل ﴿ وأيدناه ﴾ قوّيناه ﴿ بروح القدس ﴾ قرأ ابن كثير القدس بسكون الدال والآخرون بضمها وهما لغتان مثل الرعب والرعب . واختلفوا في روح القدس قال الربيع وغيره : أراد الروح الذي نفخ فيه ، والقدس هو الله إضافه الى نفسه تكريما وتخصيصا أي التي نفخت فيه نحو بيت الله وناقة الله كما قال (فنفخنا فيه من روحنا) (وروح منه) وقيل : أراد بالقدس الطهارة يعني الروح الطاهرة سمي روحه قدسا لانه لم تتضمنه أصلاب الفحول ولم تشتمل عليه أرحام الطوامث انما كان أمراً من أمر الله تعالى . قال قتادة والسدّي والضحاك : روح القدس جبريل عليه السلام وقيل ، وصف جبريل بالقدس أي بالطهارة لانه لم يقترف ذنبا . وقال الحسن: القدس هو الله وروحه جبريل قال الله تعالى (قل نزله روح القدس من ربك بالحق)

وسلم «اللهم أيد حسان بروح القدس كما نافح عن نبيك» فهذا من البخاري تعليقا وقدرواه أبو داود في سننه عن ابن سيرين والترمذي عن علي بن حجر واسماعيل بن موسى الفزاري ثلاثتهم عن أبي عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه وهشام بن عروة كلاهما عن عروة عن عائشة به قال الترمذي حسن صحيح وهو حديث ابي الزناد وفي الصحيحين من حديث سفيان بن عيينة عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة أن عمر بن الخطاب مر بحسان وهو ينشد الشعر في المسجد فلحظ اليه فقال قد كنت أنشد فيه وفيه من هو خير منك ثم التفت الى أبي هريرة فقال أنشدك الله أسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «أجب عني اللهم أيده بروح القدس» فقال اللهم نعم وفي بعض الروايات ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لحسان «اهجهم - أوهاجهم - وجبريل معك» وفي شعر حسان قوله :

وجبريل رسول الله فينا وروح القدس ليس به خفاء

وقال محمد بن اسحق حدثني عبد الرحمن بن ابي حسين المكي عن شهر بن حوشب الاشعري ان نفرا من اليهود سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا أخبرنا عن الروح فقال «أنشدكم بالله وبايامه عند بني اسرائيل هل تعلمون انه جبرائيل وهو الذي يأتيني؟» قالوا نعم : وفي صحيح ابن حبان عن ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ان روح القدس نفث في روعي انه لن تموت نفس حتي تستكمل رزقها وأجلها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب * أقوال أخر - قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا منجاب بن الحارث حدثنا بشر عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس (وأيدناه بروح القدس) قال :هو الاسم الاعظم الذي كان عيسى يحيي به الموتي . وقال ابن جرير حدثت عن المنجاب فذكره وقال ابن أبي حاتم وروي عن سعيد بن جبير نحو ذلك ونقله القرطبي عن عبيد بن عمير ايضا قال: وهو الاسم الاعظم . وقال ابن ابى نجيح : الروح هو حفظة على الملائكة وقال ابو جعفر الرازى عن الربيع بن انس : القدس هو الرب تبارك وتعالى . وهو قول كعب وحكى القرطبي عن مجاهد والحسن البصرى انهما قالا : القدس هو الله تعالى وروحه جبريل . فعلى هذا يكون القول الاول ، وقال السدى : القدس البركة . وقال العوفي عن ابن عباس : القدس الطهر . وقال ابن جرير حدثنا يونس بن عبد الاعلى انبأنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله تعالى

وتأييد عيسى بجبريل عليهما السلام انه امر أن يسير معه حيث سار حتى صعد به الله الى السماء وقيل : سمي جبريل عليه السلام روحا للطافته ولمكانته من الوحي الذى هو سبب حياة القلوب . وقال ابن عباس وسعيد بن جبير : روح القدس هو اسم الله تعالى الاعظم الذى كان يحيي به الموتى ويري الناس العجائب وقيل : هو الانجيل جعل له روحا كما جعل القرآن روحا لمحمد صلى الله عليه وسلم لانه سبب لحياة القلوب وقال تعالى (وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا) فلما سمعت اليهود ذكر عيسي عليه السلام قالوا : يامحمد لامثل عيسي كما تزعم عملت ، ولا كما يقص علينا من الانبياء فعلت ،

(وايدناه بروح القدس) قال : ايد الله عيسى بالانجيل روحا كما جعل القرآن روحا كلاهما روح من الله كما قال تعالى (وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا) ثم قال ابن جرير واولى التأويلات في ذلك بالصواب قول من قال الروح في هذا الموضع جبرائيل فان الله تعالى اخبر انه ايد عيسى به كما اخبر في قوله تعالى (اذ قال الله يا عيسى بن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك اذ ايدتك بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلا واذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل) الآية فذكر انه ايده به فلو كان الروح الذي ايده به هو الانجيل لكان قوله (واذ ايدتك بروح القدس واذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل) تكرير قول لا معنى له والله سبحانه وتعالى اعز واجل ان يخاطب عباده بما لا يفيدهم به (قلت) ومن الدليل على انه جبرائيل ما تقدم من اول السياق ولله الحمد ، وقال الزمخشري (بروح القدس) بالروح المقدسة كما تقول حاتم الجود ورجل صدق ووصفها بالقدس كما قال (وروح منه) فوصفه بالاختصاص والتقريب تكرمة وقيل لانه لم تضمه الاصلاب والارحام الطوامث وقيل بجبريل وقيل بالانجيل كما قال في القرآن (روحا من امرنا) وقيل باسم الله الاعظم الذى كان يحيى الموتى بذكره فتضمن كلامه قولا آخر وهو ان المراد روح عيسى نفسه المقدسة المطهرة وقال الزمخشري في قوله تعالى (ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون) انما لم يقل وفريقا قتلتم لانه اراد بذلك وصفهم في المستقبل ايضا لانهم حاولوا قتل النبي صلى الله عليه وسلم بالسم والسحر وقد قال عليه السلام في مرض موته «مازالت اكلة خيبر تعاودني فهذا اوان انقطاع ابهرى» (قلت) وهذا الحديث في صحيح البخاري وغيره

(٨٧) وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم فقليلا مايؤمنون *

قال محمد بن اسحق حدثني محمد بن ابي محمد عن عكرمة او سعيد عن ابن عباس (وقالوا قلوبنا غلف) أي في أكنة : وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (وقالوا قلوبنا غلف) أي لا تفقه وقال العوفي عن ابن عباس (وقالوا قلوبنا غلف) هي القلوب المطبوع عليها وقال مجاهد (وقالوا قلوبنا غلف) عليها غشاوة وقال عكرمة : عليها طابع ، وقال ابو العالية: أي لا تفقه ، وقال السدى يقولون عليها غلاف وهو الغطاء : وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة : فلا تعي ولا تفقه ؛ قال

فأتنا بما اتى به عيسى ان كنت صادقا قال الله تعالى ﴿ أفكلما جاءكم ﴾ يامعشر اليهود ﴿ رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ﴾ تكبرتم وتعظمتم عن الايمان ﴿ ففريقا ﴾ طائفة ﴿ كذبتم ﴾ مثل عيسي ومحمد صلى الله عليه وسلم ﴿ وفريقا تقتلون ﴾ أي قتلتم مثل زكريا ويحيى وشعيا وسائر من قتلوا من الانبياء عليهم السلام ﴿ وقالوا ﴾ يعني اليهود ﴿ قلوبنا غلف ﴾ جمع أغلف وهو الذى عليه غشاوة معناه عليها غشاوة فلا تسمع ولا تفقه ما يقال . قال مجاهد وقتادة : نظيره قوله تعالى (وقالوا قلوبنا في أكنة) وقرأ ابن عباس غلف بضم اللام وهي قراءة الاعرج وهي جمع غلاف أي قلوبنا أوعية لكل

مجاهد وقتادة : وقرأ ابن عباس غلف بضم اللام وهو جمع غلاف أي قلوبنا أوعية لكل علم فلا نحتاج الى علمك قاله ابن عباس وعطاء (بل لعنهم الله بكفرهم) أي طردهم الله وأبعدهم من كل خير (فقليلا مايؤمنون) قال قتادة معناه لايؤمن منهم الا القليل (وقالوا قلوبنا غلف)هو كقوله (وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا اليه)وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله غلف قال تقول قلبي في غلاف فلا يخلص اليه مما تقول شيء وقرأ(وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا اليه) وهذا الذي رجحه ابن جرير واستشهد بما روى من حديث عمرو بن مرة الجملي عن أبي البختري عن حذيفة قال القلوب أربعة فذكر منها «وقلب أغلف مغضوب عليه وذاك قلب الكافر» وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عبد الرحمن العرزمي أنبأنا أبي عن جدى عن قتادة عن الحسن في قوله (قلوبناغلف) قال لم تختن وهذا القول يرجع معناه الى ماتقدم من عدم طهارة قلوبهم وانها بعيدة من الخير ∗ قول آخر— قال الضحاك عن ابن عباس (وقالوا قلوبناغلف) قال يقولون قلوبناغلف مملوءة لا تحتاج الى علم محمد ولا غيره ∗ وقال عطية العوفي عن ابن عباس (وقالوا قلوبنا غلف) أي أوعية للعلم وعلى هذا المعنى جاءت قراءة بعض الانصار فيما حكاه ابن جرير وقالواقلوبنا غلف بضم اللام نقلها الزمخشري أى جمع غلاف أى أوعية بمعنى انهم ادعوا أن قلوبهم مملوءة بعلم لايحتاجون معه الى علم آخر كما كانوا يمتون بعلم التوراة ولهذا قال تعالى (بل لعنهم الله بكفرهم فقليلا ما يؤمنون) أى ليس الامر كما ادعوا بل قلوبهم ملعونة مطبوع عليها كما قال في سورة النساء (وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلايؤمنون الاقليلا) وقد اختلفوا في معنى قوله (فقليلامايؤمنون) وقوله (فلا يؤمنون الاقليلا) فقال بعضهم فقليل من يؤمن منهم وقيل فقليل ايمانهم بمعنى انهم يؤمنون بما جاءهم به موسى من أمر المعاد والثواب والعقاب ولكنه ايمان لاينفعهم لانه مغمور بما كفروا به من الذي جاءهم به محمد صلى الله عليه وسلم ، وقال بعضهم انما كانوا غير مؤمنين بشيء وانما قال فقليلا مايؤمنون وهم بالجميع كافرون كما تقولون العرب قلما رأيت مثل هذا قط. تريد مارأيت مثل هذا قط وقال الكسائي تقول العرب من زنى بأرض قلما تنبت أى لاتنبت شيئا حكاه ابن جرير رحمه الله والله أعلم

(٨٨) ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على

علم فلا نحتاج الى علمك قاله ابن عباس وعطاء . وقال الكلبي : معناه أوعية لكل علم فهي لا تسمع حديثا الا وعته الا حديثك لا تعقله ولا تعيه ولو كان فيه خير اوعته وفهمته. قال الله عزوجل ﴿ بل لعنهم الله ﴾ طردهم الله وأبعدهم عن كل خير ﴿ بكفرهم فقليلا ما يؤمنون ﴾ قال قتادة : معناه لايؤمن منهم الا قليل لان من آمن من المشركين أكثر ممن آمن من اليهود أي فقليلا يؤمنون ونصب قليل على الحال وقال معمر: لا يؤمنون الا بقليل مما في أيديهم ويكفرون بأكثره أي فقليل يؤمنون ونصب قليلا بنزع الخافض وما صلة على قولهما . وقال الواقدي : معناه لا يؤمنون لا قليلا ولا كثيراً كقول الرجل للآخر : ما أقل ما تفعل كذا أي لا تفعله أصلا ﴿ ولما جاءهم كتاب من عند الله ﴾ يعني

الذين كفروا فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين ■

يقول تعالى ولما جاءهم يعني اليهود كتاب من عند الله وهو القرآن الذى أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم مصدق لما معهم يعني من التوراة وقوله (و كانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا) أى وقد كانوا من قبل مجيء هذا الرسول بهذا الكتاب يستنصرون بمجيئه على أعدائهم من المشركين اذا قاتلوهم يقولون انه سيبعث نبي في آخر الزمان نقتلكم معه قتل عاد وارم كما قال محمد بن اسحق عن عاصم بن عمرو عن قتادة الانصارى عن أشياخ منهم قال فينا والله وفيهم يعني في الانصار وفي اليهود الذين كانوا جيرانهم نزلت هذه القصة يعني (ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به) قالوا كنا قد علوناهم قهرا دهرا في الجاهلية ونحن أهل شرك وهم أهل كتاب وهم يقولون ان نبيا سيبعث الآن نتبعه قد أظل زمانه فنقتلكم معه قتل عاد وارم، فلما بعث الله رسوله من قريش واتبعناه كفروا به، يقول الله تعالى (فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين) وقال الضحاك عن ابن عباس في قوله (وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا) وقال يستنصرون يقولون نحن نعين محمدا عليهم وليسوا كذلك بل يكذبون ■ وقال محمد بن اسحق أخبرني محمد بن أبي محمد أخبرني عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس ان يهود كانوا يستفتحون على الاوس والخزرج برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه فلما بعثه الله من العرب كفروا به وجحدوا ما كانوا يقولون فيه ■ فقال لهم معاذ بن جبل وبشر بن البراء بن معرور وداود بن سلمة يامعشر يهود اتقوا الله وأسلموا فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد صلى الله عليه وسلم ونحن أهل شرك وتخبروننا بانه مبعوث وتصفونه بصفته فقال سلام بن مشكم أخو بني النضير ماجاءنا بشيء نعرفه وما هو بالذي كنا نذكر لكم . فانزل الله في ذلك من قولهم (ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم) الآية . وقال العوفي عن ابن عباس (وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا) يقول يستنصرون بخروج محمد صلى الله عليه وسلم على مشركي العرب، يعني بذلك أهل الكتاب ■ فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم ورأوه من غيرهم كفروا به وحسدوه . وقال أبو العالية : كانت اليهود تستنصر بمحمد صلى الله عليه وسلم على مشركي

القرآن ﴿ مصدق ﴾ موافق ﴿ لما معهم ﴾ يعني التوراة ﴿ وكانوا ﴾ يعني اليهود ﴿ من قبل ﴾ من قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ يستفتحون ﴾ يستنصرون ﴿ على الذين كفروا ﴾ على مشركي العرب وذلك انهم كانوا يقولون اذا حزبهم أمر ودهمهم عدوّ : اللهم انصرنا عليهم بالنبي المبعوث في آخر الزمان الذى نجد صفته في التوراة فكانوا ينصرون ■ وكانوا يقولون لاعدائهم من المشركين قد أظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وثمود وإرم ﴿ فلما جاءهم ما عرفوا ﴾ يعني محمدا صلى الله عليه وسلم من غير بني اسرائيل وعرفوا نعته وصفته ﴿ كفروا به ﴾ بغيا وحسدا ﴿ فلعنة

العرب يقولون اللهم ابعث هذا النبي الذي نجده مكتوبا عندنا حتى نعذب المشركين ونقتلهم . فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم ورأوا أنه من غيرهم كفروا به حسدا للعرب وهم يعلمون انه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال الله تعالى (فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين) وقال قتادة (وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا) قال وكانوا يقولون أنه سيأتي نبي (فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به) وقال مجاهد (فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين) قال هم اليهود

(٨٩) بئسما اشتروا به انفسهم ان يكفروا بما أنزل الله بغيا ان ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده فباؤا بغضب على غضب وللكافرين عذاب مهين)

قال مجاهد (بئسما اشتروا به أنفسهم) يهود شروا الحق بالباطل وكتمان ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم بان يبينوه ، وقال السدي (بئسما اشتروا به أنفسهم) يقول باعوا به أنفسهم يقول بئسما اعتاضوا لانفسهم فرضوا به وعدلوا اليه من الكفر بما أنزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم عن تصديقه وموازرته ونصرته وانما حملهم على ذلك البغي والحسد والكراهية (أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده) ولا حسد أعظم من هذا ، قال ابن اسحق عن محمد عن عكرمة أو سعيد عن ابن عباس (بئسما اشتروا به أنفسهم ان يكفروا بما أنزل الله بغيا أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده) أي ان الله جعله من غيرهم (فبآوا بغضب على غضب) قال ابن عباس في الغضب على الغضب فغضب عليهم فيما كانوا ضيعوا من التوراة وهي معهم وغضب عليهم بكفرهم بهذا النبي الذي بعث الله اليهم (قلت) ومعنى (باؤا) استوجبوا واستحقوا واستقروا بغضب على غضب ، وقال أبو العالية : غضب الله عليهم بكفرهم بالانجيل وعيسى ثم غضب الله عليهم بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن ، وعن عكرمة وقتادة مثله قال السدي : أما الغضب الاول فهو حين غضب

الله على الكافرين ﴿بئسما اشتروا به أنفسهم﴾ بئس ونعم فعلان ماضيان وضعا للمدح والذم لايتصرفان تصرف الافعال معناه بئس الذى اختاروا لانفسهم حين استبدلوا الباطل بالحق وقيل : الاشتراء ههنا بمعنى البيع والمعنى بئس ما باعوا به حظ أنفسهم أى اختاروا الكفر وبذلوا أنفسهم للنار ﴿ أن يكفروا بما أنزل الله ﴾ يعني القرآن ﴿ بغيا ﴾ أى حسدا وأصل البغي الفساد يقال بغى الجرح اذا فسد والبغي الظلم وأصله الطلب والباغي طالب الظلم ، والحاسد يظلم المحسود جهده طلبا لازالة نعمة الله تعالى عنه ﴿ أن ينزل الله من فضله ﴾ أى النبوة والكتاب ﴿ على من يشاء من عباده ﴾ محمد صلى الله عليه وسلم قرأ أهل مكة والبصرة ينزل وبابه بالتخفيف (الا في سبحان الذى) في موضعين (وننزل من القرآن) و(حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه) فان ابن كثير يشددهما وشدد البصريون في الانعام (على أن ينزل آية) زاد يعقوب تشديد (بما ينزل) في النحل ووافق حمزة والكسائي في تخفيف (وينزل الغيث)

عليهم في العجل وأما الثاني فغضب عليهم حين كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس مثله * وقوله تعالى (وللكافرين عذاب مهين) لما كان كفرهم سببه البغي والحسد ومنشأ ذلك التكبر قوبلوا بالاهانة والصغار في الدنيا والآخرة كما قال تعالى (ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين) أي صاغرين حقيرين ذليلين راغمين وقد قال الامام أحمد حدثنا يحيى حدثنا ابن عجلان عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الناس يعلوهم كل شيء من الصغار حتى يدخلوا سجنا في جهنم يقال له بولس تعلوهم نار الانيار يسقون من طينة الخبال عصارة أهل النار»

(٩٠) واذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقا لما معهم قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين (٩١) ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون *

يقول تعالى (واذا قيل لهم) أي لليهود وأمثالهم من أهل الكتاب (آمنوا بما أنزل الله) على محمد صلى الله عليه وسلم وصدقوه واتبعوه (قالوا نؤمن بما أنزل علينا) أي يكفينا الايمان بما أنزل علينا من التوراة والانجيل ولا نقر الا بذلك (ويكفرون بما وراءه) يعني بما بعده (وهو الحق مصدقا لما معهم) أي وهم يعلمون ان ما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم (الحق مصدقا لما معهم) منصوبا على الحال أي في حال تصديقه لما معهم من التوراة والانجيل * فالحجة قائمة عليهم بذلك كما قال تعالى (الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم) ثم قال تعالى (فلم تقتلون أنبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين) أي ان كنتم صادقين في دعواكم الايمان بما أنزل اليكم فلم قتلتم الانبياء الذين جاؤكم بتصديق التوراة التي بأيديكم والحكم بها وعدم نسخها وأنتم تعلمون صدقهم؟ قتلتموهم بغيا وعنادا واستكبارا على رسل الله فلستم تتبعون الا مجرد الأهواء والآراء والتشهي كما قال تعالى (أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون) وقال السدي في هذه الآية يعيرهم الله تبارك وتعالى (قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين) وقال أبو

في سورة لقمان وحمعسق * والآخرون يشددون الكل ، ولم يختلفوا في تشديد (وما ننزله إلا بقدر) في الحجر ﴿فباؤا﴾ رجعوا ﴿بغضب على غضب﴾ أي مع غضب . قال ابن عباس ومجاهد: الغضب الاول بتضييعهم التوراة وتبديلهم ، والثاني بكفرهم بمحمد صلى الله عليهم وسلم والقرآن . وقال قتادة : الاول بكفرهم بعيسى والانجيل ، والثاني بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن . وقال السدي: الاول بعبادة العجل والثاني بالكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم ﴿وللكافرين﴾ الجاحدين بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم من الناس كلهم ﴿عذاب مهين﴾ مخز يهانون فيه * قوله عز وجل ﴿وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله﴾ يعني القرآن ﴿قالوا نؤمن بما أنزل علينا﴾ يعني التوراة يكفينا ذلك ﴿ويكفرون

جعفر بن جرير قل يا محمد ليهود بني اسرائيل اذا قلت لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا : لم تقتلون ـ ان كنتم مؤمنين بما أنزل الله ـ أنبياء الله يامعشر اليهود وقد حرم الله في الكتاب الذى أنزل عليكم قتلهم بل أمركم باتباعهم وطاعتهم وتصديقهم وذلك من الله تكذيب لهم في قولهم نؤمن بما أنزل علينا وتعيير لهم ■ (ولقد جاءكم موسى بالبينات) أى بالآيات الواضحات والدلائل القاطعات على انه رسول الله وانه لا إله الا الله والآيات البينات هي الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والعصا واليد وفرق البحر وتظليلهم بالغمام والمن والسلوى والحجر وغير ذلك من الآيات التى شاهدوها ثم اتخذتم العجل أى معبودا من دون الله في زمان موسى وأيامه ، وقوله من بعده أى من بعد ماذهب عنكم الى الطور لمناجاة الله عز وجل كما قال تعالى (واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسداً له خوار) (وأنتم ظالمون) أى وأنتم ظالمون في هذا الصنيع الذى صنعتموه من عبادتكم العجل وأنتم تعلمون انه لا إله الا الله كما قال تعالى (ولما سقط في أيديهم ورأوا انهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين)

---

(٩٢) واذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا ، قالوا سمعنا وعصينا . وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم قل بئسما يأمركم به ايمانكم ان كنتم مؤمنين*

يعدد سبحانه وتعالى عليهم خطأهم ومخالفتهم الميثاق وعتوهم واعراضهم عنه حتى رفع الطور عليهم حتى قبلوه ثم خالفوه (ولهذا قالوا سمعنا وعصينا) وقد تقدم تفسير ذلك (وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم) قال عبد الرزاق عن قتادة (وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم) قال اشربوا حبه حتى خلص ذلك الى قلوبهم وكذا قال أبو العالية والربيع بن أنس وقال الامام احمد حدثنا عصام ابن خالد حدثني أبو بكر بن عبدالله بن أبي مريم الغساني عن خالد بن محمد الثقفى عن بلال بن أبي الدرداء عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم : قال «حبك الشيء يعمي و يصم» ورواه أبو داود عن حيوة بن شريح عن بقية عن أبي بكر بن عبد الله بن أبي مريم به ، وقال السدى أخذ موسى

بما وراءه ﴾ أى بما سواه من الكتب كقوله عز وجل (فمن ابتغى وراء ذلك) ى سواه وقال ابو عبيدة : بما بعده ﴿ وهو الحق ﴾ يعني القرآن ﴿ مصدقا ﴾ نصب على الحال ﴿ لما معهم ﴾ من التوراة ﴿ قل ﴾ لهم يامحمد ﴿ فلم تقتلون ﴾ أى قتلتم ﴿ أنبياء الله من قبل ﴾ ولم أصله لما فحذفت الالف فرقا بين الخبر والاستفهام كقولهم فيم وبم ﴿ إن كنتم مؤمنين ﴾ بالتوراة وقد نهيتم فيها عن قتل الانبياء عليهم السلام ■ قوله عز وجل ﴿ ولقد جاءكم موسى بالبينات ﴾ بالدلالات الواضحة والمعجزات الباهرة ﴿ ثم اتخذتم العجل من بعده ﴾ أي من بعد انطلاقه الى الجبل ﴿ وأنتم ظالمون * وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا ﴾ أي استجيبوا وأطيعوا سميت الطاعة والاجابة سمعا على المجاز لانه سبب للطاعة والاجابة ﴿ قالوا سمعنا ﴾ قولك ﴿ وعصينا ﴾ أمرك وقيل : سمعنا

عليه السلام العجل فذبحه بالمبرد ثم ذراه في البحر ثم لم يبق بحر يجرى يومئذ الا وقع فيه شيء ثم قال لهم موسى اشربوا منه فشربوا فمن كان يحبه خرج على شاربيه الذهب فذلك حين يقول الله تعالى (وأشربوا في قلوبهم العجل) وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبد الله بن رجاء حدثنا اسرائيل عن أبي اسحق عن عمارة بن عمير وأبي عبد الرحمن السلمي عن على رضي الله عنه قال عمد موسى الى العجل فوضع عليه المبارد فبرده بها وهو على شاطئ نهر فما شرب أحد من ذلك الماء ممن كان يعبد العجل الا اصفر وجهه مثل الذهب ، وقال سعيد بن جبير (وأشربوا في قلوبهم العجل) قال لما أحرق العجل برد ثم نسف فحسوا الماء حتى عادت وجوههم كالزعفران ، وحكى القرطبي عن كتاب القشيري انه ماشرب أحد (منه) ممن عبد العجل الاجن ثم قال القرطبي وهذا شيء غير ما ههنا لان المقصود من هذا السياق انه ظهر على شفاههم ووجوههم والمذكور ههنا انهم أشربوا في قلوبهم العجل يعني في حال عبادتهم له ثم أنشد قول النابغة في زوجته عثمة

تغلغل حب عثمة في فؤادي فباديه مع الخافي يسير
تغلغل حيث لم يبلغ شراب ولا حزن ولم يبلغ سرور
أكاد اذا ذكرت العهد منها أطير لو ان انسانا يطير

وقوله (قل بئسما يأمركم به إيمانكم ان كنتم مؤمنين) أى بئسما تعتمدونه في قديم الدهر وحديثه من كفركم بآيات الله ومخالفتكم الانبياء ثم اعتمادكم في كفركم بمحمد صلى الله عليه وسلم وهذا أكبر ذنوبكم وأشد الامور عليكم اذ كفرتم بخاتم الرسل وسيد الانبياء والمرسلين المبعوث الى الناس أجمعين فكيف تدعون لانفسكم الايمان وقد فعلتم هذه الافاعيل القبيحة من نقضكم المواثيق وكفركم بآيات الله وعبادتكم العجل من دون الله

---

(٩٣) قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين (٩٤) ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين (٩٥) ولتجدنهم

بالاذن وعصينا بالقلوب . قال أهل المعاني : إنهم لم يقولوا هذا بألسنتهم ولكن لما سمعوه وتلقوه بالعصيان نسب ذلك الى القول اتساعا ﴿ وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم ﴾ أي حب العجل أي معناه أدخل في قلوبهم حب العجل وخالطها كاشراب اللون لشدة الملازمة يقال فلان أشرب اللون اذا اختلط بياضه بالحمرة . وفي القصص: إن موسى أمر أن يبرد العجل بالمبرد ثم يذروه في النهر وأمرهم بالشرب منه فمن بقي في قلبه شيء من حب العجل ظهرت سحالة الذهب على شاربه ، قوله عز وجل ﴿ قل بئسما يأمركم به إيمانكم ﴾ أن تعبدوا العجل من دون الله أي بئس ايمان يأمر بعبادة العجل ﴿ إن كنتم مؤمنين ﴾ بزعمكم وذلك انهم قالوا (نؤمن بما أنزل علينا) فكذبهم الله عز وجل ، قوله تعالى ﴿ قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله ﴾ وذلك إن اليهود ادعوا دعاوي باطلة مثل قولهم: لن

أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا يود أحدهم لو يعمر ألف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر، والله بصير بما يعملون

قال محمد بن اسحق عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنه يقول الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين) أي ادعوا بالموت على أي الفريقين أكذب، فأبوا ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم (وان يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين) أي بعلمهم بما عندهم من العلم بل والكفر بذلك ولو تمنوه يوم قال لهم ذلك ما بقي على الارض يهودي الا مات . وقال الضحاك عن ابن عباس فتمنوا الموت ـ فسلوا الموت وقال عبد الرزاق عن معمر عن عبد الكريم الجزري عن عكرمة قوله: فتمنوا الموت ان كنتم صادقين. قال قال ابن عباس لو تمنى يهود الموت لماتوا. وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي حدثنا علي بن محمد الطنافسي حدثنا عثام سمعت الاعمش قال لا أظنه إلا عن المنهال عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: لو تمنوا الموت لشرق أحدهم بريقه ، وهذه أسانيد صحيحة الى ابن عباس ، وقال ابن جرير في تفسيره وبلغنا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لو أن اليهود تمنوا الموت لماتوا ولرأوا مقاعدهم من النار ولو خرج الذين يباهلون رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجعوا لا يجدون أهلا ولا مالا ، حدثنا بذلك أبو كريب حدثنا زكريا بن عدى حدثنا عبيد الله بن عمرو عن عبد الكريم عن عكرمة عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ورواه الامام أحمد عن اسمعيل ابن يزيد الرقي حدثنا فرات عن عبد الكريم به ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا الحسن بن أحمد حدثنا ابراهيم بن عبد الله بن بشار حدثنا سرور بن المغيرة عن عباد بن منصور عن الحسن قال قول الله : ما كانوا ليتمنوه بما قدمت أيديهم . قلت أرأيتك لو أنهم أحبوا الموت حين قيل لهم تمنوا الموت أتراهم كانوا ميتين قال : لا والله ما كانوا ليموتوا ولو تمنوا الموت وما كانوا ليتمنوه وقد قال الله ما سمعت (وان يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين) وهذا غريب عن الحسن ، ثم هذا الذي فسر به ابن عباس الآية هو المتعين وهو الدعاء على أي الفريقين أكذب منهم أو من المسلمين على وجه المباهلة، ونقله ابن جرير عن قتادة وأبي العالية والربيع بن أنس رحمهم الله تعالى ، ونظير هذه الآية

تمسنا النار إلا أياما معدودة وان يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى وقولهم : نحن أبناء الله وأحباؤه. فكذبهم الله عز وجل وألزمهم الحجة فقال قل لهم يا محمد « إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله » يعني الجنة ﴿ خالصة ﴾ أي خاصة ﴿ من دون الناس فتمنوا الموت ﴾ أي فأريدوه أو اسألوه لان من علم أن الجنة مأواه حن اليها ولا سبيل الى دخولها الا بعد الموت فاستعجلوه بالتمني ﴿ إن كنتم صادقين ﴾ في قولكم وقيل : فتمنوا الموت ـ أي ادعوا بالموت على الفرقة الكاذبة . وروي عن ابن عباس : ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « لو تمنوا الموت لغص كل إنسان منهم بريقه

قوله تعالى في سورة الجمعة (قل يا أيها الذين هادوا ان زعمتم أنكم أولياء الله من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين * ولا يتمنونه أبدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين * قل ان الموت الذي تفرون منه فانه ملاقيكم ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون) فهم عليهم لعائن الله تعالى لما زعموا انهم أبناء الله وأحباؤه وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى دعوا الى المباهلة والدعاء على أكذب الطائفتين منهم أو من المسلمين ، فلما نكلوا عن ذلك علم كل أحد أنهم ظالمون لانهم لو كانوا جازمين بما هم فيه لكانوا أقدموا على ذلك ، فلما تأخروا علم كذبهم وهذا كما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد نجران من النصارى بعد قيام الحجة عليهم في المناظرة وعتوهم وعنادهم الى المباهلة ، فقال الله تعالى (فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين) فلما رأوا ذلك قال بعض القوم لبعض والله لئن باهلتم هذا النبي لا يبقى منكم عين تطرف ، فعند ذلك جنحوا للسلم وبذلوا الجزية عن يد وهم صاغرون فضربها عليهم وبعث معهم أباعبيدة بن الجراح أمينا ، ومثل هذا المعنى أو قريب منه قول الله تعالى لنبيه ان يقول للمشركين (قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا) أي من كان في الضلالة منا ومنكم فزاده الله مما هو فيه ومد له واستدرجه كما سيأتي تقريره في موضعه ان شاء الله تعالى .

وأما من فسر الآية على معنى (ان كنتم صادقين) أي في دعواكم فتمنوا الآن الموت ولم يتعرض هؤلاء المباهلة كما قرره طائفة من المتكلمين وغيرهم ، ومال اليه ابن جرير بعد ما قارب القول الاول : فانه قال القول في تأويل قوله تعالى (قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس) الآية فهذه الآية مما احتج الله سبحانه لنبيه صلى الله عليه وسلم على اليهود الذين كانوا بين ظهراني مهاجره وفضح بها أحبارهم وعلماءهم وذلك أن الله تعالى أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يدعوهم الى قضية عادلة فيما كان بينه وبينهم من الخلاف كما أمره أن يدعو الفريق الآخر من النصارى اذا خالفوه في عيسى بن مريم عليه السلام وجادلوه فيه الى فاصلة بينه وبينهم من المباهلة ، فقال لفريق اليهود ان كنتم محقين فتمنوا الموت فان ذلك غير ضاركم ان كنتم محقين فيما تدعون من الايمان وقرب المنزلة من الله لكم لكي يعطيكم (١) أمنيتكم من الموت اذا تمنيتم فانما تصيرون الى الراحة من تعب الدنيا ونصبها وكدر عيشها والفوز بجوار الله في جنانه ان كان الامر كما تزعمون من ان الدار

(١) قوله لكم لكي يعطيكم الخ عبارة ابن جرير في تفسيره المطبوع : بل ان أعطيتم الخ

وما بقي على وجه الارض يهودي إلا مات » قال الله تعالى ﴿ ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم ﴾ لعلمهم أنهم في دعواهم كاذبون وأراد (بما قدمت أيديهم) ما قدموه من الاعمال وأضاف العمل الى اليد لان أكثر جنايات الانسان تكون باليد فاضيف الى اليد أعماله وان لم يكن لليد فيها عمل ﴿ والله عليم بالظالمين ، ولتجدنهم ﴾ اللام لام القسم والنون تأكيد للقسم تقديره والله لتجدنهم يامحمد يعني اليهود ﴿ أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا ﴾ قيل : هو متصل بالاول أي وأحرص من

الآخرة لكم خالصة دوننا وان لم تعطوها علم الناس انكم المبطلون ونحن المحقون في دعوانا وانكشف أمرنا وأمركم لهم فامتنعت اليهود من الاجابة الى ذلك لعلمها ، أنها ان تمنت الموت هلكت فذهبت دنياها وصارت الى خزي الابد في آخرتها كما امتنع فريق النصارى الذين جادلوا النبي صلى الله عليه وسلم في عيسى اذ دعوا للمباهلة من المباهلة (١)

فهذا الكلام منه اوله حسن وآخره فيه نظر ، وذلك انه لا تظهر الحجة عليهم على هذا التأويل إذ يقال انه لا يلزم من كونهم يعتقدون انهم صادقون في دعواهم انهم يتمنون الموت فانه لا ملازمة بين وجود الصلاح وتمني الموت وكم من صالح لا يتمنى الموت بل يودّ ان يعمر ليزداد خيرا وترتفع درجته في الجنة كما جاء في الحديث « خيركم من طال عمره وحسن عمله » ولهم مع ذلك ان يقولوا على هذا فها أنتم تعتقدون أيها المسلمون أنكم أصحاب الجنة وأنتم لا تتمنون في حال الصحة الموت ، فكيف تلزموننا بما لا يلزمكم ؟ وهذا كله انما نشأ من تفسير الآية على هذا المعنى ، فاما على تفسير ابن عباس فلا لزم عليه شيء من ذلك بل قيل لهم كلام نصف ان كنتم تعتقدون أنكم أولياء الله من دون الناس وأنكم أبناء الله واحباؤه وأنكم من أهل الجنة ومن عداكم من أهل النار فباهلوا على ذلك وادعوا على الكاذبين منكم أو من غيركم ، واعلموا ان المباهلة تستأصل الكاذب لا محالة ، فلما تيقنوا ذلك وعرفوا اصدقه نكلوا عن المباهلة لما يعلمون من كذبهم وافترائهم وكتمانهم الحق من صفة الرسول صلى الله عليه وسلم ونعته وهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ويتحققونه ، فعلم كل أحد باطلهم وخزيهم وضلالهم وعنادهم عليهم لعائن الله المتتابعة الى يوم القيامة. وسميت هذه المباهلة تمنيا لان كل محق يود لو أهلك الله المبطل المناظر له ولا سيما اذا كان في ذلك حجة له في بيان حقه وظهوره وكانت المباهلة بالموت لان الحياة عندهم عزيزة عظيمة لما يعلمون من سوء مآلهم بعد الموت ، ولهذا قال تعالى (ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين ◦ ولتجدنهم أحرص الناس على حياة) أي على طول العمر لما يعلمون من مآلهم السيء ، وعاقبتهم عند الله الخاسرة لان الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر فهم يودون لو تأخروا عن مقام الآخرة بكل ما أمكنهم وما يحاذرون منه واقع بهم لا محالة حتى وهم أحرص من المشركين الذين لا كتاب لهم وهذا من باب عطف الخاص على العام قال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سنان حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن سفيان عن الاعمش عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس (ومن الذين أشركوا)قال الاعاجم ، وكذا رواه الحاكم

(١) قوله الذين جادلوا النبي الخ من كلام ابن جرير وكان ساقطا من النسخة المطبوعة كما سقط قبله ألفاظ أخرى بحيث كان المنقول غير مفهوم حتى وضع له مصححه حاشية طلب فيها أن يحرر الكلام لأن تفسير ابن جرير لم يكن لديه ونحن صححنا العبارة على أصلها منه

الذين أشركوا وقيل : تم الكلام بقوله (على حياة) ثم ابتدأ (من الذين أشركوا) وأراد بالذين أشركوا المجوس . قال ابو العالية والربيع : سموا مشركين لانهم يقولون بالنور والظلمة ﴿ يودُّ ﴾ يريد ويتمني ﴿ أحدهم لو يعمر ألف سنة ﴾ يعني تعمير ألف سنة وهي تحية المجوس فيما بينهم يقولون عش الف سنة وكل الف نيروز ومهرجان يقول الله تعالى اليهود أحرص على الحياة من المجوس الذين يقولون ذلك ﴿ وما هو بمزحزحه ﴾ مباعده ﴿ من العذاب ﴾ من النار ﴿ أن يعمر ﴾ أي طول عمره لا يبعده

في مستدركه من حديث الثورى وقال صحيح على شرطهما ولم يخرجاه . قال وقد اتفقا على سند تفسير الصحابي، وقال الحسن البصري ولتجدنهم أحرص الناس على حياة . قال المنافق أحرص الناس وأحرص من المشرك على حياة يود أحدهم أي يود أحد اليهود كما يدل عليه نظم السياق ، وقال أبو العالية يود أحدهم أي أحد المجوس وهو يرجع الى الاول لو يعمر ألف سنة . قال الاعمش عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس (يود أحدهم لو يعمر ألف سنة) قال هو كقول الفارسي «ده هزار سال» يقول عشرة آلاف سنة . وكذا روي عن سعيد بن جبير نفسه أيضا ، وقال ابن جرير حدثنا محمد بن علي بن الحسن بن شقيق سمعت أبي علي يقول حدثنا أبو حمزة عن الاعمش عن مجاهد عن ابن عباس في قوله (يود أحدهم لو يعمر ألف سنة) قال هو قول الاعاجم هزار سال نوروز مهرجان(١) وقال مجاهد (يود أحدهم لو يعمر ألف سنة) قال : حببت اليهم الخطيئة طول العمر ، وقال مجاهد بن اسحق عن محمد بن أبي محمد عن سعيد أو عكرمة عن ابن عباس (وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر) أي وما هو بمنجيه من العذاب ، وذلك ان المشرك لا يرجو بعثا بعد الموت فهو يحب طول الحياة وأن اليهودي قد عرف ماله في الآخرة من الخزى ما ضيع ما عنده من العلم وقال العوفي عن ابن عباس (وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر) قال هم الذين عادوا جبرائيل ، قال أبو العالية وابن عمر فما ذاك بمغيثه من العذاب ولا منجيه منه . وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في هذه الآية يهود أحرص على الحياة من هؤلاء ، وقد ود هؤلاء لو يعمر أحدهم ألف سنة وليس ذلك بمزحزحه من العذاب، لو عمر كما عمر ابليس لم ينفعه اذ كان كافرا ، (والله بصير بما يعملون) أي خبير بصير بما يعمل عباده من خير وشر وسيجازي كل عامل بعمله

(١) نص تفسير ابن جرير : سال زه نوروز مهرجان حر

---

(٩٥) قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين (٩٦) من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فان الله عدو للكافرين

قال الامام أبو جعفر بن جرير الطبري رحمه الله أجمع أهل العلم بالتأويل جميعا ان هذه الآية نزلت جوابا لليهود من بني اسرائيل اذ زعموا أن جبريل عدو لهم وان ميكائيل ولي لهم ثم اختلفوا في السبب الذى من أجله قالوا ذلك فقال بعضهم انما كان سبب قيلهم ذلك من أجل مناظرة جرت بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمر نبوته (ذكر من قال ذلك) حدثنا أبو كريب حدثنا يونس بن بكير عن عبد الحميد بن بهرام عن شهر بن حوشب عن ابن عباس انه قال حضرت عصابة من اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا أبا القاسم حدثنا عن خلال نسألك عنهن لا يعلمهن الا نبي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «سلوا عما شئتم ولكن اجعلوا لي ذمة وما أخذ يعقوب على

من العذاب وزحزح لازم ومتعد يقال زحزحته فتزحزح وزحزحته فزحزح ﴿ والله بصير بما يعملون ﴾ قرأ يعقوب بالتاء والباقون بالياء * قوله عزوجل ﴿ قل من كان عدوا لجبريل ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما : إن حبرا من أحبار اليهود يقال له عبد الله بن صوريا قال للنبي صلى الله عليه وسلم أي

بنيه لئن أنا حدثتكم عن شيء فعرفتموه لتتابعنني على الاسلام» فقالوا ذلك لك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «سلوا عما شئتم» قالوا أخبرنا عن أربع خلال نسألك عنهن، أخبرنا أي الطعام حرم اسرائيل على نفسه من قبل ان تنزل التوراة ؟ وأخبرنا كيف ماء المرأة وماء الرجل وكيف يكون الذكر منه والانثى ؟ وأخبرنا بهذا النبي الامي في التوراة ومن وليه من الملائكة؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم «عليكم عهد الله لئن أنا أنبأتكم لتتابعنني؟» فأعطوه ماشاء الله من عهد وميثاق فقال «نشدتكم بالذي أنزل التوراة على موسى هل تعلمون ان اسرائيل يعقوب مرض مرضا شديدا فطال سقمه منه فنذر لله نذرا لئن عافاه الله من مرضه ليحرمن أحب الطعام والشراب اليه وكان أحب الطعام اليه لحوم الابل وأحب الشراب اليه ألبانها» فقالوا اللهم نعم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «اللهم أشهد عليهم(١) وأنشدكم بالله الذي لا إله الا هو الذي أنزل التوراة على موسى هل تعلمون ان ماء الرجل غليظ أبيض وان ماء المرأة رقيق أصفر فأيهما علا كان له الولد والشبه باذن الله عز وجل واذا علا ماء الرجل ماء المرأة كان الولد ذكرا باذن الله واذا علا ماء المرأة ماء الرجل كان الولد أنثى باذن الله عز وجل» قالوا اللهم نعم «قال اللهم أشهد وأنشدكم بالله الذي أنزل التوراة على موسى هل تعلمون ان هذا النبي الامي تنام عيناه ولا ينام قلبه» قالوا اللهم نعم قال «اللهم أشهد» قالوا أنت الان فحدثنا من وليك من الملائكة فعندها نجامعك أو نفارقك قال «فان وليي جبريل ولم يبعث الله نبيا قط إلا وهو وليه» قالوا فعندها نفارقك ولو كان وليك سواه من الملائكة تابعناك وصدقناك قال فما يمنعكم ان تصدقوه؟ قالوا انه عدونا فأنزل الله عز وجل (قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله مصدقا لما بين يديه ـ الى قوله ـ لو كانوا يعلمون) فعندها باؤا بغضب على غضب (٢) وقد رواه الامام احمد في مسنده عن أبي النضر هاشم بن القاسم وعبد الرحمن بن حميد في تفسيره عن احمد بن يونس كلاهما عن عبد الحميد بن بهرام به، ورواه احمد أيضا عن الحسين بن محمد المروزي عن عبد الحميد بنحوه وقد رواه محمد بن اسحق بن يسار «حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي حسين عن شهر بن حوشب فذكره مرسلا وزاد فيه قالوا فأخبرنا عن الروح قال «فانشدكم بالله وبأيامه عند بني اسرائيل

(١) عبارة تفسير ابن جرير «أشهد الله عليكم» الخ

(٢) هذا آخر سياق ابن جرير

ملك يأتيك من السماء ؟ قال «جبريل» قال : ذلك عدوّنا من الملائكة ولو كان ميكائيل لآمنا بك ان جبريل ينزل بالعذاب والقتال والشدة وانه عادانا مرارا كان أشد ذلك علينا «ان الله تعالى أنزل على نبينا ان بيت المقدس سيخرب على يد رجل يقال له بختنصر وأخبرنا بالحين الذي يخرب فيه» فلما كان وقته بعثنا رجلا من أقوياء بني إسرائيل في طلبه ليقتله فانطلق حتى لقيه ببابل غلاما مسكينا فأخذه ليقتله فدفع عنه جبريل وكبر بختنصر وقوي وغزانا وخرب بيت المقدس فلهذا نتخذه عدوّا. فأنزل الله هذه الآية . وقال مقاتل: قالت اليهود : إن جبريل عدونا لانه أمر أن يجعل النبوة فينا فجعلها في غيرنا . وقال قتادة وعكرمة والسدي : كان لعمر بن الخطاب رضي الله عنه أرض بأعلى المدينة وممرّها على مدارس اليهود فكان اذا أتى أرضه يأتيهم ويسمع منهم فقالوا له : ما في أصحاب

هل تعلمون انه جبريل وهو الذي يأتيني» قالوا اللهم نعم ولكنه عدو لنا وهو ملك انما يأتي بالشدة وسفك الدماء فلولا ذلك اتبعناك فأنزل الله تعالى فيهم (قل من كان عدوا لجبريل-الى قوله- لا يعلمون) وقال الامام احمد حدثنا أبو احمد حدثنا عبد الله بن الوليد العجلي عن بكير بن شهاب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال أقبلت يهود على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا أبا القاسم أخبرنا عن خمسة أشياء فان أنبأتنا بهن عرفنا انك نبي واتبعناك وأخذ عليهم ما أخذ اسرائيل على بنيه اذ قال والله على مانقول وكيل قال«هاتوا» قالوا فأخبرنا عن علامة النبي؟ قال «تنام عيناه ولا ينام قلبه» قالوا أخبرنا كيف تؤنث المرأة وكيف تذكر قال «يلتقي الماآن فاذا علا ماء الرجل ماء المرأة أذكرت واذا علا ماء المرأة ماء الرجل أنثت» قالوا أخبرنا ماحرم اسرائيل على نفسه قال « كان يشتكي عرق النسا فلم يجد شيئا يلائمه الا ألبان كذا» قال احمد قال بعضهم يعني الابل فحرم لحومها قالوا صدقت قالوا أخبرنا ماهذا الرعد قال «ملك من ملائكة الله عز وجل موكل بالسحاب بيديه أو في يديه مخراق من نار يزجر به السحاب يسوقه حيث أمره الله تعالى» قالوا فما هذا الصوت الذي يسمع؟ قال «صوته» قالوا صدقت قالوا انما بقيت واحدة وهي التي نتابعك ان أخبرتنا بها انه ليس من نبي الا وله ملك يأتيه بالخبر فأخبرنا من صاحبك؟ قال «جبريل عليه السلام» قالوا جبريل ذاك الذي ينزل بالحرب والقتال والعذاب عدونا لو قلت ميكائيل الذي ينزل بالرحمة والقطر والنبات لكان فأنزل الله تعالى (قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله) الى آخر الآية ، ورواه الترمذي والنسائي من حديث عبد الله بن الوليد ، وقال الترمذي حسن غريب . وقال سنيد في تفسيره عن حجاج بن محمد عن ابن جريج أخبرني القاسم بن أبي بزة ان يهود سألوا النبي صلى الله عليه وسلم عن صاحبه الذي ينزل عليه بالوحي قال جبرائيل قالوا فانه عدو لنا ولا يأتي الا بالحرب والشدة والقتال فنزلت (قل من كان عدوا لجبريل) الآية قال ابن جرير قال مجاهد قالت يهود يا محمد مانزل جبريل الا بشدة وحرب وقتال فانه لنا عدو فنزل (قل من كان عدوا لجبريل) الآية قال البخاري قوله تعالى (من كان عدوا لجبريل) قال عكرمة جبر وميك وسراف عبد ايل - الله : حدثنا عبد الله بن منير سمع عبد الله بن بكر حدثنا حميد عن أنس بن مالك ، قال سمع عبد الله بن سلام بقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في أرض يخترف فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اني سائلك عن ثلاث لايعلمهن الانبي: ما أول اشراط الساعة وما أول طعام أهل الجنة وما ينزع الولد الى أبيه أوالى

محمد أحب الينا منك ، انهم يمرون بنا فيؤذوننا وأنت لاتؤذينا وانا لنطمع فيك فقال عمر : والله ما آتيكم لحبكم ولا أسألكم لاني شاك في ديني وانما أدخل عليكم لازداد بصيرة في أمر محمد صلى الله عليه وسلم وأرى آثاره في كتابكم . فقالوا: من صاحب محمد الذي يأتيه من الملائكة ؟ قال: جبريل فقالوا : ذاك عدونا يطلع محمدا على سرنا وهوصاحب كل عذاب وخسف وسنة وشدة ، وان ميكائيل اذا جاء جاء بالخصب والسلم فقال لهم عمر: تعرفون جبريل وتنكرون محمدا قالوا : نعم قال: فأخبروني

أمه ، قال أخبرني بهذه جبرائيل آنفا قال جبريل؟ قال نعم قال ذاك عدو اليهود من الملائكة فقرأ هذه الآية (من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك) «وأما أول اشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق الى المغرب . وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت، واذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد واذا سبق ماء المرأة نزعت» قال : أشهد أن لا إله الا الله وانك رسول الله . يا رسول الله ان اليهود قوم بهت وانهم ان يعلموا باسلامي قبل ان تسألهم يبهتوني ، فجاءت اليهود فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم «أي رجل عبد الله بن سلام فيكم ؟» قالوا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا قال «أرأيتم ان أسلم» قالوا أعاذه الله من ذلك فخرج عبد الله فقال : أشهد أن لا إله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله . فقالوا هو شرنا وابن شرنا وانتقصوه فقال هذا الذي كنت أخاف يارسول الله ـ انفرد به البخاري من هذا الوجه وقد أخرجاه من وجه آخر عن أنس بنحوه وفي صحيح مسلم عن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قريب من هذا السياق كما سيأتي في موضعه ان شاء الله تعالى وحكاية البخاري كما تقدم عن عكرمة هو المشهور ان ايل هو الله وقد رواه سفيان الثوري عن خصيف عن عكرمة ورواه عبد بن حميد عن ابراهيم بن الحكم عن أبيه عن عكرمة ، ورواه ابن جرير عن الحسين بن يزيد الطحان عن اسحق بن منصور عن قيس بن عاصم عن عكرمة انه قال ان جبريل اسمه عبد الله وميكائيل اسمه عبد الله، ايل الله ، ورواه يزيد النحوي عن عكرمة عن ابن عباس مثله سواء وكذا قال غير واحد من السلف كما سيأتي قريبا ومن الناس من يقول ايل عبارة عن عبد والكلمة الاخرى هي اسم الله لان كلمة ايل لا تتغير في الجميع فوزانه عبد الله عبد الرحمن عبد الملك عبد القدوس عبد السلام عبد الكافي عبد الجليل فعبد موجودة في هذا كله واختلفت الاسماء المضاف اليها وكذلك جبرائيل وميكائيل وعزرائيل واسرافيل ونحو ذلك وفي كلام غير العرب يقدمون المضاف اليه على المضاف والله أعلم .

ثم قال ابن جرير وقال آخرون بل كان سبب قيلهم ذلك من أجل مناظرة جرت بينهم وبين عمر بن الخطاب في أمر النبي صلى الله عليه وسلم (ذكر من قال ذلك) حدثني محمد بن المثنى حدثني ربعي بن علية عن داود بن أبي هند عن الشعبي ، قال نزل عمر الروحاء فرأى رجالا يبتدرون احجارا يصلون اليها فقال ما بال هؤلاء؟ قالوا يزعمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى ههنا، قال فكفر ذلك. وقال أيما رسول الله صلى الله عليه وسلم أدركته الصلاة بواد صلاها ثم ارتحل فتركه ثم أنشأ يحدثهم فقال كنت أشهد اليهود يوم مدراسهم فأعجب من التوراة كيف تصدق القرآن ومن القرآن كيف يصدق التوراة

عن منزلة جبريل وميكائيل من الله عز وجل؟ قالوا : جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره ، وميكائيل عدو لجبريل قال عمر: فاني أشهد أن من كان عدوا لجبريل فهو عدو لميكائيل، ومن كان عدوا لميكائيل فانه عدو لجبريل ، ومن كان عدوا لهما كان الله عدوا له . ثم رجع عمر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد جبريل قد سبقه بالوحي فقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآيات فقال ، لقد وافقك

فبينما أنا عندهم ذات يوم قالوا : يا ابن الخطاب ما من أصحابك أحد أحب الينا منك (قلت) ولم ذلك قالوا لانك تغشانا وتأتينا فقلت اني آتيكم فأعجب من القرآن كيف يصدق التورة ومن التوراة كيف تصدق القرآن ،قالوا ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا ابن الخطاب ذاك صاحبكم فالحق به قال فقلت لهم عند ذلك نشدتكم بالله الذي لا إله الا هو وما استرعاكم من حقه وما استودعكم من كتابه هل تعلمون انه رسول الله؟ قال فسكتوا فقال لهم عالمهم وكبيرهم انه قد غلظ عليكم فأجيبوه قالوا فأنت عالمنا وكبيرنا فأجبه أنت قال أما اذ نشدتنا بما نشدتنا فانا نعلم انه رسول الله قلت ويحكم اذا هلكتم ،قالوا إنا لم نهلك، قلت كيف ذلك وأنتم تعلمون انه رسول الله ولا تتبعونه ولا تصدقونه ؛ قالوا إن لنا عدوا من الملائكة وسلما من الملائكة وانه قرن بنبوته عدونا من الملائكة قلت ومن عدوكم ومن سلمكم؟ قالوا عدونا جبريل وسلمنا ميكائيل قالوا إن جبرائيل ملك الفظاظة والغلظة والاعسار والتشديد والعذاب ونحو هذا ؛ وإن ميكائيل ملك الرحمة والرأفة والتخفيف ونحو هذا، قال قلت وما منزلتهما من ربهما عز وجل؟ قالوا أحدهما عن يمينه والآخر عن يساره، قال فقلت فو الذي لا إله الا هو انهما والذي بينهما لعدو لمن عاداهما وسلم لمن سالمهما وما ينبغي لجبرائيل ان يسالم عدو ميكائيل وما ينبغي لميكائيل ان يسالم عدو جبرائيل قال ثم قمت فاتبعت النبي صلى الله عليه وسلم فلحقته وهو خارج من خوخة لبني فلان فقال يا ابن الخطاب ألا أقرئك آيات نزلن قبل فقرأ عليّ (من كان عدوا لجبرائيل فانه نزله على قلبك باذن الله) حتى قرأ الايات : قال قلت بأبي وأمي أنت يارسول الله والذى بعثك بالحق لقد جئت وأنا أريد أن أخبرك وأنا أسمع اللطيف الخبير قد سبقني اليك بالخبر ، وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الاشج : حدثنا أبو أسامة عن مجالد أنبأنا عامر قال انطلق عمر بن الخطاب الى اليهود فقال أنشدكم بالذى أنزل التوراة على موسى هل تجدون محمدا في كتبكم؟ قالوا نعم ، قال فما يمنعكم ان تتبعوه قالوا ان الله لم يبعث رسولا الا جعل له من الملائكة كفلا وان جبرائيل كفل محمدا وهو الذي يأتيه وهو عدونا من الملائكة وميكائيل سلمنا لو كان ميكائيل الذي يأتيه أسلمنا ، قال فاني أنشدكم بالله الذى أنزل التوراة على موسى مامنزلتهما عند الله تعالى قالوا جبريل عن يمينه وميكائيل عن شماله . قال عمر واني أشهد ماينزلان الا باذن الله وما كان ميكائيل ليسالم عدو جبرائيل وما كان جبرائيل ليسالم عدو ميكائيل . فبينما هو عندهم اذ مر النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا هذا صاحبك يا ابن الخطاب فقام اليه عمر فأتاه .

ربك ياعمر ؛ فقال عمر : لقد رأيتني بعد ذلك في دين الله أصلب من الحجر . قال الله تعالى (قل من كان عدوا لجبريل ﴿ فانه ﴾ يعني جبريل ﴿ نزّله ﴾ يعني القرآن كناية عن غير مذكور ﴿ على قلبك﴾ يامحمد ﴿ باذن الله ﴾ بأمر الله ﴿ مصدقا ﴾ موفقا ﴿ لما بين يديه ﴾ لما قبله من الكتب ﴿ وهدى وبشرى المؤمنين ﴾ قوله عز وجل ﴿ من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال ﴾ خصهما بالذكر من جملة الملائكة مع دخولهما في قوله «وملائكته » تفضيلا وتخصيصا كقوله تعالى ؛ فيهما

وقد أنزل الله عز وجل (من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فان الله عدو للكافرين) وهذان الاسنادان يدلان على ان الشعبي حدث به عن عمر ولكن فيه انقطاع بينه وبين عمر فانه لم يدرك زمانه والله أعلم : وقال ابن جرير حدثنا بشير حدثنا يزيد بن زريع عن سعيد عن قتادة قال ذكر لنا ان عمر بن الخطاب انطلق ذات يوم الى اليهود فلما انصرف رحبوا به فقال لهم عمر أما والله ماجئتكم لحبكم ولا ارغبة فيكم ولكن جئت لاسمع منكم ، فسألهم وسألوه ، فقالوا من صاحب صاحبكم ؟ فقال لهم جبرائيل ، فقالوا ذاك عدونا من أهل السماء يطلع محمدا على سرنا واذا جاء جاء بالحرب والسنة ولكن صاحب صاحبنا ميكائيل وكان اذا جاء جاء بالخصب والسلم ، فقال لهم عمر هل تعرفون جبرائيل وتنكرون محمدا صلى الله عليه وسلم ؟ ففارقهم عمر عند ذلك وتوجه نحو النبي صلى الله عليه وسلم ليحدثه حديثهم فوجده قد أنزلت عليه هذه الاية (قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله) الايات .

ثم قال حدثني المثنى حدثنا آدم حدثنا أبو جعفر حدثنا قتادة . قال بلغنا ان عمر أقبل الى اليهود يوما فذكر نحوه . وهذا في تفسير آدم وهو أيضا منقطع وكذلك رواه أسباط عن السدي عن عمر مثل هذا أو نحوه وهو منقطع أيضا ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عمار حدثنا عبد الرحمن يعني الدستكي حدثنا أبو جعفر عن حصين بن عبد الرحمن عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ان يهوديا اتى عمر بن الخطاب فقال ان جبرائيل الذي يذكر صاحبكم عدو لنا فقال عمر (من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فان الله عدوا للكافرين) قال فنزلت على لسان عمر رضي الله عنه ، ورواه عبد بن حميد عن أبي النضر هاشم بن القاسم عن أبي جعفر هو الرازي : وقال ابن جرير حدثني يعقوب ابن ابراهيم حدثني هشيم أخبرنا حصين بن عبد الرحمن عن ابن أبي ليلى في قوله تعالى (من كان عدوا لجبريل) قال قالت اليهود للمسلمين لو ان ميكائيل كان هو الذي ينزل عليكم اتبعناكم فانه ينزل بالرحمة والغيث ، وان جبرائيل ينزل بالعذاب والنقمة فانه عدو لنا ، قال فنزلت هذه الآية . حدثنا يعقوب أخبرنا هشيم أخبرنا عبد الملك عن عطاء بنحوه . وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن قتادة في قوله (قل من كان عدوا لجبريل) قال قالت اليهود ان جبرائيل عدو لنا لانه ينزل بالشدة والسنة وان ميكائيل ينزل بالرخاء والعافية والخصب فجبرائيل عدو لنا ، فقال الله تعالى (من كان عدوا لجبريل) الآية .

وأما تفسير الاية فقوله تعالى (قل من كان عدوا لجبريل) فانه نزله على قلبك باذن الله ، أي من عادى جبرائيل فليعلم انه الروح الامين الذي نزل بالذكر الحكيم على قلبك من الله باذنه

فاكهة ونخل ورمان) خص النخل والرمان بالذكر مع دخولهما في ذكر الفاكهة للتفصيل ، والواو فيهما بمعنى أو يعني من كان عدوًّا لاحد هؤلاء فانه عدو للكل لان الكافر بالواحد كافر بالكل ﴿ فان الله عدوٌّ للكافرين ﴾ قال عكرمة : جبر وميك واسراف هي العبد بالسريانية وال وايل هو الله تعالى ومعناهما عبدالله وعبد الرحمن ، وقرأ ابن كثير جبريل بفتح الجيم غير مهموز بوزن فعليل قال حسان :

له في ذلك فهو رسول من رسل الله ملكيّ ، ومن عادى رسولا فقد عادى جميع الرسل كما ان من آمن برسول فانه يلزمه الايمان بجميع الرسل وكما ان من كفر برسول فانه يلزمه الكفر بجميع الرسل كما قال تعالى (ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض) الآيتين فحكم عليهم بالكفر المحقق اذا آمنوا ببعض الرسل وكفروا ببعضهم ، وكذلك من عادى جبرائيل فانه عدو لله لان جبرائيل لا ينزل بالامر من تلقاء نفسه وانما ينزل بأمر ربه كما قال (وما نتنزل إلا بأمر ربك) الاية وقال تعالى (وانه لتنزيل رب العالمين ■ نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين) وقد روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من عادى لي وليا فقد بارزني بالحرب» ولهذا غضب الله لجبرائيل على من عاداه ■ فقال تعالى (من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله مصدقا لما بين يديه) أي من الكتب المتقدمة (وهدى وبشرى للمؤمنين) أي هدى لقلوبهم وبشرى لهم بالجنة وليس ذلك إلا للمؤمنين كما قال تعالى (قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء) الاية وقال تعالى (وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين) الاية . ثم قال تعالى (من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فان الله عدو للكافرين)يقول تعالى من عاداني وملائكتي ورسلي- ورسله تشمل رسله من الملائكة والبشر كما قال تعالى (الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس)- وجبريل وميكال وهذا من باب عطف الخاص على العام فانهما دخلا في الملائكة في عموم الرسل ثم خصصا بالذكر لان السياق في الانتصار لجبرائيل وهو السفير بين الله وأنبيائه وقرن معه ميكائيل في اللفظ لان اليهود زعموا ان جبرائيل عدوهم وميكائيل وليهم فأعلمهم الله تعالى أن من عادى واحدا منهما فقد عادى الآخر وعادى الله أيضا ولانه أيضا ينزل على أنبياء الله بعض الاحيان كما قرن برسول الله صلى الله عليه وسلم في ابتداء الامر ولكن جبرائيل أكثر وهي وظيفته وميكائيل موكل بالنبات والقطر هذاك بالهدى وهذا بالرزق كما ان اسرافيل موكل بالنفخ في الصور للبعث يوم القيامة ولهذا جاء في الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا قام من الليل« يقول اللهم رب جبرائيل وميكائيل واسرافيل فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون،اهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك أنك تهدي من تشاء الى صراط مستقيم ■ وقد

وجبريل رسول الله فينا وروح القدس ليس له كفاء

وقرأ حمزة والكسائي بالهمزة والاشباع بوزن سلسبيل ، وقرأ أبو بكر بالاختلاس ، وقرأ الآخرون بكسر الجيم غير مهموز، وميكائيل قرأ ابوعمرو ويعقوب وحفص ميكال بغير همز قال جرير :

عبدوا الصليب وكذبوا بمحمد و بجبرئيل وكذبوا ميكال

وقال آخر :

ويوم بدر لقيناكم لنا مدد فيه مع النصر جبريل وميكال

تقدم ماحكاه البخاري ورواه ابن جرير عن عكرمة وغيره أنه قال جبر وميك واسراف عبيد وايل الله وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سنان حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن سفيان عن الاعمش عن اسمعيل بن أبي رجاء عن عمير مولى ابن عباس عن ابن عباس قال : انما كان قوله جبرائيل كقوله عبد الله وعبد الرحمن ، وقيل جبر عبد وايل الله . وقال محمد بن اسحق عن الزهري عن علي بن الحسين قال : أتدرون ما اسم جبرائيل من أسمائكم قلنا لا ، قال : اسمه عبد الله وكل اسم مرجعه الى ايل فهو الى الله عز وجل . قال ابن أبي حاتم وروي عن عكرمة ومجاهد والضحاك ويحيى بن يعمر نحو ذلك . ثم قال حدثني أبي حدثنا أحمد بن أبي الحواري حدثني عبد العزيز بن عمير قال : اسم جبرائيل في الملائكة خادم الله قال: فحدثت به أبا سليمان الداراني فانتفض، وقال: لهذا الحديث أحب الي من كل شيء في دفتر كان بين يديه . وفي جبرائيل وميكائيل لغات وقراآت تذكر في كتب اللغة والقراآت ولم نطول كتابنا هذا بسرد ذلك الا أن يدور فهم المعنى عليه، أو يرجع الحكم في ذلك اليه وبالله الثقة وهو المستعان ، وقوله تعالى (فان الله عدو للكافرين) فيه ايقاع المظهر مكان المضمر حيث لم يقل فانه عدو له قال : (فان الله عدو للكافرين) كما قال الشاعر :

لا أرى الموت يسبق الموت شيء سبق الموت ذا الغنى والفقيرا

وقال الآخر :

ليت الغراب غداة ينعب دائبا كان الغراب مقطع الاوداج

وانما أظهر الله هذا الاسم ههنا لتقرير هذا المعنى واظهاره واعلامهم ان من عادى وليا لله فقد عادى الله ومن عادى الله فان الله عدوّ له ومن كان الله عدوه فقد خسر الدنيا والاخرة كما تقدم الحديث «من عادى لي وليا فقد آذنته بالمحاربة» وفي الحديث الاخر «اني لا ثأر لاوليائي كما يثأر الليث الحرب» وفي الحديث الصحيح «من كنت خصمه خصمته»

(٩٨) (ولقد أنزلنا اليك آيات بينات ومايكفر بها الا الفاسقون (٩٩) أو كلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم بل أكثرهم لا يؤمنون (١٠٠) ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كانهم لا يعلمون (١٠١) واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر، فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به

وقرأ نافع وأهل المدينة بالهمزة والاختلاس بوزن ميفاعل ، وقرأ الآخرون بالهمزة والاشباع بوزن ميكاعل . قال ابن صوريا : ما جئتنا بشيء نعرفه فأنزل الله تعالى ﴿ ولقد أنزلنا إليك آيات

من أحد الا باذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق ، ولبئسما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون (١٠٢) ولو أنهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون)

قال الامام أبو جعفر بن جرير في قوله تعالى (ولقد أنزلنا اليك آيات بينات) الآية أي أنزلنا اليك يامحمد علامات واضحات دالات على نبوتك وتلك الايات هي ما حواه كتاب الله من خفايا علوم اليهود ومكنونات سرائر أخبارهم وأخبار أوائلهم من بني اسرائيل والنبأ عما تضمنته كتبهم التي لم يكن يعلمها إلا أحبارهم وعلماؤهم وما حرفه أوائلهم وأواخرهم وبدلوه من أحكامهم التي كانت في التوراة فاطلع الله في كتابه الذي أنزله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، فكان في ذلك من أمره الآيات البينات لمن أنصف من نفسه ولم يدعها الى هلاكها الحسد والبغى اذ كان في فطرة كل ذي فطرة صحيحة تصديق من أتى بمثل ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من الايات البينات التي وصف من غير تعلم تعلمه من بشر ولا أخذ شيئا منه عن آدمي ، كما قال الضحاك عن ابن عباس (ولقد أنزلنا اليك آيات بينات) يقول فأنت تتلوه عليهم وتخبرهم به غدوة وعشية وبين ذلك وأنت عندهم أمي لم تقرأ كتابا وأنت تخبرهم بما في أيديهم على وجهه ، يقول الله تعالى لهم في ذلك عبرة وبيان وعليهم حجة لو كانوا يعلمون . وقال محمد بن اسحق : حدثني محمد بن أبي محمد عن عكرمة وسعيد بن جبير عن ابن عباس قال : قال ابن صوريا القطويني لرسول الله صلى الله عليه وسلم يامحمد ما جئتنا بشيء نعرفه وما أنزل الله عليك من آية بينة فنتبعك . فانزل الله في ذلك من قوله (ولقد أنزلنا اليك آيات بينات وما يكفر بها إلا الفاسقون) وقال مالك بن الصيف حين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكرهم ما أخذ عليهم من الميثاق وما عهد اليهم في محمد صلى الله عليه وسلم : والله ما عهد الينا في محمد وما أخذ علينا ميثاقا . فانزل الله تعالى (أو كلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم) وقال الحسن البصري : في قوله (بل أكثرهم لا يؤمنون) قال نعم ليس في الارض عهد

بينات ﴾ واضحات مفصلات بالحلال والحرام والحدود والاحكام ﴿ وما يكفر بها إلا الفاسقون ﴾ الخارجون عن أمر الله عز وجل ﴿ أوكلما ﴾ واو العطف دخلت عليها الف الاستفهام ﴿ عاهدوا عهداً ﴾ يعني اليهود عاهدوا لئن خرج محمد لنؤمنن به فلما خرج اليهم محمد كفروا به . قال ابن عباس رضي الله عنهما : لما ذكرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أخذ الله عليهم وعهد اليهم في محمد أن يؤمنوا به قال مالك بن الصيف : والله ما عهد الينا عهدا في محمد فأنزل الله تعالى هذه الآية ، يدل عليه قراءة أبي رجاء العطاردي أو كلما عوهدوا بجعلهم مفعولين . وقال عطاء : هي العهود التي كانت بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين اليهود أن لا يعاونوا المشركين على قتاله فنقضوها كفعل بني قريظة والنضير، دليله قوله تعالى « الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم » ﴿ نبذه ﴾ طرحه ونقضه

يعاهدون عليه الا نقضوه ونبذوه يعاهدون اليوم وينقضون غدا . وقال السدي : لا يؤمنون بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم . وقال قتادة: نبذه فريق منهم ، أي نقضه فريق منهم . وقال ابن جرير أصل النبذ الطرح والالقاء ومنه سمي اللقيط منبوذا ومنه سمي النبيذ وهو التمر والزبيب اذا طرحا في الماء. قال أبو الاسود الدؤلي :

نظرت الى عنوانه فنبذته كنبذك نعلا اخلقت من نعالكا

قلت فالقوم ذمهم الله بنبذهم العهود التي تقدم الله اليهم في التمسك بها والقيام بحقها ولهذا أعقبهم ذلك التكذيب بالرسول المبعوث اليهم والى الناس كافة الذي في كتبهم نعته وصفته وأخباره وقد أمروا فيها باتباعه وموازرته ونصرته كما قال تعالى (الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل) الاية وقال ههنا (ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم) الاية أي طرح طائفة منهم كتاب الله الذي بأيديهم مما فيه البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم وراء ظهورهم ، أي تركوها كأنهم لا يعلمون ما فيها وأقبلوا على تعلم السحر واتباعه ولهذا أرادوا كيدا برسول الله صلى الله عليه وسلم وسحروه في مشط ومشاقة وجف طلعة ذكر تحت راعوفة ببئر أروان وكان الذي تولى ذلك منهم رجل يقال له لبيد بن الاعصم لعنه الله وقبحه فاطلع الله على ذلك رسوله صلى الله عليه وسلم وشفاه منه وأنقذه كما ثبت ذلك مبسوطا في الصحيحين عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها كما سيأتي بيانه . قال السدى (ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم) قال : لما جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم عارضوه بالتوراة فخاصموه بها فاتفقت التوراة والقرآن فنبذوا التوراة وأخذوا بكتاب آصف وسحر هاروت وماروت فلم يوافق القرآن فذلك قوله (كأنهم لا يعلمون) وقال قتادة في قوله (كأنهم لا يعلمون) قال : ان القوم كانوا يعلمون ولكنهم نبذوا علمهم وكتموه وجحدوا به . وقال العوفي في تفسيره عن ابن عباس في قوله تعالى (واتبعوا ما تتلوا الشياطين) الاية وكان حين ذهب ملك سليمان ارتد فئام من الجن والانس واتبعوا الشهوات ، فلما أرجع الله الى سليمان ملكه وقام الناس على الدين كما كان وان سليمان ظهر على كتبهم فدفنها تحت كرسيه وتوفى

﴿ فريق ﴾ طوائف ﴿ منهم ﴾ من اليهود ﴿ بل أكثرهم لا يؤمنون ، ولما جاءهم رسول من عند الله ﴾ يعني محمدا ﴿ مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم ﴾ يعني التوراة وقيل : القرآن ﴿ كأنهم لا يعلمون ﴾ قال الشعبي : كانوا يقرؤن التوراة ولا يعملون بها . وقال سفيان بن عيينة : أدرجوها في الحرير والديباج وحلوها بالذهب والفضة ولم يعملوا بها فذلك نبذهم ﴿ واتبعوا ﴾ يعني اليهود ﴿ ما تتلوا الشياطين ﴾ أي ما تلت والعرب تضع المستقبل موضع الماضي ، والماضي موضع المستقبل . وقيل : ما كانت تتلوا أي تقرأ . قال ابن عباس رضي الله عنه : تتبع وتعمل به وقال عطاء : تحدث وتكلم به ﴿ على ملك سليمان ﴾ أي في ملكه وعهده . وقصة الآية : إن الشياطين كتبوا السحر والنيرنجيات على لسان آصف بن برخيا هذا ما علم آصف بن برخيا سليمان

سليمان عليه السلام حدثان ذلك فظهر الانس والجن على الكتب بعد وفاة سليمان وقالوا هذا كتاب من الله نزل على سليمان فأخفاه عنا وأخذوا به فجعلوه دينا فانزل الله تعالى (ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم) الاية واتبعوا الشهوات التي كانت تتلو الشياطين وهي المعازف واللعب وكل شيء يصد عن ذكر الله . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد لاشج حدثنا أبو أسامة عن الاعمش عن المنهال عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : كان آصف كاتب سليمان وكان يعلم الاسم الاعظم وكان يكتب كل شيء بأمر سليمان ويدفنه تحت كرسيه فلما مات سليمان أخرجته الشياطين فكتبوا بين كل سطرين سحرا وكفرا وقالوا هذا الذي كان سليمان يعمل بها . قال : فا كفره جهال الناس وسبوه ووقف علماء الناس فلم يزل جهال الناس يسبونه حتى أنزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم (واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا) وقال ابن جرير : حدثني أبو السائب سلمة بن جنادة السوائي حدثنا أبو معاوية عن الاعمش عن المنهال عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : كان سليمان عليه السلام اذا أراد ان يدخل الخلاء أو يأتي شيئا من نسائه أعطى الجرادة وهي امرأته خاتمه ، فلما أراد الله ان يبتلي سليمان عليه السلام بالذي ابتلاه به أعطى الجرادة ذات يوم خاتمه فجاء الشيطان في صورة سليمان فقال هاتي خاتمي فأخذه ولبسه فلما لبسه دانت له الشياطين والجن والانس . قال فجاءها سليمان فقال لها هاتي خاتمي فقالت كذبت لست سليمان ، قال فعرف سليمان انه بلاء ابتلي به . قال فانطلقت الشياطين فكتبت في تلك الايام كتبا فيها سحر وكفر فدفنوها تحت كرسي سليمان ثم أخرجوها وقرؤها على الناس وقالوا انما كان سليمان يغلب الناس بهذه الكتب ، قال فبرىء الناس من سليمان وكفروه حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فانزل عليه (وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا) ثم قال ابن جرير : حدثنا ابن حميد حدثنا جرير عن حصين بن عبد الرحمن عن عمران وهو ابن الحرث قال : بينما نحن عند ابن عباس رضي الله عنهما اذ جاء رجل فقال له من أين جئت ، قال من العراق

الملك ثم دفنوها تحت مصلاه حتى نزع الله الملك عنه ولم يشعر بذلك سليمان فلما مات استخرجوها وقالوا للناس : إنما ملكهم سليمان بهذا فتعلموها . فأما علماء بني اسرائيل وصلحاؤهم فقالوا : معاذ الله أن يكون هذا من علم سليمان . وأما السفلة فقالوا : هذا علم سليمان وأقبلوا على تعلمه ورفضوا كتب أنبيائهم وفشت الملامة لسليمان فلم يزل هذا حالهم حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم وأنزل عليه براءة سليمان هذا قول الكلبي . وقال السدي : كانت الشياطين تصعد الى السماء فيستمعون كلام الملائكة فيما يكون في الارض من موت وغيره فيأتون الكهنة ويخلطون بما سمعوا في كل كلمة سبعين كذبة ويخبرونهم بها فاكتتب الناس ذلك وفشا في بني اسرائيل أن الجن تعلم الغيب فبعث سليمان في الناس وجمع تلك الكتب وجعلها في صندوق ودفنه تحت كرسيه وقال : لا أسمع أحدا يقول ان الشيطان يعلم الغيب إلا ضربت عنقه. فلما مات سليمان وذهب العلماء الذين كانوا يعرفون أمر سليمان

قال من أين؟ قال من الكوفة، قال فما الخبر؟ قال تركتهم يتحدثون أن عليا خارج اليهم ففزع ثم قال ماتقول لا أبالك؟ لو شعرنا ما نكحنا نساءه ولاقسمنا ميراثه، أما اني سأحدثكم عن ذلك، انه كانت الشياطين يسترقون السمع من السماء فيجيء أحدهم بكلمة حق قد سمعها فاذا جرت منه وصدق كذب معها سبعين كذبة قال فتشربها قلوب الناس ، قال فأطلع الله عليها سليمان عليه السلام فدفنها تحت كرسيه ، فلما توفى سليمان عليه السلام قام شيطان الطريق فقال هل أدلكم على كنزه الممنع الذي لا كنز له مثله؟: تحت الكرسي. فاخرجوه فقال هذا سحر فتناسخها الامم حتى بقاياها مايتحدث به أهل العراق فانزل الله عز وجل (واتبعو ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا) الاية وروى الحاكم في مستدركه عن أبي زكريا العنبري عن محمد بن عبد السلام عن اسحق بن ابراهيم عن جرير به (١) وقال السدي في قوله تعالى (واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان) أي على عهد سليمان ، قال كانت الشياطين تصعد الى السماء فتقعد منها مقاعد للسمع فيستمعون من كلام الملائكة ما يكون في الارض من موت أو غيب أو أمر فيأتون الكهنة فيخبرونهم فتحدث الكهنة الناس فيجدونه كما قالوا فلما أمنتهم الكهنة كذبوا لهم وأدخلوا فيه غيره فزادوا مع كل كلمة سبعين كلمة فاكتتب الناس ذلك الحديث في الكتب وفشا ذلك في بني اسرائيل ان الجن تعلم الغيب ، فبعث سليمان في الناس فجمع تلك الكتب فجعلها في صندوق ثم دفنها تحت كرسيه ولم يكن أحد من الشياطين يستطيع ان يدنو من الكرسي إلا احترق ، وقال لا أسمع أحدا يذكر ان الشياطين يعلمون الغيب إلا ضربت عنقه ، فلما مات سليمان وذهبت العلماء الذين كانوا يعرفون أمر سليمان وخلف من بعد ذلك خلف (٢) تمثل الشيطان في صورة انسان ثم أتى نفرا من بني اسرائيل فقال لهم هل أدلكم على كنز لا تأكلونه أبدا (٣) ، قالوا نعم قال فاحفروا تحت الكرسي. فذهب معهم وأراهم المكان وقام ناحيته فقالوا له فادن فقال لا ولكنني ههنا في أيديكم فان لم تجدوه فاقتلوني فحفروا فوجدوا تلك الكتب ، فلما أخرجوها قال الشيطان ان سليمان انما كان يضبط الانس والشياطين والطير بهذا السحر ثم طار وذهب. وفشا في الناس ان سليمان كان ساحرا واتخذت بنو اسرائيل تلك الكتب فلما جاء محمد صلى الله عليه وسلم خاصموه بها فذلك حين يقول الله تعالى (وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا) وقال الربيع بن أنس ان اليهود سألوا محمدا صلى الله عليه وسلم زمانا عن أمور من التوراة لا يسألونه عن شيء من ذلك الا أنزل الله سبحانه وتعالى ماسألوه عنه فيخصمهم فلما رأوا ذلك قالوا هذا أعلم بما أنزل الله الينا منا وانهم سألوه عن

(١) كذافي الاصل ولم يذكر المروي فان كان عين الاول فالواجب ان يقال ورواه الحاكم أو يقال في آخره: مثله .

(٢) الخلف بفتح الخاء الرديء من الناس ومن الكلام وكان مقتضي السياق أن يوصفوا بالجهل

(٣) أي لا ينفد بالاكل منه

ودفنه الكتب وخلف من بعدهم خلف تمثل الشيطان على صورة إنسان فأتى نفرا من بني إسرائيل فقال : هل أدلكم على كنز لا تأكلونه أبدا قالوا : نعم قال : فاحفروا تحت الكرسي وذهب معهم فأراهم المكان وقام ناحية فقالوا : ادن قال: لا ولكني ههنا فان لم تجدوه فاقتلوني ، وذلك انه لم يكن أحد من الشياطين يدنو من الكرسي الا احترق فحفروا وأخرجوا تلك الكتب قال الشيطان : إن

السحر وخاصموه به فأنزل الله عز وجل (واتبعوا ماتتلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر) وان الشياطين عمدوا الى كتاب فكتبوا فيه السحر والكهانة وما شاء الله من ذلك فدفنوه تحت كرسي مجلس سليمان وكان عليه السلام لا يعلم الغيب فلما فارق سليمان الدنيا استخرجوا ذلك السحر وخدعوا الناس وقالوا هذا أعلم كان سليمان يكتمه ويحسد الناس عليه فأخبرهم النبي صلى الله عليه وسلم بهذا الحديث فرجعوا من عنده وقد خرجوا(١) وقد أدحض الله حجتهم ، وقال مجاهد في قوله تعالى (واتبعوا ماتتلو الشياطين على ملك سليمان) قال كانت الشياطين تستمع الوحي فما سمعوا من كلمة زادوا فيها مائتين مثلها فأرسل سليمان عليه السلام الى ما كتبوا من ذلك فلما توفي سليمان وجدته الشياطين وعلمته الناس وهو السحر وقال سعيد ابن جبير كان سليمان يتتبع مافي أيدي الشياطين من السحر فيأخذه منهم فيدفنه تحت كرسيه في بيت خزانته فلم تقدر الشياطين ان يصلوا اليه فدنت الى الانس فقالوا لهم أتدرون ما العلم الذي كان سليمان يسخر به الشياطين والرياح وغير ذلك ؟ قالوا نعم قالوا فانه في بيت خزانته وتحت كرسيه فاستثار به الانس واستخرجوه وعملوا بها فقال أهل الحجاز كان سليمان يعمل بهذا وهذا سحر فأنزل الله تعالى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم براءة سليمان عليه السلام فقال تعالى (واتبعوا ماتتلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا) وقال محمد بن اسحق بن يسار عمدت الشياطين حين عرفت موت سليمان بن داود عليه السلام فكتبوا أصناف السحر من كان يحب ان يبلغ كذا وكذا فليفعل كذا وكذا حتى اذا صنفوا(٢) أصناف السحر جعلوه في كتاب ثم ختموه(٣) بخاتم على نقش خاتم سليمان وكتبوا في عنوانه: هذا ما كتب آصف بن برخيا الصديق للملك سليمان بن داود من ذخائر كنوز العلم. ثم دفنوه تحت كرسيه واستخرجته بعد ذلك بقايا بني اسرائيل حتي أحدثوا ما أحدثوا فلما عثروا عليه قالوا والله ماكان ملك سليمان الا بهذا فافشوا السحر في الناس فتعلموه وعلموه فليس هو في أحد أكثر منه في اليهود لعنهم الله فلما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما نزل عليه من الله سليمان بن داود وعده فيمن عد من المرسلين قال من كان بالمدينة من اليهود ألا تعجبون من محمد يزعم ان ابن داود كان نبيا والله ماكان الا ساحرا . وأنزل الله في ذلك من قولهم (واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا) الاية * وقال ابن جرير حدثنا القاسم حدثنا حسين بن حجاج عن أبي بكر عن شهر بن حوشب قال لما سلب سليمان ملكه كانت الشياطين تكتب السحر في غيبة سليمان فكتبت من أراد أن يأتي كذا وكذا فليستقبل الشمس

(١) في تفسير ابن جرير : وقد حزنوا
(٢) في تفسير ابن جرير : صنعوا
(٣) وعند ابن جرير: ختموا عليه

سليمان كان يضبط الجن والانس والشياطين والطير بهذا ثم طار الشيطان وفشا في الناس أن سليمان كان ساحرا وأخذ بنو اسرائيل تلك الكتب فلذلك أكثر ما يوجد السحر في اليهود فلما جاء محمد صلى الله عليه وسلم برّأ الله تعالى سليمان من ذلك وأنزل في عذر سليمان ﴿ وما كفر سليمان ﴾ بالسحر وقيل: لم يكن سليمان كافرا يسحر ويعمل به ﴿ ولكن الشياطين كفروا ﴾ قرأ ابن عباس رضي الله عنه

وليقل كذا وكذا ومن أراد أن يفعل كذا وكذا فليستدبر الشمس وليقل كذا وكذا ، فكتبته وجعلت عنوانه. هذا ما كتب آصف بن برخيا للملك سليمان بن داود عليهما السلام من ذخائر كنوز العلم. ثم دفنته تحت كرسيه فلما مات سليمان عليه السلام قام ابليس لعنه الله خطيبا فقال يا أيها الناس ان سليمان لم يكن نبيا انما كان ساحرا فالتمسوا سحره في متاعه وبيوته، ثم دلهم على المكان الذي دفن فيه فقالوا والله لقد كان سليمان ساحرا هذا سحره بهذا تعبدنا وبهذا قهرنا فقال المؤمنون بل كان نبيا مؤمنا فلما بعث الله النبي محمداً صلى الله عليه وسلم وذكر داود وسليمان فقالت اليهود انظروا الى محمد يخلط الحق بالباطل يذكر سليمان مع الانبياء انما كان ساحرا يركب الريح فأنزل الله تعالى (واتبعوا ماتتلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان) الاية ■ وقال ابن جرير حدثنا محمد بن عبد الاعلى الصنعاني : حدثنا المعتمر بن سليمان قال سمعت عمران بن جرير عن أبي مجلز قال أخذ سليمان عليه السلام من كل دابة عهدا فاذا أصيب رجل فسأل بذلك العهد خلى عنه فزاد الناس السجع والسحر فقالوا هذا يعمل به سليمان بن داود عليهما السلام فقال الله تعالى (وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر) ◦ وقال ابن أبي حاتم حدثنا عصام بن رواد حدثنا آدم حدثنا المسعودي عن زياد مولى ابن مصعب عن الحسن (واتبعوا ماتتلو الشياطين) قال ثلث الشعر وثلث السحر وثلث الكهانة ■ وقال حدثنا الحسن بن احمد حدثنا ابراهيم بن عبد الله بن بشار الواسطي حدثني سرور بن المغيرة عن عباد بن منصور عن الحسن (واتبعوا ماتتلو الشياطين على ملك سليمان) وتبعته اليهود على ملكه وكان السحر قبل ذلك في الارض لم يزل بها ولكنه انما اتبع على ملك سليمان فهذه نبذة من أقوال أئمة السلف في هذا المقام ولايخفى ملخص القصة والجمع بين أطرافها وانه لاتعارض بين السياقات على اللبيب الفهم والله الهادي : وقوله تعالى (واتبعوا ماتتلو الشياطين على ملك سليمان) أي واتبعت اليهود الذين أوتوا الكتاب من بعد اعراضهم عن كتاب الله الذي بايديهم ومخالفتهم لرسول الله محمد صلى الله عليه وسلم ماتتلوه الشياطين أي ماترويه وتخبر به وتحدثه الشياطين على ملك سليمان وعداه بعلى لانه تضمن تتلو تكذب : وقال ابن جرير «على» ههنا بمعنى في أي تتلو في ملك سليمان ونقله عن ابن جريج وابن اسحق (قلت) والتضمن أحسن وأولى والله أعلم: وقول الحسن البصري رحمه الله: وكان السحر قبل زمان سليمان بن داود ـ صحيح لاشك فيه لان السحرة كانوا في زمان موسى عليه السلام وسليمان بن داود بعده كما قال تعالى (ألم تر الى الملا من بني اسرائيل من بعد موسى) الاية ثم ذكر القصة بعدها وفيها (وقتل داود

والكسائي وحمزة ولكن خفيفة النون والشياطين رفع، وقرأ الآخرون ولكن مشددة النون والشياطين نصب وكذلك (ولكن الله قتلهم) (ولكن الله رمى) ومعنى لكن نفي الخبر الماضي وإثبات المستقبل ﴿ يعلمون الناس السحر ﴾ قيل : معنى السحر العلم والحذق بالشيء قال الله تعالى (وقالوا يا أيها الساحر ادع لنا ربك) أي العالم . والصحيح : أن السحر عبارة عن التمويه والتخييل والسحر

جالوت وآتاه الله الملك والحكمة) وقال قوم صالح وهم قبل ابراهيم الخليل عليه السلام لنبيهم صالح انما (أنت من المسحرين) أي المسحورين على المشهور. قوله تعالى (وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما مايفرقون به بين المرء وزوجه) اختلف الناس في هذا المقام فذهب بعضهم الى أن «ما» نافية أعني التي في قوله (وما أنزل على الملكين) قال القرطبي مانافية ومعطوف على قوله (وما كفر سليمان) ثم قال (ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين) وذلك ان اليهود كانوا يزعمون انه نزل به جبريل وميكائيل فاكذبهم الله وجعل قوله (هاروت وماروت) بدلا من الشياطين قال وصح ذلك اما لان الجمع يطلق على الاثنين كما في قوله تعالى (فان كان له إخوة) أو لكونهما لهما اتباع أو ذكرا من بينهم لتمردهما. تقدير الكلام عنده: يعلمون الناس السحر ببابل هاروت وماروت. ثم قال وهذا أولى ما حملت عليه الاية وأصح ولا يلتفت الى ماسواه . وروى ابن جرير باسناده من طريق العوفي عن ابن عباس في قوله (وما أنزل على الملكين ببابل) الاية يقول لم ينزل الله السحر وباسناده عن الربيع ابن أنس في قوله (وما أنزل على الملكين) قال ماأنزل الله عليهما السحر قال ابن جرير فتأويل الاية على هذا (واتبعوا ماتتلو الشياطين على ملك سليمان) من السحر وما كفر سليمان ولا أنزل الله السحر على الملكين ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ببابل هاروت وماروت فيكون قوله ببابل هاروت وماروت من المؤخر الذى معناه المقدم(١) قال فان قال لنا قائل كيف وجه تقديم ذلك قيل وجه تقديمه ان يقال (واتبعوا ماتتلو الشياطين على ملك سليمان) من السحر وما كفر سليمان وما أنزل الله السحر على الملكين ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ببابل هاروت وماروت فيكون معنيا بالملكين جبريل وميكائيل عليهما السلام لان سحرة اليهود فيما ذكر كانت تزعم ان الله أنزل السحر على لسان جبريل وميكائيل الى سليمان بن داود فاكذبهم الله بذلك وأخبر نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ان جبريل وميكائيل لم ينزلا بسحر وبرأ سليمان عليه السلام مما نحلوه من السحر وأخبرهم ان السحر عن عمل الشياطين وانها تعلم الناس ذلك ببابل وان الذين يعلمونهم ذلك رجلان اسم أحدهما هاروت واسم الاخر ماروت فيكون هاروت وماروت على هذا التأويل ترجمة عن الناس وردا عليهم .هذا لفظه بحروفه (٢) وقد قال ابن أبي حاتم حدثت عن عبيد الله بن موسى أخبرنا فضيل بن مرزوق عن عطية (وما أنزل على الملكين) قال :ما أنزل الله على جبريل وميكائيل السحر قال ابن أبي حاتم وأخبرنا الفضل بن شاذان أخبرنا محمد بن عيسى أخبرنا يعلى

(١) في تفسير ابن جرير : التقديم
(٢) هذا السياق هنا اتم وأصح مما فى تفسير ابن جرير المطبوع

وجوده حقيقة عند أهل السنة ، وعليه أكثر الامم ، ولكن العمل به كفر ، حكى عن الشافعي رضي الله عنه أنه قال : السحر يخيل ويمرض وقد يقتل حتى أوجب القصاص على من قتل به فهو من عمل الشيطان يتلقاه الساحر منه بتعليمه إياه ، فاذا تلقاه منه بتعليمه إياه استعمله في غيره . وقيل : انه يؤثر في قلب الاعيان فيجعل الآدمي على صورة الحمار ويجعل الحمار على صورة الكلب ، والاصح

يعني ابن أسد أخبرنا بكر يعني ابن مصعب أخبرنا الحسن بن أبي جعفر أن عبد الرحمن بن أبزي كان يقرؤها (وما أنزل على الملكين داود وسليمان) وقال أبو العالية لم ينزل عليهما السحر يقول علما الايمان والكفر فالسحر من الكفر فهما ينهيان عنه أشد النهي رواه ابن أبي حاتم ، ثم شرع ابن جرير في رد هذا القول وان ما بمعنى الذى وأطال القول في ذلك وادعي ان هاروت وماروت ملكان أنزلهما الله الى الارض وأذن لهما في تعليم السحر اختبارا لعباده وامتحانا بعد أن بين لعباده ان ذلك مما ينهي عنه على ألسنة الرسل وادعي أن هاروت وماروت مطيعان في تعليم ذلك لأنهما امتثلا ما أمرا به وهذا الذى سلكه غريب جدا وأغرب منه قول من زعم ان هاروت وماروت قبيلان من الجن كما زعمه ابن حزم وروى ابن أبي حاتم باسناده عن الضحاك بن مزاحم أنه كان يقرؤها (وما أنزل على الملكين) ويقول هما علجان من أهل بابل ووجه أصحاب هذا القول الانزال بمعنى الخلق لا بمعنى الايحاء في قوله تعالى (وما أنزل على الملكين) كما قال تعالى (وأنزل لكم من الانعام ثمانية أزواج * وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد * وينزل لكم من السماء رزقا) وفي الحديث «ما أنزل الله داء إلا أنزل له دواء» وكما يقال «أنزل الله الخير والشر» وحكى القرطبي عن ابن عباس وابن أبزى والحسن البصرى أنهم قرؤا (وما أنزل على الملكين) بكسر اللام، قال ابن أبزى وهما داود وسليمان قال القرطبي فعلى هذا تكون ما نافية أيضا ، وذهب آخرون الى الوقف على قوله (يعلمون الناس السحر) وما نافية : قال ابن جرير حدثني يونس أخبرنا ابن وهب أخبرنا الليث عن يحيي بن سعيد عن القاسم بن محمد وسأله رجل عن قول الله (يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت) فقال الرجلان يعلمان الناس ما أنزل عليهما ويعلمان الناس مالم ينزل عليهما فقال القاسم ما أبالي أيتهما كانت ، ثم روي عن يونس عن أنس بن عياض عن بعض أصحابه ان القاسم قال في هذه القصة لا أبالي أى ذلك كان اني آمنت به . وذهب كثير من السلف الى أنهما كانا ملكين من السماء وانهما أنزلا الى الارض فكان من أمرهما ما كان ، وقد ورد في ذلك حديث مرفوع رواه الامام أحمد في مسنده رحمه الله كما سنورده ان شاء الله وعلى هذا فيكون الجمع بين هذا وبين ما ورد من الدلائل على عصمة الملائكة ان هذين سبق في علم الله لهما هذا فيكون تخصيصا لهما فلا تعارض حينئذ كما سبق في علمه من أمر إبليس ما سبق وفي قول انه كان من الملائكة ، لقوله تعالى (واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا ابليس أبى) الى غير ذلك من الآيات الدالة على ذلك مع ان شأن هاروت وماروت على ما ذكر أخف مما وقع من إبليس لعنه الله تعالى . وقد حكاه القرطبي عن على وابن مسعود وابن عباس وابن عمر وكعب الاحبار والسدي والكلبي

أن ذلك تخييل، قال الله تعالى (يخيل اليه من سحرهم أنها تسعى) لكنه يؤثر في الابدان بالامراض والموت والجنون ، وللكلام تأثير في الطباع والنفوس وقد يسمع الانسان ما يكره فيحمى ويغضب وربما يحم منه ، وقد مات قوم بكلام سمعوه فهو بمنزلة العوارض والعلل التي تؤثر في الابدان

﴿ ذكر الحديث الوارد في ذلك ان صح سنده ورفعه وبيان الكلام عليه ﴾

قال الامام احمد بن حنبل رحمه الله تعالى في مسنده أخبرنا يحيي بن بكير حدثنا زهير بن محمد عن موسى بن جبير عن نافع عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما انه سمع نبي الله صلى الله عليه وسلم: يقول ان آدم عليه السلام لما أهبطه الله الى الارض قالت الملائكة أى رب (أتجعل فيها من يفسد فيها و يسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال اني أعلم مالا تعلمون) قالوا ربنا نحن أطوع لك من بني آدم قال الله تعالى للملائكة هلموا ملكين من الملائكة حتى نهبطهما الى الارض فننظر كيف يعملان قالوا ربنا هاروت وماروت فاهبطا الى الارض ومثلت لهما الزهرة امرأة من أحسن البشر فجاءتهما فسألاها نفسها فقالت لا والله حتى تتكلما بهذه الكلمة من الاشراك فقالا والله لا نشرك بالله شيئا أبدا، فذهبت عنهما ثم رجعت بصبي تحمله فسألاها نفسها فقالت لا والله حتى تقتلا هذا الصبي فقالا لا والله لا نقتله أبدا، فذهبت ثم رجعت بقدح خمر تحمله فسألاها نفسها فقالت لا والله حتى تشربا هذا الخمر، فشربا فسكرا فوقعا عليها وقتلا الصبي فلما أفاقا قالت المرأة والله ما تركتما شيئا أبيتماه على الاقد فعلتماه حين سكرتما فخيرا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختارا عذاب الدنيا. وهكذا رواه أبو حاتم بن حبان في صحيحه عن الحسن عن سفيان عن أبي بكر بن أبي شيبة عن يحيى بن بكير — به وهذا حديث غريب من هذا الوجه ورجاله كلهم ثقات من رجال الصحيحين الا موسى بن جبير هذا وهو الانصارى السلمي مولاهم المديني الحذاء وروي عن ابن عباس وأبي أمامة بن سهل بن حنيف ونافع وعبد الله بن كعب بن مالك و روي عنه ابنه عبد السلام وبكر بن مضر وزهير بن محمد وسعيد بن سلمة وعبد الله بن لهيعة وعمرو بن الحرث ويحيي بن أيوب : وروي له أبو داود وابن ماجه وذكره ابن أبي حاتم في كتاب الجرح والتعديل ولم يحك فيه شيئا من هذا ولا هذا فهو مستور الحال (١) وقد تفرد به عن نافع مولي ابن عمر عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وروى له متابع من وجه آخر عن نافع كما قال ابن مردويه حدثنا دعلج بن احمد حدثنا هشام بن علي بن هشام حدثنا عبد الله بن رجاء حدثنا سعيد بن سلمة حدثنا موسى بن سرجس عن نافع عن ابن عمر سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول فذكره بطوله ، وقال أبو جعفر بن جرير رحمه الله حدثنا القاسم أخبرنا الحسين وهو سنيد بن داود صاحب التفسير أخبرنا الفرج بن فضالة عن معاوية بن صالح عن نافع قال سافرت مع ابن عمر فلما كان من آخر الليل قال يانافع أنظر طلعت

(١) قال ابن حبان كان يخطيء ويخالف وقال ابن القطان لايعرف حاله اه من تهذيب التهذيب

قوله عز وجل ﴿ وما أنزل على الملكين ببابل ﴾ أي ويعلمون الذي أنزل على الملكين أي إلهاما وعلما ، فالانزال بمعنى الالهام والتعليم .وقيل: واتبعوا ما أنزل على الملكين . وقرأ ابن عباس والحسن الملكين بكسر اللام . وقال ابن عباس: هما رجلان ساحران كانا ببابل . وقال الحسن : علجان لان الملائكة لا يعلمون السحر ، وبابل هي بابل العراق سميت بابل لتبلبل الالسنة بها عند سقوط صرح

الحمراء ؟ قلت لا مرتين أو ثلاثا ثم قلت قد طلعت قال لا مرحبا بها ولا أهلا قلت سبحان الله نجم مسخر سامع مطيع : قال ماقلت لك الا ماسمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم أو قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الملائكة قالت يارب كيف صبرك على بني آدم في الخطايا والذنوب قال أني ابتليتهم وعافيتكم قالوا لو كنا مكانهم ماعصيناك، قال فاختاروا ملكين منكم قال فلم يألوا جهدا أن يختاروا فاختاروا هاروت وماروت وهذان أيضا غريبان جدا . وأقرب مايكون في هذا أنه من رواية عبد الله بن عمر عن كعب الاحبار لاعن النبي صلى الله عليه وسلم كما قال عبد الرزاق في تفسيره عن الثوري عن موسى بن عقبة عن سالم عن ابن عمر عن كعب الاحبار قال ذكرت الملائكة أعمال بني آدم وما يأتون من الذنوب فقيل لهم اختاروا منكم اثنين فاختاروا هاروت وماروت فقال لهما اني أرسل الى بني آدم رسلا وليس بيني وبينكم رسول أنزلا لاتشركا بي شيئا ولا تزنيا ولا تشربا الخمر ، قال كعب فوالله ما أمسيا من يومهما الذى أهبطا فيه حتى استكملا جميع مانهيا عنه ‏. رواه ابن جرير من طريقين عن عبد الرزاق به ورواه ابن أبي حاتم عن احمد بن عصام عن مؤمل عن سفيان الثورى به ورواه ابن جرير أيضا حدثني المثني أخبرنا المعلى وهو ابن أسد أخبرنا عبد العزيز بن المختار عن موسى بن عقبة حدثني سالم انه سمع عبد الله يحدث عن كعب الاحبار فذكره فهذا أصح وأثبت الى عبد الله بن عمر من الاسنادين المتقدمين وسالم أثبت في أبيه من مولاه نافع فدار الحديث ورجع الى نقل كعب الاحبار عن كتب بني إسرائيل (١) والله أعلم

﴿ ذكر الآثار الواردة في ذلك ﴾

عن الصحابة والتابعين رضى الله عنهم أجمعين

قال ابن جرير : حدثني المثنى حدثنا الحجاج أخبرنا حماد عن خالد الحذاء عن عمير بن سعيد قال : سمعت عليا رضي الله عنه يقول كانت الزهرة امرأة جميلة من أهل فارس وانها خاصمت الى الملكين هاروت وماروت فراوداها عن نفسها فابت عليهما الا ان يعلماها الكلام الذي اذا تكلم به أحد يعرج به الى السماء فعلماها فتكلمت به فعرجت الى السماء فمسخت كوكبا — وهذا الاسناد رجاله ثقات وهو غريب جدا — وقال ابن أبي حاتم أخبرنا الفضل بن شاذان أخبرنا محمد بن عيسى أخبرنا ابراهيم بن موسى أخبرنا معاوية عن أبي خالد عن عمير بن سعيد عن علي رضي الله عنه ، قال هما ملكان من ملائكة السماء ‏. يعني (وما أنزل على الملكين) ورواه الحافظ أبو بكر بن مردويه في

(١) من المحقق ان هذه القصة لم تذكر في كتبهم المقدسة فان لم تكن وضعت فى زمن روايتها فهي من كتبهم الخرافية . ورحم الله ابن كثير الذي بين لنا أن الحكاية خرافة اسرائيلية وان الحديث المرفوع لا يثبت

نمرود أي تفرقها . قال ابن مسعود : بابل أرض الكوفة وقيل : جبل دماوند . والقراءة المعروفة على الملكين بالفتح . فان قيل: كيف يجوز تعليم السحر من الملائكة ؟ قيل: له تأويلان (أحدهما) انهما لا يتعمدان التعليم لكن يصفان السحر ويذكران بطلانه ويأمران باجتنابه . والتعليم بمعنى الاعلام فالشقي يترك نصيحتهما ويتعلم السحر من صنعتهما (والتأويل الثاني) وهو الاصح ‏: أن الله تعالى امتحن

تفسيره بسنده عن مغيث عن مولاه جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عن علي مرفوعا وهذا لا يثبت من هذا الوجه . ثم رواه من طريقين آخرين عن جابر عن أبي الطفيل عن على رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لعن الله الزهرة فانها هي التي فتنت الملكين هاروت وماروت وهذا أيضا لا يصح وهو منكر جدا والله أعلم .

وقال ابن جرير : حدثني المثنى بن ابراهيم أخبرنا الحجاج بن منهال حدثنا حماد عن علي بن زيد عن أبي عثمان النهدي عن ابن مسعود وابن عباس انهما قالا جميعا لما كثر بنو آدم وعصوا دعت الملائكة عليهم والارض والجبال ربنا لا تمهلهم فأوحى الله الى الملائكة إني أزلت الشهوة والشيطان من قلوبكم وأنزلت الشهوة والشيطان في قلوبهم ولو نزلتم لفعلتم أيضا . قال فحدثوا أنفسهم ان لو ابتلوا اعتصموا فأوحى الله اليهم ان اختاروا ملكين من أفضلكم فاختاروا هاروت وماروت فأهبطا الى الارض وأنزلت الزهرة اليهما في صورة امرأة من أهل فارس يسمونها بيذخت ، قال فوقعا بالخطيئة فكانت الملائكة يستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما « فلما وقعا بالخطيئة استغفروا لمن في الارض ألا ان الله هو الغفور الرحيم، فخيرا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختارا عذاب الدنيا . وقال ابن أبي حاتم أخبرنا أبي أخبرنا عبد الله بن جعفر الرقي أخبرنا عبدالله يعني ابن عمرو عن زيد بن أبي أنيسة عن المنهال بن عمرو ويونس بن خباب عن مجاهد . قال كنت نازلا على عبد الله بن عمر في سفر ، فلما كان ذات ليلة قال لغلامه انظر هل طلعت الحمراء لامرحبا بها ولا أهلا ولا حياها الله هي صاحبة الملكين ، قالت الملائكة يارب كيف تدع عصاة بني آدم وهم يسفكون الدم الحرام وينتهكون محارمك ويفسدون في الارض . قال إني ابتليتهم فلعل ان ابتليتكم بمثل الذي ابتليتهم به فعلتم كالذي يفعلون ، قالوا لا . قال : فاختاروا من خياركم اثنين فاختاروا هاروت وماروت « فقال لهما إني مهبطكما الى الارض وعاهد اليكما ان لا تشركا ولا تزنيا ولا تخونا فأهبطا الى الارض وألقي عليهما الشهوة وأهبطت لهما الزهرة في أحسن صورة امرأة فتعرضت لهما فراوداها عن نفسها ، فقالت إني على دين لا يصح لاحد ان يأتيني الا من كان على مثله « قالا وما دينك ، قالت المجوسية ، قالا الشرك هذا شيء لا نقر به فمكثت عنهما ما شاء الله تعالى . ثم تعرضت لهما فراوداها عن نفسها ، فقالت ما شئتما غير ان لي زوجا وأنا أكره ان يطلع على هذا مني فافتضح فان أقررتما لي بديني وشرطتما لي ان تصعدا بي الى السماء فعلت فأقرا لها بدينها وأتياها فيما يريان ثم صعدا بها الى السماء فلما انتهيا بها الى السماء اختطفت منهما وقطعت أجنحتهما فوقعا خائفين نادمين يبكيان وفي الارض نبي يدعو بين الجمعتين فاذا كان يوم الجمعة أجيب ، فقالا : لو أتينا

الناس بالملكين في ذلك الوقت فمن شقي يتعلم السحر منهما فيكفر به ، ومن سعد يتركه فيبقى على الايمان ، ويزداد المعلمان بالتعليم عذابا ففيه ابتلاء للمعلم والمتعلم ، ولله أن يمتحن عباده بما شاء فله الامر والحكم « قوله عز وجل ﴿ هاروت وماروت ﴾ هما إسمان سريانيان وهما في محل الخفض على

فلانا فسألناه فطلب لنا التوبة فأتياه فقال رحمكما الله كيف يطلب التوبة أهل الارض لاهل السماء قالا انا قد ابتلينا ، قال ائتياني يوم الجمعة فأتياه ، فقال ما أجبت فيكما بشيء ائتياني في الجمعة الثانية فأتياه ، فقال اختارا فقد خيرتما إن اخترتما معافاة الدنيا وعذاب الآخرة وإن أحببتما فعذاب الدنيا وأنتما يوم القيامة على حكم الله ، فقال أحدهما ان الدنيا لم يمض منها إلا القليل . وقال الآخر ويحك إني قد أطعتك في الامر الاول فأطعني الآن ان عذابا يفنى ليس كعذاب يبقى . فقال انا يوم القيامة على حكم الله فأخاف ان يعذبنا ، قال لا : إني أرجو ان علم الله أنا قد اخترنا عذاب الدنيا مخافة عذاب الآخرة ان لا يجمعهما علينا ، قال فاختارا عذاب الدنيا فجعلا في بكرات من حديد في قليب مملوءة من نار عاليهما سافلهما — وهذا اسناد جيد الى عبد الله بن عمر — وقد تقدم في رواية ابن جرير من حديث معاوية بن صالح عن نافع عنه رفعه وهذا أثبت وأصح اسنادا ثم هو والله أعلم من رواية ابن عمر عن كعب كما تقدم بيانه من رواية سالم عن أبيه . وقوله ان الزهرة نزلت في صورة امرأة حسناء وكذا في المروي عن علي فيه غرابة جدا

وأقرب ما ورد في ذلك ما قال ابن أبي حاتم أخبرنا عصام بن روّاد أخبرنا آدم أخبرنا أبو جعفر حدثنا الربيع بن أنس عن قيس بن عباد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما وقع الناس من بعد آدم عليه السلام فيما وقعوا فيه من المعاصي والكفر بالله قالت الملائكة في السماء يارب هذا العالم الذي انما خلقتهم لعبادتك وطاعتك قد وقعوا فيما وقعوا فيه وركبوا الكفر وقتل النفس وأكل المال الحرام والزنا والسرقة وشرب الخمر فجعلوا يدعون عليهم ولا يعذرونهم ، فقيل انهم في غيب فلم يعذروهم ، فقيل لهم اختاروا من افضلكم ملكين آمرهما وأنهاهما فاختاروا هاروت وماروت فأهبطا الى الارض وجعل لهما شهوات بني آدم وأمرهما الله ان يعبداه ولا يشركا به شيئا ونهيا عن قتل النفس الحرام وأكل المال الحرام وعن الزنا والسرقة وشرب الخمر فلبثا في الارض زمانا يحكمان بين الناس بالحق وذلك في زمن ادريس عليه السلام ، وفي ذلك الزمان امرأة حسنها في النساء كحسن الزهرة في سائر الكواكب وأنهما أتيا عليها فخضعا لها في القول وأراداها على نفسها فأبت إلا ان يكونا على أمرها وعلى دينها فسألاها عن دينها فأخرجت لهما صنما فقالت هذا أعبده فقالا لا حاجة لنا في عبادة هذا فذهبا فغبرا ما شاء الله ، ثم أتيا عليها فأراداها على نفسها ففعلت مثل ذلك فذهبا ثم أتيا عليها فأراداها على نفسها فلما رأت أنهما قد أبيا ان يعبدا الصنم قالت لهما اختارا أحد الخلال الثلاث إما ان تعبدا هذا الصنم وإما ان تقتلا هذه النفس وإما ان تشربا هذه الخمر ،

على تفسير الملكين الا أنهما نصبا لعجمتهما ومعرفتهما ، وكانت قصتهما على ما ذكر ابن عباس والمفسرون : أن الملائكة رأوا ما يصعد الى السماء من أعمال بني آدم الخبيثة في زمن إدريس عليه السلام فعيروهم وقالوا : هؤلاء الذين جعلتهم في الارض خليفة واخترتهم فهم يعصونك فقال الله تعالى لو أنزلتكم الى الارض وركبت فيكم ما ركبت فيهم لارتكبتم مثل ما ارتكبوا فقالوا : سبحانك

فقالا كل هذا لا ينبغي وأهون هذا شرب الخمر فشربا الخمر فأخذت فيهما فواقعا المرأة فخشيا ان يخبر الانسان عنهما فقتلاه ، فلما ذهب عنهما السكر وعلما ما وقعا فيه من الخطيئة أرادا أن يصعدا الى السماء فلم يستطيعا وحيل بينهما وبين ذلك وكشف الغطاء فيما بينهما وبين أهل السماء فنظرت الملائكة الى ما وقعا فيه فعجبوا كل العجب وعرفوا انه من كان في غيب فهو أقل خشية فجعلوا بعد ذلك يستغفرون لمن في الارض فنزل في ذلك (والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الارض) فقيل لهما اختارا عذاب الدنيا أو عذاب الآخرة ، فقالا أما عذاب الدنيا فانه ينقطع ويذهب وأما عذاب الآخرة فلا انقطاع له ، فاختارا عذاب الدنيا ، فجعلا ببابل فهما يعذبان . وقد رواه الحاكم في مستدركه مطولا عن أبي زكريا العنبري عن محمد بن عبد السلام عن اسحق بن راهويه عن حكام ابن سلم الرازي وكان ثقة(١) عن أبي جعفر الرازي به : ثم قال صحيح الاسناد ولم يخرجاه فهذا أقرب ما روي في شأن الزهرة والله أعلم .

وقال ابن أبي حاتم أخبرنا أبي أخبرنا سلم أخبرنا القاسم بن الفضل الحذائي أخبرنا يزيد يعني الفارسي عن ابن عباس ان أهل سماء الدنيا أشرفوا على أهل الارض فرأوهم يعملون المعاصي فقالوا : يارب أهل الارض كانوا يعملون بالمعاصي ، فقال الله أنتم معي وهم في غيب عني فقيل لهم اختاروا منكم ثلاثة فاختاروا منهم ثلاثة على ان يهبطوا الى الارض على ان يحكموا بين أهل الارض وجعل فيهم شهوة الآدميين فأمروا أن لا يشربوا خمرا ولا يقتلوا نفسا ولا يزنوا ولا يسجدوا لوثن ، فاستقال منهم واحد فأقيل فأهبط اثنان الى الارض فأتتهما امرأة من أحسن الناس يقال لها مناهية فهوياها جميعا ثم أتيا منزلها فاجتمعا عندها فأراداها فقالت لهما لا حتى تشربا خمري وتقتلا ابن جاري وتسجدا لوثني فقالا لا نسجد ثم شربا من الخمر ثم قتلا ثم سجدا فاشرف أهل السماء عليهما وقالت لهما أخبراني بالكلمة التي إذا قلتماها طرتما فأخبراها فطارت فمسخت جمرة وهي هذه الزهرة واما هما فأرسل اليهما سليمان بن داود فخيرهما بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختارا عذاب الدنيا فهما مناطان بين السماء والارض وهذا السياق فيه زيادة كثيرة واغراب ونكارة والله أعلم بالصواب .

وقال عبد الرزاق : قال معمر قال قتادة والزهري عن عبيد الله بن عبد الله (وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت) كانا ملكين من الملائكة فاهبطا ليحكما بين الناس ، وذلك ان الملائكة سخروا من حكام بني آدم فحاكمت اليهما امرأة فحافا لها ثم ذهبا يصعدا ان فحيل بينهما وبين ذلك ثم خيرا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختارا عذاب الدنيا . وقال معمر : قال

(١) ولكنه كان يروي الغرائب كما في التقريب وفي تهذيب التهذيب عن أحمد : كان يحدث عن عنبسة أحاديث غرائب اه

ما كان ينبغي لنا أن نعصيك قال الله تعالى: فاختاروا ملكين من خياركم أهبطهما الى الارض فاختاروا هاروت وماروت وكانا من أصلح الملائكة وأعبدهم ، وقال الكلبي : قال الله تعالى لهم : اختاروا ثلاثة فاختاروا عزا وهو هاروت وعزايا وهو ماروت غير إسمهما لما قارفا الذنب وعزائيل فركب الله فيهم الشهوة وأهبطهم الى الارض وأمرهم أن يحكموا بين الناس بالحق ونهاهم عن الشرك والقتل بغير

قتادة فكانا يعلمان الناس السحر فأخذ عليهما أن لا يعلمان أحدا حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر.

وقال أسباط عن السدي أنه قال كان من أمر هاروت وماروت أنهما طعنا على أهل الارض في أحكامهم فقيل لهما إني أعطيت بني آدم عشرا من الشهوات فبها يعصونني ، قال هاروت وماروت: ربنا لو أعطيتنا تلك الشهوات ثم نزلنا لحكمنا بالعدل ، فقال لهما انزلا فقد أعطيتكما تلك الشهوات العشر فاحكما بين الناس فنزلا ببابل دنباوند فكانا يحكمان حتى اذا أمسيا عرجا فاذا أصبحا هبطا فلم يزالا كذلك حتى أتتهما امرأة تخاصم زوجها فأعجبهما حسنها واسمها بالعربية الزهرة وبالنبطية بيدخت وبالفارسية أناهيد. فقال أحدهما لصاحبه انها لتعجبني ، قال الاخر قد أردت ان أذكرك فاستحييت منك . فقال الآخر ، هل لك ان أذكرها لنفسها؟ قال نعم ، ولكن كيف لنا بعذاب الله؟ قال الآخر انا لنرجو رحمة الله. فلما جاءت تخاصم زوجها ذكر اليها نفسها فقالت لا حتى تقضيا لي على زوجي فقضيا لها على زوجها ثم واعدتهما خربة من الخرب يأتيانها فيها فأتياها لذلك فلما أراد الذي يواقعها قالت ما أنا بالذي أفعل حتى تخبراني بأي كلام تصعدان الى السماء وبأي كلام تنزلان منها فأخبراها فتكلمت فصعدت فأنساها الله تعالى ما تنزل به فثبتت مكانها وجعلها الله كوكباء فكان عبد الله بن عمر كلما رآها لعنها وقال هذه التي فتنت هاروت وماروت ، فلما كان الليل أرادا ان يصعدا فلم يطيقا فعرفا الهلكة فخيرا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختارا عذاب الدنيا فعلقا ببابل وجعلا يكلمان الناس كلامهما وهو السحر .

وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد أما شأن هاروت وماروت فان الملائكة عجبت من ظلم بني آدم وقد جاءتهم الرسل والكتب والبينات فقال لهم ربهم تعالى : اختاروا منكم ملكين أنزلهما يحكمان في الارض فاختاروا فلم يألوا هاروت وماروت ، فقال لهما حين أنزلهما أعجبتم من بني آدم من ظلمهم ومعصيتهم وانما تأتيهم الرسل والكتب من وراء وراء وانكما ليس بيني وبينكما رسول فافعلا كذا وكذا ودعا كذا وكذا ، فأمرهما بأمور ونهاهما ، ثم نزلا على ذلك ليس أحد أطوع لله منهما فحكما فعدلا فكانا يحكمان في النهار بين بني آدم فاذا أمسيا عرجا فكانا مع الملائكة وينزلان حين يصبحان فيحكمان فيعدلان حتى أنزلت عليهما الزهرة في أحسن صورة امرأة تخاصم فقضيا عليها فلما قامت وجد كل واحد منهما في نفسه ، فقال أحدهما لصاحبه وجدت مثل الذي وجدت؟ قال نعم ، فبعثا اليها ان ائتينا نقض لك ، فلما رجعت قالا وقضيا لها فأتتهما فكشفا لها عن عورتيهما وانما كانت سوآتهما في أنفسهما ولم يكونا كبني آدم في شهوة النساء ولذاتها ، فلما بلغا

الحق والزنا وشرب الخمر ، فأما عزائيل فانه لما وقعت الشهوة في قلبه استقبل ربه وسأله أن يرفعه الى السماء فأقاله فسجد أربعين سنة لم يرفع رأسه ولم يزل بعد ذلك مطأطئا رأسه حياء من الله تعالى . وأما الآخران فانهما ثبتا على ذلك وكانا يقضيان بين الناس يومهما فاذا أمسيا ذكرا اسم الله الاعظم وصعدا به الى السماء ، قال قتادة : فما مرّ عليهما شهر حتى افتتنا قالوا جميعا وذلك انه اختصم اليهما ذات

ذلك واستحلا افتتنا فطارت الزهرة فرجعت حيث كانت . فلما أمسيا عرجا فزجرا فلم يؤذن لهما ولم تحملهما أجنحتهما فاستغاثا برجل من بني آدم فأتياه فقالا أدع لنا ربك فقال كيف يشفع أهل الارض لاهل السماء ؟ قالا سمعنا ربك يذكرك بخير في السماء، فوعدهما يوما وغدا يدعو لهما فدعا لهما فاستجيب . فخيرا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فنظر أحدهما الى صاحبه فقال ألا تعلم ان أفواج عذاب الله في الآخرة كذا وكذا في الخلد وفي الدنيا تسع مرات مثلها ؟ فأمرا ان ينزلا ببابل فثم عذابهما، وزعم أنهما معلقان في الحديد مطويان يصفقان بأجنحتهما . وقد روى في قصة هاروت وماروت عن جماعة من التابعين كمجاهد والسدي والحسن البصري وقتادة وأبي العالية والزهري والربيع بن أنس ومقاتل بن حيان وغيرهم ، وقصها خلق من المفسرين من المتقدمين والمتأخرين . وحاصلها راجع فى تفصيلها الى أخبار بني اسرائيل إذ ليس فيها حديث مرفوع صحيح متصل الاسناد الى الصادق المصدوق المعصوم الذي لا ينطق على الهوى وظاهر سياق القرآن اجمال القصة من غير بسط ولا اطناب فيها فنحن نؤمن بما ورد في القرآن على ما أراده الله تعالى والله أعلم بحقيقة الحال (١)

وقد ورد في ذلك أثر غريب وسياق عجيب في ذلك أحببنا أن ننبه عليه قال الامام أبوجعفر ابن جرير رحمه الله تعالى: أخبرنا الربيع بن سليمان أخبرنا ابن وهب أخبرني ابن أبي الزناد حدثني هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أنها قالت : قدمت عليّ امرأة من أهل دومة الجندل جاءت تبتغي رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد موته حداثة ذلك تسأله عن أشياء دخلت فيه من أمر السحر ولم تعمل به وقالت عائشة رضي الله عنها لعروة : يا ابن أختي فرأيتها تبكي حين لم تجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيشفيها فكانت تبكي حتى إني لارحمها وتقول : إني أخاف أن أكون قد هلكت :كان لي زوج فغاب عني فدخلت عليّ عجوز فشكوت ذلك اليها فقالت إن فعلت ما آمرك به فأجعله يأتيك . فلما كان الليل جاءتني بكلبين أسودين فركبت أحدهما وركبت الآخر فلم يكن شيء حتى وقفنا ببابل وإذ برجلين معلقين بأرجلهما فقالا : ما جاء بك ؟ قلت: نتعلم السحر فقالا : انما نحن فتنة فلا تكفري فارجعي فأبيت وقلت : لا قالا : فاذهبي الى ذلك التنور فبولي فيه فذهبت ففزعت ولم أفعل فرجعت اليهما فقالا : أفعلت ؟ فقلت : نعم فقالا : هل رأيت شيئا ؟ فقلت : لم أر شيئا فقالا . لم تفعلي ارجعي الى بلادك ولا تكفري فأربيت وأبيت فقالا : اذهبي الى ذلك التنور فبولي فيه فذهبت فاقشعررت وخفت ثم رجعت اليهما وقلت : قد فعلت فقالا:

(١) هذا هو الحق وجميع تلك الروايات من خرافات اليهود التى كانوا يغشون بها المسلمين ، واذا كان بعض الصحابة قد صدق بعضها، فلا عجب اذا اكثر التابعون القول فيها وشوه المفسرون كتبهم بها .

يوم الزهرة وكانت من أجمل النساء. قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : وكانت من أهل فارس وكانت ملكة في بلدها فلما رأياها أخذت بقلوبهما فراوداها عن نفسها فأبت وانصرفت ثم عادت في اليوم الثاني ففعلا مثل ذلك فأبت وقالت : لا إلا أن تعبدا ما أعبد وتصليا لهذا الصنم وتقتلا النفس وتشربا الخمر فقالا : لاسبيل الى هذه الاشياء فان الله تعالى قد نهانا عنها فانصرفت ثم عادت

فما رأيت؟ فقلت : لم أر شيئا فقالا : كذبت لم تفعلي ارجعي الى بلادك ولا تكفري فانك على رأس أمرك فأربيت وأبيت فقالا : اذهبي الى التنور فبولي فيه فذهبت اليه فبلت فيه فرأيت فارسا مقنعا بحديد خرج مني فذهب في السماء وغاب حتى ما أراه فجئتهما فقلت : قد فعلت فقالا : فما رأيت ؟ قلت : رأيت فارسا مقنعا خرج مني فذهب في السماء حتى ما أراه فقالا : صدقت ذلك ايمانك خرج منك اذهبي فقلت للمرأة : والله ما أعلم شيئا وما قالا لي شيئا فقالت : بلى لم تريدي شيئا الا كان خذي هذا القمح فابذري فبذرت وقلت : اطلعي فاطلع وقلت : احقلي فاحقلت ثم قلت : افركي فافركت ثم قلت : ايبسي فايبست ثم قلت : اطحني فاطحنت ثم قلت : اخبزي فأخبزت. فلما رأيت اني لا أريد شيئا الا كان سقط في يدي وندمت والله ياأم المؤمنين مافعلت شيئا ولا أفعله أبداً . ورواه ابن أبي حاتم عن الربيع بن سليمان به مطولا كما تقدم وزاد بعد قولها ولا أفعله أبدا فسألت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حداثة وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يومئذ متوافرون فما دروا ما يقولون لها وكلهم هاب وخاف ان يفتيها بما لا يعلمه الا انه قد قال لها ابن عباس أو بعض من كان عنده لو كان أبواك حيين أو أحدهما . قال هشام : فلو جاءتنا أفتيناها بالضمان . قال ابن ابي الزناد : وكان هشام يقول : انهم كانوا من أهل الورع والخشية من الله ثم يقول هشام : لوجاءتنا مثلها اليوم لوجدت نوكي أهل حمق وتكلف بغير علم . فهذا إسناد جيد الى عائشة رضي الله عنها ،

وقد استدل بهذا الاثر من ذهب الى أن الساحر له تمكن في قلب الاعيان لان هذه المرأة بذرت واستغلت في الحال ، وقال آخرون : بل ليس له قدرة الا على التخييل كما قال تعالى (سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاؤا بسحر عظيم) وقال تعالى (يخيل اليه من سحرهم أنها تسعى) واستدل به على ان بابل المذكورة في القرآن هي بابل العراق لا بابل ديناوند كما قاله السدي وغيره ، ثم الدليل على انها بابل العراق ماقال ابن ابي حاتم أخبرنا علي بن الحسين اخبرنا احمد بن صالح حدثني ابن وهب حدثني ابن لهيعة ويحيي بن أزهر عن عمار بن سعد المرادي عن ابي صالح الغفاري أن علي بن ابي طالب رضي الله عنه مرّ ببابل وهو يسير فجاء المؤذن يؤذنه بصلاة العصر فلما برز منها أمر المؤذن فأقام الصلاة فلما فرغ قال : إن حبيبي صلى الله عليه وسلم نهاني أن أصلي بأرض المقبرة ونهاني ان أصلي ببابل فانها ملعونة . وقال ابو داود : اخبرنا سليمان ابن داود اخبرنا ابن وهب ويحيى بن أزهر عن عمار بن سعد المرادي عن ابي صالح الغفاري : إن عليا مر ببابل وهو يسير فجاءه المؤذن يؤذنه بصلاة العصر فلما برز منها أمر المؤذن فأقام الصلاة فلما فرغ قال : إن حبيبي صلى الله

في اليوم الثالث ومعها قدح من خمر وفي أنفسهما من الميل اليها ما فيها فراوداها عن نفسها فعرضت عليهما ما قالت بالامس فقالا : الصلاة لغير الله عظيم ، وقتل النفس عظيم ، وأهون الثلاثة شرب الخمر فشربا الخمر فانتشيا ووقعا بالمرأة فزنيا فلما فرغا رآهما انسان فقتلاه قال الربيع بن أنس وسجدا للصنم فمسخ الله الزهرة كوكبا — وقال بعضهم: جاءتها امرأة من أحسن الناس تخاصم زوجا لها فقال أحدهما

عليه وسلم نهاني أن أصلي في المقبرة ونهاني أن أصلي بأرض بابل فانها ملعونة . حدثنا احمد بن صالح حدثنا ابن وهب اخبرني يحيي بن ازهر وابن لهيعة عن حجاج بن شداد عن ابي صالح الغفاري عن علي بمعنى حديث سليمان بن داود قال : فلما خرج منها برز » وهذا الحديث حسن عند الامام أبي داود لانه رواه وسكت عليه ففيـه من الفقه كراهية الصلاة بأرض بابل كما تكره بديار ثمود الذين نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدخول الى منازلهم الا ان يكونوا باكين . قال أصحاب الهيئة : وبعد ما بين بابل وهي من اقليم العراق عن البحر المحيط الغربي ويقال له اوقيانوس سبعون درجة ويسمون هذا طولا ، وأما عرضها وهو بعد ما بينها وبين وسط الارض من ناحية الجنوب وهو المسامت لخط الاستواء اثنان وثلاثون درجة والله أعلم

وقوله تعالى (وما يعلمان من أحد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر) قال أبو جعـفر الرازي عن الربيع بن أنس عن قيس بن عباد عن ابن عباس قال : فاذا أتاهما الآتي يريد السحر نهياه أشد النهي وقالا له : انما نحن فتنة فلا تكفر ، وذلك انهما علمـا الخير والشر والكفر والايمـان ، فعرفا إن السحر من الكفر قال : فاذا أبي عليهما أمراه أن يأتي مكان كذا وكذا فاذا أتاه عاين الشيطان فعلمه فاذا تعلمه خرج منه النور فنظر اليه ساطعا في السماء فيقول : ياحسرتاه ياويله ماذا صنع . وعن الحسن البصري أنه قال في تفسير هذه الآية : نعم أنزل الملكان بالسحر ليعلما الناس البلاء الذي أراد الله أن يبتلي به الناس فأخذ عليهما الميثاق أن لا يعلما أحد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر رواه ابن ابي حاتم . وقال قتادة : كان أخذ عليهما أن لا يعلمـا أحدا حتى يقولا انما نحن فتنة أي بلاء ابتلينا به فلا تكفر . وقال السدي : اذا أتاهما انسان يريد السحر وعظاه وقالا له : لا تكفر انما نحن فتنة فاذا ابى قالا له: ائت هذا الرماد فبل عليه فاذا بال عليه خرج منه نور فسطع حتى يدخل السماء وذلك الايمان وأقبل شيء أسود كهيئة الدخان حتى يدخل في مسامعه وكل شيء وذلك غضب الله فاذا أخبرهما بذلك علماه السحر فذلك قول الله تعالى (وما يعلمان من أحد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر) الآية . وقال سنيد عن حجاج عن ابن جريج في هذه الآية لا يجترىء على السحر الا كافر ، وأما الفتنة فهي المحنة والاختبار ومنه قول الشاعر

وقد فـتن الناس في دينهم وخلّى ابن عفان شراً طويلا

وكذلك قوله تعالى إخبارا عن موسى عليه السلام حيث قال (إن هى إلا فتنتك) أي ابتلاؤك واختبارك وامتحانك (تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء)وقد استدل بعضهم بهذه الآية على تكفير

للآخر : هل سقط في نفسك مثل الذي سقط في نفسي ؟ قال : نعم فقال : وهل لك أن تقضي لها على زوجها؟ فقال له صاحبه: أما تعلم ما عند الله من العقوبة والعذاب فقال له صاحبه : أما تعلم ما عند الله من العفو والرحمة فسألاها عن نفسها فقالت : لا إلا أن تقضيا لي على زوجي فقضيا لها ثم سألاها نفسها فقالت : لا إلا أن تقتلاه فقال أحدهما : أما تعلم ما عند الله من العقوبة والعذاب فقال له صاحبه

من تعلم السحر واستشهد له بالحديث الذى رواه الحافظ أبو بكر البزار حدثنا محمد بن المثنى أخبرنا ابو معاوية عن الاعمش عن ابراهيم عن همام عن عبد الله قال : « من أتى كاهنا أو ساحرا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم » وهذا إسناد صحيح وله شواهد أخر ، وقوله تعالى (فيتعلمون منهما مايفرقون به بين المرء وزوجه) أي فيتعلم الناس من هاروت وماروت من علم السحر مايتصرفون به فيما يتصرفون من الافاعيل المذمومة ما انهم ليفرقون به بين الزوجين مع ما بينهما من الخلطة والائتلاف ، وهذا من صنيع الشياطين كما رواه مسلم في صحيحه من حديث الاعمش عن أبي سفيان عن طلحة بن نافع عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إن الشيطان ليضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه في الناس فأقربهم عنده منزلة أعظمهم عنده فتنة » يجيء أحدهم فيقول : ما زلت بفلان حتى تركته وهو يقول كذا وكذا فيقول إبليس : لا والله ما صنعت شيئا ، ويجيء أحدهم فيقول : ما تركته حتى فرقت بينه و بين أهله قال : فيقربه و يدنيه و يلتزمه و يقول : نعم أنت » وسبب التفريق بين الزوجين بالسحر ما يخيل الى الرجل أو المرأة من الآخر من سوء منظر أو خلق أو نحو ذلك أو عقد أو بغضة أو نحو ذلك من الاسباب المقتضية للفرقة والمرء عبارة عن الرجل وتأنيثه امرأة ويثنى كل منهما ولا يجمعان والله أعلم

وقوله تعالى (وماهم بضارين به من أحد الا باذن الله) قال سفيان الثوري الا بقضاء الله وقال محمد بن اسحق الا بتخلية الله بينه و بين ماأراد » وقال الحسن البصري (وماهم بضارين به من أحد الا باذن الله) قال نعم من شاء الله سلطهم عليه ومن لم يشأ الله لم يسلط ولا يستطيعون من أحد الا باذن الله كما قال الله تعالى وفي رواية عن الحسن انه قال لايضر هذا السحر الا من دخل فيه » وقوله تعالى (و يتعلمون مايضرهم ولا ينفعهم) أى يضرهم في دينهم وليس له نفع يوازي ضرره (ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق) أى ولقد علم اليهود الذين استبدلوا بالسحر عن متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم لمن فعل فعلهم ذلك انه ماله في الآخرة من خلاق » قال ابن عباس ومجاهد والسدي من نصيب ، وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة ماله في الاخرة من جهة عند الله » وقال عبد الرزاق وقال الحسن ليس له دين » وقال سعد عن قتادة (ماله في الآخرة من خلاق) قال ولقد علم أهل الكتاب فيما عهد الله اليهم ان الساحر لاخلاق له في الاخرة وقوله تعالى (ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون * ولو أنهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون) يقول تعالى (ولبئس)

أما تعلم ما عند الله من العفو والرحمة فقتلاه ثم سألاها نفسها فقالت : لا إلا ان لنا صنما نعبده ان أنتما صليتما معي عنده فعلت فقال أحدهما لصاحبه مثل القول الاول وقال صاحبه مثله فصليا معها فمسخت شهابا قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه والكلبي والسدي : انها قالت لهما لن تدركاني حتى تخبراني بالذي تصعدان به الى السماء فقالا : باسم الله الاكبر قالت : فما أنتما بمدركي حتى تعلمانيه فقال أحدهما لصاحبه : علمها فقال : إني أخاف الله قال الآخر : فأين رحمة الله تعالى فعلماها ذلك فتكلمت به

البديل ما استبدلوا به من السحر عوضا عن الايمان ومتابعة الرسول او كان لهم علم بما وعظوا به (ولو أنهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير) أي ولو أنهم آمنوا بالله ورسله واتقوا المحارم لكان مثوبة الله على ذلك خيراً لهم مما استخاروا لانفسهم ورضوا به كما قال تعالى (وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقاها الا الصابرون)

وقد استدل بقوله (ولو أنهم آمنوا واتقوا) من ذهب الى تكفير الساحر كما هو رواية عن الامام أحمد بن حنبل وطائفة من السلف وقيل بل لا يكفر ولكن حده ضرب عنقه لما رواه الشافعي واحمد بن حنبل قالا أخبرنا سفيان هو ابن عيينة عن عمرو بن دينار انه سمع بجالة بن عبدة يقول كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان اقتلوا كل ساحر وساحرة قال فقتلنا ثلاث سواحر وقد أخرجه البخاري في صحيحه أيضا وهكذا صح ان حفصة أم المؤمنين سحرتها جارية لها فأمرت بها فقتلت . قال الامام أحمد بن حنبل صح عن ثلاثة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في قتل الساحر ، وروى الترمذي من حديث اسماعيل بن مسلم عن الحسن عن جندب الازدي انه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « حد الساحر ضربه بالسيف » ثم قال لا نعرفه مرفوعا الا من هذا الوجه . واسماعيل بن مسلم يضعف في الحديث والصحيح عن الحسن عن جندب موقوفا قلت قد رواه الطبراني من وجه آخر عن الحسن عن جندب مرفوعا والله أعلم . وقد روي من طرق متعددة ان الوليد بن عقبة كان عنده ساحر يلعب بين يديه فكان يضرب رأس الرجل ثم يصيح به فيرد اليه رأسه فقال الناس سبحان الله يحيي الموتى ورآه رجل من صالحي المهاجرين فلما كان الغد جاء مشتملا على سيفه وذهب يلعب لعبه ذلك فاخترط الرجل سيفه فضرب عنق الساحر وقال ان كان صادقا فليحيي نفسه وتلا قوله تعالى (أفتأتون السحر وأنتم تبصرون) فغضب الوليد اذ لم يستأذنه في ذلك فسجنه ثم أطلقه والله أعلم ، وقال الامام ابو بكر الخلال : أخبرنا عبد الله بن احمد بن حنبل حدثني أبي أخبرنا يحيي بن سعيد حدثني أبو اسحق عن حارثة قال كان عند بعض الامراء رجل يلعب فجاء جندب مشتملا على سيفه فقتله قال أراه كان ساحرا وحمل الشافعي رحمه الله قصة عمر وحفصة على سحر يكون شركا والله أعلم

وصعدت الى السماء فمسخها الله كوكبا ، وذهب بعضهم الى أنها وهي الزهرة بعينها وأنكر الآخرون هذا وقالوا : إن الزهرة من الكواكب السبعة السيارة التي أقسم الله بها فقال (فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس) والتي فتنت هاروت وماروت امرأة كانت تسمى الزهرة لجمالها فلما بغت مسخها الله تعالى شهابا قالوا : فلما أمسى هاروت وماروت بعد ما قارفا الذنب هما بالصعود الى السماء فلم تطاوعهما أجنحتهما فعلما ما حل بهما فقصدا إدريس النبي عليه السلام فأخبراه بأمرهما وسألاه أن يشفع لهما الى الله عز وجل وقالا له : إنا رأيناك يصعد لك من العبادات مثل ما يصعد لجميع أهل الارض فاستشفع لنا الى ربك ففعل ذلك ادريس عليه السلام فخيرهما الله بين عذاب الدنيا وعذاب

﴿ فصل ﴾ حكى أبو عبد الله الرازي(١) في تفسيره عن المعتزلة أنهم أنكروا وجود السحر، قال: وربما كفروا من اعتقد وجوده ، قال وأما أهل السنة فقد جوزوا ان يقدر الساحر ان يطير في الهواء ويقلب الانسان حمارا والحمار انسانا إلا انهم قالوا ان الله يخلق الاشياء عند ما يقول الساحر تلك الرقى والكلمات المعينة فأما ان يكون المؤثر في ذلك هو الفلك والنجوم فلا خلافا للفلاسفة والمنجمين والصابئة ، ثم استدل على وقوع السحر وأنه بخلق الله تعالى بقوله تعالى (وما هم بضارين به من أحد إلا باذن الله) ومن الاخبار بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم سحر وان السحر عمل فيه وبقصة تلك المرأة مع عائشة رضي الله عنها وما ذكرت تلك المرأة من إتيانها بابل وتعلمها السحر . قال وبما يذكر في هذا الباب من الحكايات الكثيرة ، ثم قال بعد هذا

﴿ المسألة الخامسة ﴾ في أن العلم بالسحر ليس بقبيح ولا محظور- اتفق المحققون على ذلك لان العلم لذاته شريف وأيضا لعموم قوله تعالى (قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون) ولان السحر لو لم يكن يعلم لما أمكن الفرق بينه وبين المعجزة والعلم بكون المعجز معجزا واجب وما يتوقف الواجب عليه فهو واجب فهذا يقتضي ان يكون تحصيل العلم بالسحر واجبا وما يكون واجبا فكيف يكون حراما وقبيحا؟ هذا لفظه بحروفه في هذه المسألة وهذا الكلام فيه نظر من وجوه أحدها قوله: العلم بالسحر ليس بقبيح إن عنى به ليس بقبيح عقلا فمخالفوه من المعتزلة يمنعون هذا وان عنى انه ليس بقبيح شرعا ، ففي هذه الآية الكريمة تبشيع لتعلم السحر وفي الصحيح «من أتى عرافا أو كاهنا فقد كفر بما أنزل على محمد» وفي السنن «من عقد عقدة ونفث فيها فقد سحر» وقوله: ولا محظور اتفق المحققون على ذلك . كيف لا يكون محظورا مع ما ذكرناه من الآية . والحديث واتفاق المحققين يقتضي أن يكون قد نص على هذه المسألة أئمة العلماء أو أكثرهم وأين نصوصهم على ذلك ؟ ثم ادخاله علم السحر في عموم قوله تعالى (قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون) فيه نظر لان هذه الآية انما دلت على مدح العالمين العلم الشرعي ولم قلت ان هذا منه ثم ترقيه الى وجوب تعلمه بانه لا يحصل العلم بالمعجز إلا به ضعيف بل فاسد لان أعظم معجزات رسولنا عليه الصلاة والسلام هي القرآن العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد . ثم ان العلم بأنه معجز لا يتوقف على علم السحر أصلا ، ثم من المعلوم بالضرورة أن الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين وعامتهم كانوا يعلمون المعجز ويفرقون بينه وبين غيره ، ولم يكونوا يعلمون السحر ولا تعلموه ولا علموه والله أعلم .

ثم قد ذكر أبو عبد الله الرازي أن أنواع السحر ثمانية (الاول) سحر الكذابين والكشدانيين الذين

(١) هو فخر الدين الامام المشهور كناه تعظيما له ولم يشتهر بالكنية وما نقله عنه هنا ملخص من تفسيره الكبير وفيه شيء من التحريف المطبعي صححناه بمقابلته عليه والمراد من الخلاف في وجود السحر كونه خارقا للعادة وأما وجود شيء يسمى السحر فلا خلاف فيه

الآخرة فاختارا عذاب الدنيا إذ علما أنه ينقطع فهما ببابل يعذبان . واختلفوا في كيفية عذابهما فقال عبد الله بن مسعود : هما معلقان بشعورهما الى قيام الساعة . وقال عطاء بن أبي رباح : رؤسهما مصوبة تحت أجنحتهما وقال قتادة : كبلا من أقدامهما الى أصول أفخاذهما وقال مجاهد : جعلا في جب ملئت نارا وقال عمر بن سعد: منكوسان يضربان بسياط الحديد . وروي أن رجلا قصد هاروت وماروت

كانوا يعبدون الكواكب السبعة المتحيرة وهي السيارة وكانوا يعتقدون انها مدبرة العالم وأنها تأتي بالخير والشر وهم الذين بعث الله اليهم ابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم مبطلا لمقالتهم وراداً لمذهبهم ، وقد استقصى في (كتاب السر المكتوم، في مخاطبة الشمس والنجوم) المنسوب اليه كما ذكره القاضي ابن خلكان وغيره ويقال انه تاب منه، وقيل بل صنفه على وجه اظهار الفضيلة لا على سبيل الاعتقاد، وهذا هو المظنون به إلا انه ذكر فيه طريقتهم في مخاطبة كل من هذه الكواكب السبعة وكيفية ما يفعلون وما يلبسونه وما يتنسكون به .

قال (والنوع الثاني) سحر أصحاب الاوهام والنفوس القوية ، ثم استدل على أن الوهم له تأثير بأن الانسان يمكنه ان يمشي على الجذع الموضوع على وجه الارض ولا يمكنه المشي عليه اذا كان ممدودا على نهر أو نحوه ، قال : وكما أجمعت الاطباء على نهي المرعوف عن النظر الى الاشياء الحمر والمصروع الى الاشياء القوية اللمعان أو الدوران وما ذاك إلا لان النفوس خلقت مطيعة للاوهام . قال : وقد اتفق العقلاء على ان الاصابة بالعين حق — وله أن يستدل على ذلك بما ثبت في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « العين حق ولو كان شيء سابق القدر لسبقته العين » — قال فاذا عرفت هذا فنقول النفس التي تفعل هذه الافاعيل قد تكون قوية جدا فتستغني في هذه الافاعيل عن الاستعانة بالآلات والادوات وقد تكون ضعيفة فتحتاج الى الاستعانة بهذه الآلات، وتحقيقه ان النفس اذا كانت متعلية على البدن شديدة الانجذاب الى عالم السموات صارت كانها روح من الارواح السماوية فكانت قوية على التأثير في مواد هذا العالم « واذا كانت ضعيفة شديدة التعلق بهذه اللذات البدنية فحينئذ لا يكون لها تأثير البتة إلا في هذا البدن « ثم أرشد الى مداواة هذا الداء بتقليل الغذاء، والانقطاع عن الناس والرياء (قلت) وهذا الذي يشير اليه هو التصرف بالحال وهو على قسمين تارة تكون حالا صحيحة شرعية يتصرف بها فيما أمر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، ويترك ما نهى الله تعالى عنه ورسوله صلى الله عليه وسلم « فهذه الاحوال مواهب من الله تعالى وكرامات للصالحين من هذه الامة ولا يسمى هذا سحرا في الشرع . وتارة تكون الحال فاسدة لا يمتثل صاحبها ما أمر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ولا يتصرف بها في ذلك، فهذه حال الاشقياء المخالفين للشريعة ولا يدل اعطاء الله إياهم هذه الاحوال على محبته لهم ، كما أن الدجال له من الخوارق للعادات ما دلت عليه الاحاديث الكثيرة مع انه مذموم شرعا لعنه الله، وكذلك من شابهه من مخالفي الشريعة المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، وبسط هذا يطول جدا وليس هذا موضعه .

لتعلم السحر فوجدهما معلقين بأرجلهما مزرقة أعينهما مسودة جلودهما ، ليس بين ألسنتهما وبين الماء الا أربع أصابع وهما يعذبان بالعطش فلما رأى ذلك هاله مكانهما فقال : لا إله إلا الله فلما سمعا كلامه قالا له : من أنت ؟ قال : رجل من الناس قالا : من أي أمة ؟ قال : من أمة محمد صلى الله عليه وسلم قالا : أوقد بعث محمد صلى الله عليه وسلم ؟ قال : نعم قالا : الحمد لله، وأظهرا الاستبشار فقال

قال (والنوع الثالث) من السحر الاستعانة بالارواح الارضية وهم الجن خلافا للفلاسفة والمعتزلة وهم على قسمين . مؤمنون وكفار وهم الشياطين . قال واتصال النفوس الناطقة بها أسهل من اتصالها بالارواح السماوية لما بينهما من المناسبة والقرب ، ثم ان أصحاب الصنعة وأرباب التجربة شاهدوا أن الاتصال بهذه الارواح الارضية يحصل باعمال سهلة قليلة من الرقى والدخن والتجريد ، وهذا النوع هو المسمى بالعزائم وعمل التسخير

(النوع الرابع) من السحر التخييلات والاخذ بالعيون والشعبذة ومبناه على ان البصر قد يخطىء ويشتغل بالشيء المعين دون غيره ، ألا ترى ذا الشعبذة الحاذق يظهر عمل شيء يذهل أذهان الناظرين به ويأخذ عيونهم اليه حتى اذا استفرغهم الشغل بذلك الشيء بالتحديق ونحوه عمل شيئا آخر عملا بسرعة شديدة وحينئذ يظهر لهم شيء آخر غير ما انتظروه فيتعجبون منه جدا ولو انه سكت ولم يتكلم بما يصرف الخواطر الى ضد ما يريد أن يعمله ولم تتحرك النفوس والاوهام الى غير ما يريد اخراجه لفطن الناظرون لكل ما يفعله (قال) وكلما كانت الاحوال تفيد حس البصر نوعا من أنواع الخلل أشد كان العمل أحسن مثل ان يجلس المشعبذ في موضع مضيء جدا أو مظلم فلا تقف القوة الناظرة على أحوالها والحالة هذه

(قلت) وقد قال بعض المفسرين : إن سحر السحرة بين يدي فرعون انما كان من باب الشعبذة ولهذا قال تعالى (فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاؤا بسحر عظيم) وقال تعالى (يخيل اليه من سحرهم أنها تسعى) قالوا : ولم تكن تسعى في نفس الامر والله أعلم

(النوع الخامس من السحر) الاعمال العجيبة التي تظهر من تركيب الآلات المركبة على النسب الهندسية كفارس على فرس في يده بوق كلما مضت ساعة من النهار ضرب بالبوق من غير أن يمسه أحد . ومنها الصور التي تصورها الروم والهند حتى لا يفرق الناظر بينها وبين الانسان حتى يصورونها ضاحكة وباكية الى أن قال: فهذه الوجوه من لطيف أمور التخاييل(١) قال: وكان سحر سحرة فرعون من هذا القبيل (قلت) يعني ما قاله بعض المفسرين : انهم عمدوا الى تلك الحبال والعصي فحشوها زئبقا فصارت تتلوى بسبب ما فيها من ذلك الزئبق فيخيل الى الرائي أنها تسعى باختيارها . قال الرازي: ومن هذا الباب تركيب صندوق الساعات ، ويندرج في هذا الباب علم جر الاثقال بالآلات الخفيفة قال : وهذا في الحقيقة لاينبغي أن يعد من باب السحر لان لها أسبابا معلومة يقينية من اطلع عليها قدر عليها (قلت) ومن هذا القبيل حيل النصارى على عامتهم بما يرونهم اياه من الانوار

الرجل : وبم استبشاركما ؟ قالا : انه نبي الساعة وقد دنا انقضاء عذابنا (٢)

﴿ وما يعلمان من أحد ﴾ أي أحدا ومن صلة ﴿ حتى ﴾ ينصحاه أولا ﴿ يقولا إنما نحن فتنة ﴾ ابتلاء ومحنة ﴿ فلا تكفر ﴾ أي لا تتعلم السحر فتعمل به فتكفر وأصل الفتنة الاختبار والامتحان من قولهم : فتنت الذهب والفضة اذ أذبتهما بالنار لتميز الجيد من الرديء . وانما وحد الفتنة وهما

(١) في تفسير الرازي التخاييل ولم نصححها كغيرها لاحتمال أن تكون هي الاصل فيه

(٢) هذه الحكاية وأمثالها باطلة وقد فتح الصحابة (رض) بلاد بابل من العراق ولم ير أحد منهم ولا ممن بعدهم هذين الملكين فيها الى اليوم

كقضية قمامة الكنيسة التي لهم ببلد المقدس وما يحتالون به من ادخال النار خفية الى الكنيسة واشعال ذلك القنديل بصنعة لطيفة تروج على الطغام منهم . وأما الخواص فهم معترفون بذلك ولكن يتأولون أنهم يجمعون شمل أصحابهم على دينهم فيرون ذلك سائغا لهم. وفيهم شبهة على الجهلة الاغبياء من متعبدي الكرامية الذين يرون جواز وضع الاحاديث في الترغيب والترهيب فيدخلون في عداد من قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم « من كذب عليّ متعمداً فليتبوّأ مقعده من النار » وقوله « حدّثوا عني ولا تكذبوا عليّ فانه من يكذب عليّ يلج النار » ثم ذكر ههنا حكاية عن بعض الرهبان وهو أنه سمع صوت طائر حزين الصوت ضعيف الحركة فاذا سمعته الطيور ترق له فتذهب فتلقي في وكره من ثمر الزيتون ليتبلغ به فعمد هذا الراهب الى صنعة طائر على شكله وتوصل الى أن جعله أجوف فاذا دخلته الريح يسمع منه صوت كصوت ذلك الطائر وانقطع في صومعة ابتناها وزعم أنها على قبر بعض صالحيهم وعلق ذلك الطائر في مكان منها فاذا كان زمان الزيتون فتح بابا من ناحيته فيدخل الريح الى داخل هذه الصورة فيسمع صوتها كل طائر في شكله أيضا فتأتي الطيور فتحمل من الزيتون شيئا كثيرا فلا ترى النصارى الا ذلك الزيتون في هذه الصومعة ولا يدرون ما سببه ، ففتنهم بذلك وأوهم ان هذا من كرامات صاحب هذا القبر عليهم لعائن الله المتتابعة الى يوم القيامة

(قال الرازي: النوع السادس من السحر) الاستعانة بخواص الادوية يعني في الاطعمة والدهانات قال : وأعلم أن لا سبيل الى انكار الخواص فان تأثير المغناطيس مشاهد (قلت) يدخل في هذا القبيل كثير ممن يدعي الفقر ويتحيل على جهلة الناس بهذه الخواص مدعيا أنها أحوال له من مخالطة النيران ومسك الحيات الى غير ذلك من المحالات

قال : (النوع السابع من السحر) التعليق للقلب وهو أن يدّعي الساحر أنه عرف الاسم الاعظم وان الجن يطيعونه وينقادون له في أكثر الامور فاذا اتفق أن يكون لذلك السامع ضعيف العقل قليل التمييز اعتقد أنه حق وتعلق قلبه بذلك وحصل في نفسه نوع من الرعب والمخافة فاذا حصل الخوف ضعفت القوى الحساسة فحينئذ يتمكن الساحر أن يفعل ما يشاء (قلت) هذا النمط يقال له التنبلة وانما يروج على الضعفاء العقول من بني آدم ، وفي علم الفراسة ما يرشد الى معرفة كامل العقل من ناقصه ، فاذا كان النبيل حاذقا في علم الفراسة عرف من ينقاد له من الناس من غيره

قال (النوع الثامن من السحر) السعي بالنميمة والتقريب (١) من وجوه خفيفة لطيفة وذلك شائع

(١) في تفسير الرازي والتضريب بالضاد

اثنان لان الفتنة مصدر، والمصادر لا تثنى ولا تجمع . وقيل: انهما يقولان «انما نحن فتنة فلا تكفر» سبع مرات . قال عطاء والسدي : فان أبى إلا التعلم قالا له : ائت هذا الرماد فبل عليه فيخرج منه نور ساطع في السماء فذلك نور المعرفة ، وينزل شيء أسود شبه الدخان حتى يدخل مسامعه وذلك غضب الله تعالى . قال مجاهد : إن هاروت وماروت لا يصل اليهما أحد ويختلف فيما بينهما شيطان في كل مسئلة اختلافة واحدة ﴿ فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه﴾ وهو أن يؤخذ كل واحد

في الناس (قلت) النميمة على قسمين تارة تكون على وجه التحريش بين الناس وتفريق قلوب المؤمنين فهذا حرام متفق عليه، فأما ان كانت على وجه الاصلاح بين الناس وائتلاف كلمة المسلمين كما جاء في الحديث «ليس بالكذاب من ينم خيرا» أو يكون على وجه التخذيل والتفريق بين جموع الكفرة فهذا أمر مطلوب كما جاء في الحديث «الحرب خدعة» وكما فعل نعيم بن مسعود في تفريقه بين كلمة الاحزاب وبين قريظة: جاء الى هؤلاء فنمى اليهم عن هؤلاء كلاما، ونقل من هؤلاء الى أولئك شيئا آخر، ثم لأم بين ذلك فتناكرت النفوس وافترقت، وأنما يحذو على مثل هذا الذكاء والبصيرة النافذة والله المستعان.

ثم قال الرازي: فهذه جملة الكلام في أقسام السحر وشرح أنواعه وأصنافه (قلت) وانما أدخل كثيرا من هذه الأنواع المذكورة في فن السحر للطافة مداركها لان السحر في اللغة عبارة عما لطف وخفي سببه ولهذا جاء في الحديث «إن من البيان لسحرا» وسمي السحور لكونه يقع خفيا آخر الليل. والسحر الرئة وهي محل الغذاء وسميت بذلك لخفائها ولطف مجاريها الى أجزاء البدن وغضونه كما قال ابو جهل يوم بدر لعتبة: انتفخ سحره أي انتفخت رئته من الخوف. وقالت عائشة رضي الله عنها: توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم بين سحري ونحري، وقال تعالى (سحروا أعين الناس) أي أخفوا عنهم عملهم والله أعلم —

وقال ابو عبد الله القرطبي: وعندنا ان السحر حق وله حقيقة يخلق الله عنده ما يشاء خلافا للمعتزلة وابي اسحق الاسفرايني من الشافعية حيث قالوا: انه تمويه وتخييل. قال: ومن السحر ما يكون بخفة اليد كالشعوذة والشعوذي البريد لخفة سيره. قال ابن فارس: وليست هذه الكلمة من كلام أهل البادية. قال القرطبي: ومنه ما يكون كلاما يحفظ ورقى من أسماء الله تعالى وقد يكون من عهود الشياطين ويكون ادوية وادخنة وغير ذلك قال: وقوله عليه السلام «إن من البيان لسحرا» يحتمل أن يكون مدحا كما تقوله طائفة ويحتمل أن يكون ذما للبلاغة قال: وهذا أصح قال: لانها تصوب الباطل حتى توهم السامع انه حق كما قال عليه الصلاة والسلام «فلعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فاقضي له» الحديث

﴿فصل﴾ وقد ذكر الوزير أبو المظفر يحيى بن محمد بن هبيرة رحمه الله في كتابه (الاشراف على مذاهب الاشراف) بابا في السحر فقال: أجمعوا على ان السحر له حقيقة الا أبا حنيفة فانه قال: لا حقيقة له عنده (١) واختلفوا فيمن يتعلم السحر ويستعمله، فقال أبو حنيفة ومالك واحمد يكفر بذلك ومن أصحاب أبي حنيفة من قال ان تعلمه ليتقيه أو ليجتنبه فلا يكفر ومن تعلمه معتقدا جوازه أو انه

عن صاحبه ويبغض كل واحد الى صاحبه. قال الله تعالى ﴿وما هم﴾ قيل: أي السحرة وقيل: الشياطين ﴿بضارين به﴾ أي بالسحر ﴿من أحد﴾ أي أحدا ﴿الا باذن الله﴾ أي بعلمه وتكوينه فالساحر يسحر والله يكون. قال سفيان الثوري: معناه الا بقضائه وقدرته ومشيئته ﴿ويتعلمون ما يضرهم﴾ يعني السحر يضرهم ﴿ولا ينفعهم ولقد علموا﴾ يعني اليهود ﴿لمن اشتراه﴾ أي اختار السحر ﴿ماله في الآخرة﴾ أي في الجنة ﴿من خلاق﴾ من نصيب ﴿ولبئس ماشروا به﴾ باعوا به

(١) قد أطال الشيخ أبو بكر الجصاص من أئمة الحنفية فى القرن الرابع الكلام في السحر في كتابه (احكام القرآن) فجزم بانه خداع وتخييل وباطل وأنكر أن يكون النبي (ص) سحر واثر فيه السحر كما ذكر في الروايات وأنكر قصة المرأة التى روي أنها حدثت عائشة بتعلمها السحر

ينفعه كفر ، وكذا من اعتقد ان الشياطين تفعل له ما يشاء فهو كافر . وقال الشافعي رحمه الله اذا تعلم السحر قلنا له صف لنا سحرك فان وصف ما يوجب الكفر مثل ما اعتقده أهل بابل من التقرب الى الكواكب السبعة وانها تفعل ما يلتمس منها فهو كافر ، وان كان لا يوجب الكفر فان اعتقد اباحته فهو كافر ، قال ابن هبيرة : وهل يقتل بمجرد فعله واستعماله؟ فقال مالك وأحمد نعم ، وقال الشافعي وأبو حنيفة لا ، فأما ان قتل بسحره انسانا فانه يقتل عند مالك والشافعي وأحمد . وقال أبو حنيفة : لا يقتل حتى يتكرر منه ذلك أو يقر بذلك في حق شخص معين ، واذا قتل فانه يقتل حدا عندهم إلا الشافعي فانه قال يقتل والحالة هذه قصاصا قال : وهل اذا تاب الساحر تقبل توبته؟ فقال مالك وأبو حنيفة وأحمد في المشهور عنهم : لا تقبل ، وقال الشافعي واحمد في الرواية الاخرى تقبل وأما ساحر أهل الكتاب فعند أبي حنيفة انه يقتل كما يقتل الساحر المسلم . وقال مالك وأحمد والشافعي : لا يقتل يعني لقصة لبيد بن الاعصم واختلفوا في المسلمة الساحرة فعند أبي حنيفة انها لا تقتل ولكن تحبس ، وقال الثلاثة حكمها حكم الرجل والله أعلم . وقال أبو بكر الخلال : أخبرنا أبو بكر المروزي قال قرأ على أبي عبد الله - يعني أحمد بن حنبل - عمر بن هرون أخبرنا يونس عن الزهري قال : يقتل ساحر المسلمين ولا يقتل ساحر المشركين لان رسول الله صلى الله عليه وسلم سحرته امرأة من اليهود فلم يقتلها . وقد نقل القرطبي عن مالك رحمه الله انه قال في الذمي يقتل ان قتل سحره وحكى ابن خويزمنداد عن مالك روايتين في الذمي اذا سحر أحداهما انه يستتاب فان أسلم وإلا قتل ، والثانية انه يقتل وان أسلم ، وأما الساحر المسلم فان تضمن سحره كفرا كفر عند الائمة الاربعة وغيرهم لقوله تعالى (وما يعلمان من أحد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر) لكن قال مالك اذا ظهر عليه لم تقبل توبته لانه كالزنديق فان تاب قبل ان يظهر عليه وجاءنا تائبا قبلناه، فان قتل سحره قتل قال الشافعي : فان قال لم أتعمد القتل فهو مخطيء تجب عليه الدية

(مسئلة) وهل يسئل الساحر حلا لسحره؟(١) فأجاز سعيد بن المسيب فيما نقله عنه البخاري ، وقال عامر الشعبي : لا بأس بالنشرة وكره ذلك الحسن البصرى ، وفي الصحيح عن عائشة أنها قالت يارسول الله هلا تنشرت ، فقال « أما الله فقد شفاني وخشيت ان أفتح على الناس شرا » وحكى القرطبي عن وهب : انه قال يؤخذ سبع ورقات من سدر فتدق بين حجرين ثم تضرب بالماء ويقرأ عليها آية الكرسي ويشرب منها المسحور ثلاث حسوات ثم يغتسل بباقيه فانه يذهب ما به ، وهو جيد للرجل الذي يؤخذ عن امرأته (قلت) أنفع ما يستعمل لاذهاب السحر ما أنزل الله على

(١) يعني هل يجوز أن يسئل الساحر إبطال سحره وحل ماعقده في مثل عقد الرجل عن امرأته ؟ أم يعد سؤاله ذلك إقراراً له على سحره ؟

﴿ أنفسهم ﴾ حظ أنفسهم حيث اختاروا السحر والكفر على الدين والحق ﴿ لو كانوا يعلمون ﴾ فان قيل أليس قد قال « ولقد علموا لمن اشتراه » فما معنى قوله تعالى « لو كانوا يعلمون » بعد ما أخبر أنهم علموا ؟ قيل : أراد بقوله « ولقد علموا » يعني الشياطين وقوله « لو كانوا يعلمون » يعني اليهود وقيل : كلاهما في اليهود لما لم يعملوا بما علموا فكأنهم لم يعلموا ﴿ ولو أنهم آمنوا ﴾ بمحمد صلى الله عليه

رسوله في اذهاب ذلك وهما المعوذتان ، وفي الحديث « لم يتعوّذ المتعوذ بمثلهما » وكذلك قراءة آية الكرسي فانها مطردة للشيطان

(١٠٣) يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا وللكافرين عذاب أليم

(١٠٤) ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين ان ينزل عليكم من خير من ربكم والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم)

نهى الله تعالى عباده المؤمنين ان يتشبهوا بالكافرين في مقالهم وفعالهم، وذلك ان اليهود كانوا يعانون من الكلام ما فيه تورية لما يقصدونه من التنقيص عليهم لعائن الله فاذا أرادوا أن يقولوا اسمع لنا يقولوا راعنا ويورون بالرعونة كما قال تعالى (من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا ـ ليا بألسنتهم وطعنا في الدين ـ ولو انهم قالوا سمعنا وأطعنا واسمع وانظرنا لكان خيرا لهم وأقوم، ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا) وكذلك جاءت الاحاديث بالاخبار عنهم بأنهم كانوا إذا سلموا انما يقولون السام عليكم ، والسام هو الموت. ولهذا أمرنا ان نرد عليهم بوعليكم، وانما يستجاب لنا فيهم ولا يستجاب لهم فينا » والغرض ان الله تعالى نهى المؤمنين عن مشابهة الكافرين قولا وفعلا ، فقال (يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا وللكافرين عذاب أليم) وقال الامام احمد : أخبرنا أبو النضر أخبرنا عبد الرحمن أخبرنا ثابت أخبرنا حسان بن عطية عن أبي منيب الجرشي عن ابن عمر رضي الله عنهما . قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك له ، وجعل رزقي تحت ظل رمحي » وجعلت الذلة والصغار على من خالف أمري، ومن تشبه بقوم فهو منهم . وروى أبو داود عن عثمان ابن أبي شيبة عن أبي النضر هاشم أخبرنا ابن القاسم به « من تشبه بقوم فهو منهم » ففيه دلالة على النهي الشديد والتهديد والوعيد على التشبه بالكفار في أقوالهم وأفعالهم ولباسهم وأعيادهم وعباداتهم وغير ذلك من أمورهم التي لم تشرع لنا ولا نقر عليها. وقال ابن أبي حاتم أخبرنا ابي اخبرنا نعيم بن حماد أخبرنا عبدالله بن المبارك أخبرنا مسعر عن ابن معن وعون أو أحدهما ان رجلا أتى عبد الله بن مسعود فقال : اعهد اليّ ، فقال اذا سمعت الله يقول (يا أيها الذين آمنوا) فارعها سمعك فانه خير يأمر به أو شر ينهى عنه . وقال الاعمش عن خيثمة قال: ما تقرؤن في القرآن (يا أيها الذين آمنوا) فانه في التوراة يا أيها المساكين . وقال محمد

وسلم والقرآن ﴿ واتقوا ﴾ اليهودية والسحر ﴿ لمثوبة من عند الله خير ﴾ لكان ثواب الله إياهم خيرا لهم ﴿ لو كانوا يعلمون ﴾ » قوله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا ﴾ وذلك ان المسلمين كانوا يقولون راعنا يارسول الله من المراعاة أي ارعنا سمعك أي فرغ سمعك لكل منا يقال أرعى الى الشيء وارعاه وراعاه أي أصغى اليه واستمعه ، وكانت هذه اللفظة سبا قبيحا بلغة اليهود وقيل: كان

ابن اسحق حدثني محمد بن أبي محمد عن سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس (راعنا) أي ارعنا سمعك . وقال الضحاك : عن ابن عباس (يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا) قال كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم ارعنا سمعك وانما راعنا كقولك عاطنا . وقال ابن أبي حاتم وروى عن أبي العالية وأبي مالك والربيع بن أنس وعطية العوفي وقتادة نحو ذلك، وقال مجاهد (لا تقولوا راعنا) لا تقولوا خلافا ، وفي رواية لا تقولوا اسمع منا ونسمع منك . وقال عطاء « لاتقولوا (راعنا) كانت لغة تقولها الانصار فنهى الله عنها . وقال الحسن : (لا تقولوا راعنا) قال الراعن من القول السخري منه نهاهم الله ان يسخروا من قول محمد صلى الله عليه وسلم ، وما يدعوهم اليه من الاسلام . وكذا روى عن ابن جريج انه قال مثله . وقال أبو صخر (لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا) قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اذا ادبر ناداه من كانت له حاجة من المؤمنين فيقول ارعنا سمعك فأعظم الله رسوله صلى الله عليه وسلم ان يقال ذلك له . وقال السدي : كان رجل من اليهود من بني قينقاع يدعى رفاعة بن زيد يأتي النبي صلى الله عليه وسلم فاذا لقيه فكلمه قال : ارعني سمعك واسمع غير مسمع ، وكان المسلمون يحسبون ان الانبياء كانت تفخم بهذا فكان ناس منهم يقولون : اسمع غير مسمع غير صاغر ، وهي كالتي في سورة النساء فتقدم الله الى المؤمنين أن لا يقولوا راعنا وكذا قال عبد الرحمن بن زيد ابن أسلم بنحو من هذا . قال ابن جرير والصواب من القول في ذلك عندنا

معناه : عندهم اسمع لاسمعت وقيل : هي من الرعونة كانوا اذا أرادوا أن يحمقوا انسانا قالوا : راعناه بمعنى يا أحمق فلما سمع اليهود هذه اللفظة من المسلمين قالوا فيما بينهم : كنا نسب محمدا سرا فأعلنوا به الآن، فكانوا يأتونه ويقولون : راعنا يا محمد ويضحكون فيما بينهم فسمعها سعد بن معاذ ففطن لها وكان يعرف لغتهم فقال لليهود : لئن سمعتها من أحد منكم يقولها لرسول الله صلى الله عليه وسلم لاضربن عنقه، فقالوا : أولستم تقولونها ؟ فأنزل الله تعالى (لا تقولوا راعنا) لكيلا يجد اليهود بذلك سبيلا الى شتم رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ وقولوا انظرنا ﴾ أي انظر الينا وقيل : انتظرنا وتأن بنا يقال نظرت فلانا وانتظرته ، ومنه قوله تعالى (انظرونا نقتبس من نوركم) قال مجاهد : معناه فهمنا ﴿ واسمعوا ﴾ ما تؤمرون به وأطيعوا ﴿ وللكافرين ﴾ يعني اليهود ﴿ عذاب أليم ﴾ « قوله تعالى ﴿ ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ﴾ وذلك ان المسلمين كانوا اذا قالوا لحلفائهم من اليهود : آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم قالوا : ما هذا الذي تدعوننا اليه بخير مما نحن عليه ولوددنا لو كان خيرا فأنزل الله تكذيبا لهم « ما يود الذين » أي ما يحب وما يتمنى الذين كفروا من أهل الكتاب يعني اليهود ﴿ ولا المشركين ﴾ جره بالنسق على من ﴿ أن ينزل عليكم من خير من ربكم ﴾ أي خير ونبوة ومن صلة ﴿ والله يختص برحمته ﴾ بنبوته ﴿ من يشاء والله ذو الفضل العظيم ﴾ والفضل ابتداء إحسان بلا علة وقيل: المراد بالرحمة الاسلام والهداية وقيل : معنى الآية ان الله تعالى بعث الانبياء من ولد اسحق فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم من ولد اسماعيل لم يقع ذلك بود اليهود ومحبتهم

ان الله نهى المؤمنين أن يقولوا لنبيه صلى الله عليه وسلم راعنا ،لانها كلمة كرهها الله تعالى أن يقولوها لنبيه صلى الله عليه وسلم نظير الذي ذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : « لا تقولوا للعنب الكرم ولكن قولوا الحبلة ولا تقولوا عبدي ولكن قولوا فاي» وما أشبه ذلك. وقوله تعالى (ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين ان ينزل عليكم من خير من ربكم) يبين بذلك تعالى شدة عداوة الكافرين من أهل الكتاب والمشركين الذين حذر الله تعالى من مشابهتهم المؤمنين ليقطع المودة بينهم وبينهم ، ونبه تعالى على ما أنعم به على المؤمنين من الشرع التام الكامل الذي شرعه لنبيهم محمد صلى الله عليه وسلم حيث يقول تعالى (والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم)

---

(١٠٥) ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ألم تعلم ان الله على كل شيء قدير

(١٠٦) ألم تعلم ان الله له ملك السموات والارض وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير *

قال ابن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما (ما ننسخ من آية) ما نبدل من آية . وقال ابن جريج عن مجاهد (ما ننسخ من آية) أي ما نمحو من آية ، وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد (ما ننسخ من آية) قال نثبت خطها ونبدل حكمها حدث به عن أصحاب عبد الله بن مسعود رضي الله عنهم . وقال ابن أبي حاتم : وروي عن أبي العالية ومحمد بن كعب القرظي نحو ذلك . وقال الضحاك (ما ننسخ من آية) ما ننسك . وقال عطاء أما (ما ننسخ) فما نترك من القرآن . وقال ابن أبي حاتم يعني ترك فلم ينزل على محمد صلى الله عليه وسلم . وقال السدي (ما ننسخ من آية) نسخها قبضها . وقال ابن أبي حاتم : يعني قبضها رفعها مثل قوله « الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة » وقوله « لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى لهما ثالثا » وقال ابن جرير (ما ننسخ من آية) ما ننقل من حكم آية الى غيره فنبدله ونغيره وذلك ان يحول الحلال حراما والحرام حلالا والمباح محظورا والمحظور مباحا ولا يكون ذلك إلا في الامر والنهي والحظر والاطلاق والمنع والاباحة . فاما الاخبار فلايكون فيها ناسخ ولامنسوخ ، وأصل النسخ من نسخ الكتاب وهو نقله من نسخة أخرى الى غيرها فكذلك معنى نسخ الحكم الى غيره انما هو تحويله ونقل عبارة الى غيرها وسواء نسخ حكمها أو خطها اذ هي في كلتا حالتيها منسوخة . وأما علماء الاصول فاختلفت عباراتهم في حد النسخ

وأما المشركون فانما لم يقع بودهم لانه جاء بتفضيحهم وعيب آلهتهم فنزلت الآية فيه قوله عز وجل ﴿ ما ننسخ من آية أو ننسها ﴾ وذلك ان المشركين قالوا : ان محمدا يأمر أصحابه بأمر ثم ينهاهم عنه ويأمرهم بخلاف ما يقوله الا من تلقاء نفسه يقول اليوم قولا ويرجع عنه غدا كما أخبر الله واذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا : انما أنت مفتر وأنزل (ما ننسخ من آية أو ننسها) فبين وجه الحكمة في النسخ بهذه الآية ، والنسخ في اللغة شيئان (أحدهما) بمعنى التحويل والنقل ومنه نسخ الكتاب وهو أن يحوّل من كتاب الى كتاب فعلى هذا الوجه كل القرآن منسوخ لانه نسخ

والامر في ذلك قريب ، لان معنى النسخ الشرعي معلوم عند العلماء ولحظ بعضهم انه رفع الحكم بدليل شرعي متأخر. فاندرج في ذلك نسخ الاخف بالاثقل وعكسه والنسخ لا الى بدله(١) وأما تفاصيل أحكام النسخ وذكر أنواعه وشروطه فمبسوطة في أصول الفقه . وقال الطبراني . أخبرنا أبو شبل عبيدالله بن عبد الرحمن بن واقد أخبرنا أبي أخبرنا العباس بن الفضل عن سليمان بن أرقم عن الزهري عن سالم عن أبيه قال : قرأ رجلان سورة أقرأهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانا يقرآن بها فقاما ذات ليلة يصليان فلم يقدرا منها على حرف فأصبحا غادبين على رسول الله صلى الله عليه وسلم : فذكرا ذلك له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنها مما نسخ وأنسى فالهوا عنها فكان الزهري يقرؤها (ما ننسخ من آية أو ننسها) بضم النون الخفيفة. سليمان بن الارقم ضعيف . وقد روى أبو بكر بن الانباري عن أبيه عن نصر بن داود عن أبي عبيد الله عن عبد الله بن صالح عن الليث عن يونس وعقيل عن ابن شهاب عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف مثله مرفوعا ذكره القرطبي وقوله تعالى (أو ننسها) فقرىء على وجهين ننسأها وننسها ، فأما من قرأها بفتح النون والهمزة بعد السين فمعناه نؤخرها . قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (ما ننسخ من آية أو ننساها) يقول ما نبدل من آية أو نتركها لا نبدلها . وقال مجاهد عن أصحاب ابن مسعود أو ننسأها نثبت خطها ونبدل حكمها . وقال عبد بن عمير ومجاهد وعطاء أو ننسأها نؤخرها ونرجئها . وقال عطية العوفي أو ننسأها نؤخرها فلا ننسخها . وقال السدي مثله أيضا وكذا الربيع بن أنس ، وقال الضحاك (ما ننسخ من آية أو ننسأها) يعني الناسخ من المنسوخ . وقال أبو العالية (ما ننسخ من آية أو ننسأها) نؤخرها عندنا : وقال ابن أبي حاتم : أخبرنا عبيد الله بن اسمعيل البغدادي أخبرنا خلف أخبرنا الخفاف عن اسماعيل يعني بن أسلم عن حبيب بن أبي ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال خطبنا عمر رضي الله عنه فقال يقول الله عز وجل (ما ننسخ من آية أو ننسأها) أي نؤخرها، وأما على قراءة (أو ننسها) فقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة في قوله (ما ننسخ من آية أو ننسها) قال كان الله عز وجل ينسى نبيه صلى الله عليه وسلم ما يشاء وينسخ ما يشاء

وقال ابن جرير : اخبرنا سواد بن عبد الله أخبرنا خالد بن الحارث اخبرنا عوف عن الحسن انه قال في قوله (أو ننسها) قال : ان نبيكم صلى الله عليه وسلم قرأ قرآنا ثم نسيه ، وقال ابن ابي حاتم

(١) الاظهر ان يقال لا الى بدل .

من اللوح المحفوظ (والثاني) يكون بمعنى الرفع يقال نسخت الشمس الظل أي ذهبت به وأبطله فعلى هذا يكون بعض القرآن ناسخا وبعضه منسوخا وهو المراد من الآية وهذا على وجوه (أحدها) أن يثبت الخط وينسخ الحكم مثل آية الوصية للاقارب وآية عدة الوفاة بالحول وآية التخفيف في القتال وآية الممتحنة ونحوها . وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى (ما ننسخ من آية) ما نثبت خطها ونبدل حكمها ، ومنها أن يرفع تلاوتها ويبقى حكمها مثل آية الرجم : ومنها أن يرفع أصلا عن المصحف وعن القلوب كما روي عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف : أن قوما من الصحابة رضي الله

اخبرنا ابي اخبرنا ابن نفيل اخبرنا محمد بن الزبير الحراني عن الحجاج يعني الجزري عن عكرمة عن ابن عباس قال : كان مما ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم الوحي بالليل وينساه بالنهار فأنزل الله عز وجل (ماننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها) قال ابن ابي حاتم : قال لي أبو جعفر بن نفيل ليس هو الحجاج بن ارطاة هو شيخ لنا جزري وقال عبيد بن عمير (أو ننسها) نرفعها من عندكم وقال ابن جرير حدثني يعقوب بن ابراهيم اخبرنا هشيم عن يعلى بن عطاء عن القاسم بن ربيعة قال سمعت سعد بن ابي وقاص يقرأ (ما ننسخ من آية أو ننسها) قال : قلت له فان سعيد بن المسيب يقرأ (أو ننساها) قال : فقال سعد ان القرآن لم ينزل على المسيب ولا على آل المسيب قال : قال الله جل ثناؤه (سنقرئك فلا تنسى * واذكر ربك اذا نسيت) وكذا رواه عبد الرزاق عن هشيم وأخرجه الحاكم في مستدركه من حديث ابي حاتم الرازي عن آدم عن شعبة عن يعلى بن عطاء به وقال على شرط الشيخين ولم يخرجاه . قال ابن ابي حاتم وروي عن محمد بن كعب وقتادة وعكرمة نحو قول سعيد .
وقال الامام احمد اخبرنا يحيى اخبرنا سفيان الثوري عن حبيب بن ابي ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : قال عمر عليّ أقضانا وأبيّ أقرأنا وانا لندع من قول أبي وذلك ان أبيا يقول : ما أدع شيئا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم والله يقول (ماننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها) قال البخاري اخبرنا يحيى اخبرنا سفيان عن حبيب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قال عمر: أقرؤنا أبيّ وأقضانا عليّ وانا لندع من قول أبي وذلك ان أبيا يقول : لا أدع شيئا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قال الله (ما ننسخ من آية أو ننسها). وقوله (نأت بخير منها أو مثلها) أي في الحكم بالنسبة الى مصلحة المكلفين كما قال علي بن ابي طلحة عن ابن عباس (نأت بخير منها) يقول خير لكم في المنفعة وأرفق بكم . وقال أبو العالية (ماننسخ من آية) فلا نعمل بها (أو ننساها) أي نرجئها عندنا نأت بها أو نظيرها. وقال السدي (نأت بخير منها أو مثلها) يقول نأت بخير من الذي نسخناه أو مثل الذي تركناه . وقال قتادة (نأت بخير منها أو مثلها) يقول آية فيها تخفيف فيها رخصة فيها أمر فيها نهي . وقوله (ألم تعلم أن الله على كل قدير * ألم تعلم أن الله له ملك السموات والارض وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير) يرشد عباده تعالى بهذا الى أنه المتصرف في خلقه بما يشاء فله الخلق والامر وهو المتصرف فكما خلقهم كما يشاء ويسعد من يشاء

عنهم قاموا ليلة ليقرؤا سورة فلم يذكروا منها الا بسم الله الرحمن الرحيم فغدوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبروه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تلك سورة رفعت بتلاوتها وأحكامها » وقيل : كانت سورة الاحزاب مثل سورة البقرة فرفع أكثرها تلاوة وحكما ، ثم من نسخ الحكم ما يرفع ويقام غيره مقامه كما ان القبلة نسخت من بيت المقدس الى الكعبة ، والوصية للاقارب نسخت بالميراث ، وعدة الوفاة نسخت من الحول الى أربعة أشهر وعشر ، ومصابرة الواحد العشر في القتال نسخت بمصابرة الاثنين ، ومنها ما يرفع ولا يقام غيره مقامه كامتحان النساء ، والنسخ انما يعترض

ويشقي من يشاء ويصح من يشاء ويمرض من يشاء ويوفق من يشاء ويخذل من يشاء ، كذلك يحكم في عباده بما يشاء فيحل ما يشاء ويحرم ما يشاء ويبيح ما يشاء ويحظر ما يشاء وهو الذي يحكم ما يريد لا معقب لحكمه، ولا يسئل عما يفعل وهم يسئلون ، ويختبر عباده وطاعتهم لرسله بالنسخ فيأمر بالشيء لما فيه من المصلحة التي يعلمها تعالى ثم ينهى عنه لما يعلمه تعالى، فالطاعة كل الطاعة في امتثال أمره واتباع رسله في تصديق ما أخبروا، وامتثال ما أمروا، وترك ما عنه زجروا وفي هذا المقام رد عظيم وبيان بليغ لكفر اليهود وتزييف شبهتهم لعنهم الله في دعوى استحالة النسخ إما عقلا كما زعمه بعضهم جهلا وكفرا وأما نقلا كما تخرصه آخرون منهم افتراء وافكا . قال الامام أبو جعفر ابن جرير رحمه الله : فتأويل الآية ألم تعلم يا محمد أن لي ملك السموات والارض وسلطانهما دون غيري أحكم فيهما وفيما فيهما بما أشاء وآمر فيهما وفيما فيهما بما أشاء وأنهي عما أشاء وأنسخ وأبدل وأغير من أحكامي التي أحكم بها في عبادي بما أشاء إذ أشاء ثم قال وهذا الخبر وان كان خطابا من الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم على وجه الخبر عن عظمته فانه منه جل ثناؤه تكذيب لليهود الذين أنكروا نسخ أحكام التوراة وجحدوا نبوة عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام لمجيئهما بما جاءا به من عند الله بتغيير ما غير الله من حكم التوراة فأخبرهم الله أن له ملك السموات والارض وسلطانهما وان الخلق أهل مملكته وطاعته وعليهم السمع والطاعة لامره ونهيه وان له أمرهم بما يشاء ونهيهم عما يشاء ونسخ ما يشاء وإقرار ما يشاء وانشاء ما يشاء من إقراره وأمره ونهيه (قلت) الذي يحمل اليهود على البحث في مسئلة النسخ انما هو الكفر والعناد فانه ليس في العقل ما يدل على امتناع النسخ في أحكام الله تعالى لانه يحكم ما يشاء كما انه يفعل ما يريد مع انه قد وقع ذلك في كتبه المتقدمة وشرائعه الماضية كما أحل لآدم تزويج بناته من بنيه ثم حرم ذلك وكما أباح لنوح بعد خروجه من السفينة أكل جميع الحيوانات ثم نسخ حل بعضها ، وكان نكاح الاختين مباحا لاسرائيل وبنيه وقد حرم ذلك في شريعة التوراة وما بعدها وأمر ابراهيم عليه السلام بذبح ولده ثم نسخه قبل الفعل وأمر جمهور بني اسرائيل بقتل من عبد العجل منهم ثم رفع عنهم القتل كيلا يستأصلهم القتل ، وأشياء كثيرة يطول ذكرها وهم يعترفون بذلك ويصدفون عنه، وما يجاب به عن هذه الادلة بأجوبة لفظية فلا يصرف الدلالة في المعنى إذ هو المقصود . وكما في كتبهم مشهورا من البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم والامر

على الاوامر والنواهي دون الاخبار . أما معنى الآية فقوله (ما ننسخ من آية) قراءة العامة بفتح النون والسين من النسخ أي نرفعها ، وقرأ ابن عاصم بضم النون وكسر السين من الانساخ وله وجهان (أحدهما) نجعله في المنسوخ (والثاني) أن نجعله في المنسوخ نسخة لك يقال نسخت الكتاب أى كتبته وأنسخته غيري اذا جعلته نسخة له (أو ننسها) أي ننسها عن قلبك . وقال ابن عباس رضي الله عنهما : نتركها لا ننسخها قال الله تعالى (نسوا الله فنسيهم) أي تركوه فتركهم وقيل (ننسها) نأمر بتركها يقال أنسيت الشيء اذا أمرت بتركه فيكون النسخ الاول من رفع الحكم واقامة غيره

باتباعه، فانه يفيد وجوب متابعته عليه الصلاة والسلام وانه لا يقبل عمل إلا على شريعته، وسواء قيل ان الشرائع المتقدمة مغياة الى بعثته عليه السلام فلا يسمي ذلك نسخا لقوله (ثم أتموا الصيام الى الليل) وقيل انها مطلقة وان شريعة محمد صلى الله عليه وسلم نسختها ■ فعلى كل تقدير فوجوب متابعته متعين لانه جاء بكتاب هو آخر الكتب عهدا بالله تبارك وتعالى ■ ففي هذا المقام بين تعالى جواز النسخ ردا على اليهود عليهم لعنة الله حيث قال تعالى (ألم تعلم ان الله على كل شيء قدير ? ألم تعلم أن الله له ملك السموات والارض) الآية فكما ان الملك بلا منازع فكذلك له الحكم بما يشاء ألا له الخلق والامر) وقرىء(١) في سورة آل عمران التي نزل صدرها خطابا مع أهل الكتاب وقوع النسخ في قوله تعالى (كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل إلا ما حرم اسرائيل على نفسه) الآية كما سيأتي تفسيره والمسلمون كلهم متفقون على جواز النسخ في أحكام الله تعالى لما له في ذلك من الحكمة البالغة وكلهم قال بوقوعه . وقال أبو مسلم الاصبهاني المفسر : لم يقع شيء من ذلك في القرآن. وقوله ضعيف مردود مرذول. وقد تعسف في الاجوبة عما وقع من النسخ، فمن ذلك قضية العدة بأربعة أشهر وعشر بعد الحول لم يجب عن ذلك بكلام مقبول، وقضية تحويل القبلة الى الكعبة عن بيت المقدس لم يجب بشيء ، ومن ذلك نسخ مصابرة المسلم لعشرة من الكفرة الى مصابرة الاثنين ■ ومن ذلك نسخ وجوب الصدقة قبل مناجاة الرسول صلى الله عليه وسلم وغير ذلك والله أعلم (٢)

(١٠٧) أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل)

نهى الله تعالى المؤمنين في هذه الآية الكريمة عن كثرة سؤال النبي صلى الله عليه وسلم عن

(١) كذا في الاصل ولعله : وقرر

(٢) أبو مسلم لا ينكر الا نسخ شيء من القرآن فالصلاة الى بيت المقدس لم تثبت بالقرآن ومسألتا المصابرة والصدقة قبل المناجاة ليستا من النسخ عنده بل هما من قبيل الجمع بين العزيمة والرخصة في سياق واحد ؛

مقامه والانساء يكون ناسخا من غير اقامة غيره مقامه . وقرأ ابن كثير وأبو عمرو أو ننسأها بفتح النون الاول والسين مهموزا أي نؤخرها فلا نبدلها يقال : نسأ الله في أجله وأنسأ الله أجله في معناه قولان (أحدهما) نرفع تلاوتها ونؤخر حكمها كما فعل في آية الرجم فعلى هذا يكون النسخ الاول بمعنى رفع التلاوة والحكم (والقول الثاني) قال سعيد بن المسيب وعطاء : أما ما نسخ من آية فهو ما قد نزل من القرآن جعلاه من النسخة أو ننسأها أي نؤخرها ونتركها في اللوح المحفوظ فلا ننزل

﴿ نأت بخير منها ﴾ أي بما هو أنفع لكم وأسهل عليكم وأكثر لاجركم لا ان آية خير من آية لان كلام الله واحد وكله خير ﴿ أو مثلها ﴾ في المنفعة والثواب فكل ما نسخ الى الايسر فهو أسهل في العمل وما نسخ الى الاشق فهو في الثواب أكثر ﴿ ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير ﴾ ? من النسخ والتبديل لفظه استفهام ومعناه تقرير أي أنك تعلم ﴿ ألم تعلم أن الله له ملك السموات والارض وما لكم ﴾ يامعشر الكفار عند نزول العذاب ﴿ من دون الله ﴾ مما سوى الله ﴿ من ولي ﴾ قريب وصديق وقيل : وال وهو القيم بالامور ﴿ ولا نصير ﴾ ناصر يمنعكم من العذاب ■ قوله ﴿ أم تريدون

الاشياء قبل كونها كما قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم) أي وان تسألوا عن تفصيلها بعد نزولها تبين لكم ولا تسألوا عن الشيء قبل كونه فلعله ان يحرم من أجل تلك المسئلة . ولهذا جاء في الصحيح « ان أعظم المسلمين جرما من سأل عن شيء لم يحرم فحرم من أجل مسئلته » ولما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل يجد مع امرأته رجلا فان تكلم تكلم بأمر عظيم وان سكت سكت على مثل ذلك فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم المسائل وعابها ، ثم أنزل الله حكم الملاعنة . ولهذا ثبت في الصحيحين من حديث المغيرة بن شعبة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : كان ينهى عن قيل وقال، وإضاعة المال، وكثرة السؤال . وفي صحيح مسلم « ذروني ما تركتكم فانما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فاذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم ، وان نهيتكم عن شيء فاجتنبوه » وهذا انما قاله بعد ما أخبرهم ان الله كتب عليهم الحج ، فقال رجل أكل عام يارسول الله؟ فسكت عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا . ثم قال عليه السلام « لا ولو قلت نعم لوجبت ولو وجبت لما استطعتم » ثم قال « ذروني ما تركتكم » الحديث. ولهذا قال أنس بن مالك : نهينا ان نسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شيء فكان يعجبنا ان يأتي الرجل من أهل البادية فيسأله ونحن نسمع . وقال الحافظ أبو يعلي الموصلي في مسنده أخبرنا أبو كريب أخبرنا اسحق بن سليمان عن أبي سنان عن أبي اسحق عن البراء بن عازب قال : ان كان ليأتي عليّ السنة أريد ان أسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الشيء فأتهيب منه وان كنا لنتمنى الاعراب . وقال البزار : أخبرنا محمد بن المثنى أخبرنا ابن فضيل عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : ما رأيت قوما خيرا من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ما سألوه إلا عن اثنتي عشرة مسئلة كلها في القرآن (يسألونك عن الخمر والميسر - و - يسألونك عن الشهر الحرام - ويسألونك عن اليتامى يعني هذا وأشباهه .

وقوله تعالى (أم تريدون ان تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل) أي بل تريدون أو هي على بابها في الاستفهام وهو انكاري وهو يعم المؤمنين والكافرين فانه عليه السلام رسول الله الى الجميع كما قال تعالى (يسألك أهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة، فأخذتهم الصاعقة بظلمهم) قال محمد بن اسحق حدثني محمد بن أبي محمد

أن تسألوا رسولكم ﴾ نزلت في اليهود حين قالوا : يا محمد ائتنا بكتاب من السماء جملة كما أتى موسى بالتوراة فقال تعالى (أم تريدون) يعني أتريدون فالميم صلة وقيل : بل تريدون أن تسألوا رسولكم محمداً صلى الله عليه وسلم ﴿ كما سئل موسى من قبل ﴾ سأله قومه : أرنا الله جهرة وقيل : انهم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : لن نؤمن لك حتى تأتي بالله والملائكة قبيلا كما ان موسى سأله قومه فقالوا : أرنا الله جهرة ففيه منعهم عن السؤالات المقترحة بعد ظهور الدلائل والبراهين ﴿ ومن يتبدل الكفر بالايمان ﴾ يستبدل الكفر بالايمان ﴿ فقد ضل سواء السبيل ﴾ أخطأ وسط الطريق

عن عكرمة أو سعيد عن ابن عباس قال قال رافع بن حريملة ووهب بن زيد يا محمد ائتنا بكتاب تنزله علينا من السماء نقرؤه وفجر لنا أنهارا نتبعك ونصدقك. فأنزل الله من قولهم (أم تريدون ان تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل؟ ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل)

وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية في قوله تعالى (أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل) قال : قال رجل يا رسول الله لو كانت كفارتنا ككفارات بني اسرائيل فقال النبي صلى الله عليه وسلم « اللهم لا نبغيها - ثلاثا - ما أعطاكم الله خير مما أعطى بني اسرائيل كانت بنو اسرائيل اذا أصاب أحدهم الخطيئة وجدها مكتوبة على بابه وكفارتها فان كفرها كانت له خزيا في الدنيا وان لم يكفرها كانت له خزيا في الآخرة « فما أعطاكم الله خير مما أعطى بني اسرائيل » قال (ومن يعمل سوأ أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما) وقال « الصلوات الخمس من الجمعة الى الجمعة كفارة لما بينهن » وقال « من هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب عليه وان عملها كتبت سيئة واحدة، ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة واحدة وان عملها كتبت له عشر أمثالها ولا يهلك على الله الا هالك » فانزل الله (أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل) وقال مجاهد (أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل) أن يريهم الله جهرة ؟ قال : سألت قريش محمدا صلى الله عليه وسلم أن يجعل لهم الصفا ذهبا قال « نعم وهو لكم كالمائدة لبني اسرائيل » فأبوا ورجعوا . وعن السدي وقتادة نحو هذا والله أعلم والمراد أن الله ذم من سأل الرسول صلى الله عليه وسلم عن شيء على وجه التعنت والاقتراح كما سألت بنو اسرائيل موسى عليه السلام تعنتا وتكذيبا وعنادا . قال الله تعالى (ومن يتبدل الكفر بالايمان) أي من يشتر الكفر بالايمان (فقد ضل سواء السبيل) أي فقد خرج عن الطريق المستقيم الى الجهل والضلال. وهكذا حال الذين عدلوا عن تصديق الانبياء واتباعهم والانقياد لهم الى مخالفتهم وتكذيبهم والاقتراح عليهم بالأسئلة التي لا يحتاجون اليها على وجه التعنت والكفر كما قال تعالى (ألم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار* جهنم يصلونها وبئس القرار) وقال أبو العالية يتبدل الشدة بالرخاء .

---

(١٠٨) ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره ان الله على

وقيل : قصد السبيل قوله تعالى ﴿ ودّ كثير من أهل الكتاب ﴾ الآية نزلت في نفر من اليهود قالوا لحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر بعد وقعة أحد : لو كنتم على الحق ماهزمتم فارجعا الى ديننا فنحن أهدى سبيلا منكم فقال له عمار : كيف نقض العهد فيكم ؟ قالوا : شديدا قال : فاني قد عاهدت أن لا أكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم ما عشت فقالت اليهود : أما هذا فقد صبأ وقال حذيفة : أما أنا

كل شيء قدير (١٠٩) وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله ان الله بما تعملون بصير)

يحذر تعالى عباده المؤمنين عن سلوك طريق الكفار من أهل الكتاب ويعلمهم بعداوتهم لهم في الباطن والظاهر وما هم مشتملون عليه من الحسد للمؤمنين مع علمهم بفضلهم وفضل نبيهم ويأمر عباده المؤمنين بالصفح والعفو أو الاحتمال حتى يأتي أمر الله من النصر والفتح ويأمرهم باقامة الصلاة وايتاء الزكاة ويحثهم على ذلك ويرغبهم فيه كما قال محمد بن اسحق ، حدثني محمد بن أبي محمد عن سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس قال : كان حيي بن أخطب وأبو ياسر بن أخطب من أشد يهود للعرب حسدا اذ خصهم الله برسوله صلى الله عليه وسلم وكانا جاهدين في رد الناس عن الاسلام ما استطاعا فأنزل الله فيهما (ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم) الآية . وقال عبد الرزاق عن معمر عن الزهري في قوله تعالى (ود كثير من أهل الكتاب) قال هو كعب بن الاشرف، وقال ابن أبي حاتم : أخبرنا أبي أخبرنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهري أخبرني عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك عن أبيه ان كعب بن الاشرف اليهودي كان شاعرا و كان يهجو النبي صلى الله عليه وسلم وفيه أنزل الله (ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم) الى قوله (فاعفوا واصفحوا) وقال الضحاك عن ابن عباس أن رسولا أميا يخبرهم بما في أيديهم من الكتب والرسل والآيات ثم يصدق بذلك كله مثل تصديقهم ولكنهم جحدوا ذلك كفرا وحسدا و بغيا وكذلك قال الله تعالى (كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق) يقول من بعد ما أضاء لهم الحق لم يجهلوا منه شيئا ولكن الحسد حملهم على الجحود فعيرهم ووبخهم ولامهم أشد الملامة وشرع لنبيه صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين ما هم عليه من التصديق والايمان والاقرار بما أنزل الله عليهم وما انزل من قبلهم بكرامته وثوابه الجزيل ومعونته لهم . وقال الربيع بن انس (من عند انفسهم) من قبل انفسهم وقال ابو العالية (من بعد ما تبين لهم الحق) من بعد ماتبين أن محمدا رسول الله يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل فكفروا به حسدا و بغيا اذ كان من غيرهم وكذا قال قتادة والربيع بن أنس وقوله (فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره) مثل قوله تعالى (ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من

فقد رضيت بالله ربا ، و بمحمد نبياء و بالاسلام دينا ، و بالقرآن اماما ، و بالكعبة قبلة » وبالمؤمنين اخوانا ثم أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبراه بذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قد أصبتما الخير وأفلحتما » فأنزل الله تعالى (ود كثير من أهل الكتاب) أي تمنى وأراد كثير من أهل الكتاب من اليهود ﴿ لو يردّونكم ﴾ يامعشر المؤمنين ﴿ من بعد ايمانكم كفارا » حسداً ﴾ نصب على المصدر أي يحسدونكم حسدا ﴿ من عند أنفسهم ﴾ أي من تلقاء أنفسهم ولم يأمرهم الله بذلك ﴿ من بعد ماتبين لهم الحق ﴾ في التوراة ان قول محمد صلى الله عليه وسلم صدق ودينه حق ﴿ فاعفوا ﴾

قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا) الآيه . قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله (فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره) والسدي(١)وقوله (فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره) نسخ ذلك قوله (فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم) وقوله (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر) الى قوله (وهم صاغرون) فنسخ هذا عفوه عن المشركين وكذا قال ابو العالية والربيع ابن انس وقتادة والسدي انها منسوخة بآية السيف ويرشد الى ذلك أيضا قوله تعالى (حتى يأتي الله بأمره) وقال ابن أبي حاتم أخبرنا أبي أخبرنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهري أخبرني عروة ابن الزبير أن اسامة بن زيد أخبره قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه يعفون عن المشركين وأهل الكتاب كما امرهم الله ويصبرون على الاذى . قال الله (فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره ان الله على كل شيء قدير) وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتأول من العفو ما امره الله به حتى اذن الله فيهم بالقتل فقتل الله به من قتل من صناديد قريش وهذا اسناده صحيح ولم اره في شيء من الكتب الستة ولكن له اصل في الصحيحين عن اسامة بن زيد .

(١)قوله والسدي وقوله الخ لعله زيادة من الناسخ او جامع حروف الطبع فانه ذكر بعد أن السدي قال بنسخ آية العفو بآية السيف

وقوله تعالى(وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله) يحثهم تعالى على الاشتغال بما ينفعهم وتعود عليهم عاقبته يوم القيامة من اقام الصلاة وايتاء الزكاة حتى يمكن لهم الله النصر في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد(يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار) ولهذا قال تعالى (ان الله بما تعملون بصير) يعني انه تعالى لا يغفل عن عمل عامل ولا يضيع لديه سواء كان خيرا او شرا فانه سيجازي كل عامل بعمله . وقال ابو جعفر بن جرير في قوله تعالى(ان الله بما تعملون بصير) هذا الخبر من الله للذين خاطبهم بهذه الآيات من المؤمنين انهم مهما فعلوا من خير او شر سرا وعلانية فهو به بصير لا يخفى عليه منه شيء فيجزيهم بالاحسان خيرا وبالاساءة مثلها وهذا الكلام وان كان قد خرج مخرج الخبر فان فيه وعدا ووعيدا وامرا وزجرا وذلك انه اعلم القوم انه بصير بجميع أعمالهم ليجدّوا في طاعته اذ كان ذلك مذخورا لهم عنده حتى يثيبهم عليه كما قال تعالى (وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله) وليحذروا معصيته قال واما قوله (بصير) فانه مبصر صرف الى بصير كما صرف مبدع الى بديع ومؤلم الى اليم والله أعلم . وقال ابن أبي حاتم : أخبرنا أبو زرعة أخبرنا ابن بكير حدثني ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي الخير عن عقبة بن عامر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ هذه الآية سميع بصير يقول بكل شيء بصير

فاتركوا ﴿واصفحوا﴾ وتجاوزوا فالعفو المحو والصفح الاعراض وكان هذا قبل آية القتال ﴿ حتى يأتي الله بأمره ﴾ بعذابه القتل والسبي لبني قريظة والجلاء والنفي لبني النضير . قاله ابن عباس رضي الله عنهما . وقال قتادة : هو أمره بقتالهم في قوله (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ـ الى قوله ـ وهم صاغرون) وقال ابن كيسان : بعلمه وحكمه فيهم حكم لبعضهم بالاسلام ولبعضهم بالقتل والسبي والجزية ﴿ إن الله على كل شيء قدير * وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وما

(١١٠) وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هوداً أو نصارى تلك أمانيهم قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين (١١١) بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون (١١٢) وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون*

يبين تعالى اغترار اليهود والنصارى بما هم فيه حيث ادعت كل طائفة من اليهود والنصارى انه لن يدخل الجنة الا من كان على ملتها كما أخبر الله عنهم في سورة المائدة انهم قالوا(نحن أبناء الله وأحباؤه) فأكذبهم الله تعالى بما أخبرهم انه معذبهم بذنوبهم ولو كانوا كما ادعوا لما كان الامر كذلك وكما تقدم من دعواهم انه لن تمسهم النار الا أياما معدودة ثم ينتقلون الى الجنة ورد عليهم تعالى في ذلك وهكذا قال لهم في هذه الدعوى التي ادعوها بلا دليل ولا حجة ولا بينة فقال(تلك أمانيهم)وقال أبو العالية أمانيّ تمنوها على الله بغير حق وكذا قال قتادة والربيع بن أنس ثم قال تعالى (قل) أى يامحمد (هاتوا برهانكم) قال أبو العالية ومجاهد والسدي والربيع بن أنس حجتكم وقال قتادة بينتكم على ذلك (ان كنتم صادقين) أى فيما تدعونه ، ثم قال تعالى (بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن) أى من أخلص العمل لله وحده لاشريك له كما قال تعالى(فان حاجوك فقل أسلمت وجهي لله ومن اتبعن) الآية وقال أبو العالية والربيع (بلى من أسلم وجهه لله) يقول من أخلص لله وقال سعيد بن جبير (بلى من أسلم) أخلص (وجهه) قال دينه (وهو محسن) أى اتبع فيه الرسول صلى الله عليه وسلم فان للعمل المتقبل شرطين أحدهما أن يكون خالصا لله وحده والآخر أن يكون صوابا موافقا للشريعة فمتى كان خالصا ولم يكن صوابا لم يتقبل ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد » رواه مسلم من حديث عائشة عنه عليه الصلاة والسلام فعمل الرهبان ومن شابههم وان فرض أنهم مخلصون فيه لله فانه لا يتقبل منهم حتى يكون ذلك متابعا للرسول صلى الله عليه وسلم المبعوث اليهم والى الناس كافة وفيهم وأمثالهم قال الله تعالى (وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا)

تقدموا ﴾ تسلفوا ﴿ لانفسكم من خير ﴾ طاعة وعمل صالح ﴿ تجدوه عند الله ﴾ وقيل : أراد بالخير المال كقوله تعالى (إن ترك خيرا) وأراد من زكاة أو صدقة (تجدوه عند الله) التمرة واللقمة من أحد ﴿ إن الله بما تعملون بصير ﴾ قوله ﴿ وقالوا ان يدخل الجنة الا من كان هودا ﴾ أي يهوديا قال الفرّاء : حذف الياء الزائدة ورجع الى الفعل من اليهودية . وقال الاخفش: الهود جمع هائد مثل عائد وعود وحائل وحول ﴿ أو نصارى ﴾ وذلك ان اليهود قالوا « لن يدخل الجنة الا من كان هودا)

وقال تعالى (والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا) وقال تعالى (وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة تصلى نارا حامية تسقى من عين آنية) وروي عن أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه انه تأولها في الرهبان كما سيأتي . وأما ان كان العمل موافقا للشريعة في الصورة الظاهرة ولكن لم يخلص عامله القصد لله فهو أيضا مردود على فاعله وهذا حال المرائين والمنافقين كما قال تعالى (ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى يراؤن الناس ولا يذكرون الله الا قليلا) وقال تعالى (فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراؤن ويمنعون الماعون) ولهذا قال تعالى (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) وقال في هذه الآية الكريمة (بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن) وقوله (فله اجره عند ربه ولا خوف عليهم ولاهم يحزنون) ضمن لهم تعالى على ذلك تحصيل الاجور، وآمنهم مما يخافونه من المحذور (فلا خوف عليهم) فيما يستقبلونه، (ولا هم يحزنون) على ما مضى مما يتركونه ، كما قال سعيد بن جبير (فلا خوف عليهم) يعني في الآخرة (ولا هم يحزنون) يعني لا يحزنون الموت .

وقوله تعالى (وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب) بين به تعالى تناقضهم وتباغضهم وتعاديهم وتعاندهم، كما قال محمد بن اسحق : حدثني محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : لما قدم أهل نجران من النصارى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أتتهم أحبار يهود فتنازعوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رافع بن حرملة : ما أنتم على شيء وكفر بعيسى وبالانجيل . وقال رجل من أهل نجران من النصارى لليهود : ما أنتم على شيء وجحد نبوة موسى وكفر بالتوراة . فأنزل الله في ذلك من قولهما (وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب) قال ان كلا يتلو في كتابه تصديق من كفر به ان يكفر اليهود بعيسى وعندهم التوراة فيها ما أخذ الله عليهم على لسان موسى بالتصديق بعيسى وفي الانجيل ما جاء به عيسى بتصديق موسى وما جاء من التوراة

ولا دين الا دين اليهودية . وقالت النصارى : لن يدخل الجنة الا من كان نصرانيا ولا دين الا دين النصرانية . وقيل : نزلت في وفد نجران وكانوا نصارى اجتمعوا في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم مع اليهود فكذب بعضهم بعضا قال الله تعالى ﴿ تلك أمانيهم ﴾ أي شهواتهم الباطلة التي تمنوها على الله بغير الحق ﴿ قل ﴾ يا محمد ﴿ هاتوا ﴾ أصله آتوا ﴿ برهانكم ﴾ حجتكم على مازعمتم ﴿ ان كنتم صادقين ﴾ ثم قال ردا عليهم ﴿ بلى من أسلم وجهه ﴾ أي ليس كما قالوا ، بل الحكم للاسلام وانما يدخل الجنة من أسلم وجهه ﴿ لله ﴾ أي أخلص دينه لله وقيل : خضع وتواضع لله، وأصل الاسلام الاستسلام والخضوع وخص الوجه لانه اذا جاد بوجهه في السجود لم يبخل بسائر جوارحه ﴿ وهو محسن ﴾ في عمله وقيل : مؤمن وقيل : مخلص ﴿ فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ قوله ﴿ وقالت النصارى ليست اليهود على شيء ﴾ نزلت في يهود المدينة ونصارى أهل نجران وذلك

من عند الله وكل يكفر بما في يد صاحبه . وقال مجاهد في تفسير هذه الآية قد كانت أوائل اليهود والنصارى على شيء . وقال قتادة (وقالت اليهود ليست النصارى على شيء) قال بلى قد كانت أوائل النصارى على شيء ولكنهم ابتدعوا وتفرقوا (وقالت النصارى ليست اليهود على شيء) قال بلى قد كانت أوائل اليهود على شيء ولكنهم ابتدعوا وتفرقوا ، وعنه رواية أخرى كقول أبي العالية والربيع بن أنس في تفسير هذه الآية (وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء) هؤلاء أهل الكتاب الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا القول يقتضي ان كلا من الطائفتين صدقت فيما رمت به الطائفة الاخرى ولكن ظاهر سياق الآية يقتضي ذمهم فيما قالوه مع علمهم بخلاف ذلك ولهذا قال تعالى (وهم يتلون الكتاب) أي وهم يعلمون شريعة التوراة والانجيل كل منهما قد كانت مشروعة في وقت ولكنهم تجاحدوا فيما بينهم عنادا وكفرا ومقابلة للفاسد بالفاسد كما تقدم عن ابن عباس ومجاهد وقتادة في الرواية الاولى عنه في تفسيرها والله أعلم . وقوله (كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم) بين بهذا جهل اليهود والنصارى فيما تقابلوه به من القول وهذا من باب الايماء والاشارة . وقد اختلف فيمن عني بقوله تعالى (الذين لا يعلمون) فقال الربيع بن أنس وقتادة (كذلك قال الذين لا يعلمون) قالا : قالت النصارى مثل قول اليهود وقيلهم . وقال ابن جريج : قلت لعطاء من هؤلاء الذين لا يعلمون ؟ قال أمم كانت قبل اليهود والنصارى وقبل التوراة والانجيل . وقال السدي كذلك (قال الذين لا يعلمون) فهم العرب قالوا ليس محمد على شيء ، واختار أبو جعفر بن جرير انها عامة تصلح للجميع وليس ثم دليل قاطع يعين واحدا من هذه الاقوال والحمل على الجميع أولى والله أعلم . وقوله تعالى (فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) أي انه تعالى يجمع بينهم يوم المعاد ويفصل بينهم بقضائه العدل الذي لا يجور فيه ولا يظلم مثقال ذرة، وهذه الآية كقوله تعالى في سورة الحج (ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا ان الله يفصل بينهم يوم القيامة ان الله على كل شيء شهيد) وكما قال تعالى (قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق وهو الفتاح العليم)

ان وفد نجران لما قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم أتاهم أحبار اليهود فتناظروا حتى ارتفعت أصواتهم فقالت لهم اليهود : ما أنتم على شيء من الدين وكفروا بعيسى والانجيل ، وقالت لهم النصارى : ما أنتم على شيء من الدين وكفروا بموسى والتوراة فأنزل الله تعالى ﴿ وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب ﴾ وكلا الفريقين يقرؤن الكتاب قيل : معناه ليس في كتبهم هذا الاختلاف فدل تلاوتهم الكتاب ومخالفتهم ما فيه على كونهم على الباطل ﴿ كذلك قال الذين لا يعلمون ﴾ يعني آباءهم الذين مضوا ﴿ مثل قولهم ﴾ قال مجاهد : يعني عوام النصارى . وقال مقاتل : يعني مشركي العرب كذلك قالوا في نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه انهم ليسوا على شيء من الدين . وقال عطاء : أمم كانت قبل اليهود والنصارى مثل قوم نوح وهود وصالح ولوط

(١١٣) ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها أولئك ما كان لهم أن يدخلوها الا خائفين (١١٤) لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم *

اختلف المفسرون في المراد من الذين منعوا مساجد الله وسعوا في خرابها على قولين: أحدهما ما رواه العوفي في تفسيره عن ابن عباس في قوله (ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه) قال هم النصارى. وقال مجاهد هم النصارى كانوا يطرحون في بيت المقدس الاذى ويمنعون الناس أن يصلوا فيه. وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن قتادة في قوله (وسعى في خرابها) قال هو بختنصر وأصحابه خرب بيت المقدس وأعانه على ذلك النصارى. وقال سعيد عن قتادة: قال أولئك أعداء الله النصارى حملهم بغض اليهود على ان أعانوا بختنصر البابلي المجوسي على تخريب بيت المقدس. وقال السدي: كانوا ظاهروا بختنصر على خراب بيت المقدس حتى خربه وأمر ان تطرح فيه الجيف وانما أعانه الروم على خرابه من أجل ان بني اسرائيل قتلوا يحيى بن زكريا. وروي نحوه عن الحسن البصري (القول الثاني) ما رواه ابن جرير: حدثني يونس بن عبد الاعلى حدثنا ابن وهب قال: قال ابن زيد في قوله (ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها) قال هؤلاء المشركون الذين حالوا بين رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية وبين أن يدخلوا مكة حتى نحر هديه بذي طوى وهادنهم وقال لهم «ما كان أحد يصد عن هذا البيت» وقد كان الرجل يلقي قاتل أبيه وأخيه فلا يصده» فقالوا لا يدخل علينا من قتل آباءنا يوم بدر وفينا باق. وفي قوله (وسعى في خرابها) قال اذ قطعوا من يعمرها بذكره ويأتيها للحج والعمرة. وقال ابن أبي حاتم ذكر عن سلمة قال قال محمد ابن اسحق: حدثني محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس ان قريشا منعوا النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة عند الكعبة في المسجد الحرام فانزل الله (ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه) ثم اختار ابن جرير القول الاول واحتج بان قريشا لم تسع في خراب الكعبة، وأما الروم فسعوا في تخريب بيت المقدس (قلت) والذي يظهر - والله أعلم - القول الثاني كما قاله ابن زيد. وروي عن ابن عباس لان النصارى اذا منعت اليهود الصلاة في البيت المقدس كان دينهم أقوم من دين اليهود وكانوا أقرب منهم ولم يكن ذكر الله من اليهود مقبولا إذ ذاك لانهم لعنوا من قبل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون. وأيضا فانه تعالى لما وجه الذم في حق اليهود والنصارى شرع في ذم المشركين الذين

وشعيب عليهم السلام قالوا لنبيهم: انه ليس على شيء ﴿ فالله يحكم بينهم يوم القيامة ﴾ يقضي بين المحق والمبطل ﴿ فيما كانوا فيه يختلفون ﴾ من الدين قوله ﴿ ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر ﴾ الآية نزلت في طيطوس بن اسبيسيانوس الرومي وأصحابه وذلك انهم غزوا بني اسرائيل فقتلوا مقاتلتهم وسبوا ذراريهم وحرقوا التوراة وخربوا بيت المقدس وقذفوا فيه الجيف وذبحوا فيه الخنازير

أخرجوا الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه من مكة ومنعوهم من الصلاة في المسجد الحرام، وأما اعتماده على أن قريشا لم تسع في خراب الكعبة ، فأي خراب أعظم مما فعلوا ؟ أخرجوا عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه واستحوذوا عليها بأصنامهم وأندادهم وشركهم كما قال تعالى (ومالهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام وما كانوا أولياءه ان أولياؤه إلا المتقون ولكن أكثرهم لا يعلمون) وقال تعالى (ماكان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر أولئك حبطت أعمالهم وفي النار هم خالدون انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين) وقال تعالى (هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدي معكوفا أن يبلغ محله ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم ان تطؤهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم ليدخل الله في رحمته من يشاء لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما) فقال تعالى (انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله) فاذا كان من هو كذلك مطرودا منها مصدودا عنها فاي خراب لها أعظم من ذلك ، وليس المراد بعمارتها زخرفتها واقامة صورتها فقط انما عمارتها بذكر الله فيها واقامة شرعه فيها ورفعها عن الدنس والشرك : وقوله تعالى (أولئك ماكان لهم أن يدخلوها الا خائفين) هذا خبر معناه الطلب أي لا تمكنوا هؤلاء اذا قدرتم عليهم من دخولها الا تحت الهدنة والجزية ولهذا لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة أمر من العام القابل في سنة تسع أن ينادي برحاب منى «ألا لا يحجن بعد العام مشرك ولا يطوفن بالبيت عريان ومن كان له أجل فاجله الى مدته» وهذا اذا كان تصديقا وعملا بقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا) وقال بعضهم ماكان ينبغي لهم أن يدخلوا مساجد الله لا خائفين على حال التهيب وارتعاد الفرائص من المؤمنين ان يبطشوا بهم فضلا ان يستولوا عليها ويمنعوا المؤمنين

فكان خرابا الى أن بناه المسلمون في أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه . وقال قتادة والسدي : هو بختنصر وأصحابه غزوا اليهود وخربوا بيت المقدس وأعانهم على ذلك النصارى ططوس الرومي وأصحابه من أهل الروم . قال السدي : من اجل انهم قتلوا يحيى بن زكريا . وقال قتادة : حملهم بغض اليهود على معاونة بختنصر البابلي المجوسي فأنزل الله تعالى (ومن اظلم) اي اكفر (ممن منع مساجد الله) يعني بيت المقدس ومحاريبه ﴿ان يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين﴾ وذلك ان بيت المقدس موضع حج النصارى ومحل زيارتهم . وقال ابن عباس رضي الله عنهما : لم يدخلها يعني بيت المقدس بعد عمارتها رومي الا خائفا لو علم به قتل . وقال قتادة ومقاتل : لا يدخل بيت المقدس احد من النصارى الا مستنكرا لو قدر عليه لعوقب . قال سيدى اخيفوا بالجزية . وقيل : هذا خبر بمعنى الامر اي اجهضوهم بالجهاد حتى لا يدخلها احد منهم الا خائفا من القتل والسبي اي ماينبغي لهم ﴿لهم في الدنيا خزي﴾ عذاب وهوان قال قتادة : هو

منها. والمعنى ما كان الحق والواجب الا ذلك لولا ظلم الكفرة وغيرهم وقيل ان هـذا بشارة من الله للمسلمين انه سيظهرهم على المسجد الحرام وعلى سائر المساجد وانه يذل المشركين لهم حتي لايدخل المسجد الحرام أحد منهم الا خائفا يخاف أن يؤخذ فيعاقب أو يقتل ان لم يسلم . وقد أنجز الله هذا الوعد كما تقدم من منع المشركين من دخول المسجد الحرام وأوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لايبقى بجزيرة العرب دينان وان يجلي اليهود والنصارى منها ولله الحمد والمنة وما ذاك الاتشريف أكناف المسجد الحرام وتطهير البقعة التي بعث الله فيها رسوله الى الناس كافة بشيرا ونذيرا صلوات الله وسلامه عليه وهذا هو الخزي لهم في الدنيا لان الجزاء من جنس العمل فكما صدوا المؤمنين عن المسجد الحرام صدوا عنه وكما أجلوهم من مكة أجلوا عنها (ولهم في الآخرة عذاب عظيم) على ما انتهكوا من حرمة البيت وامتهنوه من نصب الاصنام حوله ودعاء غير الله عنده والطواف به عريا وغير ذلك من أفاعيلهم التى يكرهها الله ورسوله وأما من فسر ببيت المقدس فقال كعب الاحبار ان النصارى لما ظهروا على بيت المقدس خربوه فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم أنزل عليه (ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها أولئك ما كان لهم ان يدخلوها إلا خائفين) الآية فليس في الارض نصراني يدخـل بيت المقدس الا خائفا . وقال السدي فليس في الارض رومي يدخله اليوم الا وهو خائف أن يضرب عنقه أو قد أخيف بأداء الجزية فهو يؤديها . وقال قتادة لا يدخلون المساجد الا مسارقة ، قلت وهذا لا ينفي أن يكون داخلا في معنى عموم الآية فان النصارى لما ظلموا بيت المقدس بامتهان الصخرة التي كانت تصلي اليها اليهود عوقبوا شرعا وقدرا بالذلة فيه الا في أحيان من الدهر اشحن بهم بيت المقدس . وكذلك اليهود لما عصوا الله فيه أيضا أعظم من عصيان النصارى كانت عقوبتهم أعظم والله أعلم . وفسر هؤلاء الخزي في الدنيا بخروج المهدي عند السدي وعكرمة ووائل بن داود ، وفسره قتادة باداء الجزية عن يد وهم صاغرون . والصحيح ان الخزي في الدنيا أعم من ذلك كله ، وقد ورد الحديث بالاستعانة من خزي الدنيا وعذاب الآخرة كما قال الامام أحمد أخبرنا الهيثم بن خارجة أخبرنا محمد بن أيوب بن ميسرة بن حلس سمعت أبي يحدث عن بشر بن أرطاة . قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو « اللهم أحسن

القتـل للحربي والجزية للذمي . قال مقاتل والكلبي : تفتح مدائنهم الثلاثة قسطنطينية وروميـة وعمورية ﴿ ولهم في الآخرة عذاب عظيم ﴾ وهو النار — وقال عطاء وعبد الرحمن بن زيد : نزلت في مشركي مكة وأراد بالمساجد المسجد الحرام منعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه من حجه والصلاة فيه عام الحديبية واذا منعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من أن يعمره بذكر الله فقد سعوا في خرابها (أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين) يعـني أهل مكة يقول افتحها عليكم حتي تدخلوها وتكونوا أولى بها منهم ففتحها عليهم وأمر النبي صلى الله عليه وسلم مناديا ينادي : ألا لايحجن بعد هذا العام مشرك ، فهذا خوفهم ، وثبت في الشرع أن لا يمكن مشرك من دخول الحرم (لهم في

عاقبتنا في الامور كلها وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة . وهذا حديث حسن وليس في شيء من الكتب الستة وليس لصحابيه وهو بشر بن أرطاة حديث سواه وسوى حديث لا تقطع الايدي في الغزو

(١١٥) ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله ان الله واسع عليم

وهذا والله أعلم فيه تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه الذين أخرجوا من مكة وفارقوا مسجدهم ومصلاهم وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بمكة الى بيت المقدس والكعبة بين يديه . فلما قدم المدينة وجه الى بيت المقدس ستة عشر شهرا ثم صرفه الله الى الكعبة بعد ولهذا يقول تعالى (ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله) قال أبو عبيد القاسم بن سلام في كتاب الناسخ والمنسوخ : أخبرنا حجاج بن محمد أخبرنا ابن جريج وعثمان بن عطاء عن عطاء عن ابن عباس قال : أول ما نسخ لنا من القرآن فيما ذكر لنا والله أعلم شأن القبلة . قال الله تعالى (ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله) فاستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى نحو بيت المقدس وترك البيت العتيق ثم صرفه الى بيته العتيق ونسخها . فقال ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام ، وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره . وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال : كان أول ما نسخ من القرآن القبلة . وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر الى المدينة وكان أهلها اليهود أمره الله أن يستقبل بيت المقدس ففرحت اليهود فاستقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعة عشر شهرا . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب قبلة ابراهيم وكان يدعو وينظر الى السماء فانزل الله قد نرى تقلب وجهك في السماء الى قوله (فولوا وجوهكم شطره) فارتاب من ذلك اليهود وقالوا ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها فانزل الله (قل لله المشرق والمغرب) وقال (فأينما تولوا فثم وجه الله) وقال عكرمة عن ابن عباس (فأينما تولوا فثم وجه الله) قال قبلة الله أينما توجهت شرقا أو غربا . وقال مجاهد (فأينما تولوا فثم وجه الله) حيثما كنتم فلكم قبلة تستقبلونها الكعبة . وقال ابن أبي حاتم بعد رواية الأثر المتقدم عن ابن عباس في نسخ القبلة عن عطاء عنه : وروى عن أبي العالية والحسن وعطاء الخراساني وعكرمة وقتادة والسدي وزيد بن أسلم نحو ذلك . وقال ابن جرير وقال آخرون بل أنزل الله هذه الآية قبل أن يفرض التوجه الى الكعبة وانما أنزلها ليعلم نبيه صلى الله عليه وسلم وأصحابه ان لهم التوجه بوجوههم للصلاة حيث شاؤا من نواحي المشرق والمغرب لانهم لا

الدنيا خزي) الذل والهوان والقتل والسبي والنفي * قوله عز وجل ﴿ ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما : خرج نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر قبل تحويل القبلة الى الكعبة فأصابهم الضباب وحضرت الصلاة فتحروا القبلة وصلوا فلما ذهب الضباب استبان لهم أنهم لم يصيبوا فلما قدموا سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم

يوجهون وجوههم وجها من ذلك وناحية إلا كان جل ثناؤه في ذلك الوجه وتلك الناحية لان له تعالى المشارق والمغارب وانه لا يخلو منه مكان كما قال تعالى (ولا أدنى من ذلك ولا أ كثر إلا هو معهم أينما كانوا) قالوا ثم نسخ ذلك بالفرض الذي فرض عليهم التوجه الى المسجد الحرام هكذا قال . وفي قوله وأنه تعالى لا يخلو منـه مكان ان أراد علمه تعالى فصحيح ، فان علمه تعالى محيط بجميع المعلومات ، وأما ذاته تعالى فلا تكون محصورة في شيء من خلقه تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا . قال ابن جرير وقال آخرون بل نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم إذنا من الله أن يصلي المتطوع حيث توجه من شرق أوغرب في مسيره في سفره وفي حال المسايفة وشدة الخوف . حدثنا أبو كريب أخبرنا ابن ادريس حدثنا عبد الملك هو ابن أبي سليمان عن سعيد بن جبير عن ابن عمر انه كان يصلي حيث توجهت به راحلته ، ويذكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يفعل ذلك ويتأول هذه الآية (فأينما تولوا فثم وجه الله) ورواه مسلم والترمذي والنسائي وابن أبي حاتم وابن مردويه من طرق عن عبد الملك بن أبي سليمان به وأصله في الصحيحين من حديث ابن عمر وعامر بن ربيعة من غير ذكر الاية . وفي صحيح البخاري من حديث نافع عن ابن عمر أنه كان اذا سـئل عن صلاة الخوف وصفها . ثم قال فان كان خوف أشد من ذلك صلوا رجالا قياما على أقدامهم وركبانا مستقبلي القبلة وغير مستقبليها . قال نافع :ولا أرى ابن عمر ذكر ذلك الا عن النبي صلى الله عليه وسلم

(مسئلة) ولم يفرق الشافعي في المشهور عنه بين سفر المسافة وسفر العدوى فالجميع عنه يجوز التطوع فيه على الراحلة وهو قول أبي حنيفة خلافا لمالك وجماعتـه واختار أبو يوسف وأبو سعيد الاصطخري التطوع على الدابة في المصر وحكاه أبو يوسف عن أنس بن مالك رضي الله عنه واختاره أبو جعفر الطبري حتى للماشي أيضا . قال ابن جرير وقال آخرون بل نزلت هذه الآية في قوم عميت عليهم القبلة فلم يعرفوا شطرها فصلوا على انحاء مختلفة فقال الله تعالى: لي المشارق والمغارب فأين وليتم وجوهكم فهنالك وجهي وهو قبلتكم فيعلمكم بذلك أن صلاتكم ماضيـة . حدثنا محمد بن اسحق الاهوازي أخبرنا أبو أحمد الزبيري أخبرنا أبو الربيع السمان عن عاصم بن عبد الله بن عبد الله بن عامر بن ربيعة عن أبيه قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة سوداء مظلمة فنزلنا منزلا فجعل الرجل يأخذ الاحجار فيعمل مسجدا يصلي فيه ، فلما ان أصبحنا اذا نحن قد صلينا الى غير القبلة فقلنا يارسول الله لقد صلينا ليلتنا هـذه لغير القبلة فانزل الله تعالى (ولله المشرق

عن ذلك فنزلت هذه الآية . وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : نزلت في المسافر يصلي التطوع حيث ما توجهت به راحلته . اخبرنا ابو الحسن محمـد بن محمد السرخسي انا زاهر بن احمد الفقيه السرخسي أنا ابو اسحق ابراهيم بن عبد الصمد الهاشمي انا مصعب بن مالك عن عبد الله بن دينار عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال :كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصـلي على راحلته في

والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله) الآية ثم رواه عن سفيان بن وكيع عن أبيه عن أبي الربيع السمان بنحوه . ورواه الترمذي عن محمود بن غيلان عن وكيع وابن ماجه عن يحيى بن حكيم عن أبي داود عن أبي الربيع السمان ورواه ابن أبي حاتم عن الحسن بن محمد بن الصباح عن سعيد بن سليمان عن أبي الربيع السمان واسمه اشعث بن سعيد البصري وهو ضعيف الحديث . وقال الترمذي هذا حديث حسن وليس اسناده بذاك ولا نعرفه إلا من حديث الاشعث السمان ، وأشعث يضعف في الحديث . قلت وشيخه عاصم أيضا ضعيف . قال البخاري منكر الحديث . وقال ابن معين : ضعيف لا يحتج به ، وقال ابن حبان : متروك والله أعلم .

وقد روى من طريق آخر عن جابر فقال الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسير هذه الآية أخبرنا اسمعيل بن علي بن اسمعيل أخبرنا الحسن ابن علي بن شبيب حدثني أحمد بن عبد الله بن الحسن قال : وجدت في كتاب أبي أخبرنا عبد الملك العزرمي عن عطاء عن جابر قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية كنت فيها فأصابتنا ظلمة فلم نعرف القبلة فقالت طائفة منا قد عرفنا القبلة هي ههنا قبل الشمال فصلوا وخطوا خطوطا فلما أصبحوا وطلعت الشمس أصبحت تلك الخطوط لغير القبلة فلما قفلنا من سفرنا سألنا النبي صلى الله عليه وسلم فسكت وأنزل الله تعالى (ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله) ثم رواه من حديث محمد بن عبيد الله العزرمي عن عطاء عن جابر به ، وقال الدارقطني قريء على عبد الله بن عبد العزيز وأنا أسمع حدثكم داود بن عمر وأخبرنا محمد بن يزيد الواسطي عن محمد بن سالم عن عطاء عن جابر قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسير فأصابنا غيم فتحيرنا فاختلفنا في القبلة فصلى كل رجل منا على حدة وجعل أحدنا يخط بين يديه لنعلم أمكنتنا فذكرنا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فلم يأمرنا بالاعادة وقال قد أجازت صلاتكم . ثم قال الدارقطني كذا قال عن محمد بن سالم ، وقال غيره عن محمد بن عبد الله العزرمي عن عطاء وهما ضعيفان ، ورواه ابن مردويه أيضا من حديث الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث سرية فأخذتهم ضبابة فلم يهتدوا الى القبلة فصلوا لغير القبلة ثم استبان لهم بعد ما طلعت الشمس أنهم صلوا لغير القبلة ، فلما جاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثوه فانزل الله تعالى هذه الآية (ولله المشرق والمغرب فاينما تولوا فثم وجه الله) وهذه الاسانيد فيها ضعف ولعله يشد بعضها بعضا . وأما إعادة الصلاة لمن تبين له خطؤه ففيها قولان للعلماء وهذه دلائل على عدم القضاء والله أعلم

السفر حيث ما توجهت به . وقال عكرمة : نزلت في تحويل القبلة . قال ابو العالية : لما صرفت القبلة الى الكعبة عيرت اليهود المؤمنين وقالوا : ليست لهم قبلة معلومة فتارة يستقبلون هكذا وتارة هكذا فأنزل الله تعالى هذه الآية . وقال مجاهد والحسن : لما نزلت (وقال ربكم ادعوني أستجب لكم) قالوا : أين ندعوه ؟ فأنزل الله عز وجل (ولله المشرق والمغرب) ملكا وخلقا (فأينما تولوا فثم وجه

قال ابن جرير وقال آخرون بل نزلت هذه الآية في سبب النجاشي كما حدثنا محمد بن بشار أخبرنا معاذ بن هشام حدثنى أبي عن قتادة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان أخالكم قد مات فصلوا عليه قالوا : نصلي على رجل ليس بمسلم؟ قال فنزلت (وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل اليكم وما أنزل اليهم خاشعين لله) قال قتادة فقالوا انه كان لا يصلي الى القبلة فانزل الله (ولله المشرق والمغرب فاينما تولوا فثم وجه الله) وهذا غريب والله أعلم. وقد قيل انه كان يصلى الى بيت المقدس قبل ان يبلغه الناسخ الى الكعبة كما حكاه القرطبي عن قتادة وذكر القرطبي انه لما مات صلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ بذلك من ذهب الى الصلاة على الغائب قال وهذا خاص عند أصحابنا من ثلاثة أوجه — أحدها — أنه عليه السلام شاهده حين سوي عليه طويت له الارض(١). الثاني انه لما لم يكن عنده من يصلى عليه صلى عليه واختاره ابن العربي، قال القرطبي ويبعد ان يكون ملك مسلم ليس عنده أحد من قومه على دينه وقد أجاب ابن العربي عن هذا: لعلهم لم يكن عندهم شرعية الصلاة على الميت. وهذا جواب جيد. الثالث انه عليه الصلاة والسلام انما صلى عليه ليكون ذلك كالتأليف لبقية الملوك والله أعلم:

وقد أورد الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسير هذه الاية من حديث أبي معشر عن محمد بن عمرو بن علقمة عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين المشرق والمغرب قبلة لاهل المدينة وأهل الشام وأهل العراق(٢) وله مناسبة ههنا وقد أخرجه الترمذي وابن ماجه من حديث أبي معشر واسمه نجيح بن عبد الرحمن السدي المدني به «ما بين المشرق والمغرب قبلة» وقال الترمذي وقد روى من غير وجه عن أبي هريرة وتكلم بعض أهل العلم في أبي معشر من قبل حفظه ، ثم قال الترمذي حدثنى الحسن بن بكر المروزي أخبرنا المعلى بن منصور أخبرنا عبد الله بن جعفر المخزومي عن عثمان بن محمد بن المغيرة الاخنس عن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «ما بين المشرق والمغرب قبلة» ثم قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح ، وحكى عن البخاري انه قال هذا أقوى من حديث أبي معشر وأصح ، قال الترمذى وقد روي عن غير واحد من الصحابة «ما بين المشرق والمغرب قبلة» منهم عمر بن الخطاب وعلى وابن عباس رضي الله عنهم أجمعين : وقال ابن عمر اذا جعلت المغرب عن يمينك والمشرق عن يسارك فما بينهما قبلة اذا استقبلت القبلة ثم قال ابن مردويه حدثنا على بن احمد بن عبد الرحمن أخبرنا يعقوب بن يوسف مولى بنى هاشم أخبرنا شعيب بن أيوب أخبرنا ابن نمير عن عبد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ما بين المشرق والمغرب قبلة » وقد رواه الدارقطنى والبيهقي :

الله) يعني أينما تحولوا وجوهكم فثم أي هناك وجه الله . قال الكلبي : فثم الله يعلم ويرى والوجه صلة كقوله تعالى (كل شيء هالك الا وجهه) أي الاهو . وقال الحسن ومجاهد وقتادة ومقاتل بن حيان فثم قبلة الله والوجه والوجهة والجهة القبلة وقيل: رضا الله تعالى ﴿ إن الله واسع ﴾ أي غني يعطي من السعة . قال الفراء : الواسع الجواد الذي يسع عطاؤه كل شيء ، قال الكلبي : واسع المغفرة ﴿ عليم ﴾

---

(١) كذا ومعناه انه حين سوى عليه التراب. وقوله طويت له الارض استئناف بيانى عللت به المشاهدة وليس بمتعين فقد تكون روحية بالتمثيل

(٢) الحديث ضعيف السند وقوله : وأهل العراق لعله مدرج وحده أو مع ما قبله وان كان ما قبله صحيح المعنى فان قبلة أهل المدينة والشام جهة الجنوب وهو أن يكون نجم القطب وراء ظهره وأما المصلي في العراق فيجعله وراء ظهر أذنه اليمنى

وقال المشهور عن ابن عمر عن عمر رضي الله عنهما قوله (١) قال ابن جرير ويحتمل فاينما تولوا وجوهكم في دعائكم لي فهنا لك وجهي أستجيب لكم دعاءكم كما حدثنا القاسم أخبرنا الحسين حدثني حجاج قال قال ابن جريج : قال مجاهد لما نزلت (ادعوني أستجب لكم) قالوا الى أين فنزلت (فاينما تولوا فثم وجه الله) قال ابن جرير ومعنى قوله (ان الله واسع عليم) يسع خلقه كلهم بالكفاية والجود والافضال : وأما قوله (عليم) فانه يعني عليم باعمالهم مايغيب عنه منها شيء ولا يعزب عن علمه بل هو بجميعها عليم

(١) كذا في الاصل ولعله « من قوله » أي انه غير مرفوع

---

(١١٥) وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه بل له مافي السموات والارض كل له قانتون

---

(١١٦) بديع السموات والارض واذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون)

اشتملت هذه الآية الكريمة والتى تليها على الرد على النصارى عليهم لعائن الله وكذا من أشبههم من اليهود ومن مشركي العرب ممن جعل الملائكة بنات الله فاكذب الله جميعهم في دعواهم وقولهم ان لله ولدا فقال تعالى (سبحانه) أي تعالى وتقدس وتنزه عن ذلك علوا كبيرا (بل له مافي السموات والارض) أي ليس الامر كما افتروا وانما له ملك السموات والارض ومن فيهن وهو المتصرف فيهم وهو خالقهم ورازقهم ومقدرهم ومسخرهم ومسيرهم ومصرفهم كما يشاء والجميع عبيد له وملك له فكيف يكون له ولد منهم والولد انما يكون متولدا من شيئين متناسبين وهو تبارك وتعالى ليس له نظير ولا مشارك في عظمته وكبريائه ولاصاحبة له فكيف يكون له ولد ؟ كما قال تعالى (بديع السموات والارض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم) وقال تعالى (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا * لقد جئتم شيئا إدًّا * تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا * أن دعوا للرحمن ولدا * وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا * ان كل من في السموات والارض الا آت الرحمن عبدا * لقد أحصاهم وعدهم عداً * وكلهم آتيه يوم القيامة فردا) وقال تعالى (قل هو الله أحد * الله الصمد * لم يلد ولم يولد * ولم يكن له كفوا أحد) فقرر تعالى في هذه الآيات الكريمة انه السيد العظيم الذى لا نظير له ولا شبيه له وان جميع الاشياء غيره مخلوقة له مربوبة فكيف يكون له منها ولد ؟ ولهذا قال البخارى في تفسير هذه الاية من البقرة : أخبرنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن عبد الله

بنياتهم حيث ما صلوا ودعوا قوله تعالى ﴿ وقالوا اتخذ الله ولدا ﴾ قرأ ابن عامر بلا واو ، وقرأ الآخرون (وقالوا اتخذ الله ولدا) نزلت في يهود المدينة حيث قالوا (عزير ابن الله) وفي نصارى نجران حيث قالوا (المسيح ابن الله) وفي مشركي العرب حيث قالوا الملائكة بنات الله ﴿ سبحانه ﴾ نزه وعظم نفسه ، أخبرنا عبد الواحد المليحي انا احمد بن عبد الله النعيمي انا محمد بن يوسف انا محمد بن اسماعيل انا ابو اليمان انا شعيب عن عبد الرحمن بن أبي حسن عن نافع بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « قال الله تعالى كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك

ابن أبي الحسين حدثنا نافع بن جبير هو ابن مطعم عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «قال الله تعالى كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك، فاما تكذيبه اياي فيزعم انى لا أقدر أن أعيده كما كان، واما شتمه اياي فقوله ان لي ولدا فسبحاني ان أتخذ صاحبة أو ولدا» انفرد به البخارى من هذا الوجه . وقال ابن مردويه حدثنا احمد بن كامل أخبرنا محمد بن اسماعيل الترمذي أخبرنا محمد بن اسحق بن محمد القروى أخبرنا مالك عن أبي الزناد عن الاعرج عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يقول الله تعالى كذبني ابن آدم وما ينبغي له أن يكذبني وشتمني وما ينبغي له أن يشتمني، فاما تكذيبه اياى فقوله لن يعيدني كما بدأني وليس أول الخلق باهون علي من اعادته، وأما شتمه اياى فقوله: اتخذ الله ولدا. وأنا الله الاحد الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد) وفي الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا أحد أصبر على أذى سمعه من الله انهم يجعلون له ولدا وهو يرزقهم ويعافيهم « وقوله (كل له قانتون) قال ابن أبي حاتم أخبرنا أبو سعيد الاشج أخبرنا اسباط عن مطرف عن عطية عن ابن عباس قال (قانتين) مصلين وقال عكرمة وأبو مالك (كل له قانتون) مقرون له بالعبودية وقال سعيد بن جبير كل له قانتون يقول الاخلاص، وقال الربيع بن أنس يقول كل له قانتون أى قائم يوم القيامة، وقال السدى كل له قانتون أى مطيعون يوم القيامة، وقال خصيف عن مجاهد كل له قانتون ، قال مطيعون كن انسانا فكان ، وقال كن حمارا فكان « وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد كل له قانتون مطيعون « قال طاعة الكافر في سجود ظله وهو كاره وهذا القول عن مجاهد وهو اختيار ابن جرير يجمع الاقوال كلها وهو أن القنوت والطاعة والاستكانة الى الله وهو شرعي وقدرى كما قال تعالى (ولله يسجد من في السموات ومن في الارض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والاصال) وقد ورد حديث فيه بيان القنوت في القرآن ماهو المراد به كما قال ابن أبي حاتم أخبرنا يوسف بن عبد الاعلى حدثنا ابن وهب أخبرنى عمرو بن الحارث ان دراجا أبا السمح حدثه عن أبى الهيثم عن أبى سعيد الخدرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « كل حرف من القرآن يذكر فيه القنوت فهو الطاعة»

وشتمني ولم يكن له ذلك ، فأما تكذيبه إياي فزعم أني لا أقدر أن أعيده كما كان ، وأما شتمه إياي فقوله لي ولد، فسبحاني أن أتخذ صاحبة أو ولدا » « قوله تعالى ﴿ بل له مافي السموات والارض ﴾ عبيدا وملكا ﴿ كل له قانتون ﴾ قال مجاهد وعطاء والسدي: مطيعون وقال عكرمة ومقاتل : مقرّون له بالعبودية ، وقال ابن كيسان : قائمون بالشهادة « وأصل القنوت القيام قال النبي صلى الله عليه وسلم « أفضل الصلاة طول القنوت » ، واختلفوا في حكم الآية فذهب جماعة الى أن حكم الآية خاص ، وقال مقاتل : هو راجع الى عزير والمسيح والملائكة « وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : هو راجع الى أهل طاعته دون سائر الناس ، وذهب جماعة الى أن حكم الآية عام في جميع الخلق لان لفظ كل يقتضي الاحاطة بالشيء بحيث لا يشذ منه شيء ثم سلكوا في الكفار طريقين

وكذا رواه الامام احمد عن حسن بن موسى عن ابن لهيعة عن دراج باسناده مثله ولكن في هذا الاسناد ضعف لايعتمد عليه، ورفع هذا الحديث منكر، وقد يكون من كلام الصحابي أو من دونه والله أعلم . وكثير مايأتي بهذا الاسناد تفاسير فيها نكارة فلا يغتر بها فان السند ضعيف والله أعلم .

وقوله تعالى (بديع السموات والارض أي خالقهما على غير مثال سبق، قال مجاهد والسدى وهو مقتضي اللغة ومنه يقال للشيء المحدث بدعة كما جاء في صحيح مسلم فان كل محدثة بدعة والبدعة على قسمين تارة تكون بدعة شرعية كقوله «فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة» وتارة تكون بدعة لغوية كقول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب عن جمعه اياهم على صلاة التراويح واستمرارهم: نعمت البدعة هذه (١) وقال ابن جرير (بديع السموات والارض) مبدعهما وانما هو مفعل فصرف الى فعيل كما صرف المؤلم الى الاليم والمسمع الى السميع: ومعنى المبدع المنشيء والمحدث مالايسبقه الى انشاء مثله واحداثه أحد قال ولذلك سمي المبتدع في الدين مبتدعا لاحداثه فيه مالم يسبق اليه غيره وكذلك كل محدث قولا أو فعلا لم يتقدم فيه متقدم فان العرب تسميه مبتدعا ومن ذلك قول اعشى بن ثعلبة في مدح هوذة بن على الحنفي

يدعى الى قول سادات الرجال اذا أبدوا له الحزم أو ماشاء ابتدعا

أى يحدث ماشاء قال ابن جرير فمعنى الكلام سبحان الله أن يكون له ولد وهو مالك مافي السموات والارض تشهد له جميعها بدلالتها عليه بالوحدانية وتقر له بالطاعة وهو بارئها وخالقها وموجدها من غير أصل ولا مثال احتذاها عليه وهذا اعلام من الله لعباده ان ممن يشهد له بذلك المسيح الذى أضافوا الى الله بنوته واخبار منه لهم ان الذى ابتدع السموات والارض من غير أصل وعلى غير مثال هو الذى ابتدع المسيح عيسى من غير والد بقدرته وهذا من ابن جرير رحمه الله كلام جيد وعبارة صحيحة: وقوله تعالى واذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون . يبين بذلك تعالى كمال قدرته و عظيم سلطانه وانه اذا قدر

(١) إنما البدعة في هذا مواظبتهم على صلاة التراويح في الجماعة فان النبي (ص) صلاها فى جماعة ليالي معدودات ولم يواظب عليها لئلا تفرض أو يظن انها فريضة فلما زال هذا المحذور بعده امر عمر بالاستمرار على صلاتها بالجماعة . والشاطبي يسمى هذا بدعة إضافية لأنه في صفة الحكم لا في أصله بل هو بدعة لغوية لا شرعية فان فعلها جماعة ثبت عنه (ص) فى الصحيحين وغيرهما فزال بهذا اعتراض بعض الروافض على عمر (رض)

فقال مجاهد : يسجد ظلالهم لله على كره منهم قال الله تعالى (وظلالهم بالغدوّ والآصال) وقال السدي : هذا يوم القيامة دليله (وعنت الوجوه للحي القيوم) وقيل (قانتون) مذللون مسخرون لما خلقوا له ❊ قوله عز وجل ﴿ بديع السموات والارض ﴾ أي مبدعها ومنشئها من غير مثال سبق ﴿ وإذا قضى أمرا ﴾ أي قدره وقيل أحكمه وأتقنه وأصل القضاء الفراغ ومنه قيل لمن مات قضي عليه لفراغه من الدنيا ❊ ومنه قضاء الله وقدره لانه فرغ منه تقديرا وتدبيرا ﴿ فانما يقول له كن فيكون ﴾ قرأ ابن عامر كن فيكون بنصب النون في جميع المواضع الا في آل عمران (كن فيكون ❊ الحق من ربك) وفي سورة الانعام (كن فيكون ❊ قوله الحق) وانما نصبها لان جواب الامر بالفاء يكون منصوبا ، وقرأ الآخرون بالرفع على معنى فهو يكون فان قيل كيف قال (فانما يقول له كن) والمعدوم لا يخاطب قيل قال الانباري : معناه فانما يقول له أي لاجل تكوينه فعلى هذا ذهب معنى الخطاب وقيل : هو وإن كان معدوما ولكنه لما قدر وجوده هو كائن لامحالة كان كالموجود فصح الخطاب ❊

أمر أو أراد كونه فانما يقول له كن أي مرة واحدة فيكون أي فيوجد على وفق ما أراد كما قال تعالى (إنما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون) وقال تعالى (انما قولنا لشيء اذا أردناه ان نقول له كن فيكون) وقال تعالى (وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر) وقال الشاعر

إذا ما أراد الله أمراً فانما يقول له كن قولة فيكون

ونبه بذلك أيضا على أن خلق عيسى بكلمة كن فكان كما أمره الله ، قال الله تعالى (ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون)

(١١٧) وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية ! كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم ،قد بينا الآيات لقوم يوقنون)

قال محمد بن اسحق حدثني محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس ، قال قال رافع بن حريملة لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا محمد ان كنت رسولا من الله كما تقول فقل لله فيكلمنا حتى نسمع كلامه فانزل الله في ذلك من قوله (وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية) وقال مجاهد (وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية) قال النصارى تقوله ، وهو اختيار ابن جرير قال لان السياق فيهم. وفي ذلك نظر وحكى القرطبي (لولا يكلمنا الله) أي يخاطبنا بنبوتك يا محمد قلت وهو ظاهر السياق والله أعلم ، وقال أبو العالية والربيع بن أنس وقتادة والسدي في تفسير هذه الآية هذا قول كفار العرب (كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم) قال هم اليهود والنصارى ويؤيد هذا القول وان القائلين ذلك هم مشركو العرب قوله تعالى (واذ جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله) الآية وقوله تعالى (وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا) الى قوله (قل سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا) وقوله تعالى (وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا) الآية وقوله تعالى (بل يريد كل امرىء منهم أن يؤتى صحفا منشرة) الى غير ذلك من الآيات الدالة على كفر مشركي العرب وعتوهم وعنادهم وسؤالهم مالا حاجة لهم به انما هو الكفر والمعاندة كما قال من قبلهم من الامم الخالية من أهل الكتابين وغيرهم كما قال تعالى (يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا ارنا الله جهرة) وقال تعالى (واذ قلتم ياموسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة) وقوله تعالى (تشابهت قلوبهم) أي اشبهت قلوب مشركي العرب قلوب من تقدمهم في الكفر والعناد والعتو كما

قوله عز وجل ﴿ وقال الذين لا يعلمون ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما : اليهود ، وقال مجاهد : النصارى ، وقال قتادة : مشركو العرب ﴿ لولا ﴾ هلا ﴿ يكلمنا الله ﴾ عيانا بأنك رسوله وكل ما في القرآن لولا فهو بمعنى هلا الا واحدا وهو قوله (فلولا أنه كان من المسبحين) معناه فلو لم يكن ﴿ أو تأتينا آية ﴾ دلالة علامة على صدقك ، قال الله تعالى ﴿ كذلك قال الذين من قبلهم ﴾ أي كفار

قال تعالى (كذلك ما أتي الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر أو مجنون أتواصوا به ؟) لآية وقوله تعالى (قد بينا الآيات لقوم يوقنون) أي قد أوضحنا الدلالات على صدق الرسل بما لا يحتاج معها الى سؤال آخر وزيادة أخرى لمن أيقن وصدق واتبع الرسل وفهم ماجاؤا به عن الله تبارك وتعالى وأما من ختم الله على قلبه وسمعه وجعل على بصره غشاوة فاولئك قال الله فيهم (ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الاليم)

(١١٨) إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ولا تسئل عن أصحاب الجحيم

قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي أخبرنا عبد الرحمن بن صالح أخبرنا عبد الرحمن بن محمد بن عبدالله الفرازي عن شيبان النحوي أخبرني قتادة عن عكرمة عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «أنزلت علىّ (إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا) قال بشيرا بالجنة ونذيرا من النار» وقوله (ولا تسئل عن أصحاب الجحيم) قراءة أكثرهم ولا تسئل بضم التاء على الخبر وفي قراءة أبي بن كعب وما تسئل وفي قراءة ابن مسعود ولن تسئل عن أصحاب الجحيم نقلهما ابن جرير أي لا نسألك عن كفر من كفر بك كقوله (فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب) وكقوله تعالى (فذكر انما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر) الآية وكقوله تعالى (نحن أعلم بما يقولون وما أنت عليهم بجبار فذكر بالقرآن من يخاف وعيد) وأشباه ذلك من الآيات. وقرأ آخرون «ولا تسأل عن أصحاب الجحيم» بفتح التاء على النهي أي لا تسأل عن حالهم كما قال عبدالرزاق أخبرنا الثوري عن موسى ابن عبيدة عن محمد بن كعب القرظي قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ليت شعري مافعل ابواي ليت شعري مافعل أبواي ليت شعري مافعل أبواي؟» فنزلت (ولا تسأل عن أصحاب الجحيم) فما ذكرهما حتى توفاه الله عز وجل ورواه ابن جرير عن أبي كريب عن وكيع عن موسى بن عبيدة وقد تكلموا فيه عن محمد بن كعب بمثله وقد حكاه القرطبي عن ابن عباس ومحمد بن كعب قال القرطبي: وهذا كما يقال لا تسأل عن فلان أي قد بلغ فوق ماتحسب وقد ذكرنا في التذكرة ان الله أحيا له أبويه حتى آمنا به وأجبنا عن قوله «ان أبي وأباك في النار» قلت والحديث المروي في حياة أبويه عليه السلام ليس في شيء من الكتب الستة

الامم الخالية ﴿ مثل قولهم، تشابهت قلوبهم ﴾ أي أشبه بعضهم بعض في الكفر والقسوة وطلب المحال ﴿ قد بينا الآيات لقوم يوقنون ◼ إنا أرسلناك بالحق ﴾ أي بالصدق كقوله (ويستنبئونك أحق هو ؟ قل إي وربي انه لحق) أي صدق، وقال ابن عباس رضي الله عنهما. بالقرآن دليله (بل كذبوا الحق لما جاءهم) وقال ابن كيسان: بالاسلام وشرائعه. دليله قوله عز وجل (وقل جاء الحق) وقال مقاتل: معناه لم نرسلك عبثا انما أرسلناك بالحق كما قال (وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق) * قوله عز وجل ﴿ بشيرا ﴾ أي مبشرا لاوليائي وأهل طاعتي بالثواب الكريم ﴿ ونذيرا ﴾ أي منذرا مخوفا لاعدائي وأهل معصيتي بالعذاب الاليم ◼ قرأ نافع ويعقوب ﴿ ولا

ولا غيرها وإسناده ضعيف والله أعلم . ثم قال ابن جرير وحدثني القاسم أخبرنا الحسين حدثني حجاج عن ابن جريج أخبرني داود بن أبي عاصم به أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم « أين أبواي » ؟ فنزلت (إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ولا تسأل عن أصحاب الجحيم) وهذا مرسل كالذى قبله وقد رد ابن جرير هذا القول المروي عن محمد بن كعب وغيره في ذلك لاستحالة الشك من الرسول صلى الله عليه وسلم في أمر أبويه واختار القراءة الاولى وهذا الذي سلكه ههنا فيه نظر لاحتمال ان هذا كان في حال استغفاره لابويه قبل أن يعلم أمرهما فلما علم ذلك تبرأ منهما وأخبر عنهما انهما من أهل النار كما ثبت هذا في الصحيح ، ولهذا أشباه كثيرة ونظائر ولا يلزم ماذكره ابن جرير والله أعلم

وقال الامام احمد أخبرنا موسى بن داود حدثنا فليح بن سليمان عن هلال بن علي عن عطاء بن يسار قال : لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص فقلت : أخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة فقال : أجل والله انه لموصوف في التوراة بصفته في القرآن : يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للاميين ، وأنت عبدي ورسولي ، سميتك المتوكل ، لافظ ولا غليظ ولا سخاب في الاسواق ولا يدفع بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضه حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله فيفتح به أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا . انفرد باخراجه البخاري فرواه في في البيوع عن محمد بن سنان عن فليح به وقال تابعه عبد العزيز بن أبي سلمة عن هلال ، وقال سعيد عن هلال عن عطاء عن عبد الله بن سلام ، ورواه في التفسير عن عبد الله عن عبد العزيز بن أبي سلمة عن هلال عن عطاء عن عبد الله بن عمرو بن العاص به فذكر نحوه ، فعبد الله هذا هو ابن صالح كما صرح به في كتاب الادب ، وزعم ابن مسعود الدمشقي أنه عبد الله بن رجاء ، وقد رواه الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسير هذه الآية من البقرة عن احمد بن الحسن بن أيوب عن محمد بن احمد ابن البراء عن المعافي بن سليمان عن فليح به وزاد قال: عطاء ثم لقيت كعب الاحبار فسألته فما اختلفا في حرف الا أن كعبا قال : بلغته أعينا عمومى وآذانا صمومي وقلوبا غلوفا

---

(١٢٠) ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل إن هدى الله هو الهدى ، ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا نصير (١٢٠)

الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به ومن يكفر به فأولئك هم الخاسرون

تسأل ﴾ على النهي قال عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما : وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم « ليت شعري ما ذا فعل أبواي » فنزلت هذه الآية وقيل : هو على معنى قولهم لا تسأل عن شر فلان فانه فوق ما تحسب وليس على النهي ، وقرأ الآخرون ولا تسأل بالرفع على النفي بمعنى ولست بمسؤول عنهم كما قال الله تعالى (فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب) ﴿ عن أصحاب الجحيم ﴾ والجحيم معظم النار * قوله عز وجل ﴿ ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع

قال ابن جرير يعني بقوله جل ثناؤه (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم) وليست اليهود يامحمد ولا النصارى براضية عنك أبدا فدع طلب ما يرضيهم ويوافقهم وأقبل على طلب رضا الله في دعائهم الى ما بعثك الله به من الحق ، وقوله تعالى (قل ان هدى الله هو الهدى) أي قل يامحمد إن هدى الله الذى بعثني به هو الهدى يعني هو الدين المستقيم الصحيح الكامل الشامل ، قال قتادة في قوله (قل إن هدى الله هو الهدى) قال ، خصومة علمها الله محمدا صلى الله عليه وسلم وأصحابه يخاصمون بها أهل الضلالة ، قال قتادة : وبلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول « لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله (قلت) هذا الحديث مخرج في الصحيح عن عبد الله بن عمرو (ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذى جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا نصير) فيه تهديد ووعيد شديد للامة عن اتباع طرائق اليهود والنصارى بعد ما علموا من القرآن والسنة عياذا بالله من ذلك فان الخطاب مع الرسول والامر لامته . وقد استدل كثير من الفقهاء بقوله (حتى تتبع ملتهم) حيث أفرد الملة على أن الكفر كله ملة واحدة كقوله تعالى (لكم دينكم ولي دين) فعلى هذا لا يتوارث المسلمون والكفار وكل منهم يرث قرينه سواء كان من أهل دينه أم لا لانهم كلهم ملة واحدة وهذا مذهب الشافعي وأبي حنيفة واحمد في رواية عنه ، وقال في الرواية الاخرى كقول مالك : انه لا يتوارث أهل ملتين شتى كما جاء في الحديث والله أعلم — وقوله (الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته) قال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة : هم اليهود والنصارى وهو قول عبد الرحمن بن زيد بن أسلم واختاره ابن جرير وقال سعيد عن قتادة : هم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال ابن أبي حاتم أخبرنا أبي أخبرنا ابراهيم بن موسى وعبد الله بن عمران الاصبهاني قال أخبرنا يحيى بن يمان حدثنا أسامة بن زيد عن أبيه عن عمر بن الخطاب (يتلونه حق تلاوته) قال : إذا مرّ بذكر الجنة سأل الله الجنة ، واذا مر بذكر النار تعوّذ بالله من النار ، وقال أبو العالية قال ابن مسعود : والذى نفسي بيده إن حق تلاوته أن يحل حلاله ويحرم حرامه ويقرأه كما أنزله الله ولا يحرف الكلم عن مواضعه ولا يتأوّل

ملتهم ، قل إن هدى الله هو الهدى ﴾ وذلك أنهم كانوا يسألون النبي صلى الله عليه وسلم الهدنة ويطمعونه في أنه ان أمهلهم اتبعوه فأنزل الله تعالى هذه الآية، معناه إنك وان هادنتهم فلا يرضون بها وانما يطلبون ذلك تعللا ولا يرضون منك الا باتباع ملتهم ، وقال ابن عباس رضي الله عنهما : هذا في القبلة وذلك ان يهود المدينة ونصارى نجران كانوا يرجون النبي صلى الله عليه وسلم حين كان يصلي الى قبلتهم فلما صرف الله القبلة الى الكعبة أيسوا منه أن يوافقهم على دينهم فأنزل الله تعالى (ولن ترضى عنك اليهود) الا باليهودية (ولا النصارى) الا بالنصرانية. والملة الطريقة ﴿ ولئن اتبعت أهواءهم ﴾ قيل الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم والمراد به الامة كقوله (لئن أشركت ليحبطن عملك) ﴿ بعد الذي جاءك من العلم ﴾ البيان بأن دين الله هو الاسلام والقبلة قبلة ابراهيم عليه السلام

منه شيئا على غير تأويله وكذا رواه عبد الرزاق عن معمر عن قتادة ومنصور بن المعتمر عن ابن مسعود قال السدي عن أبي مالك عن ابن عباس في هذه الآية قال : يحلون حلاله ويحرمون حرامه ولا يحرفونه عن مواضعه . قال ابن أبي حاتم : وروي عن ابن مسعود نحو ذلك ، وقال الحسن البصري : يعملون بمحكمه ويؤمنون بمتشابهه ويكلون ما أشكل عليهم الى عالمه . وقال ابن أبي حاتم أخبرنا أبو زرعة أخبرنا ابراهيم بن موسى أخبرنا ابن أبي زائدة أخبرنا داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس في قوله (يتلونه حق تلاوته) قال : يتبعونه حق اتباعه ثم قرأ (والقمر إذا تلاها) يقول اتبعها قال : وروي عن عكرمه وعطاء ومجاهد وأبي رزين وابراهيم النخعي نحو ذلك . وقال سفيان الثوري أخبرنا زبيد عن مرة عن عبد الله بن مسعود في قوله (يتلونه حق تلاوته) قال : يتبعونه حق اتباعه . قال القرطبي وروى نصر بن عيسى عن مالك عن نافع عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله (يتلونه حق تلاوته) قال « يتبعونه حق تلاوته » ثم قال في إسناده غير واحد من المجهولين فيما ذكره الخطيب الا أن معناه صحيح . وقال أبو موسى الاشعري : من يتبع القرآن يهبط به على رياض الجنة وقال عمر بن الخطاب : هم الذين إذا مروا بآية رحمة سألوها من الله ، واذا مروا بآية عذاب استعاذوا منها قال : وقد روي هذا المعنى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان اذا مر بآية رحمة سأل ، واذا مر بآية عذاب تعوذ. وقوله (أولئك يؤمنون به) خبر عن (الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته) أي من أقام كتابه من أهل الكتب المنزلة على الانبياء المتقدمين حق إقامته آمن بما أرسلتك به يامحمد كما قال تعالى (ولو أنهم أقاموا التوراة والانجيل وما أنزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم) الآية وقال (قل ياأهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل وما أنزل اليكم من ربكم) أي اذا أقمتموها حق الاقامة وآمنتم بها حق الايمان وصدقتم ما فيها من الاخبار بمبعث محمد صلى الله عليه وسلم ونعته وصفته والامر باتباعه ونصره وموازرته قادكم ذلك الى الحق واتباع الخير في الدنيا والآخرة كما قال تعالى (الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذين يجدونه

وهي الكعبة ﴿ مالك من الله من ولي ولا نصير ، الذين آتيناهم الكتاب ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما : نزلت في أهل السفينة الذين قدموا مع جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه و كانوا اربعين رجلا اثنين وثلاثين من الحبشة وثمانيـة من رهبان الشام منهم بحيرا ، وقال الضحاك : هم من آمن من اليهود عبد الله بن سلام وشعبة بن عمرو وتمام بن يهودا وأسد وأسيد ابنا كعب وابن يامين وعبد الله بن صوريا ، وقال قتادة وعكرمة : هم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وقيل : هم المؤمنون عامة ﴿ يتلونه حق تلاوته ﴾ قال الكلبي : يصفونه في كتبهم حق صفته لمن سألهم من الناس والهاء راجعة الى محمد صلى الله عليه وسلم ، وقال الآخرون : هي عائدة الى الكتاب واختلفوا في معناه فقال ابن مسعود رضي الله عنهما : يقرؤنه كما أنزل ولا يحرفونه ، ويحلون حلاله ويحرمون حرامه ، وقال الحسن : يعملون بمحكمه ، ويؤمنون بمتشابهه ، ويكلون علم ما أشكل عليهم الى عالمه ، وقال مجاهد :

مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل) الآية وقال تعالى (قل آمنوا به أو لا تؤمنوا إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا) أي ان كان ماوعدنا به من شأن محمد صلى الله عليه وسلم لواقعا وقال تعالى (الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون * وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين * أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرؤن بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون) وقال تعالى (وقل للذين أوتوا الكتاب والاميين أأسلمتم ؟ فان أسلموا فقد اهتدوا وإن تولوا فانما عليك البلاغ والله بصير بالعباد) ولهذا قال تعالى (ومن يكفر به فاولئك هم الخاسرون) كما قال تعالى (ومن يكفر به من الاحزاب فالنار موعده) . وفي الصحيح « والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الامة يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بي إلا دخل النار »

(١٢١) يابني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم على العالمين (١٢٢) واتقوا يوما لاتجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون

قد تقدم نظير هذه الآية في صدر السورة وكررت ههنا للتأكيد والحث على اتباع الرسول النبي الامي الذين يجدون صفته في كتبهم ونعته واسمه وأمره وأمته فحذرهم من كتمان هذا ، وكتمان ما أنعم به عليهم، وأمرهم أن يذكروا نعمة الله عليهم من النعم الدنيوية والدينية ولا يحسدوا بني عمهم من العرب على ما رزقهم الله من إرسال الرسول الخاتم منهم ، ولا يحملهم ذلك الحسد على مخالفته وتكذيبه والحيد عن موافقته ، صلوات الله وسلامه عليه دائما إلى يوم الدين

(١٢٣) واذ ابتلى ابراهيمَ ربُّه بكلمات فاتمهن قال اني جاعلك للناس اماما . قال ومن ذريتي، قال لا ينال عهدي الظالمين)

يقول تعالى منبها على شرف ابراهيم خليله عليه السلام وان الله تعالى جعله اماما للناس يقتدى به في التوحيد حين قام بما كلفه الله تعالى به من الاوامر والنواهي ولهذا قال (واذ ابتلى ابراهيم ربه

يتبعونه حق اتباعه » قوله ﴿ أولئك يؤمنون به، ومن يكفر به فأولئك هم الخاسرون * يابني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم على العالمين * واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون * وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن ﴾ قرأ ابن عاصم ابراهام بالالف في بعض المواضع وهو ثلاثة وثلاثون موضعا جملته تسعة وتسعون موضعا وهو اسم أعجمي ولذلك لا يجري عليه الصرف وهو ابراهيم بن تارخ وهو آزر بن ناخور وكان مولده بالسوس من أرض الاهواز وقيل بابل وقيل كوثى وقيل كسكر وقيل حران ولكن أباه نقله الى أرض بابل بأرض نمروذ بن كنعان. ومعنى الابتلاء الاختبار والامتحان والامر وابتلاء الله

بكلمات) أي واذكر يامحمد لهؤلاء المشركين وأهل الكتابيين الذين ينتحلون ملة ابراهيم وليسوا عليها وانما الذي هو عليها مستقيم فأنت والذين معك من المؤمنين ـ اذكر لهؤلاء ابتلاء الله ابراهيم أي اختباره له بما كلفه به من الاوامر والنواهي (فأتمهن) أي قام بهن كلهن كما قال تعالى (وابراهيم الذي وفى) أي وفي جميع ما شرع له فعمل به صلوات الله عليه وقال تعالى : (ان ابراهيم كان أمة قانتالله حنيفاولم يك من المشركين * شاكرا لانعمه اجتباه وهداه الى صراطمستقيم * وآتيناه في الدنيا حسنة وانه في الآخرة لمن الصالحين * ثم أوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين) وقال تعالى(قل انني هداني ربي الى صراط مستقيم دينا قيماملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين) وقال تعالى (ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين * أن أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين) وقوله تعالى (بكلمات) أي بشرائع وأوامر ونواه ، فان الكلمات تطلق ويراد بها الكلمات القدرية كقوله تعالى عن مريم عليها السلام (وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين) وتطلق ويراد بها الشرعية كقوله تعالى (وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا) أي كلماته الشرعية ، وهي اما خبر صدق وأما طلب عدل ان كان أمرا أو نهيا ومن ذلك هذه الآية الكريمة (وإذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن) أي قام بهن قال (إني جاعلك للناس اماما) أي جزاء على ما فعل كما قام بالاوامر وترك الزواجر جعله الله للناس قدوة واماما يقتدى به ويحتذى حذوه

وقد اختلف في تعيين الكلمات التي اختبر الله بها ابراهيم الخليل عليه السلام، فروي عن ابن عباس في ذلك روايات فقال عبدالرزاق عن معمر عن قتادة قال ابن عباس: ابتلاه الله بالمناسك، وكذا رواه أبو اسحق السبيعي عن التميمي عن ابن عباس . وقال عبد الرزاق أيضا أخبرنا معمر عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس (وإذا ابتلى ابراهيم ربه بكلمات) قال ابتلاه بالطهارة خمس في الرأس وخمس في الجسد، في الرأس قص الشارب والمضمضة والاستنشاق والسواك وفرق الرأس وفي الجسد تقليم الاظفار وحلق العانة والختان ونتف الابط وغسل أثر الغائط والبول بالماء، قال ابن أبي حاتم: وروى عن سعيد بن المسيب ومجاهد والشعبي والنخعي وأبي صالح وأبي الجلد نحو ذلك (قلت) وقريب من هذا ما ثبت في صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « عشر من الفطرة قص الشارب واعفاء اللحية والسواك واستنشاق الماء وقص الاظفار وغسل البراجم ونتف الابط وحلق العانة وانتقاص الماء . قال مصعب : ونسيت العاشرة الا أن تكون المضمضة . قال وكيع :

العباد ليس ليعلم أحوالهم بالابتلاء لانه عالم بهم ولكن ليعلم العباد أحوالهم حتى يعرف بعضهم بعضا

واختلفوا في الكلمات التي ابتلى الله بها ابراهيم فقال عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما : هي ثلاثون سماهن شرائع الاسلام ولم يبتل بها أحد فأقامها كلها الا ابراهيم فكتب له البراءة فقال (وابراهيم الذي وفى) عشر في براءة (التائبون العابدون) الى آخرها وعشر في الاحزاب (إن المسلمين والمسلمات)

انتقاص الماء يعني الاستنجاء. وفي الصحيح عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « الفطرة خمس الختان والاستحداد وقص الشارب وتقليم الاظفار ونتف الابط» ولفظه لمسلم. وقال ابن أبي حاتم: أنبأنا يونس بن عبد الاعلى قراءة أخبرنا ابن وهب أخبرني ابن لهيعة عن ابن هبيرة عن حنش بن عبد الله الصنعاني عن ابن عباس أنه كان يقول في تفسير هذه الآية (وإذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن) قال عشر ست في الانسان وأربع في المشاعر. فأما التي في الانسان حلق العانة ونتف الابط والختان (١) وكان ابن هبيرة يقول: هؤلاء الثلاثة واحدة، وتقليم الاظفار وقص الشارب والسواك وغسل يوم الجمعة والاربعة (٢) التي في المشاعر الطواف والسعي بين الصفا والمروة ورمي الجمار والافاضة. وقال داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال: ما ابتلى بهذا الدين أحد فقام به كله إلا ابراهيم قال الله تعالى (وإذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن) قلت له وما الكلمات التي ابتلى الله ابراهيم بهن فأتمهن؟ قال: الاسلام ثلاثون سهما منها عشر آيات في براءة (التائبون العابدون) الى آخر الآية، وعشر آيات في أول سورة (قد أفلح المؤمنون) و(سأل سائل بعذاب واقع) وعشر آيات في الاحزاب (ان المسلمين والمسلمات) الى آخر الآية فأتمهن كلهن فكتبت له براءة قال الله (وابراهيم الذي وفى) هكذا رواه الحاكم وأبو جعفر بن جرير وأبو محمد بن أبي حاتم بأسانيدهم الى دواد بن أبي هند به وهذا لفظ ابن أبي حاتم. وقال محمد بن اسحق عن محمد بن أبي محمد عن سعيد أو عكرمة عن ابن عباس قال: الكلمات التي ابتلى الله بهن ابراهيم فأتمهن، فراق قومه في الله حين أمر بمفارقتهم، ومحاجته نمروذ في الله حين وقفه على ما وقفه عليه من خطر الامر الذي فيه خلافه، وصبره على قذفه إياه في النار ليحرقوه في الله على هول ذلك من أمرهم، والهجرة بعد ذلك من وطنه وبلاده في الله حين أمره بالخروج عنهم، وما أمره به من الضيافة والصبر عليها بنفسه وماله، وما ابتلي به من ذبح ابنه حين أمره بذبحه، فلما مضى على ذلك من الله كله وأخلصه للبلاء قال الله له (اسلم قال أسلمت لرب العالمين) على ما كان من خلاف الناس وفراقهم. وقال ابن أبي حاتم أخبرنا أبو سعيد الاشج أخبرنا اسماعيل بن علية عن أبي رجاء عن الحسن يعني البصري (وإذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن) قال ابتلاه بالكوكب فرضي عنه، وابتلاه بالقمر فرضي عنه، وابتلاه بالشمس فرضي عنه، وابتلاه بالهجرة فرضي عنه، وابتلاه بالختان فرضي عنه، وابتلاه بابنه فرضي عنه. وقال ابن جرير أخبرنا بشر بن معاذ أخبرنا يزيد بن زريع

(١) كذا في نسختنا المطبوعة ونسخة خزانة الازهر المخطوطة وفي الدر المنثور أو الختان، وبهذا التشكيك يصح العدد وليس فيه: هؤلاء الثلاثة واحدة
(٢) انث لفظ العدد هنا خلافا لما قبله

وعشر في سورة المؤمنين في قوله (قد أفلح المؤمنون) الآيات وقوله (الا المصلين) في (سأل سائل)، وقال طاووس عن ابن عباس رضي الله عنهما: ابتلاه الله بعشرة أشياء وهي الفطرة خمس في الرأس: قص الشارب، والمضمضة، والاستنشاق، والسواك، وفرق الرأس، وخمس في البدن: تقليم الاظفار، ونتف الابط، وحلق العانة، والختان، والاستنجاء بالماء. وفي الخبر «إن ابراهيم عليه السلام أول من قص الشارب، وأول من اختتن، وأول من قلم الاظفار، وأول من رأى الشيب

أخبرنا سعيد عن قتادة قال كان الحسن يقول أي والله لقد ابتلاه بامر فصبر عليه- ابتلاه بالكوكب والشمس والقمر فاحسن في ذلك وعرف أن ربه دائم لا يزول فوجه وجهه للذي فطر السموات والارض حنيفا وما كان من المشركين ، ثم إبتلاه بالهجرة فخرج من بلاده وقومه حتى لحق بالشام مهاجرا الى الله ، ثم إبتلاه بالنار قبل الهجرة فصبر على ذلك وابتلاه الله بذبح ابنه والختان فصبر على ذلك وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عمن سمع الحسن يقول في قوله (واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات) قال ابتلاه الله بذبح ولده وبالنار والكوكب والقمر والشمس وقال أبو جعفر بن جرير أخبرنا ابن بشار أخبرنا سلم بن قتيبة أخبرنا أبو هلال عن الحسن (واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات) قال ابتلاه بالكوكب والشمس والقمر فوجده صابرا ؛ وقال العوفي في تفسيره عن ابن عباس (واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن) فمنهن (قال اني جاعلك للناس اماما) ومنهن (واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل) ومنهن الآيات في شأن المنسك والمقام الذي جعل لابراهيم والرزق الذي رزق ساكنو البيت ومحمد بعث في دينهما : وقال ابن أبي حاتم أخبرنا الحسن بن محمد بن الصباح أخبرنا شبابة عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله تعالى (واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن) قال الله لابراهيم اني مبتليك بأمر فما هو؟ قال ؛ تجعلني للناس اماما ؟ قال نعم ؛ قال :ومن ذريتي ؛ (قال لا ينال عهدي الظالمين) قال :تجعل البيت مثابة للناس ؛ قال نعم ؛ قال :وأمنا؟ قال نعم : قال وتجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك : قال نعم : قال : وترزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله ؛ قال نعم : قال ابن أبي نجيح سمعته من عكرمة فعرضته على مجاهد فلم ينكره ، وهكذا رواه ابن جرير من غير وجه عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ، وقال سفيان الثورى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد (واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن) قال ابتلى بالآيات التى بعدها (اني جاعلك للناس اماما ؟ قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين) وقال أبو جعفر الرازى عن الربيع بن أنس (واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات) قال الكلمات (أني جاعلك للناس اماما) وقوله (واذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا) وقوله (واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى) وقوله (وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل) الآية وقوله (واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل) الآية قال فذلك كله من الكلمات التي ابتلى بهن ابراهيم ؛ وقال السدى الكلمات التي ابتلى بهن ابراهيم ربه (ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم * ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك ... ربنا وابعث فيهم رسولا منهم) وقال القرطبي وفي الموطأ وغيره عن يحيى بن سعيد أنه سمع سعيد بن المسيب يقول: ابراهيم عليه

فلما رآه قال : يارب ما هذا ؟ قال ؛ الوقار قال : يارب زدني وقارا ؛ قال مجاهد ؛ هي الآيات التي بعدها في قوله عز وجل (اني جاعلك للناس إماما) الى آخر القصة . وقال الربيع وقتادة : مناسك الحج ؛ وقال الحسن : ابتلاه الله بسبعة أشياء بالكواكب والقمر والشمس فأحسن فيها النظر وعلم أن ربه دائم لا يزول و بالنار فصبر عليها و بالهجرة وبذبح ابنه ، و بالختان فصبر عليها ؛ قال سعيد بن

السلام أول من اختتن وأول من ضاف الضيف وأول من قلم أظفاره وأول من قص الشارب وأول من شاب فلما رأى الشيب قال: يارب ماهذا؟ قال وقار قال: يارب زدني وقارا وذكر ابن أبي شيبة عن سعد بن ابراهيم عن أبيه قال أول من خطب على المنابر ابراهيم عليه السلام. قال غيره وأول من برد البريد وأول من ضرب بالسيف وأول من استاك وأول من استنجى بالماء وأول من لبس السراويل. وروي عن معاذ بن جبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن أتخذ المنبر فقد اتخذه أبي ابراهيم، وان أتخذ العصا فقد اتخذها أبي ابراهيم» (قلت) هذا الحديث لايثبت والله أعلم: ثم شرع القرطبي يتكلم على مايتعلق بهذه الاشياء من الاحكام الشرعية

قال أبو جعفر بن جرير ماحاصله انه يجوز أن يكون المراد بالكلمات جميع ماذكر وجائز أن يكون بعض ذلك ولا يجوز الجزم بشيء منها أنه المراد على التعيين الا بحديث أو اجماع قال ولم يصح في ذلك خبر بنقل الواحد ولا بنقل الجماعة الذي يجب التسليم. قال غير انه قد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في نظير معنى ذلك خبران أحدهما ماحدثنا به أبو كريب أخبرنا راشد بن سعد حدثني زبان بن فائد عن سهل بن معاذ بن أنس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول «ألا أخبركم لم سمي الله ابراهيم خليله: الذي وفى؟ لانه كان يقول كلما أصبح وكلما أمسى: سبحان الله حين تمسون وحين تصبحون. وله الحمد في السموات والارض وعشيا وحين تظهرون) الى آخر الآية، قال والاخر منهما ماحدثنا به أبو كريب أخبرنا الحسن عن عطية أخبرنا اسرائيل عن جعفر بن الزبير عن القاسم عن أبي أمامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وابراهيم الذي (وفى) قال «أتدرون ما وفى؟ قالوا الله ورسوله أعلم قال «وفى عمل يومه أربع ركعات في النهار» ورواه آدم في تفسيره عن حماد بن سلمة وعبد بن حميد عن يونس ابن محمد عن حماد بن سلمة عن جعفر بن الزبير به، ثم شرع ابن جرير يضعف هذين الحديثين وهو كما قال فانه لا يجوز روايتهما الا ببيان ضعفهما وضعفهما من وجوه عديدة فان كلا من السندين مشتمل على غير واحد من الضعفاء مع ما في متن الحديث مما يدل على ضعفه والله أعلم: ثم قال ابن جرير ولو قال قائل ان الذي قاله مجاهد وأبو صالح والربيع بن أنس أولى بالصواب من القول الذي قاله غيرهم كان مذهبا لان قوله (اني جاعلك للناس اماما) وقوله (وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين) الآية وسائر الايات التى هي نظير ذلك كالبيان عن الكلمات التى ذكر الله أنه ابتلى بهن ابراهيم (قلت) والذى قاله أولا من أن الكلمات تشمل جميع ماذكر أقوى من هذا الذى جوزه من قول مجاهد ومن قال مثله لان السياق يعطي غير ماقالوه والله أعلم

جبير: هوقول ابراهيم واسماعيل اذ يرفعان البيت (ربنا تقبل منا) الآية فرفعاه بسبحان الله والحمد لله ولا إله الا الله والله أكبر، قال يمان بن رباب: هن محاجة قومه قال الله تعالى (وحاجه قومه) الى قوله تعالى ـ وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم) وقيل: هي قوله (الذي خلقني فهو يهدين) الى آخر الايات (فأتمهن) قال قتادة: أداهن. قال الضحاك: قام بهن. وقال يمان: عمل بهن * قال

وقوله قال (ومن ذريتي) قال (لاينال عهدي الظالمين) لماجعل الله ابراهيم اماما سأل الله أن تكون الائمة من بعده من ذريته فأجيب الى ذلك وأخبر انه سيكون من ذريته ظالمون وانه لاينالهم عهد الله ولا يكونون أئمة فلا يقتدى بهم والدليل على انه أجيب الى طلبته قوله تعالى في سورة العنكبوت (وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب) فكل نبي أرسله الله وكل كتاب أنزله الله بعد ابراهيم ففي ذريته صلوات الله وسلامه عليه (١) وأما قوله تعالى (قال لاينال عهدي الظالمين) فقد اختلفوا في ذلك فقال خصيف عن مجاهد في قوله (قال لاينال عهدي الظالمين) قال انه سيكون في ذريتك ظالمون. وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد (قال لاينال عهدي الظالمين) قال لايكون لي أمام ظالم. وفي رواية لا أجعل اماما ظالما يقتدي به. وقال سفيان عن منصور عن مجاهد في قوله تعالى (قال لاينال عهدي الظالمين) قال لايكون امام ظالم يقتدى به: وقال ابن أبي حاتم أخبرنا أبي أخبرنا مالك بن اسماعيل أخبرنا شريك عن منصور عن مجاهد في قوله (ومن ذريتي) قال أما من كان منهم صالحا فأجعله اماما يقتدى به وأما من كان ظالما فلا ولا نعمة عين. وقال سعيد بن جبير (لاينال عهدي الظالمين) المراد به المشرك لا يكون امام ظالم يقول لايكون امام مشرك، وقال ابن جريج عن عطاء قال (اني جاعلك للناس اماما) قال ومن ذريتي فأبي ان يجعل من ذريته اماما ظالما قلت لعطاء ماعهده قال أمره: وقال ابن أبي حاتم أخبرنا عمرو بن ثور القيساري فيما كتب الي أخبرنا الفريابي حدثنا سماك بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس. قال قال الله لابراهيم اني جاعلك للناس اماما قال ومن ذريتي فأبى أن يفعل ثم قال (لاينال عهدي الظالمين) وقال محمد بن اسحق عن محمد بن أبي محمد عن سعيد أو عكرمة عن ابن عباس (قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين) يخبره انه كائن في ذريته ظالم لا ينال عهده ولا ينبغي ان يوليه شيئا من أمره وان كان من ذرية خليله ومحسن ستنفذ فيه دعوته وتبلغ له فيه ما أراد من مسئلته. وقال العوفي عن ابن عباس (لاينال عهدي الظالمين) قال يعني لاعهد لظالم عليك في ظلمه أن تطيعه فيه. وقال ابن جرير حدثنا اسحق أخبرنا عبد الرحمن بن عبد الله عن اسرائيل عن مسلم الاعور عن مجاهد عن ابن عباس (قال لاينال عهدي الظالمين) قال ليس للظالمين عهد وان عاهدته فانقضه: وروى عن مجاهد وعطاء ومقاتل بن حيان نحو ذلك: وقال الثوري عن هارون بن عنترة عن أبيه قال ليس لظالم عهد وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن قتادة في قوله (لاينال عهدي الظالمين) قال لاينال عهد الله في الآخرة الظالمين فاما في الدنيا فقد ناله الظالم فأمن به وأكل وعاش، وكذا قال ابراهيم النخعي وعطاء والحسن وعكرمة. وقال الربيع بن أنس عهد

(١) هذه الدعوى مدفوعة بقوله تعالى (ولقد بعثنا في كل امة رسولا) الآية وقوله (وان من امة إلا خلا فيها نذير) وأما قوله تعالى (وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب) فليس فيه حصر كيف وقد قال فيه وفي نوح عليهما السلام (وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب)

الله تعالى ﴿قال: إني جاعلك للناس إماما﴾ يقتدى بك في الخير ﴿قال﴾ ابراهيم ﴿ومن ذريتي﴾ أي ومن أولادي أيضا فاجعل أئمة يقتدى بهم ﴿قال﴾ الله تعالى ﴿لاينال﴾ لا يصيب ﴿عهدي الظالمين﴾ قرأ حمزة وحفص باسكان الياء والباقون بفتحها أي من كان منهم ظالما لايصيبه، قال عطاء بن أبي رباح: عهدي - رحمتي. وقال السدي: نبوّتي. وقيل: الامامة. قال مجاهد: ليس لظالم

الله الذي عهد الى عباده دينه يقول لاينال دينه الظالمين ألا ترى انه قال (وباركنا عليه وعلى اسحق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين) يقول ليس كل ذريتك يا ابراهيم على الحق وكذا روي عن أبي العالية وعطاء ومقاتل بن حيان وقال جويبر عن الضحاك لا ينال طاعتي عدولي يعصيني ولا أنحلها الاوليا لي يطيعني: وقال الحافظ أبو بكر بن مردويه أخبرنا عبد الرحمن بن محمد بن حامد أخبرنا احمد بن عبد الله بن سعيد الدامغاني اخبرنا وكيع عن الاعمش عن سعيد بن عبيدة عن أبي عبد الرحمن السلمي عن على بن أبي طالب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (لاينال عهدي الظالمين) قال لاطاعة الا في المعروف ۞ وقال السدي (لاينال عهدى الظالمين) يقول عهدي نبوني-فهذه أقوال مفسري السلف في هذه الاية على مانقله ابن جرير وابن أبي حاتم رحمهما الله تعالى واختار ابن جرير أن هذه الاية وان كانت ظاهرة في الخبر انه لاينال عهد الله بالامامة ظالما ففيها إعلام من الله لابراهيم الخليل عليه السلام انه سيوجد من ذريتك من هو ظالم لنفسه كما تقدم عن مجاهد وغيره والله أعلم: وقال ابن خويز منداد المالكي: الظالم لايصلح أن يكون خليفة ولا حاكما ولا مفتيا ولا شاهدا ولا راويا

---

(١٢٤) واذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى

قال العوفي عن ابن عباس قوله تعالى (واذ جعلنا البيت مثابة للناس) يقول لا يقضون منه وطرا يأتونه ثم يرجعون الى أهليهم ثم يعودون اليه: وقال على بن أبي طلحة عن ابن عباس مثابة للناس يقول يثوبون. رواهما ابن جرير: وقال ابن أبي حاتم أخبرنا أبي أخبرنا عبد الله بن رجاء أخبرنا اسرائيل عن مسلم عن مجاهد عن ابن عباس في قوله تعالى (واذ جعلنا البيت مثابة للناس قال يثوبون اليه ثم يرجعون) قال وروى عن أبي العالية وسعيد بن جبير في رواية عطاء ومجاهد والحسن وعطية والربيع ابن أنس والضحاك نحو ذلك. وقال ابن جرير. حدثني عبد الكريم بن أبي عمير حدثني الوليد ابن مسلم قال قال أبو عمرو يعني الاوزاعي: حدثني عبدة بن أبي لبابة في قوله تعالى (واذ جعلنا

أن يطاع في ظلمه ومعنى الآية لاينال ما عهدت اليك عن النبوة والامامة من كان ظالما من ولدك وقيل: أراد بالعهد الامان من النار وبالظالم المشرك كقوله تعالى «الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الامن» قال الله تعالى ﴿ واذ جعلنا البيت ﴾ يعني الكعبة ﴿ مثابة للناس ﴾ مرجعا لهم، قال مجاهد وسعيد بن جبير: يثوبون اليه من كل جانب ويحجون، قال ابن عباس رضي الله عنهما: معاذ وقال قتادة وعكرمة: مجمعا ﴿ وأمنا ﴾ أي مأمنا يأمنون فيه من إيذاء المشركين فانهم كانوا يتعرضون لاهل مكة ويقولون: هم أهل الله ويتعرضون لمن حوله كما قال الله تعالى (أو لم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم) أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا احمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد ابن يوسف أنا محمد بن اسماعيل(١) أنا علي بن عبد الله أنا جرير عن منصور عن مجاهد عن طاوس

(١) هو البخاري صاحب الصحيح

البيت مثابة للناس) قال لا ينصرف عنه منصرف وهو يرى أنه قد قضى منه وطرا . وحدثني يونس عن ابن وهب قال : قال ابن زيد (وإذ جعلنا البيت مثابة للناس) قال يثوبون اليه من البلدان كلها ويأتونه . وما أحسن ما قال الشاعر في هذا المعنى أورده القرطبي

جعل البيت مثابا لهم ليس منه الدهر يقضون الوطر

وقال سعيد بن جبير في الرواية الاخرى وعكرمة وقتادة وعطاء الخراساني (مثابة للناس) أى مجمعا وأمنا قال الضحاك عن ابن عباس : أي أمنا للناس . وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية (وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا) يقول وأمنا من العدو وان يحمل فيه السلاح وقد كانوا في الجاهلية يتخطف الناس من حولهم وهم آمنون لا يسبون . وروي عن مجاهد وعطاء والسدي وقتادة والربيع بن أنس قالوا من دخله كان آمنا

ومضمون مافسر به هؤلاء الائمة هذه الآية أن الله تعالى يذكر شرف البيت وماجعله موصوفا به شرعا وقدرا من كونه مثابة للناس أي جعله محلا تشتاق اليه الارواح وتحن اليه ولا تقضي منه وطرا ولو ترددت اليه كل عام استجابة من الله تعالى لدعاء خليله ابراهيم عليه السلام في قوله فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم الى أن قال (ربنا وتقبل دعائي) ويصفه تعالى بانه جعله آمنا من دخله أمن ولو كان قد فعل مافعل ثم دخله كان آمنا. وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: كان الرجل يلقي قاتل أبيه وأخيه فيه فلا يعرض له كما وصف في سورة المائدة بقوله تعالى (جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس) أي يدفع عنهم بسبب تعظيمها السوء كما قال ابن عباس : لو لم يحج الناس هذا البيت لاطبق الله السماء على الارض وما هذا الشرف الا شرف بانيه أولا وهو خليل الرحمن كما قال تعالى (واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئا) وقال تعالى (ان أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين * فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا) وفي هذه الآية الكريمة نبه على مقام ابراهيم مع الامر بالصلاة عنده . فقال (واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى) وقد اختلف المفسرون في المراد بالمقام ما هو فقال ابن أبي حاتم : أخبرنا عمرو ابن شبة النميري حدثنا أبو خلف يعني عبد الله ابن عيسى أخبرنا داود بن أبي هند عن مجاهد عن

عن ابن عباس رضي الله عنهما : قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة « إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والارض فهو حرام بحرمة الله الى يوم القيامة ، لا يعضد شوكه ولا ينفر صيده ، ولا يلتقط لقطته الا من عرفها ، ولا يختلى خلاه » فقال العباس : يارسول الله إلا الاذخر فانه لقينهم ولبيوتهم! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إلا الاذخر » ﴿ واتخذوا ﴾ قرأ نافع وابن عامر بفتح الخاء على الخبر ، وقرأ الباقون بكسر الخاء على الامر ﴿ من مقام ابراهيم مصلى ﴾ قال يمان المسجد كله مقام ابراهيم ، وقال ابراهيم النخعي : الحرم كله مقام ابراهيم ، وقيل : أراد بمقام ابراهيم جميع مشاهد الحج مثل عرفة ومزدلفة وسائر المشاهد . والصحيح أن مقام ابراهيم هو الحجر الذي

ابن عباس (واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى) قال مقام ابراهيم الحرم كله . وروى عن مجاهد وعطاء مثل ذلك . وقال أيضا أخبرنا الحسن بن محمد بن الصباح حدثنا حجاج عن ابن جريج قال: سألت عطاء عن (واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى) فقال سمعت ابن عباس قال : أما مقام ابراهيم الذى ذكر ههنا فمقام ابراهيم هذا الذي في المسجد . ثم قال ومقام ابراهيم(١) يعد كثير مقام ابراهيم الحج كله . ثم فسره لي عطاء فقال: التعريف وصلاتان بعرفة والمشعر(٢) ومنى ورمي الجمار والطواف بين الصفا والمروة ، فقلت أفسره ابن عباس ؟ قال لا . ولكن قال مقام ابراهيم الحج كله . قلت أسمعت ذلك لهذا أجمع ؟ قال نعم سمعته منه . وقال سفيان الثوري عن عبد الله بن مسلم عن سعيد بن جبير (واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى) قال الحجر مقام ابراهيم نبي الله قد جعله الله رحمة فكان يقوم عليه ويناوله اساعيل الحجارة ولو غسل رأسه كما يقولون لاختلف رجلاه . وقال السدي : المقام الحجر الذى وضعته زوجة اسمعيل تحت قدم ابراهيم حتى غسلت رأسه . حكاه القرطبي وضعفه ورجحه غيره ، وحكاه الرازى في تفسيره عن الحسن البصرى وقتادة والربيع بن أنس . وقال ابن أبي حاتم : أخبرنا الحسن بن محمد بن الصباح أخبرنا عبد الوهاب بن عطاء عن ابن جريج عن جعفر بن محمد عن أبيه سمع جابرا يحدث عن حجة النبي صلى الله عليه وسلم . قال: لما طاف النبي صلى الله عليه وسلم قال له عمر هذ مقام أبينا ؟ قال نعم ، قال أفلا نتخذه مصلى؟ فأنزل الله عز وجل (واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى) وقال عثمان بن أبي شيبة أخبرنا أبو أسامة عن زكريا عن أبي اسحق عن أبي ميسرة قال قال عمر قلت يارسول الله هذا مقام خليل ربنا ؟ قال نعم . قال أفلا نتخذه مصلى ؟ فنزلت (واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى) وقال ابن مردويه اخبرنا دعلج بن أحمد أخبرنا غيلان بن عبد الصمد أخبرنا مسروق بن المرزبان أخبرنا زكريا بن أبي زائدة عن أبي اسحق عن عمرو بن ميمون عن عمر بن الخطاب أنه مر بمقام ابراهيم فقال : يا رسول الله أليس نقوم بمقام خليل ربنا؟ قال بلى ، قال أفلا نتخذه مصلى ؟ فلم يلبث الا يسيرا حتى نزلت (واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى) وقال ابن مردويه أخبرنا علي بن أحمد بن محمد القزويني أخبرنا علي بن الحسين حدثنا الجنيد أخبرنا هشام بن خالد أخبرنا الوليد عن مالك بن أنس عن جعفر بن محمد

(١) كذا في الاصل وسبب أمثال هذا التكرار الامانة في النقل بحكاية ماقيل بلفظه
(٢) أي مزدلفة

في المسجد يصلي اليه الائمة ، وذلك الحجر الذي قام عليه ابراهيم عند بناء البيت ، وقيل : كان أثر أصابع رجليه بينا فيه فاندرس من كثرة المسح بالايدي ، قال قتادة ومقاتل والسدي: أمروا بالصلاة عند مقام ابراهيم ولم يؤمروا بمسحه وتقبيله . أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا احمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل أنا مسدد عن يحيى بن حميد عن أنس قال : قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : وافقت الله في ثلاث أو وافقني ربي في ثلاث قلت يارسول الله لو اتخذت مقام ابراهيم مصلى! فأنزل الله تعالى (واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى) وقلت يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب فأنزل الله عز وجل آية الحجاب ، قال وبلغني

عن أبيه عن جابر قال : لما وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة عند مقام ابراهيم قال له عمر يارسول الله هذا مقام ابراهيم الذي قال الله (واتخذو من مقام ابراهيم مصلى) قال نعم : قال الوليد : قلت لمالك هكذا احدثك واتخذوا(١) قال نعم هكذا وقع في هذه الرواية وهو غريب وقد روى النسائي من حديث الوليد بن مسلم نحوه . وقال البخاري : باب قوله (واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى) مثابة يثوبون يرجعون . حدثنا مسدد أخبرنا يحيى عن حميد عن أنس بن مالك . قال قال عمر بن الخطاب : وافقت ربي في ثلاث أو وافقني ربي في ثلاث : قلت يارسول الله لو اتخذت من مقام ابراهيم مصلى فنزلت (واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى) وقلت يارسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب فأنزل الله آية الحجاب . قال وبلغني معاتبة النبي صلى الله عليه وسلم بعض نسائه فدخلت عليهن فقلت ان انتهيتن أو ليبدلن الله رسوله خيرا منكن حتى أتت احدى نسائه قالت : ياعمر أما في رسول الله ما يعظ نساءه حتى تعظهن أنت فأنزل الله (عسى ربه ان طلقكن ان يبدله أزواجا خيرا منكن مسلمات) الآية وقال ابن أبي مريم أخبرنا يحيى بن أيوب حدثني حميد قال سمعت أنسا عن عمر رضي الله عنهما هكذا ساقه البخاري ههنا وعلق الطريق الثانية عن شيخه سعيد بن الحكم المعروف بابن أبي مريم المصري وقد تفرد بالرواية عنه البخاري من بين أصحاب الكتب الستة . وروى عنه الباقون بواسطة وغرضه من تعليق هذا الطريق ليبين فيه اتصال اسناد الحديث وانما لم يسنده لان يحيى بن أبي أيوب الغافقي فيه شيء كما قال الامام أحمد فيه هو سيء الحفظ والله أعلم . وقال الامام أحمد حدثنا هشيم أخبرنا حميد عن أنس قال : قال عمر رضي الله عنه وافقت ربي عز وجل في ثلاث قلت : يارسول الله لو اتخذت من مقام ابراهيم مصلى فنزلت (واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى) وقلت يارسول الله ان نساءك يدخل عليهن البر والفاجر فلو أمرتهن ان يحتجبن فنزلت آية الحجاب . واجتمع على رسول الله صلى الله عليه وسلم نساؤه في الغيرة فقلت لهن (عسى ربه ان طلقكن ان يبدله ازواجا خيرا منكن) فنزلت كذلك ، ثم رواه أحمد عن يحيى وابن أبي عدي كلاهما عن حميد عن أنس عن عمر أنه قال

(١) كذا في الاصل

معاتبة النبي صلى الله عليه وسلم بعض نسائه فدخلت عليهن فقلت لهن : إن انتهيتن أو ليبدلنه الله خيرا منكن فأنزل الله تعالى (عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن) الآية ورواه محمد بن اسماعيل أيضا عن عمرو بن عون أنا هشام عن حميد عن أنس رضي الله عنه قال : قال عمر رضي الله عنه : وافقت ربي في ثلاث قلت يارسول الله لو اتخذت من مقام ابراهيم مصلى فنزلت (واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى) . وأما بدء قصة المقام فقد روى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما أتى ابراهيم باسماعيل وهاجر وضعهما بمكة وأتت على ذلك مدة ونزلها الجرهميون وتزوج اسماعيل منهم امرأة وماتت هاجر واستأذن ابراهيم سارة أن يأتي هاجر فأذنت له وشرطت عليه أن لا ينزل فقدم ابراهيم مكة وقد ماتت هاجر فذهب الى بيت اسماعيل فقال لامرأته

وافقت ربي في ثلاث أو وافقني ربي في ثلاث فذكره . وقد رواه البخاري عن عمر وابن عون والترمذي عن أحمد بن منيع والنسائي عن يعقوب بن ابراهيم الدورقي وابن ماجه عن محمد بن الصباح كلهم عن هشيم بن بشير به . ورواه الترمذي أيضا عن عبد بن حميد عن حجاج بن منهال عن حماد ابن سلمة والنسائي عن هناد عن يحيى بن أبي زائدة كلاهما عن حميد وهو ابن تيرويه الطويل به . وقال الترمذي حسن صحيح . ورواه الامام على بن المديني عن زيد بن زريع عن حميد به . وقال هذا من صحيح الحديث وهو بصري . ورواه الامام مسلم بن الحجاج في صحيحه بسند آخر ولفظ آخر فقال أخبرنا عقبة بن مكرم أخبرنا سعيد بن عامر عن جويرية بن أسماء عن نافع عن ابن عمر عن عمر قال : وافقت ربى في ثلاث في الحجاب وفي اسارى بدر وفي مقام ابراهيم . وقال أبو حاتم الرازى : أخبرنا محمد بن عبد الله الانصارى أخبرنا حميد الطويل عن أنس بن مالك قال : قال عمر بن الخطاب وافقني ربى في ثلاث ، أو وافقت ربى في ثلاث ، قلت يارسول الله لو اتخذت من مقام ابراهيم مصلى فنزلت (واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى) وقلت يارسول الله لو حجبت النساء فنزلت آية الحجاب . والثالثة لما مات عبد الله بن أبىّ جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلي عليه قلت : يارسول الله تصلي على هذا الكافر المنافق . فقال : ايها عنك يا ابن الخطاب فنزلت (ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره) وهذا اسناد صحيح أيضا ولا تعارض بين هذا ولا هذا بل الكل صحيح ومفهوم العدد اذا عارضه منطوق قدم عليه والله أعلم . وقال ابن جريج أخبرني جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رمل ثلاثة أشواط ومشى أربعا حتى اذا فرغ عمد الى مقام ابراهيم فصلى خلفه ركعتين، ثم قرأ (واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى) وقال ابن جرير حدثنا يوسف بن سليمان أخبرنا حاتم بن اسمعيل أخبرنا جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر قال: استلم رسول الله صلى الله عليه وسلم الركن فرمل ثلاثا ومشى أربعا ثم نفذ الى مقام ابراهيم فقرأ (واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى) فجعل المقام بينه و بين البيت فصلى ركعتين . وهذا قطعة من الحديث الطويل الذي رواه مسلم في صحيحه من حديث حاتم بن اسماعيل : وروى البخاري بسنده عن عمرو بن دينار : قال سمعت ابن عمر يقول قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فطاف

أين صاحبك ؟ قالت ذهب يتصيد ، وكان اسماعيل عليه السلام يخرج من الحرم فيصيد فقال لها ابراهيم هل عندك ضيافة ؟ قالت ليس عندي ضيافة ، وسألها عن عيشهم ؟ فقالت : نحن في ضيق وشدة فشكت اليه فقال لها : إذا جاء زوجك فاقرئيه السلام وقولي له فليغير عتبة بابه، فذهب ابراهيم فجاء اسماعيل فوجد ريح أبيه فقال لامرأته : هل جاءك أحد ؟ قالت : جاءني شيخ صفته كذا وكذا كالمستخفة بشأنه قال: فما قال لك ؟ قالت : قال اقرئي زوجك السلام وقولي له فليغير عتبة بابه ، قال ذلك أبي وقد أمرني أن أفارقك إلحقي بأهلك. فطلقها وتزوج منهم أخرى، فلبث ابراهيم ما شاء الله أن يلبث ، ثم استأذن سارة أن يزور اسماعيل فأذنت له وشرطت عليه أن لا ينزل فجاء ابراهيم عليه

بالبيت سبعا وصلى خلف المقام ركعتين ¤ فهذا كله مما يدل على ان المراد بالمقام انما هو الحجر الذى كان ابراهيم عليه السلام يقوم عليه لبناء الكعبة لما ارتفع الجدار أتاه اسماعيل عليه السلام به ليقوم فوقه ويناوله الحجارة فيضعها بيده لرفع الجدار وكلما كمل ناحية انتقل الى الناحية الاخرى يطوف حول الكعبة وهو واقف عليه كلما فرغ من جدار نقله الى الناحية التي تليها وهكذا حتى تم جدران الكعبة كما سيأتي بيانه في قصة ابراهيم واسماعيل في بناء البيت من رواية ابن عباس عند البخاري وكانت آثار قدميه ظاهرة فيه ولم يزل هذا معروفا تعرفه العرب في جاهليتها ولهذا قال أبو طالب في قصيدته المعروفة اللامية

وموطىء ابراهيم في الصخر رطبة على قدميه حافيا غير ناعل

وقد أدرك المسلمون ذلك فيه أيضا كما قال عبد الله بن وهب أخبرني يونس بن يزيد عن ابن شهاب ان أنس بن مالك حدثهم ¤ قال رأيت المقام فيه أصابعه عليه السلام وأخمص قدميه غير انه أذهبه مسح الناس بأيديهم ¤ وقال ابن جرير أخبرنا بشر بن معاذ أخبرنا يزيد بن زريع أخبرنا سعيد عن قتادة (واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى) انما أمروا ان يصلوا عنده ولم يؤمروا بمسحه ٠ وقد تكلفت هذه الامة شيئا ما تكلفته الامم قبلها ولقد ذكر لنا من رأى أثر عقبه وأصابعه فيه فما زالت هذه الامة يمسحونه حتى اخلولق وانمحى (قلت) وقد كان هذا المقام ملصقا بجدار الكعبة قديما ومكانه معروف اليوم الى جانب الباب مما يلي الحجر يمنة الداخل من الباب في البقعة المستقلة هناك وكان الخليل عليه السلام لما فرغ من بناء البيت وضعه الى جدار الكعبة أو انه انتهى عنده البناء فتركه هناك ولهذا والله أعلم أمر بالصلاة هناك عند الفراغ من الطواف وناسب ان يكون عند مقام ابراهيم حيث انتهى بناء الكعبة فيه وانما أخره عن جدار الكعبة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أحد الائمة المهديين والخلفاء الراشدين الذين أمرنا باتباعهم وهو أحد الرجلين اللذين قال فيهما رسول الله صلى الله عليه وسلم «اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر» وهو الذي نزل القرآن بوفاقه في الصلاة عنده ولهذا لم ينكر ذلك أحد من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين ¤ قال

السلام حتى انتهى الى باب اسماعيل فقال لامرأته: أين صاحبك؟ قالت: ذهب يتصيد وهو يجيء الآن إن شاء الله فانزل يرحمك الله، قال: هل عندك ضيافة؟ قالت: نعم فجاءت باللبن واللحم، وسألها عن عيشهم؟ فقالت: نحن بخير وسعة، فدعا لهما بالبركة، ولو جاءت يومئذ بخبز بر أو شعير أو تمر لكانت أكثر أرض الله برا أو شعيرا أو تمرا، فقالت له: انزل حتى أغسل رأسك فلم ينزل فجاءته بالمقام فوضعته عن شقه الايمن فوضع قدمه عليه فغسلت شق رأسه الايمن ثم حولته الى شقه الايسر فغسلت شق رأسه الايسر فبقي أثر قدمه عليه، فقال لها: اذا جاء زوجك فاقرئيه السلام وقولي له قد استقامت عتبة بابك. فلما جاء اسماعيل وجد ريح أبيه فقال لامرأته: هل جاءك أحد؟ قالت: نعم شيخ أحسن الناس وجها وأطيبهم ريحا وقال لي كذا وكذا وقلت له كذا وكذا وغسلت رأسه وهذا موضع قدميه

عبد الرزاق عن ابن جريج حدثني عطاء وغيره من أصحابنا : قالوا أول من نقله عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وقال عبد الرزاق أيضا عن معمر عن حميد الاعرج عن مجاهد قال أول من أخر المقام الى موضعه الآن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وقال الحافظ أبو بكر احمد بن علي بن الحسين البيهقي أخبرنا أبو الحسين بن الفضل القطان أخبرنا القاضي ابو بكر احمد بن كامل حدثنا ابو اسماعيل محمد بن اسماعيل السلمي حدثنا أبو ثابت حدثنا الدراوردي عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها ان المقام كان زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم وزمان أبي بكر رضي الله عنه ملتصقا بالبيت ثم أخره عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهذا إسناد صحيح مع ماتقدم وقال ابن أبي حاتم أخبرنا أبي أخبرنا ابن أبي عمر العدنى قال قال سفيان يعني ابن عيينة وهو أمام المكيين في زمانه كان المقام من سقع البيت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فحوله عمر الى مكانه بعد النبي صلى الله عليه وسلم وبعد قوله (واتخذوا من مقام ابراهيم مصلي) قال ذهب السيل به بعد تحويل عمر اياه من موضعه هذا فرده عمر اليه : وقال سفيان لا أدرى كم بينه وبين الكعبة قبل تحويله ، قال سفيان لا أدري أ كان لاصقا بها أم لا ؟ فهذه الآثار متعاضدة على ماذ كرناه والله أعلم : وقد قال الحافظ أبو بكر بن مردويه أخبرنا ابن عمر وهو احمد بن محمد بن حكيم أخبرنا محمد بن عبد الوهاب بن أبي تمام أخبرنا آدم هو ابن أبي اياس في تفسيره اخبرنا شريك عن ابراهيم ابن المهاجر عن مجاهد قال قال عمر بن الخطاب يارسول الله لوصلينا خلف المقام فأنزل الله (واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى) فكان المقام عند البيت فحوله رسول الله صلى الله عليه وسلم الى موضعه هذا . قال مجاهد وكان عمر يرى الرأى فينزل به القرآن هذا مرسل عن مجاهد وهو مخالف لما تقدم من رواية عبد الرزاق عن معمر عن حميد الاعرج عن مجاهد ان اول من أخر المقام الى موضعه الان عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهذا أصح من طريق ابن مردويه مع اعتضاد هذا بما تقدم والله اعلم (١)

(١) حاشية للمصحح : وأخرج الازرقي عن كثير بن أبي كثير بن المطلب بن أبي وداعة السهمي عن أبيه عن جده قال : كانت السيول تدخل المسجد الحرام من باب بني شيبة الكبير قبل أن يردم عمر الردم الاعلى فكانت السيول ربما رفعت المقام عن موضعه وربما نحته الى وجه الكعبة حتى جاء سيل أم نهشل في خلافة عمر بن الخطاب فاحتمل المقام من موضعه هذا فذهب به حتى وجد باسفل مكة فاتي به فربط الى أستار الكعبة وكتب في ذلك الى عمر فاقبل فزعا في شهر رمضان وقد عفى موضعه وعفاه السيل فدعا عمر بالناس فقال : أنشد الله عبدا علم في هذا المقام فقال المطلب بن أبي وداعة : أنا ياأمير المؤمنين عندي ذلك قد كنت أخشى عليه هذا فأخذت قدره من موضعه الى الركن ومن موضعه الى باب الحجر ومن موضعه الى زمزم بمقاط وهو عندي في البيت فقال له عمر فاجلس عندي وأرسل اليه فجلس عنده وأرسل فأتى بها فمدها فوجدها مستوية الى موضعه هذا فسأل الناس وشاورهم فقالوا نعم هذا موضعه فلما استثبت ذلك عمر وحق عنده أمر به فأعلم ببناء ربضه تحت المقام ثم حوله فهو في مكانه هذا الى اليوم . وأخرج الازرقي من طريق سفيان بن عيينة عن حبيب بن الاشرس قال : كان سيل أم نهشل قبل أن يعمل عمر الردم بأعلى مكة فاحتمل المقام من مكانه فلم يدر أين موضعه =

(وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود (١٢٥) واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر. قال ومن كفر فأمتعه قليلا ثم أضطره الى عذاب النار وبئس المصير (١٢٦) واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل : ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم (١٢٧) ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا انك أنت التواب الرحيم)

قال الحسن البصري قوله (وعهدنا الى ابراهيم واسمعيل) قال أمرهما الله أن يطهراه من الاذى والنجس ولا يصيبه من ذلك شيء، وقال ابن جريج قلت لعطاء ما عهده؟ قال أمره. وقال عبد الرحمن

فقال : ذاك ابراهيم النبي أبي، وأنت العتبة أمرني أن امسكك . وروي عن سعيد بن جبير أيضا عن ابن عباس قال : ثم لبث عنهم ماشاء الله ثم جاء بعد ذلك واسماعيل يبري نبلا تحت دوحة قريبا من زمزم فلما رآه قام اليه فصنعا كما يصنع الوالد بالولد والولد بالوالد ثم قال : يا إسماعيل إن الله تعالى أمرني بأمر تعينني عليه ؟ قال : أعينك عليه قال : إن الله أمرني أن أبني ههنا بيتا فعند ذلك رفعا القواعد من البيت فجعل اسماعيل يأتي بالحجارة وابراهيم يبني فلما ارتفع البناء جاء بهذا الحجر فوضعه له فقام ابراهيم على حجر المقام وهو يبني واسماعيل يناوله الحجارة وهما يقولان (ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم) وفي الخبر « الركن والمقام ياقوتتان من يواقيت الجنة ولولا مسته أيدي المشركين لاضاء ما بين المشرق والمغرب » (١) قوله عز وجل ﴿ وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل ﴾ أي أمرناهما

= فلما قدم عمر بن الخطاب سأل من يعلم موضعه ؟ فقال عبد المطلب بن أبي وداعة أنا يا أمير المؤمنين قد كنت قدرته وذرعته بمقاط(*) وتخوفت عليه هذا من الحجر اليه ومن الركن اليه ومن وجه الكعبة فقال أئت به فجاء به فوضعه في موضعه هذا وعمل عمر الردم عند ذلك قال سفيان فذلك الذي حدثنا هشام بن عروة عن أبيه أن المقام كان عند سقع البيت فاما موضعه الذي هو موضعه فموضعه الآن وأما ما يقوله الناس أنه كان هنالك موضعه فلا . وأخرج الازرقي عن ابن ابي مليكة قال موضع هذا هو الذي به اليوم هو موضعه في الجاهلية وفي عهد النبي وأبي بكر وعمر الا أن السيل ذهب به في خلافة عمر فجعل في وجه الكعبة حتى هدم عمر فرده بمحضر الناس . وأخرج البيهقي في سننه عن عائشة أن المقام كان في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وزمان أبي بكر ملتصقا بالبيت ثم أخره عمر بن الخطاب . واخرج ابن سعد عن مجاهد قال : قال عمر بن الخطاب من له علم بموضع المقام حيث كان فقال ابو وداعة بن صبيرة السهمي عندي يا أمير المؤمنين قدرته الى الباب وقدرته الى ركن الحجر وقدرته الى الركن الاسود وقدرته فقال عمر هاته فأخذه عمر فرده الى موضعه اليوم للمقدار الذي جاء به أبو وداعة

(*) المقاط بوزن كتاب حبل شديد الفتل

(١) رواه الترمذي والحاكم من حديث ابن عمر وليس فيه ذكر مس المشركين بل فيه «طمس الله نورهما ولولا ذلك لأضاءتا ما بين المشرق والمغرب» قال الترمذي هذا يروى عن عبد الله بن عمر موقوفا وفيه عن أنس أيضا وهو حديث غريب وقال الذهبي في تلخيص مستدرك الحاكم بعد قول الحاكم تفرد به أيوب يعني ابن سويد « ضعفه احمد

ابن زيد بن أسلم (وعهدنا الى ابراهيم) أي أمرناه كذا قال والظاهر ان هذا الحرف انما عدي بالى لانه في معنى تقدمنا وأوحينا، وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس قوله (أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين) قال من الاوثان وقال مجاهد وسعيد بن جبير (طهرا بيتي للطائفين) ان ذلك من الاوثان والرفث وقول الزور والرجس. قال ابن أبي حاتم وروي عن عبيد بن عمير وأبي العالية وسعيد بن جبير ومجاهد وعطاء وقتادة (ان طهرا بيتي) أي بلا اله الا الله من الشرك وأما قوله تعالى (للطائفين) فالطواف بالبيت معروف. وعن سعيد بن جبير انه قال في قوله تعالى (للطائفين) يعني من أتاه من غربة (والعاكفين) المقيمين فيه، وهكذا روي عن قتادة والربيع بن أنس انهما فسرا العاكفين باهله المقيمين فيه كما قال سعيد بن جبير وقال يحيي القطان عن عبد الملك هو ابن أبي سليمان عن عطاء في قوله (والعاكفين) قال من انتابه من الامصار فاقام عنده وقال لنا ونحن مجاورون أنتم من العاكفين وقال وكيع عن أبي بكر الهذلي عن عطاء عن ابن عباس قال اذا كان جالسا فهو من العاكفين وقال ابن أبي حاتم أخبرنا أبي أخبرنا موسى بن اسماعيل أخبرنا حماد بن سلمة أخبرنا ثابت « قال قلنا لعبد الله بن عبيد ابن عمير ما أراني الا مكلم الامير أن امنع الذين ينامون في المسجد الحرام فانهم يجنبون ويحدثون . قال لا تفعل فان ابن عمر سئل عنهم فقال هم العاكفون . ورواه عبد بن حميد عن سليمان بن حرب عن حماد بن سلمة به (قلت) وقد ثبت في الصحيح ان ابن عمر كان ينام في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم وهو عزب. وأما قوله تعالى (والركع السجود) فقال وكيع عن أبي بكر الهذلي عن عطاء عن ابن عباس والركع السجود قال اذا كان مصليا فهو من الركع السجود وكذا قال عطاء وقتادة .

في يومه أربع في النهار ثم شرع ابن جرير يضعف هذين الحديثين فان كلا من السندين مشتمل على غير واحد من الضعفاء وهو كما قال فانه لا يجوز روايتهما (١)

قال ابن جرير رحمه الله فمعنى الآية وأمرنا ابراهيم واسماعيل بتطهير بيتي للطائفين والتطهير الذي امرهما به في البيت هو تطهيره من الاصنام وعبادة الاوثان فيه ومن الشرك ثم أورد سؤالا فقال فان قيل فهل كان قبل بناء ابراهيم عند البيت شيء من ذلك الذي أمر بتطهيره منه وأجاب بوجهين : (أحدهما) أنه أمرهما بتطهيره مما كان يعبد عنده زمان قوم نوح من الاصنام والاوثان ليكون ذلك سنة لمن بعدهما إذ كان الله تعالى قد جعل ابراهيم إماما يقتدى به كما قال عبد الرحمن بن زيد (أن طهرا بيتي) قال من الاصنام التي يعبدون التى كان المشركون يعظمونها (قلت) وهذا الجواب مفرع

وأوصينا اليهما قيل : سمي اسماعيل لان ابراهيم كان يدعو الله أن يرزقه ولدا ويقول : اسمع يا إيل وإيل هو الله فلما رزق الولد سماه به ﴿ أن طهرا بيتي ﴾ يعني الكعبة أضافه اليه تخصيصا وتفضيلا أي ابنياه على الطهارة والتوحيد ، وقال سعيد بن جبير وعطاء : طهراه من الاوثان والريب وقول الزور وقيل : بخراه وخلقاه قاله يمان بن رباب ، قرأ أهل المدينة وحفص بيتي بفتح الياء ههنا وفي سورة الحج وزاد حفص في سورة نوح ﴿ للطائفين ﴾ الدائرين حوله ﴿ والعاكفين ﴾ المقيمين المجاورين

(١) قوله : في يومه أربع في النهار لا معنى له والكلام تم قبله . وقوله بعده ثم شرع ابن جرير الخ لا محل له هنا وليس قبله حديثان ضعيفان . وهو وما قبله ليس في نسخة خزانة الجامع الازهر التى استعرناها عند البدء فى طبع هذا السياق

على أنه كان يعبد عنده أصنام قبل ابراهيم عليه السلام ويحتاج إثبات هذا الى دليل عن المعصوم محمد صلى الله عليه وسلم (الجواب الثاني) أنه امرهما أن يخلصا في بنائه لله وحده لا شريك له فيبنياه مطهرا من الشرك والريب كما قال جل ثناؤه (أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار) قال فكذلك قوله (وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل أن طهرا بيتي) أي ابنياه على طهر من الشرك بي والريب كما قال السدي (أن طهرا بيتي) ابنيا بيتي للطائفين، وملخص هذا الجواب أن الله تعالى أمر ابراهيم واسماعيل عليهما السلام أن يبنيا الكعبة على اسمه وحده لا شريك له للطائفين به والعاكفين عنده والمصلين اليه من الركع السجود كما قال تعالى (وإذ بوأنا لابراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود) الآيات (١)

وقد اختلف الفقهاء أيما أفضل الصلاة عند البيت أو الطواف به؟ فقال مالك رحمه الله: الطواف به لاهل الامصار أفضل. وقال الجمهور: الصلاة أفضل مطلقا، وتوجيه كل منهما يذكر في كتاب الاحكام، والمراد من ذلك الرد على المشركين الذين كانوا يشركون بالله عند بيته المؤسس على عبادته وحده لا شريك له ثم مع ذلك يصدون أهله المؤمنين عنه كما قال تعالى (إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد ＊ ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم) ثم ذكر أن البيت انما أسس لمن يعبد الله وحده لا شريك له إما بطواف أو صلاة فذكر في سورة الحج اجزاءها الثلاثة قيامها وركوعها وسجودها ولم يذكر العاكفين لانه تقدم (سواء العاكف فيه والباد) وفي هذه الآية الكريمة ذكر الطائفين والعاكفين واكتفى بذكر الركوع والسجود عن القيام لانه قد علم انه لا يكون ركوع ولا سجود الا بعد قيام وفي ذلك ايضا رد على من لا يحجه من اهل الكتابين اليهود والنصارى لانهم يعتقدون فضيلة ابراهيم الخليل واسماعيل ويعلمون انه بنى هذا البيت للطواف في الحج والعمرة وغير ذلك وللاعتكاف والصلاة عنده وهم لا يفعلون شيئا من ذلك فكيف يكونون مقتدين بالخليل وهم لا يفعلون ما شرع الله له؟ وقد حج البيت موسى بن عمران وغيره من الانبياء عليهم الصلاة والسلام كما اخبر بذلك المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى (إن هو الا وحي يوحى)

وتقدير الكلام اذا (وعهدنا الى ابراهيم) اي تقدمنا بوحينا الى ابراهيم واسماعيل (ان طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود) اي طهراه من الشرك والريب وابنياه خالصا لله معقلا للطائفين والعاكفين والركع السجود، وتطهير المساجد مأخوذ من هذه الآية الكريمة ومن قوله تعالى (في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال . .) ومن السنة من احاديث كثيرة من الامر بتطهيرها وتطييبها وغير ذلك من صيانتها من الاذى والنجاسات وما اشبه ذلك .

(١) هذا السياق نقله المؤلف عن ابن جرير بالمعنى لا باللفظ ولم يراع الترتيب بين الجوابين

﴿والركع﴾ جمع راكع ﴿السجود﴾ جمع ساجد وهم المصلون ، قال الكلبي ومقاتل: الطائفين هم الغرباء والعاكفين أهل مكة قال عطاء ومجاهد وعكرمة: الطواف للغرباء أفضل، والصلاة لاهل مكة أفضل ﴿وإذ قال ابراهيم رب اجعل هذا﴾ يعني مكة وقيل: الحرم ﴿بلدا آمنا﴾ أي ذا أمن يأمن

ولهذا قال عليه السلام «انما بنيت المساجد لما بنيت له» وقد جمعت في ذلك جزءاً على حدة ولله الحمد والمنة

وقد اختلف الناس في اول من بنى الكعبة فقيل الملائكة قبل آدم روي هذا عن ابي جعفر الباقر محمد بن علي بن الحسين ذكره القرطبي وحكى لفظه وفيه غرابة وقيل آدم عليه السلام رواه عبد الرزاق عن ابن جريج عن عطاء وسعيد بن المسيب وغيرهم ان آدم بناه من خمسة اجبل من حراء وطور سيناء وطور زيتا وجبل لبنان والجودي، وهذا غريب أيضا. وروي عن ابن عباس وكعب الاحبار وقتادة وعن وهب بن منبه ان اول من بناه شيث عليه السلام وغالب من يذكر هذا انما يأخذه من كتب اهل الكتاب وهي مما لا يصدق ولا يكذب ولا يعتمد عليها بمجردها واما اذا صح حديث في ذلك فعلى الرأس والعين

وقوله تعالى (وإذ قال ابراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق اهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر) قال الامام ابو جعفر بن جرير اخبرنا ابن بشار اخبرنا عبد الرحمن بن مهدي اخبرنا سفيان عن ابي الزبير عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ان ابراهيم حرم بيت الله وامنه وإني حرمت المدينة ما بين لابتيها فلا يصاد صيدها ولا يقطع عضاهها» وهكذا رواه النسائي عن محمد بن بشار عن بندار به واخرجه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة وعمرو بن الناقد كلاهما عن أبي احمد الزبيري عن سفيان الثوري وقال ابن جرير أيضا أخبرنا أبو كريب وأبو السائب قالا حدثنا ابن ادريس وأخبرنا أبو كريب أخبرنا عبد الرحيم الرازي قالا جميعا سمعنا اشعث عن نافع عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ان ابراهيم كان عبد الله وخليله وإني عبد الله ورسوله وإن ابراهيم حرم مكة وإني حرمت المدينة ما بين لابتيها عضاهها وصيدها لا يحمل فيها سلاح لقتال ولا يقطع منها شجرة الا لعلف بعير» وهذه الطريق غريبة ليست في شيء من الكتب الستة وأصل الحديث في صحيح مسلم من وجه آخر عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان الناس اذا رأوا أول الثمر جاؤا به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا أخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «اللهم بارك لنا في ثمرنا وبارك لنا في مدينتنا وبارك لنا في صاعنا وبارك لنا في مدنا، اللهم إن ابراهيم عبدك وخليلك ونبيك وإني عبدك ونبيك وإنه دعاك لمكة، وإني أدعوك للمدينة بمثل مادعاك لمكة ومثله معه» ثم يدعو أصغر وليد فيعطيه ذلك الثمر وفي لفظ «بركة مع بركة»(١) ثم يعطيه أصغر من يحضره من الولدان - لفظ مسلم. ثم قال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا قتيبة بن سعيد أخبرنا بكر بن مضر عن ابن الهاد عن أبي بكر بن محمد عن عبد الله بن عمرو بن عثمان عن رافع بن خديج قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ان ابراهيم حرم مكة وإني أحرم ما بين لابتيها» انفرد باخراجه مسلم فرواه عن قتيبة عن بكر بن مضر به ولفظه كلفظه سواء وفي الصحيحين عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي طلحة

فيه أهله ﴿ وارزق أهله من الثمرات ﴾ إنما دعا بذلك لانه كان بواد غير ذي زرع . وفي القصص ان الطائف كانت من بلاد الشام بأردن فلما دعا ابراهيم عليه السلام هذا الدعاء أمر الله تعالى جبريل

(١) ورد هذا اللفظ في رواية اخرى لمسلم هذا نصها «اللهم بارك لنا في مدينتنا وفي ثمارنا وفي مدنا وفي صاعنا بركة مع بركة»

«التمس لي غلامامن غلمانكم يخدمني فخرج بي أبوطلحة يردفني وراءه فكنت أخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم كلما نزل وقال في الحديث ثم أقبل حتى اذا بدا له أحد قال «هذا جبل يحبنا ونحبه» فلما أشرف على المدينة قال «اللهم إني أحرم مابين جبليها مثل ماحرم ابراهيم مكة اللهم بارك لهم في مدهم وصاعهم» وفي لفظ لهما «بارك لهم في مكيالهم و بارك لهم في صاعهم و بارك لهم في مدهم» زاد البخارى يعني اهل المدينة ولهما ايضا عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «اللهم اجعل بالمدينة ضعفي ما جعلته بمكة من البركة» وعن عبدالله بن زيد بن عاصم رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم «ان ابراهيم حرم مكة ودعا لها وحرمت المدينة كما حرم ابراهيم مكة ودعوت لها في مدها وصاعها مثل مادعا ابراهيم لمكة» رواه البخاري وهذا لفظه ولمسلم ولفظه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «ان ابراهيم حرم مكة ودعا لاهلها . واني حرمت المدينة كما حرم ابراهيم مكة واني دعوت في صاعها ومدها بمثلي مادعا به ابراهيم لاهل مكة» وعن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «اللهم إن ابراهيم حرم مكة فجعلها حراما واني حرمت المدينة حراما ما بين مأزميها ان لا يهراق فيها دم ولا يحمل فيها سلاح لقتال ولا يخبط فيها شجرة الا لعلف ، اللهم بارك لنا في مدينتنا اللهم بارك لنا في صاعنا اللهم بارك لنا في مدنا اللهم اجعل مع البركة بركتين» الحديث رواه مسلم ، والاحاديث في تحريم المدينة كثيرة وانما أوردنا منها ما هو متعلق بتحريم ابراهيم عليه السلام لمكة لما في ذلك من مطابقة الآية الكريمة . وتمسك بها من ذهب الى أن تحريم مكة انما كان على لسان ابراهيم الخليل وقيل انها محرمة منذ خلقت مع الارض وهذا أظهر وأقوى والله أعلم .

وقد وردت أحاديث أخر تدل على ان الله تعالى حرم مكة قبل خلق السموات والارض كما جاء في الصحيحين عن عبدالله ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة «إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والارض فهو حرام بحرمة الله الى يوم القيامة . وإنه لم يحل القتال فيه لاحد قبلي ولم يحل لي الا ساعة من نهار فهو حرام بحرمة الله الى يوم القيامة ، لا يعضد شوكه ولا ينفر صيده ولا يلتقط لقطته الا من عرفها ولا يختلى خلاها» فقال العباس : يارسول الله الا الاذخر فانه لقينهم ولبيوتهم فقال «الا الاذخر» وهذا لفظ مسلم ولهما عن أبي هريرة نحو من ذلك . ثم قال البخاري بعد ذلك: وقال ابان بن صالح عن الحسن بن مسلم عن صفية بنت شيبة : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم مثله وهذا الذي علقه البخاري رواه الامام أبو عبدالله بن ماجه عن محمد بن عبدالله بن نمير عن يونس بن بكير عن محمد بن اسحق عن ابان بن صالح عن الحسن بن مسلم بن يناق عن صفية بنت شيبة قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب عام الفتح فقال «يأيها الناس ان الله حرم

عليه السلام حتى قلعها من أصلها وأدارها حول البيت سبعا ثم وضعها موضعها الذى هي الآن فيه فمنها أكثر ثمرات مكة ﴿ من آمن منهم بالله واليوم الآخر ﴾ دعاء للمؤمنين خاصة ﴿ قال ﴾ الله تعالى ﴿ ومن كفر فأمتعه ﴾ قرأ ابن عامر فأمتعه خفيفا بضم الهمزة والباقون مشددا ومعناهما واحد ﴿ قليلا ﴾ أي

مكة يوم خلق السموات والارض فهي حرام الى يوم القيامة لا يعضد شجرها ولا ينفر صيدها ولا يأخذ لقطتها الا منشد » فقال العباس : الا الاذخر فانه للبيوت والقبور ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إلا الاذخر» وعن ابي شريح العدوي أنه قال لعمرو بن سعيد وهو يبعث البعوث الى مكة إئذن لي أيها الامير ان أحدثك قولا قام به رسول الله صلى الله عليه وسلم الغد من يوم الفتح سمعته أذناي ووعاه قلبي وأبصرته عيناي حين تكلم به ـ إنه حمد الله وأثنى عليه ثم قال « إن مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس فلا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دما ولا يعضد بها شجرة فان أحد ترخص بقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقولوا ان الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم. وانما أذن لي فيها ساعة من نهار وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالامس فليبلغ الشاهد الغائب » فقيل لابي شريح ما قال لك عمرو ؟ قال أنا أعلم بذلك منك يا أبا شريح، ان الحرم لا يعيذ عاصيا ولا فارا بدم ولا فارا بخربة (١) رواه البخاري ومسلم وهذا لفظه

فاذا علم هذا فلا منافاة بين هذه الاحاديث الدالة على ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض وبين الاحاديث الدالة على أن ابراهيم عليه السلام حرمها لان ابراهيم بلغ عن الله حكمه فيها وتحريمه إياها وأنها لم تزل بلدا حراما عند الله قبل بناء ابراهيم عليه السلام لها ، كما أنه قد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مكتوبا عند الله خاتم النبيين وان آدم لمنجدل في طينته ومع هذا قال ابراهيم عليه السلام (ربنا وابعث فيهم رسولا منهم) الآية وقد أجاب الله دعاءه بما سبق في علمه وقدره . ولهذا جاء في الحديث أنهم قالوا يارسول الله أخبرنا عن بدء أمرك . فقال «دعوة أبي ابراهيم عليه السلام وبشرى عيسى بن مريم ورأت أمي كأنه خرج منها نور أضاء له قصور الشام » أي أخبرنا عن بدء ظهور أمرك كما سيأتي قريبا إن شاء الله :

وأما مسئلة تفضيل مكة على المدينة كما هو قول الجمهور أو المدينة على مكة كما هو مذهب مالك وأتباعه فتذكر في موضع آخر بأدلتها إن شاء الله وبه الثقة . وقوله تعالى أخبارا عن الخليل أنه قال (رب اجعل هذا بلدا آمنا) أي من الخوف لا يرعب أهله وقد فعل الله ذلك شرعا وقدرا . كقوله تعالى (ومن دخله كان آمنا) وقوله (أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم) الى غير ذلك من الآيات وقد تقدمت الاحاديث في تحريم القتال فيه . وفي صحيح مسلم عن جابر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «لا يحل لاحد أن يحمل بمكة السلاح » وقال في هذه السورة (رب اجعل هذا بلدا آمنا) أي اجعل هذه البقعة بلدا آمنا وناسب هذا لانه قبل بناء الكعبة .وقال تعالى في سورة ابراهيم (واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا) وناسب هذا هناك لانه والله أعلم كأنه وقع دعاء مرة ثانية بعد بناء البيت واستقرار أهله به وبعد مولد اسحق الذى هو أصغر سنا من

(١) الخربة بفتح الخاء وضمها لغة ـ وسكون الراء الجناية اصله سرقة الابل عمم

سأرزق الكافر أيضا قليلا الى منتهى أجله وذلك ان الله تعالى وعد الرزق الخلق كافة مؤمنهم وكافرهم وانما قيد بالقلة لان متاع الدنيا قليل ﴿ ثم أضطره ﴾ أي ألجئه في الآخرة ﴿ إلى عذاب النار وبئس

اسماعيل بثلاث عشرة سنة ، ولهذا قال في آخر الدعاء ، الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسماعيل واسحق ان ربي لسميع الدعاء ،

وقوله تعالى (وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال ومن كفر فأمتعه قليلا ثم اضطره الى عذاب النار وبئس المصير) قال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب (قال ومن كفر فأمتعه قليلا ثم أضطره الى عذاب النار وبئس المصير) قال هو قول الله تعالى وهذا قول مجاهد وعكرمة وهو الذي صوّبه ابن جرير رحمه الله . قال وقرأ آخرون (قال ومن كفر فأمتعه قليلا ثم اضطره الى عذاب النار وبئس المصير) فجعلوا ذلك من تمام دعاء ابراهيم كما رواه أبو جعفر عن الربيع عن أبي العالية قال كان ابن عباس يقول ذلك قول ابراهيم يسأل ربه ان من كفر فأمتعه قليلا ، وقال أبو جعفر عن ليث بن أبي سليم عن مجاهد (ومن كفر فأمتعه قليلا) يقول ومن كفر فأرزقه رزقا قليلا أيضا (ثم اضطره الى عذاب النار وبئس المصير) قال محمد بن إسحق لما عنّ لابراهيم الدعوة على من أبى الله ان يجعل له الولاية انقطاعا الى الله ومحبته ، وفراقا لمن خالف أمره وإن كانوا من ذريته ، حين عرف انه كائن منهم ظالم لا يناله عهده بخبر الله له بذلك ، قال الله تعالى ومن كفر فاني أرزق البر والفاجر وأمتعه قليلا ، وقال حاتم بن اسماعيل عن حميد الخراط عن عمار الدهني عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله تعالى (رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر) قال ابن عباس كان ابراهيم يحجرها على المؤمنين دون الناس فأنزل الله ومن كفر أيضا أرزقهم كما أرزق المؤمنين ، أأخلق خلقا لا أرزقهم ؟ أمتعهم قليلا ثم أضطرهم الى عذاب النار وبئس المصير . ثم قرأ ابن عباس (كلاّ نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا) رواه ابن مردويه وروي عن عكرمة ومجاهد نحو ذلك أيضا وهذا كقوله تعالى (ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع في الدنيا ثم الينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون) وقوله تعالى (ومن كفر فلا يحزنك كفره الينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا ان الله عليم بذات الصدور * نمتعهم قليلا ثم نضطرهم الى عذاب غليظ) وقوله (ولولا ان يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون * ولبيوتهم أبوابا وسررا عليها يتكؤن * وزخرفا وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين) وقوله (ثم أضطرّه الى عذاب النار وبئس المصير) أي ثم ألجئه بعد متاعه في الدنيا وبسطنا عليه من ظلها الى عذاب النار وبئس المصير ، ومعناه ان الله تعالى ينظرهم ويمهلهم ثم يأخذهم أخذ عزيز مقتدر كقوله تعالى (وكأين من قرية أمليت لها وهي ظالمة ثم أخذتها والي المصير) وفي الصحيحين « لا أحد اصبر على اذى سمعه من الله انهم يجعلون له ولدا وهو يرزقهم ويعافيهم » وفي الصحيح ايضا « ان الله ليملي للظالم حتى اذا اخذه لم يفلته » ثم قرأ قوله تعالى (وكذلك أخذ ربك اذا

المصير ﴾ أي المرجع يصير اليه قال مجاهد : وجد عند المقام كتاب فيه : أنا الله ذو بكة صنعتها يوم خلقت الشمس والقمر ، وحرمتها يوم خلقت السموات والارض ، وحففتها بسبعة أفلاك حنفاء ،

أخذ القرى وهي ظالمة ان أخذه أليم شديد) وقرأ بعضهم (قال ومن كفر فأمتعه قليلا) الآية جعله من تمام دعاء ابراهيم وهي قراءة شذة مخالفة للقراء السبعة وتركيب السياق يأبى معناها والله أعلم فان الضمير في قال راجع الى الله تعالى في قراءة الجمهور والسياق يقتضيه وعلى هذه القراءة الشاذة يكون الضمير في قال عائدا على ابراهيم وهذا خلاف نظم الكلام والله سبحانه هو العلام ٭

وأما قوله تعالى (وإذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل: ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم ٭ ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا انك أنت التواب الرحيم) فالقواعد جمع قاعدة وهي السارية والاساس يقول تعالى واذكر يا محمد لقومك بناء ابراهيم واسماعيل عليهما السلام البيت ورفعهما القواعد منه وهما يقولان (ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم) وحكى القرطبي وغيره عن أبي وابن مسعود انهما كانا يقرآن (واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل) ويقولان (ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم) (قلت) ويدل على هذا قولهما بعده (ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك) الآية فهما في عمل صالح وهما يسألان الله تعالى أن يتقبل منهما كما روى ابن أبي حاتم من حديث محمد بن يزيد بن خنيس المكي عن وهيب بن الورد انه قرأ (وإذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسمعيل ربنا تقبل منا) ثم يبكي ويقول ياخليل الرحمن ترفع قوائم بيت الرحمن وأنت مشفق أن لا يتقبل منك . وهذا كما حكى الله عن حال المؤمنين الخالص في قوله والذين يؤتون ما آتوا) أي يعطون ما أعطوا من الصدقات والنفقات والقربات (وقلوبهم وجلة) أي خائفة أن لا يتقبل منهم كما جاء به الحديث الصحيح عن عائشة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما سيأتي في موضعه . وقال بعض المفسرين الذي كان يرفع القواعد هو ابراهيم والداعي اسمعيل والصحيح أنهما كانا يرفعان ويقولان كما سيأتي بيانه . وقد روى البخاري ههنا حديثا سنورده ثم نتبعه بآثار متعلقة بذلك . قال البخاري رحمه الله : حدثنا عبد الله بن محمد أخبرنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن أيوب السختياني وكثير بن كثير بن المطلب بن أبي وداعة ـ يزيد أحدهما على الآخر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : أول ما اتخذ النساء المنطق من قبل أم اسماعيل اتخذت منطقا لتعفى أثرها على سارة ثم جاء بها ابراهيم وبابنها اسماعيل وهي ترضعه حتى وضعهما عند البيت عند دوحة فوق زمزم في أعلى المسجد وليس بمكة يومئذ أحد وليس بها ماء فوضعهما هنالك ووضع عندهما جرابا فيه تمر وسقاء فيه ماء ثم قفا ابراهيم منطلقا فتبعته أم اسمعيل فقالت يا ابراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه أنيس ؟ ولا شيء فقالت له ذلك مرارا وجعل لا يلتفت اليها ، فقالت الله آمرك بهذا ؟ قال نعم ، قالت : اذا لا يضيعنا . ثم رجعت فانطلق ابراهيم حتى اذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت، ثم دعا بهذه الدعوات

يأتيها رزقها من ثلاثة سبل ، مباركا لها في اللحم والماء ٭ قوله عز وجل ﴿ وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ﴾ قال الرواة : إن الله تعالى خلق موضع البيت قبل الارض بألفي عام ، وكانت

ورفع يديه فقال (ربنا اني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم) حتى بلغ (يشكرون) وجعلت أم اسماعيل ترضع اسماعيل وتشرب من ذلك الماء حتى اذا نفد ما في السقاء عطشت وعطش ابنها وجعلت تنظر اليه يتلوى - أو قال يتلبط - فانطلقت كراهية ان تنظر اليه فوجدت الصفا أقرب جبل في الارض يليها فقامت عليه ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحدا فلم تر أحدا « فهبطت من الصفا حتى اذا بلغت الوادي رفعت طرف درعها ثم سعت سعي الانسان المجهود حتى جاوزت الوادي ثم أتت المروة فقامت عليها فنظرت هل ترى أحدا، فلم تر أحدا ففعلت ذلك سبع مرات ، قال ابن عباس : قال النبي صلى الله عليه وسلم « فلذلك سعى الناس بينهما » فلما أشرفت على المروة سمعت صوتا فقالت «صه» - تريد نفسها - ثم تسمعت فسمعت أيضا، فقالت: قد أسمعت ان كان عندك غواث (١) فاذا هي بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه أو قال بجناحه حتى ظهر الماء فجعلت تحوضه وتقول بيدها هكذا وجعلت تغرف من الماء في سقائها وهو يفور بعد ما تغرف ، قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم «يرحم الله أم اسماعيل لو تركت زمزم - أو قال لو لم تغرف من الماء - لكانت زمزم عينا معينا » قال فشربت وأرضعت ولدها فقال لها الملك لا تخافي الضيعة فان ههنا بيتا لله يبنيه هذا الغلام وأبوه وأن الله لا يضيع أهله ، وكان البيت مرتفعا من الارض كالرابية تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وشماله فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جرهم أو أهل بيت من جرهم مقبلين من طريق كداء فنزلوا في أسفل مكة فرأوا طائرا عائفا فقالوا إن هذا الطائر ليدور على ماء لعهدنا بهذا الوادي وما فيه ماء فأرسلوا جريا أو جريين فاذا هم بالماء فرجعوا فأخبروهم بالماء فأقبلوا قال وأم اسماعيل عند الماء فقالوا أتأذنين لنا أن ننزل عندك قالت : نعم ولكن لا حق لكم في الماء عندنا قالوا: نعم قال ابن عباس: قال النبي صلى الله عليه وسلم «فألفى ذلك أم اسماعيل وهي تحب الانس»(٢) فنزلوا وأرسلوا الى أهليهم فنزلوا معهم حتى اذا كان بها أهل أبيات منهم وشب الغلام وتعلم العربية منهم وأنفسهم وأعجبهم حين شب فلما ادرك زوجوه امرأة منهم وماتت أم اسماعيل فجاء ابراهيم بعد ما تزوج اسماعيل يطالع تركته فلم يجد اسماعيل فسأل امرأته عنه فقالت : خرج يبتغي لنا ثم سألها عن عيشهم وهيئتهم فقالت: نحن بشر نحن في ضيق وشدة فشكت اليه قال : فاذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام وقولي له يغير عتبة بابه، فلما جاء اسماعيل كأنه آنس شيئا فقال « هل جاءكم من أحد ؟ قالت : نعم جاءنا شيخ كذا وكذا فسألنا عنك فأخبرته وسألني كيف عيشنا ؟ فأخبرته أننا في جهد وشدة قال : فهل أوصاك بشيء ؟ قالت نعم أمرني أن اقرأ عليك السلام ويقول غير عتبة بابك قال « ذاك أبي وقد أمرني أن افارقك فالحقي بأهلك، وطلقها وتزوج منهم أخرى فلبث عنهم

(١) رواه الاكثر بفتح الغين وبعضهم بالضم وبالكسر

(٢) أي فوجد ذلك الحي ام اسماعيل وهي تحب الأنس روي بضم الهمزة وبكسرها

زبدة بيضاء على الماء فدحيت الارض من تحتها فلما أهبط الله آدم الى الارض استوحش فشكا الى الله تعالى فأنزل الله البيت المعمور من ياقوتة من يواقيت الجنة له بابان من زمرد أخضر باب شرقي وباب غربي فوضعه على موضع البيت وقال: يا آدم إني أهبطت لك بيتا تطوف به كما يطاف حول عرشي

ابراهيم ما شاء الله ثم أتاهم بعد فلم يجده فدخل على امرأته فسألها عنه فقالت خرج يبتغي لنا قال كيف أنتم؟ وسألها عن عيشهم وهيئتهم؟ فقالت : نحن بخير وسعة وأثنت على الله عز وجل قال ماطعامكم ؟ قالت اللحم قال فماشرابكم ؟ قالت الماء. قال «اللهم بارك لهم في اللحم والماء» قال النبي صلى الله عليه وسلم « ولم يكن لهم يومئذ حب ولو كان لهم لدعا لهم فيه ــ قال ــ فهما لايخلو عليهما أحد بغير مكة الا لم يوافقاه(١) قال فاذاجاء زوجك فاقرئي عليه السلام ومريه يثبت عتبة بابه(١) فلما جاء اسماعيل قال هل أتاكم من أحد ؟ قالت : نعم أتانا شيخ حسن الهيئة وأثنت عليه فسألني عنك فأخبرته فسألني كيف عيشنا ؟ فأخبرته أنا بخير قال : فأوصاك بشيء ؟ قالت : نعم هو يقرأ عليك السلام ويأمرك أن تثبت عتبة بابك قال : ذاك أبي وأنت العتبة أمرني أن أمسكك ، ثم لبث عنهم ما شاء الله ثم جاء بعد ذلك واسماعيل يبري نبلا له تحت دوحة قريبا من زمزم فلما رآه قام اليه وصنعا كما يصنع الوالد بالولد والولد بالوالد ثم قال : يا إسماعيل إن الله أمرني بأمر قال : فاصنع ما أمرك ربك قال : وتعينني قال : وأعينك قال : فان الله أمرني أن أبني ههنا بيتا وأشار الى أكمة مرتفعة على ما حولها قال : فمنذ ذلك رفعا القواعد من البيت فجعل اسماعيل يأتي بالحجارة وابراهيم يبني حتى اذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر (٢) فوضعه له فقام عليه وهو يبني واسماعيل يناوله الحجارة وهما يقولان (ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم) قال : فجعلا يبنيان حتى يدورا حول البيت وهما يقولان (ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم) ورواه عبد بن حميد عن عبد الرزاق به مطولا ، ورواه ابن أبي حاتم عن ابي عبد الله محمد بن حماد الطبراني وابن جرير عن احمد بن ثابت الرازي كلاهما عن عبد الرزاق به مختصرا .

وقال أبو بكر بن مردويه أخبرنا اسماعيل بن علي بن اسماعيل اخبرنا بشر بن موسى أخبرنا احمد بن محمد الازرقي اخبرنا مسلم بن خالد الزنجي عن عبد الملك بن جريج عن كثير بن كثير قال : كنت أنا وعثمان بن أبي سليمان وعبد الله بن عبد الرحمن بن أبي حسين في ناس مع سعيد بن جبير في أعلى المسجد ليلا فقال سعيد بن جبير : سلوني قبل أن لا تروني فسألوه عن المقام فأنشأ يحدثهم عن ابن عباس فذكر الحديث بطوله ،

ثم قال البخاري حدثنا عبد الله بن محمد اخبرنا أبو عامر عبد الملك بن عمرو أخبرنا ابراهيم بن نافع عن كثير بن كثير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما كان بين ابراهيم و بين أهله ما كان خرج باسماعيل وأم اسماعيل ومعهم شنة فيها ماء فجعلت أم اسماعيل تشرب من الشنة فيدر لبنها على صبيها حتى قدم مكة فوضعهما تحت دوحة ثم رجع ابراهيم الى أهله فاتبعته أم اسماعيل حتى بلغوا كداء نادته من ورائه يا إبراهيم الى من تتركنا ؟ قال : الى الله. قالت

تصلي عنده كما يصلى عند عرشي وأنزل الحجر وكان أبيض فاسود من لمس الحيض في الجاهلية فتوجه آدم من أرض الهند الى مكة ماشيا وقيض الله له ملكا يدله على البيت فحج البيت وأقام المناسك فلما فرغ تلقته الملائكة وقالوا: برّ حجك يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بألفي عام. قال ابن عباس

(١) يعني أن المواظبة على أكل اللحم واللبن وحدهما لا يوافق امزجة الناس وقد ثبت عند الاطباء أن كثرة أكل اللحم سبب لعدة امراض وخلا بالشيء : لم يخالط به غيره

(٢) أي الحجر الذي سمي بعد ذلك مقام ابراهيم

رضيت بالله قال : فرجعت فجعلت تشرب من الشنة ويدر لبنها على صبيها حتى لما فني الماء قالت : لو ذهبت فنظرت لعلي أحس أحدا فذهبت فصعدت الصفا فنظرت هل تحس أحدا فلم تحس أحدا فلما بلغت الوادي سعت حتى أتت المروة وفعلت ذلك أشواطا حتى أتمت سبعا ثم قالت لو ذهبت فنظرت ما فعل الصبي فذهبت فنظرت فاذا هو على حاله كأنه ينشغ للموت فلم تقرها نفسها فقالت : لو ذهبت فنظرت لعلي أحس أحدا فذهبت فصعدت الصفا فنظرت ونظرت فلم تحس أحدا حتى أتمت سبعا ، ثم قالت : لو ذهبت فنظرت ما فعل فاذا هي بصوت فقالت : أغث ان كان عندك خير فاذا جبريل عليه السلام قال: فقال بعقبه هكذا وغمز عقبه على الارض قال فانبثق الماء فدهشت أم اسماعيل فجعلت تحفر قال : فقال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم « لو تركته لكان الماء ظاهرا » قال فجعلت تشرب من الماء ويدر لبنها على صبيها قال فمر ناس من جرهم ببطن الوادي فاذا هم بطير كأنهم أنكروا ذلك وقالوا مايكون الطير الا على ماء فبعثوا رسولهم فنظر فاذا هو بالماء فأتاهم فأخبرهم فأتوا اليها فقالوا: يا أم اسماعيل أتأذنين لنا أن نكون معك ونسكن معك؟ (١) فبلغ ابنها ونكح منهم امرأة (٢) قال ثم انه بدا لابراهيم صلى الله عليه وسلم فقال لاهله: إني مطلع تركتي قال فجاء فسلم فقال أين اسماعيل ؟ قالت امرأته ذهب يصيد قال : قولي له اذا جاء غير عتبة بابك فلما أخبرته قال أنت ذاك فاذهبي إلى أهلك ، قال ثم انه بدا لابراهيم فقال اني مطلع تركتي قال فجاء فقال أين اسماعيل؟ فقالت امرأته ذهب يصيد فقالت ألا تنزل فتطعم وتشرب فقال ما طعامكم وما شرابكم قالت طعامنا اللحم وشرابنا الماء قال اللهم بارك لهم في طعامهم وشرابهم قال : فقال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم « بركة بدعوة ابراهيم » قال ثم انه بدا لابراهيم صلى الله عليه وسلم فقال لاهله إني مطلع تركتي فجاء فوافق اسماعيل من وراء زمزم يصلح نبلا له فقال يا اسماعيل إن ربك عز وجل أمرني أن أبني له بيتا فقال أطع ربك عز وجل (٣) قال انه قد أمرني أن تعينني عليه فقال إذن أفعل ـ أو كما قال ـ قال فقام فجعل ابراهيم يبني واسماعيل يناوله الحجارة ويقولان (ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم) قال حتى ارتفع البناء وضعف الشيخ عن نقل الحجارة فقام على حجر المقام فجعل يناوله الحجارة ويقولان (ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم) هكذا رواه من هذين الوجهين في كتاب الانبياء .

والعجب أن الحافظ ابا عبد الله الحاكم رواه في كتابه المستدرك عن ابي العباس الاصم عن محمد بن سنان القزاز عن ابي علي عبيد الله بن عبد الحنفي عن ابراهيم بن نافع به وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه كذا قال ، وقد رواه البخاري كما ترى من حديث ابراهيم بن نافع وكان فيه اختصارا فانه لم يذكر فيه شأن الذبح ، وقد جاء في الصحيح أن قرني الكبش كانا معلقين بالكعبة وقد جاء ان

(١) حذف الراوي من هنا ما علم من الرواية السابقة

(٢) نص متن البخاري : فنكح فيهم امرأة

(٣) ليس في متن البخاري لفظ عز وجل في الموضعين

رضي الله عنهما : حج آدم أربعين حجة من الهند الي مكة فكان على ذلك الى أيام الطوفان فرفعه الله تعالى الى السماء الرابعة يدخله كل يوم سبعون الف ملك ثم لا يعودون اليه الى يوم القيامة وبعث جبريل عليه السلام حتى خبأ الحجر الاسود في جبل أبي قبيس صيانة له من الغرق فكان

ابراهيم عليه السلام كان يزور أهله بمكة على البراق سريعا ثم يعود الى أهله بالبلاد المقدسة والله أعلم والحديث - والله أعلم - انما فيه مرفوع أماكن صرح بها ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم

وقد ورد عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في هذا السياق مايخالف بعض هذا كما قال ابن جرير حدثنا محمد بن بشار ومحمد بن المثنى قالا : أخبرنا مؤمل أخبرنا سفيان عن أبي اسحق عن حارثة بن مضرب عن علي بن أبي طالب قال : لما أمر ابراهيم ببناء البيت خرج معه اسماعيل وهاجر قال : فلما قدم مكة رأى على رأسه في موضع البيت مثل الغمامة فيه مثل الرأس فكلمه قال : يا إبراهيم ابن على ظلي أو قال على قدري ولا تزد ولا تنتقص فلما بنى خرج وخلف اسماعيل وهاجر فقالت هاجر يا ابراهيم الى من تكلنا ؟ قال : الى الله قالت : انطلق فانه لا يضيعنا قال : فعطش اسماعيل عطشا شديدا قال : فصعدت هاجر الى الصفا فنظرت فلم تر شيئا حتى أتت المروة فلم تر شيئا ، ثم رجعت الى الصفا فنظرت فلم تر شيئا ففعلت ذلك سبع مرات فقالت: يا إسماعيل مت حيث لا أراك، فأتته وهو يفحص برجله من العطش فناداها جبريل فقال لها : من أنت ؟ قالت : أنا هاجر أم ولد ابراهيم قال: فالى من وكلكما ؟ قالت : وكلنا الى الله، قال : وكلكما الى كاف قال: ففحص الارض بأصبعه فنبعت زمزم فجعلت تحبس الماء فقال : دعيه فانه روي(١) ففي هذا السياق انه بنى البيت قبل أن يفارقهما وقد يحتمل أنه كان محفوظا أن يكون أولا وضع له حوطا وتحجيراً لا نه بناه الى أعلاه حتى كبر اسماعيل فبنياه معا كما قال الله تعالى .

ثم قال ابن جرير أخبرنا هناد بن السري حدثنا أبو الاحوص عن سماك عن خالد بن عرعرة ان رجلا قام الى علي رضي الله عنه فقال ألا تخبرني عن البيت أهو أول بيت وضع في الارض؟ فقال لا، ولكنه أول بيت وضع في البركة مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا وان شئت أنبأتك كيف بني، ان الله أوحى الى ابراهيم ان ابن لي بيتا في الارض فضاق ابراهيم بذلك ذرعا فأرسل الله السكينة وهي ريح خجوج ولها رأسان فاتبع احدهما صاحبه حتى انتهت الى مكة فتطوت على موضع البيت كطي(٢) الحجفة وامر ابراهيم ان يبني حيث تستقر السكينة فبنى ابراهيم وبقي الحجر فذهب الغلام شيئا فقال ابراهيم ابغني حجرا كما آمرك قال فانطلق الغلام يلتمس له حجرا فأتاه به فوجده قد ركب الحجر الاسود في مكانه فقال يا أبت من أتاك بهذا الحجر؟ فقال أتاني به من لم يتكل على بنائك جاء به جبريل عليه السلام من السماء فأتمه .

وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عبدالله بن يزيد المقري أخبرنا سفيان عن بشر بن عاصم عن سعيد بن المسيب عن كعب الاحبار قال: كان البيت غثاءة على الماء قبل ان يخلق الله الارض بأربعين عاما ومنه دحيت الارض . قال سعيد : وحدثنا علي بن أبي طالب ان ابراهيم أقبل من أرض أرمينية ومعه السكينة تدله

موضع البيت خاليا الى زمن ابراهيم ثم ان الله تعالى أمر ابراهيم بعد ما ولد له اسماعيل واسحق ببناء بيت يذكر فيه فسأل الله عز وجل أن يبين له موضعه فبعث الله السكينة لتدله على موضع البيت وهي ريح خجوج لها رأسان شبه الحية فأمر ابراهيم ان يبني حيث تستقر السكينة فتبعها ابراهيم حتى أتيا

(١) كذا في النسخة المطبوعة وضبط بتشديد الواو ولعله للياء. وفي نسخة خزانة الازهر وتفسير ابن كثير : دعيه فانها رواء

(٢) وفي ابن جرير كتطوي

على تبوىء البيت كما تتبوأ العنكبوت بيتا ، قال : فكشفت عن أحجار لا يطيق الحجر الا ثلاثون رجلا فقلت يا أبا محمد فان الله يقول (واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسمعيل) قال كان ذلك بعد وقال السدي : ان الله عز وجل أمر ابراهيم ان يبني البيت هو واسمعيل أبنيا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود . فانطلق ابراهيم حتى أتى مكة فقام هو واسماعيل وأخذا المعاول لا يدريان أين البيت فبعث الله ريحا يقال لها الريح الخجوج لها جناحان ورأس في صورة حية فكشفت لهما ما حول الكعبة عن أساس البيت الاول واتبعاها بالمعاول يحفران حتى وضعا الاساس فذلك حين يقول تعالى (واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت ـ واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت) فلما بنيا القواعد فبلغا مكان الركن . قال ابراهيم لاسماعيل : يا بني اطلب لي حجرا حسنا أضعه ههنا . قال يا أبت اني كسلان لغب . قال على ذلك فانطلق يطلب له حجرا وجاءه جبريل بالحجر الاسود من الهند وكان أبيض ياقوتة بيضاء مثل الثغامة وكان آدم هبط به من الجنة فاسود من خطايا الناس فجاءه اسماعيل بحجر[1] فوجده عند الركن ، فقال يا أبت من جاءك بهذا ؟ قال جاء به من هو أنشط منك ، فبنيا وهما يدعوان الكلمات التي ابتلى ابراهيم ربه ، فقال (ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم) وفي هذا السياق ما يدل على ان قواعد البيت كانت مبنية قبل ابراهيم وانما هدى ابراهيم اليها وبوىء لها ، وقد ذهب الى هذا ذاهبون كما قال الامام عبد الرزاق أخبرنا معمر عن أيوب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس (واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت) قال القواعد التي كانت قواعد البيت قبل ذلك ، وقال عبد الرزاق أيضا أخبرنا هشام بن حسان عن سوار ختن عطاء عن عطاء بن أبي رباح قال : لما أهبط آدم من الجنة كانت رجلاه في الارض ورأسه في السماء يسمع كلام أهل السماء ودعاءهم يأنس اليهم فهابت الملائكة حتى شكت الى الله في دعائها وفي صلاتها فخفضه الله تعالى الى الارض ، فلما فقد ما كان يسمع منهم استوحش حتى شكا ذلك الى الله في دعائه وفي صلاته فوجه الى مكة فكان موضع قدميه قرية وخطوه مفازة حتى انتهى الى مكة وأنزل الله ياقوتة من ياقوت الجنة فكانت على موضع البيت الآن فلم يزل يطوف به حتى أنزل الله الطوفان فرفعت تلك الياقوتة حتى بعث الله ابراهيم عليه السلام فبناه . وذلك قول الله تعالى (واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت) وقال عبد الرزاق أخبرنا ابن جريج عن عطاء قال : قال آدم اني لا أسمع أصوات الملائكة ، قال بخطيئتك ولكن اهبط الى الارض فابن لي بيتا ثم احفف به كما رأيت الملائكة تحف ببيتي الذي في السماء فيزعم الناس انه بناه (١) من خمسة أجبل من حراء وطور زيتا وطور سيناء والجودي ، وكان ربضه من حراء فكان هذا بناء آدم حتى بناه ابراهيم عليه السلام بعد ، وهذا صحيح الى عطاء ولكن في بعضه نكارة والله أعلم

وقال عبد الرزاق أيضا أخبرنا معمر عن قتادة قال : وضع الله البيت مع آدم أهبط الله آدم الى

(١) المعدود اربعة كما ذكر مصحح الطبعة الاولى وتقدم فى رواية اخرى أن الخامس لبنان. وذلك مما لا يعلم إلا بحديث مرفوع ولم يرد فتعين انه من الاسرائيليات

مكة فتطوقت السكينة على موضع البيت كتطوق الجحفة هذا قول علي والحسن ، وقال ابن عباس[1] بعث الله به سحابة على قدر الكعبة فجعلت تسير وابراهيم يمشي في ظلها الى أن وافق مكة ووقفت

الارض ، وكان مهبطه بأرض الهند وكان رأسه في السماء ورجلاه في الارض فكانت الملائكة تهابه فنقص الى ستين ذراعا فحزن آدم اذ فقد أصوات الملائكة وتسبيحهم ، فشكا ذلك الى الله عز وجل فقال الله يا آدم إني قد أهبطت لك بيتا تطوف به كما يطاف حول عرشي وتصلي عنده كما يصلى عند عرشي ، فانطلق اليه آدم فخرج ومدله في خطوه، فكان بين كل خطوتين مفازة فلم تزل تلك المفازة بعد ذلك ، فأتى آدم البيت فطاف به ومن بعده من الانبياء .

وقال ابن جرير: أخبرنا ابن حميد أخبرنا يعقوب العمي عن حفص بن حميد عن عكرمة عن ابن عباس قال: وضع الله البيت على أركان الماء على أربعة أركان قبل ان تخلق الدنيا بألفي عام ، ثم دحيت الارض من تحت البيت وقال محمد بن اسحق حدثني عبد الله بن أبي نجيح عن مجاهد وغيره من أهل العلم، ان الله لما بوأ ابراهيم مكان البيت خرج اليه من الشام اوخرج معه باسماعيل وبأمه هاجر واسماعيل طفل صغير يرضع وحملوا فيما حدثني على البراق ومعه جبريل يدله على موضع البيت ومعالم الحرم ، وخرج معه جبريل فكان لا يمرّ بقرية الا قال : أبهذا أمرت ياجبرائيل؟ فيقول جبريل امضه، حتى قدم به مكة وهي اذ ذاك عضاه وسلم وسمر (١) بها أناس يقال لهم العماليق خارج مكة وما حولها ، والبيت يومئذ ربوة حمراء مدره فقال ابراهيم لجبريل : أهنا أمرت أن أضعهما ؟ قال نعم ، فعمد بهما الى موضع الحجر فأنزلها فيه وأمر هاجر أم اسمعيل ان تتخذ فيه عريشا فقال (ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم) الى قوله (لعلهم يشكرون) وقال عبد الرزاق أخبرنا هشام ابن حسان أخبرني حميد عن مجاهد قال : خلق الله موضع هذا البيت قبل أن يخلق شيئا بألفي سنة وأركانه في الارض السابعة ، وكذا قال ليث بن أبي سليم عن مجاهد القواعد في الارض السابعة . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي أخبرنا عمرو بن رافع أخبرنا عبد الوهاب بن معاوية عن عبد المؤمن بن خالد عن علياء بن أحمر ان ذا القرنين قدم مكة فوجد ابراهيم واسمعيل يبنيان قواعد البيت من خمسة أجبل . فقال مالكما ولارضنا ؟ فقالا نحن عبدان مأموران أمرنا ببناء هذه الكعبة ، قال فهاتا بالبينة على ما تدعيان . فقامت خمسة أكبش فقلن نحن نشهد ان ابراهيم واسماعيل عبدان مأموران أمرا ببناء هذه الكعبة . فقال قد رضيت وسلمت ، ثم مضى وذكر الازرقي فى تاريخ مكة ان ذا القرنين طاف مع ابراهيم عليه السلام بالبيت وهذا يدل على تقدم زمانه والله أعلم .

وقال البخاري رحمه الله قوله تعالى (واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسمعيل) الآية : القواعد أساسه واحدها قاعدة والقواعد من النساء واحدتها قاعدة . حدثنا اسمعيل حدثني مالك عن ابن شهاب عن سالم بن عبد الله ان عبد الله بن محمد بن أبي بكر أخبر عبد الله بن عمر عن عائشة

(١) فى نسخة الازهر : سلم وسمر بدون عطف على تفسير للعضاة

على موضع البيت فنودي منها ابراهيم أن ابن على ظلها لاتزد ولا تنقص وقيل : أرسل الله جبريل ليدله على موضع البيت فذلك قوله تعالى (وإذ بوّأنا لابراهيم مكان البيت) فبنى ابراهيم واسماعيل البيت فكان ابراهيم يبنيه واسماعيل يناوله الحجر فذلك قوله تعالى (وإذ يرفع ابراهيم القواعد من

زوج النبي صلى الله عليه وسلم . أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ألم تري أن قومك حين بنوا البيت اقتصروا عن قواعد ابراهيم ؟ فقلت يا رسول الله ألا تردها على قواعد ابراهيم » قال « لولا حدثان قومك بالكفر » فقال عبد الله بن عمر : لئن كانت عائشة سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أرى رسول الله صلى الله عليه وسلم ترك استلام الركنين اللذين يليان الحجر الا أن البيت لم يتمم على قواعد ابراهيم عليه السلام . وقد رواه في الحج عن القعنبي وفي أحاديث الانبياء عن عبد الله بن يوسف . ومسلم عن يحيى بن يحيى ومن حديث ابن وهب والنسائي من حديث عبد الرحمن بن القاسم كلهم عن مالك به . ورواه مسلم أيضا من حديث نافع قال سمعت عبد الله بن أبي بكر بن أبي قحافة يحدث عبد الله بن عمر عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لولا ان قومك حديث عهد بجاهلية ـ أو قال بكفر ـ لانفقت كنز الكعبة في سبيل الله ولجعلت بابها بالارض، ولادخلت فيها الحجر » وقال البخاري أخبرنا عبيد الله بن موسى عن اسرائيل عن أبي اسحق عن الاسود قال قال لي ابن الزبير كانت عائشة تسر اليك حديثا كثيرا فما حدثتك في الكعبة قال قلت قالت لي قال النبي صلى الله عليه وسلم « ياعائشة لولا قومك حديث عهدهم ـ فقال ابن الزبير ـ بكفر لنقضت الكعبة فجعلت لها بابين بابا يدخل منه الناس وبابا يخرجون منه » ففعله ابن الزبير انفرد باخراجه البخاري فرواه هكذا في كتاب العلم من صحيحه « وقال مسلم في صحيحه حدثنا يحيى بن يحيى أخبرنا أبو معاوية عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم « لولا حداثة عهد قومك بالكفر لنقضت الكعبة ولجعلتها على أساس ابراهيم فان قريشا حين بنت البيت استقصرت » ولجعلت لها خلفا » قال وحدثناه أبو بكر بن أبي شيبة وأبو كريب قالا أخبرنا ابن نمير عن هشام بهذا الاسناد انفرد به مسلم « قال وحدثني محمد بن حاتم حدثني محمد بن مهدي أخبرنا سليم بن حيان عن سعيد يعني ابن ميناء قال سمعت عبد الله بن الزبير يقول حدثتني خالتي يعني عائشة رضي الله عنها قالت قال النبي صلى الله عليه وسلم « ياعائشة لولا قومك حديث عهد بشرك لهدمت الكعبة فألزقتها بالارض وجعلت لها بابا شرقيا وبابا غربيا وزدت فيها ستة أذرع من الحجر فان قريشا اقتصرتها حيث بنت الكعبة » انفرد به أيضا

(ذكر بناء قريش الكعبة بعد ابراهيم الخليل عليه السلام بمدد طويلة وقبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس سنين)

وقد نقل معهم في الحجارة وله من العمر خمس وثلاثون سنة صلوات الله وسلامه عليه دائما

البيت وإسماعيل) يعني أسسه واحدتها قاعدة « وقال الكسائي « جدر البيت . قال ابن عباس : انما بني البيت من خمسة اجبل طورسيناء وطور زيتا ولبنان وهو جبل بالشام والجودي وهو جبل بالجزيرة وبنيا قواعده من حراء وهو جبل بمكة فلما انتهى ابراهيم الى موضع الحجر الاسود قال لاسماعيل

الى يوم الدين . قال محمد بن اسحق بن يسار في السيرة ولما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا وثلاثين سنة اجتمعت قريش لبنيان الكعبة وكانوا يهمون بذلك ليسقفوها ويهابون هدمها وانما كانت رضما فوق القامة فارادوا رفعها وتسقيفها وذلك ان نفرا سرقوا كنز الكعبة وانما كان يكون في بئر في جوف الكعبة وكان الذي وجد عنده الكنز دويك مولى بني مليح بن عمرو من خزاعة فقطعت قريش يده ويزعم الناس ان الذين سرقوه وضعوه عند دويك وكان البحر قد رمى بسفينة الى جدة لرجل من تجار الروم فتحطمت فأخذوا خشبها فاعدوه لتسقيفها وكان بمكة رجل قبطي نجار فهيأ لهم في أنفسهم بعض مايصلحها وكانت حية تخرج من بئر الكعبة التي كانت تطرح فيها مايهدي لها كل يوم فتشرف على جدار الكعبة وكانت مما يهابون، وذلك انه كان لايدنو منها أحد الا احزألت(١) وكشت وفتحت فاها فكانوا يهابونها فبينا هي يوما تشرف على جدار الكعبة كما كانت تصنع بعث الله اليها طائرا فاختطفها فذهب بها فقالت قريش ، انا لنرجو ان يكون الله قد رضي ما أردنا ، عندنا عامل رفيق وعندنا خشب وقد كفانا الله الحية فلما أجمعوا أمرهم في هدمها و بنائها قام ابن وهب (٢) ابن عمرو بن عائذ بن عبد بن عمران بن مخزوم فتناول من الكعبة حجرا فوثب من يده حتى رجع الى موضعه، فقال يامعشر قريش لا تدخلوا في بنيانها من كسبكم الا طيباء لايدخل فيها مهر بغي ، ولا بيع ربا ولا مظلمة أحد من الناس ، قال ابن اسحق والناس ينحلون هذا الكلام الوليد(٣) بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم ، قال ثم ان قريشا تجزأت الكعبة فكان شق الباب لبني عبد مناف وزهرة وكان مابين الركن الاسود والركن اليماني لبني مخزوم وقبائل من قريش انضموا اليهم وكان ظهر الكعبة لبني جمح وسهم وكان شق الحجر لبني عبد الدار بن قصي ولبني أسد بن عبد العزي ابن قصي ولبني عدى بن كعب بن لؤي وهو الحطيم ثم ان الناس هابوا هدمها وفرقوا منه فقال الوليد بن المغيرة أنا أبدؤكم في هدمها فأخذ المعول ثم قام عليها وهو يقول اللهم لم ترع اللهم انا لانريد الا الخير ثم هدم من ناحية الركنين فتربص الناس تلك الليلة وقالوا ننظر فان أصيب لم نهدم منها شيئا، ورددناها كما كانت وان لم يصبه شيء فقد رضي الله ماصنعنا، فأصبح الوليد من ليلته غاديا على عمله فهدم وهدم الناس معه حتى اذا انتهى الهدم بهم الى الاساس أساس ابراهيم عليه السلام أفضوا الى حجارة خضر كالاسنة آخذ بعضها بعضا : قال فحدثني بعض من يروي الحديث ان رجلا من قريش ممن كان يهدمها أدخل عتلة بين حجرين منها ليقلع بها أيضا أحدهما فلما تحرك الحجر انتفضت مكة باسرها فانتهوا عن ذلك الاساس

قال ابن اسحق: ثم ان القبائل من قريش جمعت الحجارة لبنائها كل قبيلة تجمع على حدة ثم بنوها

ائتني بحجر حسن يكون للناس علما فأتاه بحجر فقال : ائتني بأحسن من هذا فمضى اسماعيل يطلبه فصاح ابو قبيس: يا ابراهيم ان لك عندى وديعة فخذها فأخذ الحجر الاسود فوضعه مكانه وقيل ان الله تعالى بنى في السماء بيتا وهو البيت المعمور و يسمى ضراح وأمر الملائكة أن يبنوا الكعبة في

«١» احزألت ارتفعت واستوفزت للوثوب

(٢) فى نسخة الازهر أبووهب وجاء فى حاشيتها أبووهب خال والد النبي (ص) وكان شريفا ممدوحا

«٣» وفي نسخة الازهر الوليد بدون لام

حتى بلغ البنيان موضع الركن يعني الحجر الاسود فاختصموا فيه كل قبيلة تريد ان ترفعه الى موضعه دون الاخرى حتى تحاوروا وتحالفوا وأعدوا للقتال فقربت بنو عبد الدار جفنة مملوءة دما ثم تعاقدوا هم وبنو عدي بن كعب بن لؤي على الموت وأدخلوا أيديهم في ذلك الدم في تلك الجفنة فسموا لعقة الدم (١) فمكثت قريش على ذلك أربع ليال أو خمسا ثم انهم اجتمعوا في المسجد فتشاوروا وتناصفوا فزعم بعض أهل الرواية ان أبا أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم وكان عامئذ أسن قريش كلهم قال: يامعشر قريش اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول من يدخل من باب هذا المسجد يقضي بينكم فيه ففعلوا فكان أول داخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأوه قالوا: هذا الامين رضينا هذا محمد. فلما انتهى اليهم وأخبروه الخبر قال صلى الله عليه وسلم: هلم الي ثوبا. فاتي به فأخذ الركن يعني الحجر الاسود فوضعه فيه بيده ثم قال لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم ارفعوه جميعا ففعلوا حتى اذا بلغوا به موضعه وضعه هو بيده صلى الله عليه وسلم ثم بني عليه وكانت قريش تسمي رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان ينزل عليه الوحي (الامين) فلما فرغوا من البنيان وبنوها على ما أرادوا : قال الزبير بن عبد المطلب فيما كان من أمر الحية التي كانت قريش تهاب بنيان الكعبة لها

عجبت لما تصوبت العقاب ... الى الثعبان وهي لها اضطراب
وقد كانت يكون لها كشيش ... وأحيانا يكون لها وثاب
اذا قمنا الى التأسيس شدت ... تهيبنا البناء وقد تهاب
فلما أن خشينا الرجز جاءت ... عقاب تتلئب لها انصباب
فضمتها اليها ثم خلت ... لنا البنيان ليس له حجاب
فقمنا حاشدين الى بناء ... لنا منه القواعد والتراب
غداة نرفع التأسيس منه ... وليس على مساوينا ثياب
أعز به المليك بني لؤي ... فليس لاصله منهم ذهاب
وقد حشدت هناك بنو عدي ... ومرة قد تقدمها كلاب
فبوأنا المليك بذاك عزا ... وعند الله يلتمس الثواب

قال ابن اسحق وكانت الكعبة على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ثماني عشر ذراعا وكانت تكسى القباطى ثم كسيت بعد البرود وأول من كساها الديباج الحجاج بن يوسف (قلت) ولم تزل على بناء قريش حتى احترقت في أول امارة عبد الله بن الزبير بعد سنة ستين وفي آخر ولاية يزيد ابن معاوية لما حاصروا ابن الزبير فحينئذ نقضها ابن الزبير الى الارض وبناها على قواعد ابراهيم

الارض بحياله على قدره ومثاله وقيل : أول من بنى الكعبة آدم واندرس في زمن الطوفان ثم أظهره الله لابراهيم حتى بناه ﴿ ربنا تقبل منا ﴾ فيه اضمار اى ويقولان ربنا تقبل منا بناءنا ﴿ إنك انت السميع ﴾ لدعائنا ﴿ العليم ﴾ بنياتنا ﴿ ربنا واجعلنا مسلمين لك ﴾ موحدين مطيعين مخلصين خاضعين

(١) لعقة بفتحات ثلاث جمع لاعق

عليه السلام وأدخل فيها الحجر وجعل لها بابا شرقيا و بابا غربيا ملصقين بالارض كما سمع ذلك من خالته عائشة أم المؤمنين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم تزل كذلك مدة امارته حتى قتله الحجاج فردها الى ماكانت عليه بأمر عبد الملك بن مروان له بذلك كما قال مسلم بن الحجاج في صحيحه أخبرنا هناد بن السري أخبرنا ابن أبي زائدة أخبرنا ابن أبي سليمان عن عطاء قال لما احترق البيت زمن يزيد بن معاوية حين غزاها أهل الشام فكان من أمره ما كان تركه ابن الزبير حتى قدم الناس الموسم يريد ان يحزبهم أو يحربهم على أهل الشام فلما صدر الناس: قال يا أيها الناس أشيروا علي في الكعبة أنقضها ثم أبني بناءها أو أصلح ماوهى منها؟ قال ابن عباس انه قد خرق لي رأي فيها أرى أن تصلح ما وهى منها وتدع بيتا أسلم الناس عليه، وأحجارا أسلم الناس عليها و بعث عليها النبي صلى الله عليه وسلم. فقال ابن الزبير لو كان أحدهم احترق بيته مارضي حتى يجدده فكيف بيت ربكم عز وجل، اني مستخير ربي ثلاثا ثم عازم على أمري فلما مضت ثلاث أجمع رأيه على ان ينقضها فتحاماها الناس ان ينزل بأول الناس يصعد فيه أمر من السماء حتى صعده رجل فألقى منه حجارة فلما لم يره الناس أصابه شيء تتابعوا فنقضوه حتى بلغوا به الارض فجعل ابن الزبير أعمدة يستر عليها الستور حتى ارتفع بناؤه، وقال ابن الزبير اني سمعت عائشة رضي الله عنها تقول ان النبي صلى الله عليه وسلم : قال « لولا ان الناس حديث عهدهم بكفر وليس عندي من النفقة مايقويني على بنائه لكنت أدخلت فيه من الحجر خمسة أذرع ولجعلت له بابا يدخل الناس منه ، وبابا يخرجون منه » قال فانا أجد ما أنفق ولست أخاف الناس « قال: فزاد فيه خمسة أذرع من الحجر حتى أبدى له أسا نظر الناس اليه فبنى عليه البناء وكان طول الكعبة ثمانية عشر ذراعا فلما زاد فيه استقصره فزاد في طوله عشرة أذرع وجعل له بابين احدهما يدخل منه، والآخر يخرج منه . فلما قتل ابن الزبير كتب الحجاج الى عبد الملك يستجيزه بذلك ويخبره ان ابن الزبير قد وضع البناء على أس نظر اليه العدول من اهل مكة فكتب اليه عبد الملك انا لسنا من تلطيخ ابن الزبير في شيء اما مازاده في طوله فأقره، واما مازاد فيه من الحجر فرده الى بنائه وسد الباب الذي فتحه فنقضه واعاده الي بنائه، وقد رواه النسائي في سننه عن هناد عن يحيى بن أبي زائدة عن عبد الملك بن أبي سليمان عن عطاء عن ابن الزبير عن عائشة بالمرفوع منه ولم يذكر القصة وقد كانت السنة اقرار ما فعله عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما لانه هو الذي وده رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولكن خشي ان تنكره قلوب بعض الناس لحداثة عهدهم بالاسلام وقرب عهدهم من الكفر ، ولكن خفيت هذه السنة على عبد الملك ابن مروان ولهذا لما تحقق ذلك عن عائشة أنها روت ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : وددنا انا تركناه وما تولى ، كما قال مسلم : حدثني محمد بن حاتم حدثنا محمد بن بكر أخبرنا ابن جريج سمعت عبد الله بن عبيد بن عمير والوليد بن عطاء يحدثان عن الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة

لك ﴿ ومن ذريتنا ﴾ اى اولادنا ﴿ أمة ﴾ جماعة والامة اتباع الانبياء ﴿ مسلمة لك ﴾ خاضعة لك ﴿ وأرنا ﴾ علمنا وعرفنا، قرأ ابن كثير ساكنة الراء وأبو عمرو بالاختلاس والباقون بكسرها ووافق

قال عبدالله بن عبيد : وفدالحارث بن عبيد الله على عبد الملك بن مروان في خلافته فقال عبدالملك : ما أظن أبا حبيب يعني ابن الزبير سمع من عائشة ما كان يزعم انه سمعه منها ، قال الحارث بلى أنا سمعته منها . قال : سمعتها تقول ماذا ؟ قال : قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أن قومك استقصروا من بنيان البيت ولولا حداثة عهدهم بالشرك أعدت ما تركوا منه فان بدا لقومك ن بعدي أن يبنوه فهلمي لاريك ما تركوا منه » فأراها قريبا من سبعة أذرع . هذا حديث عبد الله بن عبيد بن عمير وزاد عليه الوليد بن عطاء قال النبي صلى الله عليه وسلم « ولجعلت لها بابين موضوعين في الارض شرقيا وغربيا وهل تدرين لم كان قومك رفعوا بابها ؟ » ، قالت : قلت لا . قال « تعززا أن لا يدخلها الا من أرادوا فكان الرجل اذا هو أراد أن يدخلها يدعونه حتى يرتقي حتى اذا كاد أن يدخل دفعوه فسقط » قال عبد الملك فقلت للحارث أنت سمعتها تقول هذا ؟ قال نعم قال فنكت ساعة بعصاه ثم قال . وددت اني تركت وما تحمل . قال مسلم : وحدثناه محمد بن عمرو بن جبلة حدثنا أبو عاصم ح وحدثنا عبد بن حميد أخبرنا عبد الرزاق كلاهما عن ابن جريج بهذا الاسناد مثل حديث أبي بكر قال : وحدثنا محمد بن حاتم حدثنا عبد الله بن بكر السهمي حدثنا حاتم بن أبي صغيرة عن أبي قزعة ان عبد الملك بن مروان بينما هو يطوف بالبيت اذ قال : قاتل الله ابن الزبير حيث يكذب على أم المؤمنين ، يقول سمعتها تقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ياعائشة لولا حدثان قومك بالكفر لنقضت الكعبة حتى أزيد فيها من الحجر فان قومك قصروا في البناء » فقال الحارث بن عبد الله ابن أبي ربيعة لا تقل هذا يا أمير المؤمنين فاني سمعت أم المؤمنين تحدث هذا . قال لو كنت سمعته قبل ان أهدمه لتركته على ما بنى ابن الزبير ، فهذا الحديث كالمقطوع به الى عائشة لانه قد روي عنها من طرق صحيحة متعددة عن الاسود بن يزيد والحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة وعبد الله ابن الزبير وعبد الله بن محمد بن أبي بكر وعروة بن الزبير فدل هذا على صواب ما فعله ابن الزبير فلو ترك لكان جيداً .

ولكن بعد ما رجع الامر الى هذا الحال فقد كره بعض العلماء ان يغير عن حاله كما ذكر عن أمير المؤمنين هرون الرشيد أو أبيه المهدي انه سأل الامام مالكا عن هدم الكعبة وردها الى ما فعله ابن الزبير . فقال له مالك يا أمير المؤمنين لا تجعل كعبة الله ملعبة الملوك لا يشاء أحد ان يهدمها الا هدمها . فترك ذلك الرشيد » نقله عياض والنووي ولا تزال — والله أعلم — هكذا الى آخر الزمان الى أن يخربها ذو السويقتين من الحبشة كما ثبت ذلك في الصحيحين عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة » أخرجاه ، وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « كأني به اسود أفحج يقلعها حجرا حجرا » رواه البخاري وقال الامام

ابن عامر وأبو بكر في الاسكان في حم السجدة وأصله أرئنا فحذفت الهمزة طلبا للخفة ونقلت حركتها الى الراء ومن سكنها قال : ذهبت الهمزة فذهبت حركتها ﴿ مناسكنا ﴾ شرائع ديننا وأعلام حجنا

أحمد بن حنبل في مسنده أخبرنا أحمد بن عبد الملك الحراني أخبرنا محمد بن سلمة عن ابن اسحق عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة ويسلبها حليتها ويجردها من كسوتها، ولكأني أنظر اليه أصيلع أفيدع يضرب عليها بمسحاته ومعوله » — الفدع زيغ بين القدم وعظم الساق — وهذا والله أعلم انما يكون بعد خروج يأجوج ومأجوج لما جاء في صحيح البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليحجن البيت وليعتمرن بعد خروج يأجوج ومأجوج »

وقوله تعالى حكاية لدعاء ابراهيم واسمعيل عليهما السلام (ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم). قال ابن جرير يعنيان بذلك واجعلنا مستسلمين لامرك، خاضعين لطاعتك، لا نشرك معك في الطاعة أحداً سواك، ولا في العبادة غيرك . وقال ابن أبي حاتم : أخبرنا أبي أخبرنا اسمعيل عن رجاء بن حبان الحصيني القرشي أخبرنا معقل بن عبيد الله عن عبد الكريم (واجعلنا مسلمين لك) قال مخلصين لك (ومن ذريتنا أمة مسلمة لك) قال مخلصة وقال أيضا أخبرنا علي بن الحسين أخبرنا المقدمي أخبرنا سعيد بن عامر عن سلام بن أبي مطيع في هذه الآية (واجعلنا مسلمين) قال كانا مسلمين ولكنهما سألاه الثبات . وقال عكرمة (ربنا واجعلنا مسلمين لك) قال الله : قد فعلت (ومن ذريتنا أمة مسلمة لك) قال الله قد فعلت . وقال السدي (ومن ذريتنا أمة مسلمة لك) يعنيان العرب. قال ابن جرير : والصواب انه يعم العرب وغيرهم، لان من ذرية ابراهيم بني اسرائيل وقد قال الله تعالى (ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون)(قلت) وهذا الذي قاله ابن جرير لا ينفيه السدي فان تخصيصهم بذلك لا ينفي من عداهم والسياق انما هو في العرب ولهذا قال بعده(ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم) الآية. والمراد بذلك محمد صلى الله عليه وسلم، وقد بعث فيهم كما قال تعالى (هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم) ومع هذا لا ينفي رسالته الى الاحمر والاسود لقوله تعالى (قل يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا) وغير ذلك من الادلة القاطعة وهذا الدعاء من ابراهيم واسماعيل عليهما السلام كما أخبرنا الله تعالى عن عباده المتقين المؤمنين في قوله (والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين اماما) وهذا القدر مرغوب فيه شرعا فان من تمام محبة عبادة الله تعالى ان يحب ان يكون من صلبه من يعبد الله وحده لا شريك له . ولهذا لما قال الله تعالى لابراهيم عليه السلام (إني جاعلك للناس اماما) قال (ومن ذريتي . قال لا ينال عهدي الظالمين) وهو قوله

وقيل : مواضع حجنا ، وقال مجاهد : مذابحنا والنسك الذبيحة وقيل : متعبداتنا وأصل النسك العبادة والناسك العابد فأجاب الله تعالى دعاءهما فبعث جبريل فأراهما المناسك في يوم عرفة فلما بلغ عرفات قال : عرفت يا ابراهيم ؟ قال : نعم فسمي الوقت عرفة والموضع عرفات ﴿ وتب علينا ﴾ تجاوز

(واجنبني وبني أن نعبد الاصنام)وقد ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلي الله عليه وسلم ، انه قال «اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعوله» (وأرنامناسكنا) قال ابن جريج عن عطاء (وأرنامناسكنا) أخرجها لنا علمناها وقال مجاهد (أرنا مناسكنا) مذابحنا. وروي عن عطاء أيضا وقتادة نحو ذلك. وقال سعيد بن منصور : أخبرنا عتاب بن بشير عن خصيف عن مجاهد قال : قال ابراهيم (أرنا مناسكنا)فأتاه جبرئيل فأتى به البيت ، فقال ارفع القواعد فرفع القواعد وأتم البنيان . ثم أخذ بيده فأخرجه فانطلق به الى الصفا قال هذا من شعائر الله ثم انطلق به الى المروة فقال وهذا من شعائر الله . ثم انطلق به نحو منى فلما كان من العقبة اذا ابليس قائم عند الشجرة فقال: كبر وارمه، فكبر ورماه. ثم انطلق ابليس فقام عند الجمرة الوسطى فلما جاز به جبريل وابراهيم قال له: كبر وارمه، فكبر ورماه. فذهب الخبيث ابليس وكان الخبيث أراد أن يدخل في الحج شيئا فلم يستطيع فأخذ بيد ابراهيم حتى أتى به المشعر الحرام فقال هذا المشعر الحرام فأخذ بيد ابراهيم حتى أتى به عرفات قال قد عرفت ما أريتك؟ قالها ثلاث مرات، قال نعم. وروي عن أبي مجلز وقتادة نحو ذلك ، وقال أبو داود الطيالسي أخبرنا حماد بن سلمة عن أبي العاصم الغنري عن أبي الطفيل عن ابن عباس قال ان ابراهيم لما أري أوامر المناسك عرض له الشيطان عند المسعى فسابقه ابراهيم ثم انطلق به جبريل حتى أتى به منى فقال: هذا مناخ الناس فلما انتهى الى جمرة العقبة تعرض له الشيطان فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم أتي به الى الجمرة الوسطى عرض له الشيطان فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم أتى به الى الجمرة القصوى فعرض الشيطان فرماه بسبع حصيات حتى ذهب فأتى به جمعا(١) فقال هذا المشعر ثم أتى به عرفة فقال هذه عرفة فقال له جبريل أعرفت؟

(١) يعني المزدلفة

(١٣٨) ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك أنت العزيز الحكيم)

يقول تعالى إخبارا عن تمام دعوة ابراهيم لاهل الحرم ان يبعث الله فيهم رسولا منهم أي من ذرية ابراهيم وقد وافقت هذه الدعوة المستجابة قدر الله السابق في تعيين محمد صلوات الله وسلامه عليه رسولا في الاميين اليهم والى سائر الاعجميين من الانس والجن كما قال الامام احمد أخبرنا

عنا ﴿إنك أنت التواب الرحيم * ربنا وابعث فيهم﴾ أي في الامة المسلمة من ذرية ابراهيم وإسماعيل وقيل : في أهل مكة ﴿رسولا منهم﴾ أي مرسلا منهم أراد به محمدا صلى الله عليه وسلم . حدثنا السيد ابو القاسم علي بن موسى الموسوي حدثني ابو بكر احمد بن محمد بن عباس البلخي انا الامام ابو سليمان احمد بن محمد بن ابراهيم الخطابي انا محمد بن المكي انا اسحق بن ابراهيم انا ابن اخي ابن وهب انا عمي انا معاوية عن صالح عن سعيد بن سويد عن عبد الاعلى عن هلال السلمي عن العرباض بن

عبد الرحمن بن مهدي عن معاوية بن صالح عن سعيد بن سويد الكلبي عن عبد الاعلى بن هلال السلمي عن العرباض بن سارية : قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اني عند الله لخاتم النبيين وان آدم لمنجدل في طينته وسأنبئكم بأول ذلك، دعوة أبي ابراهيم » وبشارة عيسى بي، ورؤيا أمي التي رأت وكذلك أمهات النبيين يرين» وكذلك رواه ابن وهب والليث وكاتب عبد الله بن صالح عن معاوية بن صالح وتابعه أبو بكر بن أبي مريم عن سعيد بن سويد به ، وقال الامام احمد أيضا أخبرنا أبو النضر أخبرنا الفرج أخبرنا لقمان بن عامر قال سمعت أبا أمامة قال قلت يارسول الله ماكان أول بدء أمرك؟ قال « دعوة أبي ابراهيم ، وبشرى عيسى بي، ورأت أمي انه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام» والمراد ان أول من نوه بذكره وشهره في الناس ابراهيم عليه السلام ولم يزل ذكره في الناس مذكورا مشهورا سائرا حتى أفصح باسمه خاتم انبياء بني اسرائيل نسبا وهو عيسى بن مريم عليه السلام حيث قام في بني اسرائيل خطيبا وقال (اني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه احمد) ولهذا قال في هذا الحديث دعوة أبي ابراهيم وبشرى عيسى بن مريم » وقوله ورأت أمي انه خرج منها نورا ضاءت له قصور الشام قيل كان مناما رأته حين حملت به وقصته على قومها فشاع فيهم واشتهر بينهم وكان ذلك توطئه وتخصيص الشام بظهور نوره أشارة الى استقرار دينه ونبوته ببلاد الشأم ولهذا تكون الشأم في آخر الزمان معقلا للاسلام وأهله وبها ينزل عيسى بن مريم اذا نزل بدمشق بالمنارة الشرقية البيضاء منها، ولهذا جاء في الصحيحين « لاتزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لايضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله

سارية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إني عند الله مكتوب خاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته وسأخبركم بأول أمري، أنا دعوة ابراهيم وبشارة عيسى ورؤيا أمي التي رأت حين وضعتني وقد خرج منها نور أضاءت لها منه قصور الشام » وأراد بدعوة ابراهيم هذا فانه دعا أن يبعث في بني اسماعيل رسولا منهم ، قال ابن عباس : كل الانبياء من بني اسرائيل الا عشرة : نوح وهود وصالح وشعيب ولوط وابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب ومحمد صلوات الله عليهم اجمعين ﴿ يتلو ﴾ يقرأ ﴿ عليهم آياتك ﴾ كتابك يعني القرآن والآية من القرآن كلام متصل الى انقطاعه وقيل هي جماعة حروف يقال خرج القوم بآيتهم اى بجماعتهم ﴿ ويعلمهم الكتاب ﴾ يعني القرآن ﴿ والحكمة ﴾ قال مجاهد : فهم القرآن وقال مقاتل: مواعظ القرآن وما فيه من الاحكام ، قال قتيبة : هي العلم والعمل ولا يكون الرجل حكيما حتى يجمعهما وقيل : هى السنة وقيل : هي الاحكام والقضاء وقيل : الحكمة الفقه ، قال ابو بكر بن دريد: كل كلمة وعظتك أو دعتك الى مكرمة أو نهتك عن قبيح فهي حكمة ﴿ ويزكيهم ﴾ أي يطهرهم من الشرك والذنوب وقيل : يأخذ الزكاة من أموالهم ، وقال ابن كيسان يشهد لهم يوم القيامة بالعدالة اذا شهدوا للانبياء بالبلاغ من التزكية وهي التعديل ﴿ إنك أنت العزيز الحكيم ﴾ قال ابن عباس : العزيز الذى لا يوجد مثله ، وقال الكلبي : المنتقم بيانه قوله

وهم كذلك » وفي صحيح البخاري «وهم بالشام» قال ابو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية في قوله (ربنا وابعث فيهم رسولا منهم) يعني أمة محمد صلى الله عليه وسلم فقيل له قد استجيب لك وهو كائن في آخر الزمان وكذا قال السدى وقتادة ▪ وقوله تعالى (ويعلمهم الكتاب) يعني (القرآن والحكمة) يعني السنة قاله الحسن وقتادة ومقاتل بن حيان وأبو مالك وغيرهم وقيل الفهم في الدين ولا منافاة (ويزكيهم) قال على ابن أبي طلحة عن ابن عباس يعني طاعة الله والاخلاص وقال محمد بن اسحق (ويعلمهم الكتاب والحكمة) قال يعلمهم الخير فيفعلوه والشر فيتقوه ويخبرهم برضا الله عنهم اذا أطاعوه ليستكثروا من طاعته ويجتنبوا ما يسخطه من معصيته، وقوله (انك أنت العزيز الحكيم) أي العزيز الذي لا يعجزه شيء وهو قادر على كل شيء الحكيم في أفعاله وأقواله فيضع الاشياء في محالها وحكمته وعدله

(١٣٩) ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه؟ ولقد اصطفيناه في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين (١٤٠) اذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين (١٤١) ووصي بها ابراهيم بنيه ويعقوب يابني ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وأنتم مسلمون)

يقول تبارك وتعالى ردا على الكفار فيما ابتدعوه وأحدثوه من الشرك بالله المخالف لملة ابراهيم الخليل امام الحنفاء فانه جرد توحيد ربه تبارك وتعالى فلم يدع معه غيره ولا أشرك به طرفة عين وتبرأ من كل معبود سواه وخالف في ذلك سائر قومه حتى تبرأ من أبيه فقال (ياقوم اني بريء مما تشركون ▪ اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما أنا من المشركين) وقال تعالى (وإذ قال

تعالى (والله عزيز ذو انتقام) وقيل المنيع الذي لا تناله الايدي ولا يصل اليه شيء وقيل القوي، والعزة القوة قال الله تعالى (فعززنا بثالث) قالوا: أي قوينا وقيل الغالب قال الله تعالى إخبارا (وعزني في الخطاب) أي غلبني ويقال في المثل من عزّ بزّ أي من غاب ساب ﴿ومن يرغب عن ملة ابراهيم﴾ وذلك ان عبد الله بن سلام دعا ابني اخيه سلمة ومهاجر الى الاسلام فقال لهما: قد علمتما ان الله عز وجل قال في التوراة: اني باعث من ولد اسماعيل نبيا اسمه احمد فمن آمن فقد اهتدى ومن لم يؤمن به فهو ملعون ▪ فأسلم سلمة وأبي مهاجر أن يسلم فأنزل الله عز وجل (ومن يرغب عن ملة ابراهيم) أى يترك دينه وشريعته يقال رغب في الشيء اذا أراده، ورغب عنه اذا تركه، وقوله من لفظه استفهام معناه التقريع والتوبيخ يعني ما يرغب عن ملة ابراهيم ﴿إلا من سفه نفسه﴾ قال ابن عباس: من خسر نفسه ▪ وقال الكلبي: ضلّ من قبل نفسه، وقال ابو عبيدة: أهلك نفسه ▪ وقال ابن كيسان والزجاج: معناه جهل نفسه، والسفاهة الجهل وضعف الرأي وكل سفيه جاهل، وذلك أن من عبد غير الله فقد جهل نفسه لانه لم يعرف أن الله خلقها، وقد جاء: من عرف نفسه عرف ربه ▪ وفي الاخبار ▪ إن الله تعالى أوحى إلى داود اعرف نفسك واعرفني ـ فقال: يارب كيف أعرف نفسي ▪ وكيف

ابراهيم لابيه وقومه اني براء مما تعبدون * الا الذي فطرني فانه سيهدين ■ وقال تعالى . وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له انه عدوّ لله تبرأ منه ان ابراهيم لاوّاه حليم . وقال تعالى (ان ابراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين ■ شاكرا لانعمه اجتباه وهداه الى صراط مستقيم * وآتيناه في الدنيا حسنة وانه في الآخرة لمن الصالحين) ولهذا وأمثاله قال تعالى : ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه ؟ أي ظلم نفسه بسفهه وسوء تدبيره بتركه الحق الى الضلال حيث خالف طريق من اصطفي في الدنيا للهداية والرشاد من حداثة سنه الى أن اتخذه الله خليلا وهو في الآخرة من الصالحين السعداء، فمن ترك طريقه هذا ومسلكه وملته واتبع طرق الضلالة والغي فأي سفه أعظم من هذا؟ أم أي ظلم أكبر من هذا ؟ كما قال تعالى: ان الشرك لظلم عظيم . قال أبو العالية وقتادة نزلت هذه الآية في اليهود أحدثوا طريقا ليست من عند الله وخالفوا ملة ابراهيم فيما أحدثوه و يشهد لصحة هذا القول قول الله تعالى (ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين ■ ان أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين ■

وقوله تعالى(اذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين) أي أمره الله تعالى بالاخلاص له والاستسلام والانقياد فاجاب الى ذلك شرعا وقدرا ■ وقوله (ووصى بها ابراهيم بنيه و يعقوب) أي وصى بهذه الملة وهي الاسلام لله أو يعود الضمير على الكلمة وهي قوله (أسلمت لرب العالمين)لحرصهم عليها ومحبتهم لها حافظوا عليها الى حين الوفاة ووصوا أبناءهم بها من بعدهم كقوله تعالى (وجعلها كلمة باقية في عقبه) وقد قرأ بعض السلف و يعقوب بالنصب عطفا على بنيه كان ابراهيم وصي بنيه وابن ابنه يعقوب بن اسحق وكان

أعرفك ■ فأوحي اليه اعرف نفسك بالضعف والعجز والفناء ■ واعرفني بالقوة والقدرة والبقاء ■ وقال الاخفش ، معناه سفه في نفسه، ونفسه على هذا القول نصب بنزع حرف الصفة وقال الفراء : نصب على التفسير ، وكان الاصل سفهت نفسه فلما أضاف الفعل الى صاحبها خرجت النفس مفسرة ليعلم موضع السفه كما يقال ضقت به ذرعا أي ضاق ذرعي به ﴿ ولقد اصطفيناه في الدنيا ﴾ اخترناه في الدنيا ﴿ وإنه في الآخرة لمن الصالحين ﴾ يعني أي مع الانبياء في الجنة ■ وقال الحسين بن الفضل : فيه تقديم وتأخير تقديره ولقد اصطفيناه في الدنيا والآخرة وإنه لمن الصالحين ﴿ إذ قال له ربه أسلم ﴾ أي استقم على الاسلام واثبت عليه لانه كان مسلما ■ قال ابن عباس : قال له ذلك حين خرج من السرب ، وقال الكلبي : أخلص دينك وعبادتك لله ، وقال عطاء : أسلم نفسك الى الله عز وجل وفوّض أمورك اليه ﴿ قال أسلمت لرب العالمين ﴾ أي فوّضت قال ابن عباس: وقد حقق ذلك حيث لم يستعن بأحد من الملائكة حين ألقي في النار ﴿ ووصى بها إبراهيم بنيه و يعقوب ﴾ قرأ أهل المدينة والشام وأوصى بالالف وكذلك في مصاحفهم وقرأ الباقون ووصى مشددا وهما لغتان مثل أنزل ونزّل. معناه ووصي بها ابراهيم بنيه ووصى يعقوب بنيه ، قال الكلبي ومقاتل : يعني كلمة الاخلاص لا إله

حاضرا ذلك وقد ادعى القشيري فيما حكاه القرطبي عنه ان يعقوب انما ولد بعد وفاة ابراهيم ويحتاج مثل هذا الى دليل صحيح والظاهر والله أعلم ان اسحق ولد له يعقوب في حياة الخليل وسارة لان البشارة وقعت بهما في قوله (فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب) وقد قرىء بنصب يعقوب ههنا على نزع الخافض فلو لم يوجد يعقوب في حياتهما لما كان لذكره من بين ذرية اسحق كبير فائدة وأيضا فقد قال الله تعالى في سورة العنكبوت (ووهبنا له اسحق ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب) الآية وقال في الآية الاخرى (ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة) وهذا يقتضي انه وجد في حياته وأيضا فانه باني بيت المقدس كما نطقت بذلك الكتب المتقدمة وثبت في الصحيحين من حديث أبي ذر قلت يارسول الله أي مسجد وضع أول ؟ قال « المسجد الحرام قلت ثم أي : قال بيت المقدس قلت كم بينهما: قال أربعون سنة» الحديث فزعم ابن حبان ان بين سليمان الذى اعتقد انه باني بيت المقدس — وانما كان جدده بعد خرابه وزخرفه — وبين ابراهيم أربعين سنة وهذا مما أنكر على ابن حبان فان المدة بينهما تزيد على ألوف سنين والله أعلم: وأيضا فان وصية يعقوب لبنيه سيأتي ذكرها قريبا وهذا يدل على أنه ههنا من جملة الموصين * وقوله (يابني ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وأنتم مسلمون) أى أحسنوا في حال الحياة والزموا هذا ليرزقكم الله الوفاة عليه فان المرء يموت غالبا على ماكان عليه ويبعث على مامات عليه وقد أجرى الله الكريم عادته بان من قصد الخير وفق له ويسر عليه ومن نوى صالحا ثبت عليه . وهذا لايعارض ماجاء في الحديث الصحيح «ان الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا باع أو ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها. وان الرجل ليعمل بعمل أهل النار حتى مايكون بينه و بينها الا باع أو ذراع فيسبق عليه

إلا الله ، قال أبوعبيدة ؛ إن شئت رددت الكناية الى الملة لانه ذكر ملة ابراهيم، وان شئت رددتها الى الوصية أي وصى ابراهيم بنيه الثمانية اسماعيل وأمه هاجر القبطية واسحق وأمه سارة وستة أمهم قنطورا بنت يقطن الكنعانية تزوجها ابراهيم بعد وفاة سارة و يعقوب — سمي بذلك لانه والعيص كانا توأمين فتقدم عيص في الخروج من بطن أمه وخرج يعقوب على أثره آخذا بعقبه قاله ابن عباس وقيل : سمي يعقوب لكثرة عقبه يعني ووصى أيضا يعقوب بنيه الاثنى عشر ﴿ يابنيّ ﴾ معناه أن يابني ﴿ ان الله اصطفى ﴾ اختار ﴿ لكم الدين ﴾ أي دين الاسلام ﴿ فلا تموتن الا وأنتم مسلمون ﴾ مؤمنون وقيل مخلصون وقيل مفوضون والنهى في ظاهر الكلام وقع على الموت وانما نهوا في الحقيقة عن ترك الاسلام معناه داوموا على الاسلام حتى لايصادفكم الموت الا وأنتم مسلمون ، وعن الفضيل ابن عياض رحمه الله انه قال (الا وأنتم مسلمون) أى محسنون بربكم الظن * أخبرنا عبد الواحد ابن أحمد المليحي أنا أبو محمد عبدالرحمن بن أبي شريح أنا أبو القاسم عبدالله بن محمد بن عبد العزيز البغوي أنا علي بن الجعد أنا أبو جعفر الرازي عن الاعمش عن أبي سفيان عن جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه قبل موته بثلاثة ايام يقول «لايموتن أحدكم الا وهو يحسن الظن بالله

الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها» لانه قدجاء في بعض روايات هذا الحديث «ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس ويعمل أهل النار فيما يبدو للناس وقد قال الله تعالى (فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى)

(١٣٢) ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوبَ الموتُ اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحق الها واحدا ونحن له مسلمون

(١٣٣) تلك امة قدخلت لها ماكسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون)

يقول تعالى محتجا على المشركين من العرب أبناء اسماعيل وعلى الكفار من بني اسرائيل — وهو يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم السلام — بأن يعقوب لما حضرته الوفاة وصى بنيه بعبادة الله وحده لا شريك له فقال لهم (ماتعبدون من بعدي؟ قالوا نعبد الهك وإله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحق وهذا من باب التغليب لان اسماعيل عمه : قال النحاس والعرب تسمى العم أبا « نقله القرطبي وقد استدل بهذه الآية الكريمة من جعل الجد أبا وحجب به الاخوة كما هو قول الصديق حكاه البخاري عنه من طريق ابن عباس وابن الزبير ثم قال البخاري ولم يختلف عليه واليه ذهبت عائشة أم المؤمنين وبه يقول الحسن البصري وطاوس وعطاء وهو مذهب أبي حنيفة وغير واحد من السلف والخلف « وقال مالك والشافعي واحمد في المشهور عنه انه يقاسم الاخوة ، وحكي ذلك عن عمر وعثمان وعلي وابن مسعود وزيد بن ثابت وجماعة من السلف والخلف واختاره صاحبا أبي حنيفة القاضي أبو يوسف ومحمد بن الحسن ولتقريرها موضع آخر « وقوله (الها واحدا)أى نوحده بالالوهية ولا نشرك به شيئا غيره(ونحن له مسلمون)أى مطيعون خاضعون كما قال تعالى (وله أسلم من في السموات والارض طوعا وكرها واليه يرجعون) والاسلام هو ملة الانبياء قاطبة وان تنوعت شرائعهم واختلفت مناهجهم كما قال تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا إله الا أنا

عز وجل(١)قوله تعالى ﴿ أم كنتم شهداء ﴾ يعني أكنتم شهداء يريد ما كنتم شهداء حضورا ﴿ إذ حضر يعقوب الموت ﴾ اي حين قرب يعقوب من الموت قيل نزلت في اليهود حين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ألست تعلم أن يعقوب يوم مات أوصى بنيه باليهودية فعلى هذا القول يكون الخطاب لليهود . وقال الكلبي لما دخل يعقوب مصر رآهم يعبدون الاوثان والثيران فجمع ولده وخاف عليهم ذلك فقال عز وجل ﴿ إذقال لبنيه ماتعبدون من بعدي ﴾ قال عطاء ان الله تعالى لم يقبض نبيا حتى خيره بين الحياة والموت فلما خير يعقوب قال يارب انظرني حتى أسأل ولدي وأوصيهم ففعل الله ذلك به فجمع ولده وولد ولده وقال لهم قد حضر أجلي فما تعبدون من بعدي ﴿ قالوا نعبد الهك وإله آبائك إبراهيم واسماعيل واسحق ﴾ وكان اسماعيل عما لهم والعرب تسمي العم أبا كما تسمى الخالة أما قال النبي صلى الله عليه وسلم «عم الرجل صنو أبيه» وقال في عمه العباس« ردوا علي أبي فاني أخشى أن تفعل به قريش مافعلت ثقيف

(١) رواه أحمد ومسلم وغيرهما

فأعبدون) والآيات في هذا كثيرة والاحاديث فمنها قوله صلى الله عليه وسلم « نحن معشر الانبياء أولاد علات ديننا واحد » وقوله تعالى (تلك أمة قد خلت) أى مضت (لها ما كسبت ولكم ما كسبتم) أى ان السلف الماضين من آبائكم من الانبياء والصالحين لا ينفعكم انتسابكم اليهم اذا لم تفعلوا خيرا يعود نفعه عليكم فان لهم أعمالهم التي عملوها ولكم اعمالكم (ولا تسئلون عما كانوا يعملون) وقال ابو العالية والربيع وقتادة «تلك أمة قد خلت» يعني ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط . ولهذا جاء في الاثر «من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه » (١)

(١٣٤) وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا قل بل ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين

قال محمد بن اسحق حدثني محمد بن أبي محمد حدثني سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس قال : قال عبد الله بن صور يا الاعور لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما الهدى الا ما نحن عليه فاتبعنا يا محمد تهتد . وقالت النصارى مثل ذلك « فأنزل الله عز وجل (وقالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا) وقوله (قل بل ملة ابراهيم حنيفا) أي لا نريد ما دعوتمونا اليه من اليهودية والنصرانية بل نتبع (ملة ابراهيم حنيفا) أي مستقيما . قاله محمد بن كعب القرظي وعيسى بن جارية . وقال خصيف عن مجاهد مخلصا . وروي علي بن أبي طلحة عن ابن عباس حاجا . وكذا روي عن الحسن والضحاك وعطية والسدي . وقال أبو العالية : الحنيف الذي يستقبل البيت بصلاته ويرى ان حجه عليه ان استطاع اليه سبيلا . وقال مجاهد والربيع بن أنس : حنيفا أي متبعا . وقال أبو قلابة : الحنيف الذي يؤمن بالرسل كلهم من أولهم الى آخرهم . وقال قتادة : الحنيفية شهادة أن لا إله الا الله يدخل فيها تحريم الامهات والبنات والخالات والعمات وما حرم الله عز وجل والختان

(١) رواه مسلم مرفوعا من حديث طويل عن أبي هريرة

بعروة بن مسعود» وذلك انهم قتلوه — ﴿ إلهاً واحدا ﴾ نصب على البدل من قوله إلهك وقيل نعرفه إلها واحدا ﴿ ونحن له مسلمون تلك أمة ﴾ جماعة ﴿قد خلت ﴾ مضت ﴿ لها ما كسبت ﴾ من العمل ﴿ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون ﴾ يعني يسئل كل عن عمله لا عن عمل غيره قوله ﴿ وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا ﴾ قال ابن عباس نزلت في رؤساء يهود المدينة كعب بن الاشرف ومالك ابن الصيف ووهب بن يهودا وأبي ياسر بن أخطب وفي نصارى اهل نجران السيد والعاقب وأصحابهما وذلك انهم خاصموا المسلمين فى الدين كل فرقة تزعم انها أحق بدين الله فقالت اليهود نبينا موسى أفضل الانبياء وكتابنا التوراة فضل الكتب وديننا افضل الاديان وكفرت بعيسى والانجيل وبمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن » وقالت النصارى نبينا أفضل الانبياء وكتابنا الانجيل افضل الكتب وديننا افضل الاديان وكفرت بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن، وقال كل واحد من الفريقين للمؤمنين كونوا على ديننا فلا دين الا ذلك . فقال تعالى ﴿ قل ﴾ يا محمد ﴿ بل ملة ابراهيم ﴾ بل نتبع ملة ابراهيم وقال الكسائي هو نصب على الاغراء كأنه يقول اتبعوا ملة ابراهيم وقيل معناه بل نكون على

(١٣٥) قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الي ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما أوتي موسي وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون

أرشد الله تعالى عباده المؤمنين الى الايمان بما أنزل اليهم بواسطة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم مفصلا وما أنزل على الانبياء المتقدمين مجملا ، ونص على أعيان من الرسل وأجمل ذكر بقية الانبياء وان لا يفرقوا بين أحد منهم بل يؤمنوا بهم كلهم ولا يكونوا كمن قال الله فيهم (ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ، ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا أولئك الكافرون حقا) الآية وقال البخاري : حدثنا محمد بن بشار أخبرنا عثمان بن عمرة أخبرنا علي بن المبارك عن يحيى ابن أبي كثير عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة قال : كان أهل الكتاب يقرؤن التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لاهل الاسلام ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم (قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا» الآية. وقد روى مسلم وأبو داود والنسائي من حديث عثمان بن حكيم عن سعيد بن يسار عن ابن عباس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر ما يصلي الركعتين اللتين قبل الفجر (بآمنا بالله وما أنزل الينا) الآية والاخرى (بآمنا بالله واشهد بأنا مسلمون) وقال أبو العالية والربيع وقتادة : الاسباط بنو يعقوب اثنا عشر رجلا ولد كل رجل منهم أمة من الناس فسموا الاسباط . وقال الخليل بن أحمد وغيره : الاسباط في بني اسرائيل كالقبائل في بني اسمعيل . وقال الزمخشري في الكشاف : الاسباط حفدة يعقوب ذراري أبنائه الاثنى عشر وقد نقله الرازي عنه وقرره ولم يعارضه . وقال البخارى : الاسباط قبائل بني اسرائيل ، وهذا يقتضي ان المراد بالاسباط ههنا شعوب بني اسرائيل وما أنزل الله من الوحي

ملة ابراهيم فحذف على فصار منصوبا ﴿حنيفا﴾ نصب على الحال عند نحاة البصرة وعند نحاة الكوفة نصب على القطع أراد به بل ملة ابراهيم الحنيف فلما أسقطت الالف واللام لم تتبع النكرة المعرفة فانقطع منه فنصب قال مجاهد الحنيفة اتباع ابراهيم فيما أتى به من الشريعة التي صار بها إماما للناس قال ابن عباس الحنيف المائل عن الاديان كلها الى دين الاسلام وأصله من الحنف وهو ميل وعوج يكون في القدم وقال سعيد بن جبير الحنيف هو الحاج المختتن وقال الضحاك اذا كان مع الحنيف المسلم فهو الحاج واذا لم يكن مع المسلم فهو المسلم ، قال قتادة الحنيفية الختان وتحريم الامهات والبنات والاخوات والعمات والخالات وإقامة المناسك ﴿وما كان من المشركين﴾ ثم علم المؤمنين طريق الايمان فقال جل ذكره ﴿قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا﴾ يعني القرآن ﴿وما أنزل الى ابراهيم﴾ وهو عشر صحف ﴿واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط﴾ يعني أولاد يعقوب وهم اثنا عشر سبطا واحدهم سبط سموا بذلك لانه ولد لكل واحد منهم جماعة وسبط الرجل حافده ومنه قيل للحسن والحسين رضي الله عنهما سبطا رسول الله صلي الله عليه وسلم والاسباط من بني اسرائيل كالقبائل من العرب من بني

على الانبياء الموجودين منهم كما قال موسى لهم (اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا) الآية وقال تعالى (وقطعناهم اثنتي عشرة أسباطا) قال القرطبي : وسموا الاسباط من السبط وهو التتابع فهم جماعة ، وقيل أصله من السبط بالتحريك وهو الشجر ، أي في الكثرة بمنزلة الشجر الواحدة سبطة . قال الزجاج : ويبين لك هذا ما حدثنا محمد بن جعفر الانباري حدثنا أبو نجيد الدقاق حدثنا الاسود بن عامر حدثنا اسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس قال : كل الانبياء من بني اسرائيل الا عشرة نوح وهود وصالح وشعيب وابراهيم واسحق ويعقوب واسماعيل ومحمد عليهم الصلاة والسلام . قال القرطبي : والسبط الجماعة والقبيلة الراجعون الى أصل واحد . وقال قتادة : أمر الله المؤمنين أن يؤمنوا به ويصدقوا بكتبه كلها وبرسله . وقال سليمان بن حبيب : انما أمرنا أن نؤمن بالتوراة والانجيل ولا نعمل بما فيهما . وقال ابن أبي حاتم : أخبرنا محمد بن محمد بن مصعب الصوري أخبرنا مؤمل أخبرنا عبيد الله بن أبي حميد عن أبي المليح عن معقل بن يسار قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « آمنوا بالتوراة والزبور والانجيل وليسعكم القرآن »

(١٣٦) فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وان تولوا فانما هم في شقاق فسيكفيكم الله وهو السميع العليم (١٣٧) صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون)

يقول تعالى فان آمنوا ، يعني الكفار من أهل الكتاب وغيرهم بمثل ما آمنتم به يا أيها المؤمنون من الايمان بجميع كتب الله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم (فقد اهتدوا) أي فقد أصابوا الحق وأرشدوا اليه . (وان تولوا) أي عن الحق الى الباطل بعد قيام الحجة عليهم (فانما هم في شقاق فسيكفيكهم الله) أي فسينصرك عليهم ويظفرك بهم (وهو السميع العليم)

إسماعيل والشعوب من العجم وكان في الاسباط أنبياء ولذلك قال وما أنزل اليهم وقيل هم بنو يعقوب من صلبه صاروا كلهم أنبياء ﴿ وما أوتي موسى ﴾ يعني التوراة ﴿ وعيسى ﴾ يعني الانجيل ﴿ وما أوتي ﴾ أعطي ﴿ النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ﴾ أي نؤمن بالكل لا نفرق بين أحد منهم فنؤمن ببعض ونكفر ببعض كما فعلت اليهود والنصارى ﴿ ونحن له مسلمون ﴾ أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل أنا محمد بن بشار أنا عثمان بن عمر أنا علي بن المبارك عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال كان أهل الكتاب يقرؤن التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا » بالله الآية ﴿ فان آمنوا بمثل ما آمنتم به ﴾ أي بما آمنتم به وكذلك كان يقرؤها ابن عباس والمثل صلة كقوله تعالى ليس كمثله شيء أي ليس هو كشيء . وقيل معناه فان آمنوا بجميع ما آمنتم به أي أتوا بايمان كايمانكم وتوحيد كتوحيدكم وقيل معناه فان آمنوا مثل ما آمنتم والباء زائدة كقوله تعالى (وهزي اليك بجذع النخلة) وقال أبو معاذ النحوي معناه فان آمنوا

قال ابن أبي حاتم قرئ على يونس بن عبد الاعلى أخبرنا ابن وهب أخبرنا زياد بن يونس حدثنا نافع بن أبي نعيم قال أرسل الى بعض الخلفاء مصحف عثمان ليصلحه قال زياد فقلت له ان الناس ليقولون إن مصحفه كان في حجره حين قتل فوقع الدم على (فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم) فقال نافع بصرت عيني بالدم على هذه الآية وقد قدم * وقوله (صبغة الله) قال الضحاك عن ابن عباس دين الله وكذا روي عن مجاهد وأبي العالية وعكرمة وابراهيم والحسن وقتادة والضحاك وعبد الله بن كثير وعطية العوفي والربيع بن أنس والسدي نحو ذلك وانتصاب صبغة الله إما على الاغراء كقوله (فطرة الله) أي الزموا ذلك عليكموه وقال بعضهم بدلا من قوله (ملة ابراهيم) وقال سيبويه هو مصدر مؤكد انتصب عن قوله (آمنا بالله) كقوله (وعد الله) وقد ورد في حديث رواه بن أبي حاتم وابن مردويه من رواية أشعث بن اسحاق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال: ان بني اسرائيل قالوا يارسول الله هل يصبغ ربك؟ فقال اتقوا الله . فناداه ربه ياموسى سألوك هل يصبغ ربك؟ فقل نعم: أنا أصبغ الالوان الأحمر والابيض والاسود والالوان كلها من صبغي. وأنزل الله على نبيه الله صلى الله عليه وسلم (صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة) كذا وقع في رواية ابن مردويه مرفوعا وهو في رواية ابن أبي حاتم موقوف وهو أشبه إن صح إسناده والله أعلم

(١٣٨) قل أتحاجوننا في الله وهو ربنا وربكم ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم ونحن له

بكتابكم كما آمنتم بكتابهم ﴿فقد اهتدوا وان تولوا فانما هم في شقاق﴾ أي في خلاف ومنازعة قاله ابن عباس وعطاء يقال شاق مشاقة اذا خالف كان كل واحد أخذ في شق غير شق صاحبه : قال الله تعالى (لايجرمنكم شقاقي) أي خلافي وقيل في عداوة دليله قوله تعالى (ذلك بانهم شاقوا الله) أي عادوا الله ﴿فسيكفيكهم الله﴾ يامحمد أي يكفيك شر اليهود والنصارى وقد كفي باجلاء بني النضير وقتل بني قريظة وضرب الجزية على اليهود والنصارى ﴿وهو السميع﴾ لاقوالهم ﴿العليم﴾ بأحوالهم

قوله تعالى ﴿صبغة الله﴾ قال ابن عباس في رواية الكلبي وقتادة والحسن دين الله وانما سماه صبغة لانه يظهر أثر الدين على المتدين كما يظهر أثر الصبغ على الثوب وقيل لان المتدين يلزمه ولا يفارقه كالصبغ يلزم الثوب : وقال مجاهد فطرة الله وهو قريب من الاول . وقيل سنة الله ، وقيل أراد به الختان لانه يصبغ صاحبه بالدم : وقال ابن عباس هي ان النصارى اذا ولد لاحدهم ولد فاتت عليه سبعة أيام غمسوه في ماء لهم أصفر يقال له المعمودية وصبغوه به ليطهروه بذلك الماء مكان الختان فاذا فعلوا به ذلك : قالوا الآن صار نصرانيا حقاء فاخبر الله ان دينه الاسلام لامايفعله النصارى. وهو نصب على الاغراء يعني الزموا دين الله : قال الاخفش هي بدل من قوله ملة ابراهيم ﴿ومن أحسن من الله صبغة﴾ دينا وقيل تطهيرا ﴿ونحن له عابدون﴾ مطيعون ﴿قل﴾ يامحمد اليهود والنصارى ﴿أتحاجوننا في الله﴾ أي في دين الله والمحاجة المجادلة في الله لاظهار الحجة وذلك بانهم قالوا ان الانبياء كانوا

مخلصون (١٣٩) أم تقولون إن ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هوداً أو نصارى ؟ قل أأنتم أعلم أم الله ؟ ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله ؟ وما الله بغافل عما تعملون (١٤٠) تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون ■

يقول الله تعالى مرشدا نبيه صلوات الله وسلامه عليه الى درء مجادلة المشركين (قل أتحاجوننا في الله) أي تناظروننا في توحيد الله والانقياد والاخلاص له واتباع أوامره وترك زواجره (وهو ربنا وربكم) المتصرف فينا وفيكم المستحق لاخلاص الالهية له وحده لا شريك له (ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم) أي نحن برآء منكم ومما تعبدون وأنتم برآء منا كما قال في الآية الاخرى (فان كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم. أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون) (فان حاجوك فقل أسلمت وجهي لله ومن اتبعني) الى آخر الآية وقال تعالى إخبارا عن ابراهيم (وحاجه قومه قال أتحاجوني في الله) الى آخر الآية وقال تعالى (ألم تر الى الذى حاج ابراهيم في ربه) الآية وقال في هذه الآية الكريمة (ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم ونحن له مخلصون) أي نحن براء منكم كما أنتم براء منا ونحن له مخلصون أي في العبادة والتوجه ثم أنكر تعالى عليهم في دعواهم أن ابراهيم ومن ذكر بعده من الانبياء والاسباط كانوا على ملتهم إما اليهودية وإما النصرانية فقال (قل أأنتم أعلم أم الله) يعني بل الله أعلم وقد أخبر أنهم لم يكونوا هودا ولا نصارى كما قال تعالى (ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين) الآية والتي بعدها. وقوله ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله) قال الحسن البصري كانوا يقرؤن في كتاب الله الذي أتاهم ان الدين الاسلام وان محمدا رسول الله وان ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا برآء من اليهودية والنصرانية فشهدوا لله بذلك وأقروا على أنفسهم لله فكتموا شهادة الله عندهم من ذلك. وقوله (وما الله بغافل عما تعملون) تهديد

منا وعلى دبننا ودبننا أقدم فنحن أولى بالله منكم: فقال الله قل أتحاجوننا في الله ﴿وهو ربنا وربكم﴾ أي نحن وأنتم سواء في الله فانه ربنا وربكم ﴿ولنا أعمالنا ولكم اعمالكم﴾ أي لكل واحد جزاء عمله فكيف تدعون انكم أولى بالله ﴿ونحن له مخلصون﴾ وأنتم به مشركون: قال سعيد بن جبير الاخلاص ان يخلص العبد دينه وعمله فلا يشرك به في دينه ولا يرائي بعمله: قال الفضيل ترك العمل لاجل الناس رياء والعمل من أجل الناس شرك والاخلاص ان يعافيك الله منهما: قل الله تعالى ﴿أم تقولون﴾ يعنى أتقولون صيغة استفهام ومعناه التوبيخ وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص بالتاء لقوله تعالى (قل أتحاجوننا في الله) وقال بعده: قل أأنتم أعلم أم الله. وقرأ الآخرون بالياء يعني يقول اليهود والنصارى ﴿ان ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا أو نصارى قل﴾ يا محمد ﴿أأنتم أعلم﴾ بدينهم ﴿أم الله﴾ وقد أخبر الله تعالى ان ابراهيم لم يكن يهوديا

ووعيد شديد أي أن علمه محيط بعملكم وسيجزيكم عليه . ثم قال تعالى (تلك أمة قد خلت) أي قد مضت (لها ما كسبت ولكم ما كسبتم) أي لهم أعمالهم ولكم أعمالكم (ولا تسئلون عما كانوا يعملون) وليس يغني عنكم انتسابكم اليهم من غير متابعة منكم لهم ولا تغتروا بمجرد النسبة اليهم حتى تكونوا منقادين مثلهم لاوامر الله واتباع رسله الذين بعثوا مبشرين ومنذرين فانه من كفر بنبي واحد فقد كفر بسائر الرسل ولا سيما بسيد الانبياء وخاتم المرسلين ورسول رب العالمين الى جميع الانس والجن من المكلفين صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر أنبياء الله أجمعين

(١٤١) سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها ؟ قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء الى صراط مستقيم (١٤٢) وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً . وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه . وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله . وما كان الله ليضيع إيمانكم . إن الله بالناس لرؤف رحيم *

قيل المراد بالسفهاء ههنا مشركو العرب قاله الزجاج وقيل أحبار يهود قاله مجاهد وقيل المنافقون قاله السدي والآية عامة في هؤلاء كلهم والله أعلم . قال البخارى أخبرنا أبو نعيم سمع زهيرا عن أبي اسحق عن البراء رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الى بيت المقدس ستة عشر شهرا أو سبعة عشر شهرا وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل البيت وإنه صلى أول صلاة صلاها صلاة العصر وصلى معه قوم فخرج رجل ممن كان صلى معه فمر على أهل المسجد وهم راكعون فقال أشهد بالله لقد صليت مع النبى صلى الله عليه وسلم قبل مكة، فداروا كما هم قبل البيت وكان الذى قد مات على القبلة قبل أن تحول قبل البيت رجالا قتلوا لم ندر ما نقول فيهم فأنزل الله (وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرؤف رحيم) انفرد به البخاري من هذا الوجه ورواه مسلم من وجه آخر وقال محمد ابن اسحق حدثني اسماعيل بن أبي خالد عن أبي اسحق عن البراء قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي نحو بيت المقدس ويكثر النظر الى السماء ينتظر أمر الله فأنزل الله (قد نرى تقلب

ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما ﴿ ومن أظلم ممن كتم ﴾ أخفى ﴿ شهادة عنده من الله ﴾ تعالى وهي علمهم بان ابراهيم وبنيه كانوا مسلمين وان محمدا صلى الله عليه وسلم حق ورسول أشهدهم الله عليه في كتبهم ﴿ وما الله بغافل عما تعملون * تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون ﴾ كرره تأكيدا

قوله تعالى ﴿سيقول السفهاء﴾ الجهال ﴿من الناس ماولاهم ﴾ أي شيء صرفهم وحولهم ﴿عن قبلتهم التي كانوا عليها ﴾ يعني بيت المقدس والقبلة فعلة من المقابلة نزلت في اليهود ومشركي مكة طعنوا في

وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام) فقال رجال من المسلمين وددنا لو علمنا من مات منا قبل أن نصرف الى القبلة وكيف بصلاتنا نحو بيت المقدس ؟ فأنزل الله (وما كان الله ليضيع إيمانكم) وقال السفهاء من الناس وهم أهل الكتاب ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها ؟ فأنزل الله (سيقول السفهاء من الناس) الى آخر الآية. وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا الحسن بن عطية حدثنا اسرائيل أبيعن اسحق عن البراء قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد صلى نحو بيت المقدس ستة عشر أوسبعة عشر شهرا وكان يحب أن يوجه نحو الكعبة فأنزل الله (قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها. فول وجهك شطر المسجد الحرام) قال فوجه نحو الكعبة وقال السفهاء من الناس وهم اليهود (ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها ؟) فأنزل الله (قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء الى صراط مستقيم) وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر الى المدينة أمره الله أن يستقبل بيت المقدس ففرحت اليهود فاستقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعة عشر شهرا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب قبلة ابراهيم فكان يدعو الله وينظر الى السماء فأنزل الله عز وجل (فولوا وجوهكم شطره) أي نحوه فارتاب من ذلك اليهود وقالوا ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها؟ فأنزل الله (قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء الى صراط مستقيم) وقد جاء في هذا الباب أحاديث كثيرة وحاصل الامر أنه قد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر باستقبال الصخرة من بيت المقدس فكان بمكة يصلي بين الركنين وهو مستقبل صخرة بيت المقدس فلما هاجر الى المدينة تعذر الجمع بينهما فأمره الله بالتوجه الى بيت المقدس قاله ابن عباس والجمهور ثم اختلف هؤلاء هل كان الامر به بالقرآن او بغيره على قولين وحكي القرطبي في تفسيره عن عكرمه وابي العالية والحسن البصرى ان التوجه الى بيت المقدس كان باجتهاده عليه السلام. والمقصود ان التوجه الى بيت المقدس بعد مقدمه صلى الله عليه وسلم المدينة واستمر الامر على ذلك بضعة عشر شهرا وكان يكثر الدعاء والابتهال ان يوجه الى الكعبة

تحويل القبلة من بيت المقدس الى مكة : فقالوا لمشركي مكة قد تردد على محمد أمره فاشتاق الى مولده وقد توجه نحو بلدكم وهو راجع الى دينكم فقال الله تعالى ﴿ قل لله المشرق والمغرب ﴾ ملكا والخلق عبيده ﴿ يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم * وكذلك جعلناكم أمة وسطا ﴾ نزلت في رؤساء اليهود : قالوا لمعاذ بن جبل ما ترك محمد قبلتنا الا حسدا وان قبلتنا قبلة الانبياء ولقد علم محمد انا عدل بين الناس ؛ فقال معاذ انا على حق وعدل فأنزل الله تعالى وكذلك أي وهكذا وقيل الكاف للتشبيه وهي مردودة على قوله (ولقد اصطفيناه في الدنيا) أي كما اخترنا ابراهيم وذريته واصطفيناهم كذلك جعلناكم أمة وسطا أي عدلا خيارا قال الله تعالى (قال أوسطهم) أي خيرهم وأعدلهم وخير الاشياء أوسطها : وقال الكلبي يعني اهل دين وسط بين الغلو والتقصير لانهما مذمومان في الدين أخبرنا عبد الواحد بن احمد المليحي أنا ابو معشر ابراهيم بن محمد بن الحسين

التي هى قبلة ابراهيم عليه السلام فأجيب الى ذلك وامر بالتوجه الى البيت العتيق فخطب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس فأعلمهم بذلك وكان اول صلاة صلاها اليها صلاة العصر كما تقدم في الصحيحين من رواية البراء ووقع عند النسائي من رواية ابي سعيد بن المعلى انها الظهر وقال كنت انا وصاحبي اول من صلى الى الكعبة وذكر غير واحد من المفسرين وغيرهم ان تحويل القبلة نزل على رسول الله وقد صلى ركعتين من الظهر وذلك في مسجد بني سلمة فسمي مسجد القبلتين وفي حديث نويلة بنت مسلم انهم جاءهم الخبر بذلك وهم في صلاة الظهر قالت فتحول الرجال مكان النساء والنساء مكان الرجال ذكره الشيخ ابو عمر بن عبد البر النمرى واما اهل قباء فلم يبلغهم الخبر الى صلاة الفجر من اليوم الثاني كما جاء في الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال بينما الناس بقباء في صلاة الصبح إذ جاءهم آت فقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد انزل عليه الليلة قرآن وقد امر ان يستقبل الكعبة فاستقبلوها وكانت وجوههم الى الشام فاستداروا الى الكعبة. وفي هذا دليل على ان الناسخ لا يلزم حكمه الا بعد العلم به وإن تقدم نزوله وإبلاغه لانهم لم يؤمروا باعادة العصر والمغرب والعشاء والله اعلم . ولما وقع هذا حصل لبعض الناس من اهل النفاق والريب والكفرة من اليهود ارتياب وزيغ عن الهدى وتخبيط وشك وقالوا (ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها) اى قالوا مال لهؤلاء تارة يستقبلون كذا وتارة يستقبلون كذا فأنزل الله جوابهم في قوله (قل لله المشرق والمغرب) اى الحكم والتصرف والامر كله لله (فأينما(١) تولوا فثم وجه الله) و (ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله) اى الشأن كله في امتثال اوامر الله فحيثما وجهنا توجهنا فالطاعة في امتثال امره ولو وجهنا في كل يوم مرات الى جهات متعددة فنحن عبيده وفي تصرفه وخدامه حيثما وجهنا توجهنا وهو تعالى له بعبده ورسوله محمد صلوات الله وسلامه عليه وامته عناية عظيمة إذ هداهم الى قبلة ابراهيم خليل الرحمن وجعل توجههم الى الكعبة المبنية على اسمه تعالى وحده لا شريك له اشرف بيوت الله في الارض إذ هي بناء ابراهيم الخليل عليه السلام ولهذا قال : (قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء الى صراط مستقيم)

(١) كانت في النسختين المطبوعة والمخطوطة : وحيثما . وهو من الاتفاق الغريب في الغلط

الوراق أنا ابو عبد الله محمد بن زكريا بن يحيى أنا أبو الصلت أنا حماد بن زيد أنا على بن زيد عن أبي نضر عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما بعد العصر فما ترك شيئا الى يوم القيامة الا ذكره في مقامه ذلك حتى اذا كانت الشمس على رؤس النخل وأطراف الحيطان ، قال «أما انه لم يبق من الدنيا فيما مضي منها الا كما بقى من يومكم هذا، ألا وان هذه الامة توفي سبعين أمة هي آخرها وأخيرها وأكرمها على الله تعالى » قوله تعالى ﴿ لتكونوا شهداء على الناس ﴾ يوم القيامة ان الرسل قد بلغتهم: قال ابن جريج قلت لعطاء مامعني قوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس : قال أمة محمد صلى الله عليه وسلم شهداء على من يترك الحق من الناس أجمعين ﴿ ويكون الرسول ﴾ محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ عليكم شهيدا ﴾ معدلا مزكيا

وقد روى الامام احمد عن علي بن عاصم عن حصين بن عبد الرحمن عن عمرو بن قيس عن محمد بن الاشعث عن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يعني في أهل الكتاب « انهم لا يحسدوننا على شيء كما يحسدوننا على يوم الجمعة التي هدانا الله لها وضلوا عنها وعلى القبلة التي هدانا الله لها وضلوا عنها وعلى قولنا خلف الامام آمين »

وقوله تعالى (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) يقول تعالى انما حولناكم الى قبلة ابراهيم عليه السلام واخترناها لكم لنجعلكم خيار الامم لتكونوا يوم القيامة شهداء على الامم لان الجميع معترفون لكم بالفضل ، والوسط ههنا الخيار والاجود كما يقال قريش أوسط العرب نسبا وداراً أي خيرها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وسطا في قومه ، أي أشرفهم نسبا ومنه الصلاة الوسطى التي هي أفضل الصلوات وهي العصر كما ثبت في الصحاح وغيرها ولما جعل الله هذه الامة وسطا خصها بأكمل الشرائع وأقوم المناهج وأوضح المذاهب كما قال تعالى (هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس) وقال الامام أحمد : حدثنا وكيع عن الاعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يدعى نوح يوم القيامة فيقال له هل بلغت؟ فيقول نعم ، فيدعى قومه فيقال لهم هل بلغكم ؟ فيقولون ما أتانا من نذير وما أتانا من أحد ، فيقال لنوح من يشهد لك . فيقول محمد وأمته ، قال : فذلك قوله (وكذلك جعلناكم أمة وسطا) قال والوسط العدل فتدعون فتشهدون له بالبلاغ ثم أشهد عليكم » رواه البخاري والترمذي والنسائي وابن ماجه من طرق عن الاعمش وقال الامام أحمد أيضا : حدثنا أبو معاوية حدثنا الاعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يجيء النبي يوم القيامة ومعه الرجلان وأكثر من ذلك فيدعى قومه فيقال لهم هل بلغكم هذا » فيقولون لا . فيقال له هل بلغت قومك ؟ فيقول نعم . فيقال من يشهد لك ، فيقول محمد وأمته فيدعى محمد وأمته . فيقال لهم هل بلغ

لكم وذلك ان الله تعالى يجمع الاولين والآخرين في صعيد واحد ثم يقول لكفار الامم الماضية : (ألم يأتكم نذير) فينكرون ويقولون ماجاءنا من بشير ولا نذير فيسأل الله الانبياء عليهم السلام عن ذلك فيقولون كذبوا قد بلغناهم فيسألهم البينة وهو أعلم بهم إقامة للحجة فيؤتى بأمة محمد صلى الله عليه وسلم فيشهدون لهم أنهم قد بلغوا فتقول الامم الماضية من أين علموا وانما أتوا بعدنا فيسأل هذه الامة فيقولون أرسلت الينا رسولا ، وأنزلت عليه كتابا أخبرتنا فيه بتبليغ الرسل وأنت صادق فيما أخبرت ثم يؤتى بمحمد صلى الله عليه وسلم فيسأل عن حال أمته فيزكيهم ويشهد بصدقهم . أخبرنا عبد الواحد بن احمد المليحي اخبرنا احمد بن عبد الله النعيمي اخبرنا محمد بن يوسف اخبرنا محمد بن اسماعيل اخبرنا اسحق بن منصور اخبرنا ابو أسامة قال الاعمش اخبرنا ابو صالح عن أبي سعيد الخدري : قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يجاء بنوح يوم القيامة فيقال له هل بلغت ؟ فيقول

هذا قومه ؟ فيقولون نعم . فيقال وماعلمكم ؟ فيقولون جاءنا نبينا فأخبرنا ان الرسل قد بلغوا فذلك قوله عز وجل (وكذلك جعلناكم أمة وسطا) قال عدلا (لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا » وقال أحمد أيضا : حدثنا أبو معاوية حدثنا الاعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد الخدرى عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى (وكذلك جعلناكم أمة وسطا) قالا عدلا . وروى الحافظ أبو بكر بن مردويه وابن أبي حاتم من حديث عبد الواحد بن زياد عن أبي مالك الاشجعي عن المغيرة بن عتيبة بن نباس حدثني مكاتب لنا عن جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «أنا وأمتي يوم القيامة على كوم مشرفين على الخلائق ما من الناس أحد إلا ود أنه منا وما من نبي كذبه قومه الا ونحن نشهد انه قد بلغ رسالة ربه عز وجل » وروى الحاكم في مستدركه وابن مردويه أيضا » واللفظ له من حديث مصعب بن ثابت عن محمد بن كعب القرظي عن جابر بن عبد الله قال: شهد رسول الله صلى الله عليه وسلم جنازة في بني مسلمة وكنت الى جانب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم : والله يارسول الله لنعم المرء كان » لقد كان عفيفا مسلما وكان وأثنوا عليه خيرا » فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنت بما تقول . فقال الرجل : الله أعلم بالسرائر ، فأما الذي بدا لنا منه فذاك فقال النبي صلى الله عليه وسلم وجبت ، ثم شهد جنازة في بني حارثة وكنت الى جانب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم : يارسول الله بئس المرء كان ان كان لفظا غليظا فأثنوا عليه شرا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبعضهم أنت بالذي تقول . فقال الرجل الله أعلم بالسرائر ، فأما الذي بدا لنا منه فذاك . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وجبت . قال مصعب ابن ثابت : فقال لنا عند ذلك محمد بن كعب صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قرأ (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) ثم قال الحاكم : هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه . وقال الامام أحمد : حدثنا يونس بن محمد حدثنا داود بن أبي الفرات عن عبد الله بن بريدة عن أبي الاسود انه قال : أتيت المدينة فوافقتها وقد وقع بها مرض فهم

نعم يارب ، فيسأل أمته هل بلغكم؟ فيقولون ما جاءنا من نذير، فيقال من شهودك فيقول محمد وأمته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «فيجاء بكم فتشهدون» ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا

قوله تعالى ﴿ وما جعلنا القبلة التي كنت عليها ﴾ أي تحويلها يعني بيت المقدس فيكون من باب حذف المضاف ويحتمل ان يكون المفعول الثاني للجعل محذوفا على تقدير وما جعلنا القبلة التي كنت عليها منسوخة وقيل معناه التي أنت عليها وهي الكعبة كقوله تعالى كنتم خير أمة أي أنتم ﴿ الا لنعلم من يتبع الرسول ﴾ فان قيل ما معنى قوله الا لنعلم وهو عالم بالاشياء كلها قبل كونها قيل أراد به العلم الذي يتعلق به الثواب والعقاب فانه لا يتعلق بما هو عالم به في الغيب انما يتعلق بما يوجد معناه لنعلم العلم الذي يستحق العامل عليه الثواب والعقاب وقيل الا لنعلم أي لنرى ونميز من يتبع الرسول في

يموتون موتا ذريعا ، فجلست الى عمر بن الخطاب فمرت به جنازة فأثني على صاحبها خيرا ، فقال: وجبت ثم مر بأخرى فأثني عليها شر ، فقال عمر : وجبت. فقال أبو الاسود وجبت يا أمير المؤمنين .قال قلت كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيما مسلم شهد له أربعة بخير أدخله الله الجنة قال فقلنا وثلاثة قال : فقال وثلاثة، قال فقلنا واثنان .قال واثنان .ثم لم نسأله عن الواحد. وكذا رواه البخاري والترمذي والنسائي من حديث داود بن أبي الفرات به : وقال ابن مردويه حدثنا احمد بن عثمان بن يحيى حدثنا أبو قلابة الرقاشي حدثني أبو الوليد حدثنا نافع بن عمر حدثني أمية بن صفوان عن أبي بكر بن أبي زهير الثقفي عن أبيه : قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنباوة يقول يوشك أن تعلموا خياركم من شراركم » قالوا بم يارسول الله ؟ قال« بالثناء الحسن والثناء السيء أنتم شهداء الله في الارض » ورواه ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة عن يزيد بن هرون ورواه الامام احمد عن يزيد بن هرون وعبد الملك بن عمر وشريح عن نافع عن ابن عمر به

وقوله تعالى (وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وان كانت لكبيرة الا على الذين هدى الله) يقول تعالى انما شرعنا لك يا محمد التوجه أولا الى بيت المقدس ثم صرفناك عنها الى الكعبة ليظهر حال من يتبعك و يطيعك و يستقبل معك حيثما توجهت ممن ينقلب على عقبيه ، أي مرتدا عن دينه وان كانت لكبيرة ، أي هذه الفعلة وهو صرف التوجه عن بيت المقدس الى الكعبة ، أي وان كان هذا الامر عظيما في النفوس الا على الذين هدى الله قلوبهم وأيقنوا بتصديق الرسول وان كل ما جاء به فهو الحق الذي لا مرية فيه ، وان الله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فله ان يكلف عباده بما شاء و ينسخ ما يشاء ، وله الحكمة التامة والحجة البالغة في جميع ذلك بخلاف الذين في قلوبهم مرض فانه كلما حدث أمر أحدث لهم شكا كما يحصل للذين آمنوا ايقان وتصديق ، كما قال الله تعالى (واذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه ايمانا ؟ فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم) وقال تعالى (قل هو للذين

القبلة ﴿ ممن ينقلب على عقبيه ﴾ فيرتد وفي الحديث ان القبلة لما حولت ارتد قوم من المسلمين الى اليهودية : وقالوا رجع محمد الى دين آبائه : وقال اهل المعاني معناه الا لعلمنا من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه كان سبق في علمه ان تحويل القبلة سبب لهداية قوم وضلالة قوم وقد يأتي لفظ الاستقبال بمعنى الماضي كما قال الله تعالى(فلم تقتلون أنبياء الله؟)أي فلم قتلتموهم ﴿ وان كانت ﴾ أي وقد كانت او تولية القبلة وقيل الكناية راجعة الى القبلة وقيل الى الكعبة . قال الزجاج وان كانت التحويلة ﴿الكبيرة﴾ ثقيلة شديدة ﴿الا على الذين هدى الله ﴾ أي هداهم الله ، قال سيبويه وان تأكيد شبيه باليمين ولذلك دخلت اللام في جوابها ﴿ وما كان الله ليضيع ايمانكم ﴾ وذلك ان حيي بن اخطب واصحابه من اليهود . قالوا للمسلمين اخبرونا عن صلاتكم نحو بيت المقدس ان كانت هدى فقد تحولتم عنها وان كانت ضلالة فقد دنتم الله بها ومن مات منكم عليها فقد مات على الضلالة . فقال

آمنوا هدى وشفاء والذين لايؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى) وقال تعالى (وننزل من القرآن ما هوشفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلاخسارا) ولهذا كان من ثبت على تصديق الرسول صلى الله عليه وسلم واتباعه في ذلك وتوجه حيث أمره الله من غير شك ولا ريب من سادات الصحابة . وقد ذهب بعضهم الى ان السابقين الاولين من المهاجرين والانصار هم الذين صلوا القبلتين . وقال البخاري في تفسيره هذه الآية: حدثنا مسدد حدثنا يحيى عن سفيان عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر قال : بينا الناس يصلون الصبح في مسجد قباء اذ جاء رجل فقال : قد أنزل على النبي صلى الله عليه وسلم قرآن وقد أمر ان يستقبل الكعبة فاستقبلوها. فتوجهوا الى الكعبة . وقد رواه مسلم من وجه آخر عن ابن عمر ورواه الترمذي من حديث سفيان الثوري وعنده أنهم كانوا ركوعا فاستداروا كما هم الى الكعبة وهم ركوع . وكذا رواه مسلم من حديث حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس مثله ، وهذا يدل على كمال طاعتهم لله ولرسوله وانقيادهم لاوامر الله عز وجل رضي الله عنهم أجمعين .

وقوله (وما كان الله ليضيع ايمانكم) أي صلاتكم الى بيت المقدس قبل ذلك ما كان يضيع ثوابها عند الله وفي الصحيح من حديث أبي اسحق السبيعي عن البراء قال : مات قوم كانوا يصلون نحو بيت المقدس ؟ فقال الناس ما حالهم في ذلك . فأنزل الله تعالى (وما كان الله ليضيع ايمانكم) ورواه الترمذي عن ابن عباس وصححه . وقال ابن اسحق : حدثني محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس (وما كان الله ليضيع ايمانكم) أي بالقبلة الاولى وتصديقكم نبيكم واتباعه الى القبلة الاخرى . أي ليعطيكم أجرهما جميعا (ان الله بالناس لرؤف رحيم) وقال الحسن البصري (وما كان الله ليضيع ايمانكم) أي ما كان الله ليضيع محمداً صلى الله عليه وسلم وانصرافكم معه حيث انصرف (ان الله بالناس لرؤف رحيم) وفي الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى امرأة من السبي قد فرق بينها و بين ولدها فجعلت كلما وجدت صبيا من السبي أخذته فألصقته بصدرها وهي تدور على ولدها . فلما وجدته ضمته اليها وألقمته ثديها . فقال رسول الله صلى الله عليه

المسلمون انما الهدى ما امر الله به والضلالة ما نهى الله عنه . قالوا فما شهادتكم على من مات منكم على قبلتنا وكان قد مات قبل ان تحول الى الكعبة من المسلمين اسعد بن زرارة من بني النجار والبراء ابن معرور من بني سلمة وكانوا من النقباء ورجال آخرون فانطلق عشائرهم الى النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا يارسول الله قد صرفك الى قبلة ابراهيم فكيف باخواننا الذين ماتوا وهم يصلون الى بيت المقدس؟ فأنزل الله تعالى (وما كان الله ليضيع ايمانكم) يعني صلاتكم الى بيت المقدس ﴿ان الله بالناس لرؤف رحيم﴾ قرأ اهل الحجاز وابن عامر وحفص لرؤف مشبعا على وزن فعول لان أكثر اسماء الله تعالى على فعول وفعيل كالغفور والشكور والرحيم والكريم وغيرها وابو جعفر بلين الهمزة وقرأ الآخرون بالاختلاس على وزن فعل . قال جرير

نرى للمسلمين عليك حقا ■ كفعل الواحد الرؤف الرحيم

وسلم : ترون هذه طارحة ولدها في النار وهي تقدر على ان لا تطرحه ؟ قالوا : لا يا رسول الله . قال: «فوالله لله أرحم بعباده من هذه بولدها»

(١٤٣) قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها ، فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره، وان الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : كان أول ما نسخ من القرآن القبلة وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لما هاجر الى المدينة وكان أكثر أهلها اليهود فأمره الله ان يستقبل بيت المقدس ففرحت اليهود فاستقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعة عشر شهرا وكان يحب قبلة ابراهيم فكان يدعو الى الله وينظر الى السماء (فأنزل الله قد نرى تقلب وجهك في السماء) الى قوله (فولوا وجوهكم شطره) فارتابت من ذلك اليهود وقالوا : (ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب) وقال (فأينما تولوا فثم وجه الله) وقال الله تعالى (وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه . وروى ابن مردويه من حديث القاسم العمري عن عمه عبيد الله بن عمر عن داود بن الحصين عن عكرمه عن ابن عباس قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا سلم من صلاته الى بيت المقدس رفع رأسه الى السماء . فأنزل الله (فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام) الى الكعبة الى الميزاب يؤم به جبرئيل عليه السلام .

والرأفة أشد الرحمة قوله تعالى ﴿ قد نرى تقلب وجهك في السماء ﴾ هذه الآية وان كانت متأخرة في التلاوة فهي متقدمة في المعنى فانها رأس القصة. وأمر القبلة أول ما نسخ من أمور الشرع وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه كانوا يصلون بمكة الى الكعبة . فلما هاجر الى المدينة أمره الله ان يصلي نحو صخرة بيت المقدس ليكون أقرب الى تصديق اليهود إياه اذا صلى الى قبلتهم مع مايجدون من نعته في التوراة فصلى بعد الهجرة ستة عشر اوسبعة عشر شهرا الى بيت المقدس وكان يحب ان يوجه الى الكعبة لانها كانت قبلة ابيه ابراهيم عليه السلام : وقال مجاهد كان يحب ذلك من اجل اليهود لانهم كانوا يقولون يخالفنا محمد صلى الله عليه وسلم في ديننا ويتبع قبلتنا فقال لجبريل عليه السلام وددت لو حولني الله الى الكعبة فانها قبلة ابي ابراهيم عليه السلام فقال جبريل انما انا عبد مثلك وانت كريم على ربك فسل انت ربك فانك عند الله عز وجل بمكان فعرج جبريل عليه السلام وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يديم النظر الى السماء رجاء ان ينزل جبريل بما يحب من امر القبلة فأنزل الله تعالى ﴿ قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ﴾ فلنحولنك الى قبلة ﴿ترضاها﴾ اي تحبها وتهواها ﴿ فول ﴾ اى حول ﴿وجهك شطر المسجد الحرام﴾ اى نحوه واراد به الكعبة والحرام المحرم ﴿وحيثما كنتم﴾ من بر او بحر شرق او غرب ﴿فولوا وجوهكم شطره﴾

وروى الحاكم في مستدركه من حديث شعبة عن يعلى بن عطاء عن يحيى بن قطة قال : رأيت عبد الله بن عمرو جالسا في المسجد الحرام بازاء الميزاب فتلا هذه الآية (فلنولينك قبلة ترضاها) قال نحو ميزاب الكعبة . ثم قال صحيح الاسناد ولم يخرجاه . ورواه ابن أبي حاتم عن الحسن بن عرفة عن هشام عن يعلي بن عطاء به . وهكذا قال غيره وهو أحد قولي الشافعي رضي الله عنه . ان الغرض اصابة عين الكعبة . والقول الآخر وعليه الاكثرون ان المراد المواجهة كما رواه الحاكم من حديث محمد بن اسحق عن عمير بن زياد الكندي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه (فول وجهك شطر المسجد الحرام) قال شطره قبله . ثم قال صحيح الاسناد ولم يخرجاه . وهذا قول أبي العالية ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وقتادة والربيع ابن أنس وغيرهم . وكما تقدم في الحديث الآخر «ما بين المشرق والمغرب قبلة» وقال القرطبي : روى ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «البيت قبلة لاهل المسجد والمسجد قبلة لاهل الحرم والحرم قبلة لاهل الارض في مشارقها ومغاربها من أمتي» وقال أبو نعيم الفضل بن دكين : حدثنا زهير عن أبي اسحق عن البراء ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى قبل بيت المقدس ستة عشر شهرا أوسبعة عشر شهرا وكان يعجبه قبلته قبل البيت، وانه صلى صلاة العصر وصلى معه قوم فخرج رجل ممن كان يصلي معه فمر على أهل المسجد وهم راكعون فقال : أشهد بالله لقد صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مكة فداروا كما هم قبل البيت

عند الصلاة اخبرنا عبد الواحد بن احمد المليحي اخبرنا احمد بن عبد الله النعيمي اخبرنا محمد بن يوسف اخبرنا محمد بن اسماعيل اخبرنا اسحق بن نصر اخبرنا عبد الرزاق اخبرنا ابن جريج عن عطاء قال سمعت ابن عباس قال لما دخل النبي صلى الله عليه وسلم البيت دعا في نواحيه كلها ولم يصل حتى خرج منه فلما خرج ركع ركعتين في قبل الكعبة (وقال هذه القبلة) اخبرنا عبد الواحد المليحي اخبرنا احمد بن عبد الله النعيمي اخبرنا محمد بن يوسف اخبرنا محمد بن اسماعيل اخبرنا عمرو ابن خالد اخبرنا زهير اخبرنا ابو اسحق عن البراء ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اول ماقدم المدينة نزل على اجداده او قال اخواله من الانصار وانه صلى قبل بيت المقدس ستة عشر او سبعة عشر شهرا وكان يعجبه ان تكون قبلته قبل البيت وانه صلى اول صلاة صلاها صلاة العصر وصلى معه قوم فخرج رجل ممن صلي معه فمر على اهل مسجد وهم راكعون : فقال اشهد بالله لقد صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مكة فداروا كما هم قبل البيت وكانت اليهود قد اعجبهم اذ كان يصلى قبل بيت المقدس واهل الكتاب فلما تولي وجهه قبل البيت انكروا ذلك : وقال البراء في حديثه هذا انه مات على القبلة قبل ان تحول رجال وقتلوا فلم ندر ما نقول فيهم فأنزل الله تعالى (وما كان الله ليضيع إيمانكم) وكان تحويل القبلة في رجب بعد زوال الشمس قبل قتال بدر بشهرين : قال مجاهد وغيره نزلت هذه الآية ورسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد بني سلمة وقد صلى بأصحابه ركعتين

وقال عبد الرزاق أخبرنا اسرائيل عن أبي اسحق عن البراء قال : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة صلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا أو سبعة عشر شهرا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب ان يحول نحو الكعبة فنزلت (قد نرى تقلب وجهك في السماء) فصرف الى الكعبة وروى النسائي عن أبي سعيد بن المعلى قال : كنا نغدو الى المسجد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فنصلي فيه فمررنا يوما ورسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد على المنبر ، فقلت لقد حدث أمر فجلست فقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية (قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها) حتى فرغ من الآية ، فقلت لصاحبي تعال نركع ركعتين قبل ان ينزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فنكون أول من صلى فتوارينا فصليناهما . ثم نزل النبي صلى الله عليه وسلم وصلى للناس الظهر يومئذ . وكذا روى ابن مردويه عن ابن عمر : ان أول صلاة صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الكعبة صلاة الظهر وأنها الصلاة الوسطى ، والمشهور ان أول صلاة صلاها الى الكعبة صلاة العصر . ولهذا تأخر الخبر عن أهل قباء الى صلاة الفجر . وقال الحافظ أبو بكر بن مردويه : حدثنا سليمان بن احمد حدثنا الحسين بن اسحق التستري حدثنا رجاء بن محمد السقطي حدثنا اسحق بن ادريس حدثنا ابراهيم بن جعفر حدثني أبي عن جدته أم أبيه نويلة بنت مسلم قالت : صلينا الظهر أو العصر في مسجد بني حارثة فاستقبلنا مسجد ايلياء فصلينا ركعتين ، ثم جاء من يحدثنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استقبل البيت الحرام فتحول النساء مكان الرجال والرجال مكان النساء فصلينا السجدتين الباقيتين ونحن مستقبلون البيت الحرام ، فحدثني رجل من بني حارثة أن

من صلاة الظهر فتحول في الصلاة واستقبل الميزاب وحول الرجال مكان النساء والنساء مكان الرجال فسمي ذلك المسجد مسجد القبلتين . وقيل كان التحويل خارج الصلاة بين الصلاتين واهل قباء وصل اليهم الخبر في صلاة الصبح. أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد السرخسي أخبرنا أبو علي زاهر بن أحمد الفقيه السرخسي أخبرنا أبو اسحق ابراهيم بن عبدالصمد الهاشمي السامري أخبرنا أبو مصعب أحمد بن أبي بكر الزهري عن مالك بن أنس عن عبد الله بن دينار ان عبدالله بن عمر قال بينا الناس بقباء في صلاة الصبح إذ جاءهم آت وقال لهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أنزل عليه الليلة قرآن وقد أمر أن يستقبل الكعبة فاستقبلوها، وكانت وجوههم الى الشام فاستداروا الى الكعبة. فلما تحولت القبلة قالت اليهود يا محمد ماهو الا شيء تبتدعه من تلقاء نفسك فتارة تصلي الى بيت المقدس وتارة الى الكعبة ولو ثبت على قبلتنا لكنا نرجو أن تكون صاحبنا الذي ننتظره فأنزل الله تعالى ﴿ وان الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه ﴾ يعني أمر الكعبة ﴿ الحق من ربهم ﴾ ثم هددهم فقال ﴿ وما الله بغافل عما تعملون ﴾ قرأ أبو جعفر وابن عامر وحمزة والكسائي بالتاء قال ابن عباس يريد أنكم يا معشر المؤمنين تطلبون مرضاتي وما أنا بغافل عن ثوابكم وجزائكم وقرأ الباقون بالياء يعني ما أنا بغافل عما يفعل اليهود فأجزيهم في الدنيا وفي الآخرة :

النبي صلى الله عليه وسلم قال « أولئك رجال يؤمنون بالغيب » وقال ابن مردويه أيضا : حدثنا محمد ابن علي بن دحيم حدثنا أحمد بن حازم حدثنا مالك بن اسماعيل النهدي حدثنا قيس عن زياد بن علاقة عن عمارة بن أوس قال : بينما نحن في الصلاة نحو بيت المقدس ونحن ركوع اذ نادى مناد بالباب ان القبلة قد حولت الى الكعبة . قال فأشهد على امامنا انه انحرف فتحول هو والرجال والصبيان وهم ركوع نحو الكعبة .

وقوله (وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره) أمر تعالى باستقبال الكعبة من جميع جهات الارض شرقا وغربا وشمالا وجنوبا ، ولا يستثنى من هذا شيء سوى النافلة في حال السفر فانه يصليها حيثما توجه قالبه وقلبه نحو الكعبة . وكذا في حال المسايفة في القتال يصلي على كل حال . وكذا من جهل جهة القبلة يصلي باجتهاده وان كان مخطئا في نفس الامر لان الله تعالى لا يكلف نفسا الا وسعها

﴿ مسئلة ﴾ وقد استدل المالكية بهذه الآية على ان المصلي ينظر أمامه لا الى موضع سجوده كما ذهب اليه الشافعي وأحمد وأبو حنيفة ، قال المالكية : بقوله (فول وجهك شطر المسجد الحرام) فلو نظر الى موضع سجوده لاحتاج ان يتكلف ذلك بنوع من الانحناء وهو ينافي كمال القيام . وقال بعضهم : ينظر المصلي في قيامه الى صدره . وقال شريك القاضي : ينظر في حال قيامه الى موضع سجوده كما قال جمهور الجماعة لانه أبلغ في الخضوع وآكد في الخشوع . وقد ورد به الحديث وأما في حال ركوعه فالى موضع قدميه ، وفي حال سجوده الى موضع أنفه وفي حال قعوده الى حجره .

وقوله (وان الذين أوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم) أي واليهود الذين أنكروا استقبالكم الكعبة وانصرافكم عن بيت المقدس يعلمون ان الله تعالى سيوجهك اليها بما في كتبهم عن أنبيائهم من النعت والصفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأمته وما خصه الله تعالى به وشرفه من الشريعة الكاملة العظيمة ولكن أهل الكتاب يتكاتمون ذلك بينهم حسدا وكفرا وعنادا ولهذا تهددهم تعالى بقوله (وما الله بغافل عما يعملون)

***

(١٤٤) ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك وما أنت بتابع قبلتهم وما

قوله تعالى ﴿ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب﴾ يعني اليهود والنصارى قالوا ائتنا بآية على ما تقول ، فقال الله تعالى : — ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب — ﴿بكل آية﴾ معجزة ﴿ما تبعوا قبلتك﴾ يعني الكعبة ﴿وما أنت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض﴾ لان اليهود تستقبل بيت المقدس وهو المغرب والنصارى تستقبل المشرق وقبلة المسلمين الكعبة . أخبرنا أبو عثمان سعيد بن اسماعيل الضبي أخبرنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد بن الجراح أخبرنا أبو العباس محمد بن احمد المحبوبي أخبرنا أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي أخبرنا

بعضهم بتابع قبلة بعض، ولئن اتبعت أهواءهم من بعدما جاءك من العلم إنك اذا لمن الظالمين)

يخبر تعالى عن كفر اليهود وعنادهم ومخالفتهم ما يعرفونه من شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه لو أقام عليهم كل دليل على صحة ما جاءهم به لما اتبعوه وتركوا أهواءهم كما قال تعالى (ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الاليم) ولهذا قال ههنا (ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك) وقوله (وما أنت بتابع قبلتهم) اخبار عن شدة متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم لما أمره الله تعالى به وانه كما هم مستمسكون بآرائهم وأهوائهم فهو أيضا مستمسك بأمر الله وطاعته واتباع مرضاته وانه لا يتبع أهواءهم في جميع أحواله ولا كونه متوجها الى بيت المقدس لكونها قبلة اليهود ، وانما ذلك عن أمر الله تعالى ، ثم حذر تعالى عن مخالفة الحق الذي يعلمه العالم الى الهوى ، فان العالم الحجة عليه أقوم من غيره . ولهذا قال مخاطبا للرسول والمراد به الامة (ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم إنك اذا لمن الظالمين)

(١٤٥) الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون (١٤٦) الحق من ربك فلا تكونن من الممترين)

يخبر تعالى ان علماء أهل الكتاب يعرفون صحة ما جاءهم به الرسول صلى الله عليه وسلم كما يعرف أحدهم ولده ، والعرب كانت تضرب المثل في صحة الشيء بهذا كما جاء في الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لرجل معه صغير « ابنك هذا ؟ قال نعم يارسول الله أشهد به، قال « أما انه لا يخفى عليك ولا تخفى عليه » قال القرطبي : ويروى عن عمر انه قال لعبد الله بن سلام : أتعرف محمدا كما تعرف ولدك ؟ قال نعم وأكثر ، نزل الامين من السماء على الامين في الارض بنعته فعرفته وإني لا أدري ما كان من أمه (قلت) وقد يكون المراد (يعرفونه كما يعرفون أبناءهم) من

الحسن بن بكر المروزي أخبرنا المعلى بن منصور أخبرنا عبد الله بن جعفر المخزومي عن عثمان الاخنسي عن سعيد المقبري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « القبلة ما بين المشرق والمغرب » وأراد به في حق أهل المشرق وأراد بالمشرق مشرق الشتاء في أقصر يوم من السنة وبالمغرب مغرب الصيف في أطول يوم من السنة فمن جعل مغرب الصيف في هذا الوقت على يمينه ومشرق الشتاء على يساره كان وجهه الى القبلة ﴿ ولئن اتبعت أهواءهم ﴾ مرادهم الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم والمراد به الامة ﴿ من بعد ما جاءك من العلم ﴾ من الحق في القبلة ﴿ إنك إذاً لمن الظالمين ﴾ ، قوله تعالى ﴿ الذين آتيناهم الكتاب ﴾ يعني مؤمني أهل الكتاب عبد الله بن سلام وأصحابه ﴿ يعرفونه ﴾ يعني يعرفون محمدا صلى الله عليه وسلم ﴿ كما يعرفون ابناءهم ﴾ من بين الصبيان ، قال عمر بن الخطاب لعبد الله بن سلام ان الله قد انزل على نبيه (الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم) فكيف هذه المعرفة ؟ قال عبد الله يا عمر لقد عرفته حين رأيته كما عرفت ابني ومعرفتي بمحمد صلى الله عليه وسلم أشد من معرفتي بابني ، فقال عمر

بين أبناء الناس كلهم . لا يشك أحد ولا يمتري في معرفة ابنه اذا رآه من ابناء الناس كلهم . ثم أخبر تعالى أنهم مع هذا التحقق والاتقان العلمي (ليكتمون الحق) أي ليكتمون الناس ما في كتبهم من صفة النبي صلى الله عليه وسلم (وهم يعلمون) ثم ثبت تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وأخبرهم بأن ما جاء به الرسول هو الحق الذي لا مرية فيه ولا شك فقال (الحق من ربك فلا تكونن من الممترين)

(١٤٧) ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات أينما تكونوا يأت بكم الله جميعا ان الله على كل شيء قدير)

قال العوفي عن ابن عباس (ولكل وجهة هو موليها) يعني بذلك أهل الاديان ، يقول لكل قبيلة قبلة يرضونها ووجهة الله حيث توجه المؤمنون . وقال أبو العالية : لليهودي وجهة هو موليها ، وللنصراني وجهة هو موليها ، وهداكم أنتم أيتها الامة الى القبلة التي هي القبلة. وروى عن مجاهد وعطاء والضحاك والربيع بن أنس والسدي نحو هذا . وقال مجاهد في الرواية الاخرى والحسن : لكن أمر كل قوم أن يصلوا الى الكعبة . وقرأ ابن عباس وأبو جعفر الباقر وابن عامر (ولكل وجهة هو مولاها) وهذه الآية شبيهة بقوله تعالى (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات الى الله مرجعكم جميعا) وقال ههنا (أينما تكونوا يأت بكم الله جميعا ان الله على كل شيء قدير) أي هو قادر على جمعكم من الارض وان تفرقت أجسادكم وأبدانكم

(١٤٨) ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وانه للحق من ربك وما

كيف ذلك ؟ فقال أشهد انه رسول حق من الله تعالى وقد نعته الله في كتابنا ولا أدري ما تصنع النساء ، فقال عمر وفقك الله يا ابن سلام فقد صدقت ﴿ وان فريقا منهم ليكتمون الحق ﴾ يعني صفة محمد صلى الله عليه وسلم وأمر الكعبة ﴿ وهم يعلمون ﴾ ثم قال ﴿ الحق من ربك ﴾ أي هذا الحق خبر مبتدأ مضمر وقيل رفع باضمار فعل أي جاء الحق من ربك ﴿ فلا تكونن من الممترين ﴾ الشاكين ۞ قوله تعالى ﴿ ولكل وجهة ﴾ أي لاهل كل ملة قبلة والوجهة اسم للمتوجه اليه ﴿ هو موليها ﴾ أي مستقبلها ومقبل عليها يقال وليته ووليت اليه اذا أقبلت عليه ووليت عنه اذا أدبرت عنه . قال مجاهد هو موليها وجهه ، وقال الاخفش هو كناية عن الله عز وجل يعني الله مولي الامم الى قبلتهم وقرأ ابن عامر هو مولاها أي المستقبل مصروف اليها ﴿ فاستبقوا الخيرات ﴾ أي الى الخيرات يريد بادروا بالطاعات والمراد المبادرة الى القبول ﴿ أينما تكونوا ﴾ أنتم وأهل الكتاب ﴿ يأت بكم الله جميعا ﴾ يوم القيامة فيجزيكم بأعمالكم ﴿ ان الله على كل شيء قدير ﴾

قوله تعالى ﴿ ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وانه للحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون ﴾ قرأ أبو عمرو بالياء والباقون بالتاء ﴿ ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره ﴾ وانما كرره لتأكيد النسخ ﴿ لئلا يكون للناس عليكم حجة

الله بغافل عما تعملون (١٤٩) ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره لئلا يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم واخشوني ولأتم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون

هذا أمر ثالث من الله تعالى باستقبال المسجد الحرام من جميع أقطار الارض وقد اختلفوا في حكمة هذا التكرار ثلاث مرات فقيل تأكيد لانه أول ناسخ وقع في الاسلام على مانص عليه ابن عباس وغيره ، وقيل بل هو منزل على أحوال فلامر الاول لمن هو مشاهد الكعبة والثاني لمن هو في مكة غائبا عنها والثالث لمن هو في بقية البلدان هكذا وجهه فخر الدين الرازي . وقال القرطبي الاول لمن هو بمكة والثاني لمن هو في بقية الامصار والثالث لمن خرج في الاسفار ، ورجح هذا الجواب القرطبي ، وقيل انما ذكر ذلك لتعلقه بما قبله او بعده من السياق ، فقال أولا (قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها) الى قوله (وان الذين أوتوا الكتاب ليعلمون إنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون) فذكر في هذا المقام اجابته الى طلبته وأمره بالقبلة التي كان يود التوجه اليها ويرضاها : وقال في الامر الثاني (ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وانه الحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون) فذكر انه الحق من الله وارتقاءه المقام الاول حيث كان موافقا لرضا الرسول صلى الله عليه وسلم فبين انه الحق أيضا من الله يحبه ويرتضيه وذكر في الامر الثالث حكمة قطع حجة المخالف من اليهود الذين كانوا يتحججون باستقبال الرسول الى قبلتهم وقد

الا الذين ظلموا ﴾ اختلفوا في تأويل هذه الآية ووجه قوله «الا» فقال بعضهم معناه حولت القبلة الى الكعبة (لئلا يكون للناس عليكم حجة) اذا توجهتم الى غيرها فيقولون ليست لكم قبلة (الا الذين ظلموا) وهم قريش واليهود فأما قريش فتقول رجع محمد الى الكعبة لانه علم انها الحق وانها قبلة آبائه فكذلك يرجع الى ديننا ، وأما اليهود فتقول لم ينصرف عن بيت المقدس مع علمه بأنه حق الا أنه يعمل برأيه وقال قوم (لئلا يكون للناس عليكم حجة) يعني اليهود وكانت حجتهم على طريق المخاصمة على المؤمنين في صلاتهم الى بيت المقدس انهم كانوا يقولون مادرى محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه أين قبلتهم حتى هديناهم نحن . وقوله (الا الذين ظلموا) وهم مشركو مكة وحجتهم انهم قالوا لما صرفت قبلتهم الى الكعبة ان محمدا قد تحير في دينه وسيعود الى ملتنا كما عاد الى قبلتنا وهذا معنى قول مجاهد وعطاء وقتادة . وعلى هذين التأويلين يكون الاستثناء صحيحا : وقوله (الا الذين ظلموا) يعني لاحجة لاحد عليكم الا مشركي قريش فانهم يحاجونكم فيجادلونكم ويخاصمونكم بالباطل والظلم والاحتجاج بالباطل يسمى حجة كما قال الله تعالى (حجتهم داحضة عند ربهم) وموضع الذين خفض كأنه قال سوى (الا الذين ظلموا) قاله الكسائي وقال الفراء نصب بالاستثناء . قوله تعالى ﴿ منهم ﴾ يعني من الناس وقيل هذا استثناء منقطع عن الكلام الاول معناه ولكن الذين ظلموا يجادلونكم بالباطل كما قال الله

كانوا يعلمون بما في كتبهم انه سيصرف الى قبلة ابراهيم عليه السلام الى الكعبة وكذلك مشركو العرب انقطعت حجتهم لما صرف الرسول صلى الله عليه وسلم عن قبلة اليهود الى قبلة ابراهيم التي هي أشرف وقد كانوا يعظمون الكعبة واعجبهم استقبال الرسول اليها، وقيل غير ذلك من الاجوبة عن حكمة التكرار وقد بسطها الرازي وغيره والله أعلم: وقوله (لئلا يكون الناس عليكم حجة) أي اهل الكتاب فانهم يعلمون من صفة هذه الامة التوجه الى الكعبة فاذا فقدوا ذلك من صفتها ربما احتجوا بها على المسلمين ولئلا يحتجوا بموافقة المسلمين إياهم في التوجه إلى بيت المقدس وهذا أظهر قال ابو العالية (لئلا يكون للناس عليكم حجة) يعني به اهل الكتاب حين قالوا صرف محمد الى الكعبة: وقالوا اشتاق الرجل الى بيت أبيه ودين قومه وكان حجتهم على النبي صلى الله عليه وسلم انصرافه الى البيت الحرام أن قالوا سيرجع الى ديننا كما رجع الى قبلتنا. قال ابن أبي حاتم وروي عن مجاهد وعطاء والضحاك والربيع بن أنس وقتادة والسدى نحو هذا. وقال هؤلاء في قوله (إلا الذين ظلموا منهم) يعني مشركي قريش. ووجه بعضهم حجة الظلمة وهي داحضة أن قالوا إن هذا الرجل يزعم أنه على دين إبراهيم فان كان توجهه الى بيت المقدس على ملة إبراهيم فلم رجع عنه؟ والجواب أن الله تعالى اختار له التوجه الى البيت المقدس أولا لما له تعالى في ذلك من الحكمة فأطاع ربه تعالى في ذلك، ثم صرفه إلى قبلة إبراهيم وهي الكعبة فامتثل أمر الله في ذلك أيضا فهو صلوات الله وسلامه عليه مطيع لله في جميع أحواله لا يخرج عن أمر الله طرفة عين وأمته تبع له، وقوله (فلا تخشوهم واخشوني) أي لا تخشوا شبه الظلمة المتعنتين وأفردوا الخشية لي، فانه تعالى هو أهل أن يخشى منه: وقوله (ولأتم نعمتي عليكم) عطف على (لئلا يكون للناس عليكم حجة) أي لأتم نعمتي عليكم فيما شرعت لكم من استقبال الكعبة لتكمل لكم الشريعة من جميع وجوهها (ولعلكم تهتدون) أي الى ماضلت عنه الامم هديناكم اليه وخصصناكم به ولهذا كانت هذه الامة أشرف الامم وأفضلها

تعالى (مالهم به من علم الا اتباع الظن) يعني لكن يتبعون الظن فهو كقول الرجل مالك عندي حق الا أن تظلمني قال أبو روق (لئلا يكون للناس) يعني اليهود (عليكم حجة) وذلك انهم عرفوا ان الكعبة قبلة ابراهيم ووجدوا في التوراة ان محمدا سيحول اليها فحوله الله تعالى اليها لئلا يكون لهم حجة فيقولوا ان النبي الذي نجده في كتابنا سيحول اليها ولم تحول أنت فلما حول اليها ذهبت حجتهم (الا الذين ظلموا) يعني الا أن يظلموا فيكتموا ماعرفوا من الحق: وقال أبو عبيدة قوله (الا الذين ظلموا) ليس باستثناء ولكن الا في موضع واو العطف يعني والذين ظلموا أيضا لا يكون لهم حجة كما قال الشاعر

وكل أخ مفارقه أخوه ■ لعمر أبيك الا الفرقدان

معناه والفرقدان أيضا يتفرقان فمعنى الآية فتوجهوا الى الكعبة (لئلا يكون الناس) يعني اليهود (عليكم حجة) فيقولوا لم تركتم الكعبة وهي قبلة ابراهيم وأنتم على دينه ولا الذين ظلموا وهم مشركو مكة فيقولوا لم ترك محمد قبلة جده وتحول عنها الى قبلة اليهود ﴿ فلا تخشوهم ﴾ في انصرافكم الى الكعبة

(١٥٠) كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم مالم تكونوا تعلمون (١٥١) فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون)

يذكر تعالى عباده المؤمنين ما أنعم به عليهم من بعثة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم اليهم يتلو عليهم آيات الله مبينات ويزكيهم أي يطهرهم من رذائل الاخلاق ودنس النفوس وأفعال الجاهلية ويخرجهم من الظلمات الى النور ويعلمهم الكتاب وهو القرآن والحكمة وهي السنة ويعلمهم مالم يكونوا يعلمون، فكانوا في الجاهلية الجهلاء يسفهون بالقول الفرا فانتقلوا ببركة رسالته، ويمن سفارته، الي حال الاولياء ، وسجايا العلماء، فصاروا أعمق الناس علما، وأبرهم قلوبا، وأقلهم تكلفا، وأصدقهم لهجة، وقال تعالى (لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم) الآية وذلك من لم يعرف قدر هذه النعمة فقال تعالى (ألم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار

وفي تظاهرهم عليكم بالمجادلة فاني وليكم أظهركم عليهم بالحجة والنصرة ﴿ واخشوني ولأتم نعمتي عليكم ﴾ عطف على قوله (لئلا يكون للناس عليكم حجة) ولكي أتم نعمتي عليكم بهدايتي إياكم الى قبلة ابراهيم فتتم لكم الملة الحنيفية . وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه تمام النعمة الموت على الاسلام قال سعيد بن جبير لا يتم نعمة على المسلم الا ان يدخل الجنة ﴿ ولعلكم تهتدون ﴾ لكي تهتدوا من الضلالة ولعل وعسى من الله واجب قوله تعالى ﴿ كما أرسلنا فيكم ﴾ هذه الكاف للتشبيه ويحتاج الى شيء يرجع اليه فقال بعضهم يرجع الى ما قبلها معناه ولأتم نعمتي عليكم كما أرسلنا فيكم رسولا منكم قال محمد بن جرير دعا ابراهيم عليه السلام بدعوتين - إحداهما - قال : (ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك) والثانية قوله : (ربنا وابعث فيهم رسولا منهم) فبعث الله الرسول وهو محمد صلى الله عليه وسلم ، ووعد إجابة الدعوة الثانية بأن يجعل من ذريته أمة مسلمة ، يعني كما أجبت دعوته بأن أهديكم لدينه وأجعلكم مسلمين وأتم نعمتي عليكم ببيان شرائع الملة الحنيفية وقال مجاهد وعطاء والكلبي هي متعلقة بما بعدها وهو قوله (فاذكروني أذكركم) معناه كما أرسلنا فيكم رسولا منكم فاذكروني وهذه الآية خطاب لاهل مكة والعرب يعني كما أرسلنا فيكم يا معشر العرب ﴿ رسولا منكم ﴾ يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ﴿ يتلو عليكم آياتنا ﴾ يعني القرآن ﴿ ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ﴾ قيل الحكمة السنة وقيل مواعظ القرآن ﴿ ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون ﴾ من الاحكام وشرائع الاسلام ﴿ فاذكروني أذكركم ﴾ قال ابن عباس : اذكروني بطاعتي، أذكركم بمعونتي، وقال سعيد ابن جبير : اذكروني بطاعتي، أذكركم بمغفرتي، وقيل اذكروني في النعمة والرخاء، أذكركم في الشدة والبلاء . بيانه (فلولا أنه كان من المسبحين للبث في بطنه الى يوم يبعثون) أخبرنا عبد الواحد بن احمد المليحي أخبرنا احمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن اسماعيل اخبرنا عمر بن حفص أخبرنا أبي أخبرنا الاعمش قال سمعت أبا صالح عن أبي هريرة قال

البوار) قال ابن عباس يعني بنعمة الله محمدا صلى الله عليه وسلم ولهذا ندب الله المؤمنين الى الاعتراف بهذه النعمة ومقابلتها بذكره وشكره : وقال (فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون) قال مجاهد في قوله (كما أرسلنا فيكم رسولا منكم) يقول كما فعلت فاذكروني، قال عبد الله بن وهب عن هشام بن سعيد عن زيد بن أسلم إن موسى عليه السلام قال يارب كيف أشكرك؟ قال له ربه «تذكرني ولا تنساني ، فاذا ذكرتني فقد شكرتني، واذا نسيتني فقد كفرتني» قال الحسن البصري وابو العالية والسدى والربيع بن أنس ان الله يذكر من ذكره ويزيد من شكره ويعذب من كفره : وقال بعض السلف في قوله تعالى (إتقوا الله حق تقاته) قال هو أن يطاع فلا يعصى ويذكر فلا ينسى ويشكر فلا يكفر. وقال ابن أبي حاتم حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح اخبرنا يزيد بن هرون اخبرنا عمارة الصيدلاني اخبرنا مكحول الازدى قال قلت لابن عمر أرأيت قاتل النفس وشارب الخمر والسارق والزاني يذكر الله ، وقد قال الله تعالى (فاذكروني أذكركم) قال إذا ذكر الله هذا ذكره الله بلعنته حتى يسكت وقال الحسن البصرى في قوله (فاذكروني أذكركم) قال إذكروني فيما أوجبت لكم على نفسي وعن سعيد بن جبير إذكروني بطاعتى أذكركم بمغفرتي، وفي رواية برحمتي. وعن ابن عباس في قوله (إذكروني أذكركم) قال ذكر الله إياكم اكبر من ذكركم إياه وفي الحديث الصحيح يقول الله تعالى «من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ومن ذكرني في ملا ذكرته في ملا خير منه» قال الامام احمد حدثنا عبد الرزاق اخبرنا معمر عن قتادة عن أنس ، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل يا إبن آدم ان ذكرتني في نفسك ذكرتك في نفسي وإن ذكرتني في ملا ذكرتك في ملا من الملائكة

قال النبي صلى الله عليه وسلم : يقول الله تعالى : « أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه اذا ذكرني ، فان ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملا ذكرته في ملا خير منه ، وإن تقرب الي شبرا تقربت اليه ذراعا ، وان تقرب الي ذراعا تقربت اليه باعا، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة » أخبرنا الامام أبو علي الحسين بن محمد بن القاضي وثنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبي توبة الكشميهني قال : حدثنا أبو العباس احمد بن محمد بن سراج الطحان أخبرنا ابو احمد محمد بن قريش بن سليمان أخبرنا أبو عبد الملك الدمشقي أخبرنا سليمان بن عبد الرحمن أخبرنا منذر بن زياد عن صخر بن جويرية عن الحسن عن أنس قال : إني سمعت هذا الحديث من رسول الله صلى الله عليه وسلم عدد أناملي هذه العشر ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «ان الله تعالى يقول : يا ابن آدم ان ذكرتنى في نفسك ذكرتك في نفسي ، وان ذكرتنى في ملا ذكرتك في ملا خير منهم ، وإن دنوت مني شبرا دنوت منك ذراعا ، وإن دنوت منى ذراعا دنوت منك باعا ، وإن مشيت الي هرولت اليك ، وإن هرولت الي سعيت اليك ، وإن سألتني أعطيتك ، وإن لم تسألني غضبت عليك » اخبرنا عبد الواحد المليحى أخبرنا ابو منصور السمعاني أخبرنا ابو جعفر الرياني أخبرنا حميد بن زنجويه أخبرنا يحيى بن عبد الله أخبرنا الاوزاعي أخبرنا اسماعيل بن عبد الله عن أبي الدرداء عن أبي هريرة

ـ أوقال في ملا خير منه ـ وإن دنوت مني شبرا دنوت منك ذراعا، وإذ دنوت مني ذراعا دنوت منك باعا، وان أتيتني تمشي أتيتك هرولة» صحيح الاسناد أخرجه البخاري من حديث قتادة وعنده قال قتادة الله أقرب بالرحمة ، وقوله (واشكروا لي ولا تكفرون) أمر الله تعالى بشكره ووعد على شكره بمزيد الخير فقال (وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لازيدنكم ولئن كفرتم ان عـذابي لشديد) وقال الامام احمد حدثنا روح حدثنا شعبة عن الفضيل بن فضالة ـ رجل من قيس ـ حدثنا ابو رجاء العطاردي قال خرج الينا عمران بن حصين وعليه مطرف من خز لم نره عليه قبل ذلك ولا بعده فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسـلم قال « من أنعم الله عليه نعمة فان الله يحب أن يرى أثر نعمته على خلقه » وقال روح مرة: على عبده

(١٥٢) يا أيهـا الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة ان الله مع الصابرين (١٥٣) ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل احياء ولكن لا تشعرون

لما فرغ تعالى من بيان الامر بالشكر شرع في بيان الصبر والارشاد والاستعانة بالصبر والصلاة فان العبد إما ان يكون في نعمة فيشكر عليها أو في نقمة فيصبر عليها كما جاء في الحديث «عجبا للمؤمن لا يقضي الله له قضاء الا كان خيرا له: إن أصابته سراء فشكر كان خيرا له وان أصابته ضراء فصبر كان خيرا له» وبين تعالى ان أجود مايستعان به على تحمل المصائب الصبر والصلاة كما تقدم في قوله (واستعينوا بالصبر والصلاة وانهـا لكبيرة الا على الخاشعين) وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا حزبه أمر صلى. والصبر صبران فصبر على ترك المحارم والمآثم وصبر على فعل

قال : قال النبي صلى الله عليـه وسلم : يقول الله عز وجل : « أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه » أخبرنا عبد الواحد المليحي أخبرنا عبد الرحمن أبي شريح أنا أبو القاسم البغوي أخبرنا علي ابن الجعد أخبرنا اسماعيل بن عياش أخبرنا عمرو بن قيس السكوني عن عبد الله بن بشير قال : جاء أعرابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله أي الاعمال أفضل ؟ قال : « أن لا تفارق الدنيا إلا ولسانك رطب من ذكر الله تعالى » قوله تعالى ﴿ واشكروا لي ولا تكفرون ﴾ يعني واشكروا لي بالطاعة ولا تكفروني بالمعصية فان من أطاع الله فقد شكره ومن عصاه فقد كفره

قوله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة ان الله مع الصابرين ﴾ بالعون والنصرة ﴿ ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات ﴾ نزلت في قتلى بدر من المسلمين وكانوا أربعة عشر رجلا ستة من المهاجرين وثمانية من الانصار كان الناس يقولون لمن يقتل في سبيل الله مات فلان وذهب عنه نعيم الدنيا ولذتها فأنزل الله تعالى:ـ ولا تقولوا لمن يقتـل في سبيل الله أموات ﴿ بل أحياء ولكن لا تشعرون ﴾ كما قال في شهداء أحد (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل احياء عند ربهم يرزقون) قال الحسن ان الشهداء احياء عند الله تعالى تعرض

الطاعات والقربات، والثاني أكثر ثوابا لانه المقصود. وأما الصبر الثالث وهو الصبر على المصائب والنوائب فذلك أيضا واجب كالاستغفار من المعايب كما قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: الصبر في بابين الصبر لله بما أحب وإن ثقل على الانفس والابدان. والصبر لله عما كره وان نازعت اليه الاهواء فمن كان هكذا فهو من الصابرين الذين يسلم عليهم ان شاء الله: وقال علي بن الحسين زين العابدين اذا جمع الله الاولين والآخرين ينادي مناد أين الصابرون ليدخلوا الجنة قبل الحساب؟ قال فيقوم عنق من الناس فتتلقاهم الملائكة فيقولون الى أين يابني آدم؟ فيقولون الى الجنة فيقولون وقبل الحساب؟ قالوا نعم، قالوا ومن أنتم؟ قالوا نحن الصابرون، قالوا وما كان صبركم؟ قالوا صبرنا على طاعة الله وصبرنا عن معصية الله حتي توفانا الله. قالوا أنتم كما قلتم ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين (قلت) ويشهد لهذا قوله تعالى (إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) وقال سعيد بن جبير الصبر اعتراف العبد لله بما أصاب منه واحتسابه عند الله رجاء ثوابه، وقد يجزع الرجل وهو متجلد لا يرى منه الا الصبر

وقوله تعالى (ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات بل أحياء) يخبر تعالى ان الشهداء في برزخهم أحياء يرزقون كما جاء في صحيح مسلم «ان أرواح الشهداء في حواصل طيور خضر تسرح في الجنة حيث شاءت ثم تأوي الى قناديل معلقة تحت العرش فاطلع عليهم ربك اطلاعة فقال ماذا تبغون؟ فقالوا يا ربنا وأي شيء نبغي وقد أعطيتنا مالم تعط احدا من خلقك؟ ثم عاد عليهم بمثل هذا، فلما رأوا أنهم لا يتركون من أن يسألوا، قالوا نريد ان تردنا الى الدار الدنيا فنقاتل في سبيلك حتي نقتل فيك مرة أخرى- لما يرون من ثواب الشهادة- فيقول الرب جل جلاله «اني كتبت انهم اليها لا يرجعون»

وفي الحديث الذي رواه الامام أحمد عن الامام الشافعي عن الامام مالك عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه قال. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «نسمة المؤمن طائر تعلق في شجر الجنة حتي يرجعه الله الى جسده يوم يبعثه» ففيه دلالة لعموم المؤمنين أيضا وان كان الشهداء قد خصصوا بالذكر في القرآن تشريفا لهم وتكريما وتعظيما

(١٥٤) ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين (١٥٥) الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون (١٥٦) أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون

أخبرنا تعالى انه يبتلي عباده، أي يختبرهم ويمتحنهم كما قال تعالى (ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم) فتارة بالسراء وتارة بالضراء من خوف وجوع كما

ارزاقهم على ارواحهم فيصل اليهم الروح والفرح كما تعرض النار على ارواح آل فرعون غدوة وعشية فيصل اليهم الوجع قوله تعالى ﴿ولنبلونكم﴾ اي ولنختبرنكم يا امة محمد واللام لجواب القسم المحذوف تقديره والله لنبلونكم والابتلاء من الله لاظهار المطيع من العاصي لا ليعلم شيئا لم

قال تعالى (فأذاقها الله لباس الجوع والخوف) فان الجائع والخائف كل منهما يظهر ذلك عليه . ولهذا قال : لباس الجوع والخوف . وقال ههنا (بشيء من الخوف والجوع) أي بقليل من ذلك (ونقص من الاموال) أي ذهاب بعضها (والانفس) كموت الاصحاب والاقارب والاحباب (والثمرات) أي لا تغل الحدائق والمزارع كعادتها . قال بعض السلف : فكانت بعض النخيل لا تثمر غير واحدة . وكل هذا وأمثاله مما يختبر الله به عباده . فمن صبر أثابه ومن قنط أحل به عقابه . ولهذا قال تعالى (وبشر الصابرين) وقد حكى بعض المفسرين ان المراد من الخوف ههنا خوف الله ، وبالجوع صيام رمضان ، وبنقص الاموال الزكاة ، والانفس الامراض ، والثمرات الاولاد ، وفي هذا نظر والله أعلم . ثم بين تعالى من الصابرون الذين شكرهم فقال (الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا اليه راجعون) أى تسلوا بقولهم هذا عما أصابهم وعلموا انهم ملك لله يتصرف في عبيده بما يشاء ، وعلموا انه لا يضيع لديه مثقال ذرة يوم القيامة ، فاحدث لهم ذلك اعترافهم بأنهم عبيده وانهم اليه راجعون في الدار الآخرة . ولهذا أخبر تعالى عما أعطاهم على ذلك فقال (أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة) أى ثناء من الله عليهم . قال سعيد بن جبير : أي أمنه من العذاب (وأولئك هم المهتدون) قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب نعم العدلان ونعمت العلاوة (أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة) فهذان العدلان (وأولئك هم المهتدون) فهذه العلاوة وهي ما توضع بين العدلين وهي زيادة في الحمل فكذلك هؤلاء أعطوا ثوابهم وزيدوا أيضا

يكن عالما به ﴿ بشيء من الخوف ﴾ قال ابن عباس يعني خوف العدو ﴿ والجوع ﴾ يعني القحط ﴿ ونقص من الاموال ﴾ بالخسران والهلاك ﴿ والانفس ﴾ يعني بالقتل والموت وقيل بالمرض والشيب ﴿ والثمرات ﴾ يعني الجوائح في الثمار وحكي عن الشافعي انه قال الخوف خوف الله تعالى ، والجوع صيام رمضان ، ونقص من الاموال اداء الزكاة والصدقات ، والانفس الامراض ، والثمرات موت الاولاد لان ولد الرجل ثمرة قلبه . اخبرنا عبد الواحد بن احمد المليحي اخبرنا ابو منصور محمد بن محمد بن سمعان اخبرنا ابو جعفر محمد بن احمد بن عبد الجبار الزياتي اخبرنا حميد بن زنجويه اخبرنا الحسن بن موسى اخبرنا حماد بن سلمة عن ابي سنان قال دفنت ابني سنانا وابو طلحة الخولاني على شفير القبر فلما اردت الخروج اخذ بيدي فأخرجني فقال ألا ابشرك؟ حدثني الضحاك عن عروة عن ابي موسى الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اذا مات ولد العبد قال الله للملائكة اقبضتم ولد عبدي؟ قالوا نعم ، قال اقبضتم ثمرة فؤاده؟ قالوا نعم ، قال فماذا قال عبدي؟ قالوا استرجع وحمدك قال : ابنوا له بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد ﴿ وبشر الصابرين ﴾ على البلايا والرزايا » ثم وصفهم فقال : ﴿ الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله ﴾ عبيدا وملكا ﴿ وإنا اليه راجعون ﴾ في الآخرة اخبرنا عبد الواحد بن احمد المليحي اخبرنا ابو منصور محمد بن محمد بن سمعان اخبرنا ابو جعفر الزياني اخبرنا حميد بن زنجويه اخبرنا محاضر بن الموزع اخبرنا سعيد عن

وقد ورد في ثواب الاسترجاع وهو قول (إنا لله وإنا اليه راجعون) عند المصائب أحاديث كثيرة. فمن ذلك ما رواه الامام أحمد حيث قال : حدثنا يونس بن محمد حدثنا ليث يعني ابن سعد عن يزيد بن عبد الله حدثنا أسامة بن الهاد عن عمرو بن أبي عمرو عن المطلب عن أم سلمة قالت: أتاني أبو سلمة يوما من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : لقد سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم قولا سررت به . قال « لا يصيب أحدا من المسلمين مصيبة فيسترجع عند مصيبته ثم يقول «اللهم اجرني في مصيبتي واخلف لي خيرا منها» الا فعل ذلك به ، قالت أم سلمة : فحفظت ذلك منه ، فلما توفى أبو سلمة استرجعت وقلت اللهم اجرني في مصيبتي واخلف لي خيرا منها » ثم رجعت الى نفسي . فقلت من أين لي خير من أبي سلمة ؟ فلما انقضت عدتي استأذن عليّ رسول الله صلى

عمرو بن كثير بن أفلح أخبرنا مولى أم سلمة عن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ما من مصيبة تصيب عبدا فيقول إنا لله وانا اليه راجعون، اللهم اجرني في مصيبتي واخلف لي خيرا منها، الا أجره الله في مصيبته واخلف له خيرا منها» قالت أم سلمة : لما توفي أبو سلمة عزم الله لي فقلت : اللهم اجرني في مصيبتي واخلف لي خيرا منها. فأخلف الله لي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال سعيد بن جبير : ما أعطى أحد في المصيبة ما أعطى هذه الامة يعني الاسترجاع ولو أعطيها أحد لاعطيها يعقوب عليه السلام ألا تسمع لقوله تعالى في قصة يوسف عليه السلام (يا أسفى على يوسف) ﴿ أولئك ﴾ أهل هذه الصفة ﴿ عليهم صلوات من ربهم ورحمة ﴾ صلوات أي رحمة فان الصلاة من الله الرحمة ورحمة ذكرها الله تأكيدا وجميع الصلوات أي رحمة ﴿ وأولئك هم المهتدون ﴾ الى الاسترجاع وقيل الى الحق والصواب وقيل الى الجنة والثواب قال عمر رضي الله عنه: نعم العدلان ونعمت العلاوة، فالعدلان الصلاة والرحمة، والعلاوة الهداية. وقد وردت أخبار في ثواب أهل البلاء وأجر الصابرين منها ما أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد السرخسي أخبرنا أبو علي زاهر بن احمد السرخسي أخبرنا ابو اسحق ابراهيم بن عبد الصمد الهاشمي أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة أنه قال : سمعت أبا الحباب سعد بن يسار يقول : سمعت أبا هريرة يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من يرد الله به خيرا يصب منه » أخبرنا عبد الواحد بن احمد المليحي أخبرنا احمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن اسماعيل أخبرنا عبد الله بن محمد أخبرنا عبد الملك بن عمرو أخبرنا زهير بن محمد عن محمد بن عمرو بن حلحلة عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها الا كفر الله بها من خطاياه » أخبرنا عبد الواحد بن احمد المليحي أخبرنا ابو منصور السمعاني أخبرنا ابو جعفر الزياتي أخبرنا حميد بن زنجويه أنا محمد ابن عبيد أخبرنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال : جاءت امرأة بها لمم الى رسول الله

الله عليه وسلم وأنا أدبغ إهابا لي فغسلت يدي من القرظ وأذنت له فوضعت له وسادة أدم حشوها ليف فقعد عليها فخطبني الى نفسي « فلما فرغ من مقالته قلت يارسول الله ما بى أن لا يكون بك الرغبة ولكني امرأة فيّ غيرة شديدة فأخاف أن ترى مني شيئا يعذبني الله به ، وأنا امرأة قد دخلت في السن وأنا ذات عيال « فقال «أما ما ذكرت من الغيرة فسوف يذهبها الله عز وجل عنك. وأما ما ذكرت من السن فقد أصابني مثل الذي أصابك . وأما ما ذكرت من العيال فانما عيالك عيالي» قالت: فقد سلمت لرسول الله صلى الله عليه وسلم .فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقالت أم

صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله:ادع الله لي أن يشفيني قال «ان شئت دعوت الله أن يشفيك وان شئت فاصبري ولا حساب عليك» قالت : بل أصبر ولا حساب علي. أخبرنا الامام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أخبرنا أبو سعيد خلف بن عبد الرحمن بن أبي نزار اخبرنا ابو منصور العباس بن الفضل النضروي أخبرنا احمد بن نجدة أخبرنا يحيى بن عبد الحميد الحماني اخبرنا حماد بن زيد عن عاصم هو ابن ابى النجود عن مصعب بن سعد عن سعد قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اشد الناس بلاء قال: « الانبياء والامثل فالامثل يبتلي الله الرجل على حسب دينه فان كان في دينه صلبا ابتلى على قدر ذاك وان كان في دينه رقة هون عليه فما يزال كذلك حتى يمشي على الارض وماله من ذنب » اخبرنا عبد الواحد المليحي اخبرنا ابو منصور السمعانى اخبرنا ابو جعفر الزيانى اخبرنا حميد بن زنجويه اخبرنا عبد الله بن صالح قال : حدثنى الليث حدثنى يزيد ابن ابى حبيب عن سعيد بن سنان عن انس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال : « ان عظم الجزاء عند الله مع عظم البلاء فان الله اذا احب قوما ابتلاهم فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط » اخبرنا ابو حامد احمد بن عبد الله الصالحى اخبرنا ابو بكر احمد بن الحسن الحيري اخبرنا حاجب بن احمد الطوسي اخبرنا محمد بن يحيى اخبرنا يزيد بن هرون اخبرنا محمد بن عمرو عن ابى سلمة عن ابى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وماله وولده حتى يلقى الله وما عليه من خطيئة » اخبرنا احمد بن عبد الله الصالحي اخبرنا ابو الحسين علي بن محمد بن عبد الله بن بشران اخبرنا ابو علي اسماعيل بن محمد الصفار اخبرنا احمد بن منصور الرمادي اخبرنا عبد الرزاق اخبرنا معمر عن الزهري عن ابن المسيب عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مثل المؤمن كمثل الزرع لا تزال الريح تفيئه ولا يزال المؤمن يصيبه البلاء ، ومثل المنافق كمثل شجرة الارزة لا تهتز حتى تستحصد» أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أخبرنا أبو الحسين بن بشران أخبرنا اسماعيل بن محمد الصفار أخبرنا أحمد ابن منصور الرمادي أخبرنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن أبي اسحق عن العيزار بن حريث عن عمرو ابن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «عجبا للمؤمن ان أصابه خير حمد الله وشكر ، وان أصابته مصيبة حمد الله وصبر. فالمؤمن يؤجر في كل أمره حتى يؤجر في اللقمة

سلمة بعد : أبدلني الله بأبي سلمة خيرا منه ـ رسول الله صلى الله عليه وسلم . وفي صحيح مسلم عنها أنها قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول (إنا لله وانا اليه راجعون) اللهم اجرني في مصيبتي واخلف لي خيرا منها الا آجره الله في مصيبته وأخلف له خيرا منها » قالت فلما توفى أبو سلمة قلت كما أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخلف الله لي خيرا منه رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال الامام احمد حدثنا يزيد وعباد بن عباد قالا حدثنا هشام بن أبي هشام حدثنا عباد بن زياد عن أمه عن فاطمة ابنة الحسين عن أبيها الحسين بن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ما من مسلم ولا مسلمة يصاب بمصيبة فيذكرها وان طال عهدها ـ وقال عباد قدم عهدها ـ فيحدث لذلك استرجاعا الاجدد الله له عند ذلك فأعطاه مثل أجرها يوم أصيب » ورواه ابن ماجه في سننه عن أبي بكر بن أبي شيبة عن وكيع عن هشام بن زياد عن أمه عن فاطمة بنت الحسين عن أبيها . وقد رواه اسماعيل بن علية ويزيد بن هرون عن هشام بن زياد عن أبيه (كذا) عن فاطمة عن أبيها . وقال الامام احمد أنا يحيى بن اسحق السيلحيني(١) أنا حماد بن سلمة عن أبي سنان قال : دفنت ابنا لي فاني لفي القبر اذ أخذ بيدي أبو طلحة يعنى الخولاني فأخرجني وقال لي : ألا أبشرك قلت بلى . قال : حدثني الضحاك بن عبد الرحمن بن عرزب عن أبي موسى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قال الله : ياملك الموت قبضت ولد عبدي ؟ قبضت قرة عينه وثمرة فؤاده ؟ قال نعم . قال فما قال ؟ قال حمدك واسترجع . قال « ابنوا له بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد » ثم رواه عن علي بن اسحق عن عبد الله بن المبارك فذكره . وهكذا رواه الترمذي عن سويد بن نصر عن ابن المبارك به » وقال حسن غريب واسم أبي سنان عيسى بن سنان

(١) الياء بعد السين المهملة لاجل الامالة وقد تستبدل بها الف لينة كما فى التقريب

(١٥٧) ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطّوّف بهما ، ومن تطوع خيرا فان الله شاكر عليم

قال الامام احمد : حدثنا سليمان بن داود الهاشمي أنا ابراهيم بن سعد عن الزهري عن عروة

يرفعها الي في امرأته » قوله تعالى ﴿ ان الصفا والمروة من شعائر الله ﴾ الصفا جمع صفاة وهي الصخرة الصلبة الملساء ، يقال صفاة وصفا مثل حصاة وحصى ونواة ونوى ، والمروة الحجر الرخو وجمعها مروات وجمع الكثير مرو ، مثل تمرة وتمرات وتمر . وانما عنى الله بهما الجبلين المعروفين بمكة في طرفي المسعى ، ولذلك أدخل فيهما الالف واللام ، وشعائر الله أعلام دينه ، أصلها من الاشعار وهو الاعلام واحدتها شعيرة وكل ما كان معلما لقربات يتقرب به الى الله تعالى من صلاة ودعاء وذبيحة فهو شعيرة فالمطاف والموقف والنحر كلها شعائر الله ومثلها المشاعر ، والمراد بالشعائر ههنا المناسك التي جعلها الله أعلاما لطاعته ، فالصفا والمروة منها حتى يطاف بهما جميعا ﴿ فمن حج البيت أو اعتمر ﴾ فالحج في اللغة القصد ، والعمرة الزيارة وفى الحج ، والعمرة المشروعين قصد وزيارة ﴿ فلا جناح عليه ﴾ أي

عن عائشة قال : قلت أرأيت قول الله تعالى (ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه ان يطوّف بهما) قلت فو الله ما على أحد جناح ان لا يتطوف بهما ، فقالت عائشة : بئسما قلت يا ابن أختي انها لو كانت على ما أولتها عليه كانت: فلاجناح عليه ان لا يطوف بهما ،ولكنها انما أنزلت أن الانصار كانوا قبل ان يسلموا كانوا يهلون لمناةالطاغية التي كانوايعبدونها عند المشلل ، وكان من أهل لها يتحرج ان يطوّف بالصفا والمروة ، فسألوا عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا يارسول الله انا كنا نتحرج ان نطوف بالصفا والمروة في الجاهلية. فأنزل الله عزوجل (ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمرفلا جناح عليه ان يطوّف بهما) قالت عائشة : ثم قد سنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم الطواف بهما فليس لاحد ان يدع الطواف بهما أخرجاه في الصحيحين . وفي رواية عن الزهري انه قال : فحدثت بهذا الحديث أبا بكر بن عبدالرحمن بن الحارث بن هشام . فقال ان هذا العلم ما كنت سمعته ،ولقد سمعت رجالا من أهل العلم يقولون ان الناس ـ الا من ذكرت عائشة ـ كانوا يقولون ان طوافنا بين هذين الحجرين من أمر الجاهلية، وقال آخرون من الانصار : انما أمرنا بالطواف بالبيت ولم نؤمر بالطواف بين الصفا والمروة فأنزل الله تعالى (ان الصفا والمروة من شعائر الله) قال أبو بكر بن عبد الرحمن فلعلها نزلت في هؤلاء وهؤلاء . ورواه البخاري من حديث مالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة بنحو ما تقدم . ثم قال البخاري : حدثنا محمد بن يوسف حدثنا سفيان عن عاصم بن سليمان قال : سألت

لا إثم عليه ، وأصله من جنح أي مال عن القصد ﴿ أن يطوّف بهما ﴾ أي يدور بها ، وأصله يتطوف أدغمت التاء في الطاء . وسبب نزول هذه الآية انه كان على الصفا والمروة صنمان اساف ونائلة . وكان اساف على الصفا ونائلة على المروة ، وكان أهل الجاهلية يطوفون بين الصفا والمروة تعظيما للصنمين ويتمسحون بهما ، فلما جاء الاسلام وكسرت الاصنام كان المسلمون يتحرجون عن السعي بين الصفا والمروة لاجل الصنمين فاذن الله فيه وأخبر انه من شعائر الله ، واختلف أهل العلم في حكم هذه الاية ووجوب السعي بين الصفا والمروة في الحج والعمرة فذهب جماعة الى وجوبه وهو قول ابن عمر وجابر وعائشة وبه قال الحسن واليه ذهب مالك والشافعي وذهب قوم الى انه تطوع وهو قول ابن عباس و به قال ابن سيرين ومجاهد واليه ذهب سفيان الثوري وأصحاب الرأي . وقال الثوري وأصحاب الرأي على من تركه دم واحتج من أوجبه بما أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الكسائي الخطيب أخبرنا عبد العزيز بن احمد الخلال أخبرنا أبو العباس محمد بن يعقوب الاصم أخبرنا الربيع بن سليمان أخبرنا الشافعي أخبرنا عبد الله بن نوفل العائدي عن عمرو بن عبد الرحمن بن محيصن عن عطاء بن أبي رباح عن صفية بنت شيبة قالت : أخبرتني بنت أبي تجراة ـ اسمها حبيبة احدى نساء بني عبدالدار ـ قالت: دخلت مع نسوة من قريش دار آل أبي حسين ننظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يسعى بين الصفا والمروة فرأيته يسعى وان مئزره ليدور من شدة السعي حتى لاقول

أنسا عن (الصفا والمروة) قال : كنا نرى انهما من أمر الجاهلية ، فلما جاء الاسلام أمسكنا عنهما فأنزل الله عز وجل (ان الصفا والمروة من شعائر الله) وذكر القرطبي في تفسيره عن ابن عباس قال : كانت الشياطين تفرق بين الصفا والمروة الليل كله وكانت بينهما آلهة ، فلما جاء الاسلام سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الطواف بينهما فنزلت هذه الآية . وقال الشعبي : كان اساف على الصفا وكانت نائلة على المروة ، وكانوا يستلمونهما فتحرجوا بعد الاسلام من الطواف بينهما فنزلت هذه الاية (قلت) ذكر محمد بن اسحق في كتاب السيرة ان اسافا ونائلة كانا بشرين فزنيا داخل الكعبة فمسخا حجرين فنصبتهما قريش تجاه الكعبة ليعتبر بهما الناس، فلما طال عهدهما عبدا ثم حوّلا الى الصفا والمروة ، فنصبا هنالك فكان من طاف بالصفا والمروة يستلمهما ، ولهذا يقول أبو طالب في قصيدته المشهورة

وحيث ينيخ الاشعرون ركابهم لمفضى السيول من اساف ونائل

وفي صحيح مسلم من حديث جابر الطويل وفيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فرغ من طوافه بالبيت عاد الى الركن فاستلمه ثم خرج من باب الصفا وهو يقول (ان الصفا والمروة من شعائر الله) ثم قال « ابدأ بما بدأ الله به » وفي رواية النسائي « ابدؤا بما بدأ الله به » وقال الامام احمد حدثنا شريح حدثنا عبد الله بن المؤمل عن عطاء بن ابي رباح عن صفية بنت شيبة عن حبيبة بنت ابي تجراة قالت رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوف بين الصفا والمروة والناس بين يديه وهو

اني لارى ركبتيه ، وسمعته يقول « اسعوا فان الله كتب عليكم السعي » أخبرنا أبو الحسين محمد بن محمد السرخسي أخبرنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو اسحق الهاشمي أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن هشام بن عروة عن أبيه انه قال : قلت لعائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أرأيت قول الله تعالى (ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما) فما أرى على أحد شيئا ألا يطوف بهما . قالت عائشة : كلا لو كانت كما تقول كانت « فلا جناح عليه ان لا يطوف بهما » انما أنزلت هذه الاية في الانصار كانوا يهلون لمناة وكانت مناة حذو قديد وكانوا يتحرجون ان يطوفوا بين الصفا والمروة . فلما جاء الاسلام سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فأنزل الله تعالى (ان الصفا والمروة من شعائر الله) الاية وقال عاصم : قلت لانس بن مالك كنتم تكرهون السعي بين الصفا والمروة ؟ فقال نعم لانها كانت من شعائر الجاهلية حتى أنزل الله تعالى (ان الصفا والمروة من شعائر الله) أخبرنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا زاهر بن احمد أخبرنا أبو اسحق الهاشمي أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر بن عبدالله انه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرج من المسجد وهو يريد الصفا يقول « نبدأ بما بدأ الله تعالى به » فبدأ بالصفا . وقد كان اذا وقف على الصفا يكبر ثلاثا ويقول : لا إله إلا الله وحده لاشريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير . يصنع ذلك ثلاث مرات ويدعو

وراءهم وهو يسعى حتى ارى ركبتيه من شدة السعي يدور به ازاره وهو يقول « اسعوا فان الله كتب عليكم السعي » ثم رواه الامام احمد عن عبد الرزاق: انا معمر عن واصل مولى ابي عيينة عن موسى بن عبيدة عن صفية بنت شيبة ان امرأة اخبرتها انها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم بين الصفا والمروة يقول « كتب عليكم السعي فاسعوا » وقد استدل بهذا الحديث على مذهب من يرى ان السعي بين الصفا والمروة ركن في الحج كما هو مذهب الشافعي ومن وافقه ورواية عن احمد وهو المشهور عن مالك: وقيل انه واجب وليس بركن فان تركه عمدا او سهوا جبره بدم وهو رواية عن احمد وبه يقول طائفة، وقيل بل مستحب واليه ذهب ابو حنيفة والثوري والشعبي وابن سيرين وروي عن انس وابن عمر وابن عباس وحكي عن مالك في العتبية قال القرطبي واحتجوا بقوله تعالى (فمن تطوع خيرا) والقول الاول ارجح لانه عليه السلام طاف بينهما وقال « لتأخذوا عني مناسككم » فكل ما فعله في حجته تلك واجب لا بد من فعله في الحج الا ما خرج بدليل والله أعلم. وقد تقدم قوله عليه السلام « اسعوا فان الله كتب عليكم السعي » فقد بين الله تعالى ان الطواف بين الصفا والمروة من شعائر الله أي مما شرع الله تعالى لابراهيم في مناسك الحج وقد تقدم في حديث ابن عباس ان أصل ذلك مأخوذ من طواف هاجر وترددها بين الصفا والمروة في طلب الماء لولدها لما نفد ماؤها وزادها حين تركهما إبراهيم عليه السلام هنالك وليس عندهما أحد من الناس فلما خافت على ولدها الضيعة هنالك ونفد ما عندهما قامت تطلب الغوث من الله عز وجل فلم تزل تتردد في هذه البقعة المشرفة بين الصفا والمروة متذللة خائفة وجلة مضطرة فقيرة الى الله عز وجل حتى كشف الله كربتها وآنس غربتها وفرج شدتها وأنبع لها زمزم التي ماؤها « طعام طعم، وشفاء سقم »(١) فالساعي بينهما ينبغي له أن يستحضر فقره وذله وحاجته الى الله في هداية قلبه وصلاح حاله وغفران ذنبه، وان يلتجيء الى الله عز وجل لتفريج ماهو به من النقائص والعيوب، وأن يهديه الى الصراط

ويصنع على المروة مثل ذلك. وقال كان اذا نزل من الصفا مشى حتى اذا انصبت قدماه في بطن الوادي يسعى حتى يخرج منه. قال مجاهد رحمه الله حج موسى عليه السلام على جمل أحمر وعليه عباءتان قطوانيتان، فطاف البيت ثم صعد الصفا ودعا ثم هبط الى السعي وهو يلبي فيقول لبيك اللهم لبيك. فقال الله تعالى لبيك عبدي أنا معك وسامع لك وناظر اليك. فخر موسى عليه السلام ساجدا

قوله تعالى ﴿ ومن تطوع خيرا ﴾ قرا حمزة والكسائي بالياء وتشديد الطاء وجزم العين وكذلك الثانية (فمن تطوع خيرا فهو خير له وان تصوموا) بمعنى يتطوع ووافق يعقوب في الاول وقرا الباقون بالتاء وفتح العين في الماضي وقال مجاهد: معناه فمن تطوع بالطواف بالصفا والمروة وقال مقاتل الكلبي: فمن تطوع اي زاد في الطواف بعد الواجب وقيل من تطوع بالحج والعمرة بعد اداء الحجة الواجبة عليه وقال الحسن وغيره: اراد سائر الاعمال يعني فعل غير المفترض عليه من زكاة وصلاة وطواف وغيرها من انواع الطاعات ﴿ فان الله شاكر ﴾ مجاز لعبده بعمله ﴿ عليم ﴾ بنيته

(١) هذا نص نسخة الازهر وفي النسخة المطبوعة: طعامها طعام طعم. والاصل « زمزم طعام طعم وشفاء سقم » رواه ابن أبي شيبة والبزار من حديث أبي ذر (رض)

المستقيم، وان يثبته عليه الى مماته وأن يحوله من حاله الذي هو عليه من الذنوب والمعاصي الى حل الكمال والغفران والسداد والاستقامة كما فعل بهاجر عليها السلام

وقوله (فمن تطوع خيرا) قيل زاد في طوافه بينهما على قدر الواجب ثامنة وتاسعة ونحو ذلك وقيل يطوف بينهما في حجة تطوع أو عمرة تطوع وقيل المراد تطوع خيرا في سائر العبادات حكى ذلك الرازي وعزى الثالث الى الحسن البصري والله أعلم وقوله (فان الله شاكر عليم) أي يثيب على القليل بالكثير عليم بقدر الجزاء فلا يبخس أحدا ثوابه و(لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما)

---

(١٥٨) ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون (١٥٩) الا الذين تابوا واصلحوا وبينوا فأولئك اتوب عليهم وانا التواب الرحيم (١٦٠) ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار اولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين (١٦١) خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولاهم ينظرون

هذا وعيد شديد لمن كتم ماجاءت به الرسل من الدلالات البينة على المقاصد الصحيحة والهدى النافع للقلوب من بعد مابينه الله تعالى لعباده في كتبه التى أنزلها على رسله قال ابو العالية نزلت في أهل الكتاب كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم ثم أخبر انهم يلعنهم كل شيء على صنيعهم ذلك فكما ان العالم يستغفر له كل شيء حتى الحوت في الماء والطير في الهواء فهؤلاء بخلاف العلماء فيلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون. وقد ورد في الحديث المسند من طرائق يشد بعضها بعضا عن أبي هريرة وغيره

والشكر من الله تعالى ان يعطي لعبده فوق ما يستحق. يشكر اليسير ويعطي الكثير

قوله تعالى ﴿ ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب ﴾ نزلت في علماء اليهود كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم وآية الرجم وغيرهما من الاحكام التي كانت في التوراة ﴿ اولئك يلعنهم الله ﴾ واصل اللعن الطرد والبعد ﴿ ويلعنهم اللاعنون ﴾ اى يسألون الله ان يلعنهم ويقولون : اللهم العنهم. واختلفوا في هؤلاء اللاعنين قال ابن عباس جميع الخلائق الا الجن والانس وقال قتادة : هم الملائكة وقال عطاء : الجن والانس وقال الحسن : جميع عباد الله قال ابن مسعود ما تلاعن اثنان من المسلمين الا رجعت تلك اللعنة على اليهود والنصارى الذين كتموا امر محمد صلى الله عليه وسلم وصفته وقال مجاهد : اللاعنون البهائم تلعن عصاة بني آدم اذا اشتدت السنة وامسك المطر وقالت هذا من شؤم ذنوب بني آدم ثم استثنى فقال : ﴿ الا الذين تابوا ﴾ من الكفر ﴿ واصلحوا ﴾ اسلموا واصلحوا الاعمال فيما بينهم وبين ربهم ﴿ وبينوا ﴾ ما كتموا ﴿ فأولئك اتوب عليهم ﴾ اتجاوز عنهم واقبل توبتهم ﴿ وانا التوّاب ﴾ الرجاع بقلوب عبادي المنصرفة عني الي ﴿ الرحيم ﴾ بهم بعد اقبالهم عليّ ﴿ ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار اولئك عليهم لعنة الله والملائكة ﴾

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار» والذي فى الصحيح عن أبي هريرة انه قال لولا آية فى كتاب الله ماحدثت أحدا شيئا (ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى) الآية وقال ابن أبي حاتم حدثنا الحسن بن عرفة حدثنا عمار ابن محمد عن ليث بن أبي سليم عن المنهال بن عمرو عن زاذان بن عمرو عن البراء بن عازب قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في جنازة فقال « إن الكافر يضرب ضربة بين عينيه يسمعها كل دابة غير الثقلين فتلعنه كل دابة سمعت صوته فذلك قول الله تعالى (أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون) يعني دواب الارض» ورواه ابن ماجه عن محمد بن الصباح عن عامر بن محمد به ، وقال عطاء بن أبي رباح : كل دابة والجن والانس وقال مجاهد اذا أجدبت الارض قال البهائم هذا من أجل عصاة بني آدم لعن الله عصاة بني آدم، وقال ابو العالية والربيع بن أنس وقتادة (ويلعنهم اللاعنون) يعني تلعنهم الملائكة والمؤمنون وقد جاء في الحديث « ان العالم يستغفر له كل شيء حتى الحيتان في البحر» وجاء في هذه الآية أن كاتم العلم يلعنه الله والملائكة والناس أجمعون واللاعنون أيضا وهم كل فصيح وأعجمي اما بلسان المقال أو الحال أو لو كان له عقل ويوم القيامة والله أعلم * ثم استثنى الله تعالى من هؤلاء من تاب اليه فقال (الا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا) أي رجعوا عما كانوا فيه واصلحوا أعمالهم وبينوا للناس ماكانوا يكتمونه (فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم) وفي هذا دلالة على ان الداعية الى كفر او بدعة اذا تاب الى الله تاب الله عليه : وقد ورد ان الامم السابقة لم تكن التوبة تقبل من مثل هؤلاء منهم ولكن هذا من شريعة نبي التوبة ونبي الرحمة صلوات الله وسلامه عليه ، ثم أخبر تعالى عمن كفر به واستمر به الحال الى مماته بان (عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين خالدين فيها) أي في اللعنة التابعة لهم الى يوم القيامة ثم المصاحبة لهم في نار جهنم التى (لا يخفف عنهم العذاب) فيها أي لا ينقص عما هم فيه (ولا هم ينظرون) أي لا يغير عنهم ساعة واحدة ولا يفتر بل هو متواصل دائم فنعوذ بالله من ذلك : قال ابو العالية وقتادة ان الكافر يوقف يوم القيامة فيلعنه الله ثم تلعنه الملائكة ثم يلعنه الناس أجمعون

فصل

لاخلاف في جواز لعن الكفار وقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومن بعده من الائمة

اي لعنة الملائكة ﴿ والناس اجمعين ﴾ قال ابو العالية : هذا يوم القيامة يوقف الكافر فيلعنه الله ثم تلعنه الملائكة ثم يلعنه الناس فان قيل فقد قال (والناس أجمعين) والملعون هو من جملة الناس فكيف يلعن نفسه ؟ قيل يلعن نفسه في القيامة قال الله تعالى : (ويلعن بعضكم بعضا) وقيل انهم يلعنون الظالمين والكافرين ومن يلعن الظالمين والكافرين وهو منهم فقد لعن نفسه ﴿ خالدين فيها ﴾ مقيمين في اللعنة وقيل في النار ﴿لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون﴾ لا يمهلون ولا يؤجلون

يلعنون الكفرة في القنوت وغيره فأما الكافر المعين فقد ذهب جماعة من العلماء الى انه لا يلعن لانا لاندري بما يختم الله له واستدل بعضهم بالآية (إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين) وقالت طائفة أخرى بل يجوز لعن الكافر المعين، اختاره الفقيه ابو بكر بن العربي المالكي ولكنه احتج بحديث فيه ضعف واستدل غيره بقوله عليه السلام في قصة الذي كان يؤتى به سكران فيحده فقال رجل لعنه الله ما أكثر مايؤتي به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لاتلعنه فانه يحب الله ورسوله » فدل على ان من لايحب الله ورسوله يلعن والله أعلم

(١٦١) والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم)

يخبر تعالى عن تفرده بالالهية وأنه لاشريك له ولا عديل له بل هو الله الواحد الاحد الفرد الصمد الذي لا إله الا هو الرحمن الرحيم . وقد تقدم تفسير هذين الاسمين في أول الفاتحة وفي الحديث عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد بن السكن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال « اسم الله الاعظم في هاتين الآيتين (والهكم إله واحد لا إله الا هو الرحمن الرحيم ▪ والم الله لا إله الا هو الحي القيوم) » ثم ذكر الدليل على تفرده بالالهية بخلق السموات والارض وما فيهما وما بين ذلك مما ذرأ وبرأ من المخلوقات الدالة على وحدانيته فقال

(١٦٢) ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى في البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السماء من ماء فأحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون)

يقول تعالى (ان في خلق السموات والارض) تلك في ارتفاعها واطافتها واتساعها وكواكبها

وقال أبو العالية: لا ينظرون فيعتذروا كقوله تعالى (ولا يؤذن لهم فيعتذرون) قوله تعالى ﴿ والهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم ﴾ سبب نزول هذه الآية أن كفار قريش قالوا يامحمد صف لنا ربك وانسبه فأنزل الله تعالى هذه الآية وسورة الاخلاص. والواحد الذي لانظير له ولا شريك له. أخبرنا عبدالواحد بن احمد المليحي أخبرنا أبو منصور السمعاني أخبرنا أبو جعفر الزياني أخبرنا حميد بن زنجويه أخبرنا بكر بن ابراهيم وأبو عاصم عن عبد الله بن أبي زياد عن شهر بن حوشب عن اسماء بنت يزيد أنها قالت : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « ان في هاتين الآيتين اسم الله الاعظم (والهكم إله واحد لا إله الا هو الرحمن الرحيم) و (الله لا اله الا هو الحي القيوم) » قال أبو الضحى : لما نزلت هذه الآية قال المشركون : ان محمدا يقول ان الهكم اله واحد فليأتنا بآية ان كان من الصادقين فأنزل الله عز وجل ﴿ ان في خلق السموات والارض ﴾ ذكر السموات بلفظ الجمع والارض بلفظ الواحد لان كل سماء ليست من جنس واحد بل من جنس آخر والارضون كلها من جنس واحد وهو التراب فالآية في السموات سمكها وارتفاعها من غير عمد ولا علاقة وما يرى فيها

السيارة والثوابت ودوران فلكها - وهذه الارض في كثافتها وانخفاضها وجبالها وبحارها وقفارها ووهادها وعمرانها وما فيها من المنافع - واختلاف الليل والنهار هذا يجيء ثم يذهب ويخلفه الآخر ويعقبه لايتأخر عنه لحظة كما قال تعالى (لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون) وتارة يطول هذا ويقصر هذا وتارة يأخذ هذا من هذا ثم يتعاوضان كما قال تعالى (يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل) أي يزيد من هذا فى هذا ومن هذ فى هذا (والفلك التى تجري فى البحر بما ينفع الناس) أي فى تسخير البحر بحمل السفن من جانب الى جانب لمعايش الناس والانتفاع بما عند أهل ذلك الاقليم ونقل هذا الى هؤلاء وما عند أولئك الى هؤلاء (وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الارض بعد موتها) كما قال تعالى (وآية لهم الارض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون * الى قوله - ومما لايعلمون *(وبث فيها من كل دابة) أي على اختلاف أشكالها وألوانها ومنافعها وصغرها وكبرها وهو يعلم ذلك كله ويرزقه لا يخفى عليه شيء من ذلك كما قال تعالى (وما من دابة في الارض الا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين *(وتصريف الرياح) أي فتارة تأتي بالرحمة وتارة تأتي بالعذاب وتارة تأتي مبشرة بين يدي السحاب وتارة تسوقه وتارة تجمعه وتارة تفرقه وتارة تصرفه ثم تارة تأتي من الجنوب وهي الشامية وتارة تأتي من ناحية اليمن وتارة صبا وهي الشرقية التى تصدم وجه الكعبة وتارة دبورا وهي غربية تنفذ من ناحية دبر الكعبة. وقد صنف الناس في الرياح والمطر والانواء كتبا كثيرة فيما يتعلق بلغاتها (١)وأحكامها وبسط ذلك يطول ههنا والله أعلم (والسحاب المسخر بين السماء والارض)

(١) كذا في النسخة المطبوعة وقد سقطت هذه الجملة برمتها من نسخة الازهر كما ينقصها كثير من الجمل ولا سيما الاستطرادية

والنجوم والآية في الارض مدها وبسطها وسعتها وما يرى فيها من الاشجار والانهار والجبال والبحار من الشمس والقمر والجواهر والنبات قوله تعالى ﴿ واختلاف الليل والنهار ﴾ أي تعاقبهما في الذهاب والمجيء يخلف أحدهما صاحبه اذا ذهب أحدهما جاء الآخر خلفه أي بعده نظيره قوله تعالى (وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة) قال عطاء . أراد خلافهما في النور والظلمة والزيادة والنقصان والليل جمع ليلة والليالي جمع الجمع والنهار جمع نهر وقدم الليل على النهار في الذكر لانه أقدم منه قال الله تعالى (وآية الليل نسلخ منه النهار) ﴿ والفلك التي تجري في البحر ﴾ يعني السفن واحده وجمعه سواء فاذا أريد به الجمع يؤنث وفي الواحد يذكر قال الله تعالى : في الواحد والتذكير (اذ أبق الى الفلك المشحون) وقال في الجمع والتأنيث (حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة * والفلك التي تجري في البحر) الآية في الفلك تسخيرها وجريانها على وجه الماء وهي موقرة لا ترسب تحت الماء ﴿ بما ينفع الناس ﴾ يعني ركوبها والحمل عليها في التجارات والمكاسب وأنواع المطالب ﴿ وما أنزل الله من السماء من ماء ﴾ يعني المطر قيل أراد بالسماء السحاب يخلق الله الماء في السحاب ثم من السحاب ينزل وقيل (٢) أراد به السماء المعروفة يخلق الله تعالى الماء في السماء ثم ينزل من السماء الى السحاب ثم من السحاب ينزل الى الارض ﴿ فأحيا به ﴾ أي بالماء ﴿ الارض بعد موتها ﴾ أي بعد يبوستها

(٢) أشار الى ضعف هذا القول وله الحق فانه مخالف للمشاهدة

أي سائر بين السماء والارض مسخر الى مايشاء الله من الاراضي والاماكن كما يصرفه تعالى (لآيات لقوم يعقلون) أي في هذه الاشياء دلالات بينة على وحدانية الله تعالى كما قال تعالي (ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولى الالباب ه الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والارض: ربنا ماخلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار) وقال الحافظ أبو بكر بن مردويه أخبرنا محمد بن احمد بن إبراهيم حدثنا أبو سعيد الدشتكي حدثني أبي عن أبيه عن أشعث بن اسحق عن جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : أتت قريش محمدا صلى الله عليه وسلم فقالوا يامحمد إنا نريد أن تدعو ربك أن يجعل لنا الصفا ذهبا فنشتري به الخيل والسلاح فنؤمن بك ونقاتل معك قال «أوثقو لي لئن دعوت ربي فجعل لكم الصفا ذهبا لتؤمنن بي» فأوثقوا له فدعا ربه فأتاه جبريل فقال ان ربك قد أعطاهم الصفا ذهبا على انهم ان لم يؤمنوا بك عذبهم عذابا لم يعذبه أحدا من العالمين قال محمد صلى الله عليه وسلم «رب لابل دعني وقومى فلادعهم يوما بيوم» فأنزل الله هذه الآية (ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس) الآية ورواه ابن أبي حاتم من وجه آخر عن جعفر بن أبي المغيرة به وزاد في آخره: وكيف يسألونك الصفا وهم يرون من الآيات ماهو أعظم من الصفا؟ وقال ابن أبي حاتم أيضا حدثنا أبي حدثنا أبو حذيفة حدثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن عطاء قال نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة (والهكم إله واحد لا إله الا هو الرحمن الرحيم) فقال كفار قريش بمكة كيف يسع الناس إله واحد فأنزل الله تعالى (ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري البحر بماينفع الناس) الى قوله (لآيات

وجدوبتها ﴿ وبث فيها ﴾ أي فرق فيها ﴿ من كل دابة وتصريف الرياح ﴾ قرأ حمزة والكسائي الريح بغير ألف وقرأ الباقون بالالف وكل ريح في القرآن ليس فيها ألف ولا لام اختلفوا في جمعها وتوحيدها الا في الذاريات (الريح العقيم) اتفقوا على توحيدها وفي الحرف الاول من سورة الروم (الرياح مبشرات) اتفقوا على جمعها وقرأ أبو جعفر سائرها على الجمع والقراء مختلفون فيها والريح يذكر ويؤنث وتصريفها أنها يتصرف الى الجنوب والشمال والقبول والدبور والنكباء وقيل تصريفها أنها تارة تكون لينا وتارة تكون عاصفا وتارة تكون حارة وتارة تكون باردة قال ابن عباس : أعظم جنود الله الريح والماء وسميت الريح ريحا لانها تريح النفوس قال شريح القاضي : ما هبت ريح الا لشفاء سقيم أو لسقم صحيح والبشارة في ثلاث من الرياح في الصبا والشمال والجنوب أما الدبور فهى الريح العقيم لا بشارة فيها وقيل الرياح ثمانية : أربعة للرحمة وأربعة للعذاب . فأما التي للرحمة المبشرات والناشرات والذاريات والمرسلات وأما التي للعذاب فالعقيم والصرصر في البر والعاصف والقاصف في البحر ﴿ والسحاب المسخر ﴾ أي الغيم المذلل سمي سحابا لانه ينسحب أى يسير في سرعة كانه يسحب أي يجر ﴿ بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون ﴾ فيعلمون أن لهذه الاشياء خالقا وصانعا

لقوم يعقلون) فبهذا يعلمون انه اله واحد وانه اله كل شيء وخالق كل شيء، وقال وكيع بن الجراح حدثنا سفيان عن أبيه عن أبي الضحى قال لما نزلت (والهكم اله واحد) الى آخر الآية قال المشركون ان كان هكذا فليأتنا بآية فأنزل الله عز وجل (ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار) الى قوله (يعقلون) ورواه آدم بن أبي اياس عن أبي جعفر هو الرازي عن سعيد بن مسروق ولد سفيان عن أبي الضحى به

(١٦٣) ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعا وان الله شديد العذاب ■

(١٦٤) إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الاسباب ■

(١٦٥) وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرأوا منا كذلك يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم وماهم بخارجين من النار

يذكر تعالى حال المشركين به في الدنيا ومالهم في الدار الآخرة حيث(١) جعلوا له أندادا أي أمثالا

قال وهب بن منبه: ثلاثة لا يدرى من أين تجيء الرعد والبرق والسحاب قوله تعالى ﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا﴾ أي أصناما يعبدونها ﴿يحبونهم كحب الله﴾ أي يحبون آلهتهم كحب المؤمنين الله وقال الزجاج يحبون الاصنام، كما يحبون الله لانهم أشركوها مع الله فسووا بين الله وبين أوثانهم في المحبة ﴿والذين آمنوا أشد حبا لله﴾ أي أثبت وأدوم على حبه من المشركين لانهم لا يختارون على الله ما سواه والمشركون اذا اتخذوا صنما ثم رأوا أحسن منه طرحوا الاول واختاروا الثاني قال قتادة: ان الكافر يعرض عن معبوده في وقت البلاء ويقبل على الله تعالى كما أخبر الله عز وجل عنهم فقال: (فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين) والمؤمن لا يعرض عن الله في السراء والضراء والشدة والرخاء قال سعيد بن جبير: ان الله عز وجل يأمر يوم القيامة من أحرق نفسه في الدنيا على رؤية الاصنام أن يدخلوا جهنم مع أصنامهم فلا يدخلون لعلمهم أن عذاب جهنم على الدوام ثم يقول المؤمنين وهم بين أيدى الكفار «ان كنتم أحبائي فادخلوا جهنم» فيقتحمون فيها فينادي مناد من تحت العرش (والذين آمنوا أشد حبا لله) وقيل انما قال (والذين آمنوا أشد حبا لله) لان الله تعالى أحبهم أولا ثم أحبوه ومن شهد له المعبود بالمحبة كانت محبته أتم قال الله تعالى: (يحبهم ويحبونه) قوله تعالى ﴿ولو يرى الذين ظلموا﴾ قرأ نافع وابن عامر ويعقوب ولو ترى بالتاء وقرأ الآخرون بالياء وجواب لو ههنا محذوف ومثله كثير في القرآن كقوله تعالى (ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به) الآية يعني لكان هذا القرآن فمن قرأ بالتاء معناه ولو ترى يامحمد الذين ظلموا أنفسهم في شدة العذاب لرأيت أمرا عظيما، قيل معناه قل يامحمد: أيها الظالم لو ترى الذين ظلموا أو اشركوا في شدة العقاب لرايت امرا فظيعا. ومن قرا بالياء معناه ولو يرى الذين ظلموا انفسهم

(تنبيه) وجه دلالة هذه الآية بالعقل على الوحدانية ـ ان ماذكر فيها من الآيات الكونية قائم بنظام يقتضي قطعا أن تكون هذه الاشياء صادرة عن خالق واحد عليم حكيم. ولو كان لها مصادر متعددة لاختل هذا النظام وفسد هذا العالم سماواته وارضه ▌ قال في آية اخرى (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا)

(١) استعمل حيث هنا للتعليل كما شاع في كتابة متأخري المولدين ولو حملت على الظرفية المكانية كما هو معناها الاصلي لكان معنى الكلام انهم جعلوا الانداد له تعالى في الآخرة وليس بمراد قطعا

ونظراء يعبدونهم معه ويحبونهم كحبه وهو الله لا اله الا هو ولا ضد له ولا ند له ولا شريك معه. وفي الصحيحين عن عبد الله بن مسعود قال قلت يا رسول الله أي الذنب أعظم ؟ قال « أن تجعل لله ندا وهو خلقك » وقوله (والذين آمنوا أشد حبا لله) ولحبهم لله وتمام معرفتهم به وتوقيرهم وتوحيدهم له لا يشركون به شيئا بل يعبدونه وحده ويتوكلون عليه ويلجؤن في جميع أمورهم اليه . ثم توعد تعالى المشركين به الظالمين لانفسهم بذلك فقال (ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعا) قال بعضهم تقدير الكلام لو عاينوا العذاب لعلموا حينئذ ان القوة لله جميعا أي ان الحكم له وحده لا شريك له وان جميع الاشياء تحت قهره وغلبته وسلطانه (وان الله شديد العذاب) كما قال (فيومئذ لا يعذب عذابه أحد ولا يوثق وثاقه أحد) يقول لو يعلمون ما يعاينونه هنالك وما يحل بهم من الامر العظيم المنكر الهائل على شركهم وكفرهم لانتهوا عما هم فيه من الضلال ثم أخبر عن كفرهم بأوثانهم وتبري المتبوعين من التابعين فقال (إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا) تبرأت منهم الملائكة الذين كانوا يزعمون أنهم يعبدونهم في الدار الدنيا فتقول الملائكة (تبرأنا اليك ما كانوا ايانا يعبدون) ويقولون (سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون) والجن أيضا تتبرأ منهم ويتنصلون من عبادتهم لهم كما قال تعالى (ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون * واذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين) وقال تعالى (واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا * كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا) وقال الخليل لقومه (انما اتخذتم من دون الله أوثانا مودة بينكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا ومأواكم النار وما لكم من ناصرين) وقال تعالى (ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم الى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكنا مؤمنين * قال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم بل كنتم

عند رؤية العذاب أي لو رأوا شدة عذاب الله وعقوبته حين يرون العذاب لعرفوا مضرة الكفر وان ما اتخذوا من الاصنام لا ينفعهم قوله تعالى ﴿ اذ يرون ﴾ قرأ ابن عامر بضم الياء والباقون بفتحها ﴿ العذاب أن القوة لله جميعا وأن الله شديد العذاب ﴾ أي بان القوة لله جميعا معناه لرأوا وأيقنوا ان القوة لله جميعا. وقرأ أبو جعفر ويعقوب ان القوة وان الله بكسر الالف على الاستئناف والكلام تام عند قوله (اذ يرون العذاب) مع اضمار الجواب ﴿ اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب ﴾ هذا في يوم القيامة حين يجمع الله القادة والاتباع فيتبرأ بعضهم من بعض، هذا قول أكثر المفسرين ، وقال السدي هم الشياطين يتبرأون من الانس ﴿ وتقطعت بهم ﴾ أي عنهم ﴿ الاسباب ﴾ أي الصلات التي كانت بينهم في الدنيا من القرابات والصداقات وصارت مخالطتهم عداوة . وقال ابن جريج : الارحام كما قال الله تعالى (فلا أنساب بينهم يومئذ) وقال السدي . يعني الاعمال التي كانوا يعملونها في الدنيا كما قال الله تعالى (وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا) وأصل

مجرمين * وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار إذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وجعلنا الاغلال في أعناق الذين كفروا هل يجزون الا ما كانوا يعملون) وقال تعالى (وقال الشيطان لما قضي الامر ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان الا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي اني كفرت بما أشركتموني من قبل ان الظالمين لهم عذاب أليم) وقوله (ورأوا العذاب وتقطعت بهم الاسباب) أي عاينوا عذاب الله وتقطعت بهم الحيل وأسباب الخلاص ولم يجدوا عن النار معدلا ولا مصرفا . قال عطاء عن ابن عباس (وتقطعت بهم الاسباب) قال المودة . وكذا قال مجاهد في رواية ابن أبي نجيح . وقوله (وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرؤا منا) أي لو أن لنا عودة الى الدار الدنيا حتى نتبرأ من هؤلاء ومن عبادتهم فلا نلتفت اليهم بل نوحد الله وحده بالعبادة . وهم كاذبون في هذا بل لو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون كما أخبر الله تعالى عنهم بذلك ولهذا قال (كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم) أي تذهب وتضمحل كما قال تعالى (وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا) وقال تعالى (مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف) الآية . وقال تعالى (والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء) الآية : ولهذا قال تعالى (وما هم بخارجين من النار)

---

(١٦٦) يا أيها الناس كلوا مما في الارض حلالا طيبا ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين (١٦٧) انما يأمركم بالسوء والفحشاء وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون

السبب ما يوصل به الى الشيء من ذريعة أو قرابة أو مودة ومنه يقال للحبل سبب وللطريق سبب ﴿ وقال الذين اتبعوا ﴾ يعني الاتباع ﴿ لو ان لنا كرة ﴾ أي رجعة الى الدنيا ﴿ فنتبرأ منهم ﴾ أي من المتبوعين ﴿ كما تبرؤا منا ﴾ اليوم ﴿ كذلك ﴾ أي كما أراهم العذاب كذلك ﴿ يريهم الله ﴾ وقيل كتبري بعضهم من بعض يريهم الله ﴿ أعمالهم حسرات ﴾ ندامات ﴿ عليهم ﴾ جمع حسرة ، قيل يريهم ما ارتكبوا من السيئات فيتحسرون لم عملوا ، وقيل يريهم ما تركوا من الحسنات فيندمون على تضييعها وقال ابن كيسان : انهم أشركوا بالله الاوثان رجاء ان تقربهم الى الله عز وجل ، فلما عذبوا على ما كانوا يرجون ثوابه تحسروا وندموا . قال السدي : ترفع لهم الجنة فينظرون اليها والى بيوتهم فيها لو أطاعوا الله فيقال لهم تلك مساكنكم لو أطعتم الله ، ثم تقسم بين المؤمنين فذلك حين يندمون ويتحسرون ﴿ وما هم بخارجين من النار ﴾ قوله تعالى ﴿ يا أيها الناس كلوا مما في الارض حلالا طيبا ﴾ نزلت في ثقيف وخزاعة وعامر بن صعصعة وبنى مدلج فيما حرموا على أنفسهم من الحرث والانعام والبحيرة والسائبة والوصيلة والحام ، فالحلال ما أحله الشرع طيبا ، قيل ما يستطاب ويستلذ ، والمسلم يستطيب الحلال ويعاف الحرام ، وقيل الطيب الطاهر ﴿ ولا تتبعوا خطوات الشيطان ﴾ قرأ أبو جعفر وابن عامر

لما بين تعالى انه لا إله الا هو وانه المستقل بالخلق شرع يبين انه الرزاق لجميع خلقه فذكر في مقام الامتنان انه أباح لهم أن يأكلوا مما في الارض في حال كونه حلالا من الله طيبا أي مستطابا في نفسه غير ضار للابدان ولا للعقول ونهاهم عن اتباع خطوات الشيطان وهي طرائقه ومسالكه فيما أضل أتباعه فيه من تحريم البحائر والسوائب والوصائل ونحوها مما كان زينه لهم في جاهليتهم كما في حديث عياض بن حماد الذي في صحيح مسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال « يقول الله تعالى ان كل مال منحته عبادي فهو لهم حلال - وفيه - واني خلقت عبادي حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم) وقال الحافظ أبو بكر بن مردويه حدثنا سليمان ابن احمد حدثنا محمد بن عيسى بن شيبة المصري حدثنا الحسين بن عبد الرحمن الاحتياطي حدثنا أبو عبد الله الجوزجاني رفيق ابراهيم بن أدهم حدثنا ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال تليت هذه الآية عند النبي صلى الله عليه وسلم (يا أيها الناس كلوا مما في الارض حلالا طيبا) فقام سعد ابن أبي وقاص فقال يارسول الله ادع الله أن يجعلني مستجاب الدعوة فقال « ياسعد أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة والذي نفس محمد بيده ان الرجل ليقذف اللقمة الحرام في جوفه ما يتقبل منه أربعين يوما وأيما عبد نبت لحمه من السحت والربا فالنار أولى به »

وقوله (انه لكم عدو مبين) تنفير عنه وتحذير منه كما قال (ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا انما يدعوا حزبه ليكونوا من أصحاب السعير) وقال تعالى (أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا) وقال قتادة والسدي في قوله (ولا تتبعوا خطوات الشيطان)

والكسائي وحفص ويعقوب بضم الطاء والباقون بسكونها وخطوات الشيطان آثاره وزلاته، وقيل هي النذر في المعاصي . وقال أبو عبيدة : هي المحقرات من الذنوب . وقال الزجاج : طرقه ﴿ انه لكم عدوٌ مبين ﴾ بين العداوة وقيل مظهر العداوة ، وقد أظهر عداوته بابائه السجود لآدم وغروره إياه حتى أخرجه من الجنة . وأبان يكون لازما ومتعديا ثم ذكر عداوته فقال ﴿ إنما يأمركم بالسوء ﴾ أي بالاثم وأصل السوء ما يسوء صاحبه وهو مصدر ساء يسوء سوأ ومساءة أي أحزنه، وسوأته فساء أي حزنته فحزن ﴿ والفحشاء ﴾ المعاصي وما قبح من القول والفعل وهو مصدر كالسراء والضراء . روى باذن عن ابن عباس قال : الفحشاء من المعاصي ما يجب فيه الحد والسوء من الذنوب ما لا حد فيه. وقال السدي: هي الزنا وقيل هي البخل ﴿ وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون ﴾ من تحريم الحرث والانعام

قوله تعالى ﴿ وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله ﴾ قيل هذه قصة مستأنفة والهاء والميم في لهم كناية عن غير مذكور . وروي عن ابن عباس قال : دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهود الى الاسلام ، فقال رافع بن خارجة ومالك بن عوف : بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا ، أي ما وجدنا عليه آباءنا فهم كانوا أفضل وأعلم منا، فأنزل الله تعالى هذه الآية . وقيل الآية متصلة بما قبلها وهي نازلة في مشركي العرب وكفار قريش والهاء والميم عائدة الى قوله (ومن الناس من يتخذ من دون الله

كل معصية لله فهي من خطوات الشيطان وقال عكرمة هي نزغات الشيطان ، وقال مجاهد خطؤه(١) أو قال خطاياه: وقال أبو مجلز هي النذور في المعاصي ، وقال الشعبي نذر رجل أن ينحر ابنه فأفتاه مسروق بذبح كبش ، وقال هذا من خطوات الشيطان. وقال أبو الضحى عن مسروق أتي عبدالله ابن مسعود بضرع وملح فجعل يأكل فاعتزل رجل من القوم فقال ابن مسعود ناولوا صاحبكم ،فقال لا أريده ،فقال أصائم أنت ؟ قال لا قال ، فما شأنك ؟ قال حرمت أن آكل ضرعا أبدا ، فقال ابن مسعود هذا من خطوات الشيطان فاطعم وكفر عن يمينك. رواه ابن أبي حاتم ، وقال أيضا حدثنا أبي حدثنا حسان بن عبد الله المصرى عن سليمان التيمي عن أبي رافع قال غضبت يوما على امرأتي فقالت هي يوما يهودية و يوما نصرانية وكل مملوك لها حر إن لم تطلق امرأتك. فأتيت عبد الله بن عمر فقال انما هذه من خطوات الشيطان، وكذلك قالت زينب بنت أم سلمة وهي يومئذ أفقه امرأة في المدينة وأتيت عاصما وابن عمر فقالا مثل ذلك ، وقال عبد بن حميد حدثنا أبو نعيم عن شريك عن عبد الكريم عن عكرمة عن ابن عباس قال ماكان من يمين أو نذر في غضب فهو من خطوات الشيطان وكفارته كفارة يمين : وقوله (انما يأمركم بالسوء والفحشاء وان تقولوا على الله مالا تعلمون) أى انما يأمركم عدوكم الشيطان بالافعال السيئة وأغلظ منها الفاحشة كالزنا ونحوه وأغلظ من ذلك وهو القول على الله بلا علم فيدخل في هذا كل كافر وكل مبتدع أيضا

(١٦٨)وإذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا .أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيأ ولا يهتدون (١٦٩) ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء صمٌ بكمٌ عميٌ فهم لا يعقلون)

يقول تعالى وإذا قيل لهؤلاء الكفرة من المشركين اتبعوا ما أنزل الله على رسوله واتركوا ما أنتم

اندادا) ﴿ قالوا بل نتبع ما ألفينا ﴾ أي ماوجدنا ﴿ عليه آباءنا ﴾ من عبادة الاصنام ، وقيل معناه : وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله في تحليل ما حرموا على أنفسهم من الحرث والانعام والبحيرة والسائبة والهاء والميم عائدتان الى الناس في قوله تعالى « يا أيها الناس كلوا » -(قالوا بل نتبع) قرأ الكسائي: بل نتبع بادغام اللام في النون . وكذلك يدغم لام هل وبل في التاء والثاء والزاء والسين والصاد والطاء والظاء ووافق حمزة في الثاء والسين (ما ألفينا) ما وجدنا(عليه آباءنا)من التحريم والتحليل قال تعالى ﴿ أو لو كان آباؤهم ﴾ أي كيف يتبعون آباءهم وآباؤهم ﴿ لا يعقلون شيئا ﴾ الواو في أولو واو العطف ، ويقال لها واو التعجب دخلت عليها ألف الاستفهام للتوبيخ والمعنى أيتبعون آباءهم وان كانوا جهالا لا يعقلون شيئا ، لفظه عام ومعناه الخصوص . أي لا يعقلون شيئا من أمور الدين لانهم كانوا يعقلون أمر الدنيا ﴿ ولا يهتدون ﴾ ثم ضرب لهم مثلا فقال جل ذكره ﴿ ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع ﴾ والنعيق والنعق صوت الراعي بالغنم ، معناه مثلك يامحمد ومثل

(١) وفي نسخة الازهر خطاياه

عليه من الضلال والجهل قالوا في جواب ذلك بل نتبع ما ألفينا أي وجدنا عليه آبا نا أي من عبادة الاصنام والانداد . قال الله تعالى منكرا عليهم (أو لو كان آباؤهم) أي الذين يقتدون بهم ويقتفون أثرهم (لا يعقلون شيئا ولا يهتدون) أي ليس لهم فهم ولا هداية . وروى ابن اسحق عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس انها نزلت في طائفة من اليهود دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الاسلام فقالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا فأنزل الله هذه الآية ثم ضرب لهم تعالى مثلا - كما قال تعالى - (للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء) فقال (ومثل الذين كفروا) أي فيما هم فيه من الغي والضلال والجهل كالدواب السارحة التي لا تفقه ما يقال لها بل اذا نعق بها راعيها أي دعاها الى ما يرشدها لا تفقه ما يقول ولا تفهمه بل انما تسمع صوته فقط . هكذا روي عن ابن عباس وأبي العالية ومجاهد وعكرمة وعطاء والحسن وقتادة وعطاء الخراساني والربيع بن أنس نحو هذا . وقيل إنما هذا مثل ضرب لهم في دعائهم الاصنام التي لا تسمع ولا تبصر ولا تعقل شيئا . اختاره ابن جرير والاول أولى لان الاصنام لا تسمع شيئا ولا تعقله ولا تبصره ولا بطش لها ولا حياة فيها . وقوله (صم بكم عمي) أي صم عن سماع الحق بكم لا يتفوهون به عمي عن رؤية طريقه ومسلكه (فهم لا يعقلون) أي لا يعقلون شيئا ولا يفهمونه كما قال تعالى (والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم في الظلمات من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم)

الكفار في وعظهم ودعائهم الى الله عز وجل كمثل الراعي الذي ينعق بالغنم ، وقيل مثل واعظ الكفار وداعيهم معهم كمثل الراعي ينعق بالغنم وهي لا تسمع ﴿ الادعاء ﴾ صوتا ﴿ ونداء ﴾ فأضاف المثل الى الذين كفروا لدلالة الكلام عليه كما في قوله تعالى (واسأل القرية) معناه كما ان البهائم تسمع صوت الراعي ولا تفهم ولا تعقل ما يقال لها ، كذلك الكافر لا ينتفع بوعظك انما يسمع صوتك . وقيل معناه ومثل الذين كفروا في قلة عقلهم وفهمهم عن الله وعن رسوله كمثل المنعوق به من البهائم التي لا تفقه من الامر والنهي الا الصوت فيكون المعنى المنعوق به (١) والكلام خارج عن الناعق وهو فاش في كلام العرب يفعلون ذلك يقلبون الكلام لايضاح المعنى عندهم ، يقولون فلان يخافك كخوف الاسد ، أي كخوفه الاسد . وقال تعالى (ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة) وانما العصبة تنوء بالمفاتيح وقيل معناه مثل الذين كفروا في دعاء الاصنام التي لا تفقه ولا تعقل كمثل الناعق بالغنم فلا ينتفع من نعيقه بشيء غير انه في عناء من الدعاء والنداء ، كذلك الكافر ليس له من دعاء الآلهة وعبادتها الا العناء والبلاء كما قال تعالى (ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم) وقيل معنى الآية ومثل الذين كفروا في دعاء الاوثان كمثل الذي يصيح في جوف الجبال فيسمع صوتا يقال له الصدى لا يفهم منه شيء (٢) فمعنى الآية كمثل الذي ينعق بما لا يسمع منه الناعق الا دعاء ونداء ﴿ صم ﴾ تقول العرب لمن لا يسمع ولا يعقل : كأنه أصم ﴿ بكم ﴾ عن الخير لا يقولونه

(١) وفي نسختنا الخطية : المنعوق به . بدون لام

(٢) وفي نسختنا شيئا

(١٧٠) يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا الله ان كنتم إياه تعبدون (١٧١) انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه ان الله غفور رحيم

يقول تعالى آمراً عباده المؤمنين بالاكل من طيبات ما رزقهم تعالى وان يشكروه تعالى على ذلك إن كانوا عبيده. والاكل من الحلال سبب لتقبل الدعاء والعبادة كما ان الاكل من الحرام يمنع قبول الدعاء والعبادة كما جاء في الحديث الذي رواه الامام أحمد حدثنا أبو النضر حدثنا الفضيل بن مرزوق عن عدي بن ثابت عن أبي حازم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أيها الناس ان الله طيب لا يقبل الا طيبا وان الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال (يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا انى بما تعملون عليم) وقال (يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم) ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه الى السماء يارب يارب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فأنى يستجاب لذلك؟» ورواه مسلم في صحيحه والترمذي من حديث فضيل ابن مرزوق. ولما امتن تعالى عليهم برزقه وأرشدهم الى الاكل من طيبه ذكر انه لم يحرم عليهم من ذلك الا الميتة وهي التي تموت حتف أنفها من غير تذكية وسواء كانت منخنقة أو موقوذة أو مترديه أو نطيحة

﴿ عمي ﴾ عن الهدى لا يبصرونه ﴿ فهم لا يعقلون ﴾

قوله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ﴾ حلالات ﴿ ما رزقناكم ﴾ أخبرنا عبد الواحد المليحي أخبرنا أبو محمد وعبد الرحمن بن أبي شريح أخبرنا أبو القاسم عبدالله ابن محمد بن عبد العزيز البغوي أخبرنا علي بن الجعد أخبرنا فضيل ابن مرزوق عن عدي بن ثابت عن أبي حازم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يا أيها الناس أن الله طيب لا يقبل الا الطيب وان الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال: (يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات مارزقناكم) ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يده الى السماء يارب يارب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فأني يستجاب لذلك» ﴿ واشكروا الله ﴾ على نعمه ﴿ ان كنتم إياه تعبدون ﴾ ثم بين المحرمات فقال ﴿ انما حرم عليكم الميتة ﴾ قرأ أبو جعفر الميتة كل القرآن بالتشديد والباقون يشددون البعض والميتة كل مالم تدرك ذكاته مما يذبح ﴿ والدم ﴾ أراد بالدم الجاري يدل عليه قوله تعالى (أو دما مسفوحا) واستثنى الشرع من الميتة السمك والجراد ومن الدم الكبد والطحال فاحلها . أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أخبرنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أخبرنا أبو العباس الاصم أخبرنا الربيع بن سليمان أخبرنا الشافعي أخبرنا عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . أحلت لنا ميتتان ودمان « الميتتان الحوت والجراد » والدمان أحسبه قال الكبد والطحال ﴿ ولحم الخنزير ﴾ أراد به جميع أجزائه فعبر عن

أو عدا عليها السبع وقد خصص الجمهور من ذلك ميتة البحر لقوله تعالى (أحل لكم صيد البحر وطعامه) على ماسيأتي ان شاء الله وحديث العنبر في الصحيح وفي المسند والموطا والسنن قوله عليه السلام في البحر «هو الطهور ماؤه الحل ميتته» وروى الشافعي وأحمد وابن ماجه والدارقطني حديث ابن عمر مرفوعا أحل لنا ميتتان ودمان السمك والجراد والكبد والطحال وسيأتي تقرير ذلك ان شاء الله في سورة المائدة

(مسئلة) ولبن الميتة وبيضها المتصل بها نجس عند الشافعي وغيره لانه جزء منها . وقال مالك في رواية هو طاهر الا انه ينجس بالمجاورة وكذلك أنفحة الميتة فيها الخلاف والمشهور عندهم انها نجسة وقد أوردوا على أنفسهم أكل الصحابة من جبن المجوس فقال القرطبي في التفسير ههنا يخالط اللبن منها يسير ويعفى عن قليل النجاسة اذا خالط الكثير من المائع . وقد روى ابن ماجه من حديث سيف ابن هارون عن سليمان التيمي عن أبي عثمان النهدي عن سلمان رضي الله عنه: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن السمن والجبن والفراء فقال «الحلال ما أحل الله في كتابه والحرام ماحرم الله في كتابه وما سكت عنه فهو مما عفا عنه» وكذلك حرم عليهم لحم الخنزير سواء ذكي أو مات حتف أنفه ويدخل شحمه في حكم لحمه اما تغليبا أو ان اللحم يشمل ذلك أو بطريق القياس على رأى . وكذلك حرم عليهم ما أهل به لغير الله وهو ماذبح على غير اسمه تعالى من الانصاب والانداد والازلام ونحو ذلك مما كانت الجاهلية ينحرون له . وذكر القرطبي عن ابن عطية انه نقل عن الحسن البصري انه سئل عن امرأة عملت عرسا للعبها فنحرت فيه جزورا فقال لاتؤكل لأنها ذبحت لصنم وأورد القرطبي عن عائشة رضي الله عنها انها سئلت عما يذبحه العجم لاعيادهم فيهدون منه للمسلمين فقالت ماذبح لذلك اليوم فلا تأكلوا منه وكلوا من أشجارهم. ثم أباح تعالى

ذلك باللحم لانه معظمه ﴿ وما أهلّ به لغير الله ﴾ أي ما ذبح للاصنام والطواغيت ، وأصل الاهلال رفع الصوت . وكانوا اذا ذبحوا لآلهتهم يرفعون أصواتهم بذكرها فجرى ذلك من أمرهم حتى قيل لكل ذابح وان لم يجهر بالتسمية مهل . وقال الربيع بن أنس وغيره (وما أهل به لغير الله) قال ما ذكر عليه اسم غير الله ﴿ فمن اضطر ﴾ بكسر النون وأخواته عاصم وحمزة ، ووافق أبو عمرو الا في اللام والواو مثل « قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن » ويعقوب الا في الواو ، ووافق ابن عامر في التنوين ، والباقون كلهم بالضم ، فمن كسر قال : لان الجزم يحرك الى الكسر ، ومن ضم فالضمة أول الفعل نقل حركتها الى ما قبلها ، وأبو جعفر بكسر الطاء ومعناه فمن اضطر الى أكل ميتة أي أحوج وألجىء اليه ﴿ غير ﴾ نصب على الحال ، وقيل على الاستثناء واذا رأيت غير لا يصح في موضعها الا فهي حال « واذا صلح في موضعها الا فهي استثناء ﴿ باغ ولا عاد ﴾ أصل البغي قصد الفساد « يقال بغى الجرح يبغى بغيا اذا ترامي الى الفساد ، وأصل العدوان الظلم ومجاوزة الحد يقال عدا عليه عدوا وعدوانا اذا ظلم . واختلفوا في معنى قوله (غير باغ ولا عاد) فقال بعضهم (غير باغ) اي خارج على السلطان ولا عاد متعد عاص بسفره بان خرج لقطع الطريق أو لفساد في الارض . وهو قول ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير . وقالوا لا يجوز للعاصي بسفره ان يأكل

تناول ذلك عند الضرورة والاحتياج اليها عند فقد غيرها من الاطعمة فقال(فمن اضطر غير باغ ولاعاد) أي في غير بغي ولاعدوان وهو مجاوزة الحد فلا اثم عليه أى في أكل ذلك(ان الله غفور رحيم) وقال مجاهد فمن اضطر غير باغ ولاعاد قاطعا للسبيل أو مفارقا للائمة أو خارجا في معصية الله فله الرخصة ومن خرج باغيا أو عاديا أو في معصية الله فلا رخصة له وان اضطر اليه وكذا روي عن سعيد بن جبير ، وقال سعيد في رواية عنه - ومقاتل بن حيان: غير باغ- يعني غير مستحله، وقال السدى غير باغ يبتغي فيه شهوته ، وقال آدم بن أبي اياس حدثنا ضمرة عن عثمان بن عطاء وهو الخراساني عن أبيه قال لايشوي من الميتة ليشتهيه ولا يطبخه ولا يأكل الا العلقة ويحمل معه مايبلغه الحلال فاذا بلغه ألقاه وهو قوله (ولاعاد) ويقول لا يعدو به الحلال وعن ابن عباس لايشبع منها وفسره السدي بالعدوان وعن ابن عباس (غير باغ ولا عاد) قال (غير باغ) في الميتة ولاعاد في أكله وقال قتادة فمن اضطر غير باغ ولاعاد قال غير باغ في الميتة أى في أكله ان يتعدى حلالا الى حرام وهو يجد عنه مندوحة . وحكى القرطبي عن مجاهد في قوله فمن اضطر أى أكره على ذلك بغير اختياره

(مسئلة) اذا وجد المضطر ميتة وطعام الغير بحيث لاقطع فيه ولا أذى فانه لايحل له أكل الميتة بل يأكل طعام الغير بغير خلاف- كذا قال- ثم قال واذا اكله والحالة هذه هل يضمن أم لا ؟ فيه قولان هما روايتان عن مالك ثم أورد من سنن ابن ماجه من حديث شعبة عن أبي اياس جعفر ابن أبي وحشية سمعت عباد بن شرحبيل الغبرى قال أصابتنا عاما مخمصة فأتيت المدينة فأتيت حائطا فأخذت سنبلا ففركته وأكلته وجعلت منه في كسائي فجاء صاحب الحائط فضربني وأخذ ثوبي فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال للرجل « ما أطعمته اذ كان جائعا

الميتة اذا اضطر اليها ولا ان يترخص المسافر حتي يتوب ، وبه قال الشافعي لان اباحة : الميتة له اعانة له على فساده ، وذهب جماعة الى أن البغي والعدوان راجعان الى الاكل واختلفوا في تفصيله . فقال الحسن وقتادة (غير باغ) بأكله من غير اضطرار (ولا عاد) اي لا يعدو لشبعه. وقيل (غير باغ) اى غيرطالبها وهو يجد غيرها (ولا عاد) اى غير متعد ما حد له فيأكل حتى يشبع ولكن يأكل منها قوتا مقدار مايمسك رمقه . وقال مقاتل بن حيان (غير باغ) اى مستحل لها (ولاعاد) اى متزود منها. وقيل (غير باغ) اى غير مجاوز للقدر الذى أحل له (ولا عاد) اى لا يقصر فيما أبيح له فيدعه قال مسروق : من اضطر الى الميتة والدم ولحم الخنزير فلم يأكل ولم يشرب حتى مات دخل النار واختلاف العلماء في مقدار ما يحل للمضطر أكله من الميتة ، فقال بعضهم مقدار ما يسد رمقه . وهو قول أبي حنيفة رضي الله عنه وأحد قولي الشافعي رضي الله عنه . والقول الآخر يجوز ان يأكل حتى يشبع وبه قال مالك رحمه الله تعالى. وقال سهل بن عبدالله (غير باغ) مفارق للجماعة (ولاعاد) مبتدع مخالف للسنة ولم يرخص للمبتدع في تناول المحرم عند الضرورة ﴿ فلا اثم عليه ﴾ فلا حرج عليه في أكلها ﴿ ان الله غفور ﴾ لمن أكل في حال الاضطرار ﴿ رحيم ﴾ حيث رخص للعباد في ذلك

ولا علمته اذ كان جاهلا» فأمره فرد اليه ثوبه وأمر له بوسق من طعام او نصف وسق اسناد صحيح قوي جيد وله شواهد كثيرة من ذلك حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الثمر المعلق فقال «من أصاب منه من ذي حاجة بفيه غير متخذ خبنة فلا شيء عليه» الحديث : وقال مقاتل بن حيان في قوله (فلا اثم عليه ان الله غفور رحيم) فيما أكل من اضطرار ، بلغنا والله أعلم انه لا يزاد على ثلاث لقم وقال سعيد بن جبير : غفور لما أكل من الحرام، رحيم اذ أحل له الحرام في الاضطرار ، وقال وكيع اخبرنا الاعمش عن أبي الضحى عن مسروق قال من اضطر فلم يأكل ولم يشرب ثم مات دخل النار وهذا يقتضي ان أكل الميتة للمضطر عزيمة لا رخصة قال ابو الحسن الطبري المعروف بالكيا الهراسي رفيق الغزالي في الاشتغال وهذا هو الصحيح عندنا كالافطار للمريض ونحو ذلك

(١٧٢) ان الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا أولئك ما يأكلون في بطونهم الا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم (١٧٣) أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة فما أصبرهم على النار ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق، وان الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد

يقول تعالى (ان الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب) يعني اليهود الذين كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم في كتبهم التي بأيديهم مما تشهد له بالرسالة والنبوة فكتموا ذلك لئلا تذهب رياستهم وما كانوا يأخذونه من العرب من الهدايا والتحف على تعظيمهم آباءهم فخشوا لعنهم الله ان

قوله تعالى ﴿ ان الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ﴾ نزلت في رؤسا اليهود وعلمائهم كانوا يصيبون من سفلتهم الهدايا والمآكل وكانوا يرجون أن يكون النبي المبعوث منهم ولما بعث محمد صلى الله عليه وسلم من غيرهم خافوا ذهاب مأكلهم وزوال رياستهم فعمدوا الى صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فغيروها ثم أخرجوها اليهم فلما نظرت السفلة الى النعت المغير وجدوه مخالفا لصفة محمد صلى الله عليه وسلم ونبوته فلم يتبعوه فأنزل الله تعالى (ان الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب) يعني صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونبوته ﴿ ويشترون به ﴾ أي بالمكتوم ﴿ ثمنا قليلا ﴾ أي عوضا يسيرا يعني المآكل التي يصيبونها من سفلتهم ﴿ أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار ﴾ يعني الا ما يؤديهم الى النار وهو الرشوة والحرام وثمن الدين فلما كان يفضي ذلك بهم الى النار فكأنهم أكلوا النار وقيل معناه أنه يصير نارا في بطونهم ﴿ ولا يكلمهم الله يوم القيامة ﴾ أي لا يكلمهم بالرحمة وبما يسرهم انما يكلمهم بالتوبيخ وقيل أراد به أنه يكون عليهم غضبان كما يقال فلان لا يكلم فلانا اذا كان عليه غضبان ﴿ ولا يزكيهم ﴾ أي لا يطهرهم من دنس الذنوب ﴿ ولهم عذاب أليم ۞ أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة فما أصبرهم على النار ﴾ قال عطاء والسدي هو ما لاستفهام

أظهروا ذلك ان يتبعه الناس و يتركوهم فكتموا ذلك ابقاء على ماكان يحصل لهم من ذلك وهو نزر يسير فباعوا أنفسهم بذلك واعتاضوا عن الهدي واتباع الحق وتصديق الرسول والايمان بما جاء عن الله بذلك النزر اليسير فخابوا وخسروا في الدنيا والآخرة أما في الدنيا فان الله أظهر لعباده صدق رسوله بما نصبه وجعله معه من الآيات الظاهرات والدلائل القاطعات فصدقه الذين كانوا يخافون أن يتبعوه وصاروا عونا له على قتالهم وباؤا بغضب على غضب وذمهم الله في كتابه في غير موضع فمن ذلك هذه الآية الكريمة (ان الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا) وهو عرض الحياة الدنيا (أولئك مايأكلون في بطونهم الا النار) اى انما يأكلون ما يأكلونه في مقابلة كتمان الحق نارا تأجج في بطونهم يوم القيامة كما قال تعالى (ان الذين يأكلون أموال اليتامي ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا) وفي الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال « ان الذي يأكل او يشرب في آنية الذهب والفضة انما يجرجر في بطنه نار جهنم »

وقوله (ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولايزكيهم ولهم عذاب اليم) وذلك لانه تعالى غضبان عليهم لانهم كتموا وقد علموا فاستحقوا الغضب فلا ينظر اليهم ولا يزكيهم اى يثني عليهم ويمدحهم بل يعذبهم عذابا اليما . وقد ذكر ابن ابي حاتم وابن مردويه ههنا حديث الاعمش عن ابي حازم عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « ثلاثة لايكلمهم الله ولا ينظر اليهم ولايزكيهم ولهم عذاب اليم شيخ زان وملك كذاب وعائل مستكبر » ثم قال تعالى مخبرا عنهم (اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى) اى اعتاضوا عن الهدى وهو نشر مافي كتبهم من صفة الرسول وذكر مبعثه والبشارة به من كتب الانبياء واتباعه وتصديقه استبدلوا عن ذلك واعتاضوا عنه الضلالة وهو تكذيبه والكفر به وكتمان صفاته في كتبهم (والعذاب بالمغفرة) اى اعتاضوا عن المغفرة بالعذاب وهو ما تعاطوه من اسبابه المذكورة ؛ وقوله تعالى (فما اصبرهم على النار) يخبر تعالى انهم في عذاب شديد عظيم هائل يتعجب من رآهم فيها من صبرهم على ذلك من شدة ماهم فيه من العذاب والنكال والاغلال عياذاً بالله من ذلك وقيل معنى قوله (فما اصبرهم على النار) اي فما ادومهم لعمل المعاصي التي تفضي بهم الى النار وقوله تعالى (ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق) اى انما استحقوا هذا العذاب الشديد لان الله تعالى انزل على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وعلى الانبياء قبله كتبه بتحقيق الحق وابطال

معناه ما الذي صبرهم على النار واي شيء صبرهم على النار حتى تركوا الحق واتبعوا الباطل قال الحسن وقتادة: والله ما لهم عليها من صبر ولكن ما أجرأهم على العمل الذي يقربهم الى النار وقال الكسائي: فما أصبرهم على عمل أهل النار أي ما أدومهم عليه ﴿ ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق ﴾ يعني ذلك العذاب بأن الله نزل الكتاب بالحق فأنكروه وكفروا به وحينئذ يكون ذلك في محل الرفع وقال بعضهم محله نصب معناه فعلنا ذلك بهم بأن الله أي لان الله نزل الكتاب بالحق فاختلفوا فيه وقيل معناه ذلك أي فعلهم الذي يفعلون من الكفر والاختلاف والاجتراء على الله من أجل أن الله نزل الكتاب

الباطل وهؤلاء اتخذوا آيات الله هزوا فكتابهم يأمرهم باظهار العلم ونشره فخالفوه وكذبوه وهذا الرسول الخاتم يدعوهم الى الله تعالى ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر وهم يكذبونه ويخالفونه ويجحدونه ويكتمون صفته فاستهزؤا بآيات الله المنزلة على رسله فلهذا استحقوا العذاب والنكال ولهذا قال (ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق وان الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد)

(١٧٤) ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين، وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب، وأقام الصلاة وآتى الزكاة، والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس، أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون

اشتملت هذه الآية الكريمة على جمل عظيمة وقواعد عميمة وعقيدة مستقيمة كما قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبيد بن هشام الحلبي حدثنا عبيد الله بن عمرو عن عامر بن شفي عن عبد الكريم عن مجاهد عن أبي ذر أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الايمان ؟ فتلا عليه (ليس البر أن تولوا وجوهكم)الى آخر الآية قال ثم سأله أيضاً فتلاها عليه ثم سأله فقال : «اذا عملت حسنة أحبها قلبك واذا عملت سيئة أبغضها قلبك » وهذا منقطع فان مجاهدا لم يدرك أبا ذر فانه مات قديماً وقال المسعودي : حدثنا القاسم بن عبد الرحمن قال جاء رجل الى أبي ذر فقال ما الايمان ؟ فقرأ عليه هذه الآية (ليس البر أن تولوا وجوهكم) حتى فرغ منها فقال الرجل ليس عن البر سألتك فقال أبوذر: جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله عما سألتني عنه فقرأ عليه هذه الآية فأبى أن يرضى

بالحق وهو قوله تعالى (ان الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ، ختم الله على قلوبهم) ﴿ وان الذين اختلفوا في الكتاب ﴾ فآمنوا ببعض وكفروا ببعض ﴿ لفي شقاق بعيد ﴾ أي في خلاف وضلال بعيد ، قوله تعالى ﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ﴾ قرأ حمزة وحفص ليس البر بنصب الراء والباقون برفعها فمن رفعها جعل البر اسم ليس وخبره قوله أن تولوا تقديره ليس البر توليتكم وجوهكم ومن نصب جعل أن تولوا في موضع الرفع على اسم ليس تقديره ليس توليتكم وجوهكم البر كله كقوله تعالى (ما كان حجتهم الا أن قالوا ائتوا) والبر كل عمل خير يفضي بصاحبه الى الجنة واختلفوا في المخاطبين بهذه الآية فقال قوم عني بها اليهود والنصارى وذلك أن اليهود كانت تصلي قبل المغرب الى بيت المقدس والنصارى قبل المشرق وزعم كل فريق منهم أن البر في ذلك فأخبر الله تعالى أن البر غير دينهم وعملهم ولكنه ما بينه في هذه الآية وعلى هذا القول قتادة ومقاتل بن حيان وقال الآخرون المراد بها المؤمنون وذلك أن الرجل كان في ابتداء الاسلام قبل نزول الفرائض اذا أتى بالشهادتين وصلى الصلاة الى أي جهة كانت ثم مات على ذلك وجبت له الجنة ولما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزلت الفرائض وحددت الحدود وصرفت القبلة

كما أبيت أن ترضى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم وأشار بيده « المؤمن اذا عمل حسنة سرته ورجا ثوابها واذا عمل سيئة أحزنته وخاف عقابها » رواه ابن مردويه وهذا أيضا منقطع والله أعلم

وأما الكلام على تفسير هذه الآية فان الله تعالى لما أمر المؤمنين أولا بالتوجه الى بيت المقدس ثم حولهم الى الكعبة شق ذلك على نفوس طائفة من أهل الكتاب وبعض المسلمين فأنزل الله تعالى بيان حكمته في ذلك وهو أن المراد انما هو طاعة الله عز وجل وامتثال أوامره والتوجه حيثما وجه واتباع ما شرع فهذا هو البر والتقوى والايمان الكامل وليس في لزوم التوجه الى جهة من المشرق أو المغرب بر ولا طاعة ان لم يكن عن أمر الله وشرعه ولهذا قال (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر) الآية كما قال في الاضاحي والهدايا (لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم) وقال العوفي عن ابن عباس في هذه الآية : ليس البر أن تصلوا ولا تعملوا فهذا حين تحول من مكة الى المدينة ونزلت الفرائض والحدود فأمر الله بالفرائض والعمل بها وروي عن الضحاك ومقاتل نحو ذلك وقال أبو العالية : كانت اليهود تقبل قبل المغرب وكانت النصارى تقبل قبل المشرق فقال الله تعالى (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب) يقول هذا كلام الايمان وحقيقته العمل . وروي عن الحسن والربيع بن أنس مثله وقال مجاهد : ولكن البر ما ثبت في القلوب من طاعة الله عز وجل وقال الضحاك : ولكن البر والتقوى أن تؤدوا الفرائض على وجوهها وقال الثوري : (ولكن البر من آمن بالله) الآية قال هذه أنواع البر كلها ، وصدق رحمه الله فان من اتصف بهذه الآية فقد دخل في عرى الاسلام كلها وأخذ بمجامع الخير كله وهو الايمان بالله وانه لا اله الا هو وصدق بوجود الملائكة الذين هم سفرة بين الله ورسله (والكتاب) وهو اسم جنس يشمل الكتب المنزلة من السماء على الانبياء حتى ختمت بأشرفها

الى الكعبة أنزل الله هذه الآية فقال : (ليس البر) أي كله أن تصلوا قبل المشرق والمغرب ولا تعملوا على غير ذلك ﴿ ولكن البر ﴾ ما ذكر في هذه الآية وعلى هذا القول ابن عباس ومجاهد وعطاء والضحاك (ولكن البر) قرأ نافع وابن عامر ولكن خفيفة النون البر رفع وقرأ الباقون بتشديد النون ونصب البر * قوله تعالى ﴿ من آمن بالله ﴾ جعل من وهى اسم خبرا للبر وهو فعل ولا يقال البر زيد واختلفوا في وجهه قيل لما وقع من في موقع المصدر جعله خبرا للبر كأنه قال ولكن البر الايمان بالله والعرب تجعل الاسم خبرا للفعل وأنشد الفراء :

لعمرك ما الفتيان أن تنبت اللحى　　ولكنما الفتيان كل فتى ندى

فجعل نبات اللحى خبرا للفتى وقيل فيه اضمار معناه ولكن البر بر من آمن بالله فاستغنى بذكر الاول عن الثاني كقولهم الجود حاتم أى الجود جود حاتم وقيل معناه ولكن ذا البر من آمن بالله كقوله تعالى (هم درجات عند الله) أى ذو درجات وقيل معناه ولكن البار من آمن بالله كقوله تعالى (والعاقبة للتقوى) أي للمتقي والمراد من البر ههنا الايمان والتقوى ﴿ واليوم الآخر والملائكة ﴾

وهو القرآن المهيمن على ما قبله من الكتب الذي انتهى اليه كل خير واشتمل على كل سعادة في الدنيا والآخرة ونسخ به كل ما سواه من الكتب قبله وآمن بأنبياء الله كلهم من أولهم الى خاتمهم محمد صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين وقوله (وآتى المال على حبه) أي أخرجه وهو محب له راغب فيه نص على ذلك ابن مسعود وسعيد بن جبير وغيرهما من السلف والخلف كما ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة مرفوعا « أفضل الصدقة أن تصدق وأنت صحيح شحيح تأمل الغنى وتخشى الفقر » وقد روى الحاكم في مستدركه من حديث شعبة والثوري عن منصور عن زبيد عن مرة عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « وآتى المال على حبه أن تعطيه وأنت صحيح تأمل العيش وتخشى الفقر » ثم قال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه (قلت) وقد رواه وكيع عن الاعمش وسفيان عن زبيد عن مرة عن ابن مسعود موقوفا وهو أصح الله أعلم . وقال تعالى (ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا ء انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا) وقال تعالى (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) وقوله (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) نمط آخر أرفع من هذا وهو أنهم آثروا بما هم مضطرون اليه وهؤلاء أعطوا وأطعموا ما هم محبون له وقوله (ذوي القربى) وهم قرابات الرجل وهم أولى من أعطى من الصدقة كما ثبت في الحديث « الصدقة على المساكين صدقة وعلى ذوي الرحم ثنتان صدقة وصلة فهم أولى الناس بيرك وإعطائك » وقد أمر الله تعالى بالاحسان اليهم في غير موضع من كتابه العزيز (واليتامى) هم الذين لا كاسب لهم وقد مات آباؤهم وهم ضعفاء صغار دون البلوغ والقدرة على التكسب وقد قال عبد الرزاق أنبأنا معمر عن جويبر عن الضحاك عن النزال بن سبرة عن علي عن رسول الله

كلهم ﴿ والكتاب ﴾ يعني الكتب المنزلة ﴿ والنبيين ﴾ أجمع ﴿ وآتى المال ﴾ أعطى المال ﴿ على حبه ﴾ اختلفوا في هذه الكناية فقال أكثر أهل التفسير : إنها راجعة الى المال أى أعطى المال في حال صحته ومحبته المال قال ابن مسعود أن تؤتيه وأنت صحيح شحيح تأمل الغنى وتخشى الفقر اخبرنا عبدالواحد ابن احمد المليحي اخبرنا احمد بن عبد الله النعيمي اخبرنا محمد بن يوسف اخبرنا محمد بن اسماعيل اخبرنا موسى بن اسماعيل اخبرنا عبد الواحد ثنا عمارة بن القعقاع انا ابو زرعة اخبرنا ابو هريرة قال : جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اى الصدقة اعظم اجرا ؟ قال : (ان تصدق وانت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل الغنى ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقد كان لفلان » وقيل هي عائدة الى الله عز وجل اى على حب الله تعالى ﴿ ذوي القربى ﴾ اهل القرابة اخبرنا ابو عثمان سعيد بن اسماعيل الضبي اخبرنا ابو محمد عبد الجبار بن محمد الجراحي اخبرنا ابو العباس المحبوبي اخبرنا ابو عيسى الترمذى اخبرنا قتيبة اخبرنا سفيان بن عيينة عن عاصم الاحول عن حفصة بنت سيرين عن الرباب عن عمها سلمان بن عامر يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم قال : « الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذي الرحم ثنتان صدقة وصلة » قوله تعالى

صلى الله عليه وسلم قال : « لا يُتم بعد حُلم » (والمساكين) وهم الذين لا يجدون ما يكفيهم في قوتهم وكسوتهم وسكناهم فيعطون ما تسدّ به حاجتهم وخلتهم وفي الصحيحين عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « ليس المسكين بهذا الطوّاف الذى ترده التمرة والتمرتان واللقمة واللقمتان ولكن المسكين الذى لا يجد غنى يغنيه ولا يفطن له فيتصدق عليه » (وابن السبيل) وهو المسافر المجتاز الذى قد فرغت نفقته فيعطى ما يوصله الى بلده وكذا الذى يريد سفرا في طاعة فيعطى ما يكفيه في ذهابه وإيابه ويدخل في ذلك الضيف كما قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أنه قال : ابن السبيل هو الضيف الذى ينزل بالمسلمين وكذا قال مجاهد وسعيد بن جبير وأبو جعفر الباقر والحسن وقتادة والضحاك والزهرى والربيع بن أنس ومقاتل بن حيان (والسائلين) وهم الذين يتعرضون للطلب فيعطون من الزكوات والصدقات كما قال الامام احمد حدثنا وكيع وعبد ارحمن قالا حدثنا سفيان عن مصعب بن محمد عن يعلى بن أبي يحيى عن فاطمة بنت الحسين عن أبيها - قال عبد الرحمن حسين بن علي - قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « للسائل حق وان جاء على فرس » رواه أبو داود (وفي الرقاب) وهم المكاتبون الذين لا يجدون ما يؤدونه في كتابتهم وسيأتي الكلام على كثير من هذه الاصناف في آية الصدقات من براءة ان شاء الله تعالى . وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا يحيى بن عبد الحميد حدثنا شريك عن أبي حمزة عن الشعبي حدثتني فاطمة بنت قيس أنها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أفي المال حق سوى الزكاة ؟ قالت فتلا علي (وآتى المال على حبه) ورواه ابن مردويه من حديث آدم بن اياس ويحيى بن عبد الحميد كلاهما عن شريك عن أبي حمزة عن الشعبي عن فاطمة بنت قيس قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « في المال

﴿ واليتامى والمساكين وابن السبيل ﴾ قال مجاهد : يعني المسافر المنقطع عن اهله يمر عليك ويقال للمسافر ابن السبيل لملازمته الطريق وقيل هو الضيف ينزل بالرجل قال النبي صلى الله عليه وسلم : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه » ﴿ والسائلين ﴾ يعني الطالبين اخبرنا أبو الحسن السرخسي اخبرنا زاهر بن احمد أخبرنا ابو اسحق الهاشمي اخبرنا ابو مصعب عن مالك عن زيد ابن اسلم عن ابي نجيد الانصارى وهو عبد الرحمن بن نجيد عن جدته وهي ام نجيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال « ردوا السائل ولو بظلف محرق » وفي رواية قالها رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان لم تجدي شيئا الاظلفا محرقا فادفعيه اليه » قوله تعالى ﴿ وفي الرقاب ﴾ يعني المكاتبين قاله اكثر المفسرين وقيل عتق النسمة وفك الرقبة وقيل فداء الاسارى ﴿ وأقام الصلوة وآتى الزكوة ﴾ وأعطى الزكاة ﴿ والموفون بعهدهم ﴾ فيما بينهم وبين الله عز وجل وفيما بينهم وبين الناس ﴿ اذا عاهدوا ﴾ يعني اذا وعدوا أنجزوا ، واذا حلفوا ونذروا أوفوا ، واذا عاهدوا أوفوا ، واذا قالوا صدقوا ، واذا ائتمنوا أدوا ، واختلفوا في رفع قوله والموفون قيل هو عطف على خبر معناه ولكن ذا البر المؤمنون والموفون بعهدهم وقيل تقديره : وهم الموفون كانه عد أصنافا . ثم قال: هم والموفون كذا ، وقيل

حق سوى الزكاة» ثم قرأ (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ـ الى قوله ـ وفي الرقاب) وأخرجه ابن ماجه والترمذى وضعف أبا حمزة ميمونا الاعور وقد رواه سيار واسماعيل بن سالم عن الشعبي وقوله (وأقام الصلاة) أى وأتم أفعال الصلاة في اوقاتها بركوعها وسجودها وطمأنينتها وخشوعها على الوجه الشرعي المرضي وقوله (وآتى الزكاة) يحتمل ان يكون المراد به زكاة النفس وتخليصها من الاخلاق الدنيئة الرذيلة كقوله (قد افلح من زكاها * وقد خاب من دساها) وقول موسى لفرعون : (هل لك الى ان تزكى واهديك الى ربك فتخشى) وقوله تعالى (وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة) ويحتمل ان يكون المراد زكاة المال كما قاله سعيد بن جبير ومقاتل بن حيان ويكون المذكور من اعطاء هذه الجهات والاصناف المذكورين انما هو التطوع والبر والصلة ولهذا تقدم في الحديث عن فاطمة بنت قيس «ان في المال حقا سوى الزكاة» والله أعلم

وقوله (والموفون بعهدهم اذا عاهدوا) كقوله (الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق) وعكس هذه الصفة النفاق كما صح الحديث « آية المنافق ثلاث اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا ائتمن خان » وفي الحديث الآخر « اذا حدث كذب واذا عاهد غدر واذا خاصم فجر » وقوله (والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس) أي في حال الفقر وهو البأساء ، وفي حال المرض والاسقام وهو الضراء (وحين البأس) أي في حال القتال والتقاء الاعداء قاله ابن مسعود وابن عباس وابو العالية ومرة الهمداني ومجاهد وسعيد بن جبير والحسن وقتادة والربيع بن أنس والسدي ومقاتل بن حيان وابو مالك والضحاك وغيرهم وانما نصب الصابرين على المدح والحث على الصبر في هذه الاحوال لشدته وصعوبته والله أعلم وهو المستعان وعليه التكلان : وقوله (أولئك الذين صدقوا) أي هؤلاء الذين اتصفوا بهذه الصفات هم الذين صدقوا في ايمانهم لانهم حققوا الايمان القلبي بالاقوال والافعال فهؤلاء هم الذين صدقوا وأولئك هم المتقون لانهم اتقوا المحارم وفعلوا الطاعات

رفع على الابتداء والخبر يعني وهم الموفون ثم قال ﴿ والصابرين ﴾ وفي نصبها أربعة أوجه . قال أبو عبيدة : نصبها على تطاول الكلام ومن شأن العرب ان تغير الاعراب اذا طال الكلام والنسق ومثله في سورة النساء والمقيمين الصلوة وفي سورة المائدة والصابئون والنصارى ، وقيل معناه أعني الصابرين ، وقيل نصبه نسقا على قوله ذوي القربى أى وآتى الصابرين. وقال الخليل نصب على المدح والعرب تنصب الكلام على المدح والذم كأنهم يريدون افراد الممدوح والمذموم فلايتبعونه أول الكلام وينصبونه فالمدح كقوله تعالى (والمقيمين الصلوة) والذم كقوله تعالى (ملعونين أينما ثقفوا) قوله تعالى ﴿ في البأساء ﴾ أى الشدة والفقر ﴿ والضراء ﴾ المرض والزمانة ﴿ وحين البأس ﴾ أى القتال والحرب أخبرنا المطهر بن علي بن عبد الله الفارسي أخبرنا أبو ذر محمد بن ابراهيم الصالحاني أخبرنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حبان أخبرنا عبد الله بن محمد البغوي اخبرنا علي بن

(١٧٥) يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى فمن عفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء اليه باحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم (١٧٦) ولكم في القصاص حياة يا أولي الالباب لعلكم تتقون)

يقول تعالى كتب عليكم العدل في القصاص أيها المؤمنون حركم بحركم وعبدكم بعبدكم وأنثاكم بأنثاكم ولا تتجاوزوا وتعتدوا كما اعتدى من قبلكم وغيروا حكم الله فيهم، وسبب ذلك قريظة والنضير كانت بنو النضير قد غزت قريظة في الجاهلية وقهروهم فكان اذا قتل النضري القرظي لا يقتل به بل يفادى بمائة وسق من التمر واذا قتل القرظي النضري قتل وان فادوه فدوه بمائتي وسق من التمر ضعف دية القرظي فأمر الله بالعدل في القصاص ولا يتبع سبيل المفسدين المحرفين المخالفين لاحكام الله فيهم كفرا وبغيا فقال تعالى (كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى) وذكر في سبب نزولها ما رواه الامام ابو محمد بن أبي حاتم حدثنا ابو زرعة حدثنا يحيي بن عبد الله بن بكير حدثني عبد الله بن لهيعة حدثني عطاء بن دينار عن سعيد بن جبير في قول الله (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى) يعني اذا كان عمدا الحر بالحر وذلك ان حيين من العرب اقتتلوا في الجاهلية قبل الاسلام بقليل فكان بينهم قتل وجراحات حتى قتلوا العبيد والنساء فلم يأخذ بعضهم من بعض حتى أسلموا فكان أحد الحيين يتطاول على الآخر في العدة والاموال فحلفوا أن لا يرضوا حتى يقتل بالعبد منا الحر منهم والمرأة منا الرجل منهم فنزل فيهم (الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى) منها منسوخة نسختها النفس بالنفس: وقال علي بن أبي

الجعد أخبرنا زهير عن أبي اسحق عن حارثة بن مضرب عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: كنا اذا احمرّ البأس ولقي القوم القوم اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم فما يكون احد أقرب الى العدو منه. يعني اذا اشتد الحرب ﴿أولئك الذين صدقوا﴾ في ايمانهم ﴿وأولئك هم المتقون﴾ محارم الله

والحكمة في القصاص في القتل العمد والعدوان هي المصلحة التي تنبعث بها الملوك على انبعاث الامر قوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص﴾ قال الشعبي والكلبي وقتادة: نزلت هذه الآية في حيين من أحياء العرب اقتتلوا في الجاهلية قبيل الاسلام بقليل وكانت بينهما قتلى وجراحات لم يأخذها بعضهم من بعض حتى جاء الاسلام، قال قتادة ومقاتل بن حيان: كانت بين بني قريظة والنضير. وقال سعيد بن جبير: كانت بين الاوس والخزرج، قالوا جميعا وكان لاحد الحيين على الآخر طول في الكثرة والشرف وكانوا ينكحون نساءهم بغير مهور فاقسموا: لنقتلن بالعبد منا الحر منهم وبالمرأة منا الرجل منهم وبالرجل منا الرجلين منهم وبالرجلين منا أربعة رجال منهم وجعلوا جراحاتهم ضعفي جراحات اولئك فرفعوا أمرهم الى النبي صلى الله عليه وسلم، فأنزل الله تعالى

طلحة عن ابن عباس في قوله (والانثى بالانثى) وذلك انهم كانوا لايقتلون الرجل بالمرأة ولكن يقتلون الرجل بالرجل والمرأة بالمرأة فأنزل الله النفس بالنفس والعين بالعين فجعل الاحرار في القصاص سواء فيما بينهم من العمد رجالهم ونساؤهم في النفس وفيما دون النفس وجعل العبيد مستوين فيما بينهم من العمد في النفس وفيما دون النفس رجالهم ونساؤهم وكذلك روي عن أبي مالك أنها منسوخة بقوله النفس بالنفس

(مسئلة) ذهب أبو حنيفة الى أن الحر يقتل بالعبد لعموم آية المائدة واليه ذهب الثوري وابن أبي ليلي وداود وهو مروي عن علي وابن مسعود وسعيد بن المسيب وابراهيم النخعي وقتادة والحكم قال البخاري وعلي بن المديني وابراهيم النخعي والثوري في رواية عنه ويقتل السيد بعبده لعموم حديث الحسن عن سمرة «من قتل عبده قتلناه ومن جدع عبده جدعناه ومن خصاه خصيناه» وخالفهم الجمهور فقالوا لايقتل الحر بالعبد لان العبد سلعة لو قتل خطأ لم يجب فيه دية وانما تجب فيه قيمته ولانه لايقاد بطرفه ففي النفس بطريق الاولى وذهب الجمهور الى أن المسلم لايقتل بالكافر لما ثبت في البخارى عن علي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لايقتل مسلم بكافر» ولا يصح حديث ولا تأويل يخالف هذا وأما أبو حنيفة فذهب الى انه يقتل به لعموم آية المائدة

(مسئلة) قال الحسن وعطاء لايقتل الرجل بالمرأة لهذه الآية وخالفهم الجمهور لآية المائدة ولقوله

هذه الآية وأمر بالمساواة فرضوا وأسلموا. قوله (كتب عليكم القصاص) أي فرض عليكم القصاص ﴿ في القتلى ﴾ والقصاص المساواة والمماثلة في الجراحات والديات وأصله من قص الأثر اذا اتبعه فالمفعول به يتبع ما فعل به فيفعل مثله. ثم بين المماثلة فقال ﴿ الحرّ بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى ﴾ وجملة الحكم فيه انه اذا تكافأ الدمان من الاحرار المسلمين أو العبيد من المسلمين أو الاحرار من المعاهدين أو العبيد منهم قتل من كل صنف منهم الذكر اذا قتل بالذكر وبالانثى ، وتقتل الانثى اذا قتلت بالانثى وبالذكر، ولايقتل مؤمن بكافر ولاحر بعبد ولا والد بولد ولا مسلم بذمي . ويقتل الذمي بالمسلم والعبد بالحر والولد بالوالد. هذا قول أكثر أهل العلم من الصحابة ومن بعدهم أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أخبرنا عبد العزيز ابن احمد الخلال اخبرنا أبو العباس الاصم اخبرنا الربيع ابن سليمان أنا الشافعي اخبرنا سفيان بن عيينة من مطرف عن الشعبي عن أبي جحيفة قال : سألت عليا رضي الله عنه هل عندك عن النبي صلى الله عليه وسلم شيء سوى القرآن . فقال لا ، والذي فلق الحبة وبرأ النسمة الا ان يؤتى الله عبدا فهما في القرآن وما في هذه الصحيفة . قلت وما في هذه الصحيفة ؟ قال العقل وفكاك الاسير ولا يقتل مؤمن بكافر . وروى عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تقام الحدود في المساجد ولا يقاد بالولد الوالد » وذهب الشعبي والنخعي وأصحاب الرأي الى ان المسلم يقتل بالكافر الذمي والى ان الحر يقتل بالعبد والحديث حجة لمن لم يوجب القصاص على المسلم بقتل الذمي وتقتل الجماعة بالواحد . روى عن

عليه السلام « المسلمون تتكافأ دماؤهم » وقال الليث اذا قتل الرجل امرأته لا يقتل بها خاصة

(مسئلة) ومذهب الائمة الاربعة والجمهوران الجماعة يقتلون بالواحد : قال عمر في غلام قتله سبعة فقتلهم وقال لو تمالأ عليه أهل صنعاء لقتلتهم، ولا يعرف له في زمانه مخالف من الصحابة وذلك كالاجماع وحكى عن الامام احمد رواية ان الجماعة لا يقتلون بالواحد ولا يقتل بالنفس الانفس واحدة وحكاه ابن المنذر عن معاذ وابن الزبير وعبد الملك بن مروان والزهرى وابن سيرين وحبيب بن أبي ثابت ثم قال ابن المنذر وهذا أصح ولا حجة لمن أباح قتل الجماعة وقد ثبت عن ابن الزبير ماذكرناه واذا اختلف الصحابة فسبيله النظر . وقوله (فمن عفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء اليه باحسان) قال مجاهد عن ابن عباس (فمن عفى له من أخيه شيء) فالعفو أن يقبل الدية في العمد وكذا روى عن أبي العالية وأبي الشعثاء ومجاهد وسعيد بن جبير وعطاء والحسن وقتادة ومقاتل ابن حيان وقال الضحاك عن ابن عباس (فمن عفى له من أخيه شيء) يعني فمن ترك له من أخيه شيء يعني أخذ الدية بعد استحقاق الدم وذلك العفو (فاتباع بالمعروف) يقول فعلى الطالب اتباع بالمعروف اذا قبل الدية (وأداء اليه باحسان) يعني من القاتل من غير ضرر ولا معك يعني المدافعة وروى الحاكم من حديث سفيان عن عمرو عن مجاهد عن ابن عباس ويؤدى المطلوب باحسان وكذا قال سعيد ابن جبير وأبو الشعثاء جابر بن زيد والحسن وقتادة وعطاء الخراساني والربيع بن أنس والسدى ومقاتل بن حيان

سعيد بن المسيب ان عمر بن الخطاب قتل سبعة أو خمسة برجل قتلوه غيلة ، وقال لو تمالأ عليه أهل صنعاء لقتلتهم به جميعا. ويجرى القصاص في الاطراف كما يجري في النفوس الا في شيء واحد وهو ان الصحيح السوي يقتل بالمريض والزمن وفي الاطراف لو قطع يدا شلاء أو ناقصة بالاصبع لا تقطع بها الصحيحة الكاملة . وذهب أصحاب الرأى الى ان القصاص في الاطراف لا يجرى الا بين حرين أو حرتين ولا يجرى بين الذكر والانثى ولا بين العبيد ولا بين الحر والعبد وعند الآخرين الطرف في القصاص مقيس على النفس. اخبرنا عبد الواحد بن احمد المليحي اخبرنا احمد بن عبد الله النعيمي اخبرنا محمد بن يوسف اخبرنا محمد بن اسماعيل اخبرنا عبد الله بن منير انه سمع عبد الله بن بكر السهمي اخبرنا حميد عن أنس بن النضر ان الربيع عمته كسرت ثنية جارية فطلبوا اليها العفو فابوا فعرضوا الارش فأبوا فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبوا الا القصاص فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقصاص فقال أنس بن النضر : يارسول الله أتكسر ثنية الربيع لا والذي بعثك بالحق لاتكسر ثنيتها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يا أنس كتاب الله القصاص» فرضي القوم فعفوا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ان من عباد الله من لو أقسم على الله لابره» قوله تعالى ﴿ فمن عفى له من أخيه شيء ﴾ أي ترك له وصفح عنه من الواجب عليه وهو القصاص في قتل العمد ورضى بالدية هذا قول اكثر المفسرين ، قالوا العفو أن يقبل الدية في قتل العمد وقوله (من أخيه) أي من دم

(مسئلة) قال مالك رحمه الله في رواية ابن القاسم عنه وهو المشهور وأبو حنيفة وأصحابه والشافعي واحمد في أحد قوليه ليس لولي الدم ان يعفو على الدية الا برضا القاتل وقال الباقون له أن يعفو عليها وان لم يرض

(مسئلة) وذهب طائفة من السلف الى أنه ليس للنساء عفو منهم الحسن وقتادة والزهري وابن شبرمة والليث والاوزاعي وخالفهم الباقون وقوله (ذلك تخفيف من ربكم ورحمة) يقول تعالى انما شرع لكم أخذ الدية في العمد تخفيفا من الله عليكم ورحمة بكم مما كان محتوما على الامم قبلكم من القتل أو العفو كما قال سعيد بن منصور حدثنا سفيان عن عمرو بن دينار أخبرني مجاهد عن ابن عباس قال كتب على بني اسرائيل القصاص في القتلى ولم يكن فيهم العفو فقال الله لهذه الامة (كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى فمن عفي له من أخيه شيء) فالعفو أن يقبل الدية في العمد ، ذلك تخفيف مما كتب على بني اسرائيل من كان قبلكم فاتباع بالمعروف وأداء اليه باحسان . وقد رواه غير واحد عن عمرو وأخرجه ابن حبان في صحيحه عن عمرو بن دينار ورواه جماعة عن مجاهد عن ابن عباس بنحوه : وقال قتادة (ذلك تخفيف من ربكم) رحم الله هذه الامة وأطعمهم الدية ولم تحل لاحد قبلهم فكان أهل التوراة انما هو القصاص وعفو ليس بينهم ارش وكان أهل الانجيل انما هو عفو امروا به ، وجعل لهذه الامة القصاص والعفو والارش وهكذا روي عن سعيد بن جبير ومقاتل بن حيان والربيع بن أنس نحو هذا . وقوله (فمن اعتدى

أخيه وأراد بالاخ المقتول والكنايتان في قوله له ومن أخيه ترجعان الى من وهو القاتل ، وقوله شيء دليل على ان بعض الاولياء اذا عفا يسقط القود لان شيئا من الدم قد بطل ، قوله تعالى ﴿ فاتباع بالمعروف ﴾ أي على الطالب للدية ان يتبع بالمعروف فلا يطالب بأكثر من حقه ﴿ وأداء اليه باحسان ﴾ أي على المطلوب منه أداء الدية بالاحسان من غير مماطلة. أمر كل واحد منهما بالاحسان فيما له وعليه ومذهب أكثر العلماء من الصحابة والتابعين ان ولى الدم اذا عفا عن القصاص على الدية فله أخذ الدية وان لم يرض به القاتل . وقال قوم لا دية له الا برضي القاتل ، وهو قول الحسن والنخعي وأصحاب الرأي ، وحجة المذهب الاول ما اخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب اخبرنا عبد العزيز ابن أحمد الخلال اخبرنا أبو العباس الاصم اخبرنا الربيع اخبرنا الشافعي اخبرنا محمد بن اسماعيل بن أبي فديك عن ابن أبي ذئب عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي شريح الكعبي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ثم أنتم ياخزاعة قد قتلتم هذا القتيل من هذيل وأنا والله عاقله فمن قتل بعده قتيلا فأهله بين خيرتين ان أحبوا قتلوا وان أحبوا أخذوا العقل » قوله تعالى ﴿ ذلك تخفيف من ربكم ورحمة ﴾ أي ذلك الذي ذكرت من العفو عن القصاص وأخذ الدية تخفيف من ربكم ورحمة ، وذلك ان القصاص في النفس والجراح كان حتما في التوراة على اليهود ولم يكن لهم أخذ الدية ، وكان في شرع النصارى الدية ولم يكن لهم القصاص ، فخير الله هذه الامة بين القصاص وبين العفو على

بعد ذلك فله عذاب أليم) يقول تعالى فمن قتل بعد أخذ الدية أو قبولها فله عذاب من الله أليم موجع شديد . وهكذا روى عن ابن عباس ومجاهد وعطاء وعكرمة والحسن وقتادة والربيع بن أنس والسدي ومقاتل بن حيان اه هو الذي يقتل بعد أخذ الدية كما قال محمد بن اسحق عن الحارث ابن فضيل عن سفيان بن أبي العوجاء عن أبي شريح الخزاعي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من أصيب بقتل أو خبل فانه يختار احدى ثلاث اما أن يقتص واما ان يعفو واما أن يأخذ الدية فان أراد الرابعة فخذوا على يديه ومن اعتدى بعد ذلك فله نار جهنم خالدا فيها » رواه أحمد وقال سعيد ابن أبي عروبة عن قتادة عن الحسن عن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه « لا أعافي رجلا قتل بعد أخذ الدية» يعني لا أقبل منه الدية بل أقتله

وقوله (ولكم في القصاص حياة) يقول تعالى وفي شرع القصاص لكم وهو قتل القاتل حكمة عظيمة وهي بقاء المهج وصونها لانه اذا علم القاتل انه يقتل انكف عن صنيعه فكان في ذلك حياة للنفوس وفي الكتب المتقدمة: القتل أنفى للقتل(١) فجاءت هذه العبارة فى القرآن أفصح وأبلغ واوجز (ولكم في القصاص حياة) قال ابو العالية جعل الله القصاص حياة فكم من رجل يريد أن يقتل فتمنعه مخافة ان يُقتل . وكذا روى عن مجاهد وسعيد بن جبير وابي مالك والحسن وقتادة والربيع بن انس ومقاتل بن حيان (يا اولى الالباب لعلكم تتقون) يقول يا اولى العقول والافهام والنهى لعلكم تنزجرون وتتركون محارم الله ومآثمه ، والتقوى اسم جامع لفعل الطاعات وترك المنكرات

(١)ذكر البغوي ان هذا مثل . والمشهور انه من كلام فصحاء العرب

(١٧٩) كتب عليكم اذا حضر أحدكم الموت ان ترك خيرا الوصية للوالدين والاقربين

بالمعروف حقا على المتقين (١٨٠) فمن بدله بعد ما سمعه فانما اثمه على الذين يبدلونه ان الله

الدية تخفيفا منه ورحمة ﴿ فمن اعتدى بعد ذلك ﴾ فقتل الجاني بعد العفو وقبول الدية ﴿ فله عذاب أليم ﴾ وهو ان يقتل قصاصا . قال ابن جريج : يتحتم قتله حتى لا يقبل العفو وفي الآية دليل على ان القاتل لا يصير كافرا بالقتل ، لان الله تعالى خاطبه بعد القتل بخطاب الايمان فقال (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص) وقال في آخر الآية (فمن عفى له من أخيه شيء) وأراد به اخوة الايمان ، فلم يقطع الاخوة بينهما بالقتل قوله تعالى ﴿ ولكم في القصاص حيوة ﴾ أي بقاء ، وذلك ان القاصد للقتل اذا علم انه اذا قتل يقتص يمتنع عن القتل فيكون فيه بقاؤه وبقاء من هم بقتله وقيل في المثل : القتل أنفى للقتل ، وقيل معنى الحياة سلامته من قصاص الآخرة ، فانه اذا اقتص منه في الدنيا حيي في الاخرة واذا لم يقتص منه في الدنيا اقتص منه في الاخرة ﴿ يا أولى الالباب لعلكم تتقون ﴾ أى تنتهون عن القتل مخافة القود قوله تعالى ﴿ كتب عليكم ﴾ أى فرض عليكم ﴿ اذا حضر أحدكم الموت ﴾ أى جاء أسباب الموت وآثاره من العلل والامراض ﴿ ان ترك خيرا ﴾ أى مالا نظيره قوله تعالى وما تنفقوا من خير ﴿ الوصية للوالدين والاقربين ﴾ كانت الوصية فريضة في

سميع عليم (١٨١) فمن خاف من موص جنفاً أو اثماً فاصلح بينهم فلا اثم عليه ان الله غفور رحيم

اشتملت هذه الآية الكريمة على الامر بالوصية للوالدين والاقربين وقد كان ذلك واجباً على أصح القولين قبل نزول آية المواريث فلما نزلت آية الفرائض نسخت هذه وصارت المواريث المقدرة فريضة من الله يأخذها أهلوها حتما من غير وصية ولا تحمل منة الموصي ولهذا جاء في الحديث الذي في السنن وغيرها عن عمرو بن خارجة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب وهو يقول« ان الله قد أعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث » وقال الامام احمد حدثنا اسماعيل ابن ابراهيم بن علية عن يونس بن عبيد عن محمد بن سيرين قال: جلس ابن عباس فقرأ سورة البقرة حتى أتى هذه الآية (ان ترك خيرا الوصية للوالدين والاقربين) فقال نسخت هذه الآية وكذا رواه سعيد بن منصور عن هشيم عن يونس به ورواه الحاكم في مستدركه وقال صحيح على شرطهما وقال علي بن أبي طالحة عن ابن عباس في قوله (الوصية للوالدين والاقربين) قال: كان لا يرث مع الوالدين غيرهما الا وصية للاقربين فأنزل الله آية الميراث فبين ميراث الوالدين وأقر وصية الاقربين في ثلث مال الميت وقال ابن أبي حاتم: حدثنا الحسن بن محمد الصباح حدثنا حجاج ابن محمد أخبرنا ابن جريج وعثمان بن عطاء عن عطاء عن ابن عباس في قوله (الوصية للوالدين والاقربين) نسختها هذه الآية (للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون مما قل منه أو كثر نصيباً مفروضا) ثم قال ابن أبي حاتم وروي عن ابن عمر وأبي موسى وسعيد بن المسيب والحسن ومجاهد وعطاء وسعيد بن جبير ومحمد بن سيرين وعكرمة وزيد ابن أسلم والربيع بن أنس وقتادة والسدي ومقاتل بن حيان وطاوس وابراهيم النخعي وشريح والضحاك والزهري أن هذه الآية منسوخة نسختها آية الميراث .والعجب من أبي عبد الله محمد بن عمر الرازي رحمه الله كيف حكى في تفسيره الكبير عن أبي مسلم الاصفهاني أن هذه الآية غير منسوخة وانما هي مفسرة باية المواريث ومعناه كتب عليكم ما أوصى الله به من توريث الوالدين والاقربين من قوله (يوصيكم الله في أولادكم) قال وهو قول أكثر المفسرين والمعتبرين من الفقهاء قال ومنهم

ابتداء الاسلام للوالدين والاقربين على من مات وله مال ، ثم نسخت باية الميراث . اخبرنا الامام أبو علي الحسين بن محمد القاضي اخبرنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزيادي اخبرنا أبو بكر محمد بن عمر ابن حفص التاجر اخبرنا محمد بن احمد بن الوليد اخبرنا الهيثم بن جميل اخبرنا حماد ابن سلمة عن قتادة عن شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم عن عمرو بن خارجة قال: كنت آخذاً بزمام ناقة النبي صلى الله عليه وسلم « فقال ان الله قد أعطى كل ذى حق حقه فلا وصية لوارث» فذهب جماعة الى ان وجوبها صار منسوخا في حق الاقارب الذين يرثون وبقي وجوبها في حق الذين لا يرثون من الوالدين والاقارب ، وهو قول ابن عباس وطاوس وقتادة والحسن قال طاوس : من

من قال إنها منسوخة فيمن يرث ثابتة فيمن لا يرث وهو مذهب ابن عباس والحسن ومسروق وطاوس والضحاك ومسلم بن يسار والعلاء بن زياد (قلت) وبه قال أيضا سعيد بن جبير والربيع ابن أنس وقتادة ومقاتل بن حيان ولكن على قول هؤلاء لا يسمى هذا نسخا في اصطلاحنا المتأخر لان آية المواريث انما رفعت حكم بعض افراد ما دل عليه عموم آية الوصاية لان الاقربين أعم ممن يرث ومن لا يرث فرفع حكم من يرث بما عين له وبقي الآخر على ما دلت عليه الآية الاولى وهذا انما يتأتي على قول بعضهم ان الوصاية في ابتداء الاسلام انما كانت ندبا حتى نسخت فأما من يقول أنها كانت واجبة وهو الظاهر من سياق الاية فيتعين أن تكون منسوخة بآية الميراث كما قاله أكثر المفسرين والمعتبرين من الفقهاء فان وجوب الوصية للوالدين والاقربين الوارثين منسوخ بالاجماع بل منهي عنه للحديث المتقدم «ان الله قد أعطى كل ذى حق حقه فلا وصية لوارث» فآية الميراث حكم مستقل ووجوب من عند الله لاهل الفروض والعصبات رفع بها حكم هذه بالكلية، بقي الاقارب الذين لا ميراث لهم يستحب له أن يوصي لهم من الثلث استئناسا بآية الوصية وشمولها ولما ثبت في الصحيحين عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ما حق امرىء مسلم له شيء يوصي فيه يبيت ليلتين الا ووصيته مكتوبة عنده» قال ابن عمر ما مرت علي ليلة منذ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذلك الا وعندي وصيتي. والآيات والاحاديث بالامر ببر الاقارب والاحسان اليهم كثيرة جدا وقال عبد بن حميد في مسنده أخبرنا عبد الله عن مبارك بن حسان عن نافع قال قال عبدالله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى «يا ابن آدم ثنتان لم يكن لك واحدة منهما: جعلت لك نصيبا في مالك حين أخذت بكظمك لاطهرك به وأزكيك وصلاة عبادي عليك بعد انقضاء أجلك» وقوله (ان ترك خيرا) أى مالا قاله ابن عباس ومجاهد وعطاء وسعيد بن جبير وأبو العالية وعطية العوفي والضحاك والسدى والربيع بن أنس ومقاتل بن حيان وقتادة وغيرهم ثم

أوصى بقوم سماهم وترك ذوى قرابته محتاجين انتزعت منهم وردت الى ذوى قرابته وذهب الاكثرون الى ان الوجوب صار منسوخا في حق الكافة وهي مستحبة في حق الذين لا يرثون اخبرنا أبو الحسن السرخسي اخبرنا طاهر بن أحمد اخبرنا أبو اسحق الهاشمي اخبرنا أبو مصعب عن مالك عن نافع عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «ماحق امرىء مسلم له شيء يوصي فيه يبيت ليلتين الا ووصيته مكتوبة عند رأسه» قوله تعالى (بالمعروف) يريد يوصي بالمعروف ولا يزيد على الثلث ولا يوصي للغنى ويدع الفقير. قال ابن مسعود: الوصية للاخل فالاخل أي الاحوج فالاحوج. أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسين الحيري أخبرنا أبو جعفر محمد بن عليّ بن رحيم الشيباني أخبرنا أحمد بن حازم بن أبي عروة أخبرنا عبد الله بن موسى وأبو نعيم عن سفيان الثوري عن سعيد بن ابراهيم عن عامر بن سعيد عن سعد بن مالك قال جاءني النبي صلى الله عليه وسلم يعودني فقلت يارسول الله أوصي بمالي كله؟ قال لا: قلت فالشطر؟ قال لا: قلت فالثلث؟ قال

منهم من قال الوصية مشروعة سواء قل المال أو كثر كالوراثة ومنهم من قال انما يوصي اذا ترك مالا جليلا ثم اختلفوا في مقداره فقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد المقرى أخبرنا سفيان عن هشام بن عروة عن أبيه قال قيل لعلي رضي الله عنه أن رجلا من قريش قد مات وترك ثلثمائة دينار أو أربعمائة ولم يوص قال ليس بشيء انما قال الله (ان ترك خيرا) وقال أيضا وحدثنا هارون بن اسحق الهمداني حدثنا عبدة يعني ابن سليمان عن هشام بن عروة عن أبيه أن عليا دخل على رجل من قومه يعوده فقال له أوص : فقال له علي انما قال الله (ان ترك خيرا الوصية) انما تركت شيئا يسيرا فاتركه لولدك وقال: الحاكم ان ابان حدثني عن عكرمة عن ابن عباس (ان ترك خيرا) قال ابن عباس : من لم يترك ستين دينارا لم يترك خيرا قال الحاكم قال طاوس لم يترك خيرا من لم يترك ثمانين دينارا وقال قتادة كان يقال ألفا فما فوقها . وقوله (بالمعروف) أى بالرفق والاحسان كما قال ابن أبي حاتم حدثنا الحسن بن احمد حدثنا ابراهيم بن عبد الله بن بشار حدثني سرور بن المغيرة عن عباد بن منصور عن الحسن قوله (كتب عليكم اذا حضر أحدكم الموت) فقال نعم الوصية حق على كل مسلم ان يوصي اذا حضره الموت بالمعروف غير المنكر والمراد بالمعروف أن يوصي لاقربيه وصية لا تجحف بورثته من غير اسراف ولا تقتير كما ثبت في الصحيحين أن سعدا قال يارسول الله ان لي مالا ولا يرثني الا ابنة لي أفأوصي بثلثي مالي؟ قال لا، قال فبالشطر ؟ قال «لا قال فالثلث؟ قال

«الثلث والثلث كثير إنك ان تدع ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس بأيديهم» فقوله يتكففون الناس أي يسألون الناس الصدقه بأكفهم . وعن ابن أبي مليكة ان رجلا قال لعائشة رضي الله عنها إني أريد أن أوصي قالت كم مالك ؟ قال ثلاثة آلاف : قالت كم عيالك ؟ قال أربعة : قالت انما قال الله (ان ترك خيرا) وان هذا شيء يسير فاتركه لعيالك . وقال علي رضي الله عنه لان أوصي بالخمس أحب الىّ من أن أوصي بالربع ولان أوصي بالربع أحب الىّ من أن أوصي بالثلث فمن أوصى بالثلث فلم يترك . وقال الحسن البصري رضي الله عنه يوصى بالسدس أو الخمس أو الربع . وقال الشعبي انما كانوا يوصون بالخمس أو الربع . قوله تعالى ﴿ حقا ﴾ نصب على المصدر وقيل على المفعول أي جعل الوصية حقا ﴿ على المتقين ﴾ المؤمنين قوله تعالى ﴿ فمن بدّله ﴾ أى غير الوصية من الاوصياء أو الاولياء أو الشهود ﴿ بعد ما سمعه ﴾ أى بعد ما سمع قول الموصي ولذلك ذكر الكناية مع كون الوصية مؤنثة وقيل الكناية راجعة الى الايصاء كقوله تعالى (فمن جاءه موعظة من ربه) رد الكناية الى الوعظ ﴿ فانما اثمه على الذين يبدلونه ﴾ والميت بريء منه ﴿ ان الله سميع ﴾ لما أوصى به الموصي ﴿ عليم ﴾ بتبديل المبدل أو سميع لوصيته عليم بنيته قوله تعالى ﴿ فمن خاف ﴾ أي علم كقوله تعالى (فان خفتم ألا يقيما حدود الله) اي علمتم ﴿ من موص ﴾ قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر ويعقوب بفتح الواو وتشديد الصاد كقوله تعالى (ما وصى به نوحا) (ووصينا الانسان) وقرأ الاخرون بسكون الواو وتخفيف الصاد كقوله تعالى (يوصيكم الله في أولادكم — من بعد وصية يوصي بها أو

«الثلث والثلث كثير انك ان تذر ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس» وفي صحيح البخاري أن ابن عباس قال : لو أن الناس غضوا من الثلث الى الربع فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «الثلث والثلث كثير» وروى الامام احمد عن أبي سعيد مولى بني هاشم عن زياد بن عتبة بن حنظلة سمعت حنظلة بن جذيم بن حنيفة أن جده حنيفة أوصى ليتيم في حجره بمائة من الابل فشق ذلك على بنيه فارتفعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حنيفة اني أوصيت ليتيم لي بمائة من الابل كنا نسميها المطية فقال النبي صلى الله عليه وسلم «لا لا لا ، الصدقة خمس والا فعشر والا فخمس عشرة والا فعشرون والا فخمس وعشرون والا فثلاثون والا فخمس وثلاثون فان كثرت فأربعون» وذكر الحديث بطوله

وقوله (فمن بدله بعد ما سمعه فانما اثمه على الذين يبدلونه ان الله سميع عليم) يقول تعالى فمن بدل الوصية وحرفها فغير حكمها وزاد فيها أو نقص ويدخل في ذلك الكتمان لها بطريق الاولى (فانما اثمه على الذين يبدلونه) قال ابن عباس وغير واحد وقد وقع أجر الميت على الله وتعلق الاثم بالذين بدلوا ذلك (ان الله سميع عليم) أي قد اطلع على ما أوصى به الميت وهو عليم بذلك وبما بدله الموصى اليهم

وقوله تعالى (فمن خاف من موص جنفا أو اثما) قال ابن عباس وأبو العالية ومجاهد والضحاك والربيع بن أنس والسدي : الجنف الخطأ وهذا يشمل أنواع الخطأ كلها بأن زادوا وارثا بواسطة أو وسيلة كما اذا أوصى ببيعة الشيء الفلاني محاباة أو أوصى لابن ابنته ليزيدها أو نحو ذلك من الوسائل اما مخطئا غير عامد بل بطبعه وقوة شفقته من غير تبصر أو متعمدا آثما في ذلك فللوصي والحالة

دين) ﴿جنفا﴾ أي جورا وعدولا عن الحق والجنف الميل ﴿أو اثما﴾ اي ظلما . وقال السدي وعكرمة والربيع : الجنف الخطأ والاثم العمد ﴿فأصلح بينهم فلا اثم عليه﴾ واختلفوا في معنى الاية قال مجاهد : معناها ان الرجل اذا حضر مريضا وهو يوصي فرآه يميل إما بتقصير أو اسراف او وضع الوصية في غير موضعها فلا حرج على من حضره ان يأمر بالعدل وينهاه عن الجنف فينظر للموصي له والورثة . وقال الاخرون : انه أراد به اذا أخطأ الميت في وصيته أو جار متعمدا فلا حرج على وليه أو وصيه او والي أمور المسلمين ان يصلح بعد موته بين ورثته وبين الموصى لهم ويرد الوصية الى العدل والحق فلا إثم عليه أي فلا حرج عليه ﴿ان الله غفور رحيم﴾ وقال طاوس جنفه توجيهه وهو ان يوصي لبني بنيه يريد ابنه أو لولد ابنته او لزوج ابنته يريد بذلك ابنته . وقال الكلبي : كان الاولياء والاوصياء يمضون وصية الميت بعد نزول قوله تعالى (فمن بدله بعد ما سمعه) الاية وان استغرق المال كله ولم يبق للورثة شيء ، ثم نسخها قوله تعالى (فمن خاف من موص جنفا) الاية قال ابن زيد : فعجز الموصي ان يوصي للوالدين والاقربين كما أمر الله تعالى ، وعجز الوصي ان يصلح فانتزع الله تعالى ذلك منهم ففرض الفرائض ، وروي عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «ان الرجل ليعمل أو المرأة بطاعة الله ستين سنة ثم يحضرهما الموت فيضاران في الوصية فتجب لهما النار . ثم قرأ

هذه أن يصلح القضية ويعدل في الوصية على الوجه الشرعي ، ويعدل عن الذي أوصى به الميت الى ما هو أقرب الاشياء اليه وأشبه الامور به جمعا بين مقصود الموصي والطريق الشرعي، وهذا الاصلاح والتوفيق ليس من التبديل في شيء ولهذا عطف هذا فبينه على النهي عن ذلك ليعلم أن هذا ليس من ذلك بسبيل والله أعلم . وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا العباس بن الوليد بن مزيد قراءة أخبرني أبي غن الاوزاعي قال الزهري حدثني عروة عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « يرد من صدقة الجانف (١) في حياته ما يرد من وصية المجنف عند موته» وهكذا رواه أبو بكر بن مردويه من حديث العباس بن الوليد به قال ابن أبي حاتم وقد أخطأ فيه الوليد بن يزيد ، وهذا الكلام انما هو عن عروة فقط وقد رواه الوليد بن مسلم عن الاوزاعي فلم يجاوز به عروة . وقال ابن مردويه أيضا حدثنا محمد بن احمد بن ابراهيم حدثنا ابراهيم بن يوسف حدثنا هشام ابن عمار حدثنا عمر بن المغيرة عن داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « الجنف في الوصية من الكبائر » وهذا في رفعه أيضا نظر وأحسن ما ورد في هذا الباب ما قال عبد الرزاق حدثنا معمر عن أشعث بن عبد الله عن شهر بن حوشب عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان الرجل ليعمل بعمل أهل الخير سبعين سنة فاذا أوصى حاف في وصيته فيختم له بشر عمله فيدخل النار . وان الرجل ليعمل بعمل أهل الشر سبعين سنة فيعدل في وصيته فيختم له بخير عمله فيدخل الجنة » قال أبو هريرة « اقرؤا ان شئتم (تلك حدود الله فلا تعتدوها) الآية

(١٨٢) يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون (١٨٣) أياما معدودات فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرا فهو خير له وان تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون

يقول تعالى مخاطبا المؤمنين من هذه الامة وآمرا لهم بالصيام وهو الامساك عن الطعام والشراب

(١) وفي نسخة الازهر الحائف

أبو هريرة من بعد وصية الى قوله (غير مضار) قوله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام ﴾ أي فرض وأوجب « والصوم والصيام في اللغة الامساك يقال صام النهار اذا اعتدل وقام قائم الظهيرة لان الشمس اذا بلغت كبد السماء كأنها وقفت وأمسكت عن السير سريعة » ومنه قوله تعالى (فقولي إني نذرت للرحمن صوما) أي صمتا لانه امساك عن الكلام « وفي الشريعة الصوم هو الامساك عن الاكل والشرب والجماع مع النية في وقت مخصوص ﴿ كما كتب على الذين من قبلكم ﴾ من الانبياء والامم واختلفوا في هذا التشبيه فقال سعيد بن جبير : كان صوم من قبلنا من العتمة الى الليلة القابلة كما كان في ابتداء الاسلام . وقال جماعة من أهل العلم أراد ان صيام رمضان كان واجبا على النصارى كما فرض علينا ، فربما كان يقع في الحر الشديد والبرد الشديد وكان يشق عليهم في أسفارهم و يضرهم في معايشهم ، فاجتمع رأي علمائهم ورؤسائهم على ان يجعلوا صيامهم في فصل من

والوقاع بنية خالصة لله عز وجل لما فيه من زكاة النفوس وطهارتها وتنقيتها من الاخلاط الرديئة والاخلاق الرذيلة وذكر انه كما أوجبه عليهم فقد أوجبه على من كان قبلهم فلهم فيه اسوة وليجتهد هؤلاء في أداء هذا الفرض أكمل مما فعله أولئك كما قال تعالى (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات) الآية ولهذا قال ههنا (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون) لان الصوم فيه تزكية البدن وتضييق لمسالك الشيطان ولهذا ثبت في الصحيحين «يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء »ثم بين مقدار الصوم وانه ليس في كل يوم لئلا يشق على النفوس فتضعف عن حمله وأدائه بل في أيام معدودات . وقد كان هذا في ابتداء الاسلام يصومون من كل شهر ثلاثة أيام ثم نسخ ذلك بصوم شهر رمضان كما سيأتي بيانه . وقد روي ان الصيام كان أولا كما كان عليه الامم قبلنا من كل شهر ثلاثة أيام عن معاذ وابن مسعود وابن عباس وعطاء وقتادة والضحاك بن مزاحم وزاد لم يزل هذا مشروعا من زمان نوح الى أن نسخ الله ذلك بصيام شهر رمضان . وقال عباد بن منصور عن الحسن البصري (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون* أياما معدودات) فقال نعم والله لقد كتب الصيام على كل أمة قد خلت كما كتبه علينا شهرا كاملا وأياما معدودات عددا معلوما ، وروي عن السدي نحوه . وروى ابن أبي حاتم من حديث أبي عبد الرحمن المقري حدثنا سعيد بن أبي أيوب حدثني عبد الله بن الوليد عن أبي الربيع رجل من أهل المدينة عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «صيام رمضان كتبه الله على الامم قبلكم» في حديث طويل اختصر منه ذلك. وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عمن حدثه عن ابن عمر قال أنزلت (كتب عليكم الصيام

السنة بين الشتاء والصيف ، فجعلوه في الربيع وزادوا فيه عشرة أيام كفارة لما صنعوا فصار أربعين ثم ان ملكا لهم اشتكى فمه فجعل الله عليه ان هو برئ من وجعه ان يزيد في صومهم أسبوعا فبرئ فزاد فيه أسبوعا ثم مات ذلك الملك ووليهم ملك آخر فقال : أتموه خمسين يوما . وقال مجاهد : أصابهم موتان . فقالوا زيدوا في صيامكم فزادوا فيه عشرا قبل وعشرا بعد . قال الشعبي : لو صمت السنة كلها لافطرت اليوم الذى يشك فيه ، فيقال من شعبان ويقال من رمضان ؛ وذلك ان النصارى فرض عليهم شهر رمضان فصاموا قبله يوما وبعده يوما ، ثم لم يزل الآخر يستن بسنة القرن الذي قبله حتى صاروا الى خمسين يوما ، فذلك قوله تعالى ـ كما كتب على الذين من قبلكم ـ ﴿ لعلكم تتقون ﴾ يعني بالصوم لان الصوم وصلة الى التقوى لما فيه من قهر النفس وكسر الشهوات ، وقيل : لعلكم تتقون ـ تحذرون عن الشهوات من الاكل والشرب والجماع ﴿ أياما معدودات ﴾ قيل كان في ابتداء الاسلام صوم ثلاثة أيام من كل شهر واجبا ، وصوم يوم عاشوراء فصاموا كذلك من الربيع الى شهر رمضان سبعة عشر شهرا . ثم نسخ بصوم رمضان . قال ابن عباس : أول ما نسخ بعد الهجرة أمر

كما كتب على الذين من قبلكم) كتب عليهم اذا صلى أحدهم العتمة ونام حرم عليه الطعام والشراب والنساء الى مثلها ؛ قال ابن أبي حاتم وروي عن ابن عباس وأبي العالية وعبد الرحمن بن أبي ليلى ومجاهد وسعيد بن جبير ومقاتل بن حيان والربيع بن أنس وعطاء الخراساني نحو ذلك : وقال عطاء الخراساني عن ابن عباس (كما كتب على الذين من قبلكم) يعني بذلك أهل الكتاب وروي عن الشعبي والسدي وعطاء الخراساني مثله . ثم بين حكم الصيام على ما كان عليه الامر في ابتداء الاسلام فقال (فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر) أي المريض والمسافر لا يصومان في حال المرض والسفر لما في ذلك من المشقة عليهما بل يفطران ويقضيان بعدة ذلك من أيام أخر وأما الصحيح المقيم الذي يطيق الصيام فقد كان مخيرا بين الصيام وبين الاطعام ان شاء صام وان شاء أفطر وأطعم عن كل يوم مسكينا فان أطعم أكثر من مسكين عن كل يوم فهو خير وان صام فهو أفضل من الاطعام قاله ابن مسعود وابن عباس ومجاهد وطاوس ومقاتل بن حيان وغيرهم من السلف ولهذا قال تعالى (وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرا فهو خير له وان تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون)

وقال الامام احمد حدثنا أبو النضر حدثنا المسعودي حدثنا عمرو بن مرة عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال أحيلت الصلاة ثلاثة أحوال وأحيل الصيام ثلاثة أحوال فأما أحوال الصلاة فان النبي صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وهو يصلي سبعة عشر شهراً الى بيت المقدس ثم ان الله عز وجل أنزل عليه (قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها) الاية فوجهه الله الى مكة هذا حول، قال وكانوا يجتمعون للصلاة ويؤذن بها بعضهم بعضا حتى نقسوا أو كادوا ينقسون ثم ان رجلا من الانصار يقال له عبد الله بن زيد بن عبد ربه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم : فقال يارسول الله اني رأيت فيما يرى النائم ولو قلت اني لم أكن نائما لصدقت اني بينا أنا بين

القبلة والصوم ويقال نزل صوم شهر رمضان قبل بدر بشهر وأيام .قال محمد بن اسحق كانت غزوة بدر يوم الجمعة لسبع عشر ليلة خلت من شهر رمضان على رأس ثمانية عشر شهرا من الهجرة . حدثنا أبو الحسن الشيرازى أخبرنا زاهر بن أحمد اخبرنا أبو اسحق الهاشمي اخبرنا أبو مصعب عن مالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أم المؤمنين انها قالت : كان يوم عاشوراء يوما تصومه قريش في الجاهلية ؛ فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة صامه وأمر الناس بصيامه ؛ فلما فرض رمضان كان هو الفريضة وترك يوم عاشوراء ، فمن شاء صامه ، ومن شاء تركه ؛ وقيل المراد من قوله (أياما معدودات) شهر رمضان وهي غير منسوخة ونصب أياما على الظرف ، أي في أيام معدودات . وقيل على التفسير وقيل على هو خبر ما لم يسم فاعله ﴿ فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة ﴾ أي فافطر فعدة ﴿ من أيام أخر ﴾ اي فعليه عدة ؛ والعدد والعدة واحد (من أيام أخر) اي غير أيام مرضه وسفره ، وأخر في موضع خفض لكنها لا تنصرف فلذلك نصبت . قوله تعالى

النائم واليقظان اذ رأيت شخصا عليه ثوبان أخضران فاستقبل القبلة فقال: الله أكبر الله اكبر ، أشهد أن لا إله الا الله - مثنى - حتى فرغ من الاذان ثم أمهل ساعة ثم قال مثل الذي قال غير انه يزيد في ذلك: قد قامت الصلاة - مرتين - قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « علمها بلالا فليؤذن بها » فكان بلال أول من أذن بها: قال وجاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال يارسول الله قد طاف بي مثل الذي طاف به غير انه سبقني، فهذان حالان، قال وكانوا يأتون الصلاة وقد سبقهم النبي صلى الله عليه وسلم ببعضها فكان الرجل يشير الى الرجل اذن كم صلى فيقول واحدة او اثنتين فيصليهما ثم يدخل مع القوم في صلاتهم قال فجاء معاذ فقال لا أجده على حال ابدا الا كنت عليها ثم قضيت ماسبقني قال فجاء وقد سبقه النبي صلى الله عليه وسلم ببعضها قال فثبت معه فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم قام فقضى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « انه سن لكم معاذ فهكذا فاصنعوا » فهذه ثلاثة أحوال، واما احوال الصيام فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة فجعل يصوم من كل شهر ثلاثة أيام وصام عاشوراء ثم ان الله فرض عليه الصيام وانزل الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم) الى قوله (وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين) فكان من شاء صام ومن شاء أطعم مسكينا فأجزأ ذلك عنه، ثم ان الله عز وجل انزل الآية الاخرى (شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن) الى قوله (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) فأثبت الله صيامه على المقيم الصحيح ورخص فيه للمريض والمسافر وثبت الاطعام للكبير الذى لا يستطيع الصيام، فهذان حالان، قال وكانوا يأكلون ويشربون ويأتون النساء مالم يناموا فاذا ناموا امتنعوا ثم ان رجلا من الانصار يقال له صرمة كان يعمل صائما حتى أمسى فجاء الى أهله فصلى العشاء ثم نام فلم يأكل ولم يشرب حتى أصبح فأصبح صائما فرآه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد جهد جهدا شديدا فقال « مالي أراك قد جهدت

﴿ وعلى الذين يطيقونه ﴾ اختلف العلماء في تأويل هذه الآية وحكمها فذهب اكثرهم الى ان الآية منسوخة وهو قول ابن عمر وسلمة بن الاكوع وغيرهما ، وذلك انهم كانوا في ابتداء الاسلام مخيرين بين ان يصوموا وبين ان يفطروا أو يفتدوا خيرهم الله تعالى لئلا يشق عليهم لانهم كانوا لم يتعودوا الصوم ، ثم نسخ التخيير ونزلت العزيمة بقوله تعالى (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) وقال قتادة : هي خاصة في حق الشيخ الكبير الذي يطيق الصوم ، ولكن يشق عليه رخص له في ان يفطر ويفدى ثم نسخ . وقال الحسن : هذا في المريض الذي به ما يقع عليه اسم المرض وهو مستطيع للصوم خير بين ان يصوم وبين ان يفطر او يفدى ، ثم نسخ بقوله تعالى (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) وثبتت الرخصة للذين لا يطيقون ، وذهب جماعة الى ان الآية محكمة غير منسوخة ، ومعناه : وعلى الذين كانوا يطيقونه) في حال الشباب فعجزوا عنه في حال الكبر فعليهم الفدية بدل الصوم ، وقرأ ابن عباس (وعلى الذين يطوقونه بضم الياء وفتح الطاء وتخفيفها وفتح الواو وتشديدها ، اي يكلفون الصوم وتأويله على الشيخ الكبير والمرأة الكبيرة لا يستطيعان الصوم ، والمريض الذي لا يرجى

جهداً شديداً ؟قال يارسول الله انى عملت أمس فجئت حين جئت فألقيت نفسي فنمت فأصبحت حين اصبحت صائما قال وكان عمر قد أصاب من النساء بعد مانام فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك فأنزل الله عز وجل (أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم ـ الى قوله ـ ثم أتموا الصيام الى الليل) وأخرجه أبوداود في سننه والحاكم في مستدركه من حديث المسعودي به وقد أخرجه البخاري ومسلم من حديث الزهرى عن عروة عن عائشة انها قالت كان عاشوراء يصام فلما نزل فرض رمضان كان من شاء صام ومن شاء أفطر . وروى البخاري عن ابن عمر وابن مسعود مثله

وقوله تعالى (وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين) كما قال معاذ رضي الله عنه كان في ابتداء الامر من شاء صام ومن شاء أفطر وأطعم عن كل يوم مسكينا ، وهكذا روى البخاري عن سلمة بن الاكوع انه قال لما نزلت (وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين) كان من أراد أن يفطر يفتدي حتى نزلت الآية التي بعدها فنسختها ، وروى أيضا من حديث عبيد الله عن نافع عن ابن عمر قال هي منسوخة : وقال السدي عن مرة عن عبد الله قال لما نزلت هذه الآية (وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين) قال يقول (وعلى الذين يطيقونه) أي يتجشمونه : قال عبد الله فكان من شاء صام ومن شاء أفطر وأطعم مسكينا (فمن تطوع) يقول أطعم مسكينا آخر فهو خير له (وان تصوموا خير لكم) فكانوا كذلك حتى نسختها(فمن شهد منكم الشهر فليصمه) وقال البخاري أيضا أخبرنا اسحق حدثنا روح حدثنا زكريا بن اسحق حدثنا عمرو بن دينار عن عطاء سمع ابن عباس يقرأ (وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين) قال ابن عباس ليست منسوخة هو الشيخ الكبير والمرأة الكبيرة لايستطيعان أن يصوما فيطعمان مكان كل يوم مسكينا وهكذا روى غير واحد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس نحوه ، وقال أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا عبد الرحيم بن سليمان عن أشعث بن سوار عن عكرمة عن ابن عباس قال نزلت هذه الآية (وعلى الذين يطيقونه فدية

زوال مرضه فهم يكلفون الصوم ولا يطيقونه فلهم ان يفطروا و يطعموا مكان كل يوم مسكينا وهو قول سعيد بن جبير : وجعل الاية محكمة قوله تعالى ﴿ فدية طعام مسكين ﴾ قرأ اهل المدينة والشام مضافا ، وكذلك في المائدة كفارة طعام مساكين ، أضاف الفدية الى الطعام وان كان واحدا لاختلاف اللفظين كقوله تعالى وحب الحصيد ، وقولهم : مسجد الجامع وربيع الاول . وقرا الآخرون فدية وكفارة منونة طعام رفع وقرأ مساكين بالجمع هنا أهل المدينة والشام . وآخرون على التوحيد فمن جمع نصب النون ومن وحد خفض النون ونونها، والفدية الجزاء ويجب ان يطعم مكان كل يوم مسكينا مدا من الطعام بمدّ النبي صلى الله عليه وسلم ـ وهو رطل وثلث من غالب قوت البلد . هذا قول فقهاء الحجاز : وقال بعض فقهاء أهل العراق : عليه لكل مسكين نصف صاع لكل يوم يفطر . وقال بعضهم : نصف صاع من قمح أو صاع من غيره . وقال بعض الفقهاء ما كان المفطر يتقوته يومه الذي أفطره . وقال ابن عباس : يعطى كل مسكين عشاءه وسحوره

طعام مسكين) في الشيخ الكبير الذى لايطيق الصوم ثم ضعف فرخص له ان يطعم مكان كل يوم مسكينا ، وقال الحافظ أبو بكر بن مردويه حدثنا محمد بن أحمد حدثنا الحسين بن محمد بن بهرام المخزومي حدثنا وهب بن بقية حدثنا خالد بن عبد الله عن ابن أبي ليلي ، قال دخلت على عطاء في رمضان وهو يأكل فقال قال ابن عباس نزلت هذه الآية فنسخت الاولى الا الكبير الفاني ان شاء أطعم عن كل يوم مسكينا وأفطر ـ فحاصل الامر أن النسخ ثابت في حق الصحيح المقيم بايجاب الصيام عليه لقوله (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) وأما الشيخ الفاني الهرم الذي لا يستطيع الصيام فله أن يفطر ولا قضاء عليه لانه ليست له حال يصير اليها يتمكن فيها من القضاء ولكن هل يجب عليه اذا أفطر أن يطعم عن كل يوم مسكينا اذا كان ذا جدة؟ فيه قولان للعلماء أحدهما لا يجب عليه اطعام لانه ضعيف عنه لسنه فلم يجب عليه فدية كالصبي لان الله لا يكلف نفسا الا وسعها وهو أحد قولي الشافعي والثاني وهو الصحيح وعليه أكثر العلماء انه يجب عليه فدية عن كل يوم كما فسره ابن عباس وغيره من السلف على قراءة من قرأ (وعلى الذين يطيقونه) أي يتجشمونه كما قاله ابن مسعود وغيره وهو اختيار البخارى فانه قال وأما الشيخ الكبير اذا لم يطق الصيام فقد أطعم أنس بعد ما كبر عاما أو عامين عن كل يوم مسكينا خبزا ولحما وأفطر وهذا الذي علقه البخارى قد اسنده الحافظ أبو يعلى الموصلى في مسنده فقال حدثنا عبد الله بن معاذ حدثنا أبي حدثنا عمران عن أيوب بن أبي تميمة قال ضعف أنس عن الصوم فصنع جفنة من ثريد فدعا ثلاثين مسكينا فاطعمهم ، ورواه عبد بن حميد عن روح بن عبادة عن عمران وهو ابن جرير عن أيوب به . ورواه عبد أيضا من حديث ستة من أصحاب أنس عن أنس بمعناه. ومما يلتحق بهذا المعنى الحامل والمرضع اذا خافتا على أنفسهما أو ولديهما ففيهما خلاف كثير بين العلماء فمنهم من قال يفطران ويفديان ويقضيان وقيل يفديان فقط ولاقضاء

﴿ فمن تطوّع خيرا فهو خير له ﴾ اى زاد على مسكين واحد فاطعم مكان كل يوم مسكينين فأكثر قال مجاهد وعطاء وطاوس ، وقيل من زاد على القدر الواجب عليه فاعطى صاعا وعليه مدّ فهو خير له ﴿ وان تصوموا خير لكم ﴾ فمن ذهب الى النسخ قال معناه الصوم خير له من الفدية . وقيل هذا في الشيخ الكبير لو تكلف الصوم وان شق عليه فهو خير له من ان يفطر ويفدى ﴿ ان كنتم تعلمون ﴾

واعلم انه لا رخصة لمؤمن مكلف في إفطار رمضان الا لثلاثة. أحدهم يجب عليه القضاء والكفارة والثاني عليه القضاء دون والكفارة ، والثالث عليه الكفارة دون القضاء . اما الذى عليه القضاء والكفارة ، فالحامل والمرضع اذا خافتا على ولديهما فانهما تفطران وتقضيان وعليهما مع القضاء الفدية . وهذا قول ابن عمر وابن عباس وبه قال مجاهد واليه ذهب الشافعي رحمه الله. وقال قوم لا فدية عليهما ، وبه قال الحسن وعطاء وابراهيم النخعي والزهري واليه ذهب الاوزاعي والثوري وأصحاب الرأي . واما الذي عليه القضاء دون الكفارة فالمريض والمسافر والحائض والنفساء . واما الذي عليه الكفارة دون القضاء فالشيخ الكبير والمريض الذي لا يرجى زوال مرضه . ثم بين الله تعالى أيام الصيام فقال

وقيل يجب القضاء بلا فدية وقيل يفطران ولا فدية ولا قضاء وقد بسطنا هذه المسألة مستقصاة في كتاب الصيام الذي أفردناه ولله الحمد والمنة

(١٨٤) شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن وهدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر ، يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون*

يمدح تعالى شهر الصيام من بين سائر الشهور بأن اختاره من بينهن لانزال القرآن العظيم وكما اختصه بذلك قد ورد الحديث بأنه الشهر الذي كانت الكتب الالهية تنزل فيه على الانبياء قال الامام احمد بن حنبل رحمه الله حدثنا أبو سعيد مولى بني هاشم حدثنا عمران أبو العوام عن قتادة عن أبي فليح عن واثلة يعني بن الاسقع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : « أنزلت صحف ابراهيم في أول ليلة من رمضان وأنزلت التوراة لست مضين من رمضان والانجيل لثلاث عشرة خلت من رمضان وأنزل الله القرآن لاربع وعشرين خلت من رمضان » وقد روي من حديث جابر ابن عبد الله وفيه : أن الزبور أنزل لثنتي عشرة خلت من رمضان والانجيل لثماني عشرة والباقي كما تقدم . رواه ابن مردويه وأما الصحف والتوراة والزبور والانجيل فنزل كل منها على النبي الذي أنزل

﴿ شهر رمضان ﴾ رفعه على معنى هو شهر رمضان . وقال الكسائي : كتب عليكم شهر رمضان وسمي الشهر شهراً لشهرته واما رمضان فقد قال مجاهد هو من أسماء الله تعالى ، يقال شهر رمضان كما يقال شهر الله . والصحيح انه اسم للشهر سمي به من الرمضاء وهي الحجارة المحماة وهم كانوا يصومونه في الحر الشديد وكانت ترمض فيه الحجارة من الحرارة قوله تعالى ﴿ الذي أنزل فيه القرآن ﴾ سمي القرآن قرآناً لانه يجمع السور والآي والحروف وجمع فيه القصص والامر والنهي والوعد والوعيد وأصل القرء الجمع وقد يحذف الهمزة فيقال قريت الماء في الحوض اذا جمعته . وقرأ ابن كثير : القرآن بفتح الراء غير مهموز . وكذلك كان يقرأ الشافعي ويقول ليس هو من القراءة ولكنه اسم لهذا الكتاب كالتوراة والانجيل . وروى عن مقسم عن ابن عباس : انه سئل عن قوله عز وجل (شهر رمضان) الذي أنزل فيه القرآن . وقوله : انا أنزلناه في ليلة القدر . وقوله : انا أنزلناه في ليلة مباركة . وقد نزل في سائر الشهور . وقال عز وجل : وقرآنا فرقناه ، فقال أنزل القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ في ليلة القدر من شهر رمضان الى بيت العزة في السماء الدنيا ثم نزل به جبريل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم نجوما في ثلاث وعشرين سنة فذلك قوله تعالى (فلا أقسم بمواقع النجوم) قال داود بن أبي هند : قلت للشعبي : شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن اما كان ينزل في سائر الشهور ؟ قال بلى . ولكن جبرائيل كان يعارض محمدا صلى الله عليه وسلم في رمضان ما أنزل الله اليه فيحكم(١) الله مايشاء ويثبت مايشاء . وروي عن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه

(١) لعل الاصل الصحيح : فيمحو لقوله تعالى (يمحو الله مايشاء ويثبت)

عليه جملة واحدة وأما القرآن فانما نزل جملة واحدة الى بيت العزة من السماء الدنيا وكان ذلك في شهر رمضان في ليلة القدر منه كما قال تعالى (إنا أنزلناه في ليلة القدر) وقال (إنا أنزلناه في ليلة مباركة) ثم نزل بعده مفرقا بحسب الوقائع على رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا روي من غير وجه عن ابن عباس كما قال اسرائيل عن السدي عن محمد بن أبي المجالد عن مقسم عن ابن عباس أنه سأل عطية بن الاسود فقال وقع في قلبي الشك قول الله تعالى (شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن) وقوله (إنا أنزلناه في ليله مباركة) وقوله (إنا أنزلناه في ليلة القدر) وقد أنزل في شوال وفي ذي القعدة وفي ذي الحجة وفي المحرم وصفر وشهر ربيع فقال ابن عباس : انه أنزل في رمضان في ليلة القدر وفي ليلة مباركة جملة واحدة ثم أنزل على مواقع النجوم ترتيلا في الشهور والايام رواه ابن أبي حاتم وابن مردويه وهذا لفظه وفي رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : أنزل القرآن في النصف من شهر رمضان الى سماء الدنيا فجعل في بيت العزة ثم أنزل على رسول الله صلى عليه وسلم في عشرين سنة لجواب كلام الناس وفى رواية عكرمة عن ابن عباس قال : نزل القرآن في شهر رمضان في ليلة القدر الى هذه السماء الدنيا جملة واحدة وكان الله يحدث لنبيه ما يشاء ولا يجيء المشركون بمثل يخاصمون به إلا جاءهم الله بجوابه وذلك قوله (وقال الذين كفروا لو لا أنزل عليه

وسلم قال أنزلت صحف ابراهيم في ثلاث ليال مضين من رمضان ويروى في أول ليلة من رمضان وأنزلت توراة موسى في ست ليال مضين من رمضان وأنزل الانجيل على عيسى في ثلاث عشرة ليلة مضت من رمضان وأنزل لزبور على داود في ثمان عشرة مضت من رمضان وأنزل الفرقان على محمد صلى الله عليه وسلم في الرابعة والعشرين من شهر رمضان لست بقين بعدها . قوله تعالى ﴿ هدى للناس ﴾ من الضلالة وهدى في محل النصب على القطع لان القرآن معرفة وهدى نكرة ﴿ وبينات من الهدى ﴾ أي دلالات واضحات من الحلال والحرام والحدود والاحكام ﴿ والفرقان ﴾ أي الفارق بين الحق والباطل . قوله تعالى ﴿ فمن شهد منكم الشهر فليصمه ﴾ أي فمن كان مقيما في الحضر فأدركه الشهر واختلف أهل العلم فيمن أدركه الشهر وهو مقيم ثم سافر . روي عن علي رضي الله عنه انه قال يجوز له الفطر وبه قال عبيدة السلماني لقوله تعالى (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) أي الشهر كله وذهب أكثر الصحابة والفقهاء الى انه اذا انشأ السفر في شهر رمضان جاز له ان يفطر ومعنى الآية فمن شهد منكم الشهر كله فليصمه أي الشهر كله ومن لم يشهد منكم الشهر كله فليصم ماشهد منه والدليل عليه ما أخبرنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا زاهر بن احمد أخبرنا أبواسحق الهاشمي أخبرنا أبومنصور عن مالك عن ابن شهاب عن عبيد الله بن عتبة بن مسعود عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج الى مكة عام الفتح في رمضان فصام حتى بلغ الكديد ثم أفطر وأفطر الناس معه وكانوا يأخذون بالاحدث فالاحدث من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم . قوله تعالى ﴿ ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر ﴾ أباح الفطر لعذر المرض والسفر وأعاد هذا الكلام ليعلم ان هذا الحكم

القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا * ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا) وقوله (هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان) هذا مدح للقرآن الذي أنزله الله هدى لقلوب العباد ممن آمن به وصدقه واتبعه (وبينات) أي ودلائل وحجج بينة واضحة جلية لمن فهمها وتدبرها دالة على صحة ماجاء به من الهدى المنافي للضلال والرشد المخالف للغي ومفرقا بين الحق والباطل والحلال والحرام وقد روي عن بعض السلف أنه كره أن يقال الاشهر رمضان ولا يقال رمضان، قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا محمد بن بكار بن الريان حدثنا أبو معشر عن محمد ابن كعب القرظي وسعيد هو المقبرى عن أبي هريرة قال : لا تقولوا رمضان فان رمضان اسم من أسماء الله تعالى ولكن قولوا شهر رمضان. قال ابن أبي حاتم وقد روي عن مجاهد ومحمد بن كعب نحو ذلك ورخص فيه ابن عباس وزيد بن ثابت (قلت) أبو معشر هو نجيح بن عبدالرحمن المدني امام المغازى والسير ولكن فيه ضعف وقد رواه ابنه محمد عنه فجعله مرفوعا عن أبي هريرة وقد أنكره عليه الحافظ ابن عدي وهو جدير بالانكار فانه متروك وقد وهم في رفع هذا الحديث وقد انتصر البخاري رحمه الله في كتابه لهذا فقال : باب يقال رمضان وساق أحاديث في ذلك منها «من صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه» ونحو ذلك وقوله (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) هذا ايجاب حتم على من شهد استهلال الشهر أي كان مقيما في البلد حين دخل شهر رمضان وهو صحيح في بدنه أن

ثابت في الناسخ ثبوته في المنسوخ واختلفوا في المرض الذي يبيح الفطر فذهب أهل الظاهر الى ان ما يطلق عليه اسم المرض يبيح الفطر وهو قول ابن سيرين قال طريف بن تمام العطاردي دخلت على محمد بن سيرين في رمضان وهو يأكل فقال انه وجعت أصبعي هذه . وقال الحسن وابراهيم النخعي هو المرض الذي يجوز به الصلاة قاعدا . وذهب الاكثرون الى انه مرض يخاف معه من الصوم زيادة علة غير محتملة وفي الجملة انه اذا أجهده الصوم أفطر وان لم يجهده فهو كالصحيح . وأما السفر فالفطر فيه مباح والصوم جائز عند عامة أهل العلم الا ماروي عن ابن عباس وأبي هريرة وعروة بن الزبير وعليّ بن الحسين انهم قالوا لايجوز الصوم في السفر ومن صام فعليه القضاء، احتجوا بقول النبي صلى الله عليه وسلم «ليس من البر الصوم في السفر» وذلك عند الآخرين في حق من يجهده الصوم فالاولى له أن يفطر والدليل ما أخبرنا به عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن اسماعيل أخبرنا آدم أخبرنا شعبة أخبرنا محمد بن عبدالرحمن الانصارى قال سمعت محمد بن عمرو بن الحسين بن علي عن جابر بن عبدالله قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فرأى زحاما ورجلا قد ظلل عليه فقال ماهذا ؟ قالوا هذا صائم فقال « ليس من البر والصوم في السفر» والدليل على جواز الصوم ماحدثنا الاستاذ أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري أخبرنا أبو نعيم الاسفرايني اخبرنا ابو عوانة اخبرنا ابو أمية اخبرنا عبد الله القواريرى اخبرنا حماد بن زيد اخبرنا الحريري عن أبي نضرة عن أبي سعيد قال : كنا نسافر مع رسول الله

يصوم لا محالة ونسخت هذه الآية الاباحة المتقدمة لمن كان صحيحا مقيما أن يفطر ويفدي باطعام مسكين عن كل يوم كما تقدم بيانه(١) ولما ختم الصيام أعاد ذكر الرخصة للمريض والمسافر في الافطار بشرط القضاء فقال (ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر) معناه ومن كان به مرض في بدنه يشق عليه الصيام معه أو يؤذيه او كان على سفر أى في حال السفر فله أن يفطر فاذا افطر فعليه عدة ما أفطره في السفر من الايام . ولهذا قال (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) أى انما رخص لكم في الفطر في حال المرض وفي السفر مع تحتمه في حق المقيم الصحيح تيسيرا عليكم ورحمة بكم

وهنا مسائل تتعلق بهذه الآية (احداها) أنه قد ذهب طائفة من السلف الى أن من كان مقيما في أول الشهر ثم سافر في أثنائه فليس له الافطار بعذر السفر والحالة هذه لقوله (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) وانما يباح الافطار لمسافر استهل الشهر وهو مسافر وهذا القول غريب نقله بو محمد بن حزم في كتابه المحلى عن جماعة من الصحابة والتابعين وفيما حكاه عنهم نظر والله أعلم فانه قد ثبتت السنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه خرج في شهر رمضان لغزوة الفتح فسار حتى بلغ الكديد ثم أفطر وامر الناس بالفطر أخرجه صاحبا الصحيح (الثانية) ذهب آخرون من الصحابة والتابعين الى وجوب الافطار في السفر لقوله (فعدة من أيام أخر) والصحيح قول الجمهور أن الامر في ذلك

(١) هذا على القول بنسخه والارجح ماروّاه البخاري عن ابن عباس من عدم النسخ وان الفدية على من يطيقه بمشقة وحرج كالزمن والهرم

صلى الله عليه وسلم في رمضان فمنا الصائم ومنا المفطر فلا يعيب الصائم على المفطر ولا المفطر على الصائم واختلفوا في أفضل الامرين . فقالت طائفة : الفطر في السفر أفضل من الصوم . روى ذلك عن ابن عمر واليه ذهب سعيد بن المسيب والشعبي . وذهب قوم الى ان الصوم أفضل وروي ذلك عن معاذ بن جبل وأنس وبه قال ابراهيم النخعي وسعيد بن جبير . وقالت طائفة أفضل الامرين أيسرهما عليه لقوله تعالى (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) وهو قول مجاهد وقتادة وعمر ابن عبد العزيز : ومن أصبح مقيما صائما ثم سافر في أثناء النهار لا يجوز له ان يفطر ذلك اليوم عند اكثر أهل العلم . وقالت طائفة له ان يفطر ، وهو قول الشعبي وبه قال أحمد . أما المسافر اذا أصبح صائما فيجوز له ان يفطر بالاتفاق والدليل عليه ما أخبر عبدالوهاب بن محمد الخطيب اخبرنا عبد العزيز ابن احمد الخلال اخبرنا أبو العباس الاصم اخبرنا الربيع اخبرنا الشافعي اخبرنا عبدالعزيز بن محمد بن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه و لم خرج الى مكة عام الفتح في رمضان فصام حتى بلغ كراع الغميم صام الناس معه ، فقيل له يارسول الله ان الناس قد شق عليهم الصيام فدعا بقدح من ماء بعد العصر فشرب والناس ينظرون فافطر بعض الناس وصام بعضهم فبلغه ان ناسا صاموا ، فقال أولئك العصاة . واختلفوا في السفر الذي يبيح الفطر ، فقال قوم مسيرة يوم وذهب جماعة الى مسيرة يومين وهو قول الشافعي رحمه الله ، وذهب جماعة الى مسيرة ثلاثة أيام وهو قول سفيان الثوري وأصحاب الرأي قوله تعالى ﴿ يريد الله بكم اليسر ﴾ باباحة الفطر في المرض والسفر ﴿ ولا يريد بكم العسر ﴾ قرأ أبو جعفر . العسر واليسر ونحوهما بضم السين ، وقرأ الآخرون

على التخيير وليس بحتم لانهم كانوا يخرجون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر رمضان قال: فمنا الصائم ومنا المفطر فلم يعب الصائم على المفطر ولا المفطر على الصائم فلو كان الافطار هو الواجب لانكر عليهم الصيام بل الذي ثبت من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان في مثل هذه الحالة صائما لما ثبت في الصحيحين عن أبي الدردا قال: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر رمضان في حر شديد حتى إن كان أحدنا ليضع يده على رأسه من شدة الحر وما فينا صائم إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعبد الله بن رواحة (الثالثة) قالت طائفة منهم الشافعي: الصيام في السفر أفضل من الافطار لفعل النبي صلى الله عليه وسلم كما تقدم وقالت طائفة بل الافطار افضل اخذاً بالرخصة ولما ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سئل عن الصوم في السفر فقال: «من أفطر فحسن ومن صام فلا جناح عليه» وقال في حديث آخر: «عليكم برخصة الله التي رخص لكم» وقالت طائفة هما سواء لحديث عائشة أن حمزة بن عمرو الاسلمي قال يا رسول الله إني كثير الصيام أفأصوم في السفر؟ فقال «ان شئت فصم وإن شئت فأفطر» وهو في الصحيحين وقيل إن شق الصيام فالافطار أفضل لحديث جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رجلا قد ظلل عليه فقال: «ما هذا؟ قالوا صائم فقال» ليس من البر الصيام في السفر» أخرجاه فأما ان رغب عن السنة ورأى

بالسكون. وقال الشعبي: ما خير رجل بين أمرين فاختار أيسرهما الا كان ذلك أحبهما الى الله عز وجل ﴿ولتكملوا العدة﴾ قرأ أبو بكر بتشديد الميم. وقرأ الآخرون بالتخفيف وهو الاختيار لقوله تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم) والواو في قوله تعالى ولتكملوا واو النسق واللام لام كي تقديره ويريد لكي تكملوا العدة أي لتكملوا عدة أيام الشهر بقضاء ما أفطرتم في مرضكم وسفركم وقال عطاء (ولتكملوا العدة) أي عدد أيام الشهر اخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب اخبرنا العزيز بن أحمد الخلال اخبرنا أبو العباس الاصم اخبرنا الربيع اخبرنا الشافعي اخبرنا مالك عن عبد الله بن دينار عن ابن عمران رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الشهر تسع وعشرون فلا تصوموا حتى ترو الهلال ولا تفطروا حتى تروه فان غم عليكم فاكملوا العدة ثلاثين» اخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي اخبرنا أبو بكر احمد بن الحسين الحيري اخبرنا حاجب بن احمد الطوسي اخبرنا محمد بن يحيى اخبرنا يزيد بن هارون اخبرنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا تقدموا الشهر بصوم يوم ولا يومين الا ان يوافق ذلك صوما كان يصومه أحدكم، صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته فان غم عليكم فعدوا ثلاثين ثم افطروا ﴿ولتكبروا الله﴾ ولتعظموا الله ﴿على ما هداكم﴾ أرشدكم الى ما رضي به من صوم شهر رمضان وخصكم به دون سائر أهل الملل. قال ابن عباس هو تكبيرات ليلة الفطر: وروى الشافعي عن ابن المسيب وعروة وأبي سلمة انه كانوا يكبرون ليلة الفطر يجهرون بالتكبير وشبه ليلة النحر بها الا من كان حاجا، وذكره التلبية ﴿ولعلكم تشكرون﴾ الله على نعمه وقد وردت أخبار في فضل شهر رمضان وثواب الصائمين

أن الفطر مكروه اليه فهذا يتعين عليه الافطار ويحرم عليه الصيام والحالة هذه لما جاء في مسند الامام احمد وغيره عن ابن عمر وجابر وغيرهما: من لم يقبل رخصة الله كان عليه من لاثم مثل جبال عرفة. (الرابعة القضاء) هل يجب متتابعا أو يجوز فيه التفريق فيه قولان: (أحدهما) أنه يجب التتابع لان القضاء يحكي الاداء والثاني لا يجب التتابع بل ان شاء فرق وان شاء تابع وهذا قول جمهور السلف والخلف وعليه ثبتت الدلائل لان التتابع انما وجب في الشهر لضرورة أدائه في الشهر فأما بعد انقضاء رمضان فالمراد صيام ايام عدة ما افطر ولهذا قال تعالى (فعدة من ايام اخر) ثم قال تعالى (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) قال الامام احمد: حدثنا ابو سلمة الخزاعي حدثنا ابو هلال عن حميد بن هلال العدوي عن ابي قتادة عن الاعرابي الذي سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول «ان خير دينكم ايسره ان خير دينكم ايسره» وقال احمد ايضا حدثنا يزيد بن هارون اخبرنا عاصم بن هلال حدثنا عامر ابن عروة الفقيمي حدثني ابي عروة قال كنا ننتظر النبي صلى الله عليه وسلم فخرج يقطر راسه من وضوء اوغسل فصلى فلما قضى الصلاة جعل الناس يسألونه: علينا حرج في كذا؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن دين الله في يسر» ثلاثا يقولها. ورواه الامام أبو بكر بن مردويه في تفسير هذه

اخبرنا أبو عبد الله محمد بن الحسن المروزي اخبرنا أبو العباس احمد بن محمد بن سراج الطحان اخبرنا أبو أحمد بن قريش بن سليمان اخبرنا علي بن عبد العزيز المكي اخبرنا أبو عبيد القاسم بن سلام حدثني اسماعيل بن جعفر عن أبي سهل نافع بن مالك عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: اذا دخل رمضان صفدت الشياطين وفتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار اخبرنا أبو عثمان سعيد بن اسماعيل الضبي اخبرنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد بن الجراح اخبرنا أبو العباس محمد بن احمد المحبوبي اخبرنا أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي اخبرنا ابو كريب محمد بن العلا اخبرنا أبو بكر محمد بن عياش عن الاعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «اذا كان أول ليلة من شهر رمضان صفدت الشياطين ومردة الجن وغلقت أبواب النار فلم يفتح منها باب وفتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب وينادي مناد ياباغي الخير أقبل وياباغي الشر أقصر» ولله عتقاء من النار وذلك كل ليلة، اخبرنا أبو بكر احمد بن أبي نصر بن احمد الكوفاني الهروي بها اخبرنا ابو محمد عبد الرحمن بن عمر بن محمد التجيبي المصري بها المعروف بأبي النحاس قيل له اخبركم أبو سعيد أحمد بن محمد بن زياد المقبري البصري بمكة المعروف بابن الاعرابي اخبرنا الحسن بن محمد بن الصباح الزعفراني اخبرنا سفيان بن عيينة عن الزهري اخبرنا ابو سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه» ومن قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه» ومن قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه» اخبرنا الامام أبو علي الحسين بن محمد القاضي اخبرنا أبو سعيد خلف بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي نزار حدثنا الحسين بن احمد بن محمد بن عبد الرحمن بن

الآية من حديث مسلم بن أبي تميم عن عاصم بن هلال به. وقال الامام احمد: حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة قال حدثنا أبو التياح سمعت أنس بن مالك يقول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «يسروا ولا تعسروا وسكنوا ولا تنفروا» أخرجاه في الصحيحين وفي الصحيحين أيضا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ وأبي موسى حين بعثهما الى اليمن «بشرا ولا تنفرا ويسرا ولا تعسرا وتطاوعا ولا تختلفا» وفي السنن والمسانيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «بعثت بالحنيفية السمحة» وقال الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسيره حدثنا عبد الله بن اسحق بن ابراهيم حدثنا يحيى بن أبي طالب حدثنا عبد الوهاب بن عطاء حدثنا أبو مسعود الحريري عن عبد الله بن شقيق عن محجن بن الادرع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رجلا يصلي فتراآه ببصره ساعة فقال «أتراه يصلي صادقا؟» قال قلت يا رسول الله: هذا أكثر أهل المدينة صلاة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا تسمعه فتهلكه» وقال «ان الله انما أراد بهذه الامة اليسر ولم يرد بهم العسر» ومعنى قوله (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة) أي انما أرخص لكم في الافطار للمرضى والسفر ونحوهما من الاعذار لارادته بكم اليسر وانما امركم بالقضاء لتكملوا عدة شهركم وقوله (ولتكبروا الله على ما هداكم) أي ولتذكروا الله عند انقضاء عبادتكم كما قال (فاذا قضيتم

أسد الصفار اخبرنا أبو جعفر احمد بن محمد بن أبي اسحق العنزي اخبرنا علي بن حجر بن اياس السعدي أخبرنا يوسف بن زياد عن علي بن زيد بن جدعان عن سعيد بن المسيب عن سلمان قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في آخر يوم من شعبان فقال «يا أيها الناس انه قد أظلكم شهر عظيم - وفي رواية قد أطلكم بالطاء أطل أشرف - شهر عظيم شهر مبارك شهر فيه ليلة القدر خير من ألف شهر، شهر جعل الله صيامه فريضة وقيام ليله تطوعا، من تقرب فيه بخصلة من خصال الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه. ومن أدى فيه فريضة كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه. وهو شهر الصبر والصبر ثوابه الجنة، وشهر المواساة - أي المساهمة - وشهر يزاد فيه الرزق ومن فطر فيه صائما كان له مغفرة لذنوبه وعتق رقبته من النار وكان له مثل أجره من غير ان ينقص من أجره شيء» قالوا يا رسول الله ليس كلنا نجد ما نفطر به الصائم. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يعطي الله هذا الثواب لمن فطر صائما على مذقة لبن أو تمرة أو شربة من ماء ومن أشبع صائما سقاه الله عز وجل من حوضي شربة لا يظمأ بعدها حتى يدخل الجنة، ومن خفف عن مملوكه فيه غفر الله له وأعتقه من النار حتى يدخل الجنة» وهو شهر أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار، فاستكثروا فيه من أربع خصال خصلتين ترضون بهما ربكم وخصلتين لا غنى بكم عنهما. أما الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم فشهادة ان لا إله إلا الله وتستغفرونه، وأما اللتان لا غنى بكم عنهما فتسألون الله الجنة وتعوذون به من النار» اخبرنا الامام أبو علي الحسين بن محمد القاضي اخبرنا أبو طاهر محمد بن محمش الزيادي اخبرنا أبو بكر محمد بن عمر بن حفص التاجر اخبرنا ابراهيم بن عبد الله بن عمر بن بكير الكوفي

مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا) وقال (فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون) وقال (فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ٭ ومن الليل فسبحه وأدبار السجود) ولهذا جاءت السنة باستحباب التسبيح والتحميد والتكبير بعد الصلوات المكتوبات وقال ابن عباس : ما كنا نعرف انقضاء صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا بالتكبير ولهذا أخذ كثير من العلماء مشروعية التكبير في عيد الفطر من هذه الآية (ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم) حتى ذهب داود بن علي الاصبهاني الظاهري الى وجوبه في عيد الفطر لظاهر الامر في قوله (ولتكبروا الله على ما هداكم) وفي مقابلته مذهب أبي حنيفة رحمه الله انه لا يشرع التكبير في عيد الفطر والباقون على استحبابه على اختلاف في تفاصيل بعض الفروع بينهم وقوله (ولعلكم تشكرون) أي اذا أقمتم بما أمركم الله من طاعته بأداء فرائضه وترك محارمه وحفظ حدوده فلعلكم أن تكونوا من الشاكرين بذلك

---

(١٨٥) واذا سألك عبادي عني فاني قريب أجيب دعوة الداعي اذا دعاني فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون)

قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا يحيي بن المغيرة أخبرنا جرير عن عبدة بن أبي برزة (١)

اخبرنا وكيع عن الاعمش عن ابي صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة بعشر أمثالها الى سبع مائة ضعف ، قال الله تعالى إلا الصوم فانه لي وأنا أجزي به ، يدع الصائم طعامه وشرابه وشهوته من أجلي ، للصائم فرحتان . فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه ، ولخلوف فيه أطيب عند الله من ريح المسك ، الصوم جنة، واذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يفسق فان سابه احد أو قاتله فليقل إني امرؤ صائم » اخبرنا عبد الواحد ابن أحمد المليحي اخبرنا احمد بن عبد الله النعيمي اخبرنا محمد بن يوسف اخبرنا محمد بن اسماعيل اخبرنا سعيد بن أبي مريم اخبرنا محمد بن مطرف حدثني أبو حازم عن سهل بن سعد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : في الجنة ثمانية أبواب ، منها باب يسمى الريان لا يدخله الا الصائمون اخبرنا محمد بن عبد الله بن أبي توبة اخبرنا ابو طاهر محمد بن احمد بن الحارث اخبرنا محمد بن يعقوب الكسائي اخبرنا عبد الله بن محمود اخبرنا ابراهيم بن عبد الله الخلال اخبرنا عبد الله بن المبارك عن راشد بن سعد عن يحيي بن عبد الله عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « الصيام والقرآن يشفعان للعبد ، يقول الصيام أي رب إني منعته الطعام والشراب والشهوات بالنهار فشفعني فيه ، ويقول القرآن رب اني منعته النوم بالليل فشفعني فيه فيشفعان قوله تعالى ﴿ واذا سألك عبادي عني فاني قريب ﴾ روى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال : قال يهود أهل المدينة : يامحمد كيف يسمع ربنا دعاءنا وأنت تزعم

(١) وفي النسخة المطبوعة عن ابن أبي برزة وهو غلط

السختياني عن الصلت بن حكيم(١) بن معاوية بن حيدة القشيري عن أبيه عن جده أن أعرابيا قال يارسول الله: صلى الله عليك وسلم أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه؟ فسكت النبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله (واذا سألك عبادي عني فاني قريب أجيب دعوة الداعي اذا دعاني فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي) اذا أمرتهم أن يدعوني فدعوني استجبت ، ورواه ابن جرير عن محمد بن حميد الرازي عن جرير به ورواه ابن مردويه وأبو الشيخ لاصبهاني من حديث محمد بن أبي حميد عن جرير به ، وقال عبد الرزاق أخبرنا جعفر بن سليمان عن عوف عن الحسن قال سأل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أين ربنا ؟ فانزل الله عز وجل (واذا سألك عبادي عني فاني قريب أجيب دعوة الداعي اذا دعاني) الآية وقال ابن جريج عن عطاء انه بلغه لما نزلت (وقال ربكم ادعوني أستجب لكم)قال الناس لو نعلم أيّ ساعة ندعو؟ فنزلت (واذا سألك عبادي عني فاني قريب أجيب دعوة الداعي اذا دعاني) وقال الامام احمد حدثنا عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي حدثنا خالد الحذاء عن أبي عثمان النهدي عن أبي موسى الاشعري قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة فجعلنا لا نصعد شرفا ولا نعلو شرفا ولا نهبط واديا الا رفعنا أ. واتنا بالتكبير قال فدنا منا فقال « يا أيها الناس اربعوا على أنفسكم فانكم لا تدعون أصم ولا غائبا انما تدعون سميعا بصيرا ان الذي تدعون أقرب الى أحدكم من عنق راحلته ، ياعبد الله بن قيس ألا اعلمك كلمة من كنوز الجنة؟ لاحول ولا قوة الا بالله » اخرجاه في الصحيحين وبقية الجماعة من حديث ابي عثمان النهدي واسمه عبد الرحمن بن على عنه بنحوه : وقال الامام احمد حدثنا سليمان بن داود حدثنا شعبة حدثنا قتادة عن أنس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « يقول الله تعالى أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه اذا دعاني » وقال الامام احمد أيضا حدثنا علىّ بن اسحق انبأنا عبد الله انبأنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر حدثنا اسماعيل بن عبيد الله عن كريمة بنت ابن خشخاش المزنية قالت حدثنا ابو هريرة انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « قال الله تعالى) أنا مع عبدي ماذكرني وتحركت بي شفتاه » (قلت) وهذا كقوله تعالى (إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون) وقوله لموسى وهرون

ان بيننا وبين السماء مسيرة خمسمائة عام وان غلظ كل سماء مثل ذلك ، فنزلت هذه الآية . وقال الضحاك : سأل بعض الصحابة النبي صلى الله عليه وسلم ، فقالوا أقريب منا فنناجيه ام بعيد فنناديه ؟ فأنزل الله تعالى (واذا سألك عبادي عني فاني قريب) وفيه اضمار كانه قال : فقل لهم إني قريب منهم بالعلم لا يخفى علي شيء. كما قال (ونحن اقرب اليه من حبل الوريد) اخبرنا عبد الواحد المليحي اخبرنا احمد بن عبد الله النعيمي اخبرنا محمد بن يوسف اخبرنا محمد بن اسماعيل اخبرنا عبد الواحد عن عاصم عن ابي عثمان عن ابي موسى الاشعري قال : لما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر او توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى خيبر اشرف الناس على واد فرفعوا اصواتهم بالتكبير : الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اربعوا على انفسكم انكم لا تدعون

---

(١) قال الذهبي في الميزان انه مجهول وذكر انه روى عن أبيه عن جده هذا الحديث ذكره ابن خيثمة وانه ليس له ذكر في كتب الرجال زاد الحافظ في لسان الميزان انه ليس للصلت ولا لابيه ولا لجده ذكر في كتب الرجال الا ماذكره ابن أبي خيثمة قال ولم يزد في التعريف به على ماهنا اه

عليهما السلام (أنني معكما اسمع وأرى) والمراد من هذا انه تعالى لايخيب دعاء داع ولا يشغله عنه شيء بل هو سميع الدعاء ففيه ترغيب في الدعاء وانه لا يضيع لديه تعالى كما قال الامام احمد حدثنا يزيد حدثنا رجل انه سمع أبا عثمان هو النهدى يحدث عن سلمان يعني الفارسي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « ان الله تعالى ليستحي ان يبسط العبد اليه يديه يسأله فيهما خيرا فيردهما خائبتين » ـ قال يزيد سموا لي هذا الرجل فقالوا : جعفر بن ميمون ـ وقد رواه ابو داود والترمذى وابن ماجه من حديث جعفر بن ميمون صاحب الانماط به : وقال الترمذى حسن غريب ورواه بعضهم ولم يرفعه قال الشيخ الحافظ ابو الحجاج المزى رحمه الله في أطرافه: وتابعه أبوهمام محمد ابن أبي الزبرقان عن سليمان التيمي عن أبي عثمان النهدى به : وقال الامام احمد أيضا حدثنا ابو عامر حدثنا على بن أبي المتوكل الناجي عن أبي سعيد ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « مامن مسلم يدعو لله عز وجل بدعوة ليس فيها اثم ولا قطيعة رحم الا أعطاه الله بها احدى ثلاث خصال اما أن يعجل له دعوته ، واما أن يدخرها له في الاخرى ، وأما أن يصرف عنه من السوء مثلها » قالوا اذا نكثر قال «الله اكثر» وقال عبدالله بن الامام احمد حدثنا اسحق بن منصور الكوسج أنبأنا محمد ابن يوسف حدثنا ابن ثوبان عن أبيه عن مكحول عن جبير بن نفير أن عبادة بن الصامت حدثهم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال «ماعلى ظهر الارض من رجل مسلم يدعو الله عز وجل بدعوة الا آتاه الله اياها أو كف عنه من السوء مثلها مالم يدع باثم أو قطيعة رحم » ورواه الترمذي عن عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي عن محمد بن يوسف الفريابي عن ابن ثوبان وهو عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان به وقال حسن صحيح غريب من هذا الوجه ، وقال الامام مالك عن ابن شهاب عن ابي عبيد مولى ابن ازهر عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « يستجاب لاحدكم مالم يعجل يقول دعوت فلم يستجب لي » أخرجاه في الصحيحين من حديث مالك به وهذا لفظ البخاري رحمه الله وأثابه الجنة وقال مسلم في صحيحه حدثني أبو الطاهر حدثنا ابن وهب أخبرني معاوية بن صالح عن

أصم ولا غائبا انكم تدعون سميعا قريبا وهو معكم» قوله تعالى ﴿ اجيب دعوة الداع اذا دعان ﴾ قرا اهل المدينة غير قالون وابو عمرو باثبات الياء فيهما في الوصل والباقون بحذفها وصلا ووقفا وكذلك اختلاف القراء في اثبات الياآت المحذوفة من الخط وحذفها في التلاوة واثبت يعقوب جميعها وصلا ووقفا ، واتفقوا على اثبات ما هو مثبت في الخط وصلا ووقفا ﴿ فليستجيبوا الي ﴾ قيل الاستجابة بمعنى الاجابة أي فليجيبوا الي بالطاعة، والاجابة في اللغة الطاعة واعطاء ما سئل فالاجابة من الله تعالى العطاء ومن العبد الطاعة . وقيل فليستجيبوا الي اي ليستدعوا مني الاجابة وحقيقته فليطيعوني ﴿ وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون ﴾ لكي يهتدوا . فان قيل فما وجه قوله تعالى (أجيب دعوة الداع) وقوله (ادعوني أستجب لكم) وقد يدعى كثيرا فلا يجيب؟ قلنا اختلفوا في معنى الآيتين قيل معنى الدعاء ههنا الطاعة ، ومعنى الاجابة الثواب . وقيل معنى الآيتين خاص وان

ربيعة بن يزيد عن أبي ادريس الخولاني عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال« لا يزال يستجاب للعبد مالم يدع باثم أو قطيعة رحم مالم يستعجل» قيل يارسول الله وما الاستعجال« قال يقول قد دعوت وقد دعوت فلم أر يستجاب لي فيستحسر عند ذلك ويدع الدعاء »وقال الامام احمد حدثنا عبد الصمد حدثنا أبو هلال عن قتادة عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «لا يزال العبد بخير مالم يستعجل » قالوا وكيف يستعجل قال« يقول قد دعوت ربي فلم يستجب لي »وقال الامام أبو جعفر الطبري في تفسيره حدثني يونس بن عبد الاعلى حدثنا ابن وهب حدثني أبو صخر أن يزيد ابن عبد الله بن قسيط حدثه عن عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها انها قالت مامن عبد مؤمن يدعو الله بدعوة فتذهب حتى تعجل له في الدنيا أو تؤخر له في الآخرة اذا لم يعجل أو يقنط ، قال عروة قلت يا أماه كيف عجلته وقنوطه؟ قالت يقول سألت فلم أعط ودعوت فلم أجب. قال ابن قسيط وسمعت سعيد بن المسيب يقول كقول عائشة سواء :وقال الامام احمد حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثنا بكر بن عمرو عن أبي عبد الرحمن الجيلي عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « القلوب أوعية وبعضها أوعى من بعض فاذا سألتم الله أيها الناس فاسألوه وأنتم موقنون بالاجابة فانه لا يستجيب لعبد دعاه عن ظهر قلب غافل »وقال ابن مردويه حدثنا محمد بن اسحق بن أيوب حدثنا اسحق ابن ابراهيم بن أبي نافع بن معد يكرب ببغداد حدثني ابن أبي نافع بن معد يكرب قال كنت أنا وعائشة سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن آية (أجيب دعوة الداعي اذا دعاني) قال« يارب مسئلة عائشة »فهبط جبريل فقال «الله يقرؤك السلام هذا عبدي الصالح بالنية الصادقة وقلبه نقي يقول يارب فأقول لبيك فأقضي حاجته »وهذا حديث غريب من هذا الوجه . وروي ابن مردويه من حديث الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس حدثني جابر بن عبد الله ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ (واذا سألك عبادي عني فاني قريب أجيب دعوة الداعي اذا دعاني) الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم« اللهم أمرت بالدعاء وتوكلت بالاجابة ، لبيك اللهم لبيك لبيك لاشريك لك لبيك

كان لفظهما عاما تقديرهما (أجيب دعوة الدعي) ان شئت كما قال(فيكشف ما تدعون اليه ان شاء) أو أجيب دعوة الداعي ان وافق القضاء او أجيبه ان كانت الاجابة خيرا له او أجيبه ان لم يسأل محالا أخبرنا عبد الواحد بن احمد المليحي اخبرنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان اخبرنا ابو جعفر محمد ابن احمد بن عبد الجبار الزياني اخبرنا حميد بن زنجويه اخبرنا عبد الله بن صالح حدثني معاوية بن صالح ان ربيعة بن يزيد حدثه عن أبي ادريس عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «يستجيب الله لاحدكم مالم يدع باثم او قطيعة رحم او يستعجل »قالوا وما الاستعجال يارسول الله؟ قال « يقول قد دعوتك يارب قد دعوتك يارب فلا أراك تستجيب لي فيستحسر عند ذلك فيدع الدعاء » وقيل هو عام ومعنى قوله (أجيب) اي أسمع . ويقال ليس في الآية اكثر من استجابة الدعوة « فاما اعطاء المنية فليس بمذكور فيها « وقد يجيب السيد عبده والوالد ولده ثم لا يعطيه سؤله

ان الحمد والنعمة لك والملك لاشريك لك ، أشهد أنك فرد أحد صمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد، وأشهد أن وعدك حق ولقاءك حق، والجنة حق والنار حق والساعة آتية لاريب فيها وأنت تبعث من في القبور » وقال الحافظ أبو بكر البزار وحدثنا الحسن بن يحيى الازدي ومحمد بن يحيى القطعي قالا حدثنا الحجاج بن منهال حدثنا صالح المزى عن الحسن عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « يقول الله تعالى يا ابن آدم واحدة لك وواحدة لي وواحدة فيما بيني وبينك فأما التي لي فتعبدني لاتشرك بي شيئا وأما التي لك فما عملت من شيء أو من عمل وفيتكه وأما الذي بيني وبينك فمنك الدعاء وعلي الاجابة» وفي ذكره تعالى هذه الآية الباعثة على الدعاء متخللة بين أحكام الصيام ارشاد الى الاجتهاد في الدعاء عند اكمال العدة بل وعند كل فطر كما رواه الامام أبو داود الطيالسي في مسنده ، حدثنا أبو محمد المليكي عن عمرو هو ابن شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو عن أبيه عن جده عبد الله بن عمرو قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « للصائم عند افطاره دعوة مستجابة» فكان عبد الله بن عمرو اذا أفطر دعا أهله وولده ودعا ، وقال أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه في سننه حدثنا هشام بن عمار أخبرنا الوليد بن مسلم عن اسحق بن عبد الله المدني عن عبيد الله بن أبي مليكة عن عبد الله بن عمرو قال قال النبي صلى الله عليه وسلم «ان للصائم عند فطره دعوة ماترد» قال عبيد الله بن أبي مليكة سمعت عبد الله بن عمرو يقول اذا أفطر اللهم اني أسألك برحمتك التي وسعت كل شيء أن تغفر لي . وفي مسند الامام احمد وسنن الترمذي والنسائي وابن ماجه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ثلاثة لاترد دعوتهم: الامام العادل والصائم حتى يفطر ودعوة المظلوم يرفعها الله دون الغمام يوم القيامة وتفتح لها أبواب السماء ويقول بعزتي لانصرنك ولو بعدحين »

١٨٦ أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم هن لباس لكم وأنتم لباس لهن، علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم، فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر ثم أتموا الصيام الى الليل، ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد تلك حدود الله فلا تقربوها كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون)

هذه رخصة من الله تعالى للمسلمين ورفع لما كان عليه الامر في ابتداء الاسلام فانه كان اذا

فالاجابة كائنة لا محالة عند حصول الدعوة . وقيل معنى الآية انه يجيب دعاءه فان قدر له ما سأل أعطاه ، وان لم يقدر له ادخر له الثواب في الآخرة او كف عنه به سوءا والدليل عليه ما اخبرنا عبد الواحد المليحي اخبرنا أبو منصور السمعانى اخبرنا ابو جعفر الزياني اخبرنا حميد بن زنجويه اخبرنا محمد بن يوسف اخبرنا ابن ثوبان وهو محمد بن عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان عن أبيه عن مكحول عن جبير بن نفير عن عبادة بن الصامت حدثهم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « ما

أفطر أحدهم انما يحل له الاكل والشرب والجماع الى صلاة العشاء أو ينام قبل ذلك فمتى نام أو صلى العشاء حرم عليه الطعام والشراب والجماع الى الليلة القابلة فوجدوا من ذلك مشقة كبيرة والرفث هنا هو الجماع قاله ابن عباس وعطاء ومجاهد وسعيد بن جبير وطاوس وسالم بن عبد الله وعمرو بن دينار والحسن وقتادة والزهرى والضحاك وابراهيم النخعي والسدي وعطاء الخراساني ومقاتل بن حيان : وقوله (هن لباس لكم وأنتم لباس لهن) قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير والحسن وقتادة والسدى ومقاتل بن حيان يعني هن سكن لكم(١) وأنتم سكن لهن. وقال الربيع بن أنس هن لحاف لكم وأنتم لحاف لهن ، وحاصله ان الرجل والمرأة كل منهما يخالط الآخر ويماسه ويضاجعه فناسب أن يرخص لهم في المجامعة في ليل رمضان لئلا يشق ذلك عليهم ويحرجوا قال الشاعر

اذا ما الضجيع ثني جيدها تداعت فكانت عليه لباسا

وكان السبب في نزول هذه الآية كما تقدم في حديث معاذ الطويل وقال أبو اسحق عن البراء ابن عازب قال : كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم اذا كان الرجل صائما فنام قبل أن يفطر لم يأكل الى مثلها وان قيس بن صرمة الانصاري كان صائما (٢) وكان يومه ذلك يعمل في ارضه فلما حضر الافطار أتى امرأته فقال : هل عندك طعام ؟ قالت : لا ولكن أنطلق فأطلب لك فغلبته عينه فنام وجاءت امرأته فلما رأته نائما قالت : خيبة لك أنمت ؟ فلما انتصف النهار غشي عليه فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية (أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم — وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر)ففرحوا بها فرحا شديدا ولفظ البخاري ههنا من طريق أبي اسحق سمعت البراء قال : لما نزل صوم رمضان كانوا لا يقربون النساء رمضان كله وكان رجال يخونون أنفسهم فأنزل الله (علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم) وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال : كان المسلمون في شهر رمضان اذا صلوا العشاء حرم عليهم النساء والطعام الى مثلها من القابلة ثم ان أناسا من المسلمين أصابوا من النساء والطعام في شهر رمضان بعد العشاء منهم عمر بن الخطاب فشكوا ذلك الى رسول الله صلى الله عليه

(١) هذا تفسير بالمعنى وأما اللفظ واختار الزمخشري ان اللباس مصدر لابس كالملابسة

(٢) اختلف في اسمه لاختلاف الروايات فقيل صرمة بن قيس أو ابن انس وقيل ضمرة بن أنس وذكر هذا في حاشية نسخة الازهر فراجع هذه الأسماء في الاصابة

على الارض رجل مسلم يدعو الله تعالى بدعوة الا آتاه الله إياها او كف عنه من السوء مثلها ما لم يدع باثم او قطيعة رحم» وقيل ان الله تعالى يجيب دعاء المؤمن في الوقت ويؤخر اعطاء من يحبب مراده ليدعوه فيسمع صوته ويعجل اعطاء من لا يحبه لأنه يبغض صوته . وقيل ان للدعاء آدابا وشرائط وهي أسباب الاجابة فمن استكملها كان من أهل الاجابة ، ومن أخل بها فهو من اهل الاعتداء في الدعاء فلا يستحق الاجابة ، قوله تعالى ﴿ أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم ﴾ فالرفث كناية عن الجماع . قال ابن عباس: ان الله حيي كريم يكني: كل ما ذكر في القرآن من المباشرة والملامسة والافضاء والدخول والرفث فانما عني به الجماع . وقال الزجاج : الرفث كلمة جامعة لكل ما يريده الرجال من النساء . قال أهل التفسير كان في ابتداء الامر اذا افطر الرجل حل له الطعام والشراب

وسلم فأنزل الله تعالى(علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن باشروهن) الآية وكذا روى العوفي عن ابن عباس وقال موسى بن عقبة عن كريب عن ابن عباس قال : ان الناس كانوا قبل أن ينزل في الصوم مانزل فيهم يأكلون ويشربون ويحل لهم شأن النساء فاذا نام أحدهم لم يطعم ولم يشرب ولا يأتي أهله حتى يفطر من القابلة فبلغنا أن عمر بن الخطاب بعد ما نام ووجب عليه الصوم وقع على أهله ثم جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أشكو الى الله واليك الذي صنعت قال «وما صنعت» ؟ قال : إني سولت لي نفسي فوقعت على أهلي بعد مانمت وأنا أريد الصوم فزعموا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «ما كنت خليقا أن تفعل» فنزل الكتاب (أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم) وقال سعيد بن أبي عروبة عن قيس بن سعد عن عطاء بن أبي رباح عن أبي هريرة في قول الله تعالى (أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم — الى قوله — ثم أتموا الصيام الى الليل) قال كان المسلمون قبل أن تنزل هذه الآية اذا صلوا العشاء الآخرة حرم عليهم الطعام والشراب والنساء حتى يفطروا وان عمر بن الخطاب أصاب أهله بعد صلاة العشاء وان صرمة بن قيس الانصاري غلبته عيناه بعد صلاة المغرب فنام ولم يشبع من الطعام ولم يستيقظ حتى صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العشاء فقام فأكل وشرب فلما أصبح أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك فأنزل الله عند ذلك (احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم) يعنى بالرفث مجامعة النساء(١) (هن لباس لكم وانتم لباس لهن علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم) يعني تجامعون النساء وتأكلون وتشربون بعد العشاء (فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن باشروهن) يعني جامعوهن (وابتغوا ما كتب الله لكم) يعني الولد (وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر ثم اتموا الصيام الى الليل) فكان ذلك عفوا من الله ورحمة، وقال هشام عن حصين بن عبد الرحمن عن عبد الرحمن بن ابي ليلى قال قام عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال يارسول الله اني اردت اهلي البارحة على ما يريد الرجل اهله فقالت انها قد نامت فظننتها تعتل فواقعتها فنزل في عمر (احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم) وهكذا رواه شعبة عن عمرو بن مرة عن ابن ابي ليلى

(١) الرفث في الاصل مايكون بين الزوجين من حدث ونحوه في شأنه ضمن معنى الإفضاء الى النساء أوكنى به عنه

والجماع الى ان يصلي العشاء الآخرة او يرقد قبلها ، فاذا صلى العشاء او رقد قبلها حرم عليه الطعام والنساء الى الليلة القابلة . ثم ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه واقع أهله بعد ما صلى العشاء فلما اغتسل أخذ يبكي ويلوم نفسه ، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله إني أعتذر الى الله واليك من نفسي هـذه الخاطئة ، إني رجعت الى أهلي بعد ما صليت العشاء فوجدت رائحة طيبة فسوّلت لي نفسي فجامعت أهلي . فقال النبي صلى الله عليه وسلم « ما كنت جديرا بذلك ياعمر » فقام رجال واعترفوا بمثله فنزل في عمر وأصحابه (أحل لكم ليلة الصيام) اي أبيح لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم ﴿ هن لباس لكم ﴾ اي سكن لكم ﴿ وأنتم لباس لهن ﴾ اي سكن لهن دليله قوله تعالى (وجعل منها زوجها ليسكن اليها) وقيل لا يسكن شيء الى شيء كسكون احد الزوجين

به وقال ابو جعفر بن جرير حدثني المثني حدثنا سويد اخبرنا ابن المبارك عن ابن لهيعة حدثني موسى ابن جبير مولى بني سلمة انه سمع عبد الله بن كعب بن مالك يحدث عن ابيه قال: كان الناس في رمضان اذا صام الرجل فأمسى فنام حرم عليه الطعام والشراب والنساء حتى يفطر من الغد فرجع عمر بن الخطاب من عند النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة وقد سمر عنده فوجد امرأته قد نامت فأرادها فقالت إني قد نمت فقال ما نمت ثم وقع بها وصنع كعب بن مالك مثل ذلك فغدا عمر بن الخطاب الى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فأنزل الله (علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن باشروهن) الاية وهكذا روي عن مجاهد وعطاء وعكرمة وقتادة وغيرهم في سبب نزول هذه الاية في عمر بن الخطاب ومن صنع كما صنع وفي صرمة بن قيس فأباح الجماع والطعام والشراب في جميع الليل رحمة ورخصة ورفقا

وقوله (وابتغوا ما كتب الله لكم) قال ابو هريرة وابن عباس وانس وشريح القاضي ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وعطاء والربيع بن انس والسدي وزيد بن اسلم والحكم بن عتبة ومقاتل ابن حيان والحسن البصري والضحاك وقتادة وغيرهم يعني الولد وقال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم: (وابتغوا ما كتب الله لكم) يعني الجماع وقال عمرو بن مالك البكري عن ابي الجوزاء عن ابن عباس (وابتغوا ما كتب الله لكم) قال ليلة القدر. رواه ابن أبي حاتم وابن جرير. وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر قال قال قتادة ابتغوا الرخصة التي كتب الله لكم يقول ما أحل الله لكم: وقال عبد الرزاق أيضا أخبرنا ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن عطاء بن أبي رباح قال قلت لابن عباس كيف تقرأ هذه الاية (وابتغوا ما كتب الله لكم) قال أيتهما شئت عليك بالقراءة الاولى ، واختار ابن جرير ان الاية أعم من هذا كله

وقوله (وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر ثم أتموا الصيام الى الليل) أباح تعالى الاكل والشرب مع ما تقدم من إباحة الجماع في أي الليل شاء الصائم الى أن يتبين ضياء الصباح من سواد الليل وعبر عن ذلك بالخيط الابيض من الخيط الاسود

الى الآخر، وقيل سمي كل واحد من الزوجين لباسا لتجردهما عند النوم واجتماعهما في ثوب واحد حتى يصير كل واحد منهما لصاحبه كالثوب الذي يلبسه . وقال الربيع بن أنس: هن فراش لكم وأنتم لحاف لهن . قال ابو عبيدة وغيره: يقال المرأة هي لباسك وفراشك وازارك: وقيل اللباس اسم لما يواري الشيء فيجوز ان يكون كل واحد منهما سترا لصاحبه عما لا يحل كما جاء في الحديث «من تزوج فقد أحرز ثلثي دينه» ﴿ علم الله انكم كنتم تختانون أنفسكم ﴾ اي تخونونها وتظلمونها بالمجامعة بعد العشاء . قال البراء: لما نزل صوم رمضان كانوا لا يقربون النساء رمضان كله . وكان رجال يخونون انفسهم ، فأنزل الله تعالى (علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم) ﴿ فتاب عليكم ﴾ تجاوز عنكم ﴿ وعفا عنكم ﴾ محا ذنوبكم ﴿ فالآن باشروهن ﴾ جامعوهن حلالا ، سميت المجامعة

ورفع اللبس بقوله من الفجر كما جاء في الحديث الذي رواه الامام ابو عبد الله البخاري حدثنا ابن أبي مريم حدثنا ابو غسان محمد بن مطرف حدثنا ابو حازم عن سهل بن سعد قال أنزلت (وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود) ولم ينزل (من الفجر)(١) وكان رجال اذا أرادوا الصوم ربط أحدهم في رجليه الخيط الابيض والخيط الاسود فلا يزال يأكل حتى يتبين له رؤيتهما فأنزل الله بعد (من الفجر)فعلموا انما يعني الليل والنهار . وقال الامام احمد حدثنا هشام اخبرنا حصين عن الشعبي أخبرني عدى بن حاتم قال لما نزلت هذه الاية (وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود) عمدت الى عقالين احدهما اسود والاخر ابيض قال فجعلتهما تحت وسادتى ، قال فجعلت انظر اليهما فلما تبين لي الابيض من الاسود امسكت فلما اصبحت غدوت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته بالذي صنعت فقال «ان وسادك اذاً لعريض انما ذلك بياض النهار من سواد الليل» اخرجاه في الصحيحين من غير وجه عن عدي . ومعنى قوله ان وسادك اذاً لعريض اي ان كان ليسع الخيطين الخيط الاسود والابيض المراد(٢) من هذه الآية تحتها فانهما بياض النهار وسواد الليل فيقتضي أن يكون بعرض المشرق والمغرب . وهكذا وقع في رواية البخاري مفسرا بهذا حدثنا موسى بن اسماعيل حدثنا أبو عوانة عن حصين عن الشعبي عن عدي قال أخذ عدي عقالا أبيض وعقالا اسود حتى كان بعض الليل نظر فلم يستبينا فلما أصبح قال يارسول الله جعلت تحت وسادتي قال «ان وسادك اذاً لعريض إن كان الخيط الابيض والاسود تحت وسادتك» وجاء في بعض الالفاظ انك لعريض القفا ففسره بعضهم بالبلادة وهو ضعيف بل يرجع الى هذا لانه اذا كان وساده عريضا فقفاه أيضا عريض والله أعلم . ويفسره رواية البخاري أيضا حدثنا قتيبة حدثنا جرير عن مطرف عن الشعبي عن عدي بن حاتم قال : قلت يارسول الله ما الخيط الابيض من الخيط الاسود أهما الخيطان؟ قال «انك لعريض القفا ان أبصرت الخيطين ثم قال لا بل هو سواد الليل وبياض النهار»

وفي اباحته تعالى جواز الاكل الى طلوع الفجر دليل على استحباب السحور لانه من باب الرخصة

(١) قال القسطلاني : وذكر في الفتح والتنقيح والمصابيح ان حديث عدي يقتضي نزول قوله تعالى (من الفجر) متصلا بقوله (من الخيط الاسود) وحديث سهل ابن سعد صريح في أنه لم ينزل الا منفصلا الخ وهذا هو المتبادر . ولعل حديث سهل روي بالمعنى لان ظاهره مشكل في نظم القرآن

(٢) وفي نسخة الازهر ان كان يسع لوضع الخيط الاسود والخيط الابيض المرادين الخ

مباشرة للملاصقة بشرة كل واحد منهم صاحبه ﴿ وابتغوا ما كتب الله لكم ﴾ اي فاطلبوا ما قضى الله لكم . وقيل ما كتب الله لكم في اللوح المحفوظ يعني الولد . قاله اكثر المفسرين . قال مجاهد : ابتغوا الولد ان لم تلد هذه فهذه وقال قتادة : وابتغوا الرخصة التي كتب الله لكم باباحة الاكل والشرب والجماع في اللوح المحفوظ . وقال معاذ بن جبل : وابتغوا ما كتب الله لكم يعني ليلة القدر قوله ﴿ وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض ﴾ نزلت في رجل من الانصار اسمه ابو صرمة ابن قيس بن صرمة . وقال عكرمة ابو قيس بن صرمة وقال الكلبي ابو قيس صرمة ، وذلك انه ظل نهاره يعمل في ارض له وهو صائم ، فلما أمسى رجع الى أهله بتمر . وقال لاهله قدمي الطعام فأرادت المرأة ان تطعمه شيئا سخينا فأخذت تعمل له سخينة . وكان في الابتداء من صلى العشاء ونام

والاخذ بها محبوب ولهذا وردت السنة الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحث على السحور ففي الصحيحين عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «تسحروا فان في السحور بركة» وفي صحيح مسلم عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ان فصل مابين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السحور» وقال الامام احمد حدثنا اسحق بن عيسى هو ابن الطباع حدثنا عبد الرحمن بن زيد عن أبيه عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «السحور أكلة بركة فلا تدعوه ولو أن أحدكم تجرع جرعة من ماء فان الله وملائكته يصلون على المتسحرين» وقد ورد في الترغيب في السحور أحاديث كثيرة حتى ولو بجرعة من ماء تشبها بالآكلين ويستحب تأخيره الى وقت انفجار الفجر كما جاء في الصحيحين عن أنس بن مالك عن زيد بن ثابت ، قال تسحرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قمنا الى الصلاة قال أنس قلت لزيد كم كان بين الاذان والسحور؟ قال قدر خمسين آية : وقال الامام احمد حدثنا موسى بن داود حدثنا ابن لهيعة عن سالم بن غيلان عن سليمان ابن أبي عثمان عن عدي بن حاتم الحمصي عن أبي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا تزال أمتي بخير ما عجلوا الافطار وأخروا السحور» وقد ورد أحاديث كثيرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سماه الغذاء المبارك وفي الحديث الذي رواه الامام احمد والنسائي وابن ماجه من رواية حماد بن سلمة عن عاصم بن بهدلة عن زيد بن حبيش عن حذيفة قال تسحرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان النهار الا أن الشمس لم تطلع وهو حديث. تفرد به عاصم بن أبي النجود قاله النسائي وحمله على أن المراد قرب النهار كما قال تعالى (فاذا بلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف) أي قاربن انقضاء العدة فاما إمساك بمعروف أو ترك للفراق وهذا الذي قاله هو المتعين حمل الحديث عليه أنهم تسحروا ولم يتيقنوا طلوع الفجر حتى أن بعضهم ظن طلوعه وبعضهم لم يتحقق ذلك وقد روي عن طائفة كثيرة من السلف أنهم تسامحوا في السحور عند مقاربة الفجر روى مثل هذا عن أبي بكر وعمر وعلي وابن مسعود وحذيفة وأبي هريرة وابن عمر وابن عباس وزيد بن ثابت وعن طائفة كثيرة من التابعين منهم محمد ابن علي بن الحسين وأبو مجلز وابراهيم النخعي وأبو الضحى وأبو وائل وغيره من أصحاب ابن مسعود

حرم عليه الطعام والشراب . فلما فرغت من طعامه اذ هو به قد نام وكان قد أعيا وكل فأيقظته فكره ان يعصي الله ورسوله فأبى ان يأكل فأصبح صائما مجهودا فلم ينتصف النهار حتى غشي عليه فلما أفاق أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له يا أبا قيس مالك أصبحت طليحا : فذكر له حاله فاغتم لذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله عز وجل (وكلوا واشربوا) يعني في ليالي الصوم (حتى يتبين لكم الخيط الابيض ﴿ من الخيط الاسود ﴾ يعني بياض النهار من سواد الليل ، سميا خيطين لان كل واحد منهما يبدو في الابتداء ممتدا كالخيط اخبرنا عبد الواحد بن احمد المليحي اخبرنا احمد بن عبد الله النعيمي اخبرنا محمد بن يوسف اخبرنا محمد بن اسماعيل اخبرنا سعيد بن أبي مريم اخبرنا أبو غسان محمد بن مطرف ثنا ابو حازم عن

وعطاء والحسن والحاكم بن عيينة ومجاهد وعروة بن الزبير وأبو الشعثاء جابر بن زيد واليه ذهب الاعمش وجابر بن راشد وقد حررنا أسانيد ذلك في كتاب الصيام المفرد ولله الحمد وحكى أبو جعفر ابن جرير في تفسيره عن بعضهم أنه انما يجب الامساك من طلوع الشمس كما يجوز الافطار بغروبها (قلت) وهذا القول ما أظن أحداً من أهل العلم يستقر له قدم عليه لمخالفته نص القرآن في قوله (وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر ثم أتموا الصيام الى الليل) وقد ورد في الصحيحين من حديث القاسم عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « لا يمنعنكم أذان بلال عن سحوركم فانه ينادي بليل فكلوا واشربوا حتى تسمعوا أذان ابن أم مكتوم فانه لا يؤذن حتى يطلع الفجر » لفظ البخارى وقال الامام احمد حدثنا موسى بن داود حدثنا محمد ابن جابر عن قيس بن طلق عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ليس الفجر المستطيل في الافق ولكنه المعترض الاحمر » ورواه الترمذي ولفظهما « كلوا واشربوا ولا يهيدنكم الساطع المصعد فكلوا واشربوا حتى يعترض لكم الاحمر » وقال ابن جرير حدثنا محمد بن المثني حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا شعبة عن شيخ من بني قشير سمعت سمرة بن جندب يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يغرنكم نداء بلال وهذا البياض حتى ينفجر الفجر أو يطلع الفجر » ثم رواه من حديث شعبة وغيره عن سواد بن حنظلة عن سمرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يمنعنكم من سحوركم أذان بلال ولا الفجر المستطيل ولكن الفجر المستطير في الافق » قال وحدثني يعقوب بن ابراهيم بن علية عن عبد الله بن سودة القشيري عن أبيه عن سمرة بن جندب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يغرنكم أذان بلال ولا هذا البياض لعمود الصبح حتى يستطير » ورواه مسلم في صحيحه عن زهير بن حرب عن اسماعيل بن ابراهيم هو ابن علية مثله سواء وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا ابن المبارك عن سليمان التيمي عن أبي عثمان النهدي عن ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يمنعن أحدكم أذان بلال عن سحوره أو قال نداء بلال فان بلالا يؤذن بليل أو قال ينادي لينبه نائمكم وليرجع قائمكم وليس الفجر

سهل بن سعد قال : أنزلت (وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود) ولم ينزل قوله (من الفجر) فكان رجال اذا أرادوا الصوم ربط احدهم في رجله الخيط الابيض والخيط الاسود ولا يزال يأكل ويشرب حتى يتبين له رؤيتهما فأنزل الله تعالى بعده (من الفجر) فعلموا انما يعني بهما الليل والنهار ، اخبرنا عبد الواحد المليحي اخبرنا احمد بن عبد الله النعيمي اخبرنا محمد بن يوسف اخبرنا محمد بن اسماعيل اخبرنا الحجاج بن منهال اخبرنا هشيم اخبرنا حصين بن عبد الرحمن عن الشعبي عن عدي بن حاتم قال : لما نزلت (حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود) عمدت الى عقال اسود والى عقال أبيض فجعلتهما تحت وسادتي فجعلت انظر اليهما والى الليل فلا يستبين لي فغدوت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم « فذكرت ذلك له فقال

أن يقول هكذا وهكذا حتى يقول هكذا» ورواه من وجه آخر عن التيمي به وحدثني الحسن بن الزبرقان النخعي حدثنا أبو أسامة عن محمد بن أبي ذئب عن الحرث بن عبد الرحمن عن محمد بن عبد الرحمن بن ثوبان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « الفجر فجران فالذي كأنه ذنب السرحان لا يحرم شيئاً وانما هو المستطير الذي يأخذ الافق فانه يحل الصلاة ويحرم الطعام» وهذا مرسل جيد وقال عبد الرزاق أخبرنا ابن جريج عن عطاء سمعت ابن عباس يقول: هما فجران فأما الذي يسطع في السماء فليس يحل ولا يحرم شيئاً ولكن الفجر الذي يستنير على رؤس الجبال هو الذي يحرم الشراب وقال عطاء فأما اذا سطع سطوعا في السماء وسطوعه أن يذهب في السماء طولا فانه لا يحرم به شراب للصائم ولا صلاة ولا يفوت به الحج ولكن اذا انتشر على رؤس الجبال حرم الشراب للصيام وفات الحج. وهذا اسناد صحيح الى ابن عباس وعطاء وهكذا روى عن غير واحد من السلف رحمهم الله

(مسئلة) ومن جعله تعالى الفجر غاية لاباحة الجماع والطعام والشراب لمن أراد الصيام يستدل على أنه من أصبح جنبًا فليغتسل وليتم صومه ولا حرج عليه وهذا مذهب الائمة الاربعة وجمهور العلماء سلفا وخلفا لما رواه البخاري ومسلم من حديث عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما أنهما قالتا: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصبح جنبا من جماع غير احتلام ثم يغتسل ويصوم وفي حديث أم سلمة عندهما ثم لا يفطر ولا يقضي. وفي صحيح مسلم عن عائشة أن رجلا قال يارسول الله تدركني الصلاة وأنا جنب فأصوم؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « وأنا تدركني الصلاة وأنا جنب فأصوم » فقال لست مثلنا يارسول الله قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال « والله إني لارجو أن أكون أخشاكم لله وأعلمكم بما اتقى » فأما الحديث الذي رواه الامام احمد حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن همام عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: « اذا نودي للصلاة صلاة الصبح وأحدكم جنب فلا يصم يومئذ » فانه حديث جيد الاسناد على شرط الشيخين كما ترى وهو في الصحيحين عن أبي هريرة عن الفضل بن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم وفي

انما ذلك سواد الليل وبياض النهار» اخبرنا أبو الحسن السرخسي اخبرنا زاهر بن احمد اخبرنا أبو اسحق الهاشمي اخبرنا أبو مصعب عن مالك عن ابن الشهاب عن سالم بن عبد الله بن عمرو عن أبيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ان بلالا ينادي بليل فكلوا واشربوا حتى ينادي ابن ام مكتوم » قال وكان ابن أم مكتوم رجلا أعمى لا ينادي حتى يقال له أصبحت أصبحت » وعلم ان الفجر فجران كاذب وصادق » فالكاذب يطلع أولا مستطيلا كذنب السرحان يصعد الى السماء فبطلوعه لا يخرج الليل ولا يحرم الطعام والشراب على الصائم ثم يغيب فيطلع بعده الفجر الصادق مستطيرا ينتشر سريعا في الافق فبطلوعه يدخل النهار ويحرم الطعام والشراب على الصائم . أخبر أبو عثمان سعيد بن اسماعيل الضبي اخبرنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد الجراحي اخبرنا أبو العباس المحبوبي اخبرنا ابو عيسى الترمذي اخبرنا هناد بن يوسف بن عيسى قال: أخبرنا وكيع عن أبي

سنن النسائي عنه عن أسامة بن زيد والفضل بن عباس ولم يرفعه فمن العلماء من علل هذا الحديث بهذا ومنهم من ذهب اليه ويحكى هذا عن أبي هريرة وسالم وعطاء وهشام بن عروة والحسن البصرى ومنهم من ذهب الى التفرقة بين أن يصبح جنبا نائما فلا عليه لحديث عائشة وأم سلمة أو مختاراً فلا صوم له لحديث أبي هريرة يحكى هذا عن عروة وطاوس والحسن، ومنهم من فرق بين الفرض فيتم فيقضيه وأما النفل فلا يضره رواه الثورى عن منصور عن ابراهيم النخعي وهو رواية عن الحسن البصرى أيضا، ومنهم من ادعى نسخ حديث أبي هريرة بحديثي عائشة وأم سلمة ولكن لا تاريخ معه وادعى ابن حزم أنه منسوخ بهذه الآية وهو بعيد أيضا إذ لا تاريخ بل الظاهر من التاريخ خلافه ومنهم من حمل حديث أبي هريرة على نفي الكمال فلا صوم له لحديث عائشة وأم سلمة الدالين على الجواز وهذا المسلك اقرب الاقوال واجمعها والله اعلم

وقوله (ثم اتموا الصيام الى الليل) يقتضي الافطار عند غروب الشمس حكما شرعيا كما جاء في الصحيحين عن امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «اذا أقبل الليل من ههنا وادبر النهار من ههنا فقد افطر الصائم » وعن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر » اخرجاه وقال الامام احمد : حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا الاوزاعي حدثني قرة بن عبد الرحمن عن الزهرى عن ابي سلمة عن ابى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل « إن احب عبادى الي اعجلهم فطراً » ورواه الترمذى من غير وجه عن الاوزاعي به وقال هذا حديث حسن غريب وقال احمد ايضا حدثنا عفان حدثنا عبيد الله بن اياد سمعت اياد بن لقيط سمعت ليلى امرأة بشير بن الخصاصية قالت اردت ان اصوم يومين مواصلة فمنعني بشير وقال : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عنه وقال « يفعل ذلك النصارى ولكن صوموا كما امركم الله (ثم اتموا الصيام الى الليل) فاذا كان الليل فأفطروا » ولهذا ورد في الاحاديث الصحيحة النهي عن الوصال وهو ان يصل يوما

هلال عن سواد ابن حنظلة عن سمرة بن جندب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا يمنعكم من سحوركم أذان بلال ولا الفجر المستطيل ولكن الفجر المستطير في الافق» قوله تعالى ﴿ ثم أتموا الصيام الى الليل ﴾ فالصائم يحرم عليه الطعام والشراب بطلوع الفجر الصادق ويمتد الى غروب شمس واذا غربت حصل الفطر اخبرنا عبد الواحد بن احمد المليحي اخبرنا احمد بن عبد الله النعيمي اخبرنا محمد بن يوسف اخبرنا محمد بن اسماعيل اخبرنا الحميدي اخبرنا سفيان الثوري أخبرنا هشام بن عروة قال : سمعت أبي يقول سمعت عاصم بن عمر بن الخطاب عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اذا اقبل الليل من ههنا وادبر النهار من ههنا وغربت الشمس فقد افطر الصائم »قوله تعالى ﴿ ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد ﴾ العكوف هو الاقامة على الشيء والاعتكاف في الشرع هو الاقامة في المسجد على عبادة الله وهو سنة ولا يجوز في غير المسجد

بيوم آخر ولا يأكل بينهما شيئا قال الامام احمد: حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهري عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا تواصلوا» قالوا: يا رسول الله إنك تواصل قال «فاني لست مثلكم إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني» قال فلم ينتهوا عن الوصال فواصل بهم النبي صلى الله عليه وسلم يومين وليلتين ثم رأوا الهلال فقال «لو تأخر الهلال لزدتكم» كالمنكل لهم وأخرجاه في الصحيحين من حديث الزهري به وكذلك أخرجا النهي عن الوصال من حديث أنس وابن عمر، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الوصال رحمة لهم فقالوا إنك تواصل قال «إني لست كهيئتكم اني يطعمني ربي ويسقين» فقد ثبت النهي عنه من غير وجه وثبت أنه من خصائص النبي صلى الله عليه وسلم وانه كان يقوى على ذلك ويعان والاظهر أن ذلك الطعام والشراب في حقه انما كان معنويا لا حسيا وإلا فلا يكون مواصلا مع الحسي ولكن كما قال الشاعر:

لها احاديث من ذكراك تشغلها عن الشراب وتلهيها عن الزاد

وأما من أحب أن يمسك بعد غروب الشمس الى وقت السحر فله ذلك كما في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا تواصلوا فأيكم أراد أن يواصل فليواصل الى السحر» قالوا: فانك تواصل يا رسول الله قال «إني لست كهيئتكم إني أبيت لي مطعم يطعمني وساق يسقيني» أخرجاه في الصحيحين أيضا وقال ابن جرير: حدثنا أبو كريب حدثنا أبو نعيم حدثنا أبو اسرائيل العبسي عن أبي بكر بن حفص عن أم ولد حاطب بن أبي بلتعة أنها مرت برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتسحر فدعاها الى الطعام فقالت إني صائمة قال وكيف تصومين؟ فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال «أين أنت من وصال آل محمد من السحر الى السحر» وقال الامام احمد: حدثنا عبد الرزاق حدثنا اسرائيل عن عبد الاعلى عن محمد بن علي عن علي أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يواصل من السحر الى السحر وقد روى ابن جرير عن عبدالله بن الزبير وغيره من السلف أنهم كانوا يواصلون الايام المتعددة وحمله منهم على أنهم كانوا يفعلون ذلك رياضة لانفسهم لا أنهم كانوا يفعلونه عبادة والله أعلم. ويحتمل أنهم كانوا يفهمون من النهي

ويجوز في جميع المساجد. اخبرنا عبد الواحد المليحي اخبرنا أحمد بن عبدالله النعيمي اخبرنا محمد بن يوسف اخبرنا محمد بن اسماعيل اخبرنا عبد الله بن يوسف اخبرنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم، ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يعتكف العشر الاواخر من رمضان حتى توفاه الله تعالى، ثم اعتكفت أزواجه من بعده. والآية نزلت في نفر من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يعتكفون في المسجد فاذا عرضت للرجل منهم الحاجة الى أهله خرج اليها فجامعها ثم اغتسل فرجع الى المسجد فنهوا عن ذلك ليلا ونهارا حتى يفرغوا من اعتكافهم، فالجماع حرام في حال الاعتكاف ويفسد به الاعتكاف، اما ما دون

انه ارشادي من باب الشفقة كما جاء في حديث عائشة رحمة لهم فكان ابن الزبير وابنه عامر ومن سلك سبيلهم يتجشمون ذلك ويفعلونه لانهم كانوا يجدون قوة عليه وقد ذكر عنهم انهم كانوا أول مايفطرون على السمن والصبر لئلا تتخرق الامعاء بالطعام أولا . وقد روي عن ابن الزبير انه كان يواصل سبعة أيام ويصبح في اليوم السابع أقواهم وأجلدهم . وقال أبو العالية انما فرض الله الصيام بالنهار فاذا جاء بالليل فمن شاء أكل ومن شاء لم يأكل

وقوله تعالى (ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس هذا في الرجل يعتكف في المسجد في رمضان أو في غير رمضان فحرم الله عليه ان ينكح النساء ليلا أو نهارا حتى يقضي اعتكافه . وقال الضحاك كان الرجل اذا اعتكف فخرج من المسجد جامع ان شاء فقال الله تعالى (ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد) أي لاتقربوهن مادمتم عاكفين في المسجد ولا في غيره . وكذا قال مجاهد وقتادة وغير واحد انهم كانوا يفعلون ذلك حتى نزلت هذه الآية قال ابن أبي حاتم روي عن ابن مسعود ومحمد بن كعب ومجاهد وعطاء والحسن وقتادة والضحاك والسدي والربيع بن أنس ومقاتل : قالوا لايقربها وهو معتكف وهذا الذي حكاه عن هؤلاء هو الامر المتفق عليه عند العلماء أن المعتكف يحرم عليه النساء مادام معتكفا في مسجده ولو ذهب الى منزله لحاجة لابد له منها فلا يحل له ان يثبت فيه الا بمقدار مايفرغ من حاجته تلك من قضاء الغائط أوالاكل وليس له ان يقبل امرأته ولا ان يضمها اليه ولا يشتغل بشيء سوى اعتكافه ولا يعود المريض لكن يسأل عنه وهو مارّ في طريقه وللاعتكاف أحكام مفصلة في بابه منها ماهو مجمع عليه بين العلماء ومنها ماهو مختلف فيه . وقد ذكرنا قطعة صالحة من ذلك في آخر كتاب الصيام ولله الحمد والمنة ولهذا كان الفقهاء المصنفون يتبعون كتاب الصيام بكتاب الاعتكاف اقتداء بالقرآن العظيم فانه نبه على ذكر الاعتكاف بعد ذكر الصوم . وفي ذكره تعالى الاعتكاف بعد الصيام ارشاد وتنبيه على الاعتكاف في الصيام أو في آخر شهر الصيام كما ثبتت السنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يعتكف العشر الاواخر من شهر رمضان حتى توفاه الله عز وجل ثم اعتكف أزواجه

الجماع من المباشرات كالقبلة واللمس بالشهوة فمكروه ولا يفسد به الاعتكاف عند اكثر أهل العلم وهو أظهر قولي الشافعي كما لا يبطل به الحج وقالت طائفة يبطل بها اعتكافه وهو قول مالك . وقيل ان أنزل بطل اعتكافه وان لم ينزل فلا كالصوم . وأما اللمس الذي لا يقصد به التلذذ فلا يفسد به الاعتكاف لما أخبرنا أبوالحسن السرخسي اخبرنا زاهر بن أحمد اخبرنا أبو اسحق الهاشمي اخبرنا أبو مصعب عن مالك عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عمرة بنت عبد الرحمن عن عائشة رضي الله عنها انها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اعتكف أدنى اليّ رأسه فارجله وكان لا يدخل البيت إلا لحاجة الانسان قوله تعالى (تلك حدود الله) يعني تلك الاحكام التي ذكرها في الصيام والاعتكاف حدود الله أي ما منع الله عنها . قال السدي : شروط الله

من بعده أخرجاه من حديث عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها وفي الصحيحين ان صفية بنت حيي كانت تزور النبي صلى الله عليه وسلم وهو معتكف في المسجد فتحدثت عنده ساعة ثم قامت لترجع الى منزلها وكان ذلك ليلا فقام النبي صلى الله عليه وسلم ليمشي معها حتى تبلغ دارها وكان منزلها في دار أسامة بن زيد في جانب المدينة فلما كان ببعض الطريق لقيه رجلان من الانصار فلما رأيا النبي صلى الله عليه وسلم أسرعا وفي رواية تواريا أي حياء من النبي صلى الله عليه وسلم لكون معه أهله فقال لهما صلى الله عليه وسلم «على رسلكما انها صفية بنت حيي» أي لا تسرعا واعلما انها صفية بنت حيي أى زوجتي فقالا سبحان الله يارسول الله فقال صلى الله عليه وسلم «ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم واني خشيت ان يقذف في قلوبكما شيئا او قال شرا» قال الشافعي رحمه الله أراد عليه السلام ان يعلم أمته التبري من التهمة في محلها لئلا يقعا في محذور وهما كانا أتقى لله من ان يظنا بالنبي صلى الله عليه وسلم شيئا والله أعلم. ثم المراد بالمباشرة انما هو الجماع ودواعيه من تقبيل ومعانقة ونحو ذلك فأما معاطاة الشيء ونحوه فلا بأس به فقد ثبت في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها انها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدني الي رأسه فارجله وأنا حائض وكان لا يدخل البيت الا لحاجة الانسان قالت عائشة ولقد كان المريض يكون في البيت فما أسأل عنه الا وأنا مارة

وقوله (تلك حدود الله) أى هذا الذي بيناه وفرضناه وحددناه من الصيام وأحكامه وما أبحنا فيه وما حرمنا وذكرنا غاياته ورخصه وعزائمه حدود الله اي شرعها الله وبينها بنفسه فلا تقربوها اي لا تجاوزوها وتتعدوها وكان الضحاك ومقاتل يقولان في قوله (تلك حدود الله) اى المباشرة في الاعتكاف ، وقال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم يعني هذه الحدود الاربعة ويقرأ (أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم- حتى بلغ- ثم اتموا الصيام الى الليل) قال وكان ابي وغيره من مشيختنا يقولون هذا ويتلونه علينا (كذلك يبين الله آياته للناس) اى كما بين الصيام واحكامه وشرائعه وتفاصيله كذلك يبين سائر الاحكام على لسان عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم (للناس لعلهم يتقون) أي يعرفون كيف يهتدون وكيف يطيعون كما قال تعالى (هو الذي ينزل على عبده آيات بينات ليخرجكم من الظلمات الى النور وإن الله بكم لرؤف رحيم)

---

(١٨٦) ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الي الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالاثم وأنتم تعلمون *

وقال شهر بن حوشب : فرائض الله . وأصل الحد في اللغة المنع . ومنه يقال للبوّاب حداد لانه يمنع الناس من الدخول ، وحدود الله ما يمنع الناس من مخالفتها ﴿فلا تقربوها﴾ فلا تأتوها ﴿كذلك﴾ هكذا ﴿يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون﴾ لكي يتقوها فينجوا من العذاب

قوله تعالى ﴿ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل﴾ قيل نزلت هذه الآية في امرىء القيس بن عابس الكندي

قال علي بن أبي طلحة وعن ابن عباس هذا في الرجل يكون عليه مال وليس عليه فيه بينة فيجحد المال ويخاصم الى الحكام وهو يعرف أن الحق عليه وهو يعلم أنه آثم آكل الحرام وكذا روي عن مجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة ومجاهد والحسن وقتادة والسدى ومقاتل بن حيان وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم أنهم قالوا: لا تخاصم وأنت تعلم أنك ظالم وقد ورد في الصحيحين عن أم سلمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا إنما أنا بشر وإنما يأتيني الخصم فلعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي له فمن قضيت له بحق مسلم فانما هي قطعة من نار فليحملها أو ليذرها» فدلت هذه الآية الكريمة وهذا الحديث على أن حكم الحاكم لا يغير الشيء في نفس الامر فلا يحل في نفس الامر حراما هو حرام ولا يحرم حلالا هو حلال(١) وإنما هو ملزم في الظاهر فان طابق في نفس الامر فذاك وإلا فللحاكم أجره وعلى المحتال وزره ولهذا قال تعالى (ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالاثم وانتم تعلمون) أي تعلمون بطلان ما تدعونه وتروجونه في كلامكم قال قتادة: إعلم يا ابن آدم أن قضاء القاضي لا يحل لك حراما ولا يحق لك باطلا وانما يقضي القاضي بنحو ما يرى وتشهد به الشهود

(١) هذه عبارة نسخة الازهر. وفي المطبوعة فلا يحل في نفس الامر حراما هو حلال ولا يحرم باطلا هو حلال. اه وهو خطا ظاهر

ادعى عليه ربيعة بن عبدان الحضرمي عند رسول الله صلى الله عليه وسلم أرضا فقال النبي صلى الله عليه وسلم للحضرمي «ألك بينة؟» قال لا قال «فلك يمينه» فانطلق ليحلف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «اما ان حلف على ماله ليأكله ظلما ليلقين الله وهو عنه معرض» فأنزل الله هذه الآية (ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل) أي لا يأكل بعضكم مال بعض بالباطل أي من غير الوجه الذي أباحه الله وأصل الباطل الشيء الذاهب والاكل بالباطل أنواع قد يكون بطريق الغصب والنهب. وقد يكون بطريق اللهو كالقمار وأجرة المغني وغيرهما وقد يكون بطريق الرشوة والخيانة (وتدلوا بها الى الحكام) أي تلقوا أمور تلك الاموال بينكم وبين أربابها الى الحكام وأصل الادلاء ارسال الدلو وإلقاؤه في البئر يقال أدلى دلوه اذا ارسله ودلاه يدلوه اذا اخرجه قال ابن عباس هذا في الرجل يكون عليه مال وليس عليه بينة فيجحد المال ويخاصم فيه الى الحاكم وهو يعرف ان الحق عليه وانه آثم بمنعه قال مجاهد في هذه الاية لا تخاصم وأنت ظالم قال الكلبي هو ان يقيم شهادة الزور: وقوله وتدلوا في محل الجزم بتكرير حرف النهي معناه ولا تدلوا بها الى الحكام وقيل معناه ولا تأكلوا بالباطل وتنسبونه الى الحكام قال قتادة لا تدل بمال أخيك الى الحاكم وأنت تعلم انك ظالم فان قضاءه لا يحل حراما وكان شريح القاضي يقول اني لاقضي لك واني لاظنك ظالما ولكن لا يسعني الا ان أقضي لك بما يحضرني من البينة وان قضائي لا يحل لك حراما. أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أخبرنا عبد العزيز بن احمد الخلال أخبرنا أبو العباس الاصم أخبرنا الربيع أخبرنا الشافعي أخبرنا مالك بن أنس عن هشام بن عروة عن أبيه عن زينب بنت أبي سلمة عن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «انما أنا بشر وانكم تختصمون اليّ ولعل بعضكم ان يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي له على نحو

والقاضي بشر يخطيء ويصيب واعلموا أن من قضي له بباطل أن خصومته لم تنقض حتى يجمع الله بينهما يوم القيامة فيقضي على المبطل المحق بأجود مما قضي به المبطل على المحق في الدنيا

(١٨٥) يسألونك عن الاهـلة قل هي مواقيت للناس والحج ، وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها واتقوا الله لعلكم تفلحون *

قال العوفي عن ابن عباس سأل الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الاهلة فنزلت هـذه الآية (يسألونك عن الاهلة قل هي مواقيت للناس) يعلمون بها حل دينهم وعدة نسائهم ووقت حجهم وقال أبو جعفر عن الربيع عن أبي العالية بلغنا انهم قالوا : يارسول الله لم خلقت الاهـلة ؟ فأنزل الله (يسألونك عن الاهلة قل هي مواقيت للناس) يقول جعلها الله مواقيت لصوم المسلمين وإفطارهم وعدة نسائهم ومحل دينهم وكذا روى عن عطاء والضحاك وقتادة والسدي والربيع بن أنس نحو ذلك وقال عبد الرزاق عن عبد العزيز بن أبي رواد عن نافع عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «جعل الله الاهلة مواقيت للناس فصوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته فان غم عليكم فعدوا ثلاثين يوما » ورواه الحاكم في مستدركه من حديث ابن أبي رواد به وقال كان ثقة عابداً مجتهدا شريف النسب فهو صحيح الاسناد ولم يخرجاه وقال محمد بن جابر عن قيس بن طلق عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « جعل الله الاهلة فاذا رأيتم الهلال فصوموا واذا رأيتموه فأفطروا فان أغمي عليكم فأكملوا العدة ثلاثين » وكذا روي من حديث أبي هريرة ومن كلام علي ابن أبي طالب رضي الله عنه

ما أسمع منه فمن قضيت له بشيء من حق أخيه فلا يأخذنه فانما أقطع له قطعة من النار» قوله تعالى ﴿ لتأكلوا فريقا ﴾ طائفة ﴿ من أموال الناس بالاثم ﴾ بالظلم وقال ابن عباس باليمين الكاذبة يقتطع بها مال أخيه ﴿ وأنتم تعلمون ﴾ انكم مبطلون » قوله تعالى ﴿ يسألونك عن الاهلة ﴾ نزلت في معاذ ابن جبل وثعلبة بن غنم الانصاريين قالا يارسول الله مابال الهلال يبدو دقيقا ثم يزيد حتى يمتلىء نورا ثم يعود دقيقا كما بدا ولا يكون على حالة فأنزل الله تعالى (يسألونك عن الاهلة) وهي جمع هلال مثل رداء وأردية سمي هلالا لان الناس يرفعون أصواتهم بالذكر عند رؤيته من قولهم استهل الصبي اذا صرخ حين يولد وأهلّ القوم بالحج اذا رفعوا أصواتهم بالتلبية ﴿ قل هي مواقيت للناس والحج ﴾ جمع ميقات أي فعلنا ذلك ليعلم الناس أوقات الحج والعمرة والصوم والافطار وآجال الديون وعدد النساء وغيرها فلذلك خالف بينه وبين الشمس التي هي دائمة على حالة واحدة ﴿ وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ﴾ قال أهل التفسير كان الناس في الجاهلية وفي أول الاسلام اذا أحرم الرجل منهم بالحج أو العمرة لم يدخل حائطا ولا بيتا ولا دارا من بابه فان كان من أهل المدر نقب نقبا في ظهر بيته ليدخل منه ويخرج أو يتخذ سلما فيصعد منه وان كان من أهل الوبر

وقوله (وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها)
قال البخاري : حدثنا عبيد الله بن موسى عن اسرائيل عن أبي اسحق عن البراء قال : كانوا إذا أحرموا في الجاهلية أتوا البيت من ظهره فأنزل الله (وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها) وكذا رواه أبو داود الطيالسي عن شعبة عن أبي اسحق عن البراء قال : كانت الانصار اذا قدموا من سفرهم لم يدخل الرجل من قبل بابه فنزلت هذه الآية قال الاعمش « عن أبي سفيان عن جابر كانت قريش تدعى الحمس وكانوا يدخلون من الابواب في والاحرام وكانت الانصار وسائر العرب لا يدخلون من باب في الاحرام فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في بستان إذ خرج من بابه وخرج معه قطبة بن عامر من الانصار فقالوا يا رسول الله : إن قطبة بن عامر رجل تاجر وإنه خرج معك من الباب فقالوا له : ما حملك على ما صنعت ؟ قال : رأيتك فعلته ففعلت كما فعلت فقال : إني أحمس قال له: فان ديني دينك. فأنزل الله (وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها) رواه ابن أبي حاتم ورواه العوفي عن ابن عباس بنحوه وكذا روي عن مجاهد والزهري وقتادة وابراهيم النخعي والسدي

خرج من خلف الخيمة والفسطاط ولا يدخل ولا يخرج من الباب حتى يحل من احرامه ويرون ذلك أبر الا أن يكون من الحمس وهم قريش وكنانة وخزاعة وثقيف وخيثم وبنو عامر بن صعصعة وبنو مضر بن معاوية سموا حمسا لتشددهم في دينهم والحماسة الشدة والصلابة قالوا فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم بيتا لبعض الانصار فدخل رجل من الانصار يقال له رفاعة بن التابوت على اثره من الباب وهو محرم فانكروا عليه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « لم دخلت من الباب وأنت محرم » قال رأيتك دخلت فدخلت على أثرك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إني أحمس فقال الرجل ان كنت أحمسيا فاني أحمسي رضيت بهديك وسمتك ودينك فأنزل الله تعالى هذه الآية : وقال الزهرى كان ناس من الانصار اذا أهلوا بالعمرة لم يحل بينهم و بين السماء شيء وكان الرجل يخرج مهلا بالعمرة فتبدو له الحاجة بعد مايخرج من بيته فيرجع ولا يدخل من باب الحجرة من أجل سقف البيت ان يحول بينه و بين السماء فيفتح الجدار من ورائه ، ثم يقوم في حجرته فيأمر بحاجته حتى بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل زمن الحديبية بالعمرة فدخل حجرة فدخل رجل على أثره من الانصار من بني سلمة فقال النبي صلى الله عليه وسلم « لم فعلت ذلك ؟ قال لاني رأيتك دخلت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اني أحمس » فقال الانصاري وأنا احمسي يقول وأنا على دينك فأنزل الله تعالى (وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها) قرأ ابن كثير وابن عامر وحمزة والكسائي وابو بكر البيوت والغيوب والجيون والعيوب وشيوخا بكسر اوائلهن لمكان الياء وقرأ الباقون بالضم على الاصل وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي جيوب بكسر الجيم وقرأ ابو بكر وحمزة العيوب بكسر العين ﴿ولكن البر من اتقى ﴾ أي البر بر من اتقي ﴿ واتوا البيوت من أبوابها﴾

والربيع بن أنس وقال الحسن البصري : كان اقوام من اهل الجاهلية اذا اراد احدهم سفراً وخرج من بيته يريد سفره الذي خرج له ثم بدا له بعد خروجه ان يقيم ويدع سفره لم يدخل البيت من بابه ولكن يتسوره من قبل ظهره فقال الله تعالى : ليس ذلك بالبر ان تأتوا البيوت من ظهورها الآية . وقال محمد بن كعب : كان الرجل اذا اعتكف لم يدخل منزله من باب البيت فأنزل الله هذه الآية وقال عطاء بن ابى رباح: كان اهل يثرب اذا رجعوا من عيدهم دخلوا منازلهم من ظهورها ويرون ان ذلك ادنى الى البر فقال الله (وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها) ولا يرون ان ذلك ادنى الى البر

وقوله (واتقوا الله لعلكم تفلحون) اى اتقوا الله فافعلوا ما امركم به واتركوا مانهاكم عنه (لعلكم تفلحون) غدا اذا وقفتم بين يديه فيجازيكم على التمام والكمال

(١٨٧) وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين (١٨٨) واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم والفتنة أشد من القتل، ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين (١٨٩) فان انتهوا فان الله غفور رحيم (١٩٠) وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين ■

قال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية في قوله تعالى (وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم) قال هذه أول آية نزلت في القتال بالمدينة فلما نزلت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقاتل من قاتله ويكف عمن كف عنه حتى نزلت سورة براءة وكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم حتى قال هذه منسوخة بقوله (فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم) وفي هـذا نظر لان قوله (الذين يقاتلونكم) إنما هو تهييج وإغراء بالاعداء الذين همتهم قتال الاسلام وأهله أي كما يقاتلونكم فاقتلوهم أنتم كما قال (وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة) ولهذا قال في هذه الآية

في حال الاحرام ﴿واتقوا الله لعلكم تفلحون وقاتلوا في سبيل الله ﴾ اي في طاعة الله ﴿ الذين يقاتلونكم﴾ كان في ابتداء الاسلام امر الله تعالى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكف عن قتال المشركين ثم لما هاجر الى المدينة امره بقتال من قاتله منهم بهذه الاية : وقال الربيع بن أنس هذه اول آية نزلت في القتال ثم امره بقتال المشركين كافة قاتلوا او لم يقاتلوا بقوله اقتلوا المشركين فصارت هذه الاية منسوخة بها وقيل نسخ بقوله اقتلوا المشركين قريب من سبعين آية وقوله ﴿ ولا تعتدوا ﴾ اي لاتبدؤهم بالقتال وقيل هذه الآية محكمة غير منسوخة امر النبي صلى الله عليه وسلم بقتال المقاتلين ومعنى قوله (ولا تعتدوا) اي لاتقتلوا النساء والصبيان والشيخ الكبير والرهبان ولا من القى اليكم السلام هذا قول ابن عباس ومجاهد اخبرنا ابو الحسن السرخسى اخبرنا زاهر بن احمد اخبرنا ابو

(واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم) أي لتكون همتكم منبعثة على قتالهم كما همتهم منبعثة على قتالكم وعلى إخراجهم من بلادهم التي أخرجوكم منها قصاصا

وقوله (ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين) أي قاتلوا في سبيل الله ولا تعتدوا في ذلك ويدخل في ذلك ارتكاب المناهي كما قاله الحسن البصري من المثلة والغلول وقتل النساء والصبيان والشيوخ الذي لا رأي لهم ولا قتال فيهم والرهبان وأصحاب الصوامع وتحريق الاشجار وقتل الحيوان لغير مصلحة كما قال ذلك ابن عباس وعمر بن عبد العزيز ومقاتل بن حيان وغيرهم ولهذا جاء في صحيح مسلم عن بريدة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « اغزوا في سبيل الله قاتلوا من كفر بالله اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا الوليد ولا أصحاب الصوامع » رواه الامام احمد وعن ابن عباس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا بعث جيوشه قال : « اخرجوا بسم الله قاتلوا في سبيل الله من كفر بالله لا تعتدوا ولا تغلوا ولا تمثلوا ولا تقتلوا الولدان ولا أصحاب الصوامع» رواه الامام أحمد ولابي داود عن أنس مرفوعا نحوه وفي الصحيحين عن ابن عمر قال وجدت امرأة في بعض مغازي النبي صلى الله عليه وسلم مقتولة فأنكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل النساء والصبيان . وقال الامام أحمد حدثنا مصعب بن سلام حدثنا الاجلح عن قيس بن أبي مسلم عن ربعي ابن خراش قال سمعت حذيفة يقول ضرب لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أمثالا واحد وثلاثة وخمسة وسبعة وتسعة واحد عشر فضرب لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم منها مثلا وترك سائرها قال «ان قوما كانوا أهل ضعف ومسكنة قاتلهم اهل تجبر وعداوة فأظهر الله أهل الضعف عليهم فعمدوا الى عدوهم فاستعملوهم وسلطوهم فأسخطوا الله عليهم الى يوم القيامة» هذا حديث حسن الاسناد ومعناه ان هؤلاء الضعفاء لما قدروا على الاقوياء فاعتدوا عليهم فاستعملوهم فيما لا يليق بهم اسخطوا الله عليهم بسبب هذا الاعتداء والاحاديث والآثار في هذا كثيرة جدا . ولما كان الجهاد فيه ازهاق النفوس

بكر بن محمد سهل (١) القهستاني المعروف بأبي تراب اخبرنا محمد بن عيسى الطوسي انا يحيى بن بكير انا الليث بن سعد عن جرير بن حازم عن شعبة عن علقمة بن يزيد عن سليمان بن بريدة عن أبيه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا بعث جيشا قال «اغزوا بسم الله وفي سبيل الله قاتلوا من كفر بالله لا تغلوا ولا تقتلوا امراة ولا وليدا ولا شيخا كبيرا »وقال الكلبي عن ابى صالح عن ابن عباس نزلت هذه الاية في صلح الحديبية وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج مع اصحابه للعمرة وكانوا الفا واربعمائة فساروا حتى نزلوا الحديبية فصدهم المشركون عن البيت الحرام فصالحهم على ان يرجع عامه ذلك على ان يخلوا له مكة العام القابل ثلاثة ايام فيطوف بالبيت فلما كان العام القابل تجهز رسول الله واصحابه لعمرة القضاء وخافوا ان لا تفي قريش بما قالوا وان يصدوهم عن البيت الحرام وكره اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قتالهم في الشهر الحرام وفي الحرم فأنزل الله تعالى (وقاتلوا في سبيل الله) يعني محرمين (الذين يقاتلونكم) يعني قريشا (ولا تعتدوا) فتبدؤا بالقتال في الحرم

(١) وفي نسختنا المخطوطة محمد بن سهل

وقتل الرجال نبه تعالى على أن ماهم مشتملون عليه من الكفر بالله والشرك به والصد عن سبيله أبلغ وأشد وأعظم وأطم من القتل ولهذا قال (والفتنة أشد من القتل) قال أبو مالك أي ما أنتم مقيمون عليه أكبر من القتل . وقال أبو العالية ومجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة والحسن وقتادة والضحاك والربيع بن أنس في قوله (والفتنة أشد من القتل) يقول الشرك(١) أشد من القتل وقوله (ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام) كما جاء في الصحيحين « ان هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والارض فهو حرام بحرمة الله الى يوم القيامة ولم يحل الا ساعة من نهار وانها ساعتي هذه حرام بحرمة الله الى يوم القيامة لا يعضد شجره ولا يختلى خلاه فان أحد ترخص بقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقولوا ان الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم » يعني بذلك صلوات الله وسلامه عليه قتاله أهله يوم فتح مكة فانه فتحها عنوة وقتلت رجال منهم عند الخندمة وقيل صلحا لقوله « من أغلق بابه فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن » وقوله (حتى يقاتلوكم فيه . فان قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين) يقول تعالى ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام الا أن يبدأوكم بالقتال فيه فلكم حينئذ قتالهم وقتلهم دفعا للصائل كما بايع النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه يوم الحديبية تحت الشجرة على القتال لما تألبت عليه بطون قريش ومن والاهم من أحياء ثقيف والاحابيش عامئذ ثم كف الله القتال بينهم فقال (وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم) وقال (ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم ان تطؤهم فتصيبكم منهم معرّة بغير علم ليدخل الله في رحمته من يشاء، لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما) وقوله (فان انتهوا فان الله غفور رحيم) أي فان تركوا القتال في الحرم وأنابوا الى الاسلام والتوبة فان الله يغفر ذنوبهم ولو كانوا قد قتلوا المسلمين في حرم الله فانه تعالى لا يتعاظمه ذنب أن يغفره لمن تاب منه اليه ثم أمر تعالى بقتال الكفار (حتى

(١) معنى الفتنة المطابق للغة ما يأتي في الصفحة ٤٣٦ وفي آخر الصفحة ٤٣٥ من البغوي عن ابن عمر وهو تعذيب المرء أو قتله لأجل دينه. وما عداه فتفسير مجازي كاطلاق الشيء على سببه أو لازمه

محرمين ﴿ ان الله لا يحب المعتدين، واقتلوهم حيث ثقفتموهم ﴾ قيل نسخت الاية الاولى بهذه الاية واصل الثقافة الحذق والبصر بالامر ومعناه واقتلوهم حيث ابصرتم مقاتلتهم وتمكنتم من قتلهم ﴿واخرجوهم من حيث اخرجوكم ﴾ وذلك انهم اخرجوا المسلمين من مكة : فقال اخرجوهم من ديارهم كما اخرجوكم من دياركم ﴿والفتنة اشد من القتل﴾ يعني شركهم بالله عز وجل اشد واعظم من قتلكم اياهم في الحرم والاحرام ﴿ ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم فاقتلوهم ﴾ قرأ حمزة والكسائي ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم فان قتلوكم بغير ألف فيهن من القتل على معنى ولا تقتلوا بعضهم ، تقول العرب قتلنا بني فلان — وانما قتلوا بعضهم. وقرأ الباقون بالالف من القتال . وكان هذا في ابتداء الاسلام كان لا يحل بدايتهم بالقتال في البلد الحرام ، ثم صار منسوخا بقوله تعالى (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة) هذا قول قتادة ، وقال مقاتل بن حيان قوله (واقتلوهم) حيث ثقفتموهم ، أي حيث أدركتموهم في الحل والحرم صارت هذه الآية منسوخة بقوله تعالى (ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام) ثم نسختها آية السيف في براءة فهي ناسخة منسوخة . وقال مجاهد وجماعة : هذه الآية محكمة ولا يجوز الابتداء

لا تكون فتنة) أي شرك قاله ابن عباس وأبو العالية ومجاهد والحسن وقتادة والربيع ومقاتل بن حيان والسدي وزيد بن أسلم (ويكون الدين لله) أي يكون دين الله هو الظاهر العالي على سائر الاديان كما ثبت في الصحيحين عن أبي موسى الاشعري قال: سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياء أي ذلك في سبيل الله؟ فقال: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله» وفي الصحيحين «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله»

وقوله (فان انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين) يقول تعالى فان انتهوا عما هم فيه من الشرك وقتال المؤمنين فكفوا عنهم فان من قاتلهم بعد ذلك فهو ظالم ولا عدوان إلا على الظالمين وهذا معنى قول مجاهد أن لا يقاتل إلا من قاتل أو يكون تقديره فان انتهوا فقد تخلصوا من الظلم وهو الشرك فلا عدوان عليهم بعد ذلك والمراد بالعدوان ههنا المعاقبة والمقاتلة كقوله (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليكم) وقوله (وجزاء سيئة سيئة مثلها * وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به) ولهذا قال عكرمة وقتادة الظالم الذي أبى أن يقول لا إله الا الله وقال البخاري قوله (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة) الآية حدثنا محمد بن بشار حدثنا عبد الوهاب حدثنا عبيد الله عن نافع عن ابن عمر قال أتاه رجلان في فتنة ابن الزبير فقالا: ان الناس ضيعوا وأنت ابن عمر وصاحب النبي صلى الله عليه وسلم فما يمنعك أن تخرج؟ فقال: يمنعني أن الله حرم دم أخي قالا: ألم يقل الله (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة)؟ فقال: قاتلنا حتى لم تكن فتنة وكان الدين لله وأنتم تريدون أن تقاتلوا حتى تكون فتنة وحتى يكون الدين لغير الله، وزاد عثمان بن صالح عن ابن وهب أخبرني فلان وحيوة بن شريح عن بكر بن عمر المعافري أن بكير بن عبد الله حدثه عن نافع أن رجلا أتى ابن عمر فقال: يا أبا عبد الرحمن ما حملك على

بالقتال في الحرم ﴿كذلك جزاء الكافرين فان انتهوا﴾ عن القتال والكفر ﴿فان الله غفور رحيم﴾ أي غفور لما سلف رحيم بالعباد ﴿وقاتلوهم﴾ يعني المشركين ﴿حتى لا تكون فتنة﴾ أي شرك يعني قاتلوهم حتى يسلموا فلا يقبل من الوثني الا الاسلام فان أبى قتل ﴿ويكون الدين﴾ أي الطاعة والعبادة ﴿لله﴾ وحده فلا يعبد شيء دونه. قال نافع: جاء رجل الى ابن عمر في فتنة ابن الزبير فقال ما يمنعك ان تخرج؟ قال يمنعني ان الله حرم دم أخي. قال: ألا تسمع ما ذكره الله عز وجل (وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا) فقال يا ابن أخي ولان اعتبر بهذه الآية ولا أقاتل أحب الي من أن أعتبر بالآية التي يقول الله عز وجل فيها (ومن يقتل مؤمنا متعمدا) قال ألم يقل الله (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة) قال قد فعلنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ كان الاسلام قليلا وكان الرجل يفتن في دينه إما يقتلونه أو يعذبونه حتى كثر الاسلام فلم تكن فتنة وكان الدين لله، وأنتم تريدون ان تقاتلوهم حتى تكون فتنة ويكون الدين لغير الله. وعن سعيد بن جبير قال: قال رجل لابن عمر كيف ترى في قتال الفتنة؟ فقال هل تدري ما الفتنة، كان محمد صلى الله عليه وسلم يقاتل المشركين

أن تحج عاما وتقيم عاما وتترك الجهاد في سبيل الله عز وجل وقد علمت ما رغب الله فيه ؟ فقال يا ابن أخي بني الاسلام على خمس : الايمان بالله ورسوله والصلاة الخمس وصيام رمضان وأداء الزكاة وحج البيت . قالوا يا أبا عبد الرحمن ألا تسمع ما ذكر الله في كتابه (وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى أمر الله) (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة) قال فعلنا على عهد رسوله صلى الله عليه وسلم وكان الاسلام قليلا فكان الرجل يفتتن في دينه اما قتلوه أو عذبوه حتى كثر الاسلام فلم تكن فتنة ، قال فما قولك في عليّ وعثمان ؟ قال أما عثمان فكان الله عفا عنه وأما أنتم فكرهتم أن يعفو عنه ، وأما عليّ فابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وختنه فأشار بيده فقال هذا بيته حيث ترون

(١٩١) الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدوا عليكم واتقوا الله واعلموا ان الله مع المتقين

قال عكرمة عن ابن عباس والضحاك والسدي وقتادة ومقسم والربيع بن أنس وعطاء وغيرهم لما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم معتمرا في سنة ست من الهجرة وحبسه المشركون عن الدخول والوصول الى البيت وصدوه بمن معه من المسلمين في ذي القعدة وهو شهر حرام حتى قاضاهم على الدخول من قابل فدخلها في السنة الآتية هو ومن كان معه من المسلمين وأقصه الله منهم فنزلت في ذلك هذه الآية (الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص) وقال الامام أحمد حدثنا اسحق بن عيسى حدثنا ليث بن سعد عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله قال لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يغزو في الشهر الحرام الا أن يغزى ويغزوا فاذا حضره أقام حتى ينسلخ . هذا إسناد صحيح . ولهذا لما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم وهو مخيم بالحديبية ان عثمان قتل وكان قد بعثه في رسالة الى المشركين بايع

وكان الدخول عليهم فتنة وليس قتالكم كقتالهم(١) على الملك ﴿ فان انتهوا ﴾ على الكفر وأسلموا ﴿ فلا عدوان ﴾ فلا سبيل ﴿ الا على الظالمين ﴾ قاله ابن عباس يدل عليه قوله تعالى (أيما الاجلين قضيت فلا عدوان عليّ) وقال أهل المعاني : العدوان الظلم أي فان أسلموا فلا نهب ولا أسر ولا قتل (الا على الظالمين) الذين بقوا على الشرك وما يفعل بأهل الشرك من هذه الاشياء لا يكون ظلما وسماه عدوانا على طريق المجازاة والمقابلة كما قال (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه) وكقوله تعالى (وجزاء سيئة سيئة مثلها) وسمى الكافر ظالما لانه يضع العبادة في غير موضعها

قوله تعالى ﴿ الشهر الحرام بالشهر الحرام ﴾ نزلت هذه الآية في عمرة القضاء وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج معتمرا في ذي القعدة فصده المشركون عن البيت بالحديبية فصالح أهل مكة على ان ينصرف عامه ذلك ويرجع العام المقبل فيقضي عمرته ، فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم عامه ذلك ورجع في العام القابل في ذي القعدة وقضى عمرته سنة سبع من الهجرة فذلك معنى قوله تعالى (الشهر الحرام) يعني

(١) الظاهر أن يقال وليس قتالهم كقتالكم على الملك - وفي نسختنا : وليس قتالكم على الملك فحذف اسم ليس أو سقط من الناسخ

أصحابه وكانوا ألفا وار بعمائة تحت الشجرة على قتال المشركين فلما بلغه أن عثمان لم يقتل كف عن ذلك وجنح الى المسالمة والمصالحة فكان ما كان . وكذلك لما فرغ من قتال هوازن يوم حنين وتحصن فلهم بالطائف عدل اليها فحاصرها ودخل ذو القعدة وهو محاصرها بالمنجنيق واستمر عليها الى كمال أربعين يوما كما ثبت في الصحيحين عن أنس فلما كثر القتل في أصحابه انصرف عنها ولم تفتتح ثم كر راجعا الى مكة واعتمر من الجعرانة حيث قسم غنائم حنين . وكانت عمرته هذه في ذي القعدة أيضا عام ثمان صلوات الله وسلامه عليه . وقوله (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل مااعتدى عليكم) أمر بالعدل حتى في المشركين كما قال (وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ماعوقبتم به) وقال (وجزاء سيئة سيئة مثلها) وروى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ان قوله (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل مااعتدى عليكم) نزلت بمكة حيث لا شوكة ولا جهاد ثم نسخ بآية القتال بالمدينة وقد رد هذا القول ابن جرير وقال بل الآية مدنية بعد عمرة القضية وعزا ذلك الى مجاهد رحمه الله وقوله (واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين) أمر لهم بطاعة الله وتقواه واخبار بأنه تعالى مع الذين اتقوا بالنصر والتأييد في الدنيا والآخرة

---

(١٩٢) وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة وأحسنوا ان الله يحب المحسنين *

قال البخاري حدثنا اسحق أخبرنا النضر أخبرنا شعبة عن سليمان سمعت أباوائل عن حذيفة (وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة) قال نزلت في النفقة ورواه ابن أبي حاتم عن الحسن بن محمد بن الصباح عن أبي معاوية عن الاعمش به مثله قال وروي عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وعطاء والضحاك والحسن وقتادة والسدي ومقاتل بن حيان نحو ذلك وقال الليث بن سعد عن يزيد بن أبي حبيب عن أسلم أبي عمران قال حمل رجل من المهاجرين بالقسطنطينية على صف العدو حتى خرقه ومعنا أبو أيوب الانصاري فقال ناس ألقى بيده الى التهلكة فقال أبو أيوب

ذي القعدة الذي دخلتم فيه مكة وقضيتم فيه عمرتكم سنة سبع (بالشهر الحرام) يعني ذا القعدة الذي صددتم فيه عن البيت سنة ست ﴿ والحرمات قصاص ﴾ جمع حرمة وانما جمعها لانه أراد حرمة الشهر الحرام والبلد الحرام وحرمة الاحرام. والقصاص المساواة والمماثلة وهو ان يفعل بالفاعل مثل ما فعل . وقيل هذا في أمر القتال معناه ان بدؤكم بالقتال في الشهر الحرام فقاتلوهم فيه فانه قصاص بما فعلوا فيه ﴿ فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه ﴾ وقاتلوه ﴿ بمثل ما اعتدى عليكم ﴾ سمي الجزاء باسم الابتداء على ازدواج الكلام كقوله تعالى (وجزاء سيئة سيئة مثلها) ﴿ واتقوا الله واعلموا ان الله مع المتقين ﴾ قوله تعالى ﴿ وأنفقوا في سبيل الله ﴾ أراد به الجهاد وكل خير هو في سبيل الله . ولكن اطلاقه ينصرف الى الجهاد ﴿ ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة ﴾ قيل الباء في قوله تعالى (بأيديكم) زائدة يريد ولا تلقوا أيديكم ، اي أنفسكم (الى التهلكة) عبر عن الانفس بالايدي كقوله تعالى (بما كسبت أيديكم) أي بما كسبتم: وقيل الباء في موضعها وفيه حذف أي ولا تلقوا أنفسكم

نحن أعلم بهذه الآية انما نزلت فينا : صحبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهدنا معه المشاهد ونصرناه فلما فشا الاسلام وظهر اجتمعنا معشر الانصار تحببا فقلنا قد أكرمنا الله بصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم ونصره حتى فشا الاسلام وكثر أهله وكنا قد آثرناه على الاهلين والاموال والاولاد وقد وضعت الحرب أوزارها فنرجع الى اهلينا وأولادنا فنقيم فيهما فنزل فينا (وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة) فكانت التهلكة في الاقامة في الاهل والمال وترك الجهاد ، رواه أبو داود والترمذي والنسائي وعبد بن حميد في تفسيره وابن ابي حاتم وابن جرير وابن مردويه والحافظ أبو يعلى في مسنده وابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدركه كلهم من حديث يزيد بن أبي حبيب به وقال الترمذي حسن صحيح غريب وقال الحاكم على شرط الشيخين ولم يخرجاه. ولفظ أبي داود عن أسلم أبي عمران كنا بالقسطنطينية وعلى أهل مصر عقبة بن عامر وعلى أهل الشام رجل يزيد ابن فضالة بن عبيد فخرج من المدينة صف عظيم من الروم فصففنا لهم فحمل رجل من المسلمين على الروم حتى دخل فيهم ثم خرج الينا فصاح الناس اليه فقالوا : سبحان الله ألقى بيده الى التهلكة فقال أبو أيوب : يا أيها الناس إنكم لتتأولون هذه الآية على غير التأويل وانما نزلت فينا معشر الانصار انا لما أعز الله دينه وكثر ناصروه قلنا فيما بيننا : لو أقبلنا على أموالنا فأصلحناها فأنزل الله هذه الآية وقال أبو بكر بن عياش عن أبي اسحق السبيعي قال : قال رجل للبراء بن عازب ان حملت على العدو وحدي فقتلوني أكنت ألقيت بيدي الى التهلكة ؟ قال : لا قال الله لرسوله (فقاتل في سبيل الله لا تكلف الا نفسك) انما هذه في النفقة رواه ابن مردويه وأخرجه الحاكم في مستدركه من حديث اسرائيل عن أبي اسحق وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ورواه الترمذي وقيس بن الربيع عن أبي اسحق عن البراء فذكره وقال بعد قوله (لا تكلف الا نفسك) ولكن التهلكة أن

بأيديكم الى التهلكة أي الهلاك . وقيل التهلكة كل شيء يصير عاقبته الى الهلاك ، أي ولا تأخذوا في ذلك . وقيل التهلكة ما يمكن الاحتراز عنه ، والهلاك ما لا يمكن الاحتراز عنه ، والعرب لا تقول للانسان التى بيده الا في الشر ، واختلفوا في تأويل هذه الآية ، فقال بعضهم : هذا في البخل وترك الانفاق يقول (ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة) بترك الانفاق في سبيل الله وهو قول حذيفة والحسن وقتادة وعكرمة وعطاء . وقال ابن عباس في هذه الآية : انفق في سبيل الله وان لم يكن لك الا سهم أو مشقص ولا يقولن أحدكم اني لا أجد شيئا . وقال السدي فيها : انفق في سبيل الله ولو عقالا (ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة) ولا تقل ليس عندي شيء . وقال سعيد بن المسيب ومقاتل بن حيان : لما أمر الله تعالى بالانفاق قال رجل أمرنا بالنفقة في سبيل الله ولو أنفقنا أموالنا بقينا فقراء ، فأنزل الله هذه الآية . وقال مجاهد : فيها لا يمنعنكم من نفقة في حق خيفة العيلة. أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أخبرنا أحمد بن الحسن الحيري أخبرنا أبو جعفر محمد بن علي بن دحيم الشيباني أخبرنا أحمد بن حازم بن أبي غرزة أخبرنا أبو غسان اخبرنا خالد بن عبد الله الواسطي

يذنب الرجل الذنب فيلقي بيده الى التهلكة ولا يتوب وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو صالح كاتب الليث حدثني الليث حدثنا عبد الرحمن بن خالد بن مسافر عن ابن شهاب عن أبي بكر بن نمير بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام أن عبد الرحمن الاسود بن عبد يغوث أخبره أنهم حاصروا دمشق فانطلق رجل من أزد شنوءة فأسرع الى العدو وحده ليستقبل فعاب ذلك عليه المسلمون ورفعوا حديثه الى عمرو بن العاص فأرسل اليه عمرو فرده وقال عمرو قال الله (ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة) وقال عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله تعالى (وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة) قال ليس ذلك في القتال انما هو في النفقة أن تمسك بيدك عن النفقة في سبيل الله ولا تلق بيدك الى التهلكة قال حماد بن سلمة عن داود عن الشعبي عن الضحاك بن أبي جبير قال كانت الانصار يتصدقون و ينفقون من أموالهم فأصابتهم سنة فأمسكوا عن النفقة في سبيل الله فنزلت (ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة) وقال الحسن البصري (ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة) قال هو البخل ، وقال سماك بن حرب عن النعمان بن بشير في قوله (ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة) أن يذنب الرجل الذنب فيقول لا يغفر لي فأنزل الله (ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة وأحسنوا ان الله يحب المحسنين) رواه ابن مردويه ، وقال ابن أبي حاتم وروي عن عبيدة السلماني والحسن وابن سيرين وأبي قلابة نحو ذلك يعني نحو قول النعمان بن بشير انها في الرجل يذنب الذنب فيعتقد أنه لا يغفر له فيلقي بيده الى التهلكة أي يستكثر من الذنوب فيهلك . ولهذا روي على بن أبي طلحة عن ابن عباس التهلكة عذاب الله وقال ابن أبي حاتم وابن جرير جميعا حدثنا يونس حدثنا ابن وهب أخبرني أبو صخر عن القرظي (محمد بن كعب) أنه كان يقول في هذه الآية (ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة) قال كان القوم في سبيل الله فيتزود الرجل فكان أفضل زادا من الآخر انفق البائس(١) من زاده حتى لا يبقى

أخبرنا واصل مولى أبي عتيبة عن بشار بن أبي سيف عن الوليد بن عبد الرحمن عن عياض بن غضيف قال أتينا أبا عبيدة نعوده قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من أنفق نفقة فاضلة في سبيل الله فبسبعمائة ، ومن أنفق نفقة على أهله فالحسنة بعشر أمثالها. وقال زيد بن اسلم : كان رجال يخرجون في البعوث بغير نفقة فاما أن يقطع بهم واما ان يكونوا عيالا فأمرهم الله تعالى بالانفاق على أنفسهم في سبيل الله ومن لم يكن عنده شيء ينفقه فلا يخرج بغير نفقة ولا قوت فيلقي بيده الى التهلكة فالتهلكة ان يهلك من الجوع والعطش أو بالمشي . وقيل نزلت الآية في ترك الجهاد ، قال أبو أيوب الانصاري : نزلت فينا معشر الانصار وذلك ان الله تعالى لما أعز دينه ونصر رسوله قلنا فيما بيننا انا قد تركنا أهلنا وأموالنا حتى فشا الاسلام ونصر الله نبيه فلو رجعنا الى أهلنا وأموالنا فاقمنا فيها فاصلحنا ما ضاع منها ، فأنزل الله تعالى (وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة) فالتهلكة الاقامة في الاهل والمال وترك الجهاد فما زال أبو أيوب يجاهد في سبيل الله حتى كان آخر غزوة غزاها بقسطنطينية في زمن معاوية فتوفى هناك ودفن في أصل سور القسطنطينية وهم يستسقون به . وروي

(١) وفي الدر المنثور اليابس وفي نسخة الازهر : انفقوا الباقين فليحرر

من زاده شيء أحب ان يواسي صاحبه فأنزل الله (وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة) وبه قال ابن وهب أيضا أخبرني عبد الله بن عياش عن زيد بن أسلم في قول الله (وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة) وذلك ان رجالا كانوا يخرجون في بعوث يبعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير نفقة فاما أن يقطع بهم واما كانوا عيالا فأمرهم الله ان يستنفقوا مما رزقهم الله ولا يلقوا بأيديهم الى التهلكة والتهلكة أن يهلك رجال من الجوع والعطش أو من المشي : وقال لمن بيده فضل (وأحسنوا ان الله يحب المحسنين) ومضمون الآية الامر بالانفاق في سبيل الله في سائر وجوه القربات ووجوه الطاعات وخاصة صرف الاموال في قتال الاعداء وبذلها فيما يقوى به المسلمون على عدوهم والاخبار عن ترك فعل ذلك بأنه هلاك ودمار لمن لزمه واعتاده ثم عطف بالامر بالاحسان وهو أعلى مقامات الطاعة فقال (وأحسنوا ان الله يحب المحسنين)

(١٩٣)وأتموا الحج والعمرة لله فان احصرتم فما استيسر من الهدى ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدى محله فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك فاذا أمنتم فمن تمتع بالعمرة الى الحج فما استيسر من الهدى فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة اذا رجعتم تلك عشرة كاملة ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام واتقوا الله واعلموا أن الله شديد العقاب

لما ذكر تعالى أحكام الصيام وعطف بذكر الجهاد شرع في بيان المناسك فأمر باتمام الحج والعمرة وظاهر السياق اكمال افعالهما بعد الشروع فيهما . ولهذا قال بعده فان أحصرتم أي صددتم عن الوصول الى البيت ومنعتم من اتمامهما ، ولهذا اتفق العلماء على ان الشروع في الحج والعمرة ملزم

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق» وقال محمد بن سيرين وعبيدة السلماني : الالقاء الى التهلكة هو القنوط من رحمة الله تعالى قال أبو قلابة : هو الرجل يصيب الذنب فيقول : قد هلكت ليس لي توبة فييأس من رحمة الله وينهمك في المعاصي فنهاهم الله تعالى عن ذلك ، قال الله تعالى (انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون) ﴿ وأحسنوا ان الله يحب المحسنين ﴾

قوله عز وجل ﴿وأتموا الحج والعمرة لله﴾ قرأ علقمة وابراهيم النخعي (وأقيموا الحج والعمرة لله) واختلفوا في اتمامها فقال بعضهم هو ان يتمهما بمناسكهما وحدودهما وسننهما وهو قول ابن عباس وعلقمة وابراهيم النخعي ومجاهد . وأركان الحج خمسة الاحرام والوقوف بعرفة وطواف الزيارة والسعي بين الصفا والمروة وحلق الرأس أو التقصير وللحج تحللان وأسباب التحلل ثلاثة رمي جمرة العقبة يوم النحر وطواف الزيارة والحلق فاذا وجد شيآن من هذه الاشياء الثلاثة حصل التحلل الاول وبالثلاث حصل التحلل الثاني ، وبعد التحلل

سواء قيل بوجوب العمرة أو باستحبابها كما هما قولان للعلماء وقد ذكرناهما بدلائلهما في كتابنا الاحكام مستقصى ولله الحمد والمنة : وقال شعبة عن عمرو بن مرة عن عبد الله بن سلمة عن علي أنه قال في هذه الآية (وأتموا الحج والعمرة لله) قال ان تحرم من دويرة أهلك وكذا قال ابن عباس وسعيد بن جبير وطاوس، وعن سفيان الثوري أنه قال في هذه الآية اتمامهما أن تحرم من أهلك لاتريد الا الحج والعمرة وتهل من الميقات ليس أن تخرج لتجارة ولا لحاجة حتى اذا كنت قريبا من مكة قلت لو حججت أو اعتمرت . وذلك يجزىء ولكن التمام أن تخرج له ولا تخرج لغيره ٭ وقال مكحول اتمامهما انشاؤهما جميعا من الميقات ، وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري قال بلغنا أن عمر قال في قول الله (وأتموا الحج والعمرة لله) من تمامهما أن تفرد كل واحد منهما من الآخر وأن تعتمر في غير أشهر الحج ان الله تعالى يقول (الحج أشهر معلومات) وقال هشام عن ابن عون سمعت القاسم بن محمد يقول ان العمرة في أشهر الحج ليست بتامة فقيل له فالعمرة في المحرم قال كانوا يرونها تامة وكذا روي عن قتادة بن دعامة رحمهما الله وهذا القول فيه نظر لانه قد ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتمر أربع عمر كلها في ذي القعدة عمرة الحديبية في ذي القعدة سنة ست وعمرة القضاء في ذي القعدة سنة سبع وعمرة الجعرانة في ذى القعدة سنة ثمان وعمرته التي مع حجته أحرم بهما معافي ذى القعدة سنة عشر وما اعتمر في غير ذلك بعد هجرته ولكن قال لام هانى «عمرة في رمضان تعدل حجة معي» وماذاك الا لانها قد عزمت على الحج معه عليه السلام فاعتاقت عن ذلك بسبب الطهر كما هو مبسوط في الحديث عند البخاري ونص سعيد بن جبير على أنه من خصائصها والله أعلم

الاول يستبيح جميع محظورات الاحرام الا النساء ٭ وبعد الثاني يستبيح الكل ٭ وأركان العمرة أربعة : الاحرام والطواف بالبيت والسعي بين الصفا والمروة والحلق. قال سعيد بن جبير وطاوس: تمام الحج والعمرة ان تحرم بهما مفردين مستأنفين من دويرة أهلك ٭ وسئل علي بن أبي طالب عن قوله تعالى (وأتموا الحج والعمرة لله) قال ان تحرم بهما من دويرة أهلك . ومثله عن ابن مسعود قال قتادة ٭ تمام العمرة ان تعتمر في غير أشهر الحج فان كانت في أشهر الحج ثم أقام حتى حج فهي متعة وعليه فيها الهدي ان وجده أو الصيام ان لم يجد الهدي ، وتمام الحج ان يؤتى بمناسكه كلها حتى لايلزمه عما ترك دم (١) بسبب قران ولامتعة . وقال الضحاك : اتمامها ان تكون النفقة حلالا وينتهي عما نهى الله عنه . وقال سفيان الثوري : اتمامهما ان تخرج من أهلك لهما ولا تخرج لتجارة ولا لحاجة أخرى . قال عمر بن الخطاب : الوفد كثير والحاج قليل ، واتفقت الامة على وجوب الحج على من استطاع اليه سبيلا ، واختلفوا في وجوب العمرة فذهب أكثر أهل العلم الى وجوبها وهو قول عمر وعلي وابن عمر ٭ وروى عكرمة عن ابن عباس انه قال : والله ان العمرة لقرينة الحج في كتاب الله (وأتموا الحج والعمرة لله) وبه قال عطاء وطاوس ومجاهد والحسن وقتادة وسعيد بن جبير

(١) وفى نسختنا : حتى لايلزم عامله دم الخ

وقال السدي في قوله (وأتموا الحج والعمرة لله) أي أقيموا الحج والعمرة ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله (وأتموا الحج والعمرة لله) يقول من أحرم بحج أو بعمرة فليس له أن يحل حتى يتمهما تمام الحج يوم النحر اذا رمى جمرة العقبة وطاف بالبيت وبالصفا والمروة فقد حل . وقال قتادة عن زرارة عن ابن عباس أنه قال الحج عرفة والعمرة الطواف وكذا روى الاعمش عن ابراهيم عن علقمة في قوله (وأتموا الحج والعمرة لله) قال هي قراءة عبد الله : وأتموا الحج والعمرة الى البيت لايجاوز(١) بالعمرة البيت . قال ابراهيم فذكرت ذلك لسعيد بن جبير فقال كذلك قال ابن عباس : وقال سفيان عن الاعمش عن ابراهيم عن علقمة انه قال : وأقيموا الحج والعمرة الى البيت . وكذا روي الثوري أيضا عن ابراهيم عن منصور عن ابراهيم انه قرأ وأقيموا الحج والعمرة الى البيت . وقرأ الشعبي (وأتموا الحج والعمرة لله) برفع العمرة وقال ليست بواجبة . وروي عنه خلاف ذلك . وقد وردت أحاديث كثيرة من طرق متعددة عن أنس وجماعة من الصحابة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع في احرامه بحج وعمرة وثبت عنه في الصحيح انه قال لاصحابه « من كان معه هدى فليهل بحج وعمرة » وقال في الصحيح أيضا « دخلت العمرة في الحج الى يوم القيامة »

وقد روى الامام ابو محمد بن أبي حاتم في سبب نزول هذه الآية حديثا غريبا فقال حدثنا علي بن الحسين حدثنا أبو عبد الله الهروى حدثنا غسان الهروي حدثنا ابراهيم بن طهمان عن عطاء عن صفوان بن أمية انه قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم متضمخ بالزعفران عليه جبة فقال كيف تأمرني يارسول الله في عمرتي ؟ قال فأنزل الله (وأتموا الحج والعمرة لله) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أين السائل عن العمرة » فقال ها أنا ذا فقال له « ألق عنك ثيابك ثم اغتسل واستنشق ما استطعت ثم ما كنت صانعا في حجك فاصنعه في عمرتك » هذا حديث غريب وسياق عجيب

(١) نسخة الازهر : تجاوز بالمثناة الفوقية

واليه ذهب الثوري والشافعي في أصح قوليه ، وذهب قوم الى انها سنة وهو قول جابر وبه قال الشعبي واليه ذهب مالك وأهل العراق وتأولوا قوله تعالى (وأتموا الحج والعمرة لله) على معنى أتموها اذا دخلتم فيهما « أما ابتداء الشروع فيها فتطوع واحتج من لم يوجبها بما روي عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبدالله عن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل عن العمرة أواجبة هي ؟ فقال « لا وان تعتمروا خير لكم » والقول الاول أصح ومعنى قوله (وأتموا الحج والعمرة لله) أي ابتدؤهما ، فاذا دخلتم فيهما فأتموهما فهو أمر بالابتداء والاتمام أي أقيموهما كقوله تعالى (ثم أتموا الصيام الى الليل) أي ابتدؤه وأتموه . أخبرنا عبد الواحد المليحي اخبرنا أبو منصور السمعاني اخبرنا أبو جعفر الزياني أخبرنا حميد بن زنجويه اخبرنا ابن أبي شيبة اخبرنا أبو خالد الاحمر عن عمرو بن قيس عن عاصم عن شقيق عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تابعوا بين الحج والعمرة فانهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة وليس للحج المبرور جزاء الا الجنة » وقال ابن عمر : ليس من خلق الله أحد الا وعليه حجة وعمرة واجبتان ان استطاع الى ذلك سبيلا

والذي ورد في الصحيحين عن يعلى بن أمية في قصة الرجل الذي سأل النبي صلى الله عليه وسلم وهو بالجعرانة فقال له كيف ترى في رجل أحرم بالعمرة وعليه جبة وخلوق فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جاءه الوحي ثم رفع رأسه فقال أين السائل فقال هاأنا ذا فقال « أما الجبة فانزعها وأما الطيب الذي بك فاغسله ثم ما كنت صانعا في حجك فاصنعه في عمرتك » ولم يذكر فيه الغسل والاستنشاق ولاذكر نزول هذه الآية وهو عن يعلى بن أمية لاصفوان بن أمية فالله أعلم

وقوله (فان أحصرتم فما استيسر من الهدى) ذكروا أن هذه الآية نزلت في سنة ست أي عام الحديبية حين حال المشركون بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين الوصول الى البيت وأنزل الله في ذلك سورة الفتح بكمالها وأنزل لهم رخصة أن يذبحوا مامعهم من الهدي وكان سبعين بدنة وان يحلقوا رؤسهم وان يتحللوا من أحرامهم فعند ذلك أمرهم عليه السلام بأن يحلقوا رؤسهم وأن يتحللوا فلم يفعلوا انتظارا للنسخ حتى خرج فحلق رأسه ففعل الناس وكان منهم من قصر رأسه ولم يحلقه فلذلك قال صلى الله عليه وسلم «رحم الله المحلقين» قالوا والمقصرين يارسول الله : فقال في الثالثة «والمقصرين» وقد كانوا اشتركوا في هديهم ذلك كل سبعة في بدنة وكانوا ألفا وأربعمائة وكان منزلهم بالحديبية خارج الحرم وقيل بل كانوا على طرف الحرم فالله أعلم . ولهذا اختلف العلماء هل يختص الحصر بالعدو فلا يتحلل الا من حصره عدو لامرض ولا غيره على قولين فقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد المقري حدثنا سفيان عن عمرو بن دينار عن ابن عباس ، وابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس ، وابن أبي نجيح عن ابن عباس انه قال لاحصر الاحصر العدو فأما من أصابه مرض أو وجع أو ضلال فليس عليه شيء انما قال الله تعالى فاذا أمنتم فليس الأمن حصر قال : وروي عن ابن عمر وطاوس والزهرى وزيد بن أسلم نحو ذلك . والقول الثاني ان الحصر أعم

كما قال الله تعالى (وأتموا الحج والعمرة لله) فمن زاد بعد ذلك فهو خير وتطوع واتفقت الأمة على انه يجوز أداء الحج والعمرة على ثلاثة أوجه الافراد والتمتع والقران فصورة الافراد أن يفرد الحج ثم بعد الفراغ منه يعتمر وصورة التمتع ان يعتمر في أشهر الحج ثم بعد الفراغ من أعمال العمرة يحرم بالحج من مكة فيحج في هذا العام وصورة القران ان يحرم بالحج والعمرة معا أو يحرم بالعمرة ثم يدخل عليها الحج قبل ان يفتتح الطواف فيصير قارنا . واختلفوا في الافضل من هذه الوجوه فذهب جماعة الى ان الافراد أفضل ثم التمتع ثم القران وهو قول مالك والشافعي لما أخبرنا أبو الحسن السرخسي اخبرنا زاهر بن احمد اخبرنا أبو اسحق الهاشمي اخبرنا أبو مصعب عن مالك عن أبي الاسود محمد بن عبد الرحمن بن نوفل عن عروة بن الزبير عن عائشة أم المؤمنين انها قالت : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عام حجة الوداع فمنا من أهلّ بعمرة ومنا من أهلّ بحج وعمرة ومنا من أهلّ بحج وأهلّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحج فاما من أهلّ بالعمرة فحل وأما من أهلّ بالحج أو جمع بين الحج والعمرة فلن يحلوا حتى كان يوم النحر . أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب

من أن يكون بعدو أو مرض أو ضلال وهو التوهان عن الطريق أو نحو ذلك ، قال الامام أحمد حدثنا يحيى بن سعيد حدثنا حجاج بن الصواف عن يحيى بن أبي كثير عن عكرمة عن الحجاج بن عمرو الانصاري قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «من كسر أو وجع أو عرج فقد حل وعليه حجة أخرى» قال فذكرت ذلك لابن عباس وأبي هريرة فقالا صدق(١) وأخرجه أصحاب الكتب الاربعة من حديث يحيى بن أبي كثير به وفي رواية لابي داود وابن ماجه من عرج أو كسر أو مرض فذكر معناه . ورواه ابن أبي حاتم عن الحسن بن عرفة عن اسماعيل بن علية عن الحجاج ابن أبي عثمان الصواف به ثم قال وروي عن ابن مسعود وابن الزبير وعلقمة وسعيد بن المسيب وعروة بن الزبير ومجاهد والنخعي وعطاء ومقاتل بن حيان انهم قالوا الاحصار من عدو أو مرض أو كسر : وقال الثوري الاحصار من كل شيء آذاه . وثبت في الصحيحين عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على ضباعة بنت الزبير ابن عبد المطلب فقالت يارسول الله اني أريد الحج وأنا شاكية فقال «حجي واشترطي ان محلي حيث حبستني» ورواه مسلم عن ابن عباس بمثله فذهب من ذهب من العلماء الى صحة الاشتراط في الحج لهذا الحديث وقد علق الامام محمد بن ادريس الشافعي القول بصحة هذا المذهب على صحة هذا الحديث ، قال البيهقي وغيره من الحفاظ وقد صح ولله الحمد

وقوله (فما استيسر من الهدى) قال الامام مالك عن جعفر بن محمد عن أبيه عن علي بن أبي طالب أنه كان يقول (فما استيسر من الهدي) شاة وقال ابن عباس الهدي من الازواج الثمانية

(١) يعني الحجاج بن عمرو الراوي

أخبرنا عبد العزيز بن أحمد الخلال اخبرنا أبو العباس الاصم اخبرنا الربيع اخبرنا الشافعي أخبرنا مسلم عن أبي جريج عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر وهو يحدث عن حجة النبي صلى الله عليه وسلم قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ننوي الا الحج ولا نعرف غيره ولا نعرف العمرة وروى عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم أفرد الحج ، وذهب قوم الى ان القران أفضل وهو قول الثوري وأصحاب الرأي واحتجوا بما أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي اخبرنا أبو سعيد محمد بن موسى الصيرفي اخبرنا أبو العباس محمد بن يعقوب الاصم اخبرنا محمد بن هشام بن ملاس النميري اخبرنا مروان بن معاوية الفزاري اخبرنا حميد قال قال أنس بن مالك : أهل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال «لبيك بحجر وعمرة» وذهب قوم الى ان التمتع أفضل وهو قول أحمد بن حنبل واسحق بن راهويه واحتجوا بما أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي اخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي اخبرنا محمد بن يوسف اخبرنا محمد بن اسماعيل خبرنا يحيى بن بكير اخبرنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن سالم بن عبد الله عن ابن عمر قال : تمتع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع بالعمرة الى الحج وأهدى فساق معه الهدى من ذي الحليفة وبدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فأهل بالعمرة ثم أهل بالحج فتمتع الناس مع النبي صلى الله عليه وسلم بالعمرة الى الحج فكان من الناس «من أهدى فساق الهدي ومنهم من لم يهد ، فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم مكة قال للناس من كان منكم أهدى

من الابل والبقر والمعز والضأن ، وقال الثوري عن حبيب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله (فما استيسر من الهدي) قال شاة وكذا قال عطاء ومجاهد وطاوس وأبو العالية ومحمد بن علي ابن الحسين وعبد الرحمن بن القاسم والشعبي والنخعي والحسن وقتادة والضحاك ومقاتل بن حيان وغيرهم مثل ذلك وهو مذهب الائمة الاربعة : وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الاشج حدثنا أبو خالد الاحمر عن يحيى بن سعيد عن القاسم عن عائشة وابن عمر أنهما كانا لايريان مااستيسر من الهدي الا من الابل والبقر قال وروي عن سالم والقاسم وعروة بن الزبير وسعيد بن جبير نحو ذلك (قلت) والظاهر أن مستند هؤلاء فيما ذهبوا اليه قصة الحديبية فانه لم ينقل عن أحد منهم أنه ذبح في تحلله ذلك شاة وانما ذبحوا الابل والبقر ففي الصحيحين عن جابر قال أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نشترك في الابل والبقر كل سبعة منا في بقرة : وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس في قوله (فما استيسر من الهدي) قال بقدر يسارته ، وقال العوفي عن ابن عباس ان كان موسرا فمن الابل والا فمن البقر والا فمن الغنم ، وقال هشام بن عروة عن أبيه (فما استيسر من الهدى) قال انما ذلك فيما بين الرخص والغلاء والدليل على صحة قول الجمهور فيما ذهبوا اليه من اجزاء ذبح الشاة في الاحصار ان الله أوجب ذبح ما استيسر من الهدي أي مهما تيسر مما يسمى هديا والهدى من بهيمة الانعام وهي الابل والبقر والغنم كما قاله الحبر البحر ترجمان القرآن وابن عم الرسول صلى الله عليه وسلم وقد ثبت في الصحيحين عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت اهدى النبي صلى الله عليه وسلم مرة غنما

فانه لا يحل من شيء حرم منه حتى يقضي حجة ومن لم يكن منكم أهدى فليطف بالبيت ويسعى بين الصفا والمروة ويقصر وليتحلل ثم ليهل بالحج فمن لم يجد هديا فليصم ثلاثة أيام في الحج وسبعة اذا رجع الى أهله فطاف حين قدم مكة واستلم الركن أول شيء ثم خب ثلاثة أشواط ومشى أربعا فركع حين قضى طوافه بالبيت عند المقام ركعتين ثم سلم فانصرف فأتى الصفا فطاف بالصفا والمروة سبعة أشواط ثم لم يتحلل من شيء حرم منه حتى قضى حجه ونحر هديه يوم النحر وأفاض فطاف بالبيت ثم حل من كل شيء حرم منه وفعل مثل ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهدى وساق الهدى من الناس وعن عروة أن عائشة رضي الله عنها أخبرته عن النبي صلى الله عليه وسلم في تمتعه بالعمرة الى الحج فتمتع الناس معه بمثل الذي أخبرني سالم عن ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال شيخنا الامام رضي الله عنه : قد اختلف الرواة في احرام النبي صلى الله عليه وسلم كما ذكرنا وذكر الشافعي في كتاب اختلاف الاحاديث كلاما وجزا(١) أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان منهم المفرد والقارن والمتمتع وكل كان يأخذ منه أمر نسكه ويصدر عن تعليمه فأضيف الكل اليه على معنى انه أمر به وأذن فيه فيجوز في لغة العرب اضافة الفعل الى الآمر به كما يجوز اضافته الى الفاعل له كما يقال بنى فلان دارا وأريد انه أمر ببنائها . وكما روي ان النبي صلى الله

(١) وفي نسختنا : موجزة

وقوله (ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدي محله) معطوف على قوله (وأتموا الحج والعمرة لله) وليس معطوفا على قوله (فان أحصرتم فما استيسر من الهدى) كما زعمه ابن جرير رحمه الله لان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه عام الحديبية لما حصرهم كفار قريش عن الدخول الى الحرم حلقوا وذبحوا هديهم خارج الحرم فأما في حال الامن والوصول الى الحرم فلايجوز الحلق حتى يبلغ (الهدى محله) ويفرغ الناسك من أفعال الحج والعمرة ان كان قارنا أو من فعل أحدهما ان كان مفرداً أو متمتعا كما ثبت في الصحيحين عن حفصة أنها قالت : يارسول الله ما شأن الناس حلوا من العمرة ولم تحل أنت من عمرتك ؟ فقال : « إني لبدت رأسي وقلدت هديي فلا أحل حتى أنحر »

وقوله (فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك) قال البخاري : حدثنا آدم حدثنا شعبة عن عبد الرحمن بن الاصبهاني سمعت عبد الله بن معقل قال قعدت الى كعب بن عجرة في هذا المسجد يعني مسجد الكوفة فسألته عن فدية من صيام فقال : حملت الى النبي صلى الله عليه وسلم والقمل يتناثر على وجهي فقال . « ما كنت أرى أن الجهد بلغ بك هذا أما تجد شاة ؟ قلت : لا قال : صم ثلاثة أيام أو أطعم ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع من طعام واحلق رأسك » فنزلت فيّ خاصة وهي لكم عامة وقال الامام احمد : حدثنا اسماعيل حدثنا أيوب عن مجاهد عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن كعب بن عجرة قال : أتى علي النبي صلى الله عليه وسلم وأنا أوقد تحت قدر والقمل يتناثر على وجهي أو قال حاجبي فقال « يؤذيك هوام رأسك؟» قلت نعم قال : « فاحلقه وصم ثلاثة أيام أو أطعم ستة مساكين أو انسك نسيكة » قال أيوب : لا أدري بأيتهن

عليه وسلم رجم ماعزا وانما أمر برجمه واختار الشافعي الافراد لرواية جابر وعائشة وابن عمر وقدمها على رواية غيرهم لتقدم صحبة جابر النبي صلى الله عليه وسلم وحسن سياقه لابتداء قصة حجة الوداع وآخرها ولفضل حفظ عائشة وقرب ابن عمر من النبي صلى الله عليه وسلم . ومال الشافعي في اختلاف الاحاديث الى التمتع . وقال ليس شيء من الاختلاف أيسر من هذا وان كان الغلط فيه قبيحا من جهة انه مباح لان الكتاب ثم السنة ثم ما لا أعلم فيه خلافا يدل على ان التمتع بالعمرة الى الحج وأفراد الحج والقران واسع كله أي التمتع والافراد والقران وقال : من قال انه أفرد الحج يشبه ان يكون قاله على ما يعرف من أهل العلم الذين أدركوا دور رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أحدا لا يكون مقيما على الحج الا وقد ابتدأ احرامه بالحج . قال شيخنا الامام : ومما يدل على انه كان متمتعا ان الرواية عن ابن عمر وعائشة متعارضة وقد روينا عن ابن شهاب عن سالم عن ابن عمر قال : تمتع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع بالعمرة الى الحج . وقال ابن شهاب : عن عروة ان عائشة أخبرته عن النبي صلى الله عليه وسلم في تمتعه بالعمرة الى الحج فتمتع الناس معه بمثل الذي أخبرني سالم عن ابن عمر وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه عمرة استمتعنا بها وقال سعد بن أبي وقاص في المتعة صنعها رسول الله صلى الله عليه وسلم وصنعناها معه قال شيخنا الامام وما روي عن جابر انه قال

بدأ وقال احمد أيضاً حدثنا هشام حدثنا أبو بشر عن مجاهد عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن كعب بن عجرة قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحديبية ونحن محرمون وقد حصره المشركون وكانت لي وفرة فجعلت الهوام تساقط على وجهي فمر علي النبي صلى الله عليه وسلم فقال : «أيؤذيك هوام رأسك » فأمره أن يحلق قال ونزلت هذه الآية (فمن كان منكم مريضاً أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك) وكذا رواه عثمان عن شعبة عن أبي بشر وهو جعفر بن اياس به، وعن شعبة عن الحكم عن عبد الرحمن بن أبي ليلى به، وعن شعبة عن داود عن الشعبي عن كعب ابن عجرة نحوه ، ورواه الامام مالك عن حميد بن قيس عن مجاهد عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن كعب بن عجرة فذكر نحوه وقال سعد بن اسحق بن كعب بن عجرة عن ابان بن صالح عن الحسن البصري أنه سمع كعب بن عجرة يقول فذبحت شاة ورواه ابن مردويه، وروي أيضاً من حديث عمر بن قيس وهو ضعيف عن عطاء عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «النسك شاة والصيام ثلاثة أيام والطعام فرق بين ستة» وكذا روي عن علي ومحمد بن كعب وعلقمة وابراهيم ومجاهد وعطاء والسدي والربيع بن أنس وقال ابن أبي حاتم : أخبرنا يونس بن عبد الاعلى أخبرنا عبد الله بن وهب أن مالك بن أنس حدثه عن عبد الكريم بن مالك الجزري عن مجاهد عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن كعب بن عجرة أنه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فآذاه القمل في رأسه فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحلق رأسه وقال « صم ثلاثة أيام او أطعم ستة مساكين مدين مدين لكل انسان أو انسك شاة أي ذلك فعلت أجزأ عنك » وهكذا روى

خرجنا لا ننوي الا الحج- لا ينافي التمتع لان خروجهم كان لقصد الحج ثم منهم من قدم العمرة ومنهم من أهل بالحج الى ان أمره النبي صلى الله عليه وسلم أن يجعله متعة . قوله تعالى (فان أحصرتم) اختلف العلماء في الاحصار الذي يبيح للمحرم التحلل من احرامه فذهب جماعة الى ان كل مانع يمنعه عن الوصول الى البيت الحرام والمضي في احرامه من عدو أو مرض أو جرح أو ذهاب نفقة أو ضلال راحلة يبيح له التحلل وبه قال ابن مسعود وهو قول ابراهيم النخعي والحسن ومجاهد وعطاء وقتادة وعروة بن الزبير اليه ذهب سفيان الثوري وأهل العراق وقالوا ان الاحصار في كلام العرب هو حبس العلة أو المرض وقال الكسائي وأبو عبيدة ما كان من مرض أو ذهاب نفقه يقال منه أحصر فهو محصور وما كان من حبس عدو أو سجن يقال منه حصر فهو محصور » وانما جعل ههنا حبس العدو احصارا قياسا على المرض اذا كان معناه احتجوا بما روى عن عكرمة عن الحجاج بن عمرو الاري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من كسر أو عرج فقد حل وعليه الحج من قابل قال عكرمة : فسألت ابن عباس وأبا هريرة فقالا صدق . وذهب جماعة الى انه لا يباح له التحلل الا بحبس العدو وهو قول ابن عباس وقال لا حصر الا حصر العدو . وروى معناه عن ابن عمر وعبد الله بن الزبير وهو قول سعيد بن المسيب وسعيد بن جبير واليه ذهب الشافعي وأحمد واسحق . وقالوا الحصر والاحصار بمعنى واحد

ابن أبي سليم عن مجاهد عن ابن عباس في قوله (ففدية من صيام أو صدقة أو نسك) قال اذا كان أو فاية أخذت أجزأ عنك قال ابن أبي حاتم وروي عن مجاهد وعكرمة وعطاء وطاوس والحسن وحميد الاعرج وابراهيم النخعي والضحاك نحو ذلك (قلت) وهو مذهب الائمة الاربعة وعامة العلماء أنه يخير في هذا المقام إن شاء صام وإن شاء تصدق بفرق وهو ثلاثة آصع لكل مسكين نصف صاع وهو مدان وإن شاء ذبح شاة وتصدق بها على الفقراء أى ذلك فعل أجزأه ولما كان لفظ القرآن في بيان الرخصة بالاسهل فالاسهل (ففدية من صيام أو صدقة أو نسك) ولما أمر النبي صلى الله عليه وسلم كعب بن عجرة بذلك أرشده الى الافضل فالافضل فقال : انسك شاة أو أطعم ستة مساكين أو صم ثلاثة أيام فكل حسن في مقامه ولله الحمد والمنة وقال ابن جرير : حدثنا أبو كريب حدثنا أبو بكر بن عياش قال : ذكر الاعمش قال : سأل ابراهيم سعيد بن جبير عن هذه الآية (ففدية من صيام أو صدقة أو نسك) فأجابه بقول يحكم عليه طعام فان كان عنده اشترى شاة وان لم يكن قومت الشاة دراهما وجعل مكانها طعام فتصدق والا صام لكل نصف صاع يوما قال ابراهيم كذلك سمعت علقمة يذكر قال : لما قال لي سعيد بن جبير من هذا ما أظرفه ؟ قال : قلت هذا ابراهيم فقال ما أظرفه كان يجالسنا قال : فذكرت ذلك لابراهيم قال : فلما قلت يجالسنا انتقض منها وقال ابن جرير أيضا حدثنا ابن أبي عمران حدثنا عبيد الله بن معاذ عن أبيه عن أشعث عن الحسن في قوله (ففدية من صيام أو صدقة او نسك) قال : اذا كان بالمحرم اذى من رأسه حلق وافتدى بأي هذه الثلاثة شاء والصيام عشرة ايام والصدقة على عشرة مساكين كل مسكين مكوكين مكوكا من تمر ومكوكا من بر والنسك شاة وقال قتادة عن الحسن وعكرمة في قوله (ففدية من صيام أوصدقة

وقال ثعلب : تقول العرب حصرت الرجل عن حاجته فهو محصور وأحصره العدو اذا منعه عن السير هو محصر ، واحتجوا بان نزول هذه الآية في قصة الحديبية وكان ذلك حبسا من جهة العدو ويدل عليه قوله تعالى في سياق الآية (فاذا أمنتم) والامن يكون من الخوف ، وضعفوا حديث الحجاج بن عمرو بما ثبت عن ابن عباس انه قال : لا حصر الا حصر العدو ، وتأوله بعضهم على انه انما يحل بالكسر والعرج اذا كان قد شرط ذلك في عقد الاحرام كما روى ان ضباعة بنت الزبير كانت وجعة فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم : حجي واشترطي وقولي اللهم محلي حيث حبستني ثم المحصر يتحلل بذبح الهدى وحلق الرأس والهدى بشاة وهو المراد من قوله تعالى (فما استيسر من الهدى) ومحل ذبحه حيث أحصر عند أكثر أهل العلم لان النبي صلى الله عليه وسلم ذبح الهدى عام الحديبية بها ، وذهب قوم الى ان المحصر يقيم على احرامه ويبعث بهديه الى الحرم ويواعد من يذبحه هناك ثم يحل وهو قول أهل العراق ، واختلف القول في المحصر اذا لم يجد هديا ففي قول لا بدل له فيتحلل والهدى في ذمته الى ان يجده . والقول الثاني له بدل فعلى هذا اختلف القول فيه ، ففي قول عليه صوم التمتع . وفي قول تقوم الشاة بدراهم ويجعل الدراهم طعاما فيتصدق به فان عجز عن الاطعام

او نسك) قال: إطعام عشرة مساكين وهذا القولان من سعيد بن جبير وعلقمة والحسن وعكرمة قولان غريبان فيهما نظر لانه قد ثبتت السنة في حديث كعب بن عجرة الصيام ثلاثة ايام لا ستة او اطعام ستة مساكين او نسك شاة وان ذلك على التخيير كما دل عليه سياق القرآن واما هذا الترتيب فانما هو معروف في قتل الصيد كما هو نص القرآن وعليه اجمع الفقهاء هناك بخلاف هـذا والله اعلم.

وقال هشام: اخبرنا ليث عن طاوس انه كان يقول ما كان من دم او طعام فبمكة وما كان من صيام فحيث شاء، وكذا قال مجاهد وعطاء والحسن، وقال هشام اخبرنا حجاج وعبدالملك وغيرهما عن عطاء انه كان يقول: ما كان من دم فبمكة وما كان من طعام وصيام فحيث شاء، وقال هشيم اخبرنا يحيى ابن سعيد عن يعقوب بن خالد اخبرنا ابو اسماء مولى ابن جعفر قال حج عثمان بن عفان ومعه علي والحسين بن علي فارتحل عثمان قال ابو اسماء وكنت مع ابن جعفر فاذا نحن برجل نائم وناقته عند رأسه قال: فقلت ايها النائم! فاستيقظ فاذا الحسين بن علي قال فحمله ابن جعفر حتى اتينا به السقيا قال: فأرسل الى علي ومعه اسماء بنت عميس قال: فمرضناه نحوا من عشرين ليلة قال: قال علي للحسين ما الذي تجد؟ قال: فأومأ بيده الى راسه قال: فأمر به علي فحلق راسه ثم دعا ببدنة فنحرها فان كانت هذه الناقة عن الحلق ففيه انه نحرها دون مكة. وان كانت عن التحلل فواضح

وقوله (فاذا امنتم فمن تمتع بالعمرة الى الحج فما استيسر من الهدي) اي فاذا تمكنتم من اداء المناسك فمن كان منكم متمتعا بالعمرة الى الحج وهو يشمل من احرم بهما او احرم بالعمرة اولا فلما فرغ منها احرم بالحج وهـذا هو التمتع الخاص وهو المعروف في كلام الفقهاء والتمتع العام يشمل القسمين كما دلت عليه الاحاديث الصحاح فان من الرواة من يقول تمتع رسول الله صلى الله

صام عن كل مد من الطعام يوما كما في فدية الطيب واللبس فان المحرم اذا احتاج الى ستر رأسه لحرّ أو برد أو الى لبس قميص أو مرض فاحتاج الى مداراته بدواء فيه طيب فعل وعليه الفدية وفديته على الترتيب والتعديل فعليه ذبح شاة فان لم يجد يقوم الشاة بدراهم والدراهم يشتري بها طعاما فيتصدق به فان عجز صام عن كل مد يوما ثم المحصر ان كان احرامه بفرض قد استقر عليه فذلك الفرض في ذمته وان كان بحج تطوع فهل عليه القضاء؟ اختلفوا فيه فذهب جماعة الى انه لا قضاء عليه وهو قول مالك الشافعي وذهب قوم الى ان عليه القضاء وهو قول مجاهد والشعبي والنخعي وأصحاب الرأي

قوله تعالى ﴿ فما استيسر من الهدي ﴾ أي فعليه ما تيسر من الهدي، ومحله رفع وقيل ما في محل النصب أي فاهد ما استيسر. والهدي جمع هدية وهي اسم لكل ما يهدى الى بيت الله تقربا اليه، وما استيسر من الهدى شاة قاله علي بن أبي طالب وابن عباس، لانه أقرب الى اليسر. وقال الحسن وقتادة: أعلاه بدنة وأوسطه بقرة وأدناه شاة قوله تعالى ﴿ ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدي محله ﴾ اختلفوا في المحل الذي يحل المحصر ببلوغ هديه اليه فقال بعضهم هو ذبحه بالموضع الذي أحصر فيه سواء كان في الحل أو في الحرم ومعنى محله حيث يحل ذبحه فيه. أخبرنا عبدالواحد المليحي

عليه وسلم وآخر يقول قرن ولا خلاف انه ساق هديا (١) وقال تعالى (فمن تمتع بالعمرة الى الحج فما استيسر من الهدي) أي فليذبح ما قدر عليه من الهدي واقله شاة وله ان يذبح البقر لان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذبح عن نسائه البقر، وقال الاوزاعي عن يحيى بن ابي كثير عن ابي سلمة عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذبح البقر عن نسائه وكن متمتعات رواه ابو بكر بن مردويه وفي هذا دليل على مشروعية التمتع كما جاء في الصحيحين عن عمران بن حصين قال: نزلت آية المتعة في كتاب الله وفعلناها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لم ينزل قرآن يحرمها ولم ينه عنها حتى مات قال رجل برايه ماشاء. قال البخاري: يقال انه عمر، وهذا الذي قاله البخاري قد جاء مصرحا به أن عمر كان ينهى الناس عن التمتع ويقول ان نأخذ بكتاب الله فان الله يأمر بالتمام يعني قوله (وأتموا الحج والعمرة لله) وفي نفس الامر لم يكن عمر رضي الله عنه ينهى عنها محرما لها انما كان ينهى عنها ليكثر قصد الناس للبيت حاجين ومعتمرين كما قد صرح به رضي الله عنه

وقوله (فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة اذا رجعتم تلك عشرة كاملة) يقول تعالى فمن لم يجد هدياً فليصم ثلاثة أيام في الحج أي في أيام المناسك قال العلماء: والاولى أن يصومها قبل يوم عرفة في العشر قاله عطاء أو من حين يحرم قاله ابن عباس وغيره لقوله في الحج ومنهم من يجوز صيامها من أول شوال قاله طاوس ومجاهد وغير واحد وجوز الشعبي صيام يوم عرفة وقبله يومين وكذا قال مجاهد وسعيد بن جبير والسدي وعطاء وطاوس والحكم والحسن وحماد وابراهيم وأبو جعفر الباقر والربيع ومقاتل بن حيان وقال العوفي عن ابن عباس اذا لم يجد هديا فعليه صيام ثلاثة أيام في الحج قبل يوم عرفة فاذا كان يوم عرفة الثالث فقد تم صومه وسبعة اذا رجع الى أهله

اخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي اخبرنا محمد بن يوسف اخبرنا محمد ابن اسماعيل اخبرنا عبد الله ابن محمد اخبرنا عبدالرزاق اخبرنا معمر اخبرني الزهري اخبرني عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة في قصة الحديبية قال: فلما فرغ من قضية الكتاب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه «قوموا فانحروا ثم احلقوا فوالله ما قام رجل منهم حتى قال ذلك ثلاث مرات، فلما لم يقم منهم أحد دخل على أم سلمة فذكر لها ما لقي من الناس. فقالت أم سلمة: يانبي الله أتحب ذلك؟ اخرج ثم لا تكلم أحدا منهم بكلمة حتى تنحر بدنك وتدعو حالقك فيحلقك فخرج فلم يكلم أحدا منهم حتى فعل ذلك نحر بدنه ودعا حالقه فحلقه» فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضا حتى كاد بعضهم يقتل بعضا أي ازدحاما غما (١). وقال بعضهم محل هدي المحصر الحرم فان كان حاجا فمحله يوم النحر وان كان معتمرا فمحله يوم يبلغ هديه الحرم قوله تعالى ﴿ فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ﴾ معناه لا تحلقوا رؤسكم في حال الاحرام الا ان تضطروا الى حلقه لمرض أو لاذى في الرأس من هوام أو صداع ﴿ ففدية ﴾ فيه اضمار أي فحلق فعليه فدية نزلت في كعب بن عجرة أنا أخبرنا عبد الواحد المليحي اخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي اخبرنا محمد بن يوسف اخبرنا محمد بن اسماعيل

(١) وفي نسخة الازهر الهدي

«٢» كذا ولعله وغما وفي نسختنا «غما» فقط

وكذا روى أبو اسحق عن وبرة عن ابن عمر قال : يصوم يوما قبل يوم التروية ويوم التروية ويوم عرفة وكذا روى جعفر بن محمد عن أبيه عن علي أيضاً فلو لم يصمها أو بعضها قبل العيد فهل يجوز أن يصومها في أيام التشريق ؟ فيه قولان للعلماء وهما للامام الشافعي أيضا القديم منهما أنه يجوز له صيامها لقول عائشة وابن عمر في صحيح البخاري لم يرخص في أيام التشريق أن يصمن الا لمن لا يجد الهدي هكذا رواه مالك عن الزهري عن عروة عن عائشة وعن سالم عن ابن عمر وقد روي من غير وجه عنهما ورواه سفيان عن جعفر بن محمد عن أبيه عن علي أنه كان يقول من فاته صيام ثلاثة أيام في الحج صامهن أيام التشريق وبهذا يقول عبيد بن عمير الليثي عن عكرمة والحسن البصري وعروة بن الزبير وانما قالوا ذلك لعموم قوله (فصيام ثلاثة أيام في الحج) والجديد من القولين أنه لا يجوز صيامها أيام التشريق لما رواه مسلم عن قتيبة الهذلي رضي الله عنه قال:قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أيام التشريق أيام أكل وشرب وذكر الله عز وجل » وقوله (وسبعة اذا رجعتم) فيه قولان : (أحدهما) اذا رجعتم الى رحالكم ولهذا قال مجاهد هي رخصة اذا شاء صامها في الطريق وكذا قال عطاء بن أبي رباح والقول (الثاني) اذا رجعتم الى أوطانكم قال عبد الرزاق : أخبرنا الثوري عن يحيى بن سعيد عن سالم سمعت ابن عمر قال : (فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة اذا رجعتم)قال اذا رجع الى أهله وكذا روي عن سعيد بن جبير وأبي العالية ومجاهد وعطاء وعكرمة والحسن وقتادة والزهري والربيع بن أنس وحكى على ذلك أبو جعفر بن جرير

اخبرنا الحسن بن خلف اخبرنا اسحق بن يوسف عن أبي بشر ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال : حدثني عبد الرحمن بن أبي ليلى عن كعب بن عجرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رآه وقمله يسقط على وجهه فقال أيؤذيك هوامك ؟ قال نعم . فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يحلق وهو بالحديبية ولم يبين لهم أنهم يحلون بها وهم على طمع ان يدخلوا مكة فأنزل الله الفدية فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يطعم فرقا بين ستة مساكين أو يهدي شاة أو يصوم ثلاثة أيام. قوله تعالى ﴿ ففدية من صيام ﴾ أي ثلاثة أيام ﴿ أو صدقة ﴾ أي ثلاثة آصع على ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع ﴿ أو نسك ﴾ واحدتها نسيكة أي ذبيحة أعلاها بدنة وأوسطها بقرة وأدناها شاة أيتها شاء ذبح فهذه الفدية على التخيير والتقدير ويتخير بين ان يذبح أو يصوم أو يتصدق ، وكل هدي أو طعام يلزم المحرم يكون بمكة ويتصدق به على مساكين الحرم الا هديا يلزم المحصر فانه يذبحه حيث أحصر ، وأما الصوم فله ان يصوم حيث شاء.قوله تعالى ﴿ فاذا أمنتم ﴾ أي من خوفكم وبرأتم من مرضكم ﴿ فمن تمتع بالعمرة الى الحج فما استيسر من الهدى ﴾ اختلفوا في هذه المتعة فذهب عبد الله ابن الزبير الى ان معناه فمن أحصر حتى فاته الحج ولم يتحلل فقدم مكة يخرج من احرامه بعمل عمرة واستمتع باحلاله ذلك بتلك العمرة الى السنة المقبلة ثم حج فيكون متمتعا بذلك الاحلال الى احرامه الثاني في العام القابل . وقال بعضهم معناه (فاذا أمنتم) وقد حللتم من احرامكم بعد الاحصار ولم

الاجماع وقد قال البخاري حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن سالم بن عبدالله أن ابن عمر قال : تمتع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع بالعمرة الى الحج وأهدى فساق معه الهدي من ذي الحليفة فأهل بعمرة ثم أهل بالحج فتمتع الناس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وبدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعمرة الى الحج فكان من الناس من أهدى فساق الهدي ومنهم من لم يهد فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم مكة قال للناس : « من كان منكم أهدى فانه لا يحل لشيء حرم منه حتى يقضي حجه ومن لم يكن منكم أهدى فليطف بالبيت وبالصفا والمروة وليقصر وليحلل ثم ليهلل بالحج فمن لم يجد هديا فليصم ثلاثة أيام في الحج وسبعة اذا رجع الى هله » وذكر تمام الحديث قال لزهري وأخبرني عروة عن عائشة بمثل ما أخبرني سالم عن أبيه والحديث مخرج في الصحيحين من حديث الزهري . به وقوله (تلك عشرة كاملة) قيل تأكيد كما تقول العرب رأيت بعيني وسمعت بأذني وكتبت بيدي وقال الله تعالى (ولا طائر يطير بجناحيه) وقال (ولا تخطه بيمينك) وقال (وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة) وقيل معنى كاملة الامر بإكمالها وإتمامها اختاره ابن جرير وقيل معنى كاملة أي مجزئة عن الهدي قال هشام عن عباد بن راشد عن الحسن البصري في قوله (تلك عشرة كاملة) قال: من الهدي

تقضوا عمرتكم وأخرتم العمرة الى السنة القابلة فاعتمرتم في أشهر الحج ثم أحللتم فاستمتعتم باحلالكم الى الحج ثم أحرمتم بالحج فعليكم ما استيسر من الهدى وهو قول علقمة وابراهيم النخعي وسعيد بن جبير وقال ابن عباس وعطاء وجماعة هو الرجل يقدم معتمرا من أفق من الآفاق في أشهر الحج فقضى عمرته وأقام حلالا بمكة حتى أنشأ منها الحج فحج من عامه ذلك فيكون مستمتعا بالاحلال من العمرة الى وحرامه بالحج فمعنى التمتع هو الاستمتاع بعد الخروج من العمرة بما كان محظورا عليه في الاحرام الى احرامه بالحج ولوجوب هدي التمتع أربع شرائط(١) أحدها ان يحرم بالعمرة في أشهر الحج (والثاني) ان يحج بعد الفراغ من العمرة في هذه السنة (الثالث) ان يحرم بالحج في مكة ولا يعود الى الميقات لاحرامه (الرابع) أن لا يكون من حاضري المسجد الحرام، فمتى وجدت هذه الشرائط فعليه ما استيسر من الهدى وهو دم شاة ويذبحها يوم النحر فلو ذبحها قبله بعد ما أحرم بالحج يجوز عند بعض أهل العلم كدماء الجبرانات وذهب بعضهم الى انه لا يجوز قبل يوم النحر كدم الاضحية قوله تعالى ﴿ فمن لم يجد ﴾ الهدي ﴿ فصيام ثلاثة أيام في الحج ﴾ أى صوموا ثلاثة أيام يصوم يوم قبل التروية ويوم التروية ويوم عرفة ولو صام قبله بعد ما أحرم بالحج جاز ولا يجوز يوم النحر ولا أيام التشريق عند أكثر أهل العلم وذهب بعضهم الى جواز صوم ثلاثة في أيام التشريق يروى ذلك عن عائشة وابن عمر ابن الزبير وهو قول مالك والاوزاعي واحمد واسحق .قوله تعالى ﴿ وسبعة اذا رجعتم ﴾ أى صوموا وسبعة أيام اذا رجعتم الى أهليكم وبلدكم فلو صام السبعة قبل الرجوع الى أهله لا يجوز وهو قول اكثر أهل العلم روى ذلك عن ابن عمر وابن عباس وقيل يجوز ان يصومها بعد الفراغ من أعمال الحج

(١) هكذا ذكر العدد فى جميع النسخ والمعدود مؤنث لان الشرائط جمع شريطة

وقوله (ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام) قال ابن جرير واختلف أهل التأويل فيمن عني بقوله (لمن لم يكن أهله حاضرى المسجد الحرام) بعد إجماع جميعهم على أن أهل الحرم معنيون به وانه لا متعة لهم فقال بعضهم عني بذلك أهل الحرم خاصة دون غيرهم حدثنا ابن بشار حدثنا عبد الرحمن حدثنا سفيان هو الثورى قال : قال ابن عباس هم أهل الحرم وكذا روى ابن المبارك عن الثورى وزاد الجماعة عليه وقال قتادة : ذكر لنا أن ابن عباس كان يقول يا أهل مكة لا متعة لكم أحلت لاهل الآفاق وحرمت عليكم، انما يقطع أحدكم واديا أو قال يجعل بينه وبين الحرم واديا ثم يهل بعمرة. وقال عبد الرزاق حدثنا معمر عن ابن طاوس عن أبيه قال : المتعة للناس لا لاهل مكة من لم يكن أهله من الحرم. وكذا قول الله عز وجل (ذلك لمن لم يكن أهله حاضرى المسجد الحرام) قال وبلغني عن ابن عباس مثل قول طاوس وقال آخرون هم أهل الحرم ومن بينه وبين المواقيت كما قال عبد الرزاق : أخبرنا معمر عن عطاء قال : من كان أهله دون المواقيت فهو كأهل مكة لا يتمتع وقال عبد الله بن المبارك عن عبد الرحمن بن يزيد عن جابر عن مكحول في قوله (ذلك لمن لم يكن أهله حاضرى المسجد الحرام) قال من كان دون الميقات وقال ابن جريج عن عطاء ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام قال عرفة ومزدلفة وعرنة والرجيع وقال عبد الرزاق : حدثنا معمر سمعت الزهري يقول من كان أهله على يوم أو نحوه تمتع وفي رواية عنه اليوم واليومين واختار ابن جرير في ذلك مذهب الشافعي أنهم أهل الحرم ومن كان منه على مسافة لا يقصر فيها الصلاة لان من كان كذلك يعد حاضرا لا مسافرا والله أعلم

وهو المراد من الرجوع المذكور في الآية قوله تعالى ﴿ تلك عشرة كاملة ﴾ ذكرها على وجه التأكيد وهذا لان العرب ماكانوا يهتدون الى الحساب فكانوا يحتاجون الى فضل شرح وزيادة بيان وقيل فيه تقديم وتأخير يعني فصيام عشرة أيام ثلاثة في الحج وسبعة اذا رجعتم فهي عشرة كاملة وقيل كاملة في الثواب والاجر، وقيل كاملة فيما أريد به من اقامة الصوم بدل الهدى وقيل كاملة بشروطها وحدودها، وقيل لفظه خبر ومعناه أمر أى فاكملوها ولا تنقصوها ﴿ذلك﴾ أي هذا الحكم ﴿ لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام ﴾ واختلفوا في حاضري المسجد الحرام فذهب قوم الى انهم أهل مكة وهو قول مالك وقيل هم أهل الحرم وبه قال طاوس وقال ابن جريج أهل عرفة والرجيع وضجنان ونخلتان وقال الشافعي كل من كان وطنه من مكة على أقل من مسافة القصر فهو من حاضرى المسجد الحرام وقال عكرمة هم من دون الميقات وقيل هم أهل الميقات فما دونه وهو قول أصحاب الرأى ودم القران كدم التمتع والمكي اذا قرن أو تمتع فلا هدى عليه قال عكرمة : سئل ابن عباس عن متعة الحج فقال : أهل المهاجرون والانصار وأزواج النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع وأهللنا فلما قدمنا مكة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اجعلوا إهلالكم بالحج عمرة إلا من قلد الهدي » فطفنا بالبيت و بالصفا والمروة وأتينا النساء ولبسنا الثياب ثم أمرنا عشية التروية

وقوله (واتقوا الله) أى فيما أمركم ونهاكم (واعلموا أن الله شديد العقاب) أى لمن خالف أمره وارتكب ما عنه زجره

(١٩٦) الحج اشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فان خير الزاد التقوى واتقون ياأولي الالباب)

اختلف أهل العربية في قوله (الحج أشهر معلومات) فقال بعضهم تقديره الحج حج أشهر معلومات فعلى هذا التقدير يكون الاحرام بالحج فيها اكمل من الاحرام فيما عداها وان كان ذلك صحيحا والقول بصحة الاحرام بالحج في جميع السنة مذهب مالك وأبي حنيفة واحمد بن حنبل واسحق بن راهوايه وبه يقول ابراهيم النخعي والثوري والليث بن سعد واحتج لهم بقوله تعالى (يسألونك عن الاهلة قل هي مواقيت للناس والحج) وبأنه أحد النسكين فصح الاحرام به في جميع السنة كالعمرة . وذهب الشافعي رحمه الله الى أنه لايصح الاحرام بالحج الا في أشهره فلو أحرم به قبلها لم ينعقد أحرامه به وهل ينعقد عمرة، فيه قولان عنه . والقول بأنه لايصح الاحرام بالحج الا في أشهره مروي عن ابن عباس وجابر و به يقول عطاء وطاوس ومجاهد رحمهم الله والدليل

أن نهل بالحج فاذا فرغنا فقد تم حجنا وعلينا الهدى فجمعوا بين نسكين في عام بين الحج والعمرة فان الله أنزل في كتابه وسنة نبيه وأباحه للناس من غير أهل مكة قال الله تعالى (ذلك لمن لم يكن أهله حاضرى المسجد الحرام) ومن فاته الحج وفواته يكون بفوات الوقوف بعرفة حتى يطلع الفجر يوم النحر فانه يتحلل بعمل العمرة وعليه القضاء من قابل والفدية وهي على الترتيب والتقدير كفدية التمتع والقران أخبرنا أبو الحسن السرخسي اخبرنا زاهر بن احمد اخبرنا ابو اسحق الهاشمي اخبرنا ابو مصعب عن مالك عن نافع عن سليمان بن يسار ان هناد بن الاسود جاء يوم النحر وعمر بن الخطاب ينحر هديه فقال : ياأمير المؤمنين اخطأنا العدد كنا نظن ان هذا اليوم يوم عرفه فقال له عمر : اذهب الى مكة فطف أنت ومن معك بالبيت واسعوا بين الصفا والمروة وانحروا هديا إن كان معكم ثم احلقوا أو قصروا ثم ارجعوا فاذا كان العام القابل فحجوا واهدوا فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة اذا رجع ﴿ واتقوا الله ﴾ في أداء الاوامر ﴿ واعلموا أن الله شديد العقاب ﴾ على ارتكاب المناهي

قوله تعالى ﴿ الحج أشهر معلومات ﴾ أي وقت الحج أشهر معلومات وهي شوال وذو القعدة وتسع من ذي الحجة الى طلوع الفجر من يوم النحر ويروى عن ابن عمر شوال وذو القعدة وعشر من ذي الحجة وكل واحد من اللفظين صحيح غير مختلف فيه فمن قال عشر عبر به عن الليالي ومن قال تسع عبر به عن الايام فان آخر أيامها يوم عرفة وهو يوم التاسع وإنما قال أشهر بلفظ الجمع وهي شهران و بعض الثالث لانها وقت والعرب تسمي الوقت تاما بقليله وكثيره فيقول أتيتك يوم الخميس

عليه قوله (الحج أشهر معلومات) وظاهره التقدير الآخر الذي ذهب اليه النحاة وهو ان وقت الحج أشهر معلومات(١) فخصصه بها من بين سائر شهور السنة فدل على انه لا يصح قبلها كميقات الصلاة : وقال الشافعي رحمه الله أخبرنا مسلم بن خالد عن ابن جريج أخبرني عمر بن عطاء عن عكرمة عن ابن عباس انه قال لا ينبغي لاحد أن يحرم بالحج الا في شهور الحج من أجل قول الله تعالى (الحج أشهر معلومات) وكذا رواه ابن أبي حاتم عن احمد بن يحيى بن مالك السوسي(٢) بن حجاج ابن محمد الاعور عن ابن جريج به ورواه ابن مردويه في تفسيره من طريقين عن حجاج بن أرطاة عن الحاكم بن عتيبة عن مقسم عن ابن عباس انه قال من السنة ان لايحرم بالحج الا في أشهر الحج وقال ابن خزيمة في صحيحه حدثنا أبو كريب حدثنا ابو خالد الاحمر عن شعبة عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس قال لايحرم بالحج الا في أشهر الحج فان من سنة الحج أن يحرم بالحج في أشهر الحج وهذا اسناد صحيح . وقول الصحابي من السنة كذا في حكم المرفوع عند الاكثرين ولا سيما قول ابن عباس تفسيرا للقرآن وهو ترجمانه . وقد ورد فيه حديث مرفوع ، قال ابن مردويه حدثنا عبد الباقي حدثنا نافع حدثنا الحسن بن المثنى حدثنا أبو حذيفة حدثنا سفيان عن أبي الزبير عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال «لا ينبغي لاحد أن يحرم بالحج الا في أشهر الحج» واسناده لا بأس به لكن رواه الشافعي والبيهقي من طرق عن ابن جريج عن أبي الزبير انه سمع جابر بن عبد الله يسأل أيهل بالحج قبل أشهر الحج ؟ فقال لا وهذا الموقوف أصح وأثبت من المرفوع ويبقى حينئذ مذهب صحابي يتقوى بقول ابن عباس من السنة أن لايحرم بالحج الا في أشهره والله أعلم

وقوله (أشهر معلومات) قال البخارى قال ابن عمر هي شوال وذو القعدة وعشر من ذى

(١) قوله وظاهره الى قوله معلومات سقط من نسخة الازهر

(٢) وفى نسخة الازهر السرسي بالراء

وإنما أتاه في ساعة منه ويقول زرتك العام وانما زاره في بعضه، وقيل الاثنان فما فوقهما جماعة لان معنى الجمع ضم شيء الى شيء فاذا جاز أن يسمى الاثنان جماعة جاز أن يسمى الاثنان وبعض الثالث جماعة وقد ذكر الله تعالى الاثنين بلفظ الجمع فقال : (فقد صغت قلوبكما) أي قلبا كما وقال عروة ابن الزبير وغيره أراد بالاشهر شوالا وذا القعدة وذا الحجة كاملا لانه يبقى على الحاج أمور بعد عرفة يجب عليه فعلها مثل الرمي والذبح والحلق وطواف الزيارة والبيتوتة بمنى فكانت في حكم الحج ﴿ فمن فرض فيهن الحج ﴾ أي فمن أوجب على نفسه الحج بالاحرام والتلبية وفيه دليل على أن من أحرم بالحج في غير أشهر الحج لا ينعقد إحرامه بالحج وهو قول ابن عباس وجابر وبه قال عطاء وطاوس ومجاهد واليه ذهب الاوزاعي والشافعي وقال سعيد ينعقد احرامه بالعمرة لان الله تعالى خص هذه الاشهر بفرض الحج فيها فلو انعقد في غيرها لم يكن لهذا التخصيص فائدة كما أنه علق الصلوات بالمواقيت ثم من أحرم بفرض الصلاة قبل دخول وقته لا ينعقد إحرامه عن الفرض وذهب جماعة الى أنه ينعقد احرامه بالحج وهو قول مالك والثورى وأبي حنيفة رضي الله عنهم وأما العمرة فجميع أيام السنة لها الا أن يكون متلبسا بالحج وروى عن أنس أنه كان بمكة فكان اذا حمم رأسه

الحجة وهذا الذي علقه البخاري بصيغة الجزم رواه ابن جرير موصولا: حدثنا احمد بن حازم بن أبي زغرة حدثنا أبو نعيم حدثنا ورقاء عن عبدالله بن دينار عن ابن عمر (الحج أشهر معلومات) قال شوال وذو القعدة وعشر من ذى الحجة، اسناد صحيح . وقد رواه الحاكم ايضا في مستدركه عن الاصم عن الحسن بن علي بن عفان عن عبد الله بن نمير عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر فذكره وقال هو على شرط الشيخين (قلت) وهو مروي عن عمر وعلي وابن مسعود وعبد الله بن الزبير وابن عباس وعطاء وطاوس ومجاهد وابراهيم النخعي والشعبي والحسن وابن سيرين ومكحول وقتادة والضحاك ابن مزاحم والربيع بن أنس ومقاتل بن حيان وهو مذهب الشافعي وأبي حنيفة واحمد بن حنبل وأبي يوسف وأبي ثور رحمهم الله واختار هذا القول ابن جرير قال وصح اطلاق الجمع على شهرين وبعض الثالث للتغليب كما تقول العرب رأيته العام ورأيته اليوم وانما وقع ذلك في بعض العام واليوم (فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه) وانما تعجل في يوم ونصف يوم * وقال الامام مالك بن أنس والشافعي في القديم هي شوال وذو القعدة وذو الحجة بكماله وهو رواية عن ابن عمر أيضا قال ابن جرير حدثنا أحمد بن اسحق حدثنا أبو احمد حدثنا شريك عن ابراهيم بن مهاجر عن مجاهد عن ابن عمر قال: شوال وذو القعدة وذا الحجة ، وقال ابن أبي حاتم في تفسيره حدثنا يونس بن عبد الاعلى حدثنا ابن وهب أخبرني ابن جريج قال قلت لنافع أسمعت عبد الله بن عمر يسمى شهور الحج قال نعم كان عبد الله يسمى شوال وذو القعدة وذا الحجة قال ابن جريج وقال ذلك ابن شهاب وعطاء وجابر بن عبد الله صاحب النبي صلى الله عليه وسلم وهذا اسناد صحيح الى ابن جريج وقد حكى هذا أيضا عن طاوس ومجاهد وعروة بن الزبير والربيع بن أنس وقتادة وجاء فيه حديث مرفوع لكنه موضوع ، رواه الحافظ بن مردويه من طريق حصين بن مخارق وهو متهم بالوضع عن

خرج فاعتمر قوله تعالى ﴿ فلا رفث ولا فسوق ﴾ قرأ ابن كثير وأهل البصرة ﴿ فلا رفث ولا فسوق ﴾ بالرفع والتنوين فيهما وقرأ الاخرون بالنصب من غير تنوين كقوله تعالى (ولا جدال في الحج)وقرأ أبو جعفر كلها بالرفع والتنوين واختلفوا في الرفث قال ابن مسعود وابن عباس وابن عمر هو الجماع وهو قول الحسن ومجاهد وعمرو بن دينار وقتادة وعكرمة والربيع وابراهيم النخعي وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس الرفث غشيان النساء والتقبيل والغمز وأن يعرض لها بالفحش من الكلام قال حصين بن قيس أخذ ابن عباس رضي الله عنه بذنب بعيره فجعل يلويه وهو يحدو ويقول

وهن يمشين بنا هميسا * ان تصدق الطير ننك لميسا

فقلت له أترفث وأنت محرم . فقال انما الرفث ماقيل عند النساء . قال طاوس : الرفث التعريض للنساء بالجماع وذكره بين أيديهن . وقال عطاء : الرفث قول الرجل للمرأة في حال الاحرام اذا حللت أصبتك . وقيل الرفث الفحش والقول القبيح * أما الفسوق فقد قال ابن عباس هو المعاصي كلها وهو قول طاوس والحسن وسعيد بن جبير وقتادة والزهري والربيع والقرظي . وقال ابن عمر :

عن يونس ابن عبيد عن شهر بن حوشب عن أبي أمامة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الحج أشهر معلومات شوال وذو القعدة وذو الحجة » وهذا كما رأيت لا يصح رفعه والله أعلم . وفائدة مذهب مالك أنه الى آخر ذي الحجة بمعنى أنه مختص بالحج فيكره الاعتمار في بقية ذي الحجة لا أنه يصح الحج بعد ليلة النحر. قال ابن أبي حاتم : حدثنا احمد بن سنان حدثنا أبو معاوية عن الاعمش عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب قال قال عبد الله: الحج اشهر معلومات ليس فيها عمرة وهذا إسناد صحيح. قال ابن جرير : وانما أراد من ذهب الى أن أشهر الحج شوال وذو القعدة وذو الحجة أن هذه الاشهر ليست أشهر العمرة انما هي للحج وان كان عمل الحج قد انقضى بانقضاء أيام منى كما قال محمد بن سيرين ما أحد من أهل العلم يشك في أن عمرة في غير أشهر الحج أفضل من عمرة في أشهر الحج وقال ابن عون : سألت القاسم بن محمد عن العمرة في أشهر الحج فقال كانوا لا يرونها تامة (قلت) وقد ثبت عن عمر وعثمان رضي الله عنهما أنهما كانا يحبان الاعتمار في غير أشهر الحج وينهيان عن ذلك في أشهر الحج والله أعلم

وقوله (فمن فرض فيهن الحج) أي أوجب باحرامه حجا. فيه دلالة على لزوم الاحرام بالحج والمضي فيه قال ابن جرير : أجمعوا على أن المراد من الفرض ههنا الايجاب والالزام وقال علي ابن أبي طلحة عن ابن عباس (فمن فرض فيهن الحج) يقول من أحرم بحج أو عمرة وقال عطاء : الفرض الاحرام وكذا قال ابراهيم والضحاك وغيرهم وقال ابن جريج : أخبرني عمر بن عطاء عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال : (فمن فرض فيهن الحج) فلا ينبغي أن يلبي بالحج ثم يقيم بأرض. قال ابن أبي حاتم : وروي عن ابن مسعود وابن عباس وابن الزبير ومجاهد وعطاء وابراهيم النخعي وعكرمة والضحاك وقتادة وسفيان والثوري والزهري ومقاتل بن حيان نحو ذلك وقال طاوس والقاسم بن محمد هو التلبية وقوله (فلا رفث) أي من أحرم بالحج أو العمرة فليجتنب الرفث وهو الجماع كما قال تعالى (أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم) وكذلك يحرم تعاطي دواعيه من المباشرة والتقبيل ونحو ذلك وكذلك التكلم به بحضرة النساء قال ابن جرير حدثني يونس أخبرنا ابن وهب أخبرني يونس أن نافعا أخبره أن عبد الله بن عمر كان يقول : الرفث إتيان النساء والتكلم بذلك الرجال والنساء اذا ذكروا ذلك بأفواههم قال ابن وهب وأخبرني أبو صخر عن محمد بن كعب مثله قال

ما نهى عنه المحرم في حال الاحرام من قتل الصيد وتقليم الاظفار وأخذ الاشعار وما أشبههما . وقال ابراهيم وعطاء ومجاهد هو السباب بدليل قول النبي صلى الله عليه وسلم « سباب المسلم فسوق وقتاله كفر » وقال الضحاك : هو التنابز بالالقاب بدليل قوله تعالى (ولا تنابزوا بالالقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان) أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي اخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي اخبرنا محمد بن يوسف اخبرنا محمد بن اسماعيل اخبرنا آدم اخبرنا شعبة اخبرنا سيار أبو الحكم قال:

ابن جرير وحدثنا محمد بن بشار حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن قتادة عن رجل عن أبي العالية الرياحي عن ابن عباس أنه كان يحدو وهو محرم وهو يقول :

وهن يمشين بنا هميسا ان تصدق الطير ننك لميسا

قال أبو العالية : فقلت تكلم بالرفث وأنت محرم ؟ قال: إنما الرفث ما قيل عند النساء. ورواه الاعمش عن زياد بن حصين عن أبي العالية عن ابن عباس فذكره وقال ابن جرير أيضا حدثنا محمد ابن بشار حدثنا ابن أبي عدي عن عوف حدثني زياد بن حصين حدثني ابي حصين بن قيس قال : صعدت مع ابن عباس في الحاج وكنت خليلا له فلما كان بعد إحرامنا قال ابن عباس: فأخذ بذنب بعيره فجعل يلويه ويرتجز ويقول :

وهن يمشين بنا هميسا ان تصدق الطير ننك لميسا

قال : فقلت أترفث وأنت محرم ؟ فقال : انما الرفث ما قيل عند النساء . وقال عبد الله بن طاوس عن أبيه سألت ابن عباس عن قول الله عز وجل (فلا رفث ولا فسوق) قال : الرفث التعريض بذكر الجماع وهي العرابة في كلام العرب وهو أدنى الرفث وقال عطاء بن أبي رباح الرفث الجماع ومادونه من قول الفحش وكذا قال عمرو بن دينار وقال عطاء: كانوا يكرهون العرابة وهو التعريض وهو محرم وقال طاوس: هو أن يقول المرأة اذا حللت أصبتك وكذا قال أبو العالية وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس الرفث غشيان النساء والقبلة والغمز وان تعرض لها بالفحش من الكلام ونحو ذلك وقال ابن عباس أيضا وابن عمر الرفث غشيان النساء وكذا قال سعيد بن جبير وعكرمة ومجاهد وابراهيم وأبو العالية عن عطاء ومكحول وعطاء الخراساني وعطاء بن يسار وعطية وابراهيم النخعي والربيع والزهري والسدي ومالك بن أنس ومقاتل بن حيان وعبد الكريم بن مالك والحسن وقتادة والضحاك وغيرهم

وقوله (ولا فسوق) قال مقسم وغير واحد عن ابن عباس هي المعاصي وكذا قال عطاء ومجاهد وطاوس وعكرمة وسعيد بن جبير ومحمد بن كعب والحسن وقتادة وابراهيم النخعي والزهري والربيع بن أنس وعطاء بن يسار وعطاء الخرساني ومقاتل بن حيان وقال محمد بن اسحق عن نافع عن ابن عمر قال : الفسوق ما أصيب من معاصي الله صيدا أو غيره وكذا روى ابن وهب عن يونس عن نافع أن عبد الله بن عمر كان يقول : الفسوق إتيان معاصي الله في الحرم وقال آخرون :

سمعت أبا حازم يقول : سمعت أبا هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع (١) كيوم ولدته أمه

قوله تعالى ﴿ ولا جدال في الحج ﴾ قال ابن مسعود وابن عباس : الجدال ان يماري صاحبه ويخاصمه حتى يغضبه وهو قول عمرو بن دينار وسعيد بن جبير وعكرمة والزهري وعطاء وقتادة . وقال القاسم بن محمد : هو ان يقول بعضهم الحج اليوم ويقول بعضهم الحج غدا . وقال القرظي :

«١» زادها في النسخ المطبوعة «من ذنوبه» وهو ليس في الصحيح فاعتمدنا نسختنا الخطية الموافقة لما في الصحيح

الفسوق ههنا السباب قاله ابن عباس وابن عمر وابن الزبير ومجاهد والسدي وابراهيم النخعي والحسن وقد يتمسك لهؤلاء بما ثبت في الصحيح « سباب المسلم فسوق وقتاله كفر » ولهذا رواه ههنا الحبر أبو محمد بن أبي حاتم من حديث سفيان الثوري عن زبيد عن أبي وائل عن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « سباب المسلم فسوق وقتاله كفر » وروى من حديث عبد الرحمن بن عبد الله ابن مسعود عن أبيه ومن حديث أبي اسحق عن محمد بن سعد عن أبيه. وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم الفسوق ههنا الذبح للاصنام قال الله تعالى (أو فسقا أهل لغير الله به) وقال الضحاك : الفسوق التنابز بالالقاب. والذين قالوا الفسوق ههنا هو جميع المعاصي الصواب معهم كما نهى تعالى عن الظلم في الاشهر الحرم وان كان في جميع السنة منهيا عنه الا أنه في الاشهر الحرم آكد ولهذا قال : (منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم) وقال في الحرم : (ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم) واختار ابن جرير أن الفسوق ههنا هو ارتكاب ما نهي عنه في الاحرام من قتل الصيد وحلق الشعر وقلم الاظفار ونحو ذلك كما تقدم عن ابن عمر وما ذكرناه أولى والله أعلم. وقد ثبت في الصحيحين من حديث أبي حازم عن ابي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه (١) »

وقوله (ولا جدال في الحج) فيه قولان : (احدهما) ولا مجادلة في وقت الحج في مناسكه وقد بينه الله اتم بيان ووضحه اكمل إيضاح كما قال وكيع عن العلاء بن عبد الكريم سمعت مجاهداً يقول (ولا جدال في الحج) قد بين الله اشهر الحج فليس فيه جدال بين الناس وقال ابن ابي نجيح عن مجاهد (ولا جدال في الحج) قال لا شهر ينسأ ولا جدال في الحج قد تبين ثم ذكر كيفية ما كان المشركون يصنعون في النسيء الذي ذمهم الله به. وقال الثوري عن عبد العزيز بن رفيع عن مجاهد في قوله (ولا جدال في الحج) قال قد استقام الحج فلا جدال فيه وكذا قال السدي وقال هشام : اخبرنا حجاج عن عطاء عن ابن عباس (ولا جدال في الحج) قال المراء في الحج وقال عبدالله ابن وهب قال مالك قال الله تعالى (ولا جدال في الحج) فالجدال في الحج والله اعلم ان قريشا كانت تقف عند المشعر الحرام بالمزدلفة وكانت العرب وغيرهم يقفون بعرفة وكانوا يتجادلون يقول هؤلاء : نحن اصوب ويقول هؤلاء : نحن اصوب فهذا فيما نرى والله اعلم وقال ابن وهب عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم كانوا يقفون مواقف مختلفة يتجادلون كلهم يدعي ان موقفه موقف ابراهيم فقطعه الله حين أعلم نبيه بالمناسك. وقال ابن وهب عن أبي صخر عن محمد بن كعب قال : كانت

(١) رواية الصحيحين « رجع كيوم ولدته أمه » وليس فيهما خرج من ذنوبه. ولفظ مسلم في أوله «من أتى هذا البيت» وفي رواية للبخاري « من حج لله »

كانت قريش اذا اجتمعت بمنى قال هؤلاء حجنا أتم من حجكم ، وقال هؤلاء حجنا أتم من حجكم. وقال مقاتل : هو ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم في حجة الوداع وقد أحرموا بالحج « اجعلوا اهلالكم بالحج عمرة الا من قلد الهدى » قالوا كيف نجعله عمرة وقد سمينا الحج؟ فهذا جدالهم. وقال ابن زيد : كانوا يقفون مواقف مختلفة كلهم يزعم ان موقفه موقف ابراهيم فكانوا يجادلون

قريش اذا اجتمعت بمنى قال هؤلاء حجنا أتم من حجكم وقال هؤلاء حجنا أتم من حجكم. وقال حماد بن سلمة عن جبير بن حبيب عن القاسم بن محمد انه قال: الجدال في الحج ان يقول بعضهم الحج غدا ويقول بعضهم الحج اليوم وقد اختار ابن جرير مضمون هذه الاقوال وهو قطع التنازع في مناسك الحج والله أعلم.

(والقول الثاني) ان المراد بالجدال ههنا المخاصمة قال ابن جرير: حدثنا عبد الحميد بن حسان حدثنا اسحق عن شريك عن أبي اسحق عن أبي الاحوص عن عبد الله بن مسعود في قوله (ولا جدال في الحج) قال ان تماري صاحبك حتى تغضبه وبهذا الاسناد الى أبي اسحق عن التميمي: سألت ابن عباس عن الجدال قال: المراء تماري صاحبك حتى تغضبه. وكذلك روى مقسم والضحاك عن ابن عباس. وكذا قال أبو العالية وعطاء ومجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة وجابر بن زيد وعطاء الخراساني ومكحول والسدي ومقاتل بن حيان وعمرو بن دينار والضحاك والربيع بن أنس وابراهيم النخعي وعطاء بن يسار والحسن وقتادة والزهري ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ولا جدال في الحج المراء والملاحاة حتى تغضب أخاك وصاحبك فنهى الله عن ذلك ، وقال ابراهيم النخعي (ولا جدال في الحج) قال كانوا يكرهون الجدال ، وقال محمد بن اسحق عن نافع عن ابن عمر ، قال الجدال في الحج السباب والمنازعة وكذا روى ابن وهب عن يونس عن نافع أن ابن عمر كان يقول الجدال في الحج السباب والمراء والخصومات ، وقال ابن أبي حاتم وروي عن ابن الزبير والحسن وابراهيم وطاوس ومحمد بن كعب قالوا الجدال المراء : وقال عبد الله بن المبارك عن يحيى ابن بشير عن عكرمة (ولا جدال في الحج) والجدال الغضب أن تغضب عليك مسلما الا أن تستعتب مملوكا فتغضبه من غير أن تضربه فلا بأس عليك ان شاء الله (قلت) ولو ضربه لكان جائزا سائغا . والدليل على ذلك مارواه الامام احمد حدثنا عبد الله بن ادريس حدثنا محمد بن اسحق عن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن أسماء بنت أبي بكر قالت خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حجاجا حتى اذا كنا بالعرج نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلست عائشة الى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلست الى جنب أبي وكانت زمالة أبي بكر وزمالة رسول الله صلى الله عليه وسلم واحدة مع غلام أبي بكر فجلس أبو بكر ينتظره الى أن يطلع عليه فاطلع وليس معه بعيره فقال: أين بعيرك؟ فقال أضللته البارحة، فقال أبو بكر بعير واحد تضله ؟ فطفق يضربه ورسول الله صلى الله عليه وسلم يتبسم ويقول «انظروا الى هذا المحرم مايصنع» وهكذا أخرجه أبو داود وابن ماجه من حديث ابن اسحق ومن هذا الحديث حكى بعضهم عن بعض السلف أنه

فيه ، وقيل هو ما كان عليه أهل الجاهلية كان بعضهم يقف بعرفة وبعضهم بالمزدلفة ، وكان بعضهم يحج في ذي القعدة وكان بعضهم يحج في ذي الحجة فكل يقول ما فعلته فهو الصواب . فقال جل ذكره (ولا جدال في الحج) أي استقر أمر الحج على ما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا اختلاف فيه من بعد وذلك معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم « ألا ان الزمان قد استدار كهيئته

قال من تمام الحج ضرب الجمال ولكن يستفاد من قول النبي صلى الله عليه وسلم عن أبي بكر رضي الله عنه « انظروا الى هذا المحرم ما يصنع » كهيئة الانكار اللطيف أن الاولى ترك ذلك والله أعلم

وقد قال الامام عبد بن حميد في مسنده حدثنا عبيد الله بن موسى عن موسى بن عبيدة عن أخيه عبد الله بن عبيد الله عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قضى نسكه وسلم المسلمون من لسانه ويده غفر له ماتقدم من ذنبه »

وقوله (وما تفعلوا من خير يعلمه الله) لما نهاهم عن اتيان القبيح قولا وفعلا حثهم على فعل الجميل وأخبرهم انه عالم به وسيجزيهم عليه أوفر الجزاء يوم القيامة : وقوله (وتزودوا فان خير الزاد التقوى) قال العوفي عن ابن عباس كان أناس يخرجون من أهليهم ليست معهم أزودة يقولون نحج بيت الله ولا يطعمنا « فقال الله تزودوا مايكف وجوهكم عن الناس . وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد المقري حدثنا سفيان عن عمرو بن دينار عن عكرمة ان ناسا كانوا يحجون بغير زاد فأنزل الله (وتزودوا فان خير الزاد التقوى) وكذا رواه ابن جرير عن عمرو وهو الفلاس عن ابن عيينة قال ابن أبي حاتم : وقد روى هذا الحديث ورقاء عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس ، قال وما يرويه عن ابن عيينة أصح (قلت) قد رواه النسائي عن سعيد بن عبد الرحمن المخزومي عن سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس كان ناس يحجون بغير زاد فأنزل الله (وتزودوا فان خير الزاد التقوى) وأما حديث ورقاء فأخرجه البخاري عن يحيي بن بشر عن شبابة وأخرجه أبو داود عن أبي مسعود احمد بن الفرات الرازي ومحمد بن عبد الله المخزومي عن شبابة عن ورقاء عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس قال كان أهل اليمن يحجون ولا يتزودون ويقولون نحن المتوكلون(١) فأنزل الله (وتزودوا فان خير الزاد التقوى) ورواه عبد بن حميد في تفسيره عن شبابة . ورواه ابن حبان في صحيحه من حديث شبابة ، وروى ابن جرير وابن مردويه من حديث عمرو بن عبد الغفار عن نافع عن ابن عمر قال كانوا اذا أحرموا ومعهم أزوادهم رموا بها واستأنفوا زادا آخر فأنزل الله تعالى (وتزودوا فان خير الزاد التقوى) فنهوا عن ذلك وأمروا ان يتزودوا الدقيق والسويق والكعك . وكذا قال ابن الزبير وأبو العالية ومجاهد وعكرمة والشعبي والنخعي وسالم بن عبد الله وعطاء الخراساني وقتادة والربيع بن أنس ومقاتل بن حبان :

«١» سقط من رواية أبي داود هنا : فاذا قدموا مكة سألوا الناس - كما ثبت في رواية الصحيح وهي زيادة مفيدة جدا لكثرة وقوع ذلك في زماننا . ولغير الكشميهني من رواة البخاري المدينة بدل مكة قال القسطلاني والاول أصوب لكنه ضبب عليه في اليونينية

يوم خلق الله السموات والارض » قال مجاهد : معناه ولا شك في الحج انه في ذي الحجة فابطل النسيء . قال أهل المعاني ظاهر الآية نفي ومعناها نهي أي لا ترفثوا ولا تفسقوا ولا تجادلوا كقوله تعالى (لا ريب فيه) أي لا ترتابوا ﴿ وما تفعلوا من خير يعلمه الله ﴾ أي لا يخفى عليه فيجازيكم به

قوله تعالى ﴿ وتزودوا فان خير الزاد التقوى ﴾ نزلت في ناس من أهل اليمن كانوا يخرجون الى الحج بغير زاد ويقولون نحن متوكلون ويقولون نحن نحج بيت الله فلا يطعمنا ؟ فاذا قدموا مكة سألوا الناس وربما يفضي بهم الحال الى النهب والغصب ، فقال الله جل ذكره (وتزودوا) أي ما

وقال سعيد بن جبير فتزودوا الدقيق والسويق والكعك : وقال وكيع بن الجراح في تفسيره حدثنا سفيان عن محمد بن سوقة عن سعيد بن جبير (وتزودوا) قال الخشكنانج والسويق : وقال وكيع أيضا حدثنا ابراهيم المكي عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عمر قال ان من كرم الرجل طيب زاده في السفر وزاد فيه حماد بن سلمة عن أبي ريحانة أن ابن عمر كان يشترط على من صحبه الجودة (١)

وقوله (فان خير الزاد التقوى) لما أمرهم بالزاد للسفر في الدنيا أرشدهم الى زاد الآخرة وهو استصحاب التقوى اليها كما قال (وريشا ولباس التقوى ذلك خير) لما ذكر اللباس الحسي نبه مرشدا الى اللباس المعنوي وهو الخشوع والطاعة والتقوى وذكر انه خير من هذا وأنفع قال عطاء الخراساني في قوله (فان خير الزاد التقوى) يعني زاد الآخرة : وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا عبدان حدثنا هشام بن عمار حدثنا مروان بن معاوية عن اسماعيل عن قيس عن جرير بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من يتزود في الدنيا ينفعه في الآخرة وقال مقاتل بن حيان لما نزلت هذه الآية (وتزودوا) قام رجل من فقراء المسلمين فقال يارسول الله ما نجد ما نتزوده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تزود ماتكف به وجهك عن الناس وخير ماتزودتم التقوى » رواه ابن أبي حاتم وقوله (واتقون يا أولى الالباب) يقول واتقوا عقابي ونكالي وعذابي لمن خالفني ولم يأتمر بأمري ياذوي العقول والافهام

(١٩٧) ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم فاذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وان كنتم من قبله لمن الضالين)

قال البخاري حدثنا محمد أخبرني ابن عيينة عن عمرو عن ابن عباس قال كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز أسواقا في الجاهلية فتأثموا أن يتجروا في الموسم فنزلت (ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم) في مواسم الحج . وهكذا رواه عبد الرزاق وسعيد بن منصور وغير واحد عن سفيان بن عيينة به ولبعضهم فلما جاء الاسلام تأثموا أن يتجروا فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فأنزل الله هذه الآية وكذا رواه ابن جريج عن عمرو بن دينار عن ابن عباس قال كان متجر الناس

تتبلغون به وتكفون به وجوهكم . قال أهل التفسير : الكعك والزبيب والسويق والتمر ونحوها (فان خير الزاد التقوى) من السؤال والنهب ﴿ واتقون يا أولى الالباب ﴾ ياذوي العقول

قوله تعالى ﴿ ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم ﴾ أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي اخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي اخبرنا محمد بن يوسف اخبرنا محمد بن اسماعيل اخبرنا علي بن عبد الله اخبرنا سفيان عن عمرو بن دينار عن ابن عباس رضى الله عنه قال : كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز أسواقا في الجاهلية فلما كان الاسلام تأثموا من التجارة فيها فأنزل الله تعالى (ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم) في مواسم الحج . قرأ ابن عباس كذا(٢) وروى عن أبي أمامة التيمي قال:

«١» وفي نسخة الازهر الجوزة

(٢) يعني بهذه الزيادة والتحقيق انها تفسير لا قرآن

في الجاهلية عكاظ ومجنة وذو المجاز فلما كان الاسلام كأنهم كرهوا ذلك حتى نزلت هذه الآية وروى أبو داود وغيره من حديث يزيد بن أبي زياد عن مجاهد عن ابن عباس قال : كانوا يتقون البيوع والتجارة في الموسم والحج يقولون أيام ذكر فأنزل الله (ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم) وقال ابن جرير : حدثني يعقوب بن ابراهيم حدثنا هشام أخبرنا حجاج عن عطاء عن ابن عباس أنه قال (ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم) في مواسم الحج وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في هذه الآية : لا حرج عليكم في الشراء والبيع قبل الاحرام وبعده وهكذا روى العوفي عن ابن عباس وقال وكيع : حدثنا طلحة بن عمر والحضرمي عن عطاء عن ابن عباس أنه كان يقرأ (ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم) في مواسم الحج وقال عبدالرحمن عن ابن عيينة عن عبد الله بن أبي يزيد : سمعت ابن الزبير يقرأ (ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلامن ربكم) في مواسم الحج وهكذا فسرها مجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة ومنصور بن المعتمر وقتادة وابراهيم النخعي والربيع بن أنس وغيرهم . وقال ابن جرير : حدثنا الحسن بن عرفة حدثنا شبابة بن سوار حدثنا شعبة عن أبي أميمة قال : سمعت ابن عمر سئل عن الرجل يحج ومعه تجارة فقرأ ابن عمر (ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم) وهذا موقوف وهو قوي جيد وقد روي مرفوعا قال أحمد : حدثنا أسباط حدثنا الحسن بن عمر والفقيمي عن أبي امامة التيمي قال : قلت لابن عمر أنا نكري فهل لنا من حج ؟ قال : أليس تطوفون بالبيت وتأتون بالمعرف وترمون الجمار وتحلقون رؤوسكم قال قلنا بلى فقال ابن عمر جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله عن الذي سألتني فلم يجبه حتى نزل عليه جبرائيل بهذه الآية (ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم) فدعاه النبي صلى الله عليه وسلم فقال «أنتم حجاج» وقال عبد الرزاق : أخبرنا الثوري عن العلاء بن المسيب عن رجل من بني تيم قال : جاء رجل الى عبد الله بن عمر فقال : يا أبا عبد الرحمن انا قوم نكرى ويزعمون أنه ليس لنا حج قال : ألستم تحرمون كما يحرمون وتطوفون كما يطوفون وترمون كما يرمون

قلت لابن عمر انا قوم نكرى في هذا الوجه يعني الى مكة فيزعمون ان لا حج لنا . فقال ألستم تحرمون كما يحرمون وتطوفون كما يطوفون وترمون كما يرمون ؟ قلت بلى، قال أنت حاج . جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم يسأله عن الذى سألتني عنه فلم يجبه بشيء حتى نزل جبريل بهذه الآية (ليس عليكم جناح) أى حرج (ان تبتغوا فضلا) أى رزقا (من ربكم) يعني بالتجارة في مواسم الحج ﴿ فاذا أفضتم ﴾ دفعتم والافاضة دفع بكثرة وأصله من قول العرب أفاض الرجل ماء أي صبه ﴿ من عرفات ﴾ هي جمع عرفة جمعت عرفة بما حولها وان كانت بقعة واحدة كقولهم ثوب أخلاق واختلفوا في المعنى الذي لاجله سمي الموقف عرفات واليوم عرفة فقال عطاء كان جبريل عليه السلام يري ابراهيم عليه السلام المناسك ويقول أعرفت ؟ فيقول عرفت فسمي ذلك المكان عرفات واليوم عرفة . وقال الضحاك ان آدم عليه السلام لما أهبط الى الارض وقع بالهند وحواء بجدة فجعل كل واحد

قال: بلى قال: فأنت حاج ثم قال ابن عمر: جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله عما سألت عنه فنزلت هذه الآية (ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم) ورواه عبد بن حميد في تفسيره عن عبد الرزاق به «وهكذا روى هذا الحديث أبو حذيفة عن الثوري مرفوعا وهكذا روي من غير هذا الوجه مرفوعا فقال ابن أبي حاتم: حدثنا الحسن بن عرفة حدثنا عباد بن العوام عن العلاء ابن المسيب عن أبي امامة التيمي قال قلت لابن عمر: انا اناس نكري في هذا الوجه الى مكة وان أناسا يزعمون أنه لاحج لنا فهل ترى لنا حجا؟ قال ألستم تحرمون وتطوفون بالبيت وتقضون المناسك قال: قلت بلى «قال «فأنتم حجاج» ثم قال: جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله عن الذي سألت فلم يدر ما يعود عليه أو قال: فلم يرد عليه شيئا حتى نزلت (ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم) فدعا الرجل فتلاها عليه وقال «أنتم حجاج» وكذا رواه مسعود بن سعد وعبد الواحد بن زياد وشريك القاضي عن العلاء بن المسيب به مرفوعا. وقال ابن جرير: حدثني طليق ابن محمد الواسطي حدثنا أسباط هو ابن محمد أخبرنا الحسن بن عمر وهو الفقيمي عن أبي امامة التيمي قال قلت لابن عمر انا قوم نكرى فهل لنا من حج؟ فقال: أليس تطوفون بالبيت وتأتون المعروف وترمون الجمار وتحلقون رؤوسكم؟ قلنا بلى، قال: جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله عن الذي سألتني عنه فلم يدر ما يقول له حتى نزل جبريل عليه السلام بهذه الآية (ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم) الى آخر الآية. وقال النبي صلى الله عليه وسلم «أنتم حجاج» وقال ابن جرير حدثني أحمد بن اسحق حدثنا أبو أحمد حدثنا غندر عن عبد الرحمن بن المهاجر عن أبي صالح مولى عمر قال: قلت يا أمير المؤمنين كنتم تتجرون في الحج؟ قال: وهل كانت معايشهم الا في الحج «

وقوله تعالى (فاذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام) انما صرف عرفات وان كان علما على مؤنث لانه في الاصل جمع كمسلمات ومؤمنات سمي به بقعة معينة فروعي فيه الاصل فصرف اختاره ابن جرير وعرفة موضع الوقوف في الحج وهي عمدة أفعال الحج ولهذا روى الامام

منهما يطلب صاحبه فاجتمعا بعرفات يوم عرفة وتعارفا فسمي اليوم يوم عرفة والموضع عرفات. وقال السدى لما أذن ابراهيم في الناس بالحج وأجابوه بالتلبية وأتاه من أتاه أمره الله ان يخرج الى عرفات ونعتها له فخرج فلما بلغ الجمرة عند العقبة استقبله الشيطان ليرده فرماه بسبع حصيات فكبر مع كل حصاة فطار فوقع على الجمرة الثانية فرماه وكبر فطار فوقع على الجمرة الثالثة فرماه وكبر فلما رأى الشيطان انه لا يطيعه ذهب فانطلق ابراهيم حتى أتى ذا المجاز فلما نظر اليه لم يعرفه فجاز فسمي ذا المجاز ثم انطلق حتى وقف بعرفات فعرفها بالنعت فسمي الوقت عرفة والموضع عرفات حتى اذا أمسى ازدلف أى قرب الى جمع فسمي المزدلفة. وروى عن أبي صالح عن ابن عباس ان ابراهيم عليه السلام رأى ليلة التروية في منامه انه يؤمر بذبح ابنه فلما أصبح روى يومه أجمع أى فكر: أمن الله تعالى هذه الرؤيا أم من الشيطان؟ فسمي اليوم يوم التروية؛ ثم رأى ذلك ليلة عرفة ثانيا فلما أصبح عرف ان ذلك من الله

احمد وأهل السنن باسناد صحيح عن الثوري عن بكير عن عطاء عن عبد الرحمن بن يعمر الديلي قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «الحج عرفات -ثلاثا- فمن أدرك عرفة قبل أن يطلع الفجر فقد أدرك وأيام منى ثلاثة فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه» ووقت الوقوف من الزوال يوم عرفة الى طلوع الفجر الثاني من يوم النحر لان النبي صلى الله عليه وسلم وقف في حجة الوداع بعد أن صلى الظهر الى أن غربت الشمس وقال: «لتأخذوا عني مناسككم» وقال في هذا الحديث «فمن أدرك عرفة قبل أن يطلع الفجر فقد أدرك» وهذا مذهب مالك وأبي حنيفة والشافعي رحمهم الله وذهب الامام احمد الى أن وقت الوقوف من أول يوم عرفة واحتجوا بحديث الشعبي عن عروة بن مضرس بن حارثة بن لام الطائي قال: أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمزدلفة حين خرج الى الصلاة فقلت يا رسول الله إني جئت من جبلي طيء أكللت راحلتي وأتعبت نفسي والله ما تركت من جبل الا وقفت عليه فهل لي من حج؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من شهد صلاتنا هذه فوقف معنا حتى ندفع وقد وقف بعرفة قبل ذلك ليلا أو نهاراً فقد تم حجه وقضى تفثه» رواه الامام احمد وأهل السنن وصححه الترمذي ثم قيل انما سميت عرفات لما رواه عبد الرزاق أخبرني ابن جريج قال . قال ابن المسيب قال علي بن أبي طالب بعث الله جبريل عليه السلام الى ابراهيم صلى الله عليه وسلم فحج به حتى اذا أتى عرفة قال عرفت وكان قد أتاها مرة قبل ذلك فلذلك سميت عرفة وقال ابن المبارك عن عبد الملك بن أبي سليمان عن عطاء قال: انما سميت عرفة أن جبريل كان يري ابراهيم المناسك فيقول عرفت عرفت فسميت عرفات وروي نحوه عن ابن عباس وابن عمر وأبي مجلز فالله أعلم وتسمى عرفات المشعر الحرام والمشعر الاقصى والال على وزن هلال ويقال للجبل في وسطها جبل الرحمة قال أبو طالب في قصيدته المشهورة:

وبالمشعر الاقصى اذا قصدوا له ... إلال الى تلك الشراج القوابل

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا حماد بن الحسن بن عيينة حدثنا أبو عامر عن زمعة هو ابن صالح عن سلمة بن وهرام عن عكرمة عن ابن عباس قال: كان أهل الجاهلية يقفون بعرفة حتى اذا كانت الشمس على رؤس الجبال كأنها العمائم على رؤس الرجال دفعوا فأخر رسول الله صلى الله عليه وسلم

تعالى فسمي اليوم يوم عرفة . وقيل سمي بذلك لعلو الناس فيه على جباله والعرب تسمي ماعلا عرفة ومنه سمي عرف الديك لعلوه وقيل سمي بذلك لان الناس يعترفون في ذلك اليوم بذنوبهم وقيل سمي بذلك من العرف وهو الطيب وسمي منى لانه يمنى فيه الدم أى يصب فيكون فيه الفروث والدماء ولايكون الموضع طيبا وعرفات طاهرة عنها فيكون طيبة . قوله تعالى ﴿ فاذكروا الله ﴾ بالدعاء والتلبية ﴿ عند المشعر الحرام ﴾ وهو مابين جبلي المزدلفة من مرمي عرفة الى المحسر وليس المأزمان ولا المحسر من المشعر الحرام وسمي مشعرا من الشعار وهي العلامة لانه من معالم الحج وأصل الحرام

الدفعة من عرفة حتى غربت الشمس ورواه ابن مردويه من حديث زمعة بن صالح وزاد ثم وقف بالمزدلفة وصلى الفجر بغلس حتى اذا أسفر كل شيء وكان في الوقت الآخر دفع، وهذا أحسن الاسناد وقال ابن جريج عن محمد بن قيس عن المسور بن مخرمة قال « خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بعرفات فحمد الله وأثنى عليه ثم قال « أما بعد - وكان اذا خطب خطبة قال أما بعد - فان هذا اليوم الحج الاكبر ألا وإن أهل الشرك والاوثان كانوا يدفعون في هذا اليوم قبل أن تغيب الشمس اذا كانت الشمس في رؤس الجبال كأنها عمائم الرجال في وجوهها وإنا ندفع قبل أن تطلع الشمس مخالفا هدينا هدي أهل الشرك » هكذا رواه ابن مردويه وهذا لفظه والحاكم في مستدركه كلاهما من حديث عبد الرحمن بن المبارك العيشي عن عبد الوارث بن سعيد عن ابن جريج وقال الحاكم : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وقد صح وثبت بما ذكرناه سماع المسور من رسول الله صلى الله عليه وسلم لا كما يتوهمه رعاع أصحابنا أنه ممن له رؤية بلا سماع « وقال وكيع عن شعبة عن اسماعيل بن رجاء الزبيدي عن المعرور بن سويد قال : رأيت عمر رضي الله عنه حين دفع من عرفة كأني أنظر اليه رجل أصلع على بعير له يوضع وهو يقول : إنا وجدنا الافاضة هي الايضاع وفي حديث جابر بن عبد الله الطويل الذي في صحيح مسلم قال فيه :— فلم يزل واقفا يعني بعرفة حتى غربت الشمس وبدت الصفرة قليلا حتى غاب القرص وأردف أسامة خلفه ودفع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد شنق للقصواء الزمام حتى ان رأسها ليصيب مورك رحله ويقول بيده اليمنى « أيها الناس : السكينة السكينة » كلما أتى جبلا من الجبال أرخى لها قليلا حتى تصعد حتى أتى المزدلفة فصلى بها المغرب والعشاء بأذان واحد وإقامتين ولم يسبح بينهما شيئا ثم اضطجع حتى طلع الفجر فصلى الفجر حين تبين له الصبح بأذان وإقامة ثم ركب القصواء حتى أتى المشعر الحرام فاستقبل القبلة فدعا الله وكبره وهلله ووحده فلم يزل واقفا حتى أسفر جدا فدفع قبل أن تطلع الشمس، وفي الصحيحين عن أسامة بن زيد أنه سئل كيف كان يسير رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دفع ؟ قال : كان يسير العنق فاذا وجد فجوة نص. والعنق هو انبساط السير والنص فوقه، وقال ابن أبي حاتم « أخبرنا أبو محمد ابن بنت الشافعي فيما كتب اليّ عن أبيه أو عمه عن سفيان بن عيينة قوله (فاذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام) وهي الصلاتيز (١)

من المنع فهو ممنوع ان يفعل فيه مالم يؤذن فيه وسمي المزدلفة جمعا لانه يجمع فيه بين صلاة المغرب والعشاء والافاضة من عرفات تكون بعد غروب الشمس ومن جمع قبل طلوعها من يوم النحر . قال طاوس كان أهل الجاهلية يدفعون من عرفة قبل ان تغيب الشمس ومن المزدلفة بعد ان تطلع الشمس ويقولون أشرق ثبير كيما نغير فأخر الله هذه وقدم هذه . أخبرنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا زاهر ابن أحمد أخبرنا أبو اسحق الهاشمي أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن موسى بن عقبة عن كريب مولى عبدالله بن عباس عن أسامة بن زيد انه سمعه يقول دفع رسول الله صلى الله عليه وسلم من عرفة حتى

(١) كذا في النسختين ولعل أصله جمع الصلاتين

جميعا وقال أبو اسحق السبيعي عن عمرو بن ميمون سألت عبد الله بن عمرو عن المشعر الحرام فسكت حتى هبطت أيدي رواحلنا بالمزدلفة قال: أين السائل عن المشعر الحرام؟ هذا المشعر الحرام وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري عن سالم قال: قال ابن عمر: المشعر الحرام المزدلفة كلها وقال هشام عن حجاج عن نافع عن ابن عمر أنه سئل عن قوله (فاذكروا الله عند المشعر الحرام) قال فقال: هذا الجبل وما حوله وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن المغيرة عن ابراهيم قال رآهم ابن عمر يزدحمون على قزح فقال: على ما يزدحم هؤلاء؟ كل ما ههنا مشعر وروي عن ابن عباس وسعيد بن جبير وعكرمة ومجاهد والسدي والربيع بن أنس والحسن وقتادة أنهم قالوا: هو ما بين الجبلين وقال ابن جريج: قلت لعطاء أين المزدلفة؟ قال: اذا أفضت من مأزمي عرفة فذلك الى محسر قال وليس المأزمان مأزمي عرفة من المزدلفة ولكن مفضاها قال: فقف بينهما إن شئت قال وأحب أن تقف دون قزح هلم الينا من أجل طريق الناس (قلت) والمشاعر هي المعالم الظاهرة وانما سميت المزدلفة المشعر الحرام لانها داخل الحرم وهل الوقوف بها ركن في الحج لا يصح إلا به كما ذهب اليه طائفة من السلف وبعض أصحاب الشافعي منهم القفال وابن خزيمة لحديث عروة بن مضرس؟ أو واجب كما هو أحد قولي الشافعي يجبر بدم؟ أو مستحب لا يجب بتركه شيء كما هو القول الآخر؟ في ذلك ثلاثة أقوال للعلماء لبسطها موضع آخر غير هذا والله أعلم: وقال عبد الله بن المبارك عن سفيان الثوري عن زيد بن أسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «عرفة كلها موقف وارفعوا عن عرفة وجمع كلها موقف الا محسراً» هذا حديث مرسل وقد قال الامام احمد حدثنا أبو المغيرة حدثنا سعيد بن عبد العزيز حدثني سليمان بن موسى عن جبير بن مطعم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كل عرفات موقف وارفعوا عن عرفات وكل مزدلفة موقف

اذا كان بالشعب نزل فبال ثم توضأ فلم يسبغ الوضوء فقلت له الصلاة يارسول الله قال فقال الصلاة أمامك فركب فلما جاء المزدلفة نزل فتوضأ فأسبغ الوضوء ثم أقيمت الصلاة فصلى المغرب ثم أناخ كل انسان بعيره في منزله ثم أقيمت العشاء فصلاها ولم يصل بينهما شيئا . وقال جابر : دفع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى الى المزدلفة فصلى بها المغرب والعشاء بأذان واحد واقامتين ولم يسبح بينهما شيئا ثم اضطجع حتى طلع الفجر فصلى الفجر حين تبين له الصبح بأذان واقامة ثم ركب القصواء حتى أتى المشعر الحرام فاستقبل القبلة ودعاه وكبره وهلله ووحده فلم يزل واقفا حتى أسفر جدا فدفع قبل ان تطلع الشمس اخبرنا عبد الواحد المليحي اخبرنا احمد بن عبدالله النعيمي اخبرنا محمد بن يوسف اخبرنا محمد بن اسماعيل اخبرنا زهير ابن حرب أخبرنا وهب بن جرير أخبرنا أبي عن يونس الايلي عن الزهري عن عبيدالله بن عبدالله عن ابن عباس ان أسامة بن زيد كان ردف النبي صلى الله عليه وسلم من عرفة الى المزدلفة ثم أردف الفضل من مزدلفة الى منى قال فكلاهما قال لم يزل النبي صلى الله عليه وسلم يلبي حتى رمى جمرة العقبة

وادفعوا عن محسر وكل فجاج مكة منحر وكل أيام التشريق ذبح » وهـذا أيضا منقطع فان سليمان ابن موسى هذا وهو الاشدق لم يدرك جبير بن مطعم ولكن رواه الوليد بن مسلم وسويد بن عبد العزيز عن سعيد بن عبد العزيز عن سليمان فقال الوليد عن جبير بن مطعم عن أبيه وقال سويد عن نافع بن جبير عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم فذكره والله أعلم

وقوله (واذكروه كما هداكم) تنبيه لهم على ما أنعم الله به عليهم من الهداية والبيان والارشاد الى مشاعر الحج على ما كان عليه من الهداية ابراهيم الخليل عليه السلام ولهذا قال (وان كنتم من قبله لمن الضالين) قيل من قبل هذا الهدى وقيل القرآن وقيل الرسول والكل متقارب ومتلازم وصحيح

---

(١٩٨) ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله إن الله غفور رحيم *

ثم ههنا لعطف خبر على خبر وترتيبه عليه كأنه تعالى أمر الواقف بعرفات أن يدفع الى المزدلفة ليذكر الله عند المشعر الحرام وأمره أن يكون وقوفه مع جمهور الناس بعرفات كما كان جمهور الناس يصنعون يقفون بها الا قريشا فانهم لم يكونوا يخرجون من الحرم فيقفون في طرف الحرم عند أدنى الحل ويقولون نحن أهل الله في بلدته وقطان بيته قال البخاري : حدثنا هشام عن أبيه عن عائشة قالت : كان قريش ومن دان دينها يقفون بالمزدلفة وكانوا يسمون الحمس وسائر العرب يقفون بعرفات فلما جاء الاسلام أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يأتي عرفات ثم يقف بها ثم يفيض منها فذلك قوله (من حيث أفاض الناس) وكذا قال ابن عباس ومجاهد وعطاء وقتادة والسدي وغيرهم واختاره ابن جرير وحكى عليه الاجماع . وقال الامام أحمد : حدثنا سفيان عن عمرو عن مجاهد عن محمد

قوله تعالى ﴿ واذكروه كما هداكم ﴾ أي واذكروه بالتوحيد والتعظيم كما ذكركم بالهداية فهداكم لدينه ومناسك حجه ﴿ وان كنتم من قبله لمن الضالين ﴾ أي وقد كنتم وقيل وما كنتم من قبله الا من الضالين كقوله تعالى (وان نظنك لمن الكاذبين) أي وما نظنك الا من الكاذبين والهاء في قوله من قبله راجعة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كناية عن غير مذكور

قوله تعالى ﴿ ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس ﴾ قال أهل التفسير كانت قريش وحلفاؤها ومن دان بدينها وهم الحمس يقفون بالمزدلفة ويقولون نحن أهل الله وقطان حرمه فلا نخلف الحرم ولا نخرج منه ويتعظمون ان يقفوا مع سائر العرب بعرفات وسائر الناس كانوا يقفون بعرفات فاذا أفاض الناس من عرفات أفاض الحمس من المزدلفة فأمرهم الله أن يقفوا بعرفات ويفيضوا منها الى جمع مع سائر الناس وأخبرهم انه سنة ابراهيم واسماعيل عليهما السلام وقال بعضهم خاطب به جميع المسلمين وقوله تعالى (من حيث أفاض الناس) من جمع أي ثم أفيضوا من جمع الى منى . وقالوا لان الافاضة من عرفات قبل الافاضة من جمع فكيف يسوغ ان يقول فاذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله ثم أفيضوا من عرفات والاول قول أكثر أهل التفسير وفي الكلام تقديم وتأخير تقديره فمن فرض فيهن

ابن جبير بن مطعم عن ابيه قال أضللت بعيرا لي بعرفة فذهبت أطلبه فاذا النبي صلى الله عليه وسلم وقف قلت ان هذا من الحمس ما شأنه ههنا؟ أخرجاه في الصحيحين ثم رواه البخاري من حديث موسى ابن عقبة عن كريب عن ابن عباس مايقتضي ان المراد بالافاضة ههنا هي الافاضة من المزدلفة الى منى لرمي الجمار فالله أعلم. وحكاه ابن جرير عن الضحاك بن مزاحم فقط. قال والمراد بالناس ابراهيم عليه السلام «وفي رواية عند الامام قال ابن جرير» ولولا اجماع الحجة على خلافه لكان هو الارجح

وقوله (واستغفروا الله ان الله غفور رحيم) كثيرا ما يأمر الله بذكره بعد قضاء العبادات ولهذا ثبت في صحيح مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا فرغ من الصلاة يستغفر الله ثلاثا وفي الصحيحين أنه ندب الى التسبيح والتحميد والتكبير ثلاثا وثلاثين. وقد روى ابن جرير ههنا حديث ابن عباس بن مرداس السلمي في استغفاره صلى الله عليه وسلم لامته عشية عرفة وقد أوردناه في جزء جمعناه في فضل يوم عرفة وأورد ابن مردويه ههنا الحديث الذي رواه البخاري عن شداد ابن أوس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «سيد الاستغفار أن يقول العبد. اللهم أنت ربي لا إله الا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك مااستطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي فاغفر لي فانه لا يغفر الذنوب الا أنت. من قالها في ليلة فمات في ليلته دخل الجنة ومن قالها في يومه فمات دخل الجنة» وفي الصحيحين عن عبد الله بن عمر ان أبابكر قال يا رسول الله علمني دعاء أدعو به في صلاتي فقال: «قل اللهم اني ظلمت نفسي ظلما

الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج ثم أفيضوا من حيث افاض الناس فاذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام وقيل ثم بمعنى الواو أي وأفيضوا كقوله تعالى (ثم كان من الذين آمنوا) واما الناس فهم العرب كلهم غير الحمس. وقال الكلبي هم أهل اليمن وربيعة وقال الضحاك الناس ههنا ابراهيم عليه السلام وحده كقوله تعالى (أم يحسدون الناس) وأراد به محمدا صلى الله عليه وسلم وحده ويقال هذا الذي يقتدى به ويكون لسان قومه وقال الزهري الناس ههنا آدم عليه السلام وحده دليله قراءة سعيد بن جبير ثم أفيضوا من حيث افاض الناسي بالياء وقال هو آدم نسي عهد الله حين أكل من الشجرة اخبرنا عبدالواحد المليحي أخبرنا احمد بن عبد الله النعيمي اخبرنا محمد بن يوسف اخبرنا محمد بن اسماعيل أخبرنا عبدالله بن يوسف اخبرنا مالك عن هشام بن عروة عن ابيه انه قال سئل أسامة وأنا جالس كيف كان يسير رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع حين دفع قال: كان يسير العنق فاذا وجد فجوة نص قال هشام والنص فوق العنق. اخبرنا عبدالواحد المليحي أخبرنا أحمد بن عبدالله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن اسماعيل اخبرنا سعيد بن ابي مريم أخبرنا ابراهيم بن سويد حدثني عمرو بن أبي عمرو مولى المطلب قال أخبرني سعيد بن جبير مولى والبة الكوفي حدثني ابن عباس أنه دفع مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم عرفة فسمع النبي صلى الله عليه وسلم وراءه زجرا شديدا وضربا

كثيرا ولا يغفر الذنوب الا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني انك أنت الغفور الرحيم ■ والاحاديث في الاستغفار كثيرة

(١٩٩) فاذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكراء فمن الناس من يقول: ربنا آتنا في الدنيا وماله في الآخرة من خلاق(٢٠٠) ومنهم من يقول: ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار (٢٠١) أولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب

يأمر تعالى بذكره والاكثار منه بعد قضاء المناسك وفراغها وقوله (كذكركم آباءكم) اختلفوا في معناه فقال ابن جريج عن عطاء هو كقول الصبي أبه أمه يعني كما يلهث الصبي بذكر أبيه وأمه فكذلك أنتم فالهجوا بذكر الله بعد قضاء النسك وكذا قال الضحاك والربيع بن أنس ، وروى ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس نحوه . وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس : كان أهل الجاهلية يقفون في الموسم فيقول الرجل منهم كان أبي يطعم ويحمل الحمالات ويحمل الديات ليس لهم ذكر غير فعال آبائهم فأنزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم (فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا) قال ابن أبي حاتم : وروى السدي عن أنس بن مالك وأبي وائل وعطاء بن أبي رباح في أحد قوليه وسعيد بن جبير وعكرمة في أحد رواياته ومجاهد والسدي وعطاء الخراساني والربيع بن أنس والحسن وقتادة ومحمد بن كعب ومقاتل بن حيان نحو ذلك ، وهكذا حكاه ابن

للابل فأشار بسوطه اليهم وقال «أيها الناس عليكم بالسكينة فان البر ليس بالايضاع» قوله تعالى ﴿واستغفروا الله ان الله غفور رحيم ■ فاذا قضيتم مناسككم ﴾ أى فرغتم من حجكم وذبحتم نسائككم أي ذبائحكم يقال نسك الرجل ينسك نسكا اذا ذبح نسيكته وذلك بعد رمي جمرة العقبة والاستقرار بمنى ﴿ فاذكروا الله ﴾ بالتكبير والتحميد والثناء عليه ﴿ كذكركم آباءكم ﴾ وذلك ان العرب كانت اذا فرغت من الحج وقفت عند البيت فذكرت مفاخر آبائها فأمرهم الله بذكره وقال فاذكروني فاني الذى فعلت ذلك بكم وبآبائكم وأحسنت اليكم واليهم قال ابن عباس وعطاء ■ معناه فاذكروا الله كذكر الصبيان الصغار الآباء وذلك ان الصبي أول ما يتكلم يلهج بذكر ابيه لا يذكر غيره فيقول الله فاذكروا الله لا غير كذكر الصبي أباه ﴿ أو اشدّ ذكرا ﴾ وسئل ابن عباس عن قوله (فاذكروا الله كذكركم آباءكم) فقيل قد يأتي على الرجل اليوم لا يذكر فيه أباه قال ابن عباس ليس كذلك ولكن ان تغضب لله اذا عصي أشد من غضبك لوالديك اذا شتما . وقوله تعالى (أو أشدّ ذكرا) يعني بل أشد أي وأكثر ذكرا ﴿ فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا ﴾ أراد به المشركين كانوا لا يسألون الله تعالى في الحج الا الدنيا يقولون اللهم اعطنا غنما وابلا وبقرا وعبيدا وكان الرجل يقوم فيقول اللهم ان أبي كان عظيم

جرير عن جماعة والله أعلم . والمقصود منه الحث على كثرة الذكر لله عز وجل ولهذا كان انتصاب قوله أو أشد ذكرا على التمييز تقديره كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا وأو ههنا لتحقيق المماثلة في الخبر كقوله (فهي كالحجارة أو أشد قسوة)وقوله (يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية)(فأرسلناه الى مائة الف أو يزيدون)(فكان قاب قوسين أو أدنى) فليست ههنا للشك قطعا وانما هي لتحقيق المخبر عنه كذلك أو أزيد منه ثم انه تعالى أرشد الى دعائه بعد كثرة ذكره فانه مظنة الاجابة وذم من لا يسأله الا في أمر دنياه وهو معرض عن أخراه فقال (فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا وماله في الآخرة من خلاق) أي من نصيب ولاحظ وتضمن هذا الذم والتنفير عن التشبه بمن هو كذلك قال سعيد بن جبير عن ابن عباس : كان قوم من الاعراب يجيئون الى الموقف فيقولون اللهم اجعله عام غيث وعام خصب وعام ولاد حسن لا يذكرون من أمر الآخرة شيئا فأنزل الله فيهم (فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا وماله في الآخرة من خلاق) وكان يجيء بعدهم آخرون من المؤمنين فيقولون (ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار) فأنزل الله (أولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب) ولهذا مدح من يسأله الدنيا والاخرى فقال (ومنهم من يقول : ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار) فجمعت هذه الدعوة كل خير في الدنيا وصرفت كل شر فان كل الحسنة في الدنيا تشمل كل مطلوب دنيوي من عافية ودار رحبة وزوجة حسنة ورزق واسع وعلم نافع وعمل صالح ومركب هين وثناء جميل الى غير ذلك مما اشتملت عليه عبارات المفسرين ولا منافاة بينها فانها كلها مندرجة في الحسنة في الدنيا . وأما الحسنة في الآخرة فأعلى ذلك دخول الجنة وتوابعه من الامن من الفزع الاكبر في

القبة كبير الجفنة كثير المال فاعطني مثل ماأعطيته . قال قتادة هذا عبد نيته لدنيا لها انفق ولها عمل ونصب ﴿ وماله في الآخرة من خلاق ﴾ من حظ ونصيب ﴿ ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ﴾ يعني المؤمنين واختلفوا في معنى الحسنتين قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه في الدنيا حسنة امرأة صالحة وفي الآخرة حسنة الجنة والحور العين . أخبرنا أبوالقاسم عبدالله بن محمد الحنفي أنا ابو الحسن محمد بن يعقوب الطوسي أخبرنا أبو بكر احمد بن يوسف بن خلاد أنا الحارث بن أبي أسامة انا أبو عبدالرحمن المقري أخبرنا حيوة وابن لهيعة قالا أخبرنا شرحبيل ابن شريك انه سمع أبا عبد الرحمن الحبلي يحدث عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الدنيا كلها متاع وخير متاعها المرأة الصالحة » وقال الحسن في الدنيا حسنة العلم والعبادة وفي الآخرة حسنة الجنة والنظر وقال السدي وابن حيان (في الدنيا حسنة) رزقا حلالا وعملا صالحا (وفي الآخرة حسنة) المغفرة والثواب أخبرنا أبو بكر بن محمد بن عبد الله بن أبي توبة أخبرنا أبو طاهر محمد بن احمد بن الحارث أخبرنا أبو الحسن محمد بن يعقوب الكسائي أخبرنا عبد الله بن محمود أخبرنا ابراهيم بن عبد الله الخلال ثنا عبد الله بن المبارك عن يحيى بن أيوب

العرصات وتيسير الحساب وغير ذلك من أمور الآخرة الصالحة . وأما النجاة من النار فهو يقتضي تيسير أسبابه في الدنيا من اجتناب المحارم والآثام وترك الشبهات والحرام . وقال القاسم أبو عبد الرحمن : من أعطى قلباً شاكراً ولساناً ذاكراً وجسداً صابراً فقد أوتي في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة ووقي عذاب النار . ولهذا وردت السنة بالترغيب في هذا الدعاء . فقال البخاري : حدثنا معمر حدثنا عبد الوارث عن عبد العزيز عن أنس بن مالك قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول «اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار» وقال أحمد : حدثنا اسماعيل بن ابراهيم حدثنا عبد العزيز بن صهيب قال : سأل قتادة انسا أي دعوة كان أكثر ما يدعوها النبي صلى الله عليه وسلم قال : يقول (اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار) وكان أنس اذا أراد ان يدعو بدعوة دعا بها واذا أراد ان يدعو بدعاء دعا بها فيه ورواه مسلم وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي حدثنا أبو نعيم حدثنا عبد السلام بن شداد يعني أبا طالوت قال : كنت عند أنس بن مالك فقال له ثابت ان إخوانك يحبون ان تدعو لهم ، فقال (اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار) وتحدثوا ساعة حتى اذا أرادوا القيام قال أبا حمزة : ان إخوانك يريدون القيام فادع الله لهم ، فقال أتريدون ان أشقق لكم الامور اذا آتاكم الله في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة ووقاكم عذاب النار فقد آتاكم الخير كله . وقال أحمد أيضا حدثنا محمد بن أبي عدي عن حميد عن ثابت عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عاد رجلا من المسلمين قد صار مثل الفرخ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم «هل تدعو الله بشيء أو تسأله إياه؟ قال نعم كنت أقول اللهم ما كنت معاقبي به في الآخرة فعجله لي في الدنيا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

حدثني عبيد الله بن زجر عن علي بن يزيد عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أغبط أوليائي عندي مؤمن خفيف الحاذ ذو حظ من الصلاة أحسن عبادة ربه فأطاعه في السر وكان غامضاً في الناس لا يشار اليه بالاصابع وكان رزقه كفافا فصبر على ذلك ثم نقر بيده فقال : هكذا عجلت منية قلت بواكيه قل تراثه » وقال قتادة في الدنيا عافية وفي الآخرة عافية وقال عوف في هذه الآية من آتاه الله الاسلام والقرآن وأهلا ومالا فقد أوتي في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة أخبرنا الشيخ أبو القاسم عبد الله بن علي الكرماني الطوسي أخبرنا أبو طاهر محمد ابن محمش الزيادي أخبرنا أبو الفضل عبدوس بن الحسين بن منصور السمسار أخبرنا أبو حاتم محمد ابن ادريس الحنظلي الرازي أخبرنا محمد بن عبد الله الانصاري أخبرنا حميد الطويل عن ثابت البناني عن أنس بن مالك قال : رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا قد صار مثل الفرخ فقال هل كنت تدعو الله بشيء أو تسأله إياه ؟ فقال يا رسول الله كنت أقول : اللهم ما كنت معاقبي به في الآخرة فحوله لي في الدنيا فقال : « سبحان الله لا تستطيعه ولا تطيقه هلا قلت اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار » أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد السرخسي أخبرنا

سبحان الله لا تطيقه أو لا تستطيعه فهلا قلت (ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار) قال فدعا الله فشفاه. انفرد بإخراجه مسلم فرواه من حديث ابن أبي عدي به. وقال الامام الشافعي: أخبرنا سعيد بن سالم القداح عن ابن جريج عن يحيى بن عبيد مولى السائب عن أبيه عن عبد الله بن السائب انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول فيما بين ركن بني جمح والركن الاسود (ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار) ورواه الثوري عن ابن جريج كذلك. وروى ابن ماجه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم نحو ذلك وفي سنده ضعف والله أعلم. وقال مردويه حدثنا عبد الباقي أخبرنا أحمد بن القاسم بن مساور حدثنا سعيد بن سليمان عن عبد الله بن هريز عن مجاهد عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما مررت على الركن إلا رأيت عليه ملكا يقول آمين فاذا مررتم عليه فقولوا (ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار) وقال الحاكم في مستدركه حدثنا أبو زكريا العنبري حدثنا محمد بن عبد السلام حدثنا إسحق بن ابراهيم أخبرنا جرير عن الاعمش عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير قال: جاء رجل الى ابن عباس فقال: اني أجرت نفسي من قوم على ان يحملوني ووضعت لهم من أجرتي على ان يدعوني أحج معهم أفيجزي ذلك؟ فقال أنت من الذين قال الله (أولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب) ثم قال الحاكم صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه

(٢٠٢) واذكروا الله في أيام معدودات فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه لمن اتقى واتقوا الله واعلموا أنكم اليه تحشرون)

أبو الحسن احمد بن محمد بن أبي اسحق الحجاجي أخبرنا أبو العباس محمد بن عبد الرحمن الداغولي أخبرنا محمد بن مشكان(١) أخبرنا أبو داود أخبرنا شعبة عن ثابت عن أنس قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول «ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار» أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الكسائي أخبرنا عبد العزيز بن احمد الخلال أخبرنا أبو العباس الاصم أخبرنا الربيع بن سليمان أخبرنا الشافعي أخبرنا سعيد بن سالم القداح عن ابن جريج عن يحيى بن عبيد مولى السائب عن أبيه عن عبد الله بن السائب أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «فيما بين ركن بني جمح والركن الاسود (ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار)

قوله تعالى ﴿أولئك لهم نصيب﴾ حظ ﴿مما كسبوا﴾ من الخير والدعاء بالثواب والجزاء ﴿والله سريع الحساب﴾ يعني اذا حاسب عبده فحسابه سريع لا يحتاج الى عقد يد ولا وعي صدر ولا الى روية ولا فكر قال الحسن أسرع من لمح البصر وقيل معناه اتيان القيامة قريب لان ما هو آت لا محالة فهو قريب قال الله تعالى (وما يدريك لعل الساعة قريب)

قوله تعالى ﴿واذكروا الله﴾ يعني التكبيرات أدبار الصلاة وعند الجمرات يكبر مع كل حصاة

(١) وفي نسخة مشكان وفي أخرى مشكاف

قال ابن عباس : الايام المعدودات أيام التشريق والايام المعلومات أيام العشر . وقال عكرمة (واذكروا الله في أيام معدودات) يعني التكبير في أيام التشريق بعد الصلوات المكتوبات : الله أكبر الله أكبر . وقال الامام أحمد حدثنا وكيع حدثنا موسى بن علي عن أبيه قال : سمعت عقبة بن عامر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يوم عرفة ويوم النحر وأيام التشريق عيدنا أهل الاسلام وهي أيام أكل وشرب » وقال أحمد أيضا : حدثنا هشام أخبرنا خالد عن أبي المليح عن نبيشة الهذلي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أيام التشريق أيام أكل وشرب وذكر الله » ورواه مسلم أيضا وتقدم حديث جبير بن مطعم « عرفة كلها موقف وأيام التشريق كلها ذبح » وتقدم أيضا حديث عبد الرحمن بن يعمر الديلي « وأيام منى ثلاثة فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه ومن تأخر فلا اثم عليه » وقال ابن جرير : حدثنا يعقوب بن ابراهيم وخلاد بن أسلم قالا حدثنا هشام عن عمرو بن أبي سلمة عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أيام التشريق أيام طعم وذكر الله » وحدثنا خالد بن أسلم حدثنا روح حدثنا صالح حدثني ابن شهاب عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث عبد الله بن حذافة يطوف في منى « لا تصوموا هذه الايام فانها أيام أكل وشرب وذكر الله عز وجل » وحدثنا يعقوب حدثنا هشام عن سفيان بن حسين عن الزهري قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن حذافة فنادى في أيام التشريق فقال « ان هذه ايام أكل وشرب وذكر الله الا من كان عليه صوم من هدي » زيادة حسنة ولكن

وغيرها من الاوقات ﴿ في أيام معدودات ﴾ الايام المعدودات هي أيام التشريق وهي أيام منى ورمي الجمار سميت معدودات لقلتهن كقوله (دراهم معدودة) . والايام المعلومات عشر ذي الحجة آخرهن يوم النحر . هذا قول أكثر أهل العلم . وروي عن ابن عباس المعلومات يوم النحر ويومان بعده . والمعدودات أيام التشريق . وعن علي قال : المعلومات يوم النحر وثلاثة أيام بعده . وقال عطاء عن ابن عباس : المعلومات يوم عرفة ويوم النحر وأيام التشريق . وقال محمد بن كعب : هما شيء واحد وهي أيام التشريق . وروي عن نبيشة الهذلي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أيام التشريق أيام أكل وشرب وذكر الله » ومن الذكر في أيام التشريق التكبير واختلفوا فيه . فروى عن عمر وعن عبد الله بن عمر أنهما كانا يكبران بمنى تلك الايام خلف الصلاة وفي المجلس وعلى الفراش والفسطاط وفي الطريق ويكبر الناس بتكبيرهما ويتأولان هذه الآية . والتكبير أدبار الصلاة مشروع في هذه الايام في حق الحاج وغير الحاج عند عامة العلماء واختلفوا في قدره فذهب قوم الى أنه يبتدىء التكبير عقيب صلاة الصبح من يوم عرفة ويختم بعد العصر من آخر أيام التشريق يروي ذلك عن عمر وعن علي رضي الله عنهما . وبه قال مكحول واليه ذهب أبو يوسف رضي الله عنه (١) وذهب قوم الى انه يبتدىء التكبير عقيب صلاة الصبح من يوم عرفة ويختم بعد العصر من يوم النحر يروي ذلك عن ابن مسعود وبه قال أبو حنيفة رضي الله عنه (١) وقال قوم يبتدىء عقيب صلاة الظهر

(١) ليس في نسختنا هذا الترضي عن أبي يوسف ولا عن أبي حنيفة ولعلها أصح لعدم الترضي عن الصحابيين ورضي الله عن الجميع

مرسلة . وبه قال هشام عن عبد الملك بن أبي سليمان عن عمرو بن دينار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث بشر بن سحيم فنادى في أيام التشريق فقال « ان هـذه أيام أكل وشرب وذكر الله » وقال هشيم عن ابن أبي ليلى عن عطاء عن عائشة قالت : نهى رسول الله صلى الله عليـه وسلم عن صوم أيام التشريق قال « وهي أيام أكل وشرب وذكر الله » وقال محمد بن اسحق عن حكيم بن حكيم عن مسعود بن الحكم الزرقي عن أمه قالت : لكأني أنظر الى علي على بغـلة رسول الله صلى الله عليه وسلم البيضاء حتى وقف على شعب الانصار وهو يقول : يا أيها الناس انها ليست بأيام صيام انما هي ايام اكل وشرب وذكر الله . وقال مقسم عن ابن عباس : الايام المعدودات أيام التشريق أربعة أيام يوم النحر وثلاثة بعـده » وروي عن ابن عمر وابن الزبير وأبي موسى وعطاء ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وأبي مالك وابراهيم النخعي ويحيى بن أبي كثير والحسن وقتادة والسدي والزهري والربيع بن أنس والضحاك ومقاتل بن حيان وعطاء الخراساني ومالك بن أنس وغـيرهم مثل ذلك » وقال علي بن أبي طالب هي ثلاثة يوم النحر ويومان بعده اذبح في أيهن شئت وأفضلها أولها . والقول الاول هو المشهور وعليـه دل ظاهر الآية الكريمة حيث قال (فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه ومن تأخر فلا اثم عليه) فدل على ثلاثة بعد النحر ويتعلق بقوله (واذكروا الله في أيام معدودات) ذكر الله على الاضاحي وقد تقدم أن الراجح في ذلك مذهب الشافعي رحمه الله وهو أن وقت الاضحية من يوم النحر الى آخر أيام التشريق ، ويتعلق به أيضا الذكر المؤقت خلف الصلوات

من يوم النحر ويختم بعد الصبح من آخر أيام التشريق ، يروي ذلك عن ابن عباس وبه قال مالك والشافعي في أحد قوليه قال الشافعي : لان الناس فيه تبع للحاج وذكر الحاج قبل هذا الوقت التلبية ويأخذون في التكبير يوم النحر من بعـد صلاة الظهر ، ولفظ التكبير كان سعيد بن جبير والحسن يقولان الله أكبر الله أكبر الله أكبر ـ ثلاثا نسقا ـ وهو قول أهل المدينة واليه ذهب الشافعي . وقال وما زاد من ذكر الله فهو حسن وعند أهل العراق يكبر اثنتين يروي ذلك عن ابن مسعود

قوله تعالى ﴿ فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه ﴾ أراد ان من نفر من الحاج في اليوم الثاني من أيام التشريق (فلا إثم عليه) وذلك انه على الحاج ان يبيت بمنى الليلة الاولى والثانية من أيام التشريق ويرمي كل يوم بعد الزوال احدى وعشرين حصاة عند كل جمرة بسبع حصيات ورخص في ترك البيتوتة لرعاء الابل وأهل سقاية الحاج . ثم كل من رمى اليوم الثاني من أيام التشريق وأراد ان ينفر فيدع البيتوتة الليلة الثالثة ورمي يومها فذلك له واسع لقوله تعالى (فمن تعجـل في يومين فلا إثم عليه) ومن لم ينفر حتى غربت الشمس فعليه ان يبيت حتى يرمي اليوم الثالث ثم ينفر وقوله ﴿ ومن تأخر فلا إثم عليه ﴾ يعني لا إثم على من تعجل فنفر في اليوم الثاني في تعجيله ومن تأخر حتى ينفر في اليوم الثالث (فلا إثم عليه) في تأخيره وقيل معناه (فمن تعجل) فقد ترخص (فلا إثم عليه) بالترخص (ومن تأخر فلا إثم عليه) بترك الترخص وقيل معناه رجع مغفورا له لا ذنب

والمطلق في سائر الاحوال وفي وقته أقوال للعلماء أشهرها الذي عليه العمل انه من صلاة الصبح يوم عرفة الى صلاة العصر من آخر ايام التشريق وهو آخر النفر الآخر وقد جاء فيه حديث رواه الدارقطني ولكن لا يصح مرفوعا والله أعلم . وقد ثبت أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يكبر في قبته فيكبر أهل السوق بتكبيره حتى ترتج منى تكبيرا ويتعلق بذلك أيضا التكبير وذكر الله عند رمي الجمرات كل يوم من أيام التشريق . وقد جاء في الحديث الذي رواه أبو داود وغيره انما جعل الطواف بالبيت والسعي بين الصفا والمروة ورمي الجمار لاقامة ذكر الله عز وجل . ولما ذكر الله تعالى النفر الاول والثاني وهو تفرق الناس من موسم الحج الى سائر الاقاليم والآفاق بعد اجتماعهم في المشاعر والمواقف قال (واتقوا الله واعلموا انكم اليه تحشرون) كما قال (وهو الذي ذرأكم في الارض واليه تحشرون)

---

(٢٠٣) ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويُشهِدُ اللهَ على ما في قلبه وهو ألدُّ الخصام (٢٠٤) واذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد (٢٠٥) واذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالاثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد (٢٠٦) ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رؤوف بالعباد)

عليه تعجل أو تأخر كما روينا من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع « أي خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه» وهذا قول علي وابن مسعود

قوله تعالى ﴿ لمن اتقى ﴾ أي لمن اتقى ان يصيب في حجه شيئا نهاه الله عنه كما قال « من حج فلم يرفث ولم يفسق » قال ابن مسعود : انما جعلت مغفرة الذنوب لمن اتقى الله تعالى في حجه وفي رواية الكلبي عن ابن عباس معناه (لمن اتقى) الصيد لا يحل له ان يقتل صيدا حتى تنقضي أيام التشريق . وقال أبو العالية : ذهب إثمه ان اتقى فيما بقي من عمره ﴿ واتقوا الله واعلموا أنكم اليه تحشرون ﴾ تجمعون في الآخرة يجزيكم بأعمالكم

قوله تعالى ﴿ ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ﴾ قال الكلبي ومقاتل وعطاء نزلت في الاخنس بن شريق الثقفي حليف بني زهرة واسمه أبي وسمي الاخنس لانه خنس يوم بدر بثلاثمائة رجل من بني زهرة عن قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رجلا حلو الكلام حلو المنظر وكان يأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيجالسه ويظهر الاسلام ويقول اني لاحبك ويحلف بالله على ذلك وكان منافقا فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدني مجلسه فنزل قوله تعالى (ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا) أي تستحسنه ويعظم في قلبك ويقال في الاستحسان أعجبني كذا وفي الكراهية والانكار عجبت من كذا ﴿ ويشهد الله على ما في قلبه ﴾ يعني قول الاخنس المنافق

قال السدي : نزلت في الأخنس بن شريق الثقفي جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأظهر الاسلام وفي باطنه خلاف ذلك وعن ابن عباس أنها نزلت في نفر من المنافقين تكلموا في خبيب وأصحابه الذين قتلوا بالرجيع وعابوهم فأنزل الله في ذم المنافقين ومدح خبيب وأصحابه (ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله) وقيل بل ذلك عام في المنافقين كلهم وفي المؤمنين كلهم وهذا قول قتادة ومجاهد والربيع بن أنس وغير واحد وهو الصحيح . وقال ابن جرير : حدثني يونس أخبرنا ابن وهب أخبرني الليث بن سعد عن خالد بن يزيد عن سعيد بن أبي هلال عن القرظي عن نوف وهو البكالي وكان ممن يقرأ الكتب قال إني لاجد صفة ناس من هذه الامة في كتاب الله المنزل : قوم يحتالون على الدنيا بالدين، ألسنتهم أحلى من العسل، وقلوبهم أمر من الصبر، يلبسون للناس مسوك الضأن ، وقلوبهم قلوب الذئاب ، يقول الله تعالى : فعلي يجترؤن وبي يغترون حلفت بنفسي لابعثن عليهم فتنة تترك الحليم فيها حيران ، قال القرظي تدبرتها في القرآن فاذا هم المنافقون فوجدتها (ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه) الآية وحدثني محمد بن أبي معشر أخبرني أبو معشر نجيح قال : سمعت سعيدا المقبري يذاكر محمد بن كعب القرظي . فقال سعيد : ان في بعض الكتب : ن عبادا ألسنتهم أحلى من العسل وقلوبهم أمر من الصبر لبسوا للناس مسوك الضان، من اللين يجترؤن الدنيا بالدين ، قال الله تعالى : علي تجترؤن

والله إني بك مؤمن ولك محب ﴿ وهو ألدّ الخصام ﴾ أي شديد الخصومة ، يقال لددت ياهذا وأنت تلد لددا ولدادة . فاذا أردت انه غلب على خصمه قلت لده يلده لدا يقال رجل ألد وامرأة لداء وقوم لد . قال الله تعالى (وتنذر به قوما لدا) قال الزجاج : اشتقاقه من لديدي العنق وهما صحفتان وتأويله انه في أي وجه أخذ من يمين أو شمال في أبواب الخصومة غلب والخصام مصدر خاصمه خصاما ومخاصمة قاله أبو عبيدة . وقال الزجاج : هو جمع خصم يقال خصم وخصام وخصوم مثل بحر وبحار وبحور . قال الحسن : ألد الخصام أي كاذب القول . قال قتادة : شديد القسوة في المعصية جدل بالباطل يتكلم بالحكمة ويعمل بالخطيئة . أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي اخبرنا احمد بن عبدالله النعيمي اخبرنا محمد بن يوسف اخبرنا محمد بن اسماعيل اخبرنا أبو عاصم عن ابن جريج عن ابن أبي مليكة عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ان أبغض الرجال الى الله تعالى الالد الخصم » ﴿ واذا تولى ﴾ أي أدبر وأعرض عنك ﴿ سعى في الارض ﴾ أي عمل فيها وقيل سار فيها ومشى ﴿ ليفسد فيها ﴾ قال ابن جريج قطع الرحم وسفك دماء المسلمين ﴿ ويهلك الحرث والنسل ﴾ وذلك ان الاخنس كان بينه وبين ثقيف خصومة فبيتهم ليلة فأحرق زروعهم وأهلك مواشيهم . قال مقاتل : خرج الى الطائف مقتضيا مالا له على غريم فأحرق له كدسا وعقر له اتانا . والنسل نسل كل دابة والناس منهم . وقال الضحاك : (واذا تولى) أي ملك الامر وصار واليا (سعى في الارض) قال مجاهد : في قوله عز وجل (واذا تولى سعى في الارض) قال اذا ولي يعمل

وبي تغترون؟ وعزتي لابعثن عليهم فتنة تترك الحليم منهم حيران فقال محمد بن كعب هذا في كتاب الله فقال سعيد : وأين هو من كتاب الله قال قول الله (ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا) الآية فقال سعيد : قد عرفت فيمن أنزلت هذه الآية فقال محمد بن كعب ان الآية تنزل في الرجل ثم تكون عامة بعد وهذا الذي قاله القرظي حسن صحيح . وأما قوله (ويشهد الله على ما في قلبه) فقرأه ابن محيصن (ويشهد الله) بفتح الياء وضم الجلالة (على ما في قلبه) ومعناها أن هذا وان أظهر لكم الحيل لكن الله يعلم من قلبه القبيح كقوله تعالى (اذا جاءك المنافقون قالوا : نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون) وقراءة الجمهور بضم الياء ونصب الجلالة (ويشهد الله على ما في قلبه) ومعناه أنه يظهر للناس الاسلام ويبارز الله بما في قلبه من الكفر والنفاق كقوله تعالى (يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله) الآية هذا معنى ما رواه ابن اسحق عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وقيل معناه انه اذا أظهر للناس الاسلام حلف وأشهد الله لهم أن الذي في قلبه موافق للسانه وهذا المعنى صحيح ، وقاله عبد الرحمن بن زيد بن أسلم واختاره ابن جرير وعزاه الى ابن عباس وحكاه عن مجاهد والله أعلم . وقوله(وهو ألد الخصام) الالد في اللغة الاعوج (وتنذر به قوما لدا) أي عوجا وهكذا المنافق في حال خصومته يكذب ويزور عن الحق ولا يستقيم معه بل يفتري ويفجر كما ثبت في الصحيح عن رسول

بالعدوان والظلم فامسك الله المطر وأهلك الحرث والنسل ﴿ والله لا يحب الفساد ﴾ أى لا يرضى بالفساد . وقال سعيد بن المسيب : قطع الدراهم من الفساد في الارض قوله ﴿ واذا قيل له اتق الله ﴾ أى خف الله ﴿ أخذته العزة بالاثم ﴾ أى حملته العزة وحمية الجاهلية على الفعل بالاثم ، أى بالظلم. والعزة التكبر والمنعة ، وقيل معناه (أخذته العزة) للاثم الذى في قلبه فأقام الباء مقام اللام : قوله ﴿ فحسبه جهنم ﴾ اى كافيه ﴿ ولبئس المهاد ﴾ أي الفراش . قال عبد الله بن مسعود : ان من أكبر الذنب عند الله ان يقال للعبد : اتق الله فيقول عليك بنفسك ، وروي انه قيل لعمر بن الخطاب اتق الله، فوضع خده على الارض تواضعا لله عز وجل

قوله تعالى ﴿ ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله ﴾ أى لطلب رضا الله تعالى ﴿ والله رؤف بالعباد ﴾ روى عن ابن عباس والضحاك ان هذه الآية نزلت في سرية الرجيع وذلك ان كفار قريش بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بالمدينة انا قد أسلمنا فابعث الينا نفرا من علماء أصحابك يعلموننا دينك وكان ذلك مكرا منهم ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خبيب بن عدي الانصارى ومرثد بن أبي مرثد الغنوي وخالد بن بكير وعبد الله بن طارق بن شهاب البلوى وزيد بن الدثنة وأمر عليهم عاصم بن ثابت بن أبي الافلح الانصارى قال أبو هريرة : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة عينا وأمر عليهم عاصم بن ثابت الانصاري فساروا فنزلوا ببطن الرجيع بين مكة والمدينة ومعهم تمر عجوة فأكلوا فمرت عجوز فأبصرت النوى فرجعت الى

الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « آية المنافق ثلاث اذا حدث كذب ، واذا عاهد غدر ، واذا خاصم فجر » وقال البخاري : حدثنا قبيصة حدثنا سفيان عن ابن جريج عن ابن أبي مليكة عن عائشة ترفعه . قال : «إن أبغض الرجال الى الله الالد الخصم » قال : وقال عبد الله بن يزيد: حدثنا سفيان حدثنا ابن جريج عن ابن أبي مليكة عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ان أبغض الرجال الى الله الالد الخصم » وهكذا رواه عبد الرزاق عن معمر في قوله (وهو الد الخصام) عن ابن جريج عن ابن أبي مليكة عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ان أبغض الرجال الى الله الالد الخصم »

وقوله (واذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد) أي هو أعوج المقال « سيء الفعال ، فذلك قوله وهذا فعله ، كلامه كذب « واعتقاده فاسد ، وافعاله قبيحة ، والسعي ههنا هو القصد كما قال اخبارا عن فرعون (ثم ادبر يسعى فحشر فنادى فقال أنا ربكم الاعلى فأخذه الله نكال الآخرة والاولى ، إن في ذلك لعبرة لمن يخشى) وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله) أي اقصدوا واعمدوا ناوين بذلك صلاة الجمعة فان السعي الحسي الى الصلاة منهي عنه بالسنة النبوية « اذا أتيتم الصلاة فلا تأتوها وانتم تسعون وأتوها وعليكم السكينة والوقار » فهذا المنافق ليس له همة إلا الفساد في الارض واهلاك الحرث وهو محل نماء الزروع والثمار والنسل وهو نتاج الحيوانات الذين لا قوام

قومها بمكة وقالت قد سلك هذا الطريق أهل يثرب من أصحاب محمد - صلى الله عليه وسلم - فركب سبعون رجلا منهم معهم الرماح حتى أحاطوا بهم . وقال أبو هريرة رضي الله عنه ذكروا الحي من هذيل يقال لهم بنو لحيان فتبعوهم بقريب من مائة رجل رام فاقتفوا آثارهم حتى وجدوا مأكلهم التمر في منزل نزلوه فقالوا تمر يثرب فاتبعوا آثارهم فلما أحس بهم عاصم وأصحابه لجؤا الى فدفد فأحاط بهم القوم فقتلوا مرثدا وخالداً وعبدالله بن طارق ونثر عاصم بن ثابت كنانته وفيها سبعة أسهم فقتل بكل سهم رجلا من عظماء المشركين ثم قال : اللهم إني حميت دينك صدر النهار فاحم لحمي آخر النهار ثم أحاط به المشركون فقتلوه . فلما قتلوه أرادوا حز رأسه ليبيعوه من سلافة بنت سعد بن شهيد وكانت قد نذرت حين أصاب ابنها يوم أحد لئن قدرت على رأس عاصم لتشربن في قحفه الخمر فأرسل الله رجلا من الدبر وهي الزنانير فحمت عاصما فلم يقدروا عليه فسمي حمي الدبر فقالوا دعوه حتى تمسي فتذهب عنه فنأخذه فجاءت سحابة سوداء وأمطرت مطرا كالعزالي فبعث الله الوادي غديرا فاحتمل عاصما به فذهب به الى الجنة وحمل خمسين من المشركين الى النار وكان عاصم قد أعطى الله تعالى عهدا ان لا يمسه مشرك ولا يمس مشركا ابدا وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول حين بلغه ان الدبر منعته عجبا لحفظ الله العبد المؤمن كان عاصم نذر ان لا يمسه مشرك ولا يمس مشركا أبدا فمنعه الله بعد وفاته كما امتنع عاصم في حياته وأسر المشركون خبيب بن عدي الانصاري وزيد بن الدثنة فذهبوا بهما الى مكة فأما خبيب فابتاعه بنو الحارث بن عامر بن نوفل

للناس إلا بهما . وقال مجاهد اذا سعى في الارض افسادا منع الله القطر فهلك الحرث والنسل (والله لايحب الفساد) أي لايحب من هذه صفته ولا من يصدر منه ذلك

وقوله (واذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالاثم) أي اذا وعظ هذا الفاجر في مقاله وفعاله وقيل له اتق الله وانزع عن قولك وفعلك وارجع الى الحق امتنع وأبي وأخذته الحمية والغضب بالاثم أي بسبب ماشتمل عليه من الآثام وهذه الآية شبيهة بقوله تعالى (واذا تتلى عليهم آياتنا بينات تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا قل أفانبئكم بشر من ذلكم النار وعدها الله الذين كفروا وبئس المصير) ولهذا قال في هذه الآية (فحسبه جهنم ولبئس المهاد) أي هي كافيته عقوبة في ذلك

وقوله (ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله) لما أخبر عن المنافقين بصفاتهم الذميمة ذكر صفات المومنين الحميدة فقال (ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله) قال ابن عباس وأنس وسعيد بن المسيب وأبو عثمان النهدي وعكرمة وجماعة نزلت في صهيب بن سنان الرومي وذلك انه لما اسلم بمكة وأراد الهجرة منعه الناس أن يهاجر بماله وان أحب أن يتجرد منه ويهاجر فعل فتخلص منهم واعطاهم ماله فانزل الله فيه هذه الآية فتلقاه عمر بن الخطاب وجماعة الى طرف الحرة فقالوا له ربح البيع فقال وانتم فلا أخسر الله تجارتكم وما ذاك فاخبروه أن الله انزل فيه هذه

ابن عبد مناف ليقتلوه بأبيهم وكان خبيب هو الذي قتل الحرث يوم بدر فلبث خبيب عندهم أسيراً حتى أجمعوا على قتله فاستعار من بنات الحارث موسى ليستحد بها فاعارته فدرج بني لها وهي غافلة فما راع المرأة الا خبيب قد اجلس الصبي على فخذه الموسى بيده فصاحت المرأة فقال خبيب أتخشين ان اقتله ما كنت لافعل ذلك ان الغدر ليس من شأننا فقالت المرأة بعد والله ما رايت اسيرا خيرا من خبيب والله لقد وجدته يوما يأكل قطفا من عنب في يده وانه لموثق بالحديد وما بمكة من ثمرة ان كان الا رزقا رزقه الله خبيبا ▪ ثم انهم خرجوا من الحرم ليقتلوه في الحل وأرادوا ان يصلبوه فقال لهم خبيب دعوني أصلي ركعتين فتركوه فكان خبيب هو أول من سن لكل مسلم قتل صبرا الصلاة فركع ركعتين . ثم قال لولا ان يحسبوا ان ما بي جزع لزدت اللهم أحصهم عددا واقتلهم بددا ولا تبق منهم أحدا . ثم أنشأ يقول :

فلست أبالي حين أقتل مسلما ▪ على أي شق كان في الله مصرعي
وذلك في ذات الاله وان يشأ ▪ يبارك على أوصال شلو ممزّع

فصلبوه حيا فقال اللهم أنك تعلم انه ليس أحد حولي يبلغ سلامي رسولك فأبلغه سلامي . ثم قام أبو سروعة عقبة بن الحرث فقتله . ويقال كان رجل من المشركين يقال له سلامان أبو ميسرة معه رمح فوضعه بين ثدي خبيب فقال له خبيب اتق الله فما زاده ذلك الا عتوا فطعنه فانفذه وذلك قوله عز وجل (واذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالاثم) يعني سلامان . وأما زيد بن الدثنة

الآية ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له « ربح البيع صهيب » قال ابن مردويه حدثنا محمد ابن ابراهيم حدثنا محمد بن عبد الله بن رسته حدثنا سليمان بن داود حدثنا جعفر بن سليمان الضبي حدثنا عوف عن أبي عثمان النهدي عن صهيب قال لما أردت الهجرة من مكة الى النبي صلى الله عليه وسلم قالت لي قريش ياصهيب قدمت الينا ولا مال لك وتخرج أنت ومالك والله لا يكون ذلك أبدا فقلت لهم أرأيتم ان دفعت اليكم مالي تخلون عني؟ قالوا نعم ،فدفعت اليهم مالي فخلوا عني فخرجت حتى قدمت المدينة فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال « ربح صهيب ربح صهيب » مرتين وقال حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب قال اقبل صهيب مهاجرا نحو النبي صلى الله الله عليه وسلم فاتبعه نفر من قريش فنزل عن راحلته وانثل ما في كنانته ثم قال يامعشر قريش قد علمتم أني من ارماكم رجلا وايم والله لاتصلون إلي حتى ارمي بكل سهم في كنانتي ثم أضرب بسيفي مابقى في يدي منه شيء ثم افعلوا ما شئتم وان شئتم دللتكم على مالي وقنيتي بمكة وخليتم سبيلي قالوا نعم فلما قدم على النبي صلى الله عليه وسلم « قال ربح البيع » قال ونزلت (ومن الناس من

فابتاعه صفوان بن أمية ليقتله بأبيه أمية بن خلف فبعثه مع مولى له يسمى نسطاس الى التنعيم ليقتله بأبيه واجتمع رهط من قريش فيهم أبو سفيان بن حرب فقال له أبو سفيان حين قدم ليقتل أنشدك الله يازيد أتحب ان محمدا عندنا الآن بمكانك ونضرب عنقه وأنك في أهلك ، فقال والله ما أحب ان محمدا صلى الله عليه وسلم الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وأنا جالس في أهلي فقال أبو سفيان : ما رأيت من الناس أحدا يحب أحدا كحب أصحاب محمد محمدا . ثم قتله نسطاس فلما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم هذا الخبر قال لاصحابه أيكم ينزل خبيبا عن خشبته وله الجنة فقال الزبير : أنا يارسول الله وصاحبي المقداد بن الاسود فخرجا يمشيان بالليل ويكمنان بالنهار حتى أتيا التنعيم ليلا واذا حول الخشبة أربعون رجلا من المشركين نائمون نشاوى فأنزلاه فاذا هو رطب ينثنى لم يتغير منه شيء بعد أربعين يوما ويده على جراحته وهي تبض دما اللون لون الدم والريح ريح المسك فحمله الزبير على فرسه وسارا فانتبه الكفار وقد فقدوا خبيبا فأخبروا قريشا فركب منهم سبعون فلما لحقوهما قذف الزبير خبيبا فابتلعته الارض فسمي بليع الارض . فقال الزبير : ما جرأكم علينا يامعشر قريش . ثم رفع العمامة عن رأسه وقال أنا الزبير بن العوام وأمي صفية بنت عبد المطلب وصاحبي المقداد بن الاسود أسدان رابضان يدافعان عن شبليهما فان شئتم ناضلتكم وان شئتم نازلتكم وان شئتم انصرفتم » فانصرفوا الى مكة وقدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم وجبريل عنده فقال يامحمد ان الملائكة لتباهي بهذين من أصحابك فنزل في الزبير والمقداد بن الاسود (ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله) حين شريا أنفسهما لانزال خبيب عن خشبته وقال أكثر المفسرين: نزلت في صهيب بن سنان الرومي حين أخذه المشركون في رهط من المؤمنين فعذبوهم . فقال لهم صهيب إني شيخ كبير لا يضركم أمنكم كنت أم من غيركم فهل لكم ان تأخذوا

يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رؤف بالعباد) وأما الاكثرون لحملوا ذلك على أنها نزلت في كل مجاهد في سبيل الله كما قال تعالى (ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون و يقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والانجيل والقرآن، ومن اوفى بعهده من الله؟ فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم) ولما حمل هشام بن عامر بين الصفين أنكر عليه بعض الناس فرد عليهم عمر بن الخطاب وأبو هريرة وغيرهما وتلوا هذه الآية (ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رؤف بالعباد)

(٢٠٧) ياأيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين (٢٠٨) فان زللتم من بعد ماجاءتكم البينات فاعلموا أن الله عزيز حكيم)

يقول الله تعالى آمرا عباده المؤمنين به المصدقين برسوله أن يأخذوا بجميع عرى الاسلام وشرائعه

مالي وتذروني وديني ففعلوا وكان شرط عليهم راحلة ونفقة فأقام بمكة ما شاء الله ثم خرج الى المدينة فتلقاه ابو بكر وعمر في رجال. فقال له ابو بكر ربح بيعك يا أبا يحيى . فقال له صهيب : وبيعك فلا تتحسر . قال صهيب : ماذا لي ؟ فقال قد أنزل الله فيك وقرأ هذه الآية . وقال سعيد بن المسيب وعطاء : أقبل صهيب مهاجرا نحو النبي صلى الله عليه وسلم فاتبعه نفر من مشركي قريش فنزل عن راحلته ونثل ما كان في كنانته . ثم قال : يامعشر قريش لقد علمتم إني لمن أرماكم رجلا والله لا أضع سهما مما في كنانتي إلا في قلب رجل منكم وايم الله لا تصلون الي حتى أرمي بكل سهم في كنانتي ثم أضرب بسيفي ما بقي في يدي ثم افعلوا ما شئتم وان شئتم دللتكم على مالي بمكة وخليتم سبيلي قالوا نعم . ففعل ذلك فأنزل الله هذه الآية . وقال الحسن: أتدرون فيمن نزلت هذه الآية؟ نزلت في المسلم يلقي الكافر فيقول له قل لا إله إلا الله فيأبى ان يقولها ، فقال المسلم والله لاشرين نفسي لله، فتقدم فقاتل وحده حتى قتل . وقيل نزلت الاية في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر . قال ابن عباس : أرى من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله يقوم فيأمر هذا بتقوى الله فاذا لم يقبل وأخذته العزة بالاثم « قال وأنا أشري نفسي لله فقاتله فاقتتل الرجلان لذلك. وكان عليّ اذا قرأ هذه الاية يقول : اقتتلا ورب الكعبة . وقال أبو الخليل : سمع عمر بن الخطاب انسانا يقرأ هذه (ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله) فقال عمر « انا لله وانا اليه راجعون » قام رجل يأمر بالمعروف و ينهي عن المنكر فقتل . أخبرنا عبد الواحد المليحي اخبرنا عبد الرحمن بن شريح اخبرنا أبو القاسم البغوي اخبرنا علي بن الجعد اخبرني حماد بن سلمة عن أبي غالب عن أبي أمامة ان رجلا قال يارسول الله أي الجهاد أفضل؟ قال« أفضل الجهاد من قال كلمة حق عند سلطان جائر»

قوله تعالى ﴿ ياأيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ﴾ قرأ أهل الحجاز والكسائي السلم ههنا بفتح السين وقرأ الباقون بكسرها وفي سورة الانفال بالكسر وقرأ أبو بكر والباقون بالفتح وفي سورة محمد

والعمل بجميع أوامره وترك جميع زواجره ما استطاعوا من ذلك. قال العوفي عن ابن عباس ومجاهد وطاوس والضحاك وعكرمة وقتادة والسدي وابن زيد في قوله (ادخلوا في السلم) يعني الاسلام وقال الضحاك عن ابن عباس وأبو العالية والربيع بن أنس (ادخلوا في السلم) يعني الطاعة . وقال قتادة أيضا الموادعة وقوله (كافة) قال ابن عباس ومجاهد وأبو العالية وعكرمة والربيع بن أنس والسدي ومقاتل بن حبان وقتادة والضحاك : جميعا . وقال مجاهد أي اعملوا بجميع الاعمال ووجوه البر .

وزعم عكرمة أنها نزلت في نفر ممن اسلم من اليهود وغيرهم كعبد الله بن سلام وأسد بن عبيد وثعلبة وطائفة استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في أن يسبتوا وأن يقوموا بالتوراة ليلا فأمرهم الله باقامة شعائر الاسلام والاشتغال بها عما عداها وفي ذكر عبد الله بن سلام مع هؤلاء نظر اذ يبعد أن يستأذن في اقامة السبت وهو مع تمام ايمانه يتحقق نسخه ورفعه وبطلانه والتعويض عنه بأعياد الاسلام

ومن المفسرين من يجعل قوله (كافة) حالا من الداخلين أي ادخلوا في الاسلام كلكم والصحيح الاول وهو انهم أمروا كلهم أن يعملوا بجميع شعب الايمان وشرائع الاسلام وهي كثيرة جدا ما استطاعوا منها كما قال ابن أبي حاتم اخبرنا علي بن الحسين أخبرنا احمد بن الصباح اخبرني الهيثم بن يمان حدثنا اسماعيل ابن زكريا حدثني محمد بن عون عن عكرمة عن أبي عباس (يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة)كذا قرأها بالنصب يعني مؤمني أهل الكتاب فانهم كانوا مع الايمان بالله مستمسكين ببعض امور التوراة والشرائع التي انزلت فيهم فقال الله (ادخلوا في السلم كافة) يقول ادخلوا في شرائع

صلى الله عليه وسلم بالكسر حمزة وأبو بكر نزلت هذه الآية في مؤمني أهل الكتاب عبد الله بن سلام النضيري وأصحابه وذلك انهم كانوا يعظمون السبت ويكرهون لحوم الابل وألبانها بعد ما اسلموا وقالوا يارسول الله ان التوراة كتاب الله فدعنا فلنقم بها في صلاتنا بالليل فأنزل الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة) أي في الاسلام . قال مجاهد في أحكام أهل الاسلام وأعمالهم (كافة) أي جميعا . وقيل ادخلوا في الاسلام الى منتهى شرائعه كافين عن المجاوزة الى غيره وأصل السلم من الاستسلام والانقياد. ولذلك قيل للصلح سلم قال حذيفة بن اليمان في هذه الآية الاسلام ثمانية أسهم فعد الصلاة والزكاة والصوم والحج والعمرة والجهاد والامر بالمعروف والنهي عن المنكر . وقال قد خاب من لاسهم له ﴿ ولا تتبعوا خطوات الشيطان ﴾ أي آثاره فيما زين لكم من تحريم السبت ولحوم الابل وغيره ﴿ انه لكم عدو مبين ﴾ أخبرنا محمد بن الحسن المروزي أخبرنا أبو العباس الطحان أخبرنا أبو أحمد محمد بن قريش أخبرنا علي بن عبد العزيز المكي اخبرنا أبو عبيد القاسم بن سلام أخبرنا هاشم أخبرنا مخلد عن الشعبي عن جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم حين أتاه عمر فقال انا نسمع أحاديث من يهود تعجبنا أفترى ان نكتب بعضها ؟ فقال «أمتهوكون أنتم كما تهوكت

دين محمد صلى الله عليه وسلم ولا تدعوا منها شيئا وحسبكم الايمان بالتوراة وما فيها . وقوله (ولا تتبعوا خطوات الشيطان) أي اعملوا بالطاعات واجتنبوا ما يأمركم به الشيطان فانما يأمركم بالسوء والفحشاء وان تقولوا على الله ما لا تعلمون) وانما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير) ولهذا قال (انه لكم عدو مبين) قال مطرف : أغش عباد الله لعبيد الله الشيطان ? وقوله (فان زللتم من بعد ما جاءتكم البينات) أي عدلتم عن الحق بعد ما قامت عليكم الحجج فاعلموا أن الله عزيز أي في انتقامه لا يفوته هارب ولا يغلبه غالب حكيم في أحكامه ونقضه وابرامه ولهذا قال أبو العالية وقتادة والربيع بن أنس : عزيز في نقمته حكيم في أمره وقال محمد بن اسحق : العزيز في نصره ممن كفر به اذا شاء الحكيم في عذره وحجته الى عباده

---

(٢٠٩) هل ينظرون الا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضي الامر والى الله ترجع الامور)

يقول تعالى مهددا للكافرين بمحمد صلوات الله وسلامه عليه (هل ينظرون الا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة) يعني يوم القيامة لفصل القضاء بين الاولين والآخرين فيجزي كل عامل بعمله ان خيرا فخير وان شرا فشر ولهذا قال تعالى (وقضى الامر والى الله ترجع الامور) كما قال تعالى (كلا اذا دكت الارض دكا دكا وجاء ربك والملك صفا صفا وجيء يومئذ بجهنم يومئذ يتذكر الانسان وأنى له الذكرى) وقال (هل ينظرون الا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك) الآية . وقد ذكر الامام أبوجعفر بن جرير ههنا حديث الصور بطوله

اليهود والنصارى? لقد جئتكم بها بيضاء نقية ولو كان موسى حيا ما وسعه الا اتباعي » ﴿ فان زللتم ﴾ ضللتم وقيل ملتم يقال زلت قدمه تزل زلا وزللا اذا دحضت قال ابن عباس : يعني الشرك . قال قتادة : قد علم الله انه سيزل زالون من الناس فتقدم في ذلك وأوعد فيه ليكون لديه الحجة عليهم ﴿ من بعد ما جاءتكم البينات ﴾ أي الدلالات الواضحات ﴿ فاعلموا ان الله عزيز ﴾ في نقمته ﴿ حكيم ﴾ في أمره ، فالعزيز هو الغالب الذي لا يفوته شيء والحكيم ذو الاصابة في الامر

قوله تعالى ﴿ هل ينظرون ﴾ أي هل ينتظرون التاركون الدخول في السلم والمتبعون خطوات الشيطان يقال نظرته وانتظرته بمعنى واحد فاذا كان النظر مقرونا بذكر الوجه أو الى لم يكن الا بمعنى الرؤية ﴿ الا ان يأتيهم الله في ظلل ﴾ جمع ظلة ﴿ من الغمام ﴾ وهو السحاب الابيض الرقيق سمي غماما لانه يغم أي يستر . وقال مجاهد : هو غير السحاب ولم يكن الا لبني اسرائيل في تيههم وقال مقاتل : كهيئة الضبابة أبيض قال الحسن : في سترة من الغمام فلا ينظر اليهم أهل الارض ﴿ والملائكة ﴾ قرأ ابو جعفر بالخفض عطفا على الغمام تقديره مع الملائكة . تقول العرب أقبل الامير في العسكر ، أي مع العسكر . وقرأ الباقون بالرفع على معنى : ألا ان يأتيهم الله والملائكة في ظلل

من أوله عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو حديث مشهور ساقه غير واحد من أصحاب المسانيد وغيرهم وفيه - أن الناس اذا اهتموا لموقفهم في العرصات تشفعوا الى ربهم بالانبياء واحدا واحدا من آدم فمن بعده فكلهم يحيد عنها حتى ينتهوا الى محمد صلى الله عليه وسلم فاذا جاؤا اليه قال « أنا لها أنا لها » فيذهب فيسجد لله تحت العرش ويشفع عند الله في أن يأتي لفصل القضاء بين العباد فيشفعه الله ويأتي في ظلل من الغمام بعدما تنشق السماء الدنيا وينزل من فيها من الملائكة ثم الثانية ثم الثالثة الى السابعة وينزل عليه العرش والكروبيون قال وينزل الجبار عز وجل في ظلل من الغمام والملائكة ولهم زجل من تسبيحهم يقولون « سبحان ذي الملك والملكوت، سبحان ذي العزة والجبروت، سبحان الحي الذي لا يموت ، سبحان الذي يميت الخلائق، ولا يموت سبوح قدوس، رب الملائكة والروح، سبوح قدوس سبحان ربنا الاعلى » سبحان ذي السلطان والعظمة سبحانه سبحانه أبدا أبدا » وقد أورد الحافظ أبو بكر بن مردويه ههنا أحاديث فيها غرابة والله أعلم . فمنها ما رواه من حديث المنهال بن عمرو عن أبي عبيدة بن عبد الله بن ميسرة عن مسروق عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « يجمع الله الاولين والآخرين لميقات يوم معلوم قياما شاخصة أبصارهم الى السماء ينتظرون فصل القضاء وينزل الله في ظلل من الغمام من العرش الى الكرسي » وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا أبو بكر بن عطاء بن مقدم حدثنا معتمر بن سليمان سمعت عبد الجليل القيسي يحدث عن عبد الله بن عمرو (هل ينظرون الا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام) الآية . قال : يهبط حين يهبط وبينه وبين خلقه سبعون الف حجاب منها النور والظلمة والماء فيصوت الماء في تلك الظلمة صوتا تنخلع له القلوب . قال : وحدثنا أبي حدثنا محمد بن الوزير الدمشقي حدثنا الوليد قال : سألت زهير بن محمد عن قول الله (هل ينظرون الا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام) قال : ظلل من الغمام منظوم من الياقوت مكلل بالجوهر والزبرجد وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد في ظلل من الغمام قال : هو غير السحاب ولم يكن قط الا لبني اسرائيل في تيههم حين تاهوا . وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية : (هل ينظرون الا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة) يقول : والملائكة يجيئون في ظلل من الغمام والله تعالى يجيء فيما يشاء وهي في

من الغمام) والاولى في هذه الاية وفيما شاكلها ان يؤمن الانسان بظاهرها ويكل علمها الى الله تعالى ويعتقد ان الله عز اسمه منزه عن سمات الحدث على ذلك مضت أئمة السلف وعلماء السنة . قال الكلبي : هذا هو المكتوم الذى لا يفسر . وكان مكحول والزهرى والاوزاعي ومالك وابن المبارك وسفيان الثورى والليث بن سعد وأحمد واسحق يقولون فيه وفي أمثاله أمروها كما جاءت بلا كيف قال سفيان بن عيينة : كلما وصف الله به نفسه في كتابه فتفسيره قراءته والسكوت عليه ليس لاحد ان يفسره إلا الله تعالى ورسوله

قوله تعالى ﴿ وقضي الامر ﴾ أي وجب العذاب، وفرغ من الحساب، وذلك فصل الله القضاء بالحق

بعض القراآت (هل ينظرون الا أن يأتيهم الله والملائكة في ظلل من الغمام) وهي كقوله (ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا)

(٢١٠) سل بني اسرائيل كم آتيناهم من آية بينة ومن يبدل نعمة الله من بعدما جاءته فان الله شديد العقاب (٢١١) زين للذين كفروا الحياة الدنيا ويسخرون من الذين آمنوا والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة والله يرزق من يشاء بغير حساب

يقول تعالى مخبرا عن بنى اسرائيل كم شاهدوا مع موسى من آية بينة أي حجة قاطعة بصدقه فيما جاءهم به كيده وعصاه وفلقه البحر وضر به الحجر وما كان من تظليل الغمام عليهم في شدة الحر ومن انزال المن والسلوى وغيرذلك من الآيات الدالات على وجود الفاعل المختار وصدق من جرت هذه الخوارق على يديه ومع هذا أعرض كثير منهم عنها وبدلوا نعمة الله كفرا أي استبدلوا بالايمان بها الكفر بها والاعراض عنها (ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته فان الله شديد العقاب) كما قال تعالى اخبارا عن كفار قريش (ألم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار * جهنم

بين الخلق يوم القيامة ﴿ والى الله ترجع الامور ﴾ قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي ويعقوب بفتح التاء وكسر الجيم وقرأ الباقون بضم التاء وفتح الجيم

قوله تعالى ﴿ سل بني اسرائيل ﴾ أي سل يا محمد يهود المدينة ﴿ كم آتيناهم ﴾ أعطيناهم آباءهم وأسلافهم ﴿ من آية بينة ﴾ قرأ أهل الحجاز وقتيبة بتشديد الياء والباء والباقون بتشديد الياء دلالة واضحة على نبوة موسى عليه السلام مثل العصا واليد البيضاء وفلق البحر وغيرها وقيل معناها الدلالات التي آتاهم الله في التوراة والانجيل على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ ومن يبدل ﴾ يعني يغير ﴿ نعمة الله ﴾ كتاب الله وقيل عهد الله وقيل من ينكر الدلالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ من بعد ما جاءته فان الله شديد العقاب * زين للذين كفروا الحياة الدنيا ﴾ الا كثرون على أن المزين هو الله تعالى ، والتزيين من الله تعالى هو أنه خلق الاشياء الحسنة والمناظر العجيبة فنظر الخلق اليها بأ كثر من قدرها فأعجبهم حسنها ففتنوا بها. وقال الزجاج زين لهم الشيطان قيل نزلت هذه الآية في مشركي العرب أبي جهل واصحابه كانوا يتنعمون بما بسط الله لهم في الدنيا من المال ويكذبون بالمعاد ﴿ ويسخرون من الذين آمنوا ﴾ أي يستهزؤن بالفقراء من المؤمنين قال ابن عباس : أراد بالذين آمنوا عبد الله بن مسعود وعمار بن ياسر وصهيبا وبلالا وخبابا وأمثالهم وقال مقاتل: نزلت في المنافقين عبد الله بن أبيّ وأصحابه كانوا يتنعمون في الدنيا ويسخرون من ضعفاء المؤمنين وفقراء المهاجرين ويقولون انظروا الى هؤلاء الذين يزعم محمد أنه يغلب بهم وقال عطاء : نزلت في رؤساء اليهود من بني قريظة والنضير وبني قينقاع سخروا من فقراء المهاجرين فوعدهم الله أن يعطيهم أموال بني قريظة والنضير بغير قتال ويسخرون من الذين آمنوا لفقرهم ﴿ والذين اتقوا ﴾ يعني هؤلاء

يصلونها وبئس القرار) ثم أخبر تعالى عن تزيينه الحياة الدنيا للكافرين الذين رضوا بها واطمأنوا اليها وجمعوا الاموال ومنعوها عن مصارفها التي أمروا بها مما يرضى الله عنهم وسخروا من الذين آمنوا الذين أعرضوا عنها وأنفقوا ما حصل لهم منها في طاعة ربهم وبذلوه ابتغاء وجه الله فلهذا فازوا بالمقام الاسعد والحظ الاوفر يوم معادهم فكانوا فوق أولئك في محشرهم ومنشرهم ومسيرهم ومأواهم فاستقروا في الدرجات في أعلى عليين وخلد أولئك في الدركات في أسفل السافلين . ولهذا قال تعالى (والله يرزق من يشاء بغير حساب) أي يرزق من يشاء من خلقه ويعطيه عطاء كثيرا جزيلا بلا حصر ولا تعداد في الدنيا والآخرة كما جاء في الحديث « ابن آدم أنفق انفق عليك » وقال النبي صلى الله عليه وسلم « انفق بلالا ولا تخش من ذي العرش اقلالا » وقال تعالى (وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه) وفي الصحيح« أن ملكين ينزلان من السماء صبيحة كل يوم فيقول أحدهما : اللهم اعط منفقا خلفا ويقول الآخر : اللهم اعط ممسكا تلفا » وفي الصحيح« يقول ابن آدم : مالي مالي، وهل لك من مالك الا ما أكلت فأفنيت وما لبست فأبليت وما تصدقت فأمضيت وما سوى ذلك فذاهب

الفقراء ﴿ فوقهم يوم القيامة ﴾ لانهم في أعلى عليين وهم في أسفل السافلين أخبرنا أبو سعيد عبد الله ابن احمد الطاهري أخبرنا جدي عبد الصمد بن عبد الرحمن البزاز أخبرنا أبو بكر محمد بن زكريا العذافري أخبرنا اسحق الدبري اخبرنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن سليمان التيمي عن أبي عثمان النهدى عن أسامة بن زيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « وقفت على باب الجنة فرأيت أكثر اهلها المساكين ووقفت على باب النار فرايت أكثر اهلها النساء واذا اهل الجد محبوسون الا من كان من اهل النار فقد امر به الى النار » اخبرنا احمد بن عبد الله النعيمي اخبرنا محمد ابن يوسف اخبرنا محمد بن اسماعيل ثنا اسحق بن ابراهيم حدثني عبد العزيز بن ابي حازم عن ابيه عن سهل بن سعد الساعدى انه قال : مر رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لرجل عنده جالس ما رايك في هذا ؟ فقال رجل من اشراف الناس هذا والله حريٌ ان خطب ان ينكح وان شفع ان يشفع، قال فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم مر رجل آخر فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم «ما رايك في هذا » فقال يا رسول الله ان هذا رجل من فقراء المسلمين هذا حرى ان خطب ان لا ينكح وان شفع ان لا يشفع وان قال ان لا يسمع لقوله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «هذا خير من ملء الارض مثل هذا» ﴿ والله يرزق من يشاء بغير حساب ﴾ قال ابن عباس : يعني كثيراً بغير مقدار لان كل ما دخل عليه الحساب فهو قليل، يريد يوسع على من يشاء ويبسط لمن يشاء من عباده، وقال الضحاك يعني من غير تبعة يرزقه في الدنيا ولا يحاسبه في الآخرة، وقيل هذا يرجع الى الله معناه يقتر على من يشاء ويبسط لمن يشاء ولا يعطي لكل احد بقدر حاجته بل يعطي الكثير من لا يحتاج اليه ولا يعطي القليل من يحتاج اليه فلا يعترض عليه ولا يحاسب فيما يرزق ولا يقال لم اعطيت هذا وحرمت هذا؟ ولم اعطيت هذا اكثر مما اعطيت ذاك؟ وقيل معناه لا يخاف

وتاركه للناس » وفي مسند الامام أحمد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له »

(٢١٢) كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، وما اختلف فيه الا الذين أتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم، فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

قال ابن جرير : حدثنا محمد بن بشار حدثنا أبو داود اخبرنا همام عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس قال : كان بين نوح وآدم عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق فاختلفوا فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين قال : وكذلك هي في قراءة عبد الله (كان الناس امة واحدة فاختلفوا) ورواه الحاكم في مستدركه من حديث بندار عن محمد بن بشار ثم قال : صحيح الاسناد ولم يخرجاه وكذا روى ابو جعفر الرازي عن ابي العالية عن ابي بن كعب أنه كان يقرؤها (كان الناس امة واحدة فاختلفوا فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين) وقال عبد الرزاق: اخبرنا معمر عن قتادة في قوله (كان الناس امة واحدة) قال : كانوا على هدى جميعا (فاختلفوا فبعث الله النبيين) فكان اول من بعث نوحا . وهكذا قال مجاهد كما قال ابن عباس اولا . وقال العوفي عن ابن عباس (كان الناس امة واحدة) يقول : كانوا كفارا (فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين) والقول الاول عن ابن عباس اصح سندا ومعنى لان الناس كانوا على ملة آدم حتى عبدوا الاصنام فبعث الله اليهم نوحا عليه السلام فكان اول رسول بعثه الله الى اهل الارض

نفاد خزائنه فيحتاج الى حساب مايخرج منها لان الحساب من المعطى انما يكون بما يخاف(١) من نفاد خزائنه

قوله تعالى ﴿ كان الناس أمة واحدة ﴾ على دين واحد قال مجاهد : اراد آدم وحده كان امة واحدة قال سمي الواحد بلفظ الجمع لانه أصل النسل وابو البشر ثم خلق الله تعالى منه حواء ونشر منهما الناس فانتشروا وكانوا مسلمين الى ان قتل قابيل هابيل فاختلفوا ﴿ فبعث الله النبيين ﴾ قال الحسن وعطاء كان الناس من وقت وفاة آدم الى مبعث نوح أمة واحدة على ملة الكفر أمثال البهائم فبعث الله نوحا وغيره من النبيين . وقال قتادة وعكرمة كان الناس من وقت آدم الى مبعث نوح وكان بينهما عشرة قرون كلهم على شريعة واحدة من الحق والهدى ثم اختلفوا في زمن نوح فبعث الله اليهم نوحا فكان اول نبي بعث ثم بعث بعده النبيين . وقال الكلبي : هم اهل سفينة نوح كانوا مؤمنين ثم اختلفوا بعد وفاة نوح . وروى عن ابن عباس قال كان الناس على عهد ابراهيم عليه السلام امة واحدة كفارا كلهم فبعث الله ابراهيم وغيره من النبيين وقيل كان العرب على دين ابراهيم

(١) ونسختنا : لما يخاف . بلام التعليل . وهي كباء السببية في المعنى في النسخ المطبوعة

ولهذا قال تعالى (وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه الا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم) أي من بعد ما قامت الحجج عليهم وما حملهم على ذلك الا البغي من بعضهم على بعض (فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم) وقال عبد الرزاق : حدثنا معمر عن سليمان الاعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة في قوله (فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه) الآية قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم « نحن الآخرون الاولون يوم القيامة نحن أول الناس دخولا الجنة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم فهدانا الله لما اختلفوا فيه من الحق باذنه فهذا اليوم الذي اختلفوا فيه فهدانا الله له فالناس لنا فيه تبع فغدا لليهود و بعد غد للنصارى » ثم رواه عبد الرزاق عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه عن أبي هريرة. وقال ابن وهب عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه في قوله (فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه) فاختلفوا في يوم الجمعة فاتخذ اليهود يوم السبت والنصارى يوم الاحد فهدى الله أمة محمد ليوم الجمعة واختلفوا في القبلة فاستقبلت النصارى المشرق واليهود بيت المقدس فهدى الله أمة محمد للقبلة واختلفوا في الصلاة فمنهم من يركع ولا يسجد ومنهم من يسجد ولا يركع ومنهم من يصلي وهو يتكلم ومنهم من يصلي وهو يمشي فهدى الله أمة محمد للحق من ذلك . واختلفوا في الصيام فمنهم من يصوم بعض النهار ومنهم من يصوم عن بعض الطعام فهدى الله أمة محمد للحق من ذلك . واختلفوا في ابراهيم عليه السلام فقالت اليهود: كان يهوديا وقالت النصارى : كان نصرانيا وجعله الله حنيفا مسلما فهدى الله أمة محمد للحق من ذلك . واختلفوا في عيسى عليه السلام فكذبت به اليهود وقالوا لامه : بهتانا عظيما وجعلته النصارى إلها وولدا وجعله الله روحه وكلمته فهدى الله أمة محمد صلى الله عليه وسلم

الى ان غيره عمرو بن الحي لعنة الله عليه . وروي عن أبي العالية عن أبي كعب قال : كان الناس يحين عرضوا على آدم وأخرجوا من ظهره وأقروا بالعبودية لله تعالى أمة واحدة مسلمين كلهم ولم يكونوا أمة واحدة قط غير ذلك اليوم . ثم اختلفوا بعد آدم نظيره في سورة يونس وما كان الناس الا أمة واحدة فاختلفوا فبعث الله النبيين وجملتهم مائة ألف واربعة وعشرون ألفا والرسل منهم ثلثمائة وثلاثة عشر والمذكورون في القرآن باسم العلم ثمانية وعشرون نبيا ﴿ مبشرين ﴾ بالثواب من آمن وأطاع ﴿ ومنذرين ﴾ محذرين بالعقاب من كفر وعصى ﴿ وأنزل معهم الكتاب ﴾ أي الكتب تقديره وأنزل مع كل واحد منهم الكتاب ﴿ بالحق ﴾ بالعدل والصدق ﴿ ليحكم بين الناس ﴾ قرأ أبو جعفر (ليحكم) بضم الياء وفتح الكاف ههنا وفي أول آل عمران وفي النور موضعين لان الكتاب لا يحكم في الحقيقة انما يحكم به وقراءة العامة بفتح الياء وضم الكاف أي ليحكم الكتاب ذكره على سعة الكلام كقوله تعالى (هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق) وقيل معناه ليحكم كل نبي بكتابه ﴿ فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه ﴾ أي في الكتاب ﴿ إلا الذين أوتوه ﴾ أي اعطوا الكتاب

للحق من ذلك وقال الربيع بن أنس في قوله (فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه) أي عند الاختلاف أنهم كانوا على ما جاءت به الرسل قبل الاختلاف أقاموا على الاخلاص لله عز وجل وحده وعبادته لا شريك له وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة فأقاموا على الامر الاول الذي كان قبل الاختلاف واعتزلوا الاختلاف وكانوا شهداء على الناس يوم القيامة شهداء على قوم نوح وقوم هود وقوم صالح وقوم شعيب وآل فرعون أن رسلهم قد بلغوهم وأنهم قد كذبوا رسلهم وفي قراءة أبيّ بن كعب وليكونوا شهداء على الناس يوم القيامة والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم وكان أبو العالية يقول في هذه الآية المخرج من الشبهات والضلالات والفتن

وقوله (باذنه) أي بعلمه بهم وبما هداهم له قاله ابن جرير (والله يهدي من يشاء) أي من خلقه (الى صراط مستقيم) أي وله الحكمة والحجة البالغة وفي صحيح البخاري ومسلم عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا قام من الليل يصلي يقول : « اللهم رب جبريل وميكائيل واسرافيل فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدي من تشاء الى صراط مستقيم » وفي الدعاء المأثور « اللهم أرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه وارنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه ولا تجعله متلبسا علينا فنضل واجعلنا للمتقين إماما

(٢١٣) أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله؟ ألا ان نصر الله قريب

﴿ من بعدما جاءتهم البينات ﴾ يعني احكام التوراة والانجيل قيل الفراء : ولاختلافهم معنيان أحدهما كفر بعضهم بكتاب بعض قال الله تعالى (ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض) والآخر تحريفهم كتاب الله قال الله يحرفون الكلم عن مواضعه وقيل الآية راجعة الى محمد صلى الله عليه وسلم وكتابه اختلف فيه أهل الكتاب (من بعد جاءتهم البينات) صفة محمد صلى الله عليه وسلم في كتبهم ﴿ بغيا ﴾ ظلما وحسدا ﴿ بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه ﴾ أي لما اختلفوا فيه ﴿ من الحق باذنه ﴾ بعلمه وإرادته فيهم قال ابن زيد : هذه الآية اختلفوا في القبلة فمنهم من يصلي الى المشرق ومنهم من يصلي الى المغرب ومنهم من يصلي الى بيت المقدس فهدانا الله الى الكعبة واختلفوا في الصيام فهدانا الله لشهر رمضان واختلفوا في الايام فأخذت اليهود السبت والنصارى الاحد فهدانا الله للجمعة واختلفوا في ابراهيم عليه السلام فقالت اليهود كان يهوديا وقالت النصارى كان نصرانيا فهدانا الله للحق من ذلك واختلفوا في عيسى فجعلته اليهود الفرية وجعله النصارى الها وهدانا الله للحق فيه ﴿ والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم ﴾

قوله تعالى ﴿ أم حسبتم ان تدخلوا الجنة ﴾ قال قتادة والسدي : نزلت هذه الآية في غزوة

يقول تعالى (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة) قبل أن تبتلوا وتختبروا وتمتحنوا كما فعل بالذين من قبلكم من الامم ولهذا قال (ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء) وهي الامراض والاسقام والآلام والمصائب والنوائب . قال ابن مسعود وابن عباس وأبو العالية ومجاهد وسعيد بن جبير ومرة الهمداني والحسن وقتادة والضحاك والربيع والسدي ومقاتل بن حيان (البأساء) الفقر (والضراء) السقم (وزلزلوا) خوفوا من الاعداء زلزالا شديدا وامتحنوا امتحانا عظيما كما جاء في الحديث الصحيح عن خباب بن الارت قال : قلنا يا رسول الله ألا تستنصر لنا ألا تدعو الله لنا فقال « ان من كان قبلكم كان أحدهم يوضع الميشار على مفرق رأسه فيخلص الى قدميه لا يصرفه ذلك عن دينه ويمشط بأمشاط الحديد ما بين لحمه وعظمه لا يصرفه ذلك عن دينه » ثم قال « والله ليتمن الله هذا الامر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت لا يخاف الا الله والذئب على غنمه ولكنكم قوم تستعجلون » وقال الله تعالى (ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ● ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين) وقد حصل من هذا جانب عظيم للصحابة رضي الله عنهم في يوم الاحزاب كما قال الله تعالى (اذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا ● واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا) الآيات . ولما سأل هرقل أبا سفيان هل قاتلتموه قال : نعم . قال : فكيف كانت الحرب بينكم ؟ قال : سجالا يدال علينا وندال عليه قال : كذلك الرسل تبتلى ثم تكون لها العاقبة . وقوله (مثل الذين خلوا من قبلكم) أي سنتهم كما قال تعالى (فأهلكنا أشد منهم بطشا ومضى مثل الاولين) وقوله (وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله) أي يستفتحون على أعدائهم ويدعون بقرب

الخندق حين أصاب المسلمين ما أصابهم من الجهد وشدة الخوف والبرد وضيق العيش وأنواع الاذى كما قال الله تعالى (وبلغت القلوب الحناجر) وقيل نزلت في حرب أحد . وقال عطاء : لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه المدينة اشتد عليهم الضر لانهم خرجوا بلا مال وتركوا ديارهم وأموالهم بأيدي المشركين وآثروا رضا الله ورسوله وأظهرت اليهود العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأسر قوم النفاق فأنزل الله تعالى تطييبا لقلوبهم (أم حسبتم) معناه أحسبتم والميم صلة قاله الفراء وقال الزجاج : بل حسبتم ومعنى الآية أظننتم أيها المؤمنون ان تدخلوا الجنة ﴿ ولما يأتكم ﴾ أى ولم يأتكم وما صلة ﴿ مثل الذين خلوا ﴾ شبه الذين مضوا ﴿ من قبلكم ﴾ من النبيين والمؤمنين ﴿ مستهم البأساء ﴾ الفقر والشدة والبلاء ﴿ والضراء ﴾ المرض والزمانة ﴿ وزلزلوا ﴾ أى حركوا بأنواع البلايا والرزايا وخوفوا ﴿ حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ﴾ ما زال البلاء بهم حتى استبطؤا النصر قال الله تعالى ﴿ ألا ان نصر الله قريب ﴾ قرأ نافع حتى يقول الرسول بالرفع معناه حتى قال الرسول واذا كان الفعل الذي يلي حتى في معنى الماضي ولفظه لفظ المستقبل فلك فيه الوجهان

الفرج والمخرج عند ضيق الحال والشدة . قال الله تعالى (ألا ان نصر الله قريب) كما قال (فان مع العسر يسرا إن مع العسر يسرا) وكما تكون الشدة ينزل من النصر مثلها » ولهذا قال (الا أن نصر الله قريب) وفي حديث أبي رزين «عجب ربك من قنوط عباده وقرب غيثه فينظر اليهم قنطين فيظل يضحك يعلم أن فرجهم قريب » الحديث

(٢١٤) يسألونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والاقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل وما تفعلوا من خير فان الله به عليم

قال مقاتل بن حيان : هذه الآية في نفقة التطوع . وقال السدي : نسختها الزكاة وفيه نظر ومعنى الآية ؛ يسألونك كيف ينفقون » قاله ابن عباس ومجاهد فبين لهم تعالى ذلك فقال (قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والاقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل) أي اصرفوها في هذه الوجوه . كما جاء الحديث « أمك وأباك وأختك وأخاك ثم أدناك أدناك » وتلا ميمون بن مهران هذه الآية ثم قال : هذه مواضع النفقة ما ذكر فيها طبلا ولا مزمارا ولا تصاوير الخشب ولا كسوة الحيطان . ثم قال تعالى (وما تفعلوا من خير فان الله به عليم) أي مهما صدر منكم من فعل معروف فان الله يعلمه وسيجزيكم على ذلك أوفر الجزاء فانه لا يظلم أحدا مثقال ذرة

(٢١٥) كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون

هذا ايجاب من الله تعالى للجهاد على المسلمين أن يكفوا شر الاعداء عن حوزة الاسلام وقال

والرفع والنصب فالنصب على ظاهر الكلام لان حتى تنصب الفعل المستقبل والرفع لان معناه الماضي حتى لا تعمل في الماضي

قوله تعالى ﴿ يسئلونك ماذا ينفقون ﴾ نزلت في عمرو بن الجموح وكان شيخا كبيراً ذا مال فقال يارسول الله بماذا نتصدق وعلى من ننفق فأنزل الله تعالى (يسألونك ماذا ينفقون) وفي قوله (ماذا) وجهان من الاعراب أحدهما ان يكون محله نصبا بقوله (ينفقون) تقديره أى شيء ينفقون والآخر ان يكون رفعا بما ومعناه ما الذى ينفقون ﴿ قل ما أنفقتم من خير ﴾ أى من مال ﴿ فللوالدين والاقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل وما تفعلوه من خير فان الله به عليم ﴾ يجازيكم به قال أهل التفسير : كان هذا قبل فرض الزكاة فنسخت بالزكاة

قوله تعالى ﴿ كتب عليكم القتال ﴾ أى فرض عليكم الجهاد واختلف العلماء في حكم هذه الاية فقال عطاء : الجهاد تطوع والمراد من الاية أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم دون غيرهم واليه ذهب الثورى واحتج من ذهب الى هذا بقوله تعالى (فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم علي

الزهري : الجهاد واجب على كل أحد غزا أو قعد فالقاعد عليه اذا استعين أن يعين واذا استغيث أن يغيث واذا استنفر أن ينفر وان لم يحتج اليه قعد (قلت) ولهذا ثبت في الصحيح « من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو مات ميتة جاهلية » وقال عليه السلام يوم الفتح « لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية واذا استنفرتم فانفروا » وقوله (وهو كره لكم) أي شديد عليكم ومشقة وهو كذلك فانه إما أن يقتل أو يجرح مع مشقة السفر ومجالدة الاعداء . ثم قال تعالى (وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم) أي لان القتال يعقبه النصر والظفر على الاعداء والاستيلاء على بلادهم وأموالهم وذراريهم وأولادهم (وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم) وهذا عام في الامور كلها قد يحب المرء شيئا وليس له فيه خيرة ولا مصلحة ومن ذلك القعود عن القتال قد يعقبه استيلاء العدو على البلاد والحكم . ثم قال تعالى (والله يعلم وأنتم لا تعلمون) أي هو أعلم بعواقب الامور منكم وأخبر بما فيه صلاحكم في دنياكم وأخراكم فاستجيبوا له وانقادوا لامره لعلكم ترشدون

(٢١٦) يسالونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير . وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام واخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل ولا يزالون يقاتلونكم حتي يردوكم عن دينكم ان استطاعوا ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك

القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى) ولو كان القاعد تاركا فرضا لم يكن يعده الحسنى وجرى بعضهم على ظاهر الاية . وقال الجهاد فرض على كافة المسلمين الى قيام الساعة اخبرنا ابو سعيد احمد بن ابراهيم الشريحي الخوارزمي اخبرنا ابو اسحق احمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي اخبرنا ابو عمرو احمد بن ابي الفراتي اخبرنا ابو الهيثم بن كليب اخبرنا احمد بن حازم بن ابي غرزة اخبرنا سعيد بن عثمان العبدى عن عمرو بن محمد ابن المنكدر عن سمى عن ابي صالح عن أبي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق » وقال قوم وعليه الجهور ، ان الجهاد فرض على الكفاية اذا قام به البعض سقط عن الباقين مثل صلاة الجنازة ورد السلام قال الزهري والاوزاعي : كتب الله الجهاد على الناس غزوا أو قعدوا فمن غزا فبها ونعمت ومن قعد فهو عدة ان استعين به أعان وان استنفر نفر وان استغنى عنه قعد قوله تعالى ﴿ وهو كره لكم ﴾ أى شاق عليكم . قال بعض أهل المعاني هذا الكره من حيث نفور الطبع عنه لما فيه من مؤنة المال ومشقة النفس وخطر الروح لا أنهم كرهوا أمر الله تعالى. وقال عكرمة : نسخها قوله تعالى (سمعنا وأطعنا) يعني انهم كرهوا ثم أحبوه فقالوا (سمعنا وأطعنا) قال الله تعالى ﴿ وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم ﴾ لان في الغزو احدى الحسنيين اما الظفر والغنيمة واما الشهادة والجنة ﴿ وعسى ان تحبوا شيئا ﴾ يعني القعود عن الغزو ﴿ وهو شر لكم ﴾ لما فيه من فوات الغنيمة والاجر ﴿ والله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴾

قوله تعالى ﴿ يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه ﴾ سبب نزول هذه الآية ان رسول الله

حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النارهم فيها خالدون (٢١٧) ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم)

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي حدثنا محمد بن أبي بكر المقدمي حدثنا المعتمر بن سليمان عن أبيه حدثني الحضرمي عن أبي السوار عن جندب بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث رهطا وبعث عليهم أبا عبيدة بن الجراح فلما ذهب ينطلق بكى صبابة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحبسه فبعث عليهم مكانه عبد الله بن جحش وكتب له كتابا وأمره أن لا يقرأ الكتاب حتى يبلغ مكان كذا وكذا وقال « لا تكرهن أحدا على السير معك من أصحابك » فلما قرأ الكتاب استرجع وقال : سمعا وطاعة لله ولرسوله فخبرهم الخبر وقرأ عليهم الكتاب فرجع رجلان وبقي بقيتهم فلقوا ابن الحضرمي فقتلوه ولم يدروا أن ذلك اليوم من رجب أو من جمادى فقال المشركون للمسلمين : قتلتم في الشهر الحرام فأنزل الله (يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير) الآية . وقال السدي عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود (يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير) الآية . وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث سرية وكانوا سبعة نفر عليهم عبد الله بن جحش الاسدي وفيهم عمار بن ياسر وأبو حذيفة بن عتبة ابن ربيعة وسعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان السلمي حليف لبني نوفل وسهيل بن بيضاء وعامر ابن فهيرة وواقد بن عبد الله اليربوعي حليف لعمر بن الخطاب وكتب لابن جحش كتابا وأمره أن لا يقرأه حتى ينزل بطن نخلة فلما نزل بطن نخلة فتح الكتاب فاذا فيه « أن سر حتى تنزل بطن نخلة » فقال لاصحابه من كان يريد الموت فليمض وليوص فانني موص وماض لامر رسول الله صلى الله عليه وسلم فسار فتخلف عنه سعد بن أبي وقاص وعتبة أضلا راحلة لهما فتخلفا يطلبانها وسار ابن جحش الى بطن نخلة فاذا هو بالحكم بن كيسان وعثمان بن عبدالله بن المغيرة وانفلت وقتل عمرو قتله واقد بن عبد الله فكانت أولى غنيمة غنمها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رجعوا الى المدينة بأسيرين وما أصابوا من المال أراد أهل مكة أن يفادوا الاسيرين عليه المشركون وقالوا أن

صلى الله عليه وسلم بعث عبد الله بن جحش وهو ابن عمة النبي صلى الله عليه وسلم أخت أبيه في جمادي الآخرة قبل قتال بدر بشهرين على رأس سبعة عشر شهرا من مقدمه الى المدينة وبعث معه ثمانية رهط من المهاجرين سعد بن أبي وقاص الزهري وعكاشة ابن محصن الاسدي وعتبة بن غزوان السلمي وأبا حذيفة بن عتبة بن ربيعة وسهيل بن بيضاء وعامر بن ربيعة وواقد بن عبد الله وخالد بن بكير وكتب لاميرهم عبد الله بن جحش كتابا وقال له « سر على اسم الله ولا تنظر في الكتاب حتى تسير يومين فاذا نزلت فافتح الكتاب واقرأه على أصحابك ثم امض لما أمرتك ولا تستكرهن أحدا من أصحابك على السير معك » فسار عبد الله يومين ثم نزل وفتح الكتاب فاذا فيه بسم الله الرحمن

محمدا يزعم أنه يتبع طاعة الله وهو أول من استحل الشهر الحرام وقتل صاحبنا في رجب فقال المسلمون انما قتلناه في جمادى وقتل في أول ليلة من رجب وآخر ليلة من جمادى وغمد المسلمون سيوفهم حين دخل شهر رجب وأنزل الله يعير أهل مكة (يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير) لا يحل وما صنعتم أنتم يا معشر المشركين أكبر من القتل في الشهر الحرام حين كفرتم بالله وصددتم عن محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه واخراج أهل المسجد الحرام منه حين أخرجوا محمدا صلى الله عليه وسلم وأصحابه أكبر من القتل عند الله

وقال العوفي عن ابن عباس (يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير) وذلك أن المشركين صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وردوه عن المسجد في شهر حرام قال ففتح الله على نبيه في شهر حرام من العام المقبل فعاب المشركون على رسول الله صلى الله عليه وسلم القتال في شهر حرام فقال الله (وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله) من القتال فيه وأن محمداً صلى الله عليه وسلم بعث سرية فلقوا عمرو بن الحضرمي وهو مقبل من الطائف في آخر ليلة من جمادى وأول ليلة من رجب وإن أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كانوا يظنون أن تلك الليلة من جمادى وكانت أول رجب ولم يشعروا فقتله رجل منهم وأخذوا ما كان معه وإن المشركين أرسلوا يعيرونه بذلك فقال الله تعالى (يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه) إخراج أهل المسجد الحرام أكبر من الذي أصاب أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم والشرك أشد منه وهكذا روى أبو سعيد البقال عن عكرمة عن ابن عباس أنها نزلت في سرية عبد الله بن جحش وقتل عمرو ابن الحضرمي وقال محمد بن اسحق حدثني محمد بن السائب الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال نزل فيما كان من مصاب عمرو بن الحضرمي (يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه) الى آخر الآية وقال عبد الملك بن هشام راوي السيرة عن زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن اسحق ابن يسار المدني رحمه الله في كتاب السيرة له أنه قال وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن جحش بن رئاب الاسدي في رجب مقفله من بدر الاولى وبعث معه ثمانية رهط من المهاجرين ليس

الرحيم « أما بعد فسر على بركة الله بمن تبعك من أصحابك حتى تنزل بطن نخلة فترصد بها عير قريش لعلك تأتينا منه بخبر فلما نظر في الكتاب قال سمعا وطاعة ثم قال لاصحابه ذلك . وقال انه نهاني ان أستكره أحداً منكم فمن كان يريد الشهادة فلينطلق ومن كره فليرجع » ثم مضى ومضى معه أصحابه لم يتخلف عنه منهم أحد حتى كان بمعدن فوق الفرع بموضع من الحجاز يقال له نجران أضل سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان بعيراً لهما يعتقبانه فتخلفا في طلبه ومضى ببقية أصحابه حتى نزلوا بطن نخلة بين مكة والطائف فبينما هم كذلك اذ مرت عير لقريش تحمل زبيبا وأدما وتجارة من تجارة الطائف فيهم عمرو بن الحضرمي والحكم بن كيسان مولى هشام بن المغيرة وعثمان بن

فيهم من الانصار احد وكتب له كتابا وأمره أن لا ينظر فيه حتى يسير يومين ثم ينظر فيه فيمضي كما أمره به ولا يستكره من أصحابه أحدا وكان أصحاب عبد الله بن جحش من المهاجرين ثم من بني عبد شمس بن عبد مناف أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف ومن حلفائهم عبد الله بن جحش وهو أمير القوم وعكاشة بن محصن أحد بني أسد بن خزيمة حليف لهم من بني نوفل بن عبد مناف عتبة بن غزوان بن جابر حليف لهم ومن بني زهرة بن كلاب سعد بن أبي وقاص ومن بني كعب عدي بن عامر بن ربيعة حليف لهم من غير ابن وائل وواقد بن عبد الله ابن عبد مناف بن عرس بن ثعلبة بن يربوع أحد بني تميم حليف لهم وخالد بن البكير أحد بني سعد بن ليث حليف لهم ومن بني الحرث بن فهر سهيل بن بيضاء فلما سار عبد الله بن جحش يومين فتح الكتاب فنظر فاذا فيه : اذا نظرت في كتابي هذا فامض حتى تنزل نخلة بين مكة والطائف ترصد بها قريشا وتعلم لنا من أخبارهم فلما نظر عبد الله بن جحش في الكتاب قال : سمعا وطاعة ثم قال لاصحابه : قد أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أمضي الى نخلة أرصد بها قريشا حتى آتيه منهم بخبر وقد نهاني أن أستكره أحداً منكم فمن كان منكم يريد الشهادة و يرغب فيها فلينطلق ومن كره ذلك فليرجع فأما أنا فماض لامر رسول الله صلى الله عليه وسلم فمضى ومضى معه أصحابه لم يتخلف عنه منهم أحد فسلك على الحجاز حتى اذا كان بمعدن فوق الفرع يقال له بحران أضل سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان بعيرا لهما كانا يعتقبانه فتخلفا عليه في طلبه ومضى عبد الله بن جحش وبقية أصحابه حتى نزل نخلة فمرت به عير لقريش تحمل زيتا وأدما وتجارة من تجارة قريش فيها عمرو بن الحضرمي واسم الحضرمي عبد الله بن عباد أحد الصدف وعثمان بن عبد الله بن المغيرة وأخوه نوفل بن عبد الله المخزوميان والحكم بن كيسان مولى هشام بن المغيرة فلما رآهم القوم هابوهم وقد نزلوا قريبا منهم فأشرف لهم عكاشة بن محصن وكان قد حلق رأسه فلما رأوه آمنوا وقالوا : عمار لا بأس عليكم منهم وتشاور القوم فيهم وذلك في آخر يوم من رجب فقال القوم والله لئن تركتم القوم هذه الليلة ليدخلن الحرم فليمتنعن منكم ولئن قتلتموهم لتقتلنهم في الشهر الحرام فتردد القوم وهابوا الاقدام عليهم ثم شجعوا أنفسهم عليهم وأجمعوا قتل من قدروا عليه منهم وأخذ ما معهم

عبد الله بن المغيرة وأخوه نوفل بن عبد الله المخزوميان فلما رأوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هابوهم ، فقال عبد الله ابن جحش : ان القوم قد ذعروا منكم فاحلقوا رأس رجل منكم وليتعرض لهم فحلقوا رأس عكاشة ثم أشرف عليهم فقالوا: قوم عمار لا بأس عليكم فأمنوهم وكان ذلك في آخر يوم من جمادي الآخرة وكانوا يرون انه من جمادى وهو من رجب فتشاور القوم وقالوا لئن تركتموهم الليلة ليدخلن الحرم فليمتنعن منكم فأجمعوا أمرهم في موافقة القوم فرمى واقد بن عبد الله السهمي عمرو بن الحضرمي بسهم فقتله فكان أول قتيل من المشركين وهو أول قتيل في الهجرة وأدى النبي صلى الله عليه وسلم دية ابن الحضرمي الى ورثته من قريش . قال مجاهد وغيره : لانه

فرمى واقد بن عبد الله التميمي عمرو بن الحضرمي بسهم فقتله واستأسر عثمان بن عبد الله والحكم ابن كيسان وأفلت القوم نوفل بن عبد الله فأعجزهم وأقبل عبد الله بن جحش وأصحابه بالعير والاسيرين حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة قال ابن اسحق : وقد ذكر بعض آل عبد الله بن جحش أن عبد الله قال لاصحابه ان لرسول الله صلى الله عليه مما غنمنا الخمس وذلك قبل أن يفرض الله الخمس من المغانم فعزل لرسول الله صلى الله عليه وسلم خمس العير وقسم سائرها بين أصحابه قال ابن اسحق : فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام » فوقف العير والاسيرين وأبى أن يأخذ من ذلك شيئا فلما قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم سقط في أيدي القوم وظنوا أنهم قد هلكوا وعنفهم اخوانهم من المسلمين فيما صنعوا وقالت قريش قد استحل محمد وأصحابه الشهر الحرام وسفكوا فيه الدم وأخذوا فيه الاموال وأسروا فيه الرجال، فقال من يرد عليهم من المسلمين ممن كان بمكة انما أصابوا ما أصابوا في شعبان وقالت اليهود تفاءلوا بذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن الحضرمي قتله واقد بن عبد الله عمرو عمرت الحرب والحضرمي حضرت الحرب وواقد بن عبد الله وقدت الحرب فجعل الله عليهم ذلك لا لهم فلما أكثر الناس في ذلك انزل الله على رسول الله صلى الله عليه وسلم (يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل) أي ان كنتم قتلتم في الشهر الحرام فقد صدوكم عن سبيل الله مع الكفر به وعن المسجد الحرام وإخراجكم منه وأنتم أهله (أكبر عند الله) من قتل من قتلتم منهم (والفتنة أكبر من القتل) أي قد كانوا يفتنون المسلم في دينه حتى يردوه الى الكفر بعد ايمانه فذلك أكبر عند الله من القتل (ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا) أي ثم هم مقيمون على أخبث ذلك وأعظمه غير تائبين ولا نازعين قال ابن اسحق : فلما نزل القرآن بهذا من الامر وفرج الله عن المسلمين ما كانوا فيه من الشدة قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم العير والاسيرين وبعثت اليه قريش في فداء عثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا نفديكموهما حتى يقدم صاحبانا » يعني سعد بن أبي وقاص

كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم و بين قريش عهد وادع أهل مكة سنتين ان لا يقاتلهم ولا يقاتلوه واستأسر الحكم وعثمان فكانا أول أسيرين في الاسلام وأفلت نوفل فأعجزهم واستاق المؤمنون العير والاسيرين حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقالت له قريش قد استحل محمد الشهر الحرام فسفك فيه الدماء وأخذ الحرائب وعير بذلك أهل مكة من كان بها من المسلمين وقالوا يامعشر الصباة استحللتم الشهر الحرام وقاتلتم فيه وبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لابن جحش وأصحابه ما أمرتكم بالقتال في الشهر الحرام ووقف العير والاسيرين وأبى ان يأخذ شيئا من ذلك فعظم ذلك على أصحاب السرية وظنوا ان قد هلكوا وسقط في أيديهم وقالوا

وعتبة بن غزوان « فانا نخشاكم عليهما فان تقتلوهما نقتل صاحبيكم » فقدم سعد وعتبة ففداهما رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم فأما الحكم بن كيسان فأسلم وحسن اسلامه وأقام عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قتل يوم بئر معونة شهيدا وأما عثمان بن عبد الله فلحق بمكة فمات بها كافرا قال ابن اسحق . فلما تجلى عن عبد الله بن جحش وأصحابه ما كان حين نزل القرآن طمعوا في الاجر فقالوا يارسول الله أنطمع أن تكون لنا غزوة نعطى فيها أجر المجاهدين؟ فأنزل الله عز وجل (ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم) فوضع الله من ذلك على أعظم الرجاء قال ابن اسحق : والحديث في هذا عن الزهري و يزيد بن رومان عن عروة وقد روى يونس بن بكير عن محمد بن اسحق عن يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير قريبا من هذا السياق وروى موسى بن عقبة عن الزهري نفسه نحو ذلك وروى شعيب بن أبي حمزة عن الزهري عن عروة بن الزبير نحوا من هذا ايضا وفيه فكان ابن الحضرمي اول قتيل قتل بين المسلمين والمشركين فركب وفد من كفار قريش حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقالوا : ايحل القتال في الشهر الحرام ؟ فأنزل الله (يسألونك عن الشهر الحرام) الآية وقد استقصى ذلك الحافظ ابو بكر البيهقي في كتاب دلائل النبوة ثم قال ابن هشام عن زياد عن ابن اسحق وقد ذكر عن بعض آل عبد الله أن عبد الله قسم الفيء بين أهله فجعل أربعة أخماسه لمن أفاءه وخمسا الى الله ورسوله فوقع على ما كان عبد الله بن جحش صنع في تلك العير قال ابن هشام : وهي أول غنيمة غنمها المسلمون وعمرو بن الحضرمي أول من قتل المسلمون وعثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان أول من أسر المسلمون قال ابن اسحق : فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه في غزوة

يارسول الله انا قد قتلنا ابن الحضرمي ثم أمسينا فنظرنا الى هلال رجب فلا ندري أفي رجب أصبناه أم في جمادى وأكثر الناس في ذلك فأنزل الله تعالى هذه الآية فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم العير فعزل منها الخمس فكان أول خمس في الاسلام وقسم الباقي بين أصحاب السرية فكان أول غنيمة في الاسلام وبعث أهل مكة في فداء أسيريهم فقال « بل نبقيها حتى يقدم سعد وعتبة وان لم يقدما قتلنا هما بهما» فلما قدما فاداهما فاما الحكم بن كيسان فأسلم وأقام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقتل يوم بئر معونة شهيدا . وأما عثمان بن عبد الله فرجع الى مكة فمات بها كافرا وأما نوفل فضرب بطن فرسه يوم الاحزاب ليدخل الخندق فوقع في الخندق مع فرسه فتحطما جميعا فقتله الله فطلب المشركون جيفته بالثمن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خذوه فانه خبيث الجيفة خبيث الدية فهذا سبب نزول هذه الآية قوله تعالى (يسئلونك عن الشهر الحرام) يعني رجبا سمي بذلك لتحريم القتال فيه قوله تعالى ﴿ قتال فيه ﴾ أي عن قتال فيه ﴿ قل ﴾ يامحمد ﴿ قتال فيه كبير ﴾ عظيم تم الكلام ههنا ثم ابتدأ فقال ﴿ وصد عن سبيل الله ﴾ وصدكم المسلمين عن الاسلام ﴿ وكفر به ﴾ أي كفركم بالله ﴿ والمسجد الحرام ﴾ أي بالمسجد الحرام وقيل وصد

عبد الله بن جحش ويقال بل عبد الله بن جحش قالها حين قالت قريش قد أحل محمد وأصحابه الشهر الحرام فسفكوا فيه الدم وأخذوا فيه المال وأسروا فيه الرجال قال ابن هشام : هي لعبد الله ابن جحش

تعدون قتلا في الحرام عظيمة ... وأعظم منه لو يرى الرشد راشد
صدودكم عما يقول محمد ... وكفر به والله راء وشاهد
وإخراجكم من مسجد الله أهله ... لئلا يرى لله في البيت ساجد
فانا وإن عيرتمونا بقتله ... وأرجف بالاسلام باغ وحاسد
سقينا من ابن الحضرمي رماحنا ... بنخلة لما أوقد الحرب واقد
دما وابن عبد الله عثمان بيننا ... ينازعه غل من القد عائد

(٢١٨) يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو ، كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون في الدنيا والآخرة (٢١٩) ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير وإن تخالطوهم فاخوانكم والله يعلم المفسد من المصلح ولو شاء الله لأعنتكم ان الله عزيز حكيم

قال الامام احمد : حدثنا خلف بن الوليد حدثنا اسرائيل عن أبي اسحق عن أبي ميسرة عن

عن المسجد الحرام ﴿ واخراج أهله ﴾ أى اخراج أهل المسجد ﴿ منه أكبر ﴾ أعظم وزرا ﴿ عند الله والفتنة ﴾ أي الشرك الذي أنتم عليه ﴿ أكبر من القتل ﴾ أي اعظم من قتل ابن الحضرمي في الشهر الحرام ، فلما نزلت هذه الآية كتب عبد الله بن أنيس الى مؤمني مكة اذا عيركم المشركون بالقتال في الشهر الحرام فعيروهم أنتم بالكفر واخراج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة ومنعهم المسلمين عن البيت الحرام. ثم قال ﴿ ولا يزالون ﴾ يعني مشركي مكة وهو فعل لا مصدر له مثل عسى ﴿ يقاتلونكم ﴾ يامعشر المؤمنين ﴿ حتى يردوكم ﴾ يصرفوكم ﴿ عن دينكم ان استطاعوا ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت ﴾ جزم بالنسق ﴿ وهو كافر فأولئك حبطت ﴾ بطلت ﴿ أعمالهم ﴾ حسناتهم ﴿ في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ قال أصحاب السرية يارسول الله هل نؤجر على وجهنا هذا وهل نطمع ان يكون سفرنا هذا غزوا فأنزل الله تعالى ﴿ ان الذين آمنوا والذين هاجروا ﴾ فارقوا عشائرهم ومنازلهم وأموالهم ﴿ وجاهدوا ﴾ المشركين ﴿ في سبيل الله ﴾ طاعة لله فجعلها جهادا ﴿ أولئك يرجون رحمة الله ﴾ أخبرانهم على رجاء الرحمة ﴿ والله غفور رحيم ﴾

قوله تعالى ﴿ يسئلونك عن الخمر والميسر ﴾ الآية نزلت في عمر بن الخطاب ومعاذ بن جبل ونفر من الانصار أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يارسول الله افتنا في الخمر والميسر فانهما

عمر أنه قال : لما نزل تحريم الخمر قال : اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فنزلت هـذه الآية التي في البقرة (يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير) فدعي عمر فقرئت عليه فقال : اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فنزلت الآية التي في النساء (يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى) فكان منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أقام الصلاة نادي : أن لا يقربن الصلاة سكران فدعي عمر فقرئت عليه فقال : اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فنزلت الآية التي في المائدة فدعي عمر فقرئت عليه فلما بلغ (فهل منتهون ؟) قال عمر : انتهينا انتهينا . وهكذا رواه أبو داود والترمذي والنسائي من طرق عن اسرائيل عن أبي اسحق وكذا رواه ابن أبي حاتم وابن مردويه من طريق الثوري عن أبي اسحق عن أبي ميسرة واسمه عمرو بن شرحبيل الهمداني الكوفي عن عمر وليس له عنه سواه لكن قد قال أبو زرعة لم يسمع منه والله أعلم . وقال علي بن المديني هذا إسناد صالح صحيح وصححه الترمذي وزاد ابن أبي حاتم بعد قوله انتهينا إنها تذهب المال وتذهب العقل، وسيأتي هذا الحديث أيضا مع ما رواه احمد من طريق أبي هريرة أيضا عنـد قوله في سورة المائدة (إنما

مذهبة للعقل مسلبة للمال فأنزل الله هذه الآية وجملة القول في تحريم الخمر على ما قاله المفسرون ان الله تعالى أنزل في الخمر أربع آيات نزلت بمكة وهي (ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا) فكان المسلمون يشربونها وهي لهم حلال يومئذ ثم نزلت هذه الآية في مسئلة عمر ومعاذ ابن جبل (يسئلونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير) فلما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الله تقدم في تحريم الخمر فتركها قوم لقوله (اثم كبير) وشربها قوم لقوله (ومنافع للناس) الى ان صنع عبد الرحمن بن عوف طعاما فدعا ناسا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وأتاهم بخمر فشربوا وسكروا وحضرت صلاة المغرب فقدموا بعضهم ليصلي بهم فقرأ (قل يا أيها الكافرون أعبد ما تعبدون) هكذا الى آخر السورة بحذف لا فأنزل الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلوة وأنتم سكاري حتى تعلموا ما تقولون) فحرم السكر في أوقات الصلاة وشربوا في غير حين الصلاة فلما نزلت هذه الآية تركها قوم وقالوا لا خير في شيء يحول بيننا و بين الصلاة وتركها قوم في اوقات الصلاة وشربوها في غير حين الصلاة حتى كان الرجل يشرب بعد صلاة العشاء فيصبح وقد زال عنه السكر و يشرب بعد صلاة الصبح فيصحوا اذا جاء وقت الظهر واتخذ عتبان ابن مالك صنيعا ودعا رجالا من المسلمين فيهم سعد بن ابي وقاص وكان قد شوى لهم رأس بعير فأكلوا منه وشربوا الخمر حتى أخذت منهم ثم انهم افتخروا عند ذلك وانتسبوا وتناشدوا الاشعار فانشد سعد قصيدة فيها هجاء للانصار وفخر لقومه فأخذ رجل من الانصار لحي بعير فضرب به رأس سعد فشجه موضحة فانطلق سعد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكا اليه الانصاري فقال عمر اللهم بين لنا رأيك في الخمر بيانا شافيا فانزل الله تعالى تحريم الخمر في سورة المائدة الى قوله (فهل انتم منتهون) وذلك بعد غزوة الاحزاب بأيام فقال عمر رضي الله عنه انتهينا يارب . قال أنس حرمت الخمر ولم يكن يومئذ

الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون) الآيات فقوله (يسألونك عن الخمر والميسر) أما الخمر فكما قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كل ماخامر العقل كما سيأتي بيانه في سورة المائدة وكذا الميسر وهو القمار

وقوله (قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس) أما إثمهما فهو في الدين وأما المنافع فدنيوية من حيث أن فيها نفع البدن وتهضيم الطعام وإخراج الفضلات وتشحيذ بعض الاذهان ولذة الشدة المطربة التي فيها كما قال حسان بن ثابت في جاهليته :

ونشربها فتتركنا ملوكا وأسدا لا ينهنها اللقاء

وكذا بيعها والانتفاع بثمنها وما كان يقمشه بعضهم من الميسر فينفقه على نفسه أو عياله ولكن هذه المصالح لا توازي مضرته ومفسدته الراجحة لتعلقها بالعقل والدين ولهذا قال الله تعالى (وإثمهما أكبر من نفعهما) ولهذا كانت هذه الآية ممهدة لتحريم الخمر على البتات ولم تكن مصرحة بل معرضة ولهذا قال عمر رضي الله عنه لما قرئت عليه: اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا حتى نزل التصريح

للعرب عيش أعجب منها وما حرم عليهم شيء أشد من الخمر وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال لما نزلت الآية التي في سورة المائدة حرمت الخمر فخرجنا بالحباب الى الطريق فمنا من كسر حبه ومنا من غسله بالماء والطين ولقد غودرت أزقة المدينة بعد ذلك حينا فلما مطرت استبان فيها لون الخمر وفاحت منها ريحها وعن أنس رضى الله عنه سميت الخمر خمرا لأنهم كانوا يدعونها في الدنان حتى تختمر وتتغير وعن ابن المسيب لانها تركت حتى صفا لونها ورسب كدرها اخبرنا عبدالواحد بن احمد المليحي اخبرنا احمد بن عبد الله النعيمي اخبرنا محمد بن يوسف اخبرنا محمد بن اسماعيل اخبرنا يعقوب بن ابراهيم اخبرنا ابن علية اخبرنا عبد العزيز بن صهيب قال قال لي أنس بن مالك ماكان لنا خمر غير فضيخكم وإني لقائم أسقي أبا طلحة وفلانا وفلانا اذ جاء رجل فقال حرمت الخمر فقالوا أهرق هذه القلال يا أنس قال فما سألوا عنها ولا راجعوها بعد خبر الرجل

واختلف العلماء (١) في ماهية الخمر فقال قوم هي عصير العنب أو الرطب الذي اشتد وغلا من غير عمل النار فيه واتفقت الائمة على أن هذه الخمر نجس (٢) يحد شاربها ويفسق ويكفر مستحلها وذهب سفيان الثوري وأبو حنيفة وجماعة الى أن التحريم لا يتعدى هذا ولا يحرم مايتخذ من غيرهما كالمتخذ من الحنطة والشعير والذرة والعسل والفانيذ الا أن يسكر منه فيحرم وقالوا اذا طبخ عصير العنب والرطب حتى ذهب نصفه فهو حلال ولكنه يكره وان طبخ حتى ذهب ثلثاه قالوا هو حلال مباح شربه الا أن السكر منه حرام ويحتجون بما روي أن عمر بن الخطاب كتب الى بعض عماله ان ارزق المسلمين من الطلاء ماذهب ثلثاه وبقي ثلثه ورأى أبو عبيدة ومعاذ شرب الطلاء على الثلث وقال قوم اذا طبخ العصير أدنى طبخ صار حلالا وهو قول اسماعيل بن علية وذهب اكثر أهل العلم الى أن كل شراب اسكر كثيره فهو خمر وقليله حرام يحد شاربه واحتجوا بما اخبرنا أبوالحسن السرخسي اخبرنا زاهر بن احمد

١) وفي نسختنا الفقهاء
« ٢ » ذهب ربيعة شيخ الامام مالك الى طهارة الخمر

بتحريمها في سورة المائدة (يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ، إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون ؟) وسيأتي الكلام على ذلك في سورة المائدة ان شاء الله تعالى وبه الثقة قال ابن عمر والشعبي ومجاهد وقتادة والربيع بن أنس وعبد الرحمن ابن زيد بن أسلم ان هذه أول آية نزلت في الخمر (يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير) ثم نزلت الآية التي في سورة النساء ثم نزلت الآية التي في المائدة فحرمت الخمر

وقوله (ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو) قرىء بالنصب وبالرفع وكلاهما حسن متجه قريب قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي حدثنا موسى بن اسماعيل حدثنا ابان حدثنا يحيى أنه بلغه أن معاذ بن جبل وثعلبة أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا : يا رسول الله إن لنا أرقاء وأهلين من أموالنا فأنزل الله (ويسألونك ماذا ينفقون) وقال الحكم عن مقسم عن ابن عباس (ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو) قال ما يفضل عن أهلك وكذا روي عن ابن عمر ومجاهد وعطاء وعكرمة وسعيد ابن جبير ومحمد بن كعب والحسن وقتادة والقاسم وسالم وعطاء الخراساني والربيع بن أنس وغير

اخبرنا أبو اسحق الهاشمي أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن ابن شهاب عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم انها قالت سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البتع فقال « كل شراب اسكر فهو حرام » أخبرنا أبو عبد الله بن محمد بن الفضل الخرقي أنا أبو الحسن علي بن عبد الله الطيسفوني أنا عبد الله بن عمر الجوهري اخبرنا احمد بن علي الكشميهني أنا علي بن حجر أنا اسماعيل بن جعفر عن داود بن بكر بن أبي الفرات عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ما أسكر كثيره فقليله حرام » أخبرنا اسماعيل بن عبد القادر الجرجاني أنا عبد الغافر بن محمد الفارسي أنا محمد بن عيسى الجلودي أنا ابراهيم بن محمد بن سفيان أنا مسلم بن الحجاج أنا أبو الربيع العتكي اخبرنا حماد بن زيد عن أيوب عن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كل مسكر حرام ومن شرب الخمر في الدنيا فمات وهو يدمنها ولم يتب لم يشربها في الآخرة » اخبرنا عبد الواحد بن احمد المليحي أخبرنا احمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل أنا احمد بن أبي رجاء أنا يحيى بن أبي حيان التيمي عن الشعبي عن ابن عمر قال خطب عمر على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انه قد نزل تحريم الخمر وهي من خمسة اشياء من العنب والتمر والحنطة والشعير والعسل والخمر ما خامر العقل وروي الشعبي عن النعمان بن بشير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان من العنب خمرا وان من التمر خمرا وان من العسل خمرا وان من البر خمرا وان من الشعير خمرا » فثبت ان الخمر لا يختص بما يتخذ من العنب أو الرطب . أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد اخبرنا أبو اسحق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن ابن شهاب عن السائب بن يزيد انه أخبره ان عمر بن الخطاب خرج عليهم فقال اني

واحد انهم قالوا في قوله (قل العفو) يعني الفضل وعن طاوس اليسير من كل شيء وعن الربيع أيضا أفضل مالك وأطيبه والكل يرجع الى الفضل . وقال عبد بن حميد في تفسيره . حدثنا هوذة بن خليفة عن عوف عن الحسن في الآية (يسألونك ماذا ينفقون قل العفو) قال ذلك أن لا يجهد مالك ثم تقعد تسأل الناس ويدل على ذلك ما رواه ابن جرير حدثنا علي بن مسلم حدثنا أبو عاصم عن ابن عجلان عن المقبري عن أبي هريرة قال : قال رجل : يارسول الله عندي دينار قال «أنفقه على نفسك» قال : عندي آخر قال « أنفقه على أهلك » قال : عندي آخر قال «أنفقه على ولدك» قال : عندي آخر قال . « فأنت أبصر » وقد رواه مسلم في صحيحه وأخرجه مسلم أيضا عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لرجل « ابدأ بنفسك فتصدق عليها فان فضل شيء فلاهلك فان فضل شيء عن أهلك فلذي قرابتك فان فضل عن ذي قرابتك شيء فهكذا وهكذا » وعنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى واليد العليا خير من السفلى وابدأ بمن تعول » وفي الحديث أيضا « ابن آدم انك ان تبذل الفضل خير لك وان تمسكه شر لك ولا تلام على كفاف » ثم قد قيل انها منسوخة بآية الزكاة كما رواه علي بن ابي طلحة والعوفي

وجدت من فلان ريح خمر أو شراب وزعم انه شرب الطلاء وأنا سائل عما شرب فان كان يسكر جلدته فجلده عمر الحد تاما وما روي عن عمر وأبي عبيدة ومعاذ في الطلاء فهو فيما طبخ حتى خرج عن ان يكون مسكرا ، سئل ابن عباس عن الباذق فقال : سبق محمد الباذق فما أسكر فهو حرام قوله تعالى (والميسر) يعني القمار . قال ابن عباس : كان الرجل في الجاهلية يخاطر الرجل على أهله وماله فأيهما قمر صاحبه ذهب بأهله وماله فأنزل الله تعالى هذه الاية . والميسر مفعل من قولهم يسر لي الشيء اذا وجب ييسر يسرا وميسرا . ثم قيل للقمار ميسر وللمقامر ياسر ويسر » وكان أصل الميسر في الجزور وذلك ان أهل الثروة من العرب كانوا يشترون جزوراً فينحرونها ويجزؤنها عشرة أجزاء ثم يسهموا عليها بعشرة قداح يقال لها الازلام والاقلام السبعة منها أنصباء وهي الفذ وله نصيب واحد والتوأم وله نصيبان والرقيب وله ثلاثة أسهم والحلس وله أربعة والنافس وله خمسة والمسبل وله ستة والمعلى وله سبعة وثلاثة منها الا أنصباء لها وهي المنيح والسفيح والوغد ، ثم يجعلون القداح في خريطة تسمى الربابة ويضعونها على يدي رجل عدل عندهم يسمى المجيل والمفيض ثم يجيلها ويخرج قدحا منها باسم رجل منهم فأيهم خرج اسمه أخذ نصيبه على قدر ما خرج فان خرج له واحد من الثلاثة التي لا أنصباء لها كان لا يأخذ شيئا ويغرم ثمن الجزور كله . وقال بعضهم كان لا يأخذ شيئا ولا يغرم ويكون ذلك القدح لغوا ثم يدفعون ذلك الجزور الى الفقراء ولا يأكلون منه شيئا ، وكانوا يفتخرون بذلك ويذمون من لم يفعل ذلك ويسمونه البرم وهو أصل القمار الذي كانت تفعله العرب والمراد من الآية أنواع القمار كلها . قال طاوس وعطاء ومجاهد : كل شيء فيه قمار فهو من الميسر حتى لعب الصبيان بالجوز والكعاب . وروى عن علي رضي الله عنه في النرد والشطرنج انهما من الميسر

عن ابن عباس وقاله عطاء الخراساني والسدي وقيل مبينة بآية الزكاة قاله مجاهد وغيره وهو اوجه

وقوله (كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون في الدنيا والآخرة) أي كما فصل لكم هذه الاحكام وبينها وأوضحها كذلك يبين لكم سائر الآيات في أحكامه ووعده ووعيده لعلكم تتفكرون في الدنيا والآخرة . قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس يعني في زوال الدنيا وفنائها واقبال الآخرة وبقائها . وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي حدثنا علي بن محمد الطنافسي حدثنا أبو أسامة عن الصعق التميمي قال : شهدت الحسن وقرأ هذه الآية من البقرة (لعلكم تتفكرون في الدنيا والآخرة) قال هي والله لمن تفكر فيها ليعلم أن الدنيا دار بلاء ثم دار فناء ، وليعلم أن الآخرة دار جزاء ثم دار بقاء وهكذا قال قتادة وابن جريج وغيرهما . وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة : لتعلموا فضل الآخرة على الدنيا . وفي رواية عن قتادة فآثروا الآخرة على الاولى

وقوله (يسألونك عن اليتامى قل اصلاح لهم خير وان تخالطوهم فاخوانكم والله يعلم المفسد من المصلح ولو شاء الله لاعنتكم) الآية . قال ابن جرير : حدثنا سفيان بن وكيع حدثنا جرير عن عطاء ابن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: لما نزلت (ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي

قوله تعالى ﴿ قل فيهما اثم كبير﴾ وزر عظيم من المخاصمة والمشاتمة وقول الفحش، قرأ حمزة والكسائي اثم كثير بالثاء المثلثة وقرأ الباقون بالباء فالاثم في الخمر والميسر ما ذكره الله في سورة المائدة (انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون ﴿ ومنافع للناس ﴾ فمنفعة الخمر اللذة عند شربها والفرح واستمراء الطعام وما يصيبون من الربح بالتجارة فيها ومنفعة الميسر اصابة المال من غير كد ولا تعب وارتفاق الفقراء به والاثم فيه انه اذا ذهب ماله من غير عوض ساءه ذلك فعادى صاحبه فقصده بالسوء ﴿ وإثمهما أكبر من نفعهما﴾ قال الضحاك وغيره : اثمهما بعد التحريم أكبر من نفعهما قبل التحريم وقيل اثمهما أكبر من نفعهما قبل التحريم وهو ما يحصل به من العداوة والبغضاء

قوله تعالى ﴿ ويسئلونك ماذا ينفقون ﴾ وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حثهم على الصدقة فقالوا ماذا ننفق ؟ فقال ﴿ قل العفو ﴾ قرأ أبو عمرو والحسن وقتادة وابن أبي اسحق العفو بالرفع معناه أي الذي ينفقون هو العفو . وقرأ الآخرون بالنصب على معنى قل أنفقوا العفو . واختلفوا في معنى العفو . فقال قتادة وعطاء والسدي : هو ما فضل عن الحاجة وكانت الصحابة يكتسبون المال ويمسكون قدر النفقة ويتصدقون بالفضل بحكم هذه الآية ثم نسخ بآية الزكاة. وقال مجاهد : معناه التصدق عن ظهر غنى حتى لا يبقى كلا على الناس أخبرنا الامام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزيادى أنا أبو بكر محمد بن عمر بن حفص التاجر أنا ابراهيم بن عبد الله بن عمر الكوفي أنا وكيع عن الاعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى واليد العليا خير من اليد السفلى

أحسن) (وان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بيوتهم نارا وسيصلون سعيرا) انطلق من كان عنده يتيم فعزل طعامه من طعامه وشرابه من شرابه فجعل يفضل له الشيء من طعامه فيحبس له حتى يأكله أو يفسد فاشتد ذلك عليهم فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله (ويسألونك عن اليتامى قل اصلاح لهم خير وان تخالطوهم فاخوانكم) فخلطوا طعامهم بطعامهم وشرابهم بشرابهم. وهكذا رواه أبو داود والنسائي وابن أبي حاتم وابن مردويه والحاكم في مستدركه من طرق عن عطاء بن السائب به . وكذا رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ، وكذا رواه السدي عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود بمثله وهكذا ذكر غير واحد في سبب نزول هذه الآية كمجاهد وعطاء والشعبي وابن أبي ليلى وقتادة وغير واحد من السلف والخلف قال وكيع بن الجراح : حدثنا هشام صاحب الدستوائي عن حماد عن ابراهيم قال : قالت عائشة رضي الله عنها : اني لأكره أن يكون مال اليتيم عندي حدة حتى أخلط طعامه بطعامي وشرابه بشرابي فقوله (قل اصلاح لهم خير) أي على حدة (وان تخالطوهم فاخوانكم)

وابدأ بمن تعول » وقال عمرو بن دينار : الوسط من غير اسراف ولا اقتار قال الله تعالى (والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا) وقال طاوس : ما يسر والعفو اليسر من كل شيء ومنه قوله تعالى (خذ العفو) أي الميسور من أخلاق الناس. أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أنا عبدالعزيز بن أحمد الخلال أنا أبو العباس الاصم أنا الربيع بن سليمان أخبرنا الشافعي أنا سفيان عن محمد بن عجلان عن سعيد بن أبي سعيد عن أبي هريرة قال : جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله عندي دينار قال صلى الله عليه وسلم « انفقه على نفسك » قال عندي آخر قال صلى الله عليه وسلم « انفقه على ولدك » قال عندي آخر قال صلى الله عليه وسلم « انفقه على أهلك » قال عندي آخر قال صلى الله عليه وسلم « انفقه على خادمك » قال عندي آخر قال صلى الله عليه وسلم « أنت أعلم »

قوله تعالى ﴿ كذلك يبين الله لكم الآيات ﴾ قال الزجاج : انما قال كذلك على الواحد وهو يخاطب جماعة لان الجماعة معناها القبيل كانه قال كذلك أيها القبيل وقيل هو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم فانه خطاب يشتمل على خطاب الامة كقوله تعالى (يا أيها النبي اذا طلقتم النساء) قوله تعالى ﴿ لعلكم تتفكرون في الدنيا والآخرة ﴾ قيل معناه يبين الله لكم الآيات في أمر النفقة لعلكم تتفكرون في الدنيا والآخرة فتحبسون من أموالكم ما يصلحكم في معاش الدنيا وتنفقون الباقي فيما ينفعكم في العقبى : وقال أكثر المفسرين : معناها هكذا يبين الله لكم الآيات في أمر الدنيا والآخرة . لعلكم تتفكرون وقيل معناه (يبين الله لكم الآيات) في أمر النفقة (لعلكم تتفكرون) في زوال الدنيا وفنائها فتزهدوا فيها وفي اقبال الآخرة وبقائها فترغبوا فيها

قوله تعالى ﴿ ويسألونك عن اليتامى ﴾ قال ابن عباس وقتادة : لما نزل قوله تعالى (ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي أحسن) وقوله تعالى (ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما) الآية تحرج

أي وان خالطتم طعامكم بطعامهم وشرابكم بشرابهم فلا بأس عليكم لانهم اخوانكم في الدين ولهذا قال (والله يعلم المفسد من المصلح) أي يعلم من قصده ونيته الافساد أو الاصلاح وقوله (ولو شاء الله لاعنتكم ان الله عزيز حكيم) أي ولو شاء الله لضيق عليكم وأحرجكم ولكنه وسع عليكم وخفف عنكم وأباح لكم مخالطتهم بالتي هي أحسن . قال تعالى (ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي أحسن) بل جوز الاكل منه للفقير بالمعروف إما بشرط ضمان البدل لمن أيسر أو مجانا كما سيأتي بيانه في سورة النساء ان شاء الله وبه الثقة

(٢٢٠) ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو اعجبكم أولئك يدعون الى النار والله يدعو الى الجنة والمغفرة باذنه ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون)

هذا تحريم من الله عز وجل على المؤمنين أن يتزوجوا المشركات من عبدة الاوثان ثم ان كان

المسلمون من أموال اليتامى تحرجا شديدا حتى عزلوا أموال اليتامى عن أموالهم حتى كان يصنع لليتيم طعام فيفضل منه شيء فيتركونه ولا يأكلونه حتى يفسد فاشتد ذلك عليهم فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى هذه الاية ﴿ قل اصلاح لهم خير ﴾ أي الاصلاح لاموالهم من غير أجرة ولا أخذ عوض خير لكم وأعظم أجرا لما لكم في ذلك من الثواب، وخير لهم لما في ذلك من توفر أموالهم عليهم . قال مجاهد : يوسع عليه من طعام نفسه ولا يوسع من طعام اليتيم ﴿ وان تخالطوهم ﴾ هذه اباحة المخالطة أي وان تشاركوهم في أموالهم وتخلطوها بأموالكم في نفقاتكم ومساكنكم وخدمكم ودوابكم فتصيبوا من أموالهم عوضا من قيامكم بأمورهم أو تكافؤهم على ما تصيبون من أموالهم ﴿ فاخوانكم ﴾ أي فهم اخوانكم والاخوان يعين بعضهم بعضا ويصيب بعضهم من أموال بعض على وجه الاصلاح والرضا ﴿ والله يعلم المفسد ﴾ لاموالهم ﴿ من المصلح ﴾ لها يعني الذي يقصد بالمخالطة الخيانة وافساد مال اليتيم وأكله بغير حق من الذي يقصد الاصلاح ﴿ ولو شاء الله لاعنتكم ﴾ أي لضيق عليكم وما أباح لكم مخالطتهم . وقال ابن عباس : ولو شاء الله لجعل ما أصبتم من أموال اليتامى موبقا لكم ، وأصل العنت الشدة والمشقة ومعناه كلفكم في كل شيء ما يشق عليكم ﴿ ان الله عزيز ﴾ أي عزيز في سلطانه وقدرته على الاعنات . وقيل العزيز الذي يأمر بعزة سهل على العباد أو شق عليهم ﴿ حكيم ﴾ فيما صنع من تدبيره وترك الاعنات

قوله تعالى ﴿ ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ﴾ سبب نزول هذه الاية ان أبا مرثد بن أبي الغنوي وقال مقاتل : هو أبو مرثد الغنوي . وقال عطاء أبو مرثد كناز بن الحصين : وكان شجاعا بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مكة ليخرج منها ناسا من المسلمين سرا فلما قدمها سمعت به امرأة مشركة يقال لها عناق وكانت خليلته في الجاهلية فأتته وقالت له يا أبا مرثد ألا تخلو ؟ فقال

عمومها مرادا وانه يدخل فيها كل مشركة من كتابية ووثنية فقد خص من ذلك نساء أهل الكتاب بقوله (والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم اذا آتيتموهن أجورهن محصنين غير مسافحين) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله (ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن) استثنى الله من ذلك نساء أهل الكتاب وهكذا قال مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير ومكحول والحسن والضحاك وزيد بن أسلم والربيع بن أنس وغيرهم وقيل : بل المراد بذلك المشركون من عبدة الاوثان ولم يرد أهل الكتاب بالكلية والمعنى قريب من الاول والله أعلم . فأما ما رواه ابن جرير: حدثني عبيد بن آدم بن أبي أياس العسقلاني حدثنا أبي حدثنا عبد الحميد بن بهرام الفزاري حدثنا شهر بن حوشب قال : سمعت عبد الله بن عباس يقول نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أصناف النساء الا ما كان من المؤمنات المهاجرات وحرم كل ذات دين غير الاسلام . قال الله عز وجل (ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله) وقد نكح طلحة بن عبد الله يهودية ونكح حذيفة بن اليمان نصرانية فغضب عمر بن الخطاب غضبا شديدا حتى هم أن يسطو عليهما فقالا : نحن نطلق يا أمير المؤمنين ولا تغضب فقال : لئن حل طلاقهن لقد حل نكاحهن ولكني أنتزعهن منكم صغرة قماء فهو حديث غريب جدا وهذا الاثر غريب عن عمر أيضا ، قال أبو جعفر بن جرير رحمه الله بعد حكايته الاجماع على اباحة تزويج الكتابيات وانما كره عمر ذلك لئلا يزهد الناس في المسلمات أو لغير ذلك من المعاني كما حدثنا أبو كريب حدثنا ابن أدريس حدثنا الصلت بن بهرام عن شقيق قال تزوج حذيفة يهودية فكتب اليه عمر: خل سبيلها، فكتب اليه أتزعم أنها حرام فأخلي سبيلها ؟ فقال : لا أزعم أنها حرام ولكني أخاف أن تعاطوا المؤمنات منهن وهذا اسناد صحيح وروى الخلال عن محمد بن اسماعيل عن وكيع عن الصلت نحوه. وقال ابن جرير حدثني موسى بن عبد الرحمن المسروقي حدثنا محمد بن بشر حدثنا سفيان

لها ويحك ياعناق ان الاسلام قد حال بيننا وبين ذلك . قالت : فهل لك أن تتزوج بي ؟ قال نعم : ولكن أرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأستأمره . فقالت أبي تتبرم ؟ ثم استعانت عليه فضربوه ضربا شديدا ثم خلوا سبيله ، فلما قضى حاجته بمكة وانصرف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمه بالذي كان من أمره وأمر عناق وما لقي بسببها وقال يارسول الله أتحل لي ان أتزوجها ؟ فأنزل الله تعالى (ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن) وقيل الاية منسوخة في حق الكتابيات لقوله تعالى (والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم) وبخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وباجماع الامة . روى الحسن عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « نتزوج نساء أهل الكتاب ولا يتزوجون نساءنا »فان قيل كيف أطلقتم اسم الشرك على من لم ينكر إلا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ؟ قال أبو الحسن ابن فارس لان من يقول القرآن كلام غير الله فقد أشرك مع الله غيره. وقال قتادة وسعيد بن جبير أراد بالمشركات الوثنيات فان عثمان تزوج نائلة بنت قرافصة وكانت نصرانية فأسلمت تحته وتزوج طلحة بن عبد الله نصرانية وتزوج حذيفة يهودية فكتب اليه عمر

ابن سعيد عن يزيد بن أبي زياد عن زيد بن وهب قال: قال عمر بن الخطاب: المسلم يتزوج النصرانية ولا يتزوج النصراني المسلمة قال: وهذا أصح اسنادا من الاول ثم قال: وقد حدثنا تميم بن المنتصر أخبرنا اسحق الازرقي عن شريك عن أشعث بن سوار عن الحسن عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «نتزوج نساء أهل الكتاب ولا يتزوجون نساءنا» ثم قال وهذا الخبر وان كان في اسناده ما فيه فالقول به لاجماع الجميع من الامة عليه كذا قال ابن جرير رحمه الله وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن اسماعيل الاحمسي حدثنا وكيع عن جعفر بن برقان عن ميمون بن مهران عن ابن عمر أنه كره نكاح أهل الكتاب وتأول (ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن) وقال البخاري: وقال ابن عمر لا أعلم شركا أعظم من أن تقول: ربها عيسى وقال أبو بكر الخلال الحنبلي حدثنا محمد بن هرون حدثنا اسحق بن ابراهيم ح وأخبرني محمد بن علي حدثنا صالح بن احمد أنهما سألا ابا عبد الله احمد بن حنبل عن قول الله (ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن) قال مشركات العرب الذين يعبدون الاصنام. وقوله (ولامة مؤمنة خير من مشركة ولو اعجبتكم) قال السدي: نزلت في عبد الله بن رواحة كانت له امة سوداء فغضب عليها فلطمها ثم فزع فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره خبرهما فقال له «ماهي؟» قال تصوم وتصلي وتحسن الوضوء وتشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله فقال «يا ابا عبد الله هذه مؤمنة» فقال والذي بعثك بالحق لاعتقنها ولاتزوجنها، ففعل فطعن عليه ناس من المسلمين وقالوا نكح امته وكانوا يريدون ان ينكحوا الى المشركين وينكحوهم رغبة في احسابهم فأنزل الله (ولامة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم * ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم) وقال عبد بن حميد حدثنا جعفر بن عون حدثنا عبد الرحمن بن زياد الافريقي عن عبد الله بن يزيد عن عبد الله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «لا تنكحوا النساء لحسنهن

رضي الله عنه خل سبيلها فكتب اليه أتزعم أنها حرام فقال لا أزعم أنها حرام ولكني أخاف أن تتعاطوا المؤمنات منهن

قوله تعالى (ولامة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم) بجمالها وما لها نزلت في خنساء: وليدة سوداء كانت لحذيفة بن اليمان قال حذيفة ياخنساء قد ذكرت في الملا الاعلى على سوادك ودمامتك فاعتقها وتزوجها وقال السدي نزلت في عبد الله بن رواحة كانت له أمة سوداء فغضب عليها ولطمها ثم خرج فأتى النبي صلى الله عليه وسلم واخبره بذلك فقال له صلى الله عليه وسلم «وماهي ياعبد الله؟» قال هي تشهد أن لا إله إلا الله وانك رسول الله وتصوم رمضان وتحسن الوضوء وتصلي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «هذه مؤمنة» قال عبد الله فوالذي بعثك بالحق نبيا لاعتقنها ولاتزوجنها ففعل ذلك فطعن عليه ناس من المسلمين وقالوا أتنكح أمة وعرضوا عليه حرة مشركة فانزل الله تعالى هذه الآية ﴿ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا﴾ هذا اجماع لايجوز للمسلمة أن تنكح المشرك ﴿ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو اعجبكم اولئك﴾ يعني المشركين ﴿يدعون الى النار﴾ أي الى الاعمال الموجبة

فعسى حسنهن أن يرديهن ولا تنكحوهن على أموالهن فعسى أموالهن أن تطغيهن وانكحوهن على الدين فلامة سوداء جرداء ذات دين أفضل » والافريقي ضعيف وقد ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «تنكح المرأة لاربع : لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك » ولمسلم عن جابر مثله وله عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « الدنيا متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة » وقوله (ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا) أي لا تزوجوا الرجال المشركين النساء المؤمنات كما قال تعالى (لاهن حل لهم ولا هم يحلون لهن) ثم قال تعالى (ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم) أي ولرجل مؤمن ولو كان عبدا حبشيا خير من مشرك ، وان كان رئيسا سريا (أولئك يدعون الى النار) أي معاشرتهم ومخالطتهم تبعث على حب الدنيا واقتنائها وايثارها على الدار الآخرة وعاقبة ذلك وخيمة (والله يدعو الى الجنة والمغفرة باذنه) أي بشرعه وما أمر به ونهى عنه (ويبين الله آياته للناس لعلهم يتذكرون)

(٢٢١) ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن فاذا تطهرن فاتوهن من حيث أمركم الله ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين

(٢٢٢) نساؤكم حرث لكم فاتوا حرثكم أنى شئتم وقدموا لانفسكم واتقوا الله واعلموا أنكم ملاقوه وبشر المؤمنين

قال الامام أحمد : حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس أن اليهود كانت اذا حاضت المرأة منهم لم يواكلوها ولم يجامعوها في البيوت(١) فسأل أصحاب النبي صلى

للنار ﴿ والله يدعو إلى الجنة والمغفرة باذنه ﴾ أي بقضائه وقدره وارادته ﴿ ويبين آياته للناس ﴾ أي أوامره ونواهيه ﴿ لعلهم يتذكرون ﴾ يتعظون قوله تعالى ﴿ ويسألونك عن المحيض ﴾ أخبرنا أبو طاهر عمر بن عبد العزيز القاشاني أنا أبو عمر القاسم بن جعفر بن عبد الواحد الهاشمي أنا أبو علي محمد بن احمد بن عمر اللؤلؤي أنا أبو داود سليمان بن الاشعث السجستاني أنا موسى بن اسماعيل أنا حماد بن سلمة أنا ثابت البناني عن أنس بن مالك أن اليهود كانوا اذا حاضت منهم المرأة اخرجوها من البيت ولم يؤاكلوها ولم يشاربوها ولم يجامعوها(١) في البيت فسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فانزل الله تعالى (ويسئلونك عن المحيض ﴿ قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض﴾ الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «جامعوهن(٢) في البيوت واصنعوا كل شيء الا النكاح » فقالت اليهود ما يريد هذا الرجل أن يدع شيئا من امرنا الا خالفنا فيه فجاء اسيد بن حضير وعباد بن بشير الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالا يارسول الله ان اليهود تقول كذا وكذا أفلا ننكحهن في المحيض فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ظننا أن قد وجد عليهما فخرجا فاستقبلتهما هدية من لبن

«١» المراد بالمجامعة هنا الاجتماع بهن لا الوقاع وهو المعنى الحقيقي واستعماله بالمعنى الآخر كناية
« ٢ » أي لاقوهن واجتمعوا بهن وآخر الحديث دليل على ذلك

الله عليه وسلم فأنزل الله عز وجل (ويسألونك عن الحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في الحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن) حتى فرغ من الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اصنعوا كل شيء الا النكاح » فبلغ ذلك اليهود فقالوا : ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئا الا خالفنا فيه فجاء أسيد بن حضير وعباد بن بشر فقالا يارسول الله : ان اليهود قالت كذا وكذا أفلا نجامعهن؟ فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ظننا ان قد وجد عليهما فخرجا فاستقبلهما هدية من لبن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأرسل في آثارهما فسقاهما فعرفا ان لم يجد عليهما رواه مسلم من حديث حماد بن زيد بن سلمة فقوله (فاعتزلوا النساء في الحيض) يعني الفرج لقوله « اصنعوا كل شيء الا النكاح » ولهذا ذهب كثير من العلماء أو أكثرهم الى أنه يجوز مباشرة الحائض فيما عدا الفرج . قال أبو داود أيضا : حدثنا موسى بن اسماعيل حدثنا حماد عن أيوب عن عكرمة عن بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا أراد من الحائض شيئا ألقى على فرجها ثوبا

وقال ابو داود ايضا حدثنا الشعبي حدثنا عبد الله يعني ابن عمر بن غانم عن عبد الرحمن يعني ابن زياد عن عمارة بن غراب ان عمة له حدثته انها سألت عائشة قالت : احدانا تحيض وليس لها ولزوجها فراش الا فراش واحد قالت : اخبرك بما صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل فمضى الى مسجده قال ابو داود : تعني مسجد بيتها فما انصرف حتى غلبتني عيني فأوجعه البرد فقال : « ادني مني » فقلت : اني حائض فقال : « اكشفي عن فخذيك » فكشفت فخذي فوضع خده وصدره على فخذي وحنيت عليه حتى دفيء ونام صلى الله عليه وسلم وقال ابو جعفر بن جرير : حدثنا ابن بشار حدثنا عبد الوهاب حدثنا ايوب عن كتاب ابي قلابة ان مسروقا ركب الى عائشة فقال : السلام على النبي وعلى اهله، فقالت عائشة : مرحبا مرحبا فأذنوا له فدخل فقال : اني اريد ان اسألك عن شيء وانا استحي فقالت : انما انا امك وانت ابني فقال : ما للرجل من امرأته وهي حائض فقالت: له كل شيء الافرجها. ورواه ايضا عن حميد بن مسعدة عن يزيد بن زريع عن عيينة بن عبدالرحمن ابن جوشن عن مروان الاصفر عن مسروق قال قلت لعائشة ما يحل للرجل من امرأته اذا كانت حائضا؟ قالت : كل شيء الا الجماع. وهذا قول ابن عباس ومجاهد والحسن وعكرمة وروى ابن جرير ايضا عن ابي كريب عن ابن ابي زائدة عن حجاج عن ميمون بن مهران عن عائشة قالت له:

الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعث في آثارهما فسقاهما فعرفنا انه لم يجد عليهما قوله تعالى (ويسألونك عن المحيض) أي عن الحيض وهو مصدر حاضت المرأة تحيض حيضا ومحيضا كالسير والمسير وأصل الحيض الانفجار والسيلان وقوله (قل هو أذى) أي قذر والاذى كل مايكره من كل شيء (فاعتزلوا النساء في المحيض) أراد بالاعتزال ترك الوطء (ولا تقربوهن) أي لاتجامعوهن أما الملامسة والمضاجعة معها فجائزة. أخبرنا عبد الواحد بن احمد المليحي انا احمد بن عبد الله النعيمي انا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل أنا قبيصة أنا سفيان عن منصور عن ابراهيم عن الاسود عن عائشة

ما فوق الازار (قلت) ويحل مضاجعتها ومواكلتها بلا خلاف قالت عائشة : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرني فأغسل راسه وانا حائض وكان يتكيء في حجري وانا حائض فيقرأ القرآن وفي الصحيح عنها قالت: كنت أتعرق(١) العرق وأنا حائض فأعطيه النبي الله صلى الله عليه وسلم فيضع فمه في المرضع الذي وضعت فمي فيه واشرب الشراب فأناوله فيضع فمه في الموضع الذى كنت اشرب منه وقال أبو داود : حدثنا مسدد حدثنا يحيي عن جابر بن صبيح سمعت خلاسا المهاجري قال : عائشة تقول كنت أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم في الشعار الواحد وأنا حائض طامث فان أصابه مني شيء غسل مكانه لم يعده(٢) وان أصابه يعني ثوبه شيء غسل مكانه لم يعده وصلى فيه فأما ما رواه أبو داود وحدثنا سعيد بن الجبار حدثنا عبد العزيز يعني ابن محمد عن أبي اليمان عن أم ذرة عن عائشة أنها قالت : كنت اذا حضت نزلت عن المثال(٣) على الحصير فلم تقرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم تدن منه حتى تطهر فهو محمول على التنزه والاحتياط — وقال آخرون: انما تحل له مباشرتها فيما عدا ما تحت الازار كما ثبت في الصحيحين عن ميمونة بنت الحرث الهلالية قالت : كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا اراد أن يباشر امرأة من نسائه أمرها فاتزرت وهي حائض وهذا لفظ البخاري ولهما عن عائشة نحوه وروى الامام احمد وأبو داود الترمذي وابن ماجه من حديث العلاء عن حزام ابن حكيم عن عمه عبد الله بن سعد الانصاري أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يحل لي من امرأتي وهي حائض ؟ قال : « ما فوق الازار » ولابي داود أيضاً عن معاذ بن جبل قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عما يحل لي من امرأتي وهي حائض قال : « ما فوق الازار والتعفف عن ذلك أفضل » وهو رواية عن عائشة كما تقدم وابن عباس وسعيد بن المسيب وشريح فهذه الاحاديث وما شابهها حجة من ذهب الى أنه يحل ما فوق الازار منها وهو أحد القولين في مذهب الشافعي رحمه الله الذي رجحه كثير من العراقيين وغيرهم ومأخذهم أنه حريم الفرج فهو حرام لئلا يتوصل الى تعاطي ما حرم الله عز وجل الذي أجمع العلماء على تحريمه وهو المباشرة في الفرج ثم من فعل ذلك فقد أثم فيستغفر الله ويتوب اليه وهل يلزمه مع ذلك كفارة أم لا ؟ فيه قولان (أحدهما) نعم لما رواه الامام احمد وأهل السنن عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم في الذي يأتي امرأته وهي حائض يتصدق بدينار أو نصف دينار وفي لفظ للترمذي « اذا كان دما كان أحمر فدينار وان

١» عرق اللحم وتعرقه واعترقه تناوله بفمه من العظم
٢» لم يتجاوزه
٣» هو الفراش

رضي الله عنها قالت : كنت أغتسل أنا والنبي صلى الله عليه وسلم من أناء واحد كلانا جنب وكان يأمرني أن اتزر فيباشرني وأنا حائض وكان يخرج رأسه الي وهو معتكف فأغسله وأنا حائض أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل أنا سعد ابن حفص أنا شيبان عن يحيى عن أبي سلمة عن زينب بنت أبي سلمة حدثته ان أم سلمة قالت : حضت وأنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخميلة فانسللت فخرجت منها فأخذت ثياب حيضي فلبستها فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم أنفست قلت نعم فدعاني فأدخلني معه في الخميلة أخبرنا

كان دما أصفر فنصف دينار» وللامام احمد أيضا عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل في الحائض نصاب دينارا فان أصابها وقد أدبر الدم عنها ولم تغتسل فنصف دينار (والقول الثاني) وهو الصحيح الجديد من مذهب الشافعي وقول الجمهور أنه لا شيء في ذلك بل يستغفر الله عز وجل لانه لم يصح عندهم رفع هذا الحديث فانه قد روي مرفوعا كما تقدم وموقوفا وهو الصحيح عند كثير من أئمة الحديث فقوله تعالى (ولا تقربوهن حتى يطهرن) تفسير لقوله (فاعتزلوا النساء في المحيض)ونهى عن قربانهن بالجماع ما دام الحيض موجودا ومفهومه حله اذا انقطع قال الامام أبو عبد الله احمد بن محمد بن حنبل فيما أملاه في الطاعة وقوله (ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن فاذا تطهرن فائتوهن من حيث) الآية الطهر يدل على أن يقربها فلما قالت ميمونة وعائشة كانت إحدانا اذا حاضت اتزرت ودخلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في شعاره دل ذلك على أنه انما أراد الجماع

وقوله (فاذا تطهرن فائتوهن من حيث أمركم الله) فيه ندب وإرشاد الى غشيانهن بعد الاغتسال وذهب ابن حزم الى وجوب الجماع بعد كل حيضة لقوله (فاذا تطهرن فائتوهن من حيث أمركم الله) وليس له في ذلك مستند لان هذا أمر بعد الحظر وفيه أقوال لعلماء الاصول منهم من يقول إنه على الوجوب كالمطلق وهؤلاء يحتاجون الى جواب ابن حزم ومنهم من يقول إنه للاباحة ويجعلون تقدم النهي قرينة صارفة له عن الوجوب وفيه نظر والذى ينهض عليه الدليل أنه يرد عليه الحكم الى ما كان عليه الامر قبل النهي فان كان واجبا فواجب كقوله (فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين) أو مباحا فمباح كقوله (واذا حللتم فاصطادوا * فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض) وعلى هذا القول تجتمع الادلة وقد حكاه الغزالي وغيره فاختاره بعض أئمة المتأخرين وهو الصحيح وقد اتفق العلماء على أن المرأة اذا انقطع حيضها لا تحل حتى تغتسل بالماء أوتتيمم ان تعذر ذلك عليها بشرطه إلا أن أبا حنيفة رحمه الله يقول فيما اذا انقطع دمها لا كثر الحيض وهو عشرة أيام عنده أنها تحل بمجرد الانقطاع ولا تفتقر الى غسل والله أعلم . وقال ابن عباس (حتى يطهرن) أي من الدم (فاذا تطهرن) أي بالماء وكذا قال مجاهد وعكرمة والحسن ومقاتل بن حيان والليث بن سعد وغيرهم وقوله (من حيث أمركم الله) قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد يعني الفرج قال علي بن أبي

أبو القاسم بن عبد الله بن محمد الحنفي أنا أبو الحارث طاهر بن محمد الطاهري انا ابو محمد الحسن بن محمد بن حكيم أنا ابو الموجه محمد بن عمرو أنا صدقة أنا وكيع أنا مسعر وسفيان عن المقدام بن شريح عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت : كنت أشرب وأنا حائض فأناوله النبي صلى الله عليه وسلم فيضع فاه على موضع فيّ وأتعرق العرق فيتناوله فيضع فاه على موضع فيّ . فوطء الحائض حرام ومن فعله يعصي الله عز وجل ويعزره الامام ان علم منه ذلك واختلف أهل العلم في وجوب الكفارة عليه فذهب اكثرهم الى أنه لا كفارة عليه فيستغفر الله ويتوب اليه وذهب قوم الى وجوب الكفارة عليه

طلحة عن ابن عباس (فأتوهن من حيث أمركم الله) يقول في الفرج ولا تعدوه الى غيره فمن فعل شيئا من ذلك فقد اعتدى وقال ابن عباس ومجاهد وعكرمة (من حيث أمركم الله) أي أن تعتزلوهن وفيه دلالة حينئذ على تحريم الوطء في الدبر كما سيأتي تقريره قريبا ان شاء الله تعالى وقال أبو رزين وعكرمة والضحاك وغير واحد (فأتوهن من حيث أمركم الله) يعني طاهرات غير حيض ولهذا قال (ان الله يحب التوابين) أي من الذنب وان تكرر غشيانه (ويحب المتطهرين) أي

منهم ، قتادة والاوزاعي وأحمد واسحق لما أخبرنا عبد الواحد بن احمد المليحي أنا عبد الرحمن بن أبي شريح أنا ابو القاسم البغوي انا علي بن الجعد انا ابو جعفر الرازي عن عبد الكريم بن ابي المخارق عن مقسم عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في رجل جامع امرأته وهي حائض قال « ان كان الدم عبيطا فليتصدق بدينار وان كان صفرة فنصف دينار » ويروى هذا موقوفا على ابن عباس ويمنع الحيض جواز الصلاة ووجوبها ويمنع جواز الصوم ولا يمنع وجوبه حتى اذا طهرت يجب عليها قضاء الصوم ولا يجب قضاء الصلاة وكذلك النفساء أخبرنا أبو عثمان سعيد بن اسماعيل الضبي انا ابو محمد عبد الجبار بن محمد الجراحي أنا ابو العباس محمد بن أحمد المحبوبي أنا أبو عيسى الترمذي أنا عليّ بن حجر انا علي بن مسهر عن عبيدة بن معتب الضبي عن عبد الكريم عن ابراهيم النخعي عن الاسود عن عائشة قالت : كنا نحيض عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم نطهر فيأمرنا بقضاء الصيام ولا يأمرنا بقضاء الصلاة ولا يجوز للحائض الطواف بالبيت ولا الاعتكاف في المسجد ولا مس المصحف ولا قراءة القرآن ولا يجوز للزوج غشيانها. اخبرنا عمر ابن العزيز انا القاسم بن جعفر انا أبو علي اللولوي أنا ابو داود انا مسدد انا عبد الواحد بن زياد انا أفلت بن خليفة قال : حدثتني جسرة بنت دجاجة قالت : سمعت عائشة تقول جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجوه بيوت أصحابه شارعة في المسجد، فقال وجهوا هذه البيوت عن المسجد فاني لا أحل المسجد لحائض ولا جنب قوله تعالى ﴿ حتى يطهرن ﴾ قرأ عاصم برواية أبي بكر وحمزة والكسائي بتشديد الطاء والهاء حتى يغتسلن وقرأ الاخرون بسكون الطاء وضم الهاء مخفف ومعناه حتى يطهرن من الحيض وينقطع دمهن ﴿ فاذا تطهرن ﴾ يعني اغتسلن ﴿ فأتوهن ﴾ أي فجامعوهن ﴿ من حيث أمركم الله ﴾ أي من حيث أمركم ان تعتزلوهن منه وهو الفرج قاله مجاهد وقتادة وعكرمة . وقال ابن عباس طؤهن في الفرج ولا تعدوه الى غيره أي اتقوا الادبار . وقيل «من» بمعني «في» أي في حيث أمركم الله تعالى وهو الفرج كقوله عز وجل (اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة) أي في يوم الجمعة وقيل (فأتوهن) من الوجه الذي أمركم الله ان تأتوهن وهو الطهر . وقال ابن الحنفية من قبل الحلال دون الفجور وقيل لا تأتوهن صائمات ولا معتكفات ولا محرمات وائتوهن وغشيانهن لكم حلال. واعلم انه لا يرتفع تحريم شيء مما منعه الحيض بانقطاع الدم ما لم تغتسل أو تتيمم عند عدم الماء الا تحريم الصوم فان الحائض اذا انقطع دمها بالليل ونوت الصوم فوقع غسلها بالنهار صح صومها ، والطلاق في حال

المتنزهين عن الاقذار والاذى وهو ما نهوا عنه من إتيان الحائض أو في غير المأتى

وقوله (نساؤكم حرث لكم) قال ابن عباس : الحرث موضع الولد (فائتوا حرثكم أنى شئتم) أي كيف شئتم مقبلة ومدبرة في صمام واحد كما ثبتت بذلك الاحاديث قال البخاري : حدثنا أبونعيم حدثنا سفيان عن ابن المنكدر قال سمعت جابراً قال : كانت اليهود تقول : اذا جامعها من ورائها جاء الولد أحول فنزلت (نساؤكم حرث لكم فائتوا حرثكم أنى شئتم) ورواه مسلم وأبو داود من حديث سفيان الثوري به وقال ابن أبي حاتم حدثنا يونس بن عبد الاعلى أخبرنا ابن وهب أخبرني مالك بن أنس وابن جريج وسفيان بن سعيد الثوري أن محمد بن المنكدر حدثهم أن جابر بن عبد الله أخبره ان اليهود قالوا للمسلمين من اتى امراة وهي مدبرة جاء الولد احول فأنزل الله (نساؤكم حرث لكم فائتو حرثكم أنى شئتم) قال ابن جريج في الحديث فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مقبلة ومدبرة اذا كان ذلك في الفرج » وفي حديث بهز بن حكيم بن معاوية بن حيدة القشيري عن أبيه عن جده أنه قال يارسول الله : نساؤنا ما نأتي منها وما نذر؟ قال: «حرثك ائت حرثك انى شئت غير أن لا تضرب الوجه ولا تقبح ولا تهجر الا في البيت » الحديث رواه احمد وأهل السنن، حديث آخر قال ابن أبي حاتم : حدثنا يونس أخبرنا ابن وهب أخبرني ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن عامر بن يحيى عن عبد الله حنش عن عبد الله بن عباس قال: أتى ناس من حمير الى رسول الله صلى عليه وسلم فسألوه عن أشياء فقال له رجل إني أحب النساء فكيف ترى فيّ ؟ فأنزل الله (نساؤكم

الحيض يكون بدعيا واذا طلقها بعد انقطاع الدم قبل الغسل لا يكون بدعيا . وذهب ابو حنيفة رضي الله عنه الى انه اذا انقطع دمها لا كثر الحيض وهي عنده عشرة أيام يجوز للزوج غشيانها قبل الغسل وقال مجاهد وعطاء وطاوس اذا غسلت فرجها يجوز للزوج غشيانها قبل الغسل وأكثر أهل العلم على التحريم مالم تغتسل أو تتيمم عند عدم الماء لان الله تعالى علق جواز وطئها بشرطين بانقطاع الدم والغسل فقال (حتى يطهرن) يعني من الحيض (فاذا تطهرن) يعني اغتسلن (فأتوهن) ومن قرأ يطهرن بالتشديد فالمراد منه الغسل كقوله تعالى (وان كنتم جنبا فاطهروا) أي فاغتسلوا فدل على أن قبل الغسل لا يحل الوطء

قوله تعالى ﴿ ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ﴾ قال عطاء ومقاتل بن سليمان والكلبي يحب التوابين من الذنوب ويحب المتطهرين بالماء من الاحداث والنجاسات . وقال مقاتل ابن حيان يحب التوابين من الذنوب والمتطهرين من الشرك ، وقال سعيد بن جبير التوابين من الشرك والمتطهرين من الذنوب وقال مجاهد التوابين من الذنوب لا يعودون فيها والمتطهرين منها لم يصيبوها والتواب الذي كلما أذنب تاب نظيره قوله تعالي (فانه كان للاوابين غفورا)

قوله تعالى ﴿ نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم ﴾ أخبرنا أبو سعيد احمد بن ابراهيم الشريحي أنا أبو اسحق الثعلبي اخبرنا عبد الله بن حامد الاصبهاني اخبرنا محمد بن يعقوب أنا ابن المنادي أنا يونس

حرث لكم فائتوا حرثكم انى شئتم) ورواه الامام احمد حدثنا يحيى بن غيلان حدثنا رشدين حدثني الحسن بن ثوبان عن عامر بن يحيى المغافرى عن حنش عن ابن عباس قال: انزلت هـذه الآية (نساؤكم حرث لكم) في اناس من الانصار اتوا النبي صلى الله عليـه وسلم فسألوه فقال النبي صلى الله عليه وسلم «ائتها على كل حال اذا كان في الفرج» (حديث) آخر قال ابو جعفر الطحاوي في كتابه مشكل الحديث حدثنا احمد بن داود بن موسى حدثنا يعقوب بن كاسب حدثنا عبد الله بن نافع عن هشام بن سعد عن زيد بن اسلم عن عطاء بن يسار عن ابي سعيد الخدري ان رجلا اصاب امرأة في دبرها فأنكر الناس عليه ذلك فأنزل الله (نساؤكم حرث لكم) الآية ورواه ابن جرير عن يونس عن يعقوب ورواه الحافظ ابو يعلى الموصلي عن الحارث بن شريح عن عبـد الله بن نافع به (حديث آخر) قال الامام احمد: حدثنا عفان حدثنا وهيب حدثنا عبيد الله بن عثمان بن خيثم عن عبد الله بن سابط قال: دخلت على حفصة بنت عبد الرحمن بن أبي بكر فقلت إني لسائلك عن أمر وأنا استحي أن أسألك قالت: فلا تستحي يا ابن أخي قال عن إتيان النساء في أدبارهن قالت: حدثتني أم سلمة أن الانصار كانوا يحبون النساء وكانت اليهود تقول: انه من احبى امراته كان ولده احول فلما قدم المهاجرون المدينة نكحوا في نساء الانصار فجبوهن فأبت امراة ان تطيع زوجها وقالت: لن تفعل ذلك حتى آتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخلت على ام سلمة فذكرت لها ذلك فقالت: اجلسي حتى يأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما جاء رسول الله صلى الله عليـه وسلم استحت الانصارية ان تسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرجت فسألته ام سلمة فقال: «ادعي الانصارية» فدعتها فتلا عليها هذه الآية (نساؤكم حرث لكم فائتوا حرثكم انى شئتم) صماما واحدا» ورواه الترمذي عن بندار عن ابن مهدي عن سفيان عن ابي خيثم به وقال حسن (قلت) وقد روي من طريق حماد بن ابي حنيفة عن ابيه عن ابن خيثم عن يوسف بن ماهك عن حفصة ام المؤمنين ان امرأة اتتها فقالت: ان زوجها يأتيني مجبية ومستقبلة فكرهتـه، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «لا بأس اذا كان في صمام واحد» (حديث آخر) قال الامام احمد: حدثنا حسن حدثنا يعقوب يعني القمي عن جعفر عن سـعيد بن جبير عن ابن عباس قال: جاء عمر بن الخطاب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله هلكت قال ما الذى اهلكك؟ قال: حولت رحلي البارحة قال فلم يردّ عليه شيئا قال فأوحى الله الى رسوله صلى الله عليه وسلم هذه الآية

أنا يعقوب القمي عن جعفر بن المغيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس جاء عمر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله هلكت قال وما لذي اهلكك قال حولت رحلى البارحـة فلم يرد عليه شيئا وأوحى الله اليه (نساؤكم حرث لكم فائتوا حرثكم أنى شئتم) يقول ادبر وأقبل واتق الدبر والحيضة اخبرنا احمد بن عبد الله الصالحي اخبرنا احمد بن الحسين الحيري أنا صاحب بن احمـد الطوسي أنا عبد الرحيم ابن منيب أنا ابن عيينة عن ابن المنكدر انه سمع جابر بن عبد الله يقول كانت

(نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم انى شئتم)« اقبل وادبر واتق الدبر والحيضة » ورواه الترمذي عن عبد بن حميد عن حسن بن موسى الاشيب به وقال حسن غريب وقال الحافظ ابو يعلى: حدثنا الحارث بن شريح حدثنا عبد الله بن نافع حدثنا هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد قال : أثفر رجل امرأته على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : أثفر فلان امرأته فأنزل الله عز وجل (نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم) قال أبو داود : حدثنا عبد العزيز بن يحيى أبو الاصبغ قال حدثني محمد يعني ابن سلمة عن محمد بن اسحق عن ابان بن صالح عن مجاهد عن ابن عباس قال : ان ابن عمر . . والله يغفر له – أوهم وانما كان هذا الحي من الانصار وهم أهل وثن مع هذا الحي من يهود وهم أهل كتاب وكانوا يرون لهم فضلا عليهم في العلم فكانوا يقتدون كثيرا(١) من فعلهم وكان من أمر أهل الكتاب لا يأتون النساء الا على حرف وذلك ستر ما تكون المرأة فكان هذا الحي من الانصار قد أخذوا بذلك من فعلهم وكان هذا الحي من قريش يشرحون النساء شرحا منكراً ويتلذذون بهن مقبلات ومدبرات ومستلقيات فلما قدم المهاجرون المدينة تزوج رجل منهم امرأة من الانصار فذهب يصنع بها ذلك فأنكرته عليه وقالت : انما كنا نؤتى على حرف فاصنع ذلك والا فاجتنبني فسرى أمرهما فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله (نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم) أي مقبلات ومدبرات ومستلقيات يعني بذلك موضع الولد. تفرد به أبو داود ويشهد له بالصحة ما تقدم له من الاحاديث ولا سيما رواية أم سلمة فانها مشابهة لهذا السياق . وقد روى هذا الحديث الحافظ أبو القاسم الطبراني من طريق محمد بن اسحق عن ابان بن صالح عن مجاهد قال : عرضت المصحف على ابن عباس من فاتحته الى خاتمته أوقفه عند كل آية منه وأسأله عنها حتى انتهيت الى هذه الآية (نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم) فقال ابن عباس : ان هذا الحي من قريش كانوا يشرحون النساء بمكة ويتلذذون بهن فذكر القصة بتمام سياقها وقول ابن عباس ان ابن عمر الله يغفر له أوهم وكأنه يشير الى ما رواه البخاري حدثنا اسحق حدثنا النضر بن شميل أخبرنا ابن عون عن نافع قال كان ابن عمر اذا قرأ القرآن لم يتكلم حتى يفرغ منه فأخذت عنه (٢) يوما فقرأ سورة البقرة حتى انتهى الى مكان قال : أتدري فيم أنزلت ؟ قلت لا قال : أنزلت في كذا وكذا ثم مضى . وعن عبد الصمد قال : حدثني أبي حدثنا أيوب عن نافع عن ابن عمر (فأتوا حرثكم أنى شئتم) قال : أن يأتيها (٣) في . هكذا رواه البخاري وقد تفرد به من هذا الوجه وقال ابن جرير حدثني يعقوب حدثنا ابن علية حدثنا ابن عون عن نافع قال قرأت ذات يوم (نساؤكم حرث

اليهود تقول في الذي يأتي امرأته من دبرها في قبلها ان الولد يكون احول فنزلت (نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم) وروى مجاهد عن ابن عباس قال كان من شأن اهل الكتاب ان لا يأتوا النساء الا على حرف وذلك استر ماتكون المرأة وكان هذا الحي من الانصار قد اخذوا بذلك من فعلهم وكان هذا الحي من قريش يتلذذون منهن مقبلات ومدبرات ومستلقيات فلما قدم المهاجرون المدينة

«١» وفي نسخة الازهر : بكثير
(٢) وفي نسخة الازهر عليه
(٣) لم يذكر المجرور تنزها وقال شراح البخاري انه اسقطه لاستنكاره اياه وهو جائز للعلم به من القرينة. وكتاب هذا العصر يضعون نقطا في موضع مايسقطون من الكلام لنكتة النزاهة وفي نسخة الازهر نقطة في دائرة وهي تصلح اشارة الى الكلمة الساقطة

لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم)فقال ابن عمر أتدري فيم نزلت ؟ قلت لا قال نزلت في إتيان النساء في أدبارهن . وحدثني أبو قلابة حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث حدثني أبي عن أيوب عن نافع عن ابن عمر (فأتوا حرثكم أنى شئتم) قال : في الدبر . وروي من حديث مالك عن نافع عن ابن عمر ولا يصح وروى النسائي عن محمد بن عبد الله بن عبد الحكم عن أبي بكر بن أبي أويس عن سليمان ابن بلال عن زيد بن أسلم عن ابن عمر أن رجلا أتى امرأته في دبرها فوجد في نفسه من ذلك وجداً شديداً فأنزل الله (نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم) قال أبو حاتم الرازى : لو كان هذا عند زيد بن أسلم عن ابن عمر لما أولع الناس بنافع وهذا تعليل منه لهذا الحديث وقد رواه عبد الله ابن نافع(١) عن داود بن قيس عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن ابن عمر فذكره وهذا الحديث محمول على ما تقدم وهو أنه يأتيها في قبلها من دبرها لما رواه النسائي عن علي بن عثمان النفيلي عن سعيد بن عيسى عن الفضل بن فضالة عن عبد الله بن سليمان الطويل عن كعب بن علقمة عن أبي النضر أنه أخبره أنه قال لنافع مولى ابن عمر أنه قد أكثر عليك القول أنك تقول عن ابن عمر إنه أفتى أن تؤتى النساء في أدبارهن قال : كذبوا عليّ ولكن سأحدثك كيف كان الامر : إن ابن عمر عرض المصحف يوما وأنا عنده حتى بلغ (نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم) فقال يا نافع هل تعلم من أمر هذه الآية ؟ قلت : لا قال : إنا كنا معشر قريش نجبي النساء فلما دخلنا المدينة ونكحنا نساء الانصار أردنا منهن مثل ما كنا نريد فاذاهن فكرهن ذلك(٢) وأعظمنه وكانت نساء الانصار قد أخذن بحال اليهود انما يؤتين على جنوبهن فأنزل الله (نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم) وهذا اسناد صحيح وقد رواه ابن مردويه عن الطبراني عن الحسين بن اسحق عن زكريا بن يحيي كاتب العمري عن مفضل بن فضالة عن عبد الله بن عياش عن كعب بن علقمة فذكره. وقد روينا عن ابن عمر خلاف ذلك صريحا وانه لا يباح ولا يحل كما سيأتي وان كان قد نسب هذا القول الى طائفة من فقهاء المدينة وغيرهم وعزاه بعضهم الى الامام مالك في كتاب السر وأكثر الناس ينكر أن يصح ذلك عن الامام مالك رحمه الله وقد وردت الاحاديث المروية من طرق متعددة بالزجر عن فعله وتعاطيه فقال الحسن بن عرفة حدثنا اسماعيل بن عياش عن سهيل بن أبي صالح عن محمد ابن المنكدر عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « استحيوا ان الله لا يستحي من الحق لا يحل أن تأتوا النساء في حشوشهن » وقال الامام احمد : حدثنا عبد الرحمن حدثنا سفيان عن عبد الله ابن شداد عن خزيمة بن ثابت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى أن يأتي الرجل امرأته في دبرها

تزوج رجل منهم امرأة من الانصار فذهب يصنع بها ذلك فانكرت عليه وقالت انا كنا نؤتى على حرف فان شئت فاصنع ذلك وإلا فاجتنبني حتى سرى أمرهما فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى (نساؤكم حرث لكم) الآية يعني موضع الولد (فأتوا حرثكم أنى شئتم) مقبلات ومدبرات ومستلقيات وأنى حرف استفهام يكون سؤالا عن الحال والمحل معناه كيف شئتم

(١) في نسخة الازهر ههنا بياض يسع كلمة أو كلمتين

(٢) وفي نسخة الازهر : فاذا هن قد كرهن ذلك – الخ – وهذا اظهر

(طريق أخرى) قال احمد : حدثنا يعقوب سمعت أبي يحدث عن يزيد بن عبدالله بن أسامة بن الهاد أن عبيد الله بن الحسين الوالبي حدثه أن عبد الله الواقفي حدثه أن خزيمة بن ثابت الخطمي حدثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « استحيوا ان الله لايستحي من الحق (١) لا تأتوا النساء في أعجازهن » ورواه النسائي وابن ماجه من طرق عن خزيمة بن ثابت وفي اسناده اختلاف كثير (حديث آخر) قال أبو عيسى الترمذي والنسائي حدثنا أبو سعيد الاشج حدثنا أبو خالد الاحمر عن الضحاك بن عثمان عن مخرمة بن سليمان عن كريب عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا ينظر الله الى رجل أتى رجلا أو امرأة في الدبر » ثم قال الترمذي هذا حديث حسن غريب وهكذا أخرجه ابن حبان في صحيحه وصححه ابن حزم أيضا ولكن رواه النسائي أيضا عن هناد عن وكيع عن الضحاك به موقوفا. وقال عبد(٢) أخبرنا عبدالرزاق أخبرنا معمر عن ابن طاوس عن أبيه أن رجلا سأل ابن عباس عن إتيان المرأة في دبرها قال : تسألني عن الكفر ؟ اسناده صحيح وكذا رواه النسائي من طريق ابن المبارك عن معمر به نحوه وقال عبد أيضا في تفسيره : حدثنا ابراهيم بن الحاكم عن أبيه عن عكرمة قال : جاء رجل الى ابن عباس وقال : كنت آتي أهلي في دبرها وسمعت قول الله (نساؤكم حرث لكم فائتوا حرثكم أنى شئتم) فظننت أن ذلك لي حلال فقال : يا لكع إنما قوله (فائتوا حرثكم أنى شئتم) قائمة وقاعدة ومقبلة ومدبرة في أقبالهن لا تعدوا ذلك الى غيره (حديث آخر) قال الامام احمد : حدثنا عبدالصمد حدثنا همام حدثنا قتادة عن عمرو ابن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « الذي يأتي امرأته في دبرها هي اللوطية الصغرى» وقال عبد الله بن احمد : حدثني هدبة حدثنا همام قال : سئل قتادة عن الذي يأتي امرأته في دبرها فقال قتادة : أخبرنا عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « هي اللوطية الصغرى » قال قتادة وحدثني عقبة بن وساج عن أبي الدرداء قال : وهل يفعل ذلك الا كافر ؟ وقد روى هذا الحديث يحيى بن سعيد القطان عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أبي أيوب عن عبدالله بن عمرو بن العاص قوله(٣) وهذا أصح والله أعلم وكذلك رواه عبد بن حميد عن يزيد بن هرون عن حميد الاعرج عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن عبد الله بن عمرو موقوفا من قوله (طريق أخرى) قال جعفر الفريابي حدثنا قتيبة حدثنا ابن لهيعة عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « سبعة لا ينظر الله اليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ويقول ادخلوا النار مع الداخلين : الفاعل

(١) أول الحديث في نسخة الازهر « لايستحي من الحق » ثلاثا

«٢» هو عبد بن حميد

« ٣ » لعلها من قوله كالرواية التي بعدها وقوله : وهذا أصح يعني الموقوف عليه أصح سندا من المرفوع

وحيث شئتم بعد أن يكون في صمام واحد وقال عكرمة (أنى شئتم) انما هو الفرج ومثله عن الحسن وقيل (حرث لكم) أي مزرع لكم ومنبت الولد بمنزلة الارض التي تزرع وفيه دليل على تحريم الادبار لان محل الحرث والزرع هو القبل لا الدبر وقال سعيد بن المسيب هذا في العزل يعني ان شئتم فاعزلوا وان شئتم فلا تعزلوا وسئل ابن عباس عن العزل فقال حرثك ان شئت فاعطش وان شئت فارو

والمفعول به والناكح يده وناكح البهيمة وناكح المرأة في دبرها وجامع بين المرأة وابنتها والزاني بحليلة جاره ومؤذي جاره حتى يلعنه » بن لهيعة وشيخه ضعيفان (حديث آخر) قال الامام احمد : حدثنا عبدالرزاق أخبرنا سفيان عن عاصم عن عيسى بن حطان عن مسلم بن سلام عن علي بن طلق قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يؤتي النساء في أدبارهن فان الله لا يستحي من الحق ، وأخرجه أحمد أيضا عن أبي معاوية وأبي عيسى الترمذي من طريق أبي معاوية أيضا عن عاصم الاحول به وفيه زيادة وقال : هو حديث حسن ومن الناس من يورد هذا الحديث في مسند علي بن أبي طالب كما وقع في مسند الامام أحمد بن حنبل والصحيح أنه علي بن طلق حديث آخر ، قال الامام أحمد : حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن سهيل بن أبي صالح عن الحرث بن مخلد عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ان الذي يأتي امرأته في دبرها لا ينظر الله اليه » وقال أحمد ايضا : حدثنا عفان حدثنا وهيب حدثنا سهيل عن الحرث بن مخلد عن أبي هريرة يرفعه قال «لا ينظر الله الى رجل جامع امرأته في دبرها» وكذا رواه ابن ماجه من طريق سهيل . وقال أحمد ايضا : حدثنا وكيع عن سهيل بن أبي صالح عن الحارث بن مخلد عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ملعون من أتى امرأته في دبرها » وهكذا رواه أبو دواد والنسائي من طريق أخرى . قال الحافظ أبو نعيم الاصبهاني : أخبرنا احمد بن القاسم بن الريان ، حدثنا ابو عبد الرحمن النسائي حدثنا هناد ومحمد بن اسماعيل واللفظ له قالا : حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ملعون من أتى امرأة في دبرها » ليس هذا الحديث هكذا في سنن النسائي وانما الذي فيه عن سهيل عن الحارث بن مخلد كما تقدم . قال شيخنا الحافظ أبو عبد الله الذهبي: ورواية احمد بن القاسم بن الزيان هذا الحديث بهذا السند وهم منه وقد ضعفوه (طريق أخرى) رواها مسلم بن خالد الزنجي عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ملعون من أتى النساء في أدبارهن » ومسلم ابن خالد فيه كلام والله أعلم (طريق أخرى) رواها الامام أحمد وأهل السنن من حديث حماد بن سلمة عن حكيم الاثرم عن أبي تميمة الهجيمي عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من أتى حائضا أو امرأة في دبرها أو كاهنا فصدقه فقد كفر بما أنزل على محمد » وقال الترمذي : ضعف البخاري هذا الحديث والذي قاله البخاري في حكيم الترمذي عن أبي تميمة لا يتابع على حديثه (طريق أخرى) قال النسائي : حدثنا عثمان بن عبدالله حدثنا سليمان بن عبدالرحمن من كتابه

وروي عنه انه قال تستأمر الحرة في العزل ولا تستأمر الجارية وبه قال احمد وكره جماعة العزل وقالوا هو الوأد الخفي وروي عن مالك عن نافع قال كنت امسك على ابن عمر المصحف فقرأ هذه الآية (نساؤكم حرث لكم) فقال أتدرى فيم نزلت هذه الآية قلت لا قال نزلت في رجل أتى امرأته في دبرها فشق ذلك عليه فنزلت هذه الآية ويحكي عن مالك اباحة ذلك وانكر ذلك أصحابه وروى

عن عبد الملك بن محمد الصنعاني عن سعيد بن عبد العزيز عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « استحيوا من الله حق الحياة لا تأتوا النساء في أدبارهن » تفرد به النسائي من هذا الوجه . قال حمزة بن محمد الكناني الحافظ هذا حديث منكر باطل من حديث الزهري ومن حديث أبي سلمة ومن حديث سعيد فان كان عبدالملك سمعه من سعيد فانما سمعه بعد الاختلاط وقد رواه الترمذي عن أبي سلمة أنه كان ينهى عن ذلك فأما عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم فلا انتهى كلامه وقد أجاد وأحسن الانتقاد الا أن عبد الملك ابن محمد الصنعاني لا يعرف انه اختلط ولم يذكر ذلك أحد غير حمزة عن الكناني وهو ثقة ولكن تكلم فيه دحيم وأبو حاتم وابن حبان وقال : لا يجوز الاحتجاج به والله أعلم . وقد تابعه زيد ابن يحيى بن عبيد عن سعيد بن عبد العزيز . وروي من طريقين آخرين عن أبي سلمة ولا يصح منها شيء طريق أخرى قال النسائي : حدثنا اسحق بن منصور حدثنا عبدالرحمن بن مهدي عن سفيان الثوري عن ليث بن أبي سليم عن مجاهد عن أبي هريرة قال : اتيان الرجال النساء في أدبارهن كفر ثم رواه عن بندار عن عبدالرحمن به قال : من أتى امرأة في دبرها وتلك كفر ، هكذا رواه النسائي من طريق الثوري عن ليث عن مجاهد عن أبي هريرة موقوفا وكذا رواه من طريق علي بن نديمة عن مجاهد عن أبي هريرة موقوفا ورواه بكر بن خنيس عن ليث عن مجاهد عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من أتى شيئا من الرجال والنساء في الادبار فقد كفر » والموقوف أصح وبكر بن خنيس ضعفه غير واحد من الائمة وتركه آخرون، حديث آخر. قال محمد بن أبان البلخي حدثنا وكيع حدثني زمعة بن صالح عن ابن طاوس عن أبيه وعن عمرو بن دينار عن عبد الله بن يزيد بن الهاد قالا : قال عمر بن الخطاب : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان الله لا يستحي من الحق لا تأتوا النساء في أدبارهن » وقد رواه النسائي حدثنا سعيد بن يعقوب الطالقاني عن عثمان بن اليمان عن زمعة بن صالح عن ابن طاوس عن ابيه عن ابن الهاد عن عمر قال : لا تأتوا النساء في ادبارهن . وحدثنا اسحق بن ابراهيم حدثنا يزيد بن ابي حكيم عن زمعة بن صالح عن عمرو بن دينار عن طاوس عن عبد الله بن عبد الله بن الهاد الليثي قال : قال عمر رضي الله عنه : استحيوا من الله فان الله لا يستحي من الحق لا تأتوا النساء في أدبارهن والموقوف أصح حديث آخر قال الامام أحمد : حدثنا غندور ومعاذ بن معاذ قالا : حدثنا شعبة عن عاصم الاحول عن عيسى بن حطان عن مسلم بن سلام عن طلق بن يزيد أو يزيد بن طلق عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ان الله

عن عبد الله بن الحسن انه لقي سالم بن عبد الله فقال له يا أبا عمر ماحديث بحديث نافع عن عبد الله انه لم يكن يرى بأسا باتيان النساء في ادبارهن فقال كذب العبد وأخطأ انما قال عبد الله يؤتون في فروجهن من ادبارهن والدليل على تحريم الادبار ما اخبرنا عبد الوهاب بن محمد بن الخطيب أنا عبد العزيز بن احمد الخلال اخبرنا أبو العباس الاصم أنا الربيع اخبرنا الشافعي أنا عمر محمد بن علي

لا يستحي من الحق لا تأتوا النساء في أستاههن » وكذا رواه غير واحد عن شعبة ورواه عبد الرزاق عن معمر عن عاصم الاحول عن عيسى بن حطان عن مسلم بن سلام عن طلق بن علي و لا شبه أنه علي بن طلق كما تقدم والله أعلم (حديث آخر) قال أبو بكر لاثرم في سننه : حدثنا أبو مسلم الجرمي حدثنا أخو أنيس بن ابراهيم أن اباه ابراهيم بن عبد الرحمن بن القعقاع أخبره عن أبيه أبي القعقاع عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « محاش النساء حرام » وقد رواه اسماعيل بن علية وسفيان الثوري وشعبة وغيرهم عن أبي عبد الله الشقرى واسمه سلمة بن تمام ثقة عن أبي القعقاع عن ابن مسعود موقوفا وهو أصح (طريق أخرى) قال ابن عدي حدثنا ابو عبد الله المحاملي حدثنا سعيد بن يحيى الثورى حدثنا محمد بن حمزة عن زيد بن رفيع عن أبي عبيدة عن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تأتوا النساء في أعجازهن » محمد بن حمزة وهو الجزري وشيخه فيهما مقال . وقد روي من حديث أبي بن كعب والبراء بن عازب وعقبة بن عامر وأبي ذر وغيرهم وفي كل منها مقال لا يصح معه الحديث والله أعلم . وقال الثوري عن الصلت بن بهرام عن أبي المعتمر عن أبي جويرة قال : سأل رجل عليا عن اتيان امرأة في دبرها فقال : سفلت سفل الله بك ألم تسمع قول الله عز وجل (أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين)، وقد تقدم قول ابن مسعود وابي الدرداء وابي هريرة وابن عباس وعبد الله بن عمرو في تحريم ذلك وهو الثابت بلا شك عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما انه يحرمه . قال أبو محمد عبد الرحمن بن عبد الله الدارمي في مسنده حدثنا عبد الله بن صالح حدثنا الليث عن الحرث بن يعقوب عن سعيد بن يسار أبي الحباب قال : قلت لابن عمر ما تقول في الجواري أيحمض لهن ؟ قال : وما التحميض ؟ فذكر الدبر فقال: وهل يفعل ذلك احد من المسلمين؟ وكذا رواه ابن وهب وقتيبة عن الليث به وهذا اسناد صحيح ونص صريح منه بتحريم ذلك فكل ما ورد عنه مما يحتمل ويحتمل فهو مردود الى هذا المحكم، قال ابن جرير : حدثني عبد الرحمن بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم حدثنا أبو زيد احمد بن عبد الرحمن بن احمد بن ابي العمر حدثني عبد الرحمن بن القاسم عن مالك بن أنس انه

ابن شافع اخبرني عبد الله بن علي بن السائب عن عمرو بن احيحة بن الجلاح عن خزيمة بن ثابت أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن اتيان النساء في ادبارهن فقال النبي صلى الله عليه وسلم « في أي الحرمتين أو في أي الخرزتين أو في الحومتين أمن دبرها في قبلها فنعم أو من دبرها في دبرها فلا، فان الله لا يستحيي من الحق لا تأتوا النساء في ادبارهن » اخبرنا احمد بن ابراهيم الشريحي أنا أبو اسحق الثعلبي أنا عبد الله الحسين بن محمد الحافظ أنا عمر بن احمد بن القاسم النهاوندي أخبرنا محمد بن عبد الله بن سليمان الحضرمي أنا عبد الله بن أبان أنا يحيى بن زكريا بن أبي زائدة عن مسلم بن خالد عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ملعون من أتى امرأته في دبرها »

قيل له يا ابا عبد الله ان الناس يروون عن سالم بن عبد الله انه قال : كذب العبد او العلج على ابي عبد الله، فقال مالك : اشهد على يزيد بن رومان انه اخبرني عن سالم بن عبد الله عن ابن عمر مثل ما قال نافع، فقيل له فان الحرث بن يعقوب يروي عن أبي الحباب سعيد بن يسار انه سأل ابن عمر فقال له يا أبا عبد الرحمن انا نشترى الجواري افنحمض لهن فقال وما التحميض، فذكر له الدبر فقال ابن عمر :اف أف وهل يفعل ذلك مؤمن او قال مسلم؟! فقال مالك: اشهد على ربيعة لاخبرني عن ابي الحباب عن ابن عمر مثل ما قال نافع . وروى النسائي عن الربيع بن سليمان عن اصبغ بن الفرج الفقيه حدثنا عبد الرحمن بن القاسم قال : قلت لمالك ان عندنا بمصر الليث بن سعد يحدث عن الحرث بن يعقوب عن سعيد بن يسار قال قلت لابن عمر انا نشتري الجواري أفنحمض لهن؟ قال : وما التحميض ؟ قلت : نأتيهن في ادبارهن فقال : اف اف او يعمل هذا مسلم ؟ فقال لي مالك فأشهد على ربيعة لحدثني عن سعيد بن يسار انه سأل ابن عمر فقال : لا بأس به وروى النسائي ايضا من طريق يزيد بن رومان عن عبيد الله بن عبد الله ان ابن عمر كان لا يرى بأسا ان يأتي الرجل المرأة في دبرها. وروى معمر بن عيسى عن مالك ان ذلك حرام . وقال أبو بكر بن زياد النيسابوري حدثني اسماعيل بن حسين حدثني اسرائيل بن روح سألت مالك بن انس ما تقول في اتيان النساء في ادبارهن قال : ما انتم الا قوم عرب هل يكون الحرث الا موضع الزرع ؟ لا تعدو الفرج، قلت يا أبا عبد الله انهم يقولون انك تقول ذلك. قال يكذبون علي يكذبون علي. فهذا هو الثابت عنه وهو قول أبي حنيفة والشافعي واحمد بن حنبل وأصحابهم قاطبة وهو قول سعيد بن المسيب وأبي سلمة وعكرمة وطاوس وعطاء وسعيد بن جبير وعروة بن الزبير ومجاهد بن جبر والحسن وغيرهم من السلف انهم انكروا ذلك اشد الانكار ومنهم من يطلق على فعله الكفر وهو مذهب جمهور العلماء، وقد حكي في هذا شيء عن بعض فقهاء المدينة حتى حكوه عن الامام مالك وفي صحته نظر . قال الطحاوي : روى أصبغ بن الفرج عن عبد الرحمن بن القاسم قال : ما أدركت احدا

قوله تعالى (وقدموا لانفسكم) قال عطاء التسمية عند الجماع قال مجاهد وقدموا لانفسكم يعني اذا أتى أهله فليدع أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن اسمعيل أنا عثمان بن أبي شيبة أنا جرير عن منصور عن سالم عن كريب عن ابن عباس قال قال النبي صلى الله عليه وسلم «لو ان أحدكم اذا أراد أن يأتى أهله قال بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان مارزقتنا ـ فانه ان يقدر بينهما ولد في ذلك لم يضره الشيطان ابدا» وقيل قدموا لانفسكم يعنى طلب الولد اخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الخرقى انا ابو الحسن على بن عبد الله الطيسفونى اخبرنا عبد الله بن عمر الجوهري أنا احمد بن علي الكشميهني انا علي بن حجر عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « اذا مات الانسان انقطع عمله الا من ثلاثة صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له » وقيل هو التزوج بالعفائف ليكون الولد

أقتدى به في ديني يشك انه حلال يعني وطء المرأة في دبرها ثم قرأ (نساؤكم حرث لكم) ثم قال: فأي شيء ابين من هذا؟ هذه حكاية الطحاوي وقد روى الحاكم والدارقطني والخطيب البغدادي عن الامام مالك من طرق ما يقتضي اباحة ذلك ولكن في الاسانيد ضعف شديد وقد استقصاها شيخنا الحافظ أبو عبد الله الذهبي في جزء جمعه في ذلك والله أعلم. وقال الطحاوي: حكى لنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم انه سمع الشافعي يقول: ما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم في تحليله ولا تحريمه شيء والقياس أنه حلال وقد روى ذلك أبو بكر الخطيب عن أبي سعيد الصيرفي عن أبي العباس الاصم سمعت محمد بن عبد الله بن عبد الحكم سمعت الشافعي يقول فذكره قال أبو نصر الصباغ: كان الربيع يحلف بالله الذي لا اله الا هو لقد كذب — يعني ابن عبد الحكم — على الشافعي في ذلك لان الشافعي نص على تحريمه في ستة كتب من كتبه والله أعلم

وقوله (وقدموا لانفسكم) أي من فعل الطاعات مع امتثال ما أمركم عنه من ترك المحرمات ولهذا قال (واتقوا الله واعلموا أنكم ملاقوه) أي فيحاسبكم على أعمالكم جميعها (وبشر المؤمنين) أي المطيعين لله فيما أمرهم التاركين ما عنه زجرهم. وقال ابن جرير: حدثنا القاسم حدثنا الحسين حدثني محمد بن كثير عن عبد الله بن واقد عن عطاء قال: أراه عن ابن عباس (وقدموا لانفسكم) قال: تقول بسم الله التسمية عند الجماع وقد ثبت في صحيح البخاري عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لوأن أحدكم اذا أراد ان يأتي أهله قال بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان مارزقتنا فانه ان يقدر بينهما ولد في ذلك لم يضره الشيطان أبدا»

---

(٢٢٣) ولا تجعلوا الله عُرْضَة لايمانكم ان تَبَرُّوا وتتقوا وتصلحوا بين الناس والله سميع عليم (٢٢٤) لايؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم والله غفور حليم

صالحا اخبرنا عبد الواحد المليحي أنا احمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف انا مسدد انا يحيى عن عبد الله حدثني سعيد بن أبي سعيد عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «تنكح المرأة لاربع لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك» وقيل معنى الآية تقديم الافراط اخبرنا أبو الحسن السرخسي اخبرنا زاهر بن احمد اخبرنا أبو اسحق الهاشمي انا أبو مصعب عن مالك عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «لايموت لاحد من المسلمين ثلاثة من الولد فتمسه النار الاتحلة القسم» وقال الكلبي والسدي: وقدموا لانفسكم يعني الخير والعمل الصالح بدليل سياق الآية ﴿ واتقوا الله واعلموا أنكم ملاقوه صائرون اليه فيجزيكم بأعمالكم ﴿ وبشر المؤمنين ﴾

قوله تعالى ﴿ ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم ﴾ نزلت في عبد الله بن رواحة كان بينه وبين ختنه

يقول تعالى لا تجعلوا ايمانكم بالله تعالى مانعة لكم من البر وصلة الرحم اذا حلفتم على تركها كقوله تعالى (ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم) فالاستمرار على اليمين ثم لصاحبها من الخروج منها بالتكفير كما قال البخاري : حدثنا اسحق بن ابراهيم أخبرنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن همام ابن منبه قال : هذا ما حدثنا أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « نحن الآخرون السابقون يوم القيامة » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « والله لان يلج أحدكم بيمينه في أهله آثم له عند الله من أن يعطي كفارته التي افترض الله عليه » وهكذا رواه مسلم عن محمد بن رافع عن عبد الرزاق به ورواه أحمد عنه به ثم قال البخاري : حدثنا اسحق بن منصور حدثنا يحيى بن صالح - ثنا معاوية هو ابن سلام عن يحيى وهو ابن أبي كثير عن عكرمة عن أبي هريرة قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من استلج في أهله بيمين فهو أعظم إثما ليس تغني الكفارة »(١) وقال علي بن طلحة عن ابن عباس في قوله (ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم) قال : لا تجعلن عرضة ليمينك أن لا تصنع الخير. ولكن كفر عن يمينك واصنع الخير وكذا قال مسروق والشعبي وابراهيم النخعي ومجاهد وطاوس وسعيد بن جبير وعطاء وعكرمة ومكحول والزهري والحسن وقتادة ومقاتل بن حيان والربيع بن أنس والضحاك وعطاء الخراساني والسدي رحمهم الله ويؤيد ماقاله هؤلاء الجمهور ما ثبت في الصحيحين عن أبي موسى الاشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اني والله ان شاء الله لا أحلف على يمين فأرى غيرها خيرا منها الا أتيت الذي هو خير وتحللتها وثبت فيهما أيضا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعبد الرحمن بن سمرة « يا عبد الرحمن بن سمرة لا تسأل الامارة فانك ان أعطيتها من غير مسئلة اعنت عليها وان أعطيتها عن مسئلة وكلت اليها ، واذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيرا منها فأت الذي هو خير وكفر عن يمينك » وروى مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها

(١) يعني ان اثم استلجاج الرجل بيمين في ضرر امرأته أي اصراره وعمله بمقتضى اللجاج في البر به اعظم اثما عند الله من الحنث باليمين والتكفير عنها لان اثم ضرر المرأة لا تغني عنه الكفارة كالحنث فهو اذا أخف الضررين وفي رواية « ليبر » موضع ليس - وهو امر من البر - وبعده يعني الكفارة وهو تفسير للبر المأمور به لخفائه اذ ظاهره انه أمر بالبر باليمين والمراد الحنث بجامع الكفارة التي هي بدل البر - قال القسطلاني انها اوضح

على أخته بشير بن النعمان الانصاري شيء فحلف عبد الله ان لا يدخل عليه ولا يكلمه ولا يصلح بينه وبين خصمه ، واذا قيل له فيه قال قد حلفت بالله ان لا أفعل فلا يحل لي الا ان تبر يميني فأنزل الله هذه الآية . وقال ابن جريج : نزلت في أبي بكر الصديق حين حلف ان لا ينفق على مسطح حين خاض في حديث الافك ، والعرضة أصلها الشدة والقوة ومنه قيل للدابة التي تتخذ للسفر عرضة لقوتها عليه ثم قيل لكل مايصلح لشيء هو عرضة له حتى قالوا المرأة هي عرضة النكاح اذا صلحت له والعرضة كل مايعترض فيمنع عن الشيء ومعنى الآية (لاتجعلوا) الحلف بالله سببا مانعا لكم من البر والتقوى يدعى أحدكم الى صلة رحم أو بر فيقول حلفت بالله أن لا أفعله فيعتل بيمينه في ترك البر ﴿ أن تبروا ﴾ معناه أن لاتبروا كقوله تعالى (يبين الله لكم أن تضلوا) أي لئلا تضلوا ﴿ وتتقوا وتصلحوا بين الناس والله سميع عليم ﴾ أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن احمد أنا أبو اسحق

فليكفر عن يمينه وليفعل الذي هو خير » . وقال الامام احمد : حدثنا أبو سعيد مولى بني هاشم حدثنا خليفة بن خياط حدثني عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فتركها كفارتها » ورواه أبو داود من طريق أبي عبيد الله بن الاخنس عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا نذر ولا يمين فيما لا يملك ابن آدم ولا في معصية الله ولا في قطيعة رحم ومن حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليدعها وليأت الذي هو خير فان تركها كفارتها » ثم قال أبو داود والاحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم كلها « فليكفر عن يمينه » وهي الصحاح

وقال ابن جرير : حدثنا علي بن سعيد الكندي حدثنا علي بن مسهر عن حارثة بن محمد عن عمرة عن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من حلف على يمين قطيعة رحم أو معصية فبره أن يحنث فيها ويرجع عن يمينه » وهذا حديث ضعيف لان حارثة هذا هو ابن أبي الرجال محمد بن عبد الرحمن متروك الحديث ضعيف عند الجميع ثم روى ابن جرير عن ابن عباس وسعيد بن المسيب ومسروق والشعبي أنهم قالوا: لايمين في معصية ولا كفارة عليها

وقوله (لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم) أي لا يعاقبكم ولا يلزمكم بما صدر منكم من الايمان اللاغية وهي التي لا يقصدها الحالف بل تجري على لسانه عادة من غير تعقيد ولا تأكيد كما ثبت في الصحيحين من حديث الزهري عن حميد بن عبد الرحمن عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من حلف فقال في حلفه باللات والعزى فليقل لا إله إلا الله » فهذا قاله لقوم حديثي عهد بجاهلية قد أسلموا وألسنتهم قد ألفت ما كانت عليه من الحلف باللات من غير قصد فأمروا أن يتلفظوا بكلمة الاخلاص كما تلفظوا بتلك الكلمة من غير قصد لتكون هذه بهذه ولهذا قال تعالى : (ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم) الآية وفي الآية الاخرى (بما عقدتم الايمان) قال أبو داود : (باب لغو اليمين) حدثنا حميد بن مسعدة الشامي حدثنا حيان يعني ابن ابراهيم حدثنا ابراهيم يعني

الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من حلف بيمين فرأى خيرا منها فليكفر عن يمينه وليفعل الذي هو خير »

قوله تعالى ﴿ لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم ﴾ اللغو كل مطرح من الكلام لا يعتد به واختلف أهل العلم في لغو اليمين المذكورة في الآية فقال قوم هو ما يسبق الى اللسان على عجلة لصلة الكلام من غير عقد وقصد كقول القائل لا والله وبلى والله وكلا والله اخبرنا عبد الوهاب بن محمد الكسائي أنا عبد العزيز بن أحمد الخلال اخبرنا أبو العباس الاصم أنا الربيع أنا الشافعي أنا مالك عن هشام ابن عروة عن أبيه عن عائشة أنها قالت لغو اليمين قول الانسان لا والله وبلى والله ورفعه بعضهم والى هذا ذهب الشعبي وعكرمة وبه قال الشافعي ويروى عن عائشة أيمان اللغو ما كانت في الهزل والمراء والخصومة والحديث الذي لا يعقد عليه القلب وقال قوم هو أن يحلف على شيء يرى انه صادق

الصائغ عن عطاء: اللغو في اليمين قول قالت عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « اللغو في اليمين هو كلام الرجل في بيته كلا والله وبلى والله » ثم قال أبو داود رواه داود بن أبي الفرات عن ابراهيم الصائغ عن عطاء عن عائشة موقوفا ورواه الزهري وعبد الملك ومالك بن مغول كلهم عن عطاء عن عائشة موقوفا أيضا (قلت) وكذا رواه ابن جريج وابن أبي ليلى عن عطاء عن عائشة موقوفا. ورواه ابن جرير عن هناد عن وكيع وعبدة وأبي معاوية عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة في قوله (لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم) لا والله وبلى والله ثم رواه عن محمد بن حميد عن سلمة عن ابن اسحق عن هشام عن أبيه عنها وبه عن ابن اسحق عن الزهري عن القاسم عنها وبه عن ابن اسحق عن ابن أبي نجيح عن عطاء عنها وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة في قوله (لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم) قالت هم القوم يتدارؤن في الامر فيقول هذا لا والله وبلى والله وكلا والله يتدارؤون في الامر لا تعقد عليه قلوبهم وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا هارون بن اسحق الهمداني حدثنا عبدة يعني ابن سليمان عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة في قول الله (لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم) قالت . هو قول الرجل لا والله وبلى والله . وحدثنا أبي حدثنا أبو صالح كاتب الليث حدثني ابن لهيعة عن أبي الاسود عن عروة قال كانت عائشة تقول انما اللغو في المزاحة والهزل وهو قول الرجل لا والله وبلى والله فذلك لا كفارة فيه انما الكفارة فيما عقد عليه قلبه أن يفعله ثم لا يفعله ثم قال ابن أبي حاتم وروي عن ابن عمر وابن عباس في أحد قوليه والشعبي وعكرمة في أحد قوليه وعروة ابن الزبير وأبي صالح والضحاك في أحد قوليه وأبي قلابة والزهري نحو ذلك

الوجه الثاني قرىء على يونس بن عبد الاعلى أخبرنا ابن وهب أخبرني الثقة عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة أنها كانت تتأول هذه الآية يعني قوله (لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم) وتقول هو الشيء يحلف عليه أحدكم لا يريد منه الا الصدق فيكون على غير ما حلف عليه ثم قال وروي عن أبي هريرة وابن عباس في أحد قوليه وسليمان بن يسار وسعيد بن جبير ومجاهد في أحد قوليه

فيه ثم يتبين له خلاف ذلك وهو قول الحسن والزهري وابراهيم النخعي وقتادة ومكحول وبه قال أبو حنيفة رضي الله عنه وقالوا لا كفارة فيه ولا اثم وقال علي هو اليمين على الغضب وبه قال طاوس وقال سعيد بن جبير هو اليمين في المعصية لا يؤاخذه الله بالحنث فيها بل يحنث ويكفر وقال مسروق ليس عليه كفارة أيكفر خطوات الشيطان؟ وقال الشعبي في الرجل يحلف على المعصية كفارته أن يتوب منها وكل يمين لا يحل لك أن تفي بها فليس فيها كفارة ولو أمرته بالكفارة لامرته أن يتم ويستمر على قوله وقال زيد بن اسلم هو دعاء الرجل على نفسه كقول لانسان اعمى الله بصري إن لم أفعل كذا وكذا، أخرجني الله من مالي إن لم آتك غدا، ويقول: هو كافر ان فعل كذا (١) فهذا كله لغو لا يؤاخذه الله به ولو آخذهم به لعجل لهم العقوبة (ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضي اليهم أجلهم) وقال (ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخير)

(١) سقط هذان القسمان من النسخ المطبوعة والاخير من رواية ابن جرير وثبت الثلاثة في نسختنا

وابراهيم النخعي في أحد قوليه والحسن وزرارة بن أوفى وأبي مالك وعطاء الخراساني وبكر بن عبدالله وأحد قولي عكرمة وحبيب ابن أبي ثابت والسدي ومكحول ومقاتل وطاوس وقتادة والربيع بن أنس ويحيي بن سعيد وربيعة نحو ذلك وقال ابن جرير حدثنا محمد بن موسى الجرشي حدثنا عبدالله ابن ميمون المرادي حدثنا عوف الاعرابي عن الحسن بن أبي الحسن قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوم ينتضلون يعني يرمون ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من أصحابه فقام رجل من القوم فقال أصبت والله وأخطأت والله فقال الذي مع النبي صلى الله عليه وسلم للنبي صلى الله عليه وسلم حنث الرجل يا رسول الله قال « كلا ايمان الرماة لغو لا كفارة فيها ولا عقوبة » هذا مرسل حسن عن الحسن وقال ابن أبي حاتم وروي عن عائشة القولان جميعا حدثنا عصام بن رواد أنبأنا آدم حدثنا شيبان عن جابر عن عطاء بن أبي رباح عن عائشة قالت : هو قوله لا والله وبلى الله وهو يرى أنه صادق ولا يكون كذلك (أقوال أخر) قال عبد الرزاق عن هشيم عن مغيرة عن ابراهيم هو الرجل يحلف على الشيء ثم ينساه وقال زيد بن أسلم هو قول الرجل أعمى الله بصري ان لم أفعل كذا وكذا أخرجني الله من مالي ان لم آتك غدا فهو هذا قال ابن أبي حاتم : وحدثنا علي بن الحسين حدثنا مسدد ابن خالد حدثنا خالد حدثنا عطاء عن طاوس عن ابن عباس قال : لغو اليمين أن تحلف وأنت غضبان. وأخبرني أبي حدثنا أبو الجماهر حدثنا سعيد بن بشير حدثني أبو بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : لغو اليمين أن تحرم ما أحل الله فذلك ما ليس عليك فيه كفارة وكذا روي عن سعيد ابن جبير . وقال أبو داود (باب اليمين في الغضب) حدثنا محمد بن المنهال أنبأنا يزيد بن زريع حدثنا حبيب المعلم عن عمرو بن شعيب عن سعيد بن المسيب أن أخوين من الانصار كان بينهما ميراث فسأل أحدهما صاحبه القسمة فقال : ان عدت تسألني عن القسمة فكل مالي في رتاج الكعبة فقال له عمر : ان الكعبة غنية عن مالك كفر عن يمينك وكلم أخاك سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لا يمين عليك ولا نذر في معصية الرب عز وجل ولا في قطيعة الرحم ولا فيما لا تملك »

قوله تعالى ﴿ ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم ﴾ أي عزمتم وقصدتم الى اليمين وكسب القلب العقد والنية ﴿ والله غفور حليم ﴾ واعلم أن اليمين لا تنعقد إلا بالله أو باسم من اسمائه أو بصفة من صفاته فاليمين بالله أن يقول والذي اعبده والذي اصلي له والذي نفسي بيده ونحو ذلك واليمين بأسمائه كقوله والله والرحمن ونحوه واليمين بصفاته كقوله وعزة الله وعظمة الله وجلال الله وقدرة الله ونحوها فاذا حلف بشيء منها على امر في المستقبل فحنث يجب عليه الكفارة واذا حلف على امر ماض انه كان ولم يكن أو على انه لم يكن وقد كان ان كان عالما به حالة ما حلف فهو اليمين الغموس وهو من الكبائر ويجب فيه الكفارة عند بعض اهل العلم عالما كان أو جاهلا وبه قال الشافعي ولا يجب عند بعضهم وهو قول اصحاب الرأي وقالوا ان كان عالما فهو كبيرة ولا كفارة لها كما في سائر الكبائر وان كان جاهلا فهو يمين اللغو عندهم ومن حلف بغير الله مثلا ان قال والكعبة وبيت الله

وقوله (ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم) قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد : هو أن يحلف على الشيء وهو يعلم أنه كاذب قال مجاهد وغيره : وهي كقوله تعالى (ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان) الآية (والله غفور حليم) أي غفور لعباده حليم عليهم

(٢٢٥) للذين يؤلون من نسائهم تربُّصُ أربعة أشهر فان فاؤا فان الله غفور رحيم

(٢٢٦) وإن عزموا الطلاق فان الله سميع عليم *

الايلاء الحلف فاذا حلف الرجل أن لا يجامع زوجته مدة فلا يخلو إما أن يكون أقل من أربعة أشهر أو أكثر منها فان كانت أقل فله أن ينتظر انقضاء المدة ثم يجامع امرأته وعليها أن تصبر وليس لها مطالبته بالفيئة في هذه المدة وهذا كما ثبت في الصحيحين عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم آلى من نسائه شهرا فنزل لتسع وعشرين وقال « الشهر تسع وعشرون » ولهما عن عمر ابن الخطاب نحوه فأما إن زادت المدة على أربعة أشهر فللزوجة مطالبة الزوج عند انقضاء أربعة أشهر إما أن يفيء اي يجامع وإما أن يطلق فيجبره الحاكم على هذا وهذا لئلا يضر بها ولهذا قال تعالى (للذين يؤلون من نسائهم) أي يحلفون على ترك الجماع من نسائهم فيه دلالة على أن الايلاء يختص بالزوجات دون الاماء كما هو مذهب الجمهور (تربص أربعة أشهر) أي ينتظر الزوج أربعة أشهر من حين الحلف ثم يوقف ويطالب بالفيئة أو الطلاق ولهذا قال (فان فاؤا) أي رجعوا الى ما كانوا عليه وهو كناية عن الجماع قاله ابن عباس ومسروق والشعبي وسعيد بن جبير وغير واحد ومنهم ابن جرير رحمه الله (فان الله غفور رحيم) لما سلف من التقصير في حقهن بسبب اليمين

وقوله (فان فاؤا فان الله غفور رحيم) فيه دلالة لاحد قولي العلماء وهو القديم عن الشافعي أن المولى اذا فاء بعد الاربعة الاشهر أنه لا كفارة عليه ويعتضد بما تقدم في الحديث عند الآية التي قبلها عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من حلف على يمين فرأى

ونبي الله أو حلف بأبيه ونحو ذلك فلا يكون يمينا فلا تجب به الكفارة اذا حلف (١) وهو يمين مكروهة قال الشافعي وأخشى أن يكون معصية اخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن احمد أنا أبو اسحق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن نافع عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ادرك عمر بن الخطاب وهو يسير في ركب وهو يحلف بأبيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم فمن كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت »

قوله تعالى ﴿ للذين يؤلون من نسائهم تربص اربعة اشهر ﴾ يؤلون أي يحلفون والالية اليمين والمراد من الآية اليمين على ترك وطء المرأة قال قتادة كان الايلاء طلاقا لاهل الجاهلية وقال سعيد ابن المسيب كان ذلك من ضرار أهل الجاهلية : كان الرجل لايحب امرأته ولا يريد أن يتزوجها غيره فيحلف أن لايقربها أبدا فيتركها لا أيما ولا ذات بعل. وكانوا عليه في ابتداء الاسلام فضرب

(١) وفي نسختنا المخطوطة اذا حالف

غيرها خيرا منها فتركها كفارتها» كما رواه احمد وأبو داود والترمذي والذي عليه الجمهور وهو الجديد من مذهب الشافعي أن عليه التكفير لعموم وجوب التكفير على كل حالف كما تقدم أيضا في الاحاديث الصحاح والله أعلم

وقوله (وإن عزموا الطلاق) فيه دلالة على أن الطلاق لا يقع بمجرد مضي الاربعة اشهر كقول الجمهور من المتأخرين وذهب آخرون الى انه يقع بمضي اربعة اشهر تطليقة وهو مروي بأسانيد صحيحة عن عمر وعثمان وعلي وابن مسعود وابن عباس وابن عمر وزيد بن ثابت وبه يقول ابن سيرين ومسروق والقاسم وسالم والحسن وأبو سلمة وقتادة وشريح القاضي وقبيصة بن ذؤيب وعطاء وابو سلمة ابن عبد الرحمن وسليمان بن طرخان التيمي وابراهيم النخعي والربيع بن أنس والسدي ثم قيل انها تطلق بمضي الاربعة اشهر طلقة رجعية قاله سعيد بن المسيب وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث ابن هشام ومكحول وربيعة والزهري ومروان بن الحكم وقيل أنها تطلق طلقة بائنة روي عن علي وابن مسعود وعثمان وابن عباس وابن عمر وزيد بن ثابت وبه يقول عطاء وجابر بن زيد ومسروق وعكرمة والحسن وابن سيرين ومحمد بن الحنفية وابراهيم وقبيصه بن ذؤيب وأبو حنيفة والثوري والحسن بن صالح فكل من قال إنها تطلق بمضي الاربعة أشهر أوجب عليها العدة إلا ما روي عن ابن عباس وأبي الشعثاء أنها ان كانت حاضت ثلاث حيض فلا عدة عليها وهو قول الشافعي والذي عليه الجمهور من المتأخرين أن يوقف فيطالب إما بهذا وإما بهذا ولا يقع عليها بمجرد مضيها طلاق وروى مالك عن نافع عن عبد الله بن عمر أنه قال : اذا آلى الرجل من امرأته لم يقع عليه طلاق وان مضت أربعة أشهر حتى يوقف فاما أن يطلق وإما أن يفيء وأخرجه البخاري وقال الشافعي رحمه الله : أخبرنا سفيان بن عيينة عن يحيى بن سعيد عن سليمان بن يسار قال: أدركت بضعة عشر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كلهم يوقف المولي . قال الشافعي : وأقل ذلك ثلاثة عشر

الله له أجلا في الاسلام واختلف اهل العلم فيه فذهب اكثرهم الى انه ان حلف أن لا يقرب زوجته أبدا أو سمى مدة اكثر من اربعة اشهر يكون موليا فلا يتعرض له قبل مضي اربعة اشهر و بعد مضيها يوقف ويؤمر بالفيء أو بالطلاق بعد مطالبة المراة. والفيء هو الرجوع عما قاله بالوطء ان قدر عليه وان لم يقدر فبالقول فان لم يف ولم يطلق طلق عليه السلطان واحدة. وذهب الى الوقوف بعد مضي المدة عمر وعثمان وعلي وابو الدرداء وابن عمر قال سليمان بن يسار ادركت بضعة عشر من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كلهم يقولون يوقف المولي واليه ذهب سعيد بن جبير وسليمان بن يسار ومجاهد وبه قال مالك والشافعي واحمد واسحق وقال بعض اهل العلم اذا مضت اربعة اشهر تقع عليه طلقة بائنة وهو قول ابن عباس وابن مسعود وبه قال سفيان الثوري واصحاب الراي وقال سعيد بن المسيب والزهري تقع طلقة رجعية ولو حلف ان لا يطأها اقل من اربعة اشهر لا يكون موليا بل هو حالف فاذا وطئها قبل مضي تلك المدة تجب عليه كفارة اليمين ولو حلف ان لا يطأها اربعة

ورواه الشافعي عن علي رضي الله عنه أنه يوقف المولي ثم قال وهكذا نقول وهو موافق لما رويناه عن عمر وابن عمر وعائشة وعثمان وزيد بن ثابت وبضعة عشر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم . هكذا قال الشافعي رحمه الله قال ابن جرير : حدثنا ابن أبي مريم حدثنا يحيى بن أيوب عن عبيد الله بن عمر عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه قال : سألت اثنى عشر رجلا من الصحابة عن الرجل يولي من امرأته فكلهم يقول ليس عليه شيء حتى تمضي الاربعة الاشهر فيوقف فان فاء والا طلق ورواه الدار قطني من طريق سهيل (قلت) وهو يروى عن عمر وعثمان وعلي وأبي الدرداء وعائشة أم المؤمنين وابن عمر وابن عباس وبه يقول سعيد بن المسيب وعمر بن عبد العزيز ومجاهد وطاوس ومحمد بن كعب والقاسم وهو مذهب مالك والشافعي واحمد بن حنبل وأصحابهم رحمهم الله وهو اختيار ابن جرير أيضا وهو قول الليث واسحق بن راهويه وأبي عبيد وأبي ثور وداود وكل هؤلاء قالوا : إن لم يفئ ألزم بالطلاق فان لم يطلق طلق عليه الحاكم والطلقة تكون رجعية له رجعتها في العدة وانفرد مالك بأن قال : لا يجوز له رجعتها حتى يجامعها في العدة وهذا غريب جدا

وقد ذكر الفقهاء وغيرهم في مناسبة تأجيل المولي بأربعة أشهر الاثر الذي رواه الامام مالك بن أنس رحمه الله في الموطأ عن عبد الله بن دينار قال : خرج عمر بن الخطاب من الليل فسمع امرأة تقول :

تطاول هذا الليل واسود جانبه وأرقني ألا خليل ألاعبه
فوالله لولا الله أني أراقبه لحرك من هذا السرير جوانبه

فسأل عمر ابنته حفصة رضي الله عنها كم أكثر ما تصبر المرأة عن زوجها ؟ فقالت : ستة أشهر أو أربعة أشهر فقال عمر : لا أحبس أحدا من الجيش أكثر من ذلك وقال محمد بن اسحق عن السائب بن جبير مولى ابن عباس وكان قد أدرك أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال : ما زلت أسمع حديث عمر أنه خرج ذات ليلة يطوف بالمدينة وكان يفعل ذلك كثيرا إذ مر بامرأة من نساء العرب مغلقة بابها تقول :

اشهر لا يكون موليا عند من يقول بالوقف بعد مضي المدة لان بقاء المدة شرط الوقف وثبوت المطالبة بالفيء او الطلاق وقد مضت المدة وعند من لا يقول بالوقف يكون موليا ويقع الطلاق بمضي المدة ومدة الايلاء اربعة اشهر في حق الحر والعبد جميعا عند الشافعي رحمه الله لانها ضربت لمعنى يرجع الى الطبع وهو قلة صبر المراة عن الزوج فيستوي فيه الحر والعبد كمدة العنة وعند مالك رحمه الله وابي حنيفة رحمه الله تتنصف مدة العنة بالرق غير ان عند أبي حنيفة تتنصف برق المرأة وعند مالك برق الزوج كما قالا في الطلاق. قوله تعالى (تربص أربعة أشهر) أي انتظار أربعة أشهر والتربص التثبت والتوقف ﴿ فان فاؤ ﴾ رجعوا عن اليمين بالوطء ﴿ فان الله غفور رحيم ﴾ واذا وطىء في الفرج خرج عن الايلاء وتجب عليه كفارة اليمين عند أكثر أهل العلم .وقال الحسن وابراهيم النخعي وقتادة : لا كفارة عليه لان الله تعالى وعد بالمغفرة فقال (فان الله غفور رحيم) وذلك عند الاكثرين

تطاول هذا الليل وازورّ جانبه وأرّقني ألا ضجيع ألاعبه
ألاعبه طوراً وطوراً كأنما بدا قمرا في ظلمة الليل حاجبه
يسر به من كان يلهو بقربه لطيف الحشا لا يحتويه أقاربه
فوالله لولا الله لا شيء غيره لنقض من هذا السرير جوانبه
ولكنني أخشى رقيبا موكلا بأنفاسنا لا يفتر الدهر كاتبه
مخافة ربي والحياء يصدني وإكرام بعلي أن تنال مراكبه (١)

ثم ذكر بقية ذلك كما تقدم أو نحوه وقد روي هذا من طرق وهو من المشهورات

(٢٢٧) والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلاثة قروء ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله في أرحامهن إن كن يؤمن بالله واليوم الآخر، وبعولتهن أحق بردهن في ذلك إن أرادوا إصلاحا، ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم

هذا أمر من الله سبحانه وتعالى للمطلقات المدخول بهن من ذوات الاقراء بأن يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء أي بأن تمكث إحداهن بعد طلاق زوجها لها ثلاثة قروء ثم تتزوج ان شاءت وقد أخرج الائمة الاربعة من هذا العموم الامة اذا طلقت فانها تعتد عندهم بقرأين لانها على النصف من الحرة والقرء لا يتبعض فكمل لها قرءان ولما رواه ابن جرير عن مظاهر بن أسلم المخزومي المدني عن القاسم عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «طلاق الامة تطليقتان وعدتها حيضتان» رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه ولكن مظاهر هذا ضعيف بالكلية وقال الحافظ الدارقطني وغيره الصحيح انه من قول القاسم بن محمد نفسه ورواه ابن ماجه من طريق عطية العوفي عن ابن عمر مرفوعا قال الدارقطني والصحيح ما رواه سالم ونافع عن ابن عمر قوله (٢) وهكذا روي عن عمر بن الخطاب قالوا ولم يعرف بين الصحابة خلاف وقال بعض السلف: بل عدتها كعدة الحرة لعموم الآية ولان هذا امر جبلي فكان الحرائر

في سقوط العقوبة لا في الكفارة ولو قال لزوجته ان قربتك فعبدي حر أو ضربتك فأنت طالق أو لله علي عتق عبد أو صوم أو صلاة فهو مول لان المولي من يلزمه أمر بالوطء ويوقف بعد مضي المدة فان فاء يقع الطلاق أو العتق المعلق به وان التزم في الذمة تلزمه كفارة اليمين في قول وفي قول يلزمه ما التزم في ذمته من الاعتاق أو الصلاة أو الصوم ﴿ وان عزموا الطلاق ﴾ أي حققوه بالايقاع ﴿ فان الله سميع ﴾ لقولهم ﴿ عليم ﴾ بنياتهم وفيه دليل على انها لا تطلق بعد مضي المدة ما لم يطلقها زوجها لانه شرط فيه العزم وقال (فان الله سميع عليم) فدل على انه يقتضي مسموعا والقول هو الذي يسمع * قوله تعالى ﴿ والمطلقات ﴾ أي المخليات من حبال أزواجهن ﴿ يتربصن ﴾ ينتظرن ﴿ بأنفسهن ثلاثة قروء ﴾ فلا يتزوجن والقروء جمع قرء مثل فرع (٣) وجمعه القليل اقرؤ والجمع الكثير اقراء (٤) واختلف أهل العلم في القرء فذهب جماعة الى انها الحيض وهو قول عمر وعلي وابن مسعود

(١) خ مراتبه

(٢) أي من قوله لا مرفوعا

(٣) لعله فروع

(٤) كذا في النسختين والموافق للغة أن يقال اقرءا واقراء جمع قلة وقروء جمع كثرة . قال ابن مالك
* افعلة افعل ثم فعلة *
* ثمة أفعال جموع قلة *

والاماء في هذا سواء حكى هذا القول الشيخ أبو عمر بن عبد البر عن محمد بن سيرين وبعض أهل الظاهر وضعفه وقد قال ابن ابي حاتم : حدثنا ابي حدثنا ابو اليمان حدثنا اسماعيل يعني ابن عياش عن عمرو بن مهاجر عن ابيه ان اسماء بنت يزيد بن السكن الانصارية قالت : طلقت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن للمطلقة عدة فأنزل الله عز وجل حين طلقت اسماء العدة للطلاق فكانت اول من نزلت فيها العدة للطلاق يعني (والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء) وهذا حديث غريب من هذا الوجه. وقد اختلف السلف والخلف والائمة في المراد بالاقراء ماهو على قولين: (احدهما) ان المراد بها الاطهار وقال مالك في الموطأ عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة أنها انتقلت حفصة بنت عبد الرحمن بن أبي بكر حين دخلت في الدم من الحيضة الثالثة فذكرت ذلك لعمرة بنت عبد الرحمن فقالت صدق عروة وقد جادلها في ذلك ناس فقالوا : ان الله تعالى يقول في كتابه (ثلاثة قروء) فقالت عائشة : صدقتم وتدرون ما الاقراء ؟ انما الاقراء الاطهار وقال مالك عن ابن شهاب سمعت أبا بكر بن عبد الرحمن يقول : ما أدركت أحداً من فقهائنا الا وهو يقول ذلك يريد قول عائشة وقال مالك عن نافع عن عبد الله بن عمر أنه كان يقول . اذا طلق الرجل امرأته فدخلت في الدم من الحيضة الثالثة فقد برئت منه وبريء منها وقال مالك وهو الامر عندنا وروي مثله عن ابن عباس وزيد بن ثابت وسالم والقاسم وعروة وسليمان بن يسار وأبي بكر بن عبد الرحمن وابان ابن عثمان وعطاء بن ابي رباح وقتادة والزهري وبقية الفقهاء السبعة وهو مذهب مالك والشافعي

وابن عباس وبه قال الحسن ومجاهد اليه ذهب الاوزاعي والثوري وأصحاب الرأي واحتجوا بان النبي صلى الله عليه وسلم قال للمستحاضة «دعي الصلاة أيام اقرائك» وانما تدع المرأة الصلاة أيام حيضها وذهب جماعة الى انها الاطهار وهو قول زيد بن ثابت وعبد الله بن عمر وعائشة وهو قول الفقهاء السبعة والزهري وبه قال ربيعة ومالك والشافعي واحتجوا بان ابن عمر رضي الله عنه لما طلق امرأته وهي حائض قال النبي صلى الله عليه وسلم لعمر «مره فليراجعها حتى تطهر ثم ان شاء أمسك وان شاء طلق قبل ان يمس فتلك العدة التي أمر الله ان يطلق لها النساء» فاخبر ان زمان العدة هو الطهر ومن جهة اللغة قول الشاعر :

ففي كل عام أنت جاشم غزوة * تشد لاقصاها عزيم عزائكا
مورثة مالا وفي الحي (١) رفعة * لما ضاع فيها من قروء نسائكا

وأراد به انه كان يخرج الى الغزو ولم يغش نساءه فتضيع اقراؤهن وانما تضيع بالسفر زمان الطهر لا زمان الحيض وفائدة الخلاف تظهر في ان المعتدة اذا شرعت في الحيضة الثالثة تنقضي عدتها على قول من يجعلها اطهارا وتحسب بقية الطهر الذي وقع فيه الطلاق قرءا قالت عائشة رضي الله عنها: اذا طعنت المطلقة في الدم من الحيضة الثالثة فقد برئت منه وبرئ منها ومن ذهب الى ان الاقراء هي الحيض يقول لا تنقضي عدتها ما لم تطهر من الحيضة الثالثة ، وهذا الخلاف من حيث ان اسم القرء يقع على الطهر والحيض جميعا يقال اقرأت المرأة اذا حاضت واقرأت اذا طهرت فهي مقرىء

(١) وفي تفسير ابن جرير : الذكر بدل الحي وفي ابن كثير : الاصل

وغير واحد وداود وأبي ثور وهو رواية عن احمد واستدلوا عليه بقوله تعالى (فطلقوهن لعدتهن) أي في الاطهار ولما كان الطهر الذي يطلق فيه محتسبا دل على أنه أحد الاقراء الثلاثة المأمور بها ولهذا قال هؤلاء . ان المعتدة تنقضي عدتها وتبين من زوجها بالطعن في الحيضة الثالثة واقل مدة تصدق فيها المراة في انقضاء عدتها اثنان وثلاثون يوما ولحظتان واستشهد ابو عبيد وغيره على ذلك بقول الشاعر وهو الاعشى

ففي كل عام أنت جاشم غزوة تشد لاقصاها عزيم عزائكا
مورثة مالا ( ) وفي الاصل رفعة لما ضاع فيها من قروء نسائكا

يمدح أميرا من أمراء العرب آثر الغزو على المقام حتى ضاعت أيام الطهر من نسائه لم يواقعهن فيها . والقول الثاني أن المراد بالاقراء الحيض فلا تنقضي العدة حتى تطهر من الحيضة الثالثة زاد آخرون وتغتسل منها وأقل وقت تصدق فيه المرأة في انقضاء عدتها ثلاثة وثلاثون يوما ولحظة قال الثوري عن منصور عن ابراهيم عن علقمة قال : كنا عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه فجاءته امرأة فقالت : ان زوجي فارقني بواحدة أو اثنتين فجاءني وقد نزعت ثيابي وأغلقت بابي فقال عمر لعبد الله بن مسعود : أراها امرأته ما دون أن تحل لها الصلاة قال : وأنا أرى ذلك . وهكذا روي عن أبي بكر الصديق وعمر وعثمان وعلي وأبي الدرداء وعبادة بن الصامت وأنس بن مالك وابن مسعود ومعاذ وأبي بن كعب وأبي موسى الاشعري وابن عباس وسعيد بن المسيب وعلقمة والاسود

(١) ن الازد عدا

واختلفوا في أصله فقال أبو عمرو بن العلاء وأبو عبيدة هو الوقت لمجيء الشيء وذهابه يقال رجع فلان لقرئه ولقارئه أي لوقته الذي يرجع فيه وهذا قارئ الرياح أي وقت هبوبها قال مالك بن الحارث الهذلي :

كرهت (٢) العقر عقر بني شليل اذا هبت لقارئها الرياح

أي لوقتها والقرء يصلح للوجهين لان الحيض يأتي لوقت والطهر مثله وقيل هو من القرء وهو الحبس والجمع تقول العرب : ما قرأت الناقة سلاقط أي لم تضم رحمها على ولد ومنه قريت الماء في المقرأة وهي الحوض أي جمعته بترك همزها فالقرء ههنا احتباس الدم واجتماعه فعلى هذا يكون الترجيح فيه للطهر لانه يحبس الدم ويجمعه والحيض يرخيه ويرسله وجملة الحكم في العدد أن المرأة اذا كانت حاملا فعدتها بوضع الحمل سواء وقعت الفرقة بينها وبين الزوج بالطلاق أو بالموت لقوله تعالى (وأولات الاحمال أجلهن أن يضعن حملهن) فان لم تكن حاملا نظر إن وقعت الفرقة بينهما بموت الزوج فعليها أن تعتد بأربعة أشهر وعشر سواء مات الزوج قبل الدخول أو بعده وسواء كانت المرأة ممن تحيض أو لا تحيض لقول الله (والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا) وإن وقعت الفرقة بينهما بالطلاق في الحياة نظر إن كان قبل الدخول بها فلا عدة عليها لقول الله تعالى (اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن

(٢) وفي ابن جرير شنئت وهو بمعنى كرهت

وابراهيم ومجاهد وعطاء وطاوس وسعيد بن جبير وعكرمة ومحمد بن سيرين والحسن وقتادة والشعبي والربيع ومقاتل بن حيان والسدي ومكحول والضحاك وعطاء الخراساني أنهم قالوا : الاقراء الحيض وهذا مذهب أبي حنيفة وأصحابه وأصح الروايتين عن الامام احمد بن حنبل وحكى عنه الاثرم انه قال الاكابر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون الاقراء الحيض وهو مذهب الثوري والاوزاعي وابن أبي ليلي وابن شبرمة والحسن بن صالح بن حي وأبي عبيد واسحق بن راهويه . ويؤيد هذا ما جاء في الحديث الذي رواه أبو داود والنسائي من طريق المنذر بن المغيرة عن عروة ابن الزبير عن فاطمة بنت أبي حبيش ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها « دعي الصلاة أيام أقرائك » فهذا لو صح لكان صريحا في ان القرء هو الحيض ولكن المنذر هذا قال فيه ابو حاتم مجهول ليس بمشهور وذكره ابن حبان في الثقات وقال ابن جرير أصل القرء في كلام العرب الوقت لمجيء الشيء المعتاد مجيئه في وقت معلوم ولادبار الشيء المعتاد إدباره لوقت معلوم وهذه العبارة تقتضي ان يكون مشتركا بين هذا وهذا وقد ذهب اليه بعض الاصوليين والله أعلم . وهذا قول الاصمعي ان القرء هو الوقت . وقال أبو عمرو بن العلاء: العرب تسمي الحيض قرءا وتسمي الطهر قرءا وتسمي الطهر والحيض جميعا قرأ . وقال الشيخ أبو عمر بن عبد البر : لا يختلف أهل العلم بلسان العرب والفقهاء ان القرء يراد به الحيض ويراد به الطهر وانما اختلفوا في المراد من الآية ما هو على قولين

من عدة تعتدونها) وان كان بعد الدخول نظر ان كانت المرأة ممن لم تحض قط أو بلغت في الكبر سن الآيسات فعدتها ثلاثة أشهر لقول الله تعالى (واللائي يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر واللائي لم يحضن) وان كانت ممن تحيض فعدتها ثلاثة أقرؤ لقوله تعالى(والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء) وقوله (يتربصن بأنفسهن) لفظه خبر ومعناه أمر وعدة الامة ان كانت حاملا بوضع الحمل كالحرة وان كانت حائلا ففي الوفاة عدتها شهران وخمس ليال وفي الطلاق ان كانت ممن تحيض فعدتها قرءان وان كانت ممن لا تحيض فشهر ونصف وقيل شهران كالقرئين في حق من تحيض قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : ينكح العبد امرأتين ويطلق طلقتين وتعتد الامة بحيضتين فان لم تكن تحيض فشهرين أو شهرا ونصفا

وقوله عز وجل ﴿ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله في أرحامهن ﴾ قال عكرمة : يعني الحيض وهو أن يريد الرجل مراجعتها فتقول قد حضت الثالثة وقال ابن عباس وقتادة يعني الحمل ومعنى الآية لا يحل للمرأة كتمان ما خلق الله في رحمها من الحيض والحمل لتبطل حق الزوج من الرجعة والولد ﴿ إن كن يؤمن بالله واليوم الآخر ﴾ معناه أن هذا من فعل المؤمنات وان كانت المؤمنة والكافرة في هذا الحكم سواء كما تقول أد حقي إن كنت مؤمنا يعني أداء الحقوق من فعل المؤمنين ﴿ وبعولتهن ﴾ يعني أزواجهن جمع بعل كالفحولة جمع فحل سمي الزوج بعلا لقيامه بأمور زوجته وأصل البعل السيد والمالك ﴿ أحق بردهن ﴾ أولى برجعتهن اليهم ﴿ في ذلك ﴾ أي في حال العدة

وقوله (ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله في أرحامهن) أي من حبل أو حيض. قاله ابن عباس وابن عمر ومجاهد والشعبي والحكم بن عيينة والربيع بن أنس والضحاك وغير واحد. وقوله (ان كن يؤمن بالله واليوم) تهديد لهن على خلاف الحق ودل هذا على ان المرجع في هذا اليهن لانه أمر لا يعلم الا من جهتهن ويتعذر اقامة البينة غالبا على ذلك فرد الامر اليهن وتوعدن فيه لئلا يخبرن بغير الحق اما استعجالا منها لانقضاء العدة أو رغبة منها في تطويلها لما لها في ذلك من المقاصد فأمرت ان تخبر بالحق في ذلك من غير زيادة ولا نقصان

وقوله (وبعولتهن أحق بردهن في ذلك ان أرادوا اصلاحا) أي وزوجها الذى طلقها احق بردها مادامت في عدتها اذا كان مراده بردها الاصلاح والخير وهذا في الرجعيات وأما المطلقات البوائن فلم يكن حال نزول هذه الآية مطلقة بائن وانما كان ذلك لما حصروا في الطلاق(١) الثلاث فأما حال نزول هذه الآية فكان الرجل احق برجعة امرأته وان طلقها مائة مرة فلما قصروا في الآية التي بعدها على ثلاث تطليقات صار للناس مطلقة بائن وغير بائن واذا تأملت هذا تبين لك ضعف ما سلكه بعض الاصوليين من استشهادهم على مسئلة عود الضمير هل يكون مخصصا لما تقدمه من لفظ العموم أم لا بهذه الآية الكريمة فان التمثيل بها غير مطابق لما ذكروه والله اعلم

وقوله (ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف) أى ولهن على الرجال من الحق مثل ما للرجال عليهن

«١» ن الازهر: الطلقات

﴿ إن أرادوا إصلاحا ﴾ أي ان أرادوا بالرجعة الصلاح وحسن العشرة لا الاضرار كما كانوا يفعلونه في الجاهلية كان الرجل يطلق امرأته فاذا قرب انقضاء عدتها راجعها ثم تركها مدة ثم طلقها فاذا قرب انقضاء عدتها راجعها ثم بعد مدة طلقها يقصد بذلك تطويل العدة عليها ﴿ ولهن ﴾ أي للنساء على الازواج مثل الذي عليهن للازواج بالمعروف قال ابن عباس في معناه : إني أحب أن أتزين لامرأتي كما تحب امرأتي أن تتزين لي لان الله تعالى قال : ﴿ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف ﴾ أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الحسن المروزي أخبرنا أبو سهل محمد بن عمر بن طرفة الشجري أنا أبو سليمان الخطابي أخبرنا أبو بكر بن داسه أنا أبو داود السجستاني نا موسى بن اسماعيل أنا حماد أنا أبو قزعة سويد ابن حجر الباهلي عن حكيم بن معاوية القشيري عن أبيه قال : قلت يارسول الله ما حق زوجة أحدنا عليه ؟ قال : « أن تطعمها اذا طعمت وأن تكسوها اذا اكتسيت ولا تضرب الوجه ولا تقبح ولا تهجر الا في البيت» أخبرنا اسماعيل بن عبد القاهر الجرجاني أخبرنا عبد الغافر بن محمد الفارسي أنا محمد بن عيسى الجلودي أنا أبو اسحق ابراهيم بن محمد بن سفيان أنا محمد بن الحجاج أنا أبو بكر ابن أبي شيبة أنا حاتم بن اسماعيل المدني عن جعفر بن محمد عن أبيه أنه قال : دخلنا على جابر بن عبد الله فقلت : أخبرني عن حجة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسرد قصة حجة الوداع الى أن ذكر خطبته يوم عرفة قال : « فاتقوا الله في النساء فانكم أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه فان فعلن ذلك فاضربوهن ضربا غير

فليؤد كل واحد منهما الى الآخر ما يجب عليه بالمعروف كما ثبت في صحيح مسلم عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في خطبته في حجة الوداع « فاتقوا الله في النساء فانكم اخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ولكم عليهن ان لا يوطئن فرشكم احدا تكرهونه فان فعلن ذلك فاضربوهن ضربا غير مبرح ولهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف » وفي حديث بهز بن حكيم عن معاوية بن حيدة القشيري عن ابيه عن جده انه قال يا رسول الله ما حق زوجة احدنا قال « ان تطعمها اذا طعمت وتكسوها اذا اكتسيت ولا تضرب الوجه ولا تقبح ولا تهجر الا في المبيت » وقال وكيع عن بشير بن سليمان عن عكرمة عن ابن عباس قال : اني لاحب أن أتزين للمرأة كما احب ان تتزين لي المرأة لان الله يقول (ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف . رواه ابن جرير وابن ابي حاتم وقوله (وللرجال عليهن درجة) اى في الفضيلة في الخلق والخلق والمنزلة وطاعة الامر والانفاق والقيام بالمصالح والفضل في الدنيا والآخرة كما قال تعالى (الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من اموالهم)

وقوله (والله عزيز حكيم) اى عزيز في انتقامه ممن عصاه وخالف امره حكيم في أمره وشرعه وقدره

---

(٢٢٨) الطلاق مرتان فامساك بمعروف أو تسريح باحسان ولا يحل لكم أن تاخذوا

مبرح ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف وقد تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعده كتاب الله وأنتم تسئلون عني فما أنتم قائلون ؟ قالوا : نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت فقال بأصبعه السبابة يرفعها الى السماء وينكتها الى الناس اللهم اشهد » ثلاث مرات أخبرنا احمد بن عبد الله الصالحي أنا احمد بن الحسن الحيري أنا حاجب بن احمد الطوسي أنا محمد بن يحيى أنا يعلى بن عبيد أنا محمد ابن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا وخياركم خياركم لنسائكم »

قوله تعالى ﴿ وللرجال عليهن درجة ﴾ قال ابن عباس : بما ساق اليها من المهر وأنفق عليها من المال وقال قتادة : بالجهاد وقيل بالعقل وقيل بالشهادة وقيل بالميراث وقيل بالدية وقيل بالطلاق . لان الطلاق بيد الرجال وقيل بالرجعة وقال سفيان وزيد بن أسلم : بالامارة وقال القتيبي (وللرجال عليهن درجة) معناه فضيلة في الحق ﴿ والله عزيز حكيم ﴾ أخبرنا أحمد بن عبدالله الصالحي أخبرنا ابو سعيد محمد بن موسى الصيرفي أنا ابو عبد الله محمد بن عبد الله الصفار أخبرنا احمد بن محمد بن عيسى البرتي أنا حذيفة أنا سفيان عن الاعمش عن أبي ظبيان أن معاذ بن جبل خرج في غزاة بعثه النبي صلى الله عليه وسلم فيها ثم رجع فرأى رجالا يسجد بعضهم لبعض فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم « لو أمرت أحدا أن يسجد لاحد لامرت المرأة ان تسجد لزوجها »

قوله تعالى ﴿ الطلاق مرتان ﴾ روي عن عروة بن الزبير قال : كان الناس في الابتداء من غير

مما اتيتموهن شيئا الا أن يخافا الا يقيما حدود الله. فان خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون (٢٢٩) فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره. فان طلقها فلا جناح عليهما ان يتراجعا ان ظنا ان يقيما حدود الله وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون

هذه الآية الكريمة رافعة لما كان عليه الامر في ابتداء الاسلام من أن الرجل كان أحق برجعة امرأته وان طلقها مائة مرة ما دامت في العدة فلما كان هذا فيه ضرر على الزوجات قصرهم الله الى ثلاث طلقات وأباح الرجعة في المرة والثنتين وابانها بالكلية في الثالثة. فقال (الطلاق مرتان فامساك بمعروف او تسريح باحسان) قال ابوداود رحمه الله في سننه (باب نسخ المراجعة بعد الطلقات الثلاث) حدثنا احمد بن محمد المروزى حدثني علي بن حسين بن واقد عن ابيه عن يزيد النحوى عن عكرمة عن ابن عباس (والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله في ارحامهن) الآية . وذلك ان الرجل كان اذا طلق امرأته فهو احق برجعتها وان طلقها ثلاثا فنسخ ذلك فقال (الطلاق مرتان) الآية . ورواه النسائي عن زكريا بن يحيي عن اسحق بن ابراهيم عن علي بن الحسين به . وقال ابن ابي حاتم : حدثنا هرون بن اسحق حدثنا عبدة يعنى بن سليمان عن هشام بن عروة عن ابيه ان رجلا قال لامرأته : لا اطلقك ابدا ولا آويك ابدا قالت : وكيف ذلك؟ قال: اطلق حتى اذا دنا اجلك راجعتك فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فأنزل الله عز وجل (الطلاق مرتان) وهكذا رواه ابن جرير في تفسيره من طريق جرير بن عبد الحميد وابن ادريس . ورواه عبد بن حميد في تفسيره عن جعفر بن عون كلهم عن هشام عن ابيه قال : كان الرجل احق برجعة امرأته وان طلقها ما شاء ما دامت في العدة وان رجلا من الانصار غضب على امرأته فقال : والله لا آويك ولا افارقك قالت : وكيف ذلك ؟ قال : اطلقك فاذا دنا اجلك راجعتك ثم اطلقك فاذا دنا اجلك راجعتك فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم

حصر ولا عدد وكان الرجل يطلق امرأته فاذا قاربت انقضاء عدتها راجعها ثم طلقها كذلك ثم راجعها يقصد مضارتها فنزلت هذه الآية (الطلاق مرتان) يعني الطلاق الذي يملك الرجعة عقيبه مرتان فاذا طلق ثلاثا فلا تحل له الا بعد نكاح زوج آخر

قوله تعالى ﴿ فامساك بمعروف ﴾ قيل أراد بالامساك الرجعة بعد الثانية والصحيح أن المراد منه الامساك بعد الرجعة يعني اذا راجعها بعد الرجعة الثانية فعليه أن يمسكها بالمعروف . والمعروف كل ما يعرف في الشرع من أداء حقوق النكاح وحسن الصحبة ﴿ أو تسريح باحسان ﴾ هو أن يتركها بعد الطلاق حتي تنقضي عدتها وقبل الطلقة الثالثة قوله تعالى (أو تسريح باحسان)

فأنزل الله عز وجل (الطلاق مرتان) قال : فاستقبل الناس الطلاق من كان طلق ومن لم يكن طلق وقد رواه ابو بكر بن مردويه من طريق محمد بن سليمان عن يعلي بن شبيب مولى الزبير عن هشام عن أبيه عن عائشة فذكره بنحو ما تقدم : ورواه الترمذي عن قتيبة عن يعلي بن شبيب به . ثم رواه عن أبي كريب عن ابن ادريس عن هشام عن أبيه مرسلا وقال : هذا أصح . ورواه الحاكم في مستدركه من طريق يعقوب بن حميد بن كاسب عن يعلي ابن شبيب به وقال : صحيح الاسناد ثم قال ابن مردويه : حدثنا محمد بن أحمد بن ابراهيم حدثنا اسماعيل بن عبدالله حدثنا محمد بن حميد حدثنا سلمة بن الفضل عن محمد بن اسحق عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : لم يكن للطلاق وقت، يطلق الرجل امرأته ثم يراجعها ما لم تنقض العدة وكان بين رجل من الانصار وبين أهله بعض ما يكون بين الناس فقال : والله لاتركنك لا أيما ولا ذات زوج ، فجعل يطلقها حتى اذا كادت العدة أن تنقضي راجعها ففعل ذلك مرارا فأنزل الله عز وجل فيه (الطلاق مرتان فامساك بمعروف أو تسريح باحسان) فوقت الطلاق ثلاثا لا رجعة فيه بعد الثالثة حتى تنكح زوجا غيره وهكذا روي عن قتادة مرسلا ذكره السدي وابن زيد وابن جرير كذلك واختار أن هذا تفسير هذه الآية . وقوله (فامساك بمعروف أو تسريح باحسان) أي اذا طلقها واحدة أو اثنتين فأنت مخير فيها ما دامت عدتها باقية بين أن تردها اليك ناويا الاصلاح بها والاحسان اليها وبين أن تتركها حتى تنقضي عدتها فتبين منك وتطلق سراحها محسنا اليها لا تظلمها من حقها شيئا ولا تضار بها. وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال : اذا طلق الرجل امرأته تطليقتين فليتق الله في ذلك أي في الثالثة فاما أن يمسكها بمعروف فيحسن صحابتها أو يسرحها باحسان فلا يظلمها من حقها شيئا . وقال ابن أبي حاتم أخبرنا يونس بن عبد الاعلى قراءة أخبرنا ابن وهب أخبرني سفيان الثوري حدثني اسماعيل بن سميع قال : سمعت أبا رزين يقول : جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أرأيت قول الله عز وجل (فامساك بمعروف أو تسريح باحسان) أين الثالثة قال : « التسريح باحسان» ورواه عبد بن حميد في تفسيره ولفظه أخبرنا يزيد بن أبي حكيم عن سفيان عن اسماعيل بن سميع أن أبا رزين الاسدي يقول : قال رجل يا رسول الله أرأيت قول الله (الطلاق مرتان) فأين الثالثة ؟ قال « التسريح باحسان الثالثة» ورواه الامام احمد أيضا . وهكذا

وصريح اللفظ الذي يقع به الطلاق من غير نية ثلاثة : الطلاق والفراق والسراح . وعند أبي حنيفة الصريح هو لفظ الطلاق فحسب وجملة الحكم فيه أن الحر اذا طلق زوجته طلقة او طلقتين بعد الدخول بها يجوز له مراجعتها بغير رضاها ما دامت في العدة وان لم يراجعها حتى انقضت عدتها أو طلقها قبل الدخول بها أو خالعها فلا تحل له الا بنكاح جديد باذنها واذن وليها فان طلقها ثلاثا فلا تحل له مالم تنكح زوجا غيره . وأما العبد اذا كانت تحته امرأة فطلقها طلقتين فانها لا تحل له الا بعد نكاح زوج آخر . واختلف أهل العلم فيما اذا كان أحد الزوجين رقيقا فذهب اكثرهم الى انه يعتبر عدد

رواه سعيد بن منصور عن خالد بن عبد الله عن اسماعيل بن زكريا وأبي معاوية عن اسماعيل بن سميع عن أبي رزين به وكذا رواه ابن مردويه أيضا من طريق قيس بن الربيع عن اسماعيل بن سميع عن أبي رزين به مرسلا ورواه ابن مردويه أيضا من طريق عبد الواحد بن زياد عن اسماعيل بن سميع عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم فذكره ثم قال : حدثنا عبد الله بن أحمد بن عبد الرحيم حدثنا أحمد بن يحيى حدثنا عبيد الله بن جرير بن جبلة حدثنا ابن عائشة حدثنا حماد ابن سلمة عن قتادة عن أنس بن مالك قال : جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله ذكر الله الطلاق مرتين فأين الثالثة؟ قال « (امساك بمعروف أو تسريح باحسان) »

وقوله (ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئا) أي لا يحل لكم ان تضاجروهن وتضيقوا عليهن ليفتدين منكم بما أعطيتموهن من الاصدقة أو ببعضه كما قال تعالى (ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن الا أن يأتين بفاحشة مبينة) فأما ان وهبته المرأة شيئا عن طيب نفس منها فقد قال تعالى «فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا» وأما اذا تشاقق الزوجان ولم تقم المرأة بحقوق الرجل وأبغضته ولم تقدر على معاشرته فلها أن تفتدي منه بما أعطاها ولا حرج عليها في بذلها له ولا حرج عليه في قبول ذلك منها ولهذا قال تعالى (ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئا الا ان يخافا الا يقيما حدود الله فان خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به) الآية . فأما اذا لم يكن لها عذر وسألت الافتداء منه فقد قال ابن جرير: حدثنا ابن بشار حدثنا عبد الوهاب ح وحدثني يعقوب بن ابراهيم حدثنا ابن علية قالا جميعا : حدثنا ايوب عن ابي قلابة عمن حدثه عن ثوبان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أيما امرأة سألت زوجها طلاقها في غير ما بأس فحرام عليها رائحة الجنة » وهكذا رواه الترمذي عن بندار عن عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي به وقال حسن قال : ويروى عن أيوب عن أبي قلابة عن أبي أسماء عن ثوبان ورواه بعضهم عن أيوب بهذا الاسناد ولم يرفعه . وقال الامام أحمد : حدثنا عبد الرحمن حدثنا حماد بن زيد عن ايوب عن أبي قلابة قال وذكر أبا أسماء وذكر ثوبان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أيما امرأة سألت زوجها الطلاق في غير ما بأس فحرام عليها رائحة الجنة » وهكذا رواه ابو داود وابن ماجه وابن جرير

الطلاق بالزوج فالحر يملك على زوجته الامة ثلاث طلقات والعبد لا يملك على زوجته الحرة الا طلقتين قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : الطلاق بالرجال والعدة بالنساء يعني يعتبر في عدد الطلاق حال الرجل وفي قدر العدة حال المرأة وهو قول عثمان وزيد بن ثابت وابن عباس رضي الله عنهم وبه قال عطاء وسعيد بن المسيب واليه ذهب مالك والشافعي واحمد واسحق وذهب قوم الى أن الاعتبار بالمرأة في عدد الطلاق فيملك العبد على زوجته الحرة ثلاث طلقات ولا يملك الحر على زوجته الامة الا طلقتين وهو قول سفيان الثوري وأصحاب الرأي

قوله تعالى ﴿ ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن ﴾ أعطيتموهن ﴿ شيئا ﴾ من المهور وغيرها

من حديث حماد بن زيد به (طريق أخرى) قال ابن جرير : حدثني يعقوب بن ابراهيم حدثنا المعتمر بن سليمان عن ليث بن أبي ادريس عن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « أيما امرأة سألت زوجها الطلاق في غير ما بأس حرم الله عليها رائحة الجنة » وقال المختلعات من المنافقات . ثم رواه ابن جرير والترمذي جميعا عن أبي كريب عن مزاحم ابن داود بن علية عن أبيه عن ليث هو ابن أبي سليم عن أبي الخطاب عن أبي زرعة عن ابي ادريس عن ثوبان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « المختلعات هن المنافقات » ثم قال الترمذي : غريب من هذا الوجه وليس اسناده بالقوي (حديث آخر) قال ابن جرير : حدثنا أيوب حدثنا حفص بن بشر حدثنا قيس بن الربيع عن أشعث بن سوار عن الحسن عن ثابت بن يزيد عن عقبة ابن عامر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان المختلعات المنتزعات هن المنافقات» غريب من هذا الوجه ضعيف (حديث آخر) قال الامام أحمد : حدثنا عفان حدثنا وهيب حدثنا ايوب عن الحسن عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم « المختلعات والمنتزعات هن المنافقات » (حديث آخر) قال ابن ماجه : حدثنا بكر بن خلف أبو بشر حدثنا أبو عاصم عن جعفر بن يحيى ابن ثوبان عن عمه عمارة بن ثوبان عن عطاء عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا تسأل امرأة زوجها الطلاق في غير كنهه فتجد ريح الجنة وان ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاما» ثم قد قال طائفة كثيرة من السلف وأئمة الخلف إنه لا يجوز الخلع الا أن يكون الشقاق والنشوز من جانب المرأة فيجوز للرجل حينئذ قبول الفدية واحتجوا بقوله تعالى (ولا يحل لكم ان تأخذوا مما آتيتموهن شيئا الا أن يخافا ألا يقيما حدود الله) قالوا : فلم يشرع الخلع الا في هذه الحالة فلا يجوز في غيرها الا بدليل والاصل عدمه وممن ذهب الى هذا ابن عباس وطاوس وابراهيم وعطاء والحسن والجمهور حتى قال مالك والاوزاعي : لو اخذ منها شيئا وهو مضارّ لها وجب رده اليها وكان الطلاق رجعيا قال مالك : وهو الامر الذي أدركت الناس عليه وذهب الشافعي رحمه الله الى انه يجوز الخلع في حال الشقاق وعند الاتفاق بطريق الاولى والاحرى وهذا قول جميع أصحابه قاطبة وحكى الشيخ ابو عمر بن عبد البر في كتاب الاستذكار له عن بكر بن عبد الله المزني انه ذهب الى أن الخلع منسوخ بقوله (وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا) ورواه ابن جرير عنه وهذا

ثم استثنى الخلع فقال ﴿ الا أن يخافا أن لا يقيما حدود الله ﴾ نزلت في جميلة بنت عبد الله بن أبي أوفى ويقال في حبيبة بنت سهل كانت تحت ثابت بن قيس بن شماس وكانت تبغضه وهو يحبها فكان بينهما كلام فأتت أباها فشكت اليه زوجها وقالت له أنه يسيء الي ويضربني فقال ارجعي الى زوجك فاني أكره المرأة أن لا تزال رافعة يديها تشكو زوجها قال : فرجعت اليه الثانية وبها أثر الضرب فقال لها : ارجعي الى زوجك، فلما رأت ان أباها لا يشكيها أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكت اليه زوجها وأرته آثارا بها من ضربه وقالت يا رسول الله لا أنا ولا هو فأرسل

قول ضعيف ومأخذ مردود على قائله وقد ذكر ابن جرير رحمه الله ان هذه الآية نزلت في شأن ثابت ابن قيس بن شماس وامرأته حبيبة بنت عبد الله بن ابي بن سلول ولنذكر طرق حديثها واختلاف ألفاظه: قال الامام مالك في موطئه عن يحيى بن سعيد عن عمرة بنت عبد الرحمن بن سعد بن زرارة انها اخبرته عن حبيبة بنت سهل الانصاري انها كانت تحت ثابت بن قيس بن شماس وان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج الى الصبح فوجد حبيبة بنت سهل عند بابه في الغلس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من هذه ؟» قالت : أنا حبيبة بنت سهل فقال «ما شأنك» فقالت : لا أنا ولا ثابت بن قيس لزوجها فلما جاء زوجها ثابت بن قيس قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم «هذه حبيبة بنت سهل قد ذكرت ماشاء الله ان تذكر» فقالت حبيبة : يا رسول الله كل ما أعطاني عندي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «خذ منها» فأخذ منها وجلست في اهلها . وهكذا رواه الامام احمد عن عبدالرحمن بن مهدي عن مالك باسناده مثله ورواه ابو داود عن القعنبي عن مالك والنسائي عن محمد بن مسلمة عن ابن القاسم عن مالك (حديث آخر) عن عائشة . قال ابو داود وابن جرير : حدثنا محمد بن معمر حدثنا ابو عامر حدثنا ابو عمرو السدوسي عن عبد الله بن ابي بكر عن عمرة عن عائشة ان حبيبة بنت سهل كانت تحت ثابت بن قيس بن شماس فضربها فانكسر(١) بعضها فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الصبح فاشتكته اليه فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثابتا فقال «خذ بعض مالها وفارقها» قال : ويصلح ذلك يا رسول الله؟ قال «نعم» قال : اني أصدقتها حديقتين فهما بيدها فقال النبي صلى الله عليه وسلم «خذهما وفارقها» ففعل وهذا لفظ ابن جرير وأبو عمرو السدوسي هو سعيد بن سلمة بن ابي الحسام (حديث آخر) فيه عن ابن عباس رضي الله عنه . قال البخاري : حدثنا أزهر بن جميل أخبرنا عبد الوهاب الثقفي حدثنا خالد عن عكرمة عن ابن عباس ان امرأة ثابت بن قيس بن شماس اتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله: ما اعيبُ عليه في خلق ولا دين ولكن اكره الكفر في الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «اتردين عليه حديقته» قالت : نعم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «اقبل الحديقة وطلقها تطليقة» وكذا رواه النسائي عن أزهر بن جميل باسناده مثله ورواه البخاري أيضا به عن اسحق الواسطي عن خالد هو ابن عبد الله الطحان عن خالد هو ابن مهران الحذاء عن عكرمة عن

«١» ن الازهر: فنكسر

رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ثابت بن قيس فقال «مالك ولاهلك ؟» فقال : والذي بعثك بالحق نبيا ما على وجه الارض أحب الي منها غيرك فقال لها : ما تقولين فكرهت ان تكذب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سألها فقالت : صدق يارسول الله ولكن قد خشيت ان يهلكني فاخرجني منه وقالت : يا رسول الله ما كنت لاحدثك حديثا ينزل الله عليك خلافه فهو من اكرم الناس محبة لزوجته ولكني ابغضه فلا انا ولا هو . قال ثابت : يا رسول الله قد أعطيتها حديقة فقل لها ان تردها علي واخلي سبيلها فقال لها «تردين عليه حديقته وتملكين أمرك» قالت: نعم فقال رسول الله صلى

ابن عباس به نحوه » وهكذا رواه البخاري من طرق عن أيوب عن عكرمة عن ابن عباس وفي بعضها أنها قالت : لا اطيقه يعني بغضا . رهذا الحديث من افراد البخاري من هذا الوجه . ثم قال حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد بن زيد عن عكرمة ان جميلة رضي الله عنها — كذا قال — والمشهور ان اسمها حبيبة كما تقدم لكن قال الامام ابو عبد الله بن بطة : حدثني ابو يوسف يعقوب ابن يوسف الطباخ حدثنا ابو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي (١) حدثنا عبيد الله ابن عمر القواريري حدثني عبد الاعلى حدثنا سعيد عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس ان جميلة بنت سلول اتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت : والله ما اعتب على ثابت بن قيس في دين ولا خلق ولكنني اكره الكفر في الاسلام لا اطيقه بغضا فقال النبي صلى الله عليه وسلم « تردين عليه حديقته ؟ » قالت : نعم . فأمره النبي صلى الله عليه وسلم ان يأخذ ما ساق ولا يزداد وقد رواه ابن مردويه في تفسيره عن موسى بن هرون حدثنا أزهر بن مروان حدثنا عبد الاعلى مثله (١) وهكذا رواه ابن ماجه عن أزهر بن مروان باسناده مثله سواء وهو اسناد جيد مستقيم وقال ابن جرير : حدثنا ابن حميد حدثنا يحيى بن واضح حدثنا الحسين بن واقد عن ثابت عن عبد الله ابن رباح عن جميلة بنت عبد الله بن أبيّ ابن سلول أنها كانت تحت ثابت بن قيس فنشزت عليه فأرسل اليها النبي صلى الله عليه وسلم فقال « يا جميلة ما كرهت من ثابت ؟ » قالت : والله ما كرهت منه دينا ولا خلقا إلا أني كرهت دمامته فقال لها : « أتردين عليه الحديقة » قالت نعم فردت الحديقة وفرق بينهما . وقال ابن جرير أيضا حدثنا محمد بن عبد الاعلى حدثنا المعتمر بن سليمان قال قرأت على فضيل عن أبي جرير أنه سأل عكرمة هل كان للخلع أصل ؟ قال : كان ابن عباس يقول ان أول خلع كان في الاسلام في أخت عبد الله بن أبيّ أنها أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله لا يجمع رأسي ورأسه شيء أبداً إني رفعت جانب الخباء فرأيته قد أقبل في عدة فاذا هو أشدهم سوادا وأقصرهم قامة وأقبحهم وجها فقال زوجها يا رسول الله إني قد أعطيتها أفضل مالي حديقة لي فان ردت عليّ حديقتي قال : ما تقولين ؟ قالت : نعم وإن شاء زدته . قال ففرق بينهما (حديث آخر) قال ابن ماجه : حدثنا أبو كريب حدثنا أبو خالد الاحمر عن حجاج عن عمرو بن شعيب عن أبيه

(١) سقطت هذه الرواية من نسخة الازهر

(١) صرح في نسخة الازهر بلفظ الحديث هنا لسقوط الرواية التي قبلها وفيها فامره أن ياخذ منها حديقته

الله عليه وسلم « يا ثابت خذ منها ما أعطيتها وخل سبيلها» فقال . أخبرنا عبدالواحد المليحي أنا احمد ابن عبد الله النعيمي انا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل أنا زاهر بن جميل أخبرنا عبد الوهاب الثقفي أنا خالد عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما ان امرأة ثابت بن قيس أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت : يا رسول الله ما اعتب عليه في خلق ولا دين ولكني اكره الكفر في الاسلام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اتردين عليه حديقته؟» قالت : نعم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اقبل الحديقة وطلقها تطليقة. قوله تعالى (الا ان يخافا) أى يعلما (ان لا يقيما حدود الله) قرأ ابو جعفر وحمزة ويعقوب (الا أن يخافا) بضم الياء أي يعلم ذلك منهما يعني يعلم القاضي والوالي

عن جده قال : كانت حبيبة بنت سهل تحت ثابت بن قيس بن شماس وكان رجلا دميما فقالت : يا رسول الله والله لو لا مخافة الله اذا دخل علي بصقت في وجهه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تردين عليه حديقته؟ » قالت نعم فردت عليه حديقته قال ففرق بينهما رسول الله صلى الله عليه وسلم

وقد اختلف الائمة رحمهم الله في أنه هل يجوز للرجل أن يفاديها بأكثر مما أعطاها فذهب الجمهور الى جواز ذلك لعموم قوله تعالى (فلا جناح عليهما فيما افتدت به) وقال ابن جرير : حدثنا يعقوب بن ابراهيم حدثنا ابن علية أخبرنا أيوب عن كثير مولى ابن سمرة أن عمر أتي بامرأة ناشز فأمر بها الى بيت كثير الزبل ثم دعا بها فقال كيف وجدت ؟ فقالت ما وجدت راحة منذ كنت عنده الا هذه الليلة التي كنت حبستني فقال لزوجها اخلعها ولو من قرطها ورواه عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن كثير مولى ابن سمرة فذكر مثله وزاد فحبسها فيه ثلاثة أيام قال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن حميد بن عبد الرحمن أن امرأة أتت عمر بن الخطاب فشكت زوجها فأباتها في بيت الزبل فلما أصبحت قال كيف وجدت مكانك ؟ قالت ما كنت عنده ليلة أقر لعيني من هذه الليلة. فقال خذ ولو عقاصها وقال البخاري : وأجاز عثمان الخلع دون عقاص رأسها وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن عبد الله بن محمد بن عقيل أن الربيع بنت معوذ بن عفراء حدثته قالت : كان لي زوج يقل علي الخير اذا حضرني ويحرمني اذا غاب عني قالت فكانت مني زلة يوما فقلت : أختلع منك بكل شيء أملكه قال : نعم قالت ففعلت قالت فخاصم عمي معاذ بن عفراء الى عثمان بن عفان فأجاز الخلع وأمره أن يأخذ عقاص رأسي فما دونه أو قالت ما دون عقاص الرأس ومعنى هذا أنه يجوز أن يأخذ منها كل ما بيدها من قليل وكثير ولا يترك لها سوى عقاص شعرها وبه يقول ابن عمر وابن عباس ومجاهد وعكرمة وابراهيم النخعي وقبيصة بن ذؤيب والحسن بن صالح وعثمان البتي وهذا مذهب مالك والليث والشافعي وأبي ثور واختاره ابن جرير وقال أصحاب أبي حنيفة ان كان الاضرار من قبلها جاز أن يأخذ منها ما أعطاها ولا يجوز الزيادة عليه فان ازداد جاز في القضاء وان كان الاضرار من جهته لم يجز أن يأخذ منها شيئا فان أخذ جاز في القضاء وقال الامام احمد وأبو عبيد واسحق بن راهويه لا يجوز أن يأخذ أكثر مما أعطاها وهذا قول سعيد بن المسيب وعطاء وعمرو ابن شعيب والزهري وطاوس والحسن والشعبي وحماد بن أبي سليمان والربيع بن أنس وقال معمر

ذلك من الزوجين بدليل قوله تعالى (فان خفتم) فجعل الخوف لغير الزوجين ولم يقل فان خافا وقرأ الآخرون (يخافا) بفتح الياء أي يعلم الزوجان من انفسهما (أن لا يقيما حدود الله) تخاف المرأة ان تعصى الله في امر زوجها ويخاف الزوج اذا لم تطعه امرأته ان يعتدي عليها فنهى الله الرجل ان يأخذ من امرأته شيئا مما آتاها الا ان يكون النشوز من قبلها فقالت : لا أطيع لك امرا ولا أطأ لك مضجعا ونحو ذلك

قال الله تعالى (فان خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به) أى فيما افتدت

والحكم كان علي يقول لا يأخذ من المختلعة فوق ما أعطاها وقال الاوزاعي القضاة لا يجيزون أن يأخذ منها أكثر مما ساق اليها (قلت) ويستدل لهذا القول بما تقدم من رواية قتادة عن عكرمة عن ابن عباس في قصة ثابت بن قيس فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأخذ منها الحديقة ولا يزداد وبما روى عبد بن حميد حيث قال: أخبرنا قبيصة عن سفيان عن ابن جريج عن عطاء أن النبي صلى الله عليه وسلم كره أن يأخذ منها أكثر مما أعطاها يعني المختلعة وحملوا معنى الآية على معنى (فلا جناح عليهما فيما افتدت به) أي من الذي أعطاها لتقدم قوله (ولا تأخذوا مما آتيتموهن شيئا الا أن يخافا أن لا يقيما حدود الله فان خفتم أن لا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به) أي من ذلك وهكذا كان يقرؤها الربيع بن أنس (فلا جناح عليهما فيما افتدت به منه) رواه ابن جرير ولهذا قال بعده (تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون)

(فصل) قال الشافعي: اختلف أصحابنا في الخلع فأخبرنا سفيان عن عمرو بن دينار عن طاوس عن ابن عباس في رجل طلق امرأته تطليقتين ثم اختلعت منه بعد: يتزوجها ان شاء لان الله تعالى يقول الطلاق مرتان — قرأ الى — أن يتراجعا) قال الشافعي: وأخبرنا سفيان عن عمرو عن عكرمة قال: كل شيء أجازه المال فليس بطلاق وروى غير الشافعي عن سفيان بن عيينة عن عمرو ابن دينار عن طاوس عن ابن عباس أن ابراهيم بن سعد بن أبي وقاص سأله فقال: رجل طلق امرأته تطليقتين ثم اختلعت منه أيتزوجها؟ قال: نعم ليس الخلع بطلاق ذكر الله الطلاق في أول الآية وآخرها والخلع فيما بين ذلك فليس الخلع بشيء ثم قرأ (الطلاق مرتان فامساك بمعروف أو تسريح باحسان) وقرأ (فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره) وهذا الذي ذهب اليه ابن عباس رضي الله عنهما من أن الخلع ليس بطلاق وانما هو فسخ هو رواية عن أمير المؤمنين عثمان بن عفان وابن عمر وهو قول طاوس وعكرمة وبه يقول احمد بن حنبل واسحق بن راهويه وأبو ثور وداود بن علي الظاهري وهو مذهب الشافعي القديم وهو ظاهر الآية الكريمة والقول الثاني في الخلع أنه طلاق بائن الا أن ينوي أكثر من ذلك قال مالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن جمهان مولى الاسلميين عن ام بكر الاسلمية أنها اختلعت من زوجها عبد الله بن خالد بن أسيد فأتيا عثمان

به المرأة نفسها منه قال الفراء: اراد بقوله (عليهما) الزوج دون المرأة فذكرهما جميعا لاقترانهما كقوله تعالى (نسيا حوتهما) وانما الناسي فتى موسى دون موسى وقيل أراد انه لا جناح عليهما جميعا لا جناح على المرأة في النشوز اذا خشيت الهلاك والمعصية ولا فيما افتدت به وأعطت من المال لانها ممنوعة من اتلاف المال بغير حق ولا على الزوج فيما اخذ منها من المال اذا اعطته طائعة وذهب اكثر أهل العلم الى ان الخلع جائز على اكثر مما اعطاها وقال الزهري. لايجوز بأكثر مما أعطاها من المهر. وقال سعيد بن المسيب: لا يأخذ منها جميع ما اعطاها بل يترك شيئا ويجوز الخلع على غير حال النشوز غير انه يكره لما فيه من قطع الوصلة بلا سبب. اخبرنا ابو سعيد الشريحي أنا ابو

ابن عفان في ذلك فقال تطليقة الا أن تكون سميت شيئا فهو ما سميت قال الشافعي ولا أعرف جهمان وكذا ضعف احمد بن حنبل هذا الاثر والله أعلم. وقد روي نحوه عن عمر وعلي وابن مسعود وابن عمر وبه يقول سعيد بن المسيب والحسن وعطاء وشريح والشعبي وابراهيم وجابر بن زيد واليه ذهب مالك وأبو حنيفة وأصحابه والثوري والاوزاعي وابو عثمان البتي والشافعي في الجديد غير أن الحنفية عندهم أنه متى نوى المخالع بخلعه تطليقة أو اثنتين أو أطلق فهو واحدة بائنة وان نوى ثلاثا فثلاث وللشافعي قول آخر في الخلع وهو أنه متى لم يكن بلفظ الطلاق وعري عن البينة فليس هو بشيء بالسكلية

(مسئلة) وذهب مالك وأبو حنيفة والشافعي واحمد وأسحق بن راهويه في رواية عنهما وهي المشهورة الى أن المختلعة عدتها عدة المطلقة بثلاثة قروء ان كانت ممن تحيض وروي ذلك عن عمر وعلي وابن عمر وبه يقول سعيد بن المسيب وسليمان بن يسار وعروة وسالم وأبو سلمة وعمر بن عبد العزيز وابن شهاب والحسن والشعبي وابراهيم النخعي وابو عياض وخلاس بن عمر وقتادة وسفيان الثوري والاوزاعي والليث بن سعد وابو عبيد قال الترمذي وهو قول اكثر اهل العلم من الصحابة وغيرهم ومأخذهم في هذا ان الخلع طلاق فتعتد كسائر المطلقات والقول الثاني انها تعتد بحيضة واحدة تستبرىء بها رحمها قال ابن ابي شيبة حدثنا يحيى بن سعيد عن نافع عن ابن عمر ان الربيع اختلعت من زوجها فأتى عمها عثمان رضي الله عنه فقال تعتد بحيضة قال وكان ابن عمر يقول تعتد ثلاث حيض حتى قال هذا عثمان فكان ابن عمر يفتي به ويقول عثمان خيرنا واعلمنا. وحدثنا عبدة عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر قال: عدة المختلعة حيضة . وحدثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربي عن ليث عن طاوس عن ابن عباس قال: عدتها حيضة وبه يقول عكرمة وابان بن عثمان وكل من تقدم ذكره ممن يقول ان الخلع فسخ يلزمه القول بهذا واحتجوا لذلك بما رواه ابو داود والترمذي حيث قال كل منهما حدثنا محمد بن عبد الرحيم البغدادي: حدثنا علي بن بحر اخبرنا هشام بن يوسف عن معمر عن عمرو بن مسلم عن عكرمة عن ابن عباس ان امراة ثابت بن قيس اختلعت من زوجها على عهد النبي صلى الله عليه وسلم فأمرها النبي صلى الله عليه وسلم ان تعتد بحيضة ثم قال الترمذي = ن غريب وقد رواه عبد الرزاق عن معمر عن عمرو بن مسلم عن عكرمة مرسلا (حديث آخر) قال الترمذي : حدثنا محمود بن غيلان

اسحق الثعلبي أنا ابو عبد الله بن فنجوية الدينوري أنا عبد الله بن محمد بن شيبة أنا احمد بن جعفر المستملي أنا ابو محمد يحيى بن اسحق بن شاكر بن احمد بن خباب أنا عيسى بن يونس أنا عبيد الله ابن الوليد الوصافي عن محارب بن دثار عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن من أبغض الحلال الى الله تعالى الطلاق ولا أحب اليه من العتق » أخبرنا ابو سعيد الشريحي أنا ابو اسحق الثعلبي أخبرني ابن فنجويه أنا ابن ابي أنا محمد بن عثمان بن ابي شيبة انا ابي انا اسامة عن حماد بن زيد عن ابي ايوب عن ابي قلابة عن ابي اسماء الرحبي عن ثوبان يرفعه الى

حدثنا الفضل بن موسى عن سفيان حدثنا محمد بن عبد الرحمن وهو مولى آل طلحة عن سليمان بن يسار عن الربيع بنت معوذ بن عفراء انها اختلعت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمرها النبي صلى الله عليه وسلم او امرت ان تعتد بحيضة قال الترمذي : الصحيح انها امرت ان تعتد بحيضة (طريق اخرى) قال ابن ماجه : حدثنا علي بن سلمة النيسابوري حدثنا يعقوب بن ابراهيم بن سعد حدثنا ابي عن ابن اسحق اخبرني عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت عن الربيع بنت معوذ بن عفراء قال : قلت لها حدثيني حديثك قالت : اختلعت من زوجي ثم جئت عثمان فسألت عثمان ماذا عليّ من العدة ؟ قال : لا عدة عليك الا أن يكون حديث عهد بك فتمكثين عنده حتى تحيضي حيضة قالت : وانما أتبع في ذلك قضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم في مريم المغالية وكان تحت ثابت بن قيس فاختلعت منه وقد روى ابن لهيعة عن أبي الاسود عن أبي سلمة ومحمد بن عبد الرحمن بن ثوبان عن الربيع بنت معوذ قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر امرأة ثابت بن قيس حين اختلعت منه أن تعتد بحيضة

(مسئلة) وليس المخالع أن يراجع المختلعة في العدة بغير رضاها عند الائمة الاربعة وجمهور العلماء لانها قد ملكت نفسها بما بذلت له من العطاء وروي عن عبدالله بن أبي أوفى وماهان الحنفي وسعيد بن المسيب والزهري أنهم قالوا : إن رد اليها الذي أعطاها جاز له رجعتها في العدة بغير رضاها وهو اختيار أبي ثور رحمه الله وقال سفيان الثوري : ان كان الخلع بغير لفظ الطلاق فهو فرقة ولا سبيل له عليها وان كان يسمى طلاقا فهو أملك لرجعتها ما دامت في العدة وبه يقول داود بن علي الظاهري واتفق الجميع على أن المختلع أن يتزوجها في العدة وحكى الشيخ أبو عمر بن عبد البر عن فرقة أنه لا يجوز له ذلك كما لا يجوز لغيره وهوقول شاذ مردود

(مسئلة) وهل له أن يوقع عليها طلاقا آخر في العدة ؟ فيه ثلاثة أقوال للعلماء : (أحدها) ليس له ذلك لانها قد ملكت نفسها وبانت منه وبه يقول ابن عباس وابن الزبير وعكرمة وجابر بن زيد والحسن البصري والشافعي واحمد بن حنبل واسحق بن راهويه وأبو ثور، والثاني قال مالك : ان أتبع الخلع طلاقا من غير سكوت بينهما وقع وان سكت بينهما لم يقع قال ابن عبد البر : وهذا يشبه ما روي عن عثمان رضي الله عنه، والثالث أنه يقع عليها الطلاق بكل حال ما دامت في العدة وهو

النبي صلى الله عليه وسلم قال « ايما امرأة سألت زوجها الطلاق في غير بأس فحرام عليها رائحة الجنة» وقال طاوس : الخلع يختص بحالة خوف النشوز الظاهر الآية . والآية خرجت على وفق العادة ان الخلع لا يكون الا في حال خوف النشوز غالبا واذا طلق الرجل امراته بلفظ الطلاق على مال فقبلت وقعت البينونة وانتقص به العدد . واختلف اهل العلم في الخلع فذهب اكثرهم الى انه تطليقة بائنة ينتقص بها عدد الطلاق وهو قول عمر وعثمان وعلي وابن مسعود وبه قال سعيد بن المسيب وعطاء والحسن والشعبي والنخعي واليه ذهب مالك والثوري والاوزاعي واصحاب الرأي وهواظهر قولي

قول أبي حنيفة وأصحابه والثوري والاوزاعي وبه يقول سعيد بن المسيب وشريح وطاوس وابراهيم والزهري والحاكم والحكم وحماد بن أبي سليمان وروي ذلك عن ابن مسعود وأبي الدرداء قال ابن عبد البر : وليس ذلك بثابت عنهما

وقوله (تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون) أي هذه الشرائع التي شرعها لكم هي حدوده فلا تتجاوزوها كما ثبت في الحديث الصحيح « ان الله حد حدودا فلا تعتدوها وفرض فرائض فلا تضيعوها وحرم محارم فلا تنتهكوها وسكت عن أشياء رحمة لكم غير نسيان فلا تسألوا عنها » وقد يستدل بهذه الآية من ذهب الى أن جمع الطلقات الثلاث بكلمة واحدة حرام كما هو مذهب المالكية ومن وافقهم وانما السنة عندهم أن يطلق واحدة لقوله (الطلاق مرتان) ثم قال (تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون) ويقوون ذلك بحديث محمود بن لبيد الذي رواه النسائي في سننه حيث قال : حدثنا سليمان بن داود أخبرنا ابن وهب عن مخرمة بن بكير عن أبيه عن محمود بن لبيد قال : أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن رجل طلق امرأته ثلاث تطليقات جميعا فقام غضبان ثم قال . « أيلعب بكتاب الله وأنا بين أظهركم » حتى قام رجل فقال يا رسول الله ألا أقتله ؟— فيه انقطاع —

وقوله تعالى (فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره) أي أنه اذا طلق الرجل امرأته طلقة ثالثة بعد ما أرسل عليها الطلاق مرتين فانها تحرم عليه (حتى تنكح زوجا غيره) أي حتى يطأها زوج آخر في نكاح صحيح فلو وطئها واطئ في غير نكاح ولو في ملك اليمين لم تحل للاول لانه ليس بزوج وهكذا لو تزوجت ولكن لم يدخل بها الزوج لم تحل للاول واشتهر بين كثير من الفقهاء أن (١) سعيد بن المسيب رحمه الله أنه يقول: يحصل المقصود من تحليلها للاول بمجرد العقد على الثاني وفي صحته عنه نظر على أن الشيخ أبا عمر بن عبد البر قد حكاه عنه في الاستذكار والله أعلم . وقد قال أبو جعفر بن جرير رحمه الله : حدثنا ابن بشار حدثنا محمد بن جعفر عن شعبة عن علقمة ابن

١) كذا ولعله عن

الشافعي وذهب قوم الى انه فسخ لا ينتقض به عدد الطلاق وهو قول عبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم . وبه قال عكرمة وطاوس واليه ذهب احمد واسحق واحتجوا بأن الله تعالى ذكر الطلاق مرتين ثم ذكر بعده الخلع ثم ذكر بعده الطلقة الثالثة فقال (فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره) ولو كان الخلع طلاقا لكان الطلاق اربعا ومن قال بالقول الاول جعل الطلقة الثالثة (او تسريح باحسان)

قوله تعالى ﴿ تلك حدود الله ﴾ اى هذه اوامر الله ونواهيه وحدود الله ما منع الشرع من المجاوزة عنه ﴿ فلا تعتدوها ﴾ فلا تجاوزوها ﴿ ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون ﴾

قوله تعالى ﴿ فان طلقها ﴾ يعني الطلقة الثالثة ﴿ فلا تحل له من بعد ﴾ اى من بعد الطلقة الثالثة ﴿ حتى تنكح زوجا غيره ﴾ اى غير المطلق فيجامعها والنكاح يتناول الوطء والعقد جميعا نزلت في

مرثد عن سالم بن رزين عن سالم بن عبد الله عن سعيد بن المسيب عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم في الرجل يتزوج المرأة فيطلقها قبل أن يدخل بها البتة فيتزوجها زوج آخر فيطلقها قبل أن يدخل بها أترجع الى الاول ؟ قال « لا حتى تذوق عسيلته ويذوق عسيلتها هكذا وقع في رواية ابن جرير وقد رواه الامام احمد فقال : حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن علقمة بن مرثد قال : سمعت سالم بن رزين يحدث عن سالم بن عبد الله يعني ابن عمر عن سعيد بن المسيب عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم في الرجل تكون له المرأة فيطلقها ثم يتزوجها رجل فيطلقها قبل أن يدخل بها فترجع الى زوجها الاول فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « حتى تذوق العسيلة » وهكذا رواه النسائي عن عمرو بن علي الفلاس وابن ماجه عن محمد بن بشار بندار كلاهما عن محمد بن جعفر غندر عن شعبة به كذلك فهذا من رواية سعيد بن المسيب عن ابن عمر مرفوعا على خلاف ما يحكى عنه فبعيد أن يخالف ما رواه بغير مستند والله أعلم . وقد روى احمد أيضا والنسائي وابن جرير هذا الحديث من طريق سفيان الثوري عن علقمة بن مرثد عن رزين بن سليمان الاحمري عن ابن عمر قال : سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الرجل يطلق امرأته ثلاثا فيتزوجها آخر فيغلق الباب ويرخي الستر ثم يطلقها قبل أن يدخل بها هل تحل للاول ؟ قال : « حتى تذوق العسيلة » وهذا لفظ احمد وفي رواية لاحمد سليمان بن رزين (حديث آخر) قال الامام احمد : حدثنا عفان حدثنا محمد بن دينار حدثنا يحيى بن يزيد الهنائي عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن رجل كانت تحته امرأة فطلقها ثلاثا فتزوجت بعده رجلا فطلقها قبل أن يدخل بها أتحل لزوجها الاول ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا حتى يكون الآخر قد ذاق من عسيلتها وذاقت من عسيلته » وهكذا رواه ابن جرير عن محمد بن ابراهيم الانماطي عن هشام بن عبد الملك حدثنا محمد بن دينار فذكره (قلت) ومحمد بن دينار بن صندل أبو بكر الازدي ثم الطائي البصري ويقال له ابن أبي الفرات اختلفوا فيه فمنهم من ضعفه ومنهم من قواه وقبله وحسن له وذكر أبو داود أنه تغير قبل موته فالله أعلم . (حديث آخر) قال ابن جرير : حدثنا عبيد بن آدم بن أبي اياس العسقلاني حدثنا أبي حدثنا شيبان حدثنا يحيى بن أبي كثير عن أبي الحارث الغفاري عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في المرأة يطلقها زوجها ثلاثا فتتزوج غيره فيطلقها قبل أن يدخل بها فيريد الاول أن يراجعها قال : « لا حتى يذوق الآخر عسيلتها » ثم رواه من وجه آخر عن شيبان وهو ابن عبد الرحمن به . وأبو الحرث غير معروف . (حديث آخر) قال ابن جرير : حدثنا يحيى عن عبيد الله حدثنا القاسم عن عائشة أن رجلا طلق امرأته ثلاثا فتزوجت

تميمة وقيل في عائشة بنت عبد الرحمن بن عتيك القرظي كانت تحت ابن عمها رفاعة بن وهيب بن عتيك القرظي فطلقها ثلاثا . اخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب انا عبد العزيز بن احمد الخلال انا ابو العباس الاصم انا الربيع انا الشافعي اخبرنا سفيان عن الزهرى عن عروة عن عائشة ام المؤمنين

زوجاً فطلقها قبل أن يمسها فسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أتحل للاول ؟ فقال « لا حتى يذوق من عسيلتها كما ذاق الاول » أخرجه البخاري ومسلم والنسائي من طرق عن عبيد الله بن عمر العمري عن القاسم بن أبي بكير عن عمته عائشة به (طريق أخرى) قال ابن جرير : حدثنا عبيد الله بن اسماعيل الهباري وسفيان بن وكيع وأبو هشام الرفاعي قالوا : حدثنا أبو معاوية عن الاعمش عن ابراهيم عن الاسود عن عائشة قالت : سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن رجل طلق امرأته فتزوجت رجلا غيره فدخل بها ثم طلقها قبل أن يواقعها أتحل لزوجها الاول ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تحل لزوجها الاول حتى يذوق الآخر عسيلتها وتذوق عسيلته » وكذا رواه أبو داود عن مسدد والنسائي عن أبي كريب كلاهما عن أبي معاوية وهو محمد بن حازم الضرير به (طريق أخرى) قال مسلم في صحيحه : حدثنا محمد بن العلاء الهمداني حدثنا أبو أسامة عن هشام عن أبيه عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن المرأة يتزوجها الرجل فيطلقها فتتزوج رجلا آخر فيطلقها قبل أن يدخل بها أتحل لزوجها الاول ؟ قال: « لا حتى يذوق عسيلتها » قال مسلم: وحدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا أبو فضيل (؟) وحدثنا أبو كريب حدثنا أبو معاوية جميعا عن هشام بهذا الاسناد وقد رواه البخاري من طريق أبي معاوية محمد بن حازم عن هشام به وتفرد به مسلم من الوجهين الآخرين وهكذا رواه ابن جرير من طريق عبد الله بن المبارك عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة مرفوعا بنحوه أو مثله ـ وهذا اسناد جيد ـ وكذا رواه ابن جرير أيضا من طريق علي ابن زيد بن جدعان عن امرأة أبيه أمينة أم محمد عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثله وهذا السياق مختصر من الحديث الذي رواه البخاري حدثنا عمرو بن علي حدثنا يحيى عن هشام بن عروة حدثني أبي عن عائشة مرفوعا عن النبي صلى الله عليه وسلم، وحدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا عبدة عن هشام بن عروة عن عائشة أن رفاعة القرظي تزوج امرأة ثم طلقها فأتت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت له أنه لا يأتيها وانه ليس معه الا مثل هدبة الثوب فقال : « لا حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك » تفرد به من هذا الوجه (طريق أخرى) قال الامام احمد حدثنا عبد الاعلى عن معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت . دخلت امرأة رفاعة القرظي وأنا وأبو بكر عند النبي صلى الله عليه وسلم فقالت . ان رفاعة طلقني البتة وان عبد الرحمن بن الزبير تزوجني وانما

رضي الله عنها انه سمعها تقول : جاءت امرأة رفاعة القرظي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت اني كنت عند رفاعة القرظي فطلقني فبت طلاقي وتزوجت بعده عبد الرحمن ابن الزبير وانما معه مثل هدبة الثوب فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال « اتريدين ان ترجعي الى رفاعة » قالت نعم قال «لا حتى يذوق عسيلتك وتذوقي عسيلته » وروي انها لبثت ما شاء الله ثم رجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : ان زوجي قد مسني فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم كذبت بقولك الاول فلن نصدقك في الآخر فلبثت حتى قبض النبي صلى الله عليه وسلم فأتت ابا بكر رضي

عنده مثل الهدبة وأخذت هدبة من جلبابها وخالد بن سعيد بن العاص بالباب لم يؤذن له فقال . أبا بكر الا تنهى هذه عما تجهر به بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فما زاد رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التبسم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كأنك تريدين ان ترجعي الى رفاعة ؟ لا حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك » وهكذا رواه البخارى من حديث عبد الله بن المبارك ومسلم من حديث عبد الرزاق والنسائي من حديث يزيد بن زريع ثلاثتهم عن معمر به وفي حديث عبد الرزاق عند مسلم ان رفاعة طلقها آخر ثلاث تطليقات وقد رواه الجماعة الا ابو داود من طريق سفيان بن عيينة والبخارى من طريق عقيل ومسلم من طريق يونس بن يزيد وعنده آخر ثلاث تطليقات والنسائي من طريق ايوب بن موسى ورواه صالح بن ابي الاخضر كلهم عن الزهرى عن عروة عن عائشة به . وقال مالك عن المسور بن رفاعة القرظي عن الزبير بن عبد الرحمن بن الزبير ان رفاعة ابن سموأل طلق امرأته تميمة بنت وهب في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا فنكحت عبد الرحمن ابن الزبير فاعترض عنها فلم يستطع ان يمسها ففارقها فأراد رفاعة بن سموأل أن ينكحها وهو زوجها الاول الذي كان طلقها فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنهاه عن تزويجها وقال « لا تحل لك حتى تذوق العسيلة » هكذا رواه أصحاب الموطأ عن مالك وفيه انقطاع وقد رواه ابراهيم بن طهمان وعبد الله بن وهب عن مالك عن رفاعة عن الزبير بن عبد الرحمن بن الزبير عن أبيه فوصله

(فصل) والمقصود من الزوج الثاني أن يكون راغبا في المرأة قاصدا لدوام عشرتها كما هو المشروع من التزويج واشترط الامام مالك مع ذلك أن يطأها الثاني وطأ مباحا فلو وطئها وهي محرمة أو صائمة أو معتكفة أو حائض أو نفساء أو والزوج صائم أو محرم أو معتكف لم تحل للاول بهذا الوطء وكذا لو كان الزوج الثاني ذميا لم تحل المسلم بنكاحه لان أنكحة الكفار باطلة عنده واشترط الحسن البصري فيما حكاه عنه الشيخ أبو عمر بن عبد البر ان ينزل الزوج الثاني وكأنه تمسك بما فهمه من قوله عليه الصلاة والسلام حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك ويلزم على هذا أن تنزل المرأة أيضا وليس المراد بالعسيلة المنى لما رواه الامام أحمد والنسائي عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ألا ان العسيلة الجماع » فأما اذا كان الثاني انما قصده أن يحلها للاول فهذا هو المحلل الذي وردت الاحاديث بذمه ولعنه ومتى صرح بمقصوده في العقد بطل النكاح عند جمهور الائمة

﴿ ذكر الاحاديث الواردة في ذلك ﴾

(الحديث الاول) عن ابن مسعود رضي الله عنه قال الامام أحمد : حدثنا الفضل بن دكين

الله عنه فقالت : يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ارجع الى زوجي الاول فان زوجي الآخر قد مسني وطلقني فقال لها ابو بكر قد شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اتيته وقال لك ما قال فلا ترجعي اليه فلما قبض ابو بكر رضي الله عنه اتت عمر رضي الله عنه وقالت له مثل ذلك فقال لها عمر رضي الله عنه : لا ترجعي اليه لئن رجعت اليه لارجمنك

حدثنا سفيان عن أبي قيس عن الهزيل عن عبد الله قال : لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم «الواشمة والمستوشمة والواصلة والمستوصلة والمحلل والمحلل له وآكل الربا وموكله» ثم رواه أحمد والترمذي والنسائي من غير وجه عن سفيان وهو الثوري عن أبي قيس واسمه عبد الرحمن بن ثروان الاودي عن هذيل بن شرحبيل الاودي عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم به ثم قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح . قال : والعمل على هذا عند أهل العلم من الصحابة منهم عمر وعثمان وابن عمر وهو قول الفقهاء من التابعين ويروى ذلك عن علي وابن مسعود وابن عباس (طريق أخرى) عن ابن مسعود . قال الامام احمد : حدثنا زكريا بن عدي حدثنا عبيد الله عن عبد الكريم عن أبي الواصل عن ابن مسعود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «لعن الله المحلل والمحلل له» (طريق أخرى) روى الامام احمد والنسائي من حديث الاعمش عن عبد الله بن مرة عن الحارث الاعور عن عبد الله بن مسعود قال : آكل الربا وموكله وشاهداه وكاتبه اذا علموا به والواصلة والمستوصلة ولاوي الصدقة والمتعدي فيها والمرتد عن عقبيه أعرابيا بعد هجرته والمحلل والمحلل له ملعونون على لسان محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة

(الحديث الثاني) عن علي رضي الله عنه قال الامام أحمد : حدثنا عبد الرزاق أخبرنا سفيان عن جابر عن الشعبي عن الحارث عن علي قال : لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم آكل الربا وموكله وشاهديه وكاتبه والواشمة والمستوشمة للحسن ومانع الصدقة والمحلل والمحلل له وكان ينهى عن النوح وكذا رواه عن غندر عن شعبة عن جابر وهو ابن يزيد الجعفي عن الشعبي عن الحارث عن علي به وكذا رواه من حديث اسماعيل بن أبي خالد وحصين بن عبد الرحمن ومجالد بن سعيد وابن عون عن عامر الشعبي به وقد رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث الشعبي به . ثم قال أحمد أخبرنا محمد بن عبد الله أخبرنا اسرائيل عن أبي اسحق عن الحارث عن علي قال لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم صاحب الربا وآكله وكاتبه وشاهده والمحلل والمحلل له

(الحديث الثالث) عن جابر رضي الله عنه قال الترمذي : أخبرنا أبو سعيد الاشج أخبرنا أشعث ابن عبد الرحمن بن يزيد الايامي حدثنا مجالد عن الشعبي عن جابر بن عبد الله وعن الحرث عن علي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن المحلل والمحلل له ثم قال : وليس اسناده بالقائم ومجالد ضعفه

قوله تعالى ﴿ فان طلقها فلا جناح عليهما ان يتراجعا ﴾ يعنى فان طلقها الزوج الثاني بعد ما جامعها (فلا جناح عليهما) يعنى على المراة وعلى الزوج الاول (ان يتراجعا) يعنى بنكاح جديد ﴿ ان ظنا ﴾ اى علما وقيل رجوا، لان احداً لا يعلم ما هو كائن الا الله عز وجل ﴿ ان يقيما حدود الله ﴾ اي يكون بينهما الصلاح وحسن الصحبة وقال مجاهد : معناه ان علما ان نكاحهما على غير الدلسة واراد بالدلسة التحليل وهو مذهب سفيان الثوري والاوزاعي ومالك واحمد واسحق قالوا اذا تزوجت المطلقة ثلاثة زوجا آخر ليحلها الزوج الاول فان النكاح فاسد وذهب جماعة الى انه

غير واحد من أهل العلم منهم أحمد بن حنبل قال ، ورواه ابن نمير عن مجالد عن الشعبي عن جابر ابن عبد الله عن علي قال ، وهذا وهم من ابن نمير والحديث الاول أصح

(الحديث الرابع) عن عقبة بن عامر رضي الله عنه . قال أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه حدثنا يحيى بن عثمان بن صالح المصري أخبرنا أبي سمعت الليث بن سعد يقول : قال أبو المصعب مسرح هو ابن عاهان(١) قال عقبة عامر : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألا أخبركم بالتيس المستعار » قالوا : بلى يا رسول الله قال « هو المحلل ، لعن الله المحلل والمحلل له » تفرد به ابن ماجه وكذا رواه ابراهيم بن يعقوب الجوزجاني عن عثمان بن صالح عن الليث به ، ثم قال : كانوا ينكرون على عثمان في هذا الحديث انكارا شديدا (قلت) عثمان هذا أحد الثقات روى عنه البخاري في صحيحه ثم قد تابعه غيره فرواه جعفر الفريابي عن العباس المعروف بابن فريق عن أبي صالح عبد الله بن صالح عن الليث به فبرئ من عهدته والله أعلم

(الحديث الخامس) عن ابن عباس رضي الله عنهما . قال ابن ماجه ، حدثنا محمد بن بشار حدثنا أبو عامر عن زمعة بن صالح عن سلمة بن وهرام عن عكرمة عن ابن عباس قال : لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم المحلل والمحلل له (طريق أخرى) قال الامام الحافظ خطيب دمشق أبو اسحق ابراهيم بن يعقوب الجوزجاني السعدى حدثنا ابن أبي مريم حدثنا ابراهيم بن اسماعيل بن أبي حبيبة عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نكاح المحلل قال «لا ، الانكاح رغبة لانكاح دلسة ولا استهزاء بكتاب الله ثم يذوق عسيلتها» ويتقوى هذان الاسنادان بما رواه أبو بكر بن أبي شيبة عن حميد بن عبد الرحمن عن موسى بن أبي الفرات عن عمرو بن دينار عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحو من هذا فيتقوى كل من هذا المرسل والذي قبله بالآخر والله أعلم .

(الحديث السادس) عن أبي هريرة رضي الله عنه . قال الامام أحمد : حدثنا أبو عامر حدثنا عبد الله هو ابن جعفر عن عثمان بن محمد المقبري عن أبي هريرة قال : لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم المحلل والمحلل له . وهكذا رواه أبو بكر بن أبي شيبة والجوزجاني والبيهقي من طريق عبد الله بن جعفر القرشي وقد وثقه أحمد بن حنبل وعلى بن المديني ويحيى بن معين وغيرهم وأخرج له مسلم في

(١) وفى نسخة الازهر: أبو المصعب سرح بن عاهان. ولم أجد الحديث في سنن ابن ماجه

اذا لم يشترط في النكاح مع الثاني انه يفارقها فالنكاح صحيح ويحصل به التحليل ولها صداق مثلها غير انه يكره اذا كان في عزمها ذلك اخبرنا أبو الفرج المظفر بن اسماعيل التميمي اخبرنا أبو القاسم حمزة بن يوسف السهمي أنا أبو احمد عبد الله بن عدى الحافظ أنا الحسن بن الفرج اخبرنا عمرو ابن خالد الحراني أنا عبيد الله بن عبد الكريم هو الجزري عن أبي واصل عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « لعن الله المحلل والمحلل له » وقال نافع أتى رجل ابن عمر فقال له ان رجلا طلق امرأته ثلاثا فانطلق له أخ له من غير مؤامرة فتزوجها ليحلها للاول فقال لا إلا نكاح

صحيحه عن عثمان بن محمد الاخنسي وثقه بن معين عن سعيد المقبري وهو متفق عليه

(الحديث السابع) عن ابن عمر رضي الله عنهما . قال الحاكم في مستدركه : حدثنا أبو العباس الاصم حدثنا محمد بن اسحق الصنعاني حدثنا سعيد بن أبي مريم حدثنا أبو غسان محمد بن مطرف المدني عن عمر بن نافع عن أبيه أنه قال : جاء رجل الى ابن عمر فسأله عن رجل طلق امرأته ثلاثا فتزوجها أخ له من غير مؤامرة منه ليحلها لاخيه هل تحل الاول فقال : لا إلا نكاح رغبة كنا نعد هذا سفاحا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال: هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه وقد رواه الثوري عن عبدالله بن نافع عن أبيه عن ابن عمر به وهذه الصيغة مشعرة بالرفع وهكذا روى أبو بكر بن أبي شيبة والجوزجاني وحرب الكرماني وأبو بكر الاثرم من حديث الاعمش عن المسيب بن رافع عن قبيصة بن جابر عن عمر أنه قال: لا أوتى بمحلل ولا محلل له الا رجمتهما وروى البيهقي من حديث ابن لهيعة عن بكير بن الاشج عن سليمان بن يسار أن عثمان بن عفان رفع اليه رجل تزوج امرأة ليحلها لزوجها ففرق بينهما وكذا روى عن علي وابن عباس وغير واحد من الصحابة رضي الله عنهم

وقوله (فان طلقها) أي الزوج الثاني بعد الدخول بها (فلا جناح عليهما أن يتراجعا) أي المرأة والزوج الاول (ان ظنا أن يقيما حدود الله) أي يتعاشرا بالمعروف . قال مجاهد : ان ظنا أن نكاحهما على غير دلسة (وتلك حدود الله) أي شرائعه وأحكامه (يبينها) أي يوضحها (لقوم يعلمون)

وقد اختلف الائمة رحمهم الله فيما اذا طلق الرجل امرأته طلقة أو طلقتين وتركها حتى انقضت عدتها ثم تزوجت بآخر فدخل بها ثم طلقها فانقضت عدتها ثم تزوجها الاول هل تعود اليه بما بقي من الثلاث كما هو مذهب مالك والشافعي وأحمد بن حنبل وهو قول طائفة من الصحابة رضي الله عنهم أو يكون الزوج الثاني قد هدم ما قبله من الطلاق فاذا عادت الى الاول تعود بمجموع الثلاث كما هو مذهب أبي حنيفة وأصحابه رحمهم الله وحجتهم أن الزوج الثاني اذا هدم الثلاث فلان يهدم ما دونها بطريق الاولى والاخرى والله أعلم

---

(٢٣١) (واذا طلقتم النسا فبلغن اجلهن فامسكوهن بمعروف او سرحوهن بمعروف ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه ولا تتخذوا آيات الله هزوا

رغبة كنا نعد هذا سفاحا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لعن الله المحلل والمحلل له» ﴿ وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون ﴾ يعني يعلمون ما أمرهم الله تعالى به

قوله تعالى ﴿ واذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن ﴾ الآية نزلت في رجل من الانصار يدعى ثابت ابن يسار طلق امرأته حتى قاربت (١) انقضاء عدتها راجعها ثم طلقها يقصد بذلك مضارتها قوله تعالى (فبلغن أجلهن) أى اشرفن على أن تبين بانقضاء العدة ولم يرد حقيقة انقضاء العدة لان العدة اذا انقضت لم يكن للزوج امساكها فالبلوغ ههنا بلوغ مقاربة وفي قوله تعالى بعد هذا (فبلغن أجلهن فلا

(١) ولسختنا: حتى اذا قرب

واذكروا نعمة الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به واتقوا الله واعلموا ان الله بكل شيء عليم)

هذا أمر من الله عز وجل للرجال اذا طلق أحدهم المرأة طلاقا له عليها فيه رجعة أن يحسن في أمرها اذا انقضت عدتها ولم يبق منها الا مقدار ما يمكنه فيه رجعتها ، فاما أن يمسكها أي يرتجعها الى عصمة نكاحه بمعروف وهو أن يشهد على رجعتها وينوي عشرتها بالمعروف أو يسرحها أي يتركها حتى تنقضي عدتها ويخرجها من منزله بالتي هي أحسن من غير شقاق ولا مخاصمة ولا تقابح قال الله تعالى (ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا) قال ابن عباس ومجاهد ومسروق والحسن وقتادة والضحاك والربيع ومقاتل بن حيان وغير واحد : كان الرجل يطلق المرأة فاذا قاربت انقضاء العدة راجعها ضرارا لئلا تذهب الى غيره ثم يطلقها فتعتد فاذا شارفت على انقضاء العدة طلق لتطول عليها العدة فنهاهم الله عن ذلك وتوعدهم عليه فقال (ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه) أي بمخالفته أمر الله تعالى

وقوله تعالى (ولا تتخذوا آيات الله هزواً) قال ابن جرير : عند هذه الآية أخبرنا أبو كريب أخبرنا اسحق بن منصور عن عبد السلام بن حرب عن يزيد بن عبد الرحمن عن أبي العلاء الاودي عن حميد بن عبد الرحمن عن أبي موسى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غضب على الاشعريين فأتاه أبو موسى فقال يارسول الله أغضبت على الاشعريين؟ فقال «يقول أحدكم قد طلقت قد راجعت ليس هذا طلاق المسلمين طلقوا المرأة في قبل عدتها» ثم رواه من وجه آخر عن أبي خالد الدلال وهو يزيد بن عبد الرحمن وفيه كلام. وقال مسروق : هو الذي يطلق في غير كنهه ويضار امرأته بطلاقها وارتجاعها لتطول عليها العدة . وقال الحسن وقتادة وعطاء الخراساني والربيع ومقاتل بن حيان : هو الرجل يطلق ويقول : كنت لاعبا أو يعتق أو ينكح ويقول كنت لاعبا فأنزل الله (ولا تتخذوا آيات الله هزوا) فألزم الله بذلك . وقال ابن مردويه : حدثنا ابراهيم بن محمد حدثنا أبو أحمد الصيرفي حدثني جعفر بن محمد السمسار عن اسماعيل بن يحيى عن سفيان عن ليث عن مجاهد عن ابن عباس قال : طلق رجل امرأته وهو يلعب لا يريد الطلاق فأنزل الله (ولا تتخذوا آيات الله

تعضلوهن) حقيقة انقضاء العدة والبلوغ يتناول المعنيين يقال بلغت المدينة اذا قربت منها واذا دخلتها(١) ﴿ فامسكوهن ﴾ أي راجعوهن ﴿ بمعروف ﴾ قيل المراجعة بالمعروف أن يشهد على رجعتها وأن يراجعها بالقول لا بالوطء ﴿ أو سرحوهن بمعروف ﴾ أي اتركوهن حتى تنقضي عدتهن فيكن املك بأنفسهن ﴿ ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا ﴾ أي لا تقصدوا بالرجعة المضارة بتطويل الحبس ﴿ ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه ﴾ أي أضر بنفسه بمخالفة امر الله تعالى ﴿ ولا تتخذوا آيات الله هزوا ﴾ قال الكلبي يعني قوله تعالى (فامساك بمعروف أو تسريح باحسان) وكل من خالف امر الشرع فهو متخذ آيات الله هزوا وقال أبو الدرداء هو أن الرجل كان يطلق امرأته ثم يقول كنت لاعبا ويعتق ويقول مثل

«١» وفي نسختنا اذا قرب منها واذا دخلها

هزوا) فألزمه رسول الله صلى الله عليه وسلم الطلاق . وقال ابن أبي حاتم : حدثنا عصام بن رواد حدثنا آدم حدثنا المبارك بن فضالة عن الحسن هو البصري قال : كان الرجل يطلق ويقول : كنت لاعبا ويعتق ويقول : كنت لاعبا وينكح ويقول : كنت لاعبا فأنزل الله (ولا تتخذوا آيات الله هزوا) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من طلق أو أعتق أو نكح أو أنكح جاداً أو لاعبا فقد جاز عليه » وكذا رواه ابن جرير من طريق الزهري عن سليمان بن أرقم عن الحسن مثله وهذا مرسل وقد رواه ابن مردويه من طريق عمرو بن عبيد عن الحسن عن أبي الدرداء موقوفا عليه . وقال أيضا حدثنا أحمد بن الحسن بن أيوب حدثنا يعقوب بن أبي يعقوب حدثنا يحيى بن عبد الحميد حدثنا أبو معاوية عن اسماعيل بن سلمة عن الحسن عن عبادة بن الصامت في قول الله تعالى (ولا تتخذوا آيات الله هزوا) قال : كان الرجل على عهد النبي صلى الله عليه وسلم يقول للرجل زوجتك ابنتي ثم يقول : كنت لاعبا ويقول : قد أعتقت ويقول كنت لاعبا فأنزل الله (ولا تتخذا آيات الله هزوا) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ثلاث من قالهن لاعبا أو غير لاعب فهن جائزات عليه الطلاق والعتاق والنكاح » والمشهور في هذا الحديث الذي رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه من طريق عبد الرحمن بن حبيب بن أدرك عن عطاء عن ابن ماهك عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ثلاث جدهن جد وهزلهن جد النكاح والطلاق والرجعة » وقال الترمذي : حسن غريب .

وقوله (واذكروا نعمة الله عليكم) أى في ارساله الرسول بالهدى والبينات اليكم (وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة) أى السنة (يعظكم به) أى يأمركم وينهاكم ويتوعدكم على ارتكاب المحارم (واتقوا الله) أى فيما تأتون وفيما تذرون (واعلموا أن الله بكل شيء عليم) أى فلا يخفى عليه شيء من أموركم السرية والجهرية وسيجازيكم على ذلك

---

(٢٣٢) (واذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن ان ينكحن أزواجهن اذا

ذلك وينكح ويقول مثل ذلك أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الخرقي أنا أبو الحسن الطيسفوني اخبرنا عبد الله بن عمر الجوهرى اخبرنا احمد بن علي الكشميني أخبرنا علي بن حجر اخبرنا اسماعيل ابن جعفر عن أبي حبيب بن أردك هو عبد الرحمن بن حبيب وابن ماهك هو يوسف بن ماهك عن عطاء بن أبي رباح عن أبي ماهك عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ثلاث جدهن جد وهزلهن جد الطلاق والنكاح والرجعة » ﴿ واذكروا نعمة الله عليكم ﴾ بالايمان ﴿ وما انزل عليكم من الكتاب ﴾ يعني القرآن ﴿ والحكمة ﴾ يعني السنة وقيل مواعظ القرآن ﴿ يعظكم به واتقوا الله واعلموا أن الله بكل شيء عليم * واذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن ﴾ نزلت في جميلة بنت يسار اخت معقل بن يسار المزني كانت تحت أبي البداح عاصم بن عدي بن عجلان فطلقها

تراضوا بينهم بالمعروف ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر ذلكم أزكى لكم واطهر والله يعلم وأنتم لا تعلمون)

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس نزلت هذه الآية في الرجل يطلق امرأته طلقة أو طلقتين فتنقضي عدتها ثم يبدو له ان يتزوجها وان يراجعها وتريد المرأة ذلك فيمنعها أولياؤها من ذلك فنهى الله ان يمنعوها . وكذا روى العوفي عنه عن ابن عباس أيضا ، وكذا قال مسروق وابراهيم النخعي والزهري والضحاك : أنها أنزلت في ذلك وهذا الذي قالوه ظاهر من الآية وفيها دلالة على ان المرأة لا تملك ان تزوج نفسها وانه لا بد في النكاح من ولي كما قاله الترمذي وابن جرير عند هذه الآية كما جاء في الحديث «لا تزوج المرأة المرأة ولا تزوج المرأة نفسها فان الزانية هي التي تزوج نفسها» وفي الاثر الآخر «لا نكاح الا بولي مرشد وشاهدي عدل» وفي هذه المسئلة نزاع بين العلماء محرر في موضعه من كتب الفروع وقد قررنا ذلك في كتاب الاحكام ولله الحمد والمنة .

وقد روي ان هذه الآية نزلت في معقل بن يسار المزني وأخته فقال البخاري رحمه الله في كتابه الصحيح عند تفسير هذه الآية : حدثنا عبيد الله بن سعيد حدثنا أبو عامر العقدي حدثنا عباد بن راشد حدثنا الحسن قال حدثني معقل بن يسار قال: كانت لي أخت تخطب لي (ح) قال البخاري وقال ابراهيم عن يونس عن الحسن حدثني معقل بن يسار وحدثنا أبو معمر وحدثنا عبد الوارث حدثنا يونس عن الحسن ان أخت معقل بن يسار طلقها زوجها فتركها حتى انقضت عدتها فخطبها فأبى معقل فنزلت (فلا تعضلوهن ان ينكحن أزواجهن) وهكذا رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه وابن أبي حاتم وابن جرير وابن مردويه من طرق متعددة عن الحسن عن

أخبرنا عبد الواحد المليحي اخبرنا احمد بن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل اخبرنا احمد بن أبي عمرو حدثني أبي حدثني أبوها ثم عن يونس عن الحسن قال حدثني معقل بن يسار قال زوجت اختا لي من رجل فطلقها حتى اذا انقضت عدتها جاء يخطبها فقلت له زوجتك وفرشتك واكرمتك فطلقتها ثم جئت تخطبها لا والله لا تعود اليك أبدا وكان رجلا لا بأس به وكانت المرأة تريد أن ترجع اليه فانزل الله تعالى ﴿ فلا تعضلوهن أن ينكحن ازواجهن ﴾ فقلت الآن افعل يارسول الله قال: فزوجها إياه (١) قوله تعالى (فبلغن أجلهن) أي انقضت عدتهن (فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن) أي لا تمنعوهن عن النكاح والعضل المنع واصله الضيق والشدة يقال عضلت المرأة اذا نشب ولدها في بطنها فضاق عليه الخروج والداء العضال الذي لا يطاق وفي الآية دليل على أن المرأة لا تلي عقد النكاح اذ لو كانت تملك ذلك لم يكن هناك عضل ولا لنهي الولي عن العضل معنى وقيل الآية خطاب مع الازواج لمنعهم من الاضرار لان ابتداء الآية خطاب معهم والاول أصح ﴿ اذا تراضوا بينهم بالمعروف ﴾ بعقد حلال ومهر جائز ﴿ ذلك ﴾ أي ذلك الذي ذكر من النهي ﴿ يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر ﴾ وانه قال ذلك موحدا والخطاب للاولياء

(١) وفي نسختنا « فزوجه إياها »

معقل بن يسار به وصححه الترمذي أيضا ولفظه عن معقل بن يسار انه زوج أخته رجلا من المسلمين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت عنده ما كانت ثم طلقها تطليقة لم يراجعها حتى انقضت عدتها فهويها وهويته ثم خطبها مع الخطاب فقال له يالكع بن لكع أكرمتك بها وزوجتكها فطلقتها والله لا ترجع اليك أبدا آخر ما عليك قال فعلم الله حاجته اليها وحاجتها الى بعلها فأنزل الله (واذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن) الى قوله (وأنتم لا تعلمون) فلما سمعها معقل قال : سمع لربي وطاعة ثم دعاه ، فقال أزوجك وأكرمك زاد ابن مردويه: وكفرت عن يميني . وروى ابن جرير عن ابن جريج قال: هي جميل(١) بنت يسار كانت تحت أبي البداح . وقال سفيان الثورى: عن أبي اسحق السبيعي قال هي فاطمة بنت يسار وهكذا ذكر غير واحد من السلف ان هذه الآية نزلت في معقل بن يسار وأخته. وقال السدي : نزلت في جابر بن عبد الله وابنة عم له والصحيح الاول والله أعلم .

وقوله (ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر) أي هذا الذي نهيناكم عنه من منع الولايا ان يتزوجن أزواجهن اذا تراضوا بينهم بالمعروف يأتمر به ويتعظ به وينفعل له (من كان منكم أيها الناس يؤمن بالله واليوم الآخر) أي يؤمن بشرع الله ويخاف وعيد الله وعذابه في الدار الآخرة وما فيها من الجزاء (ذلكم أزكى لكم وأطهر) أي اتباعكم شرع الله في رد الموليات الى أزواجهن وترك الحمية في ذلك أزكى لكم وأطهر لقلوبكم (والله يعلم) أي من المصالح فيما يأمر به وينهي عنه (وأنتم لا تعلمون) أي الخيرة فيما تأتون ولا فيما تذرون

> ١) جميل بضم الجيم مصغر جمل بوزن قفل كما وقع فى نسخة الازهر وغيرها

---

(٢٣٢) والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف لا تكلف نفس الا وسعها لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده وعلى الوارث مثل ذلك. فان أرادا فصالا عن تراض منهما وتشاور فلا

لان الاصل في مخاطبة الجمع ذلكم ثم كثر حتى توهموا أن الكاف من نفس الحرف وليست بكاف خطاب فقالوا ذلك فاذا قالوا هذا كانت الكاف موحدا مستوية في الاثنين والجمع والمؤنث والمذكر قيل هو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم فلذلك وحد ثم رجع الى خطاب المؤمنين فقال ﴿ ذلكم ازكى لكم ﴾ أي خير لكم ﴿ وأطهر ﴾ لقلوبكم من الريبة وذلك انه اذا كان في نفس كل واحد منهما علاقة حب لم يؤمن أن يتجاوز ذلك الى غير ما أحل الله لهما ولم يؤمن من الاولياء أن يسبق الى قلوبهم منهما مالعلهما أن يكونا بريئين من ذلك فيأثمون ﴿ والله يعلم وانتم لا تعلمون ﴾ أي يعلم من حب كل واحد منهما لصاحبه مالا تعلمون انتم

قوله تعالى ﴿ والوالدات يرضعن اولادهن ﴾ أي المطلقات اللاتي لهن اولاد من ازواجهن يرضعن خبر بمعنى الامر وهو امر استحباب لا أمر إيجاب لانه لا يجب عليهن الارضاع اذا كان يوجد من يرضع الولد لقوله تعالى في سورة الطلاق (فان ارضعن لكم فآتوهن أجورهن) فان رغبت الام في الارضاع فهي أولى من غيرها ﴿ حولين كاملين ﴾ أي سنتين وذكر الكمال للتأكيد كقوله تعالى (تلك

جناح عليهما وان اردتم أن تسترضعوا أولادكم فلا جناح عليكم اذا سلمتم ما آتيتم بالمعروف واتقوا الله واعلموا أن الله بما تعملون بصير)

هذا ارشاد من الله تعالى الوالدات ان يرضعن أولادهن كمال الرضاعة وهي سنتان فلا اعتبار بالرضاعة بعد ذلك ولهذا قال لمن أراد ان يتم الرضاعة وذهب أكثر الائمة الى انه لا يحرم من الرضاعة الا ما كان دون الحولين فلو ارتضع المولود وعمره فوقهما لم يحرم . قال الترمذي: (باب ما جاء ان الرضاعة لا تحرم الا في الصغر دون الحولين « حدثنا قتيبة حدثنا أبو عوانة عن هشام بن عروة عن فاطمة بنت المنذر عن أم سلمة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . لا يحرم من الرضاع الا ما فتق الامعاء في الثدي وكان قبل الفطام» هذا حديث حسن صحيح والعمل على هذا عند أكثر أهل العلم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيرهم ان الرضاعة لا تحرم الا ما كان دون الحولين وما كان بعد الحولين الكاملين فانه لا يحرم شيئا وفاطمة بنت المنذر بن الزبير بن العوام وهي امرأة هشام بن عروة (قلت) تفرد الترمذي برواية هذا الحديث ورجاله على شرط الصحيحين ومعنى قوله « الا ما كان في الثدى » أى في محال الرضاعة قبل الحولين كما جاء في الحديث الذى رواه أحمد عن وكيع وغندر عن شعبة عن عدى بن ثابت عن البراء بن عازب قال : لما مات ابراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم قال «ان ابني مات في الثدى ان له مرضعا في الجنة» وهكذا أخرجه البخاري من حديث شعبة وانما قال عليه السلام ذلك لان ابنه ابراهيم عليه السلام مات وله سنة وعشرة أشهر فقال ان له مرضعا يعني تكمل رضاعه ويؤيده ما رواه الدار قطني من طريق الهيثم بن جميل عن سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يحرم من الرضاع الا ما كان في الحولين » ثم قال ولم يسنده عن ابن عيينة غير الهيثم بن جميل وهو ثقة حافظ (قلت) وقد رواه الامام مالك في الموطأ عن ثور بن زيد عن ابن عباس مرفوعا ورواه الدراوردي عن ثور عن عكرمة عن ابن عباس وزاد « وما كان بعد الحولين فليس بشيء» وهذا أصح

وقال أبو داود الطيالسي عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا رضاع بعد فصال ولا يتم بعد احتلام » وتمام الدلالة من هذا الحديث في قوله تعالى (وفصاله في عامين أن اشكر لي) وقال (وحمله وفصاله ثلاثون شهرا) والقول بأن الرضاعة لا تحرم بعد الحولين يروى عن

عشرة كاملة) وقيل انما قال كاملين لان العرب قد تسمى بعض الحول حولا وبعض الشهر شهرا كما قال الله تعالى (الحج أشهر معلومات) وانما هي شهران وبعض الثالث وقال (فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه) وانما يتعجل في يوم وبعض يوم ويقال أقام فلان بموضع كذا حولين وانما أقام به حولا وبعض آخر فبين الله تعالى أنهما حولان كاملان أربعة وعشرون شهرا واختلف أهل العلم في هذا الحد فمنهم من قال هو حد لبعض المولودين فروى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما

علي وابن عباس وابن مسعود وجابر وأبي هريرة وابن عمر وأم سلمة وسعيد بن المسيب وعطاء والجمهور وهو مذهب الشافعي واحمد واسحق والثوري وأبي يوسف ومحمد ومالك في رواية وعنه أن مدته سنتان وشهران وفي رواية وثلاثة أشهر وقال أبو حنيفة سنتان وستة اشهر وقال زفر بن الهذيل مادام يرضع فالى ثلاث سنين وهذا رواية عن الاوزاعي.قال مالك: ولو فطم الصبي دون الحولين فأرضعته امرأة بعد فصاله لم يحرم لانه قد صار بمنزلة الطعام وهو رواية عن الاوزاعي وقد روي عن عمر وعلي أنهما قالا : لا رضاع بعد فصال . فيحتمل أنهما ارادا الحولين كقول الجمهور سواء فطم أو لم يفطم ويحتمل أنهما أرادا الفعل كقول مالك والله أعلم . وقد روي في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت ترى رضاع الكبير يؤثر في التحريم وهو قول عطاء بن أبي رباح والليث بن سعد وكانت عائشة تأمر بمن تختار أن يدخل عليها من الرجال لبعض نسائها فترضعه وتحتج في ذلك بحديث سالم مولى ابي حذيفة حيث أمر النبي صلى الله عليه وسلم امرأة أبي حذيفة أن ترضعه وكان كبيراً فكان يدخل عليها بتلك الرضاعة وأبى ذلك سائر أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ورأين ذلك من الخصائص وهو قول الجمهور وحجة الجمهور وهم الائمة الاربعة والفقهاء السبعة والاكابر من الصحابة وسائر أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم سوى عائشة ما ثبت في الصحيحين عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « انظرن من اخوانكن فانما الرضاعة من المجاعة » وسيأتي الكلام على

انها اذا وضعت لستة أشهر فانها ترضعه حولين كاملين وان وضعت لسبعة اشهر فانها ترضعه ثلاثة وعشرين شهرا وان وضعت لتسعة اشهر فانها ترضعه احدا وعشرين شهرا وان وضعت لعشرة اشهر فانها ترضعه عشرين شهرا كل ذلك تمام ثلاثين شهرا لقوله تعالى وحمله وفصاله ثلاثون شهرا .وقال قوم هو حد لكل مولود بأي وقت ولد لا ينقص رضاعه عن حولين إلا باتفاق الابوين فأيهما أراد الفطام قبل تمام الحولين ليس له ذلك الا ان يجتمعا عليه لقوله تعالى (فان أرادا فصالا عن تراض منهما وتشاور) وهذا قول ابن جريج والثوري ورواية الوالبي عن ابن عباس رضي الله عنهما وقيل المراد من الآية بيان ان الرضاع الذي يثبت الحرمة ما يكون في الحولين فلا يحرم ما يكون بعد الحولين . قال قتادة : فرض الله على الوالدات ارضاع حولين كاملين ثم أنزل التخفيف فقال : ﴿ لمن أراد ان يتم الرضاعة ﴾ أي هذا منتهى الرضاعة وليس فيها دون ذلك حد محدود وانما هو على مقدار صلاح الصبي وما يعيش به ﴿ وعلى المولود له ﴾ يعني الاب ﴿ رزقهن ﴾ طعامهن ﴿ وكسوتهن ﴾ لباسهن ﴿ بالمعروف ﴾ أي على قدر الميسرة ﴿ لا تكلف نفس الا وسعها ﴾ أي طاقتها ﴿ لا تضارُّ والدة بولدها ﴾ قرأ ابن كثير وأهل البصرة برفع الراء نسقا على قوله (لا تكلف) وأصله تضارر فادغمت الراء في الراء ، وقرأ الآخرون تضار بنصب الراء وقالوا لما أدغمت الراء في الراء حركت الى أخف الحركات وهو النصب ومعنى الآية (تضار والدة بولدها) فينزع الولد منها الى غيرها بعد ان رضيت بارضاعه ﴿ ولا مولود له بولده ﴾ أي لا تلقيه المرأة الى أبيه بعد ما ألفها تضاره بذلك

مسائل الرضاع وفيما يتعلق برضاع الكبير عند قوله تعالى (وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم)

وقوله (وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف) أي وعلى والد الطفل نفقة الوالدات وكسوتهن بالمعروف أي بما جرت بعادة أمثالهن في بلدهن من غير اسراف ولا إقتار بحسب قدرته في يساره وتوسطه وإقتاره كما قال تعالى (لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاها سيجعل الله بعد عسر يسرا) قال الضحاك : اذا طلق زوجته وله منها ولد فأرضعت له ولده وجب على الوالد نفقتها وكسوتها بالمعروف

وقوله (لا تضار والدة بولدها) أي بأن تدفعه عنها لتضر أباه بتربيته ولكن ليس لها دفعه اذا ولدته حتى تسقيه اللبأ الذي لا يعيش بدون تناوله غالبا ثم بعد هذا له دفعه عنها اذا شاءت ولكن ان كانت مضارة لابيه فلا يحل لها ذلك كما لا يحل له انتزاعه منها لمجرد الضرار لها ولهذا قال (ولا مولود له بولده) أي بأن يريد أن ينتزع الولد منها إضرارا بها قاله مجاهد وقتادة والضحاك والزهري والسدي والثوري وابن زيد وغيرهم

وقوله تعالى(وعلى الوارث مثل ذلك)قيل في عدم الضرار لقريبه قاله مجاهد والشعبي والضحاك وقيل عليه مثل ما على والد الطفل من الانفاق على والدة الطفل والقيام بحقوقها وعدم الاضرار بها وهو قول الجمهور وقد استقصى ذلك ابن جرير في تفسيره وقد استدل بذلك من ذهب من الحنفية والحنبلية الى وجوب نفقة الاقارب بعضهم على بعض وهو مروي عن عمر بن الخطاب وجمهور السلف

وقيل معناه (لا تضار والدة) فتكره على ارضاعه اذا كرهت ارضاعه ، وقيل الصبي من غيرها لان ذلك ليس بواجب عليها (ولا مولود له بولده) فيحتمل ان يعطي الام أكثر مما يجب لها اذا لم يرتضع من غيرها ، فعلى هذين القولين أصل الكلمة لا تضارر بفتح الراء الاولى على الفعل المجهول والوالدة والمولود مفعولان ويحتمل ان يكون الفعل لهما وتكون تضار بمعنى تضارر بكسر الاولى على تسمية الفاعل والمعنى (لا تضار والدة) فتأبى ان ترضع ولدها ليشق على أبيه (ولا مولود له) أي لا يضار الاب أم الصبي فينزعه منها ويمنعها من ارضاعه ، وعلى هذه الاقوال يرجع الضرار الى الوالدين يضار كل واحد منهما صاحبه بسبب الولد ويجوز ان يكون الضرار راجعا الى الصبي أي لا يضار كل واحد منهما الصبي ولا ترضعه الام حتى يموت أو لا ينفق الاب أو ينتزعه من الام حتى يضر بالصبي فعلى هذا تكون الباء زائدة ومعناه (لا تضار والدة بولدها) ولا أب ولده وكل هذه الاقاويل مروية عن المفسرين

قوله تعالى ﴿ وعلى الوارث مثل ذلك ﴾ اختلفوا في هذا الوارث فقال قوم هو وارث الصبي معناه وعلى وارث الصبي الذي لو مات الصبي وله مال ورثه مثل الذي كان على أبيه في حال حياته . ثم اختلفوا في أنه أي وارث هو من ورثته فقال بعضهم : هو عصبة الصبي من الرجال مثل الجد والاخ وابن الاخ والعم وابن العم وهو قول عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه وبه قال ابراهيم والحسن

ويرشح ذلك بحديث الحسن عن سمرة مرفوعا « من ملك ذا رحم محرم عتق عليه » وقد ذكر أن الرضاعة بعد الحولين ربما ضرت الولد إما في بدنه أو عقله وقال سفيان الثوري عن الاعمش عن ابراهيم عن علقمة أنه رأى امرأة ترضع بعد الحولين فقال لا ترضعيه

وقوله (فان أرادا فصالا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما) أي فان اتفق والدا الطفل على فطامه قبل الحولين ورأيا في ذلك مصلحة له وتشاورا في ذلك وأجمعا عليه فلا جناح عليهما في ذلك فيؤخذ منه ان انفراد أحدهما بذلك دون الآخر لا يكفي ولا يجوز لواحد منهما أن يستبد بذلك من غير مشاورة الآخر قاله الثوري وغيره وهذا فيه احتياط للطفل وإلزام للنظر في أمره وهو من رحمة الله بعباده حيث حجر على الوالدين في تربية طفلهما وأرشدهما الى ما يصلحهما ويصلحه كما قال في سورة الطلاق (فان أرضعن لكم فآتوهن أجورهن وأتمروا بينكم بمعروف وان تعاسرتم فسترضع له أخرى)

وقوله تعالى (وان أردتم أن تسترضعوا أولادكم فلا جناح عليكم اذا سلمتم ما آتيتم بالمعروف) أي اذا اتفقت الوالدة والوالد على أن يستلم منها الولد إما لعذر منها او لعذر له فلا جناح عليهما في بذله ولا عليه في قبوله منها اذا سلمها أجرتها الماضية بالتي هي أحسن واسترضع لولده غيرها بالاجرة بالمعروف قاله غير واحد. وقوله (واتقوا الله) أى في جميع أحوالكم (واعلموا أن الله بما تعملون بصير) أى فلا يخفى عليه شيء من أحوالكم وأقوالكم

ومجاهد وعطاء وهو مذهب سفيان قالوا اذا لم يكن للصبي مال ينفق عليه أجبرت عصبته الذين يرثونه على أن يسترضعوه « وقيل هو وارث الصبي من كان من الرجال والنساء وهو قول قتادة وابن أبي ليلى ومذهب أحمد واسحق وقالوا يجبر على نفقته كل وارث على قدر ميراثه عصبة كانوا أو غيرهم. وقال بعضهم هو من كان ذا رحم محرم من ورثة المولود فمن ليس بمحرم مثل ابن العم والمولى فغير مراد بالآية وهو قول أبي حنيفة رحمه الله وذهب جماعة الى ان المراد بالوارث هو الصبي نفسه الذي هو وارث أبيه المتوفي يكون أجرة رضاعه ونفقته في ماله فان لم يكن له مال فعلى الام ولا يجبر على نفقة الصبي الا الوالدان وهو قول مالك والشافعي رحمهما الله « وقيل هو الباقي من والدي المولود بعد وفاة الآخر عليه مثل ما كان على الاب من أجرة الرضاع والنفقة والكسوة. وقيل ليس المراد منه النفقة بل معناه وعلى الوارث ترك المضارة وبه قال الشعبي والزهري ﴿ فان أرادا ﴾ يعني الوالدين ﴿ فصالا ﴾ فطاما قبل الحولين ﴿ عن تراض منهما ﴾ أي اتفاق الوالدين ﴿ وتشاور ﴾ أي يشاورون أهل العلم به حتى يخبروا ان الفطام في ذلك الوقت لا يضر بالولد والمشاورة استخراج الرأي ﴿ فلا جناح عليهما ﴾ أي لا حرج عليهما في الفطام قبل الحولين ﴿ وان أردتم ان تسترضعوا أولادكم ﴾ أي لاولادكم مراضع غير أمهاتهم اذا أبت أمهاتهم ارضاعهم أو تعذر لعلة بهن أو انقطاع لبن أو أردن النكاح ﴿ فلا جناح عليكم اذا سلمتم ﴾ الى أمهاتهم ﴿ ما آتيتم ﴾ ما سميتم لهن من

(٢٣٣) والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا فاذا بلغن أجلهن فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن بالمعروف والله بما تعملون خبير *

هذا أمر من الله للنساء اللاتي يتوفى عنهن أزواجهن أن يعتددن أربعة أشهر وعشر ليال وهذا الحكم يشمل الزوجات المدخول بهن وغير المدخول بهن بالاجماع ومستنده في غير المدخول بها عموم الآية الكريمة وهذا الحديث الذى رواه الامام احمد وأهل السنن وصححه الترمذى أن ابن مسعود سئل عن رجل تزوج امرأة فمات عنها ولم يدخل بها ولم يفرض لها فترددوا اليه مرارا في ذلك فقال أقول فيها برأيي فان يك صوابا فمن الله وإن يك خطأ فمني ومن الشيطان والله ورسوله بريئان منه: لها الصداق كاملا وفي لفظ لها صداق مثلها لا وكس ولا شطط وعليها العدة ولها الميراث. فقام معقل بن يسار الاشجعي فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى به في بروع بنت

أجرة الرضاع بقدر ما ارضعن وقيل اذا سلمتم أجور المراضع اليهن ﴿ بالمعروف ﴾ قرأ ابن كثير (ما آتيتم) وفي الروم (وما آتيتم من ربا) بقصر الالف ومعناه ما فعلتم يقال أتيت جميلا اذا فعلته فعلى هذه القراءة يكون التسليم بمعنى الطاعة والانقياد لا بمعنى تسليم الاجرة يعني اذا سلمتم لامره وانقدتم لحكمه . وقيل اذا سلمتم للاسترضاع عن تراض واتفاق دون الضرار ﴿ واتقوا الله واعلموا ان الله بما تعملون بصير ﴾

قوله تعالى ﴿ والذين يتوفون منكم ﴾ أي يموتون وتتوفى آجالهم وتوفى واستوفى بمعنى واحد ومعنى التوفي أخذ الشيء وافيا ﴿ ويذرون أزواجا ﴾ يتركون أزواجا ﴿ يتربصن ﴾ ينتظرن ﴿ بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا ﴾ أى يعتددن بترك الزينة والطيب والنقلة على فراق أزواجهن هذه المدة الا ان يكن حوامل فعدتهن بوضع الحمل وكانت عدة الوفاة في الابتداء حولا كاملا لقوله تعالى (والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا) وصية لازواجهم متاعا الى الحول غير اخراج ثم نسخت بأربعة أشهر وعشر . وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد : كانت هذه العدة يعني أربعة أشهر وعشرا واجبة عند أهل زوجها فأنزل الله تعالى متاعا الى الحول فجعل لها تمام السنة سبعة أشهر وعشرين ليلة وصية ان شاءت سكنت في وصيتها وان شاءت خرجت وهو قول الله عز وجل (غير اخراج فان خرجن فلا جناح عليكم فيما فعلن) فالعدة كما هي واجبة عليها وقال عطاء قال ابن عباس رضي الله عنهما : نسخت هذه الآية عدتها عند أهلها وسكنت في وصيتها وان شاءت خرجت قال عطاء : ثم جاء الميراث فنسخ السكنى فتعتد حيث شاءت ولا سكنى لها ويجب عليها الاحداد في عدة الوفاة وهي ان تمتنع من الزينة والطيب فلا يجوز لها تدهين رأسها بأي دهن سواء كان فيه طيب أو لم يكن ولها تدهين جسدها بدهن لا طيب فيه فان كان فيه طيب فلا يجوز ولا يجوز لها ان تكتحل بكحل فيه طيب أو فيه زينة كالكحل الاسود ولا بأس بالكحل الفارسي الذى لا زينة فيه فان اضطرت

واشق ففرح عبد الله بذلك فرحا شديدا وفي رواية فقام رجال من أشجع فقالوا : نشهد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى به في بروع بنت واشق. ولا يخرج من ذلك إلا المتوفى عنها زوجها وهي حامل فان عدتها بوضع الحمل ولو لم تمكث بعده سوى لحظة لعموم قوله (وأولات الاحمال أجلهن أن يضعن حملهن) وكان ابن عباس يرى أن عليها أن تتربص بأبعد الاجلين من الوضع أو أربعة أشهر وعشر للجمع بين الآيتين وهذا مأخذ جيد ومسلك قوي لو لا ما ثبتت به السنة في حديث سبيعة الاسلمية المخرج في الصحيحين من غير وجه أنها توفي عنها زوجها سعد بن خولة وهي حامل فلم تنشب أن وضعت حملها بعد وفاته وفي رواية فوضعت حملها بعده بليال فلما تعلت من نفاسها تجملت للخطاب فدخل عليها أبو السنابل بن بعكك فقال لها : ما لي أراك متجملة لعلك ترجين النكاح؟ والله ما أنت بناكح حتي يمر عليك أربعة أشهر وعشر. قالت سبيعة : فلما قال لي ذلك جمعت علي ثيابي حين أمسيت فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألته عن ذلك فأفتاني بأني قد حللت حين وضعت حملي وأمرني بالتزويج إن بدا لي ،قال أبو عمر بن عبد البر : وقد روي أن ابن عباس رجع الى حديث سبيعة يعني لما احتج عليه به قال ويصحح ذلك عنه أن أصحابه أفتوا بحديث سبيعة كما هو قول أهل العلم قاطبة. وكذلك يستثنى من ذلك الزوجة اذا كانت أمة فان عدتها على النصف من عدة الحرة شهران وخمس ليال على قول الجمهور لأنها لما كانت على النصف من الحرة في الحد فكذلك فلتكن على النصف منها في العدة . ومن العلماء كمحمد بن سيرين وبعض الظاهرية من يسوي بين الزوجات الحرائر والاماء في هذه المقام لعموم الآية ولان العدة من باب الامور الجبلية التي تستوي

الى كحل فيه زينة فقد رخص فيه كثير من اهل العلم منهم سالم بن عبد الله وسليمان بن يسار وعطاء والنخعي وبه قال مالك وأصحاب الرأي . وقال الشافعي رحمه الله : تكتحل به ليلا وتمسحه بالنهار قالت أم سلمة : دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم حين توفي أبو سلمة وقد جعلت علي صبر فقال « انه يشب الوجه فلا تجعليه الا بالليل وتنزعيه بالنهار » ولا يجوز لها الخضاب ولا لبس الوشي والديباج والحلي ويجوز لها لبس البيض من الثياب ولبس الصوف والوبر ولا تلبس الثوب المصبوغ للزينة كالاحمر والاخضر الناضر والاصفر ، ويجوز ما صبغ لغير زينة كالسواد والكحلي . وقال سفيان : لا تلبس المصبوغ بحال . أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن احمد انا أبو اسحق الهاشمي انا أبو مصعب عن مالك عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن حميد بن نافع عن زينب بنت أبي سلمة انها أخبرته بهذه الاحاديث الثلاثة (١) قالت زينب : دخلت على أم حبيبة زوج النبي صلى الله عليه وسلم حين توفى أبوها أبو سفيان بن حرب فدعت أم حبيبة بطيب فيه صفرة خلوق أو غيره فدهنت به جارية ثم مست به بطنها (٢) ثم قالت والله ما لي بالطيب من حاجة غير اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر « لا يحل لامرأة ان تحد على ميت فوق ثلاث ليال الا على زوج أربعة أشهر وعشرا » وقالت زينب : ثم دخلت على زينب بنت جحش

« ١ » رواهن عنها الشيخان في صحيحيهما

«٢» في الصحيحين بعارضيها

فيها الخليقة وقد ذكر سعيد بن المسيب وأبو العالية وغيرهما أن الحكمة في جعل عدة الوفاة أربعة أشهر وعشراً لاحتمال اشتمال الرحم على حمل فاذا انتظر به هـذه المدة ظهر إن كان موجوداً كما جاء في حديث ابن مسعود الذي في الصحيحين وغيرهما « ان خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوما نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث اليه الملك فينفخ فيه الروح» فهذه ثلاث أربعينات بأربعة أشهر والاحتياط بعشر بعدها لما قد ينقص بعض الشهور ثم لظهور الحركة بعد نفخ الروح فيه والله أعلم . قال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة سألت سعيد بن المسيب ما بال العشرة ؟ قال : فيه ينفخ الروح وقال الربيع بن أنس : قلت لابي العالية لم صارت هذه العشر مع الاشهر الاربعة ؟ قال : لانه ينفخ فيه الروح رواهما ابن جرير ومن ههنا ذهب الامام احمد في رواية عنه الى أن عدة أم الولد عدة الحرة ههنا لانها صارت فراشا كالحرائر وللحديث الذي رواه الامام احمد عن يزيد بن هارون عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن رجاء بن حيوة عن قبيصة ابن ذؤيب عن عمرو بن العاص أنه قال : لا تلبسوا علينا سنة نبينا :عدة أم الولد اذا توفي عنها سيدها أربعة أشهر وعشر ورواه أبو داود عن قتيبة عن غندر وعن ابن مثنى عن عبد الاعلى، وابن ماجة عن علي بن محمد عن الربيع ثلاثتهم عن سعيد بن أبي عروبة عن مطر الوراق عن رجاء بن حيوة عن قبيصة عن عمرو بن العاص فذكره وقد روي عن الامام احمد أنه أنكر هذا الحديث وقيل إن قبيصة لم يسمع عمراً ، وقد ذهب الى القول بهـذا الحديث طائفة من السلف منهم سعيد بن المسيب

حين توفي أخوها عبد الله فدعت بطيب فمست به ثم قالت والله ما لي بالطيب من حاجة غير اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر« لا يحل لامرأة تؤمن بالله ان تحد على ميت فوق ثلاث ليال الاعلى زوج أربعة أشهر وعشرا » قالت زينب : وسمعت أمي أم سلمة تقول : جاءت امرأة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله ان ابنتي توفي عنها زوجها وقد اشتكت عينها أفنكحلها ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا» . ثم قال «انما هي أربعة أشهر وعشر وقد كانت احداكن في الجاهلية ترمي بالبعرة على رأس الحول » قال حميد : فقلت لزينب: وما ترمي بالبعرة على رأس الحول ؟ فقالت زينب : كانت المرأة اذا توفي عنها زوجها دخلت حفشا ولبست شر ثيابها ولم تمس طيبا ولا شيئا حتى يمر بها سنة ثم تؤتى بدابة حمارا أو شاة أو طير فتفتض به فقلما تفتض بشيء الامات، ثم تخرج فتعطى بعرة فترمي بها ،ثم تراجع بعد ذلك ما شاءت من طيب أو غيره . وقال مالك : تفتض أي تمسح جلدها(١) . وقال سعيد بن المسيب : الحكمة في هذه المدة ان فيها ينفخ الروح في الولد ، ويقال ان الولد يرتكض أي يتحرك في البطن لنصف مدة الحمل أربعة أشهر وعشرا قريب من نصف مدة الحمل ، وانما قال عشرا بلفظ المؤنث لانه أراد الليالي لان العرب اذا أبهمت العدد بين الليالي والايام غلبت عليها الليالي فيقولون صمنا عشرا والصوم لا يكون الا بالنهار . وقال المبرد : انما أنث العشر لانه أراد المدة أي عشر مدد كل مدة يوم وليلة واذا كانت المتوفى

(١) وفي النهاية أنها تمسح به فرجها قيل وهو مراد مالك

ومجاهد وسعيد بن جبير والحسن وابن سيرين وأبو عياض والزهري وعمر بن عبد العزيز وبه كان يأمر يزيد بن عبد الملك بن مروان وهو امير المؤمنين وبه يقول الاوزاعي واسحق بن راهويه واحمد بن حنبل في رواية عنه وقال طاوس وقتادة : عدة أم الولد اذا توفي عنها سيدها نصف عدة الحرة شهران وخمس ليال وقال أبو حنيفة وأصحابه والثوري والحسن بن صالح بن حي تعتد بثلاث حيض وهو قول علي وابن مسعود وعطاء وابراهيم النخعي وقال مالك والشافعي وأحمد في المشهور عنه عدتها حيضة وبه يقول ابن عمر والشعبي ومكحول والليث وأبو عبيد وأبو ثور والجمهور قال الليث : ولو مات وهي حائض أجزأتها وقال مالك : فلو كانت ممن لا تحيض فثلاثة أشهر وقال الشافعي والجمهور : شهر وثلاثة أحب الي والله أعلم

وقوله (فاذا بلغن أجلهن فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن بالمعروف والله بما تعملون خبير) يستفاد من هذا وجوب الاحداد على المتوفى عنها زوجها مدة عدتها لما ثبت في الصحيحين من غير وجه عن أم حبيبة وزينب بنت جحش أمي المؤمنين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاث الا على زوج أربعة أشهر وعشرا » وفي الصحيحين أيضا عن أم سلمة أن امرأة قالت يا رسول الله إن ابنتي توفي عنها زوجها وقد اشتكت عينها أفنكحلها ؟ فقال « لا كل » ذلك يقول لا مرتين أو ثلاثا ثم قال « انما هي أربعة أشهر وعشر وقد كانت إحداكن في الجاهلية تمكث سنة » قالت زينب بنت أم سلمة: كانت المرأة اذا توفي عنها زوجها دخلت حفشا ولبست شر ثيابها ولم تمس طيبا ولا شيئا حتى تمر بها سنة ثم تخرج فتعطى بعرة فترمى بها ثم تؤتى بدابة حمار أو شاة أو طير فتفتض به فقلما تفتض بشيء إلا مات(١) ومن ههنا ذهب كثيرون من العلماء الى أن هذه الآية ناسخة للآية التي بعدها وهي قوله (والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم متاعا الى الحول غير إخراج) الآية كما قاله ابن عباس وغيره وفي هذا نظر كما سيأتي تقريره. والغرض أن الاحداد هو عبارة عن ترك الزينة من الطيب ولبس ما يدعوها الى الازواج من

(١) أي من نتنها والافتضاض مسح الفرج به

عنها زوجها حاملا فعدتها بوضع الحمل عند أكثر أهل العلم من الصحابة فمن بعدهم وروي عن علي وابن عباس رضي الله عنهم انها تنتظر آخر الاجلين من وضع الحمل أو أربعة أشهر وعشرا . وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : أنزلت سورة النساء القصرى بعد الطولى أراد بالقصرى سورة الطلاق «وأولات الاحمال أجلهن ان يضعن حملهن» نزلت بعد قوله تعالى(يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا) في سورة البقرة فحمل على النسخ وعامة الفقهاء خصوا الآية بحديث سبيعة وهو ما أخبرنا أبو الحسن السرخسي اخبرنا زاهر بن أحمد أنا أبو اسحق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن المسور بن مخرمة ان سبيعة نفست بعد وفاة زوجها بليال فجاءت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأذنته ان تنكح فأذن لها فنكحت

قوله تعالى ﴿ فاذا بلغن أجلهن ﴾ أى انقضت عدتهن ﴿ فلا جناح عليكم ﴾ خطاب للاولياء

ثياب وحلي وغير ذلك وهو واجب في عدة الوفاة قولا واحدا ولا يجب في عدة الرجعية قولا واحدا وهل يجب في عدة البائن فيه قولان؛ ويجب الاحداد على جميع الزوجات المتوفى عنهن أزواجهن سواء في ذلك الصغيرة والآيسة والحرة والامة والمسلمة والكافرة لعموم الآية وقال الثوري وأبو حنيفة وأصحابه لا احداد على الكافرة وبه يقول أشهب وابن نافع من أصحاب مالك وحجة قائل هذه المقالة قوله صلى الله عليه وسلم «لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاث الا على زوج أربعة أشهر وعشرا» قالوا: فجعله تعبدا وألحق أبو حنيفة وأصحابه والثوري الصغيرة بها لعدم التكليف وألحق أبو حنيفة وأصحابه الامة المسلمة لنقصها ومحل تقرير ذلك كله في كتب الاحكام والفروع والله الموفق للصواب

وقوله (فاذا بلغن أجلهن) أي انقضت عدتهن قاله الضحاك والربيع بن أنس (فلاجناح عليكم) قال الزهري أي على أوليائها (فيما فعلن) يعني النساء اللاتي انقضت عدتهن قال العوفي (١) عن ابن عباس اذا طلقت المرأة أو مات عنها زوجها فاذا انقضت عدتها فلا جناح عليها ان تتزين وتتصنع وتتعرض للتزويج فذلك المعروف وروي عن مقاتل بن حيان نحوه وقال ابن جريج عن مجاهد (فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن بالمعروف) قال النكاح الحلال الطيب وروي عن الحسن والزهري نحو ذلك

«١» كذا في النسخة المطبوعة وهذه الاسطر الخمسة سقطت من نسخة الازهر

(٢٣٤) ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء او اكننتم في أنفسكم علم الله انكم ستذكرونهن ولكن لا تواعدوهن سرا الا ان تقولوا قولا معروفا ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب اجله واعلموا ان الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه واعلموا ان الله غفور حليم ■

يقول تعالى (ولا جناح عليكم) أن تعرضوا بخطبة النساء في عدتهن من وفاة أزواجهن من غير تصريح قال الثوري وشعبة وجرير وغيرهم عن منصور عن مجاهد عن ابن عباس في قوله (ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء) قال التعريض أن يقول إني أريد التزويج وإني أحب

﴿فيما فعلن في أنفسهن﴾ أي من اختيار الازواج دون العقد (٢) الى الولي وقيل فيما فعلن من التزين للرجال زينة لا ينكرها الشرع ﴿بالمعروف والله بما تعملون خبير﴾ والاحداد واجب على المرأة في عدة الوفاة أما المعتدة عن الطلاق نظر فان كانت رجعية فلا احداد عليها في العدة لان لها أن تصنع ما يشوق قلب الزوج اليها ليراجعها وفي البائنة بالخلع والطلقات الثلاث قولان أحدهما الاحداد كالمتوفى عنها زوجها وهو قول سعيد بن المسيب وبه قال أبو حنيفة والثاني لا احداد عليها وهو قول عطاء وبه قال مالك

«٢» لعله سقط من هنا: فان العقد

قوله تعالى ﴿ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء﴾ أي النساء المعتدات وأصل التعريض هو التلويح بالشيء والتعريض في الكلام بما يفهم به السامع مراده من غير تصريح والتعريض بالخطبة مباح في العدة وهو ان يقول: رب راغب فيك، من يجد مثلك، انك لجميلة، وانك لصالحة، وانك علي لكريمة، واني فيك لراغب، وان من غرضي أن أتزوجك، وان جمع الله بيني وبينك

امرأة من أمرها ومن أمرها - يعرض لها بالقول بالمعروف . وفي رواية وودت أن الله رزقني امرأة ونحو هذا ولا ينتصب للخطبة وفي رواية إني لا أريد أن أتزوج غيرك إن شاء الله ولوددت أني وجدت امرأة صالحة ولا ينتصب لها ما دامت في عدتها ورواه البخاري تعليقا فقال : وقال لي طلق بن غنام عن زائدة عن منصور عن مجاهد عن ابن عباس (ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء هو أن يقول إني أريد التزويج وأن النساء لمن حاجتي ولوددت أن ييسر لي امرأة صالحة . وهكذا قال مجاهد وطاوس وعكرمة وسعيد بن جبير وابراهيم النخعي والشعبي والحسن وقتادة والزهري ويزيد ابن قسيط ومقاتل بن حيان والقاسم بن محمد وغير واحد من السلف والائمة في التعريض أنه يجوز للمتوفى عنها زوجها من غير تصريح لها بالخطبة وهكذا حكم المطلقة المبتوتة يجوز التعريض لها كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لفاطمة بنت قيس حين طلقها زوجها أبو عمرو بن حفص آخر ثلاث تطليقات فأمرها أن تعتد في بيت ابن أم مكتوم وقال لها فاذا حللت فآذنيني فلما حلت خطب عليها أسامة ابن زيد مولاه فزوجها إياه فأما المطلقة فلا خلاف في أنه لا يجوز لغير زوجها التصريح بخطبتها ولا التعريض لها والله اعلم

وقوله (أو أكننتم في أنفسكم) أي أضمرتم في أنفسكم من خطبتهن وهذا كقوله تعالى وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون) وكقوله (وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم) ولهذا قال (علم الله أنكم ستذكرونهن) أي في أنفسكم فرفع الحرج عنكم في ذلك ثم قال (ولكن لا تواعدوهن

(بالحلال أعجبني ولئن تزوجتك لاحسن اليك ونحو ذلك من الكلام من غير ان يقول انكحيني والمرأة تجيبه بمثله ان رغبت فيه وقال ابراهيم لا بأس ان يهدى اليها ويقوم بشغلها في العدة اذا كانت غير شابة . روى ان سكينة بنت حنظلة بانت من زوجها فدخل عليها أبو جعفر محمد بن علي الباقر في عدتها وقال يابنت حنظلة أنا من قد علمت قرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم وحق جدي علي وقدمي في الاسلام فقالت سكينة أتخطبني وأنا في العدة وأنت يؤخذ عنك ؟ فقال انما أخبرتك بقرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم قد دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أم سلمة وهي في عدة زوجها أبي سلمة فذكر لها منزلته من الله عز وجل وهو متحامل على يده حتى اثر الحصير في يده من شدة تحامله على يده . والتعريض بالخطبة جائز في عدة الوفاة ، أما المعتدة عن فرقة الحياة فينظر ان كانت ممن لا يحل لمن بانت منه نكاحها كالمطلقة ثلاثا والمبانة باللعان والرضاع فانه يجوز خطبتها تعريضا ، وان كانت ممن يحل للزوج نكاحها كالمختلعة والمفسوخ نكاحها يجوز لزوجها خطبتها تعريضا وتصريحا وهل يجوز للغير تعريضا ؟ فيه قولان احدهما يجوز كالمطلقة ثلاثا والثاني لا يجوز لان المعاودة ثابتة لصاحب العدة كالرجعة لا يجوز للغير تعريضا بالخطبة وقوله تعالى (من خطبة النساء) الخطبة التماس النكاح وهي مصدر خطب الرجل المرأة يخطب خطبة . وقال الاخفش : الخطبة الذكر والخطبة التشهد فيكون معناه : فيما عرضتم به من ذكر النساء عندهن ﴿ أو أكننتم ﴾

سرا) قال أبو مجلز وأبو الشعثاء جابر بن زيد والحسن البصري وابراهيم النخعي وقتادة والضحاك والربيع بن أنس وسليمان التيمي ومقاتل بن حيان والسدي يعني الزنا وهو معنى رواية العوفي عن ابن عباس واختاره ابن جرير وقال على بن أبي طلحة عن ابن عباس (ولكن لا تواعدوهن سرا) لا تقل لها إني عاشق وعاهديني أن لا تتزوجي غيري ونحو هذا وكذا روي عن سعيد بن جبير والشعبي وعكرمة وأبي الضحى والضحاك والزهري ومجاهد والثوري هو أن يأخذ ميثاقها أن لا تتزوج غيره وعن مجاهد هو قول الرجل للمرأة لا تفوتيني بنفسك فاني ناكحك وقال قتادة : هو أن يأخذ عهد المرأة وهي في عدتها ان لا تنكح غيره فنهي الله عن ذلك وقدم فيه واحل الخطبة والقول بالمعروف وقال ابن زيد (ولكن لا تواعدوهن سرا) هو أن يتزوجها في العدة سرا فاذا حلت أظهر ذلك وقد يحتمل أن تكون الآية عامة في جميع ذلك ولهذا قال (الا أن تقولوا قولا معروفا) . قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير والسدي والثوري وابن زيد : يعني به ما تقدم من اباحة التعريض كقوله : إني فيك لراغب ونحو ذلك . وقال محمد بن سيرين : قلت لعبيدة : ما معنى قوله (الا أن تقولوا قولا معروفا) قال : يقول لوليها : لا تسبقني بها ، يعني لا تزوجها حتى تعلمني ، رواه ابن أبي حاتم

وقوله (ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله) يعني ولا تعقدوا العقدة بالنكاح حتى تنقضي العدة . قال ابن عباس ومجاهد والشعبي وقتادة والربيع بن أنس وأبو مالك وزيد بن أسلم ومقاتل بن حيان والزهري وعطاء الخراساني والسدي والثوري والضحاك (حتى يبلغ الكتاب أجله) يعني ولا تعقدوا العقد بالنكاح حتى تنقضي العدة . وقد أجمع العلماء على أنه لا يصح العقد في مدة العدة . واختلفوا فيمن تزوج امرأة في عدتها فدخل بها فانه يفرق بينهما وهل تحرم عليه أبدا ؟ على قولين : الجمهور على أنها لا تحرم عليه بل له أن يخطبها اذا انقضت عدتها . وذهب الامام

أضمرتم ﴿ في أنفسكم ﴾ من نكاحهن يقال أكننت الشيء وكننته لغتان . وقال ثعلب : أكننت الشيء أي أخفيته في نفسي وكننته سترته . قال السدي : هو ان يدخل فيسلم ويهدي ان شاء ولا يتكلم بشيء ﴿ علم الله أنكم ستذكرونهن ﴾ بقلوبكم ﴿ ولكن لا تواعدوهن سرا ﴾ اختلفوا في السر المنهي عنه فقال قوم هو الزنا كان الرجل يدخل على المرأة من اجل الزنية وهو يتعرض بالنكاح ويقول لها دعيني فاذا وفيت عدتك اظهرت نكاحك . هـذا قول الحسن وقتادة وابراهيم وعطاء ورواية عطية عن ابن عباس رضي الله عنهما . قال زيد بن أسلم : أي لا ينكحها سرا فيمسكها فاذا حلت اظهر ذلك . وقال مجاهد : هو قول الرجل لا تفوتيني بنفسك فاني ناكحك . وقال الشعبي : والسدى لا يأخذ ميثاقها ان لا تنكح غيره . وقال عكرمة : لا ينكحها ولا يخطبها في العدة . قال الشافعي : السر هو الجماع . وقال الكلبي : أى لا تصفوا أنفسكم لهن بكثرة الجماع فيقول آتيك الاربعة والخمسة واشباه ذلك ، ويذكر السر ويراد به الجماع . قال امرىء القيس :

ألا زعمت بسباسة القوم انني كبرت والا يحسن السر أمثالي

مالك الى أنها تحرم عليه على التأبيد واحتج في ذلك بما رواه عن ابن شهاب وسليمان بن يسار أن عمر رضي الله عنه قال : أيما امرأة نكحت في عدتها فان كان زوجها الذي تزوج بها لم يدخل بها فرق بينهما ثم اعتدت بقية عدتها من زوجها الاول وكان خاطبا من الخطاب وان كان دخل بها فرق بينهما ثم اعتدت بقية عدتها من زوجها الاول ثم اعتدت من الآخر ثم لم ينكحها أبداً، قالوا : ومأخذ هذا أن الزوج لما استعجل ما أجل الله عوقب بنقيض قصده فحرمت عليه على التأبيد كالقاتل يحرم الميراث. وقد روى الشافعي هذا الاثر عن مالك . قال البيهقي : وذهب اليه في القديم ورجع عنه في الجديد لقول علي إنها لا تحل له (قلت) قال : ثم هو منقطع عن عمر. وقد روى الثوري عن أشعث عن الشعبي عن مسروق أن عمر رجع عن ذلك وجعل لها مهرها وجعلهما يجتمعان

وقوله (واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه) توعدهم على ما يقع في ضمائرهم من أمور النساء وأرشدهم الى اضمار الخير دون الشر ثم لم يؤيسهم من رحمته ولم يقنطهم من عائدته فقال (واعلموا أن الله غفور حليم)

---

(٢٣٥) لا جناح عليكم ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن أو تفرضوا لهن فريضة ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره متاعا بالمعروف حقا على المحسنين

أباح تبارك وتعالى طلاق المرأة بعد العقد عليها وقبل الدخول بها . قال ابن عباس وطاوس وابراهيم والحسن البصري : المس النكاح بل ويجوز أن يطلقها قبل الدخول بها والفرض لها ان كانت مفوضة وان كان في هذا انكسار لقلبها ولهذا أمر تعالى بامتاعها وهو تعويضها عما فاتها بشيء تعطاه من زوجها بحسب حاله على الموسع قدره وعلى المقتر قدره . وقال سفيان الثوري عن اسماعيل

وانما قيل للزنا والجماع سر لانه يكون في خفاء بين الرجل والمرأة

قوله تعالى ﴿الا أن تقولوا قولا معروفا﴾ هو ما ذكرنا من التعريض بالخطبة . قوله تعالى ﴿ ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله﴾ أي لا تحققوا العزم على عقد النكاح في العدة حتى يبلغ الكتاب أجله أي حتى تنقضي العدة وسماها الله كتابا لانها فرض من الله كقوله تعالى (كتب عليكم) أي فرض عليكم ﴿ واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه ﴾ أي فخافوا الله ﴿ واعلموا أن الله غفور حليم ﴾ لا يعجل بالعقوبة

وقوله تعالى ﴿ لا جناح عليكم ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن أو تفرضوا لهن فريضة ﴾ أي ولم تمسوهن ولم تفرضوا ، نزلت في رجل من الانصار تزوج امرأة من بني حنيفة ولم يسم لها مهرا ثم طلقها قبل أن يمسها فنزلت هذه الآية فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم «متعها ولو بقلنسوتك» قرأ حمزة والكسائي (ما لم تماسوهن) بالالف ههنا وفي الاحزاب على المفاعلة لان بدن كل واحد منهما يلاقي بدن صاحبه كما قال الله تعالى (من قبل أن يتماسا) وقرأ الباقون (تمسوهن) بلا ألف

ابن أمية عن عكرمة عن ابن عباس قال : متعة الطلاق أعلاه الخادم ودون ذلك الورق(١) ودون ذلك الكسوة . وقال على بن أبي طلحة عن ابن عباس : ان كان موسرا متعها بخادم أو نحو ذلك وان كان معسرا متعها بثلاثة أثواب . وقال الشعبي : أوسط ذلك درع وخمار وملحفة وجلباب قال : وكان شريح يمتع بخمسمائة . وقال عبد الرزاق : أخبرنا معمر عن أيوب عن ابن سيرين قال : كان يمتع بالخادم أو بالنفقة أو بالكسوة . قال : ومتع الحسن بن علي بعشرة آلاف ويروى أن المرأة قالت : «متاع قليل من حبيب مفارق » وذهب أبو حنيفة الى أنه متى تنازع الزوجان في مقدار المتعة وجب لها عليه نصف مهر مثلها . وقال الشافعي في الجديد : لا يجبر الزوج على قدر معلوم الا على أقل ما يقع عليه اسم المتعة وأحب ذلك الي أن يكون أقله ما تجزيء فيه الصلاة وقال في القديم لا أعرف في المتعة قدرا إلا أني أستحسن ثلاثين درهما كما روي عن ابن عمر رضي الله عنهما . وقد اختلف العلماء أيضا هل تجب المتعة لكل مطلقة أو إنما تجب المتعة لغير المدخول بها التي لم يفرض لها على أقوال: أحدها أنها تجب المتعة لكل مطلقة لعموم قوله تعالى(وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين) ولقوله تعالى (يا أيها النبي قل لأزواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا

لان الغشيان يكون من فعل الرجل دليله قوله تعالى (ولم يمسسني بشر) ﴿أو تفرضوا لهن فريضة ﴾ أي توجبوا لهن صداقا فان قيل فما الوجه في نفي الجناح عن المطلق قيل الطلاق قطع سبب الوصلة وجاء في الحديث « أبغض الحلال الى الله تعالى الطلاق » فنفى الجناح عنه اذا كان الفراق أروح من الامساك وقيل معناه لا سبيل للنساء عليكم ان طلقتموهن من قبل المسيس والفرض بصداق ولا نفقة وقيل : لا جناح عليكم في تطليقهن قبل المسيس في أي وقت شئتم حائضا كانت المرأة أو طاهرا لانه لا سنة ولا بدعة في طلاقهن قبل الدخول بها بخلاف المدخول بها فانه لا يجوز تطليقها في حال الحيض ﴿ ومتعوهن ﴾ أى اعطوهن من مالكم ما يتمتعن به والمتعة والمتاع ما يتبلغ به من الزاد ﴿ على الموسع ﴾ أى على الغني ﴿ قدره وعلى المقتر ﴾ أي الفقير ﴿ قدره ﴾ أي امكانه وطاقته قرأ أبو جعفر وابن عامر وحمزة والكسائي وحفص قدره بفتح الدال فيهما وقرأ الآخرون بسكونهما وهما لغتان وقيل القدر بسكون الدال المصدر وبالفتح الاسم متاعا نصب على المصدر أى متعوهن ﴿ متاعا بالمعروف ﴾ أي بما أمركم الله به من غير ظلم ﴿ حقا على المحسنين ﴾ وبيان حكم الآية أن من تزوج امرأة ولم يفرض لها مهرا ثم طلقها قبل المسيس يجب عليه المتعة بالاتفاق وان طلقها بعد الفرض قبل المسيس فلا متعة لها على قول الاكثرين ولها نصف المهر المفروض واختلفوا في المطلقة بعد الدخول بها فذهب جماعة الى أنها لا متعة لها لانها تستحق المهر وهو قول أصحاب الرأي وذهب جماعة الى أنها تستحق المتعة لقوله تعالى (وللمطلقات متاع بالمعروف) وهو قول عبد الله بن عمر وبه قال عطاء ومجاهد والقاسم بن محمد واليه ذهب الشافعي لان استحقاقها المهر بمقابلة ما أتلف عليها من منفعة البضع فلها المتعة على وحشة الفراق فعلى القول الاول لا متعة الا لواحدة وهي المطلقة قبل

(١) بكسر الراء الدراهم

جميلا) وقد كن مفروضا لهن ومدخولا بهن وهذا قول سعيد بن جبير وأبي العالية والحسن البصري وهو أحد قولي الشافعي . ومنهم من جعله الجديد الصحيح والله أعلم (والقول الثاني) أنها تجب للمطلقة اذا طلقت قبل المسيس وان كانت مفروضا لها لقوله تعالى (يأأيها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها فمتعوهن وسرحوهن سراحا جميلا) قال شعبة وغيره عن قتادة عن سعيد بن المسيب قال : نسخت هذه الآية التي في الاحزاب الآية التي في البقرة . وقد روى البخاري في صحيحه عن سهل بن سعد وأبي أسيد أنهما قالا تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أميمة بنت شرحبيل فلما أدخلت عليه بسط يده اليها فكأنها كرهت ذلك فأمر أبا أسيد أن يجهزها ويكسوها ثوبين أزرقين (والقول الثالث) أن المتعة انما تجب للمطلقة اذا لم يدخل بها ولم يفرض لها فان كان قد دخل بها وجب لها مهر مثلها اذا كانت مفوضة وان كان قد فرض لها وطلقها قبل الدخول وجب لها عليه شطره فان دخل بها استقر الجميع وكان ذلك عوضا لها عن المتعه وانما المصابة التي لم يفرض لها ولم يدخل بها فهذه التي دلت هذه الآية الكريمة على وجوب متعتها وهذا قول ابن عمر ومجاهد ومن العلماء من استحبها لكل مطلقة ممن عدا المفوضة المفارقة قبل الدخول وهذا ليس بمنكر وعليه تحمل آية التخيير في الاحزاب ولهذا قال تعالى (على الموسع قدره وعلى المقتر قدره متاعا بالمعروف حقا على المحسنين *(١) والمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين)

(١) الآية الثانية لم تذكر هنا في نسخة الازهر

الفرض والمسيس وعلى القول الثاني لكل مطلقة متعة الا لواحدة وهي المطلقة بعد الفرض قبل المسيس قال عبد الله بن عمر : لكل مطلقة متعة الا التي فرض لها ولم يمسها زوجها فحسبها نصف المهر . قال الزهري : متعتان يقضي باحداهما السلطان ولا يقضي بالاخرى بل تلزمه فيما بينه و بين الله تعالى فأما التي يقضي بها السلطان فهي المطلقة قبل الفرض والمسيس وهو قوله تعالى (حقا على المحسنين) والتي تلزمه فيما بينه وبين الله تعالى ولا يقضي بها فهى المطلقة بعد المسيس . وهو قوله تعالى (حقا على المتقين) وذهب الحسن وسعيد بن جبير الى أن لكل مطلقة متعة سواء كان قبل الفرض والمسيس أو بعد الفرض قبل المسيس لقوله تعالى (وللمطلقات متاع بالمعروف) ولقوله تعالى في سورة الاحزاب (فمتعوهن وسرحوهن سراحا جميلا) وقالا : معنى قوله تعالى (لا جناح عليكم ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن أو تفرضوا لهن فريضة) أي أو لم تفرضوا لهن فريضة . وقال بعضهم : المتعة غير واجبة والامر بها أمر ندب واستحباب . روى أن رجلا طلق امرأته وقد دخل بها فخاصمته الى شريح في المتعة فقال شريح : لا تأب أن تكون من المحسنين ولا تأب أن تكون من المتقين ولم يجبره على ذلك. واختلفوا في قدر المتعة فروي عن ابن عباس أعلاها خادم وأوسطها ثلاثة أثواب درع وخمار وازار ودون ذلك وقاية أو شيء من الورق وبه قال الشعبي والزهري وهذا مذهب الشافعي قال : أعلاها على الموسع خادم وأوسطها ثوب وأقلها ما له ثمن وحسن ثلاثون درهما . وطلق عبد الرحمن بن عوف امرأته وحممها جارية سوداء أي متعها ومتع الحسن بن علي رضي الله عنه امرأة له

ومن العلماء من يقول أنها مستحبة مطلقا . قال ابن أبي حاتم : حدثنا كثير بن شهاب القزويني حدثنا محمد بن سعيد بن سابق حدثنا عمرو — يعني ابن أبي قيس — عن أبي اسحق عن الشعبي قال : ذكروا له المتعة أيحبس فيها فقرأ (على الموسع قدره وعلى المقتر قدره) قال الشعبي : والله ما رأيت أحدا حبس فيها والله لو كانت واجبة لحبس فيها القضاة

(٢٣٦) وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم الا أن يعفون أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح ، وان تعفوا اقرب للتقوى ولا تنسوا الفضل بينكم ان الله بما تعملون بصير)

وهذه الآية الكريمة مما يدل على اختصاص المتعة بما دلت عليه الآية الاولى حيث انما أوجب في هذه الآية نصف المهر المفروض اذا طلق الزوج قبل الدخول فانه لو كان ثم واجب آخر من متعة لبينها لا سيما وقد قرنها بما قبلها من اختصاص المتعة بتلك الآية والله أعلم . وتشطير الصداق

بعشرة آلاف درهم فقالت «متاع قليل من حبيب مفارق» وقال أبو حنيفة رحمه الله : مبلغها اذا اختلف الزوجان قدر نصف مهر مثلها لا يجاوز والآية تدل على أنه يعتبر حال الزوج في العسر واليسر ، ومن حكم الآية ان من تزوج امرأة بالغة برضاها على غير مهر يصح النكاح وللمرأة مطالبته بأن يفرض لها صداقا فان دخل بها قبل الفرض فلها عليه مهر مثلها وان طلقها قبل الفرض والدخول فلها المتعة وان مات أحدهما قبل الفرض والدخول فاختلف أهل العلم في أنها هل تستحق المهر أم لا فذهب جماعة الى أنه لا مهر لها وهو قول علي وزيد بن ثابت وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس كما لو طلقها قبل الفرض والدخول وذهب قوم الى أن لها المهر لان الموت كالدخول في تقرير المسمى كذلك في ايجاب مهر المثل اذا لم يكن في العقد مسمى وهو قول الثوري وأصحاب الرأي واحتجوا بما روي عن علقمة عن ابن مسعود أنه سئل عن رجل تزوج امرأة ولم يفرض لها صداقا ولم يدخل بها حتى مات فقال ابن مسعود : لها صداق نسائها ولا وكس ولا شطط وعليها العدة ولها الميراث فقام معقل بن يسار الاشجعي فقال : قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم في بروع بنت واشق امرأة منا مثل ما قضيت ففرح بها ابن مسعود رضي الله عنه . وقال الشافعي رحمه الله : فان ثبت حديث بروع بنت واشق فلا حجة في قول أحد دون قول النبي صلى الله عليه وسلم وان لم يثبت فلا مهر لها ولها الميراث وكان علي يقول : في حديث بروع لا يقبل قول اعرابي من أشجع على كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم

وقوله تعالى ﴿ وان طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف مافرضتم ﴾ هذا في المطلقة بعد الفرض قبل المسيس فلها نصف المفروض وان مات أحدهما قبل المسيس فلها كمال المهر المفروض والمراد بالمس المذكور في الآية الجماع واختلف اهل العلم فيما لو خلا الرجل بامرأته

والحالة هذه أمر مجمع عليه بين العلماء لاخلاف بينهم في ذلك فانه متى كان قد سمى لها صداقا ثم فارقها قبل دخوله بها فانه يجب لها نصف ما سمى من الصداق الا أن عند الثلاثة أنه يجب جميع الصداق اذا خلا بها الزوج وان لم يدخل بها وهو مذهب الشافعي في القديم و به حكم الخلفاء الراشدون لكن قال الشافعي : أخبرنا مسلم بن خالد أخبرنا ابن جريج عن ليث بن أبي سليم عن طاوس عن ابن عباس أنه قال في الرجل يتزوج المرأة فيخلو بها ولا يمسها ثم يطلقها : ليس لها الا نصف الصداق لان الله يقول (وان طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم) قال الشافعي بهذا أقول وهو ظاهر الكتاب قال البيهقي وليث بن أبي سليم وان كان غير محتج به فقد رويناه من حديث ابن أبي طلحة عن ابن عباس فهو مقوله

وقوله (الا أن يعفون) أي النساء عما وجب لها على زوجها فلايجب لها عليه شيء قال السدي عن أبي صالح عن ابن عباس في قوله (الا ان يعفون) قال : الا ان تعفو الثيب فتدع حقها . قال الامام أبو محمد بن أبي حاتم رحمه الله وروي عن شريح وسعيد بن المسيب وعكرمة ومجاهد والشعبي والحسن ونافع وقتادة وجابر بن زيد وعطاء الخراساني والضحاك والزهري ومقاتل بن حيان وابن سيرين والربيع بن أنس والسدي نحو ذلك . قال : وخالفهم محمد بن كعب القرظي فقال (الا أن يعفون) يعني الرجال وهو قول شاذ لم يتابع عليه انتهى كلامه

وقوله (أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح) قال ابن أبي حاتم : ذكر عن ابن لهيعة حدثني عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ولي عقدة النكاح الزوج » وهكذا أسنده ابن مردويه من حديث عبد الله بن لهيعة به وقد أسنده ابن جرير عن ابن لهيعة

ثم طلقها قبل أن يدخل بها فذهب قوم الى أنه لا يجب لها الا نصف الصداق ولا عدة عليها لان الله تعالى أوجب بالطلاق قبل المسيس نصف المهر ولم يوجب العدة وهو قول ابن عباس رضي الله عنه وابن مسعود وبه قال الشافعي رحمه الله وقال قوم يجب لها كمال المهر وعليها العدة لما روي عن عمر رضي الله عنه أنه قال : اذا أرخيت الستور فقد وجب الصداق ومثله عن زيد بن ثابت وحمل بعضهم قول عمر على وجوب تسليم الصداق اليها اذا سلمت نفسها لا على تقدير الصداق وقيل هذه الآية ناسخة للآية التي في الاحزاب (فما لكم عليهن من عدة تعتدونها فمتعوهن) فقد كان للمطلقة قبل المسيس متاع فنسخت بهذه الآية وأوجب للمطلقة المفروض لها قبل المسيس نصف المفروض ولا متاع لها وقوله تعالى (وقد فرضتم لهن فريضة) أى سميتم لهن مهرا (فنصف ما فرضتم) أي لها نصف المهر المسمى ﴿ إلا أن يعفون ﴾ يعني النساء أى الا أن تترك المرأة نصيبها فيعود جميع الصداق الى الزوج

قوله تعالى ﴿ أو يعفو الذى بيده عقدة النكاح ﴾ اختلفوا فيه فذهب بعضهم الى أن الذى بيده عقدة النكاح هو الولي وبه قال ابن عباس رضي الله عنه معناه الا أن تعفو المرأة بترك نصيبها الى الزوج ان كانت ثيبا من أهل العفو أو يعفو وليها فيترك نصيبها ان كانت المرأة بكرا أو غير جائزة

عن عمرو بن شعيب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكره ولم يقل عن أبيه عن جده فالله أعلم ثم قال ابن أبي حاتم وحدثنا يونس بن حبيب حدثنا أبو داود حدثنا جابر يعني ابن أبي حازم عن عيسى يعني ابن عاصم قال : سمعت شريحا يقول سألني علي بن أبي طالب عن الذي بيده عقدة النكاح فقلت له هو ولي المرأة فقال علي : لا بل هو الزوج ثم قال وفي احدى الروايات عن ابن عباس وجبير بن مطعم وسعيد بن المسيب وشريح في أحد قوليه وسعيد بن جبير ومجاهد والشعبي وعكرمة ونافع ومحمد بن سيرين والضحاك ومحمد بن كعب القرظي وجابر بن زيد وأبي مجلز والربيع ابن أنس واياس بن معاوية ومكحول ومقاتل بن حيان أنه الزوج (قلت) وهذا هو الجديد من قولي الشافعي ومذهب أبي حنيفة وأصحابه والثوري وابن شبرمة والاوزاعي واختاره ابن جرير ومأخذ هذا القول أن الذي بيده عقدة النكاح حقيقة الزوج فان بيده عقدها وابرامها ونقضها وانهدامها وكما أنه لا يجوز للولي أن يهب شيئا من مال المولية للغير فكذلك في الصداق قال والوجه الثاني حدثنا أبي حدثنا ابن أبي مريم حدثنا محمد بن مسلم حدثنا عمرو بن دينار عن ابن عباس في الذي ذكر الله بيده عقدة النكاح قال ذلك أبوها أو أخوها أو من لا تنكح إلا باذنه وروي عن علقمة والحسن وعطاء وطاوس والزهري وربيعة وزيد بن أسلم وابراهيم النخعي وعكرمة في أحد قوليه ومحمد بن سيرين في أحد قوليه أنه الولي وهذا مذهب مالك وقول الشافعي القديم ومأخذه أن الولي هو الذي أكسبها إياه فله التصرف فيه بخلاف سائر مالها وقال ابن جرير : حدثنا سعيد بن الربيع الرازي حدثنا سفيان عن عمرو بن دينار عن عكرمة قال : أذن الله في العفو وامر به فأي امرأة عفت جاز عفوها فان شحت وضنت عفا وليها(١) جاز عفوه وهذا يقتضي صحة عفو الولي وان كانت رشيدة وهو مروي عن شريح لكن أنكر عليه الشعبي فرجع عن ذلك وصار الى أنه الزوج وكان يباهل عليه

وقوله (وأن تعفوا أقرب للتقوى) قال ابن جرير قال بعضهم : خوطب به الرجال والنساء حدثني يونس أنبأنا ابن وهب سمعت ابن جريج يحدث عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس (وأن تعفوا أقرب للتقوى) قال أقربهما للتقوى الذي يعفو وكذا روي عن الشعبي وغيره وقال مجاهد والنخعي والضحاك ومقاتل بن حيان والربيع بن أنس والثوري الفضل ههنا أن تعفو المرأة عن شطرها

(١) الظاهر أن أصله : وعفا وليها — ونسخة الازهر : عفا وليها وجاز عفوه

العفو فيجوز عفو وليها وهو قول علقمة وعطاء والحسن والزهري وربيعة وذهب بعضهم الى أنه انما يجوز عفو الولي اذا كانت المرأة بكرا فان كانت ثيبا فلا يجوز عفو وليها وقال بعضهم الذي بيده عقدة النكاح هو الزوج وهو قول علي وبه قال سعيد بن المسيب وسعيد بن جبير والشعبي والشريحي ومجاهد وقتادة وقالوا لا يجوز لوليها ترك الشيء من الصداق بكرا كانت أو ثيبا كما لا يجوز له ذلك قبل الطلاق بالاتفاق وكما لا يجوز له ان يهب شيئا من مالها وقالوا معنى الآية الا أن تعفو المرأة بترك نصيبها فيعود جميع الصداق الى الزوج أو يعفو الزوج بترك نصيبه فيكون لها جميع الصداق فعلى هذا التأويل وجه الآية الذي بيده عقدة النكاح نكاح نفسه فى كل حال قبل الطلاق أو بعده ﴿ وأن تعفوا

أو إتمام الرجل الصداق لها ولهذا قال (ولا تنسوا الفضل بينكم) أى الاحسان قاله سعيد وقال الضحاك وقتادة والسدي وأبو وائل المعروف يعني لا تهملوه بل استعملوه بينكم وقد قال أبو بكر بن مردويه حدثنا محمد بن احمد بن ابراهيم حدثنا موسى بن اسحق حدثنا عقبة بن مكرم حدثنا يونس بن بكير حدثنا عبد الله بن الوليد الرصافي عن عبد الله بن عبيد عن علي بن أبي طالب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ليأتين على الناس زمان عضوض يعض المؤمن على ما في يديه وينسى الفضل وقد قال الله تعالى (ولا تنسوا الفضل بينكم) شرار يبايعون كل مضطر » وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بيع المضطر وعن بيع الغرر فان كان عندك خير فعد به على أخيك ولا تزده هلاكا الى هلاكه فان المسلم أخو المسلم لا يحزنه ولا يحرمه . وقال سفيان عن أبي هاون قال رأيت هارون بن عبد الله في مجلس القرظي فكان عون يحدثنا ولحيته ترش من البكاء ويقول صحبت الاغنياء فكنت من أكثرهم هما حين رأيتهم أحسن ثيابا وأطيب ريحا وأحسن مركبا وجالست الفقراء فاسترحت بهم وقال (ولا تنسوا الفضل بينكم) اذا أتاه السائل وليس عنده شيء فليدع له رواه ابن أبي حاتم (إن الله بما تعملون بصير) أى لا يخفى عليه شيء من أموركم وأحوالكم وسيجزى كل عامل بعمله

(٢٣٧) حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين (٢٣٨) فان خفتم فرجالا أو ركبانا فاذا أمنتم فاذكروا الله كما علمكم مالم تكونوا تعلمون *

يأمر تعالى بالمحافظة على الصلوات في أوقاتها وحفظ حدودها وأدائها في أوقاتها كما ثبت في الصحيحين

وأقرب للتقوى ﴾ موضعه رفع بالابتداء أى والعفو أقرب للتقوى أى الى التقوى والخطاب للرجال النساء جميعا لان المذكر والمؤنث اذا اجتمعا كانت الغلبة للمذكر معناه وعفو بعضكم عن بعض أقرب للتقوى ﴿ ولا تنسوا الفضل بينكم ﴾ أى افضال بعضكم على بعض باعطاء الرجل تمام الصداق أو ترك المرأة نصيبها حثهما جميعا على الاحسان ﴿ ان الله بما تعملون بصير ﴾

قوله تعالى ﴿ حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى ﴾ أى واظبوا وداوموا على الصلوات المكتوبات بمواقيتها وحدودها واتمام أركانها ثم خص من بينها الصلاة الوسطى بالمحافظة عليها دلالة على فضلها . ووسطى تأنيث الاوسط ووسط الشيء خيره وأعدله واختلف العلماء من الصحابة ومن بعدهم في الصلاة الوسطى فقال قوم هي صلاة الفجر وهو قول عمر وابن عمر وابن عباس ومعاذ وجابر وبه قال عطاء وعكرمة ومجاهد واليه مال مالك والشافعي لان الله تعالى قال (وقوموا لله قانتين) فالقنوت طول القيام وصلاة الصبح مخصوصة بطول القيام وبالقنوت لان الله تعالى خصها في آية أخرى من بين الصلاة فقال الله تعالى (وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا) يعني تشهدها ملائكة الليل وملائكة النهار فهي مكتوبة في ديوان الليل وديوان النهار ولانها بين صلاتي جمع وهي لا تقصر ولا تجمع الى غيرها وذهب قوم الى أنها صلاة الظهر وهو قول زيد بن ثابت وأبي

عن ابن مسعود قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أي العمل أفضل؟ قال: «الصلاة في وقتها» قلت ثم أي؟ قال: «الجهاد في سبيل الله» قلت ثم أي؟ قال «بر الوالدين» قال: حدثني بهن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو استزدته لزادني وقال الامام احمد حدثنا يونس حدثنا ليث عن عبد الله بن عمر بن حفص بن عاصم عن القاسم بن غنام عن جدته أم أبيه الدنيا عن جدته أم فروة كانت ممن بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر الاعمال فقال «ان أحب الاعمال الى الله تعجيل الصلاة لاول وقتها» وهكذا رواه أبو داود والترمذي وقال لا نعرفه الا من طريق العمري وليس بالقوي عند أهل الحديث وخص تعالى من بينها بمزيد التأكيد الصلاة الوسطى وقد اختلف السلف والخلف فيها أي صلاة هي فقيل انها الصبح حكاه مالك في الموطأ بلاغا عن علي وابن عباس وقال هشيم وابن علية وغندر وابن أبي عدي وعبد الوهاب وشريك وغيرهم عن عوف الاعرابي عن أبي رجاء العطاردي قال: صليت خلف ابن عباس الفجر فقنت فيها ورفع يديه ثم قال: هذه الصلاة الوسطى التي أمرنا أن نقوم فيها قانتين رواه ابن جرير ورواه أيضا من حديث عوف عن خلاس بن عمرو عن ابن عباس مثله سواء وقال ابن جرير حدثنا ابن بشار حدثنا عبد الوهاب حدثنا عوف عن أبي المنهال عن أبي العالية عن ابن عباس أنه صلى الغداة في مسجد البصرة فقنت قبل الركوع وقال هذه الصلاة الوسطى التي ذكرها الله في كتابه فقال (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين) وقال أيضا حدثنا محمد بن عيسى الدامغاني أخبرنا ابن المبارك أخبرنا الربيع بن أنس عن أبي العالية قال: صليت خلف عبد الله بن قيس بالبصرة صلاة الغداة فقلت لرجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جانبي ما الصلاة الوسطى؟ قال: هذه الصلاة. وروي من طريق أخرى عن الربيع عن أبي العالية أنه صلى مع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الغداة فلما فرغوا قال قلت لهم أيتهن الصلاة الوسطى؟ قالوا: التي قد صليتها قبل. وقال أيضا حدثنا ابن بشار حدثنا ابن عثمة عن سعيد بن بشير عن قتادة عن جابر بن عبد الله قال: الصلاة الوسطى صلاة الصبح. وحكاه ابن أبي حاتم عن ابن عمر وأبي أمامة وأنس وأبي العالية وعبيد بن عمير وعطاء ومجاهد وجابر بن زيد وعكرمة والربيع بن أنس ورواه ابن جرير عن عبد الله بن شداد ابن الهاد أيضا وهو الذي نص عليه الشافعي رحمه الله محتجا بقوله تعالى (وقوموا لله قانتين) والقنوت عنده في صلاة الصبح ومنهم من قال هي وسطى باعتبار أنها لا تقصر وهي بين صلاتين رباعيتين

سعيد الخدري وأسامة بن زيد لانها في وسط النهار وهي أوسط صلاة النهار في الطول أخبرنا عمر ابن عبد العزيز اخبرنا ابو القاسم بن جعفر الهاشمي انا ابو علي اللؤلؤي انا ابو داود انا محمد بن المثنى انا محمد بن جعفر انا شعبة حدثني عمرو بن ابي حكيم قال: سمعت الزبير يحدث عن عروة ابن الزبير عن زيد بن ثابت قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي الظهر بالهاجرة ولم يكن يصلي صلاة اشد على اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم منها فنزلت (حافظوا على الصلوات

مقصورتين وترد المغرب وقيل لانها بين صلاتي ليل جهريتين وصلاتي نهارسريتين. وقيل انها صلاة الظهر قال أبو داود الطيالسي في مسنده حدثنا ابن أبي ذئب عن الزبرقان يعني ابن عمرو وعن زهرة يعني ابن معبد قال: كنا جلوسا عند زيد بن ثابت فأرسلوا الى أسامة فسألوه عن الصلاة الوسطى فقال هي الظهر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصليها بالهجير وقال احمد: حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة حدثني عمرو بن أبي حكيم سمعت الزبرقان يحدث عن عروة بن الزبير عن زيد بن ثابت قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي الظهر بالهاجرة ولم يكن يصلي صلاة أشد على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منها فنزلت (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين) وقال ان قبلها صلاتين وبعدها صلاتين. ورواه ابو داود في سننه من حديث شعبة به وقال احمد أيضا: حدثنا يزيد بن أبي وهب عن الزبرقان أن رهطا من قريش مر بهم زيد بن ثابت وهم مجتمعون فأرسلوا اليه غلامين لهم يسألانه عن الصلاة الوسطى فقال هي صلاة العصر فقام اليه رجلان منهم فسألاه فقال: هي الظهر. ثم انصرفا الى أسامة بن زيد فسألاه فقال: هي الظهر، ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي الظهر بالهجير فلا يكون وراءه الا الصف والصفان والناس في قائلتهم وفي تجارتهم فأنزل الله (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين) قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لينتهين رجال أو لاحرقن بيوتهم» والزبرقان هو ابن عمرو بن أمية الضمري لم يدرك أحدا من الصحابة والصحيح ما تقدم من روايته عن زهرة بن معبد وعروة بن الزبير وقال شعبة وهمام عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن ابن عمر عن زيد بن ثابت قال: الصلاة الوسطى صلاة الظهر. وقال ابو داود الطيالسي وغيره عن شعبة أخبرني عمر بن سليمان من ولد عمر بن الخطاب قال سمعت عبد الرحمن بن ابان بن عثمان يحدث عن أبيه عن زيد بن ثابت قال: الصلاة الوسطى هي الظهر ورواه ابن جرير عن زكريا بن يحيى بن أبي زائدة عن عبد الصمد عن شعبة عن عمر بن سليمان عن زيد بن ثابت في حديث رفعه قال «الصلاة الوسطى صلاة الظهر» وممن روي عنه أنها الظهر ابن عمر وأبو سعيد وعائشة على اختلاف عنهم وهو قول عروة بن الزبير وعبد الله بن شداد بن الهاد ورواية عن أبي حنيفة رحمهم الله وقيل انها صلاة العصر قال الترمذي والبغوي رحمهما الله وهو قول اكثر علماء الصحابة وغيرهم وقال القاضي الماوردي هو قول جمهور التابعين وقال الحافظ ابو عمر ابن عبد البر هو قول اكثر اهل الاثر وقال ابو محمد بن عطية في تفسيره وهو قول جمهور الناس

والصلاة الوسطى) وذهب الاكثرون الى انها صلاة العصر رواه جماعة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قول علي وعبد الله بن مسعود وابي ايوب وابي هريرة وعائشة رضوان الله عليهم وبه قال ابراهيم النخعي وقتادة والحسن اخبرنا ابو الحسن السرخسي اخبرنا زاهر بن احمد اخبرنا ابو اسحق الهاشمي انا ابو مصعب عن مالك عن زيد بن اسلم عن القعقاع بن حكيم عن ابي يونس مولى عائشة ام المؤمنين رضي الله عنهما انه قال: امرتني عائشة ان اكتب لها مصحفا وقالت «اذا

وقال الحافظ ابو محمد عبد المؤمن بن خلف الدمياطي في كتابه المسمى بكشف الغطاء في تبيين الصلاة الوسطى وقد نص فيه أنها العصر وحكاه عن عمر وعلي وابن مسعود وأبي ايوب وعبد الله بن عمرو وسمرة بن جندب وأبي هريرة وأبي سعيد وحفصة وأم حبيبة وأم سلمة وعن ابن عمر وابن عباس وعائشة على الصحيح عنهم وبه قال عبيدة وابراهيم النخعي وزر بن حبيش وسعيد بن جبير وابن سيرين والحسن وقتادة والضحاك والكلبي ومقاتل وعبيد بن مريم وغيرهم وهو مذهب احمد بن حنبل قال القاضي الماوردي والشافعي قال ابن المنذر وهو الصحيح عن أبي حنيفة وأبي يوسف ومحمد واختاره ابن حبيب المالكي رحمهم الله

ذكر الدليل على ذلك — قال الامام احمد : حدثنا ابو معاوية حدثنا الاعمش عن مسلم عن شتير بن شكل عن علي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاحزاب «شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ملا الله قلوبهم وبيوتهم نارا» ثم صلاها بين العشاءين المغرب والعشاء» وكذا رواه مسلم من حديث ابي معاوية محمد بن حازم الضرير والنسائي من طريق عيسى بن يونس كلاهما عن الاعمش عن مسلم بن صبيح عن ابي الضحى عن شتير بن شكل بن حميد عن علي بن ابي طالب عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله» وقد رواه مسلم ايضا من طريق شعبة عن الحكم بن عيينة عن يحيى بن الجزار عن علي بن ابي طالب واخرجه الشيخان وابو داود والترمذي والنسائي وغير واحد من اصحاب المسانيد والسنن والصحاح من طرق يطول ذكرها عن عبيدة السلماني عن علي به ورواه الترمذي والنسائي من طريق الحسن البصري عن علي به قال الترمذي : ولا يعرف سماعه منه وقال ابن ابي حاتم حدثنا احمد بن سنان حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن سفيان عن عاصم عن زر قال قلت لعبيدة سل عليا عن الصلاة الوسطى فسأله فقال : كنا نراها الفجر أو الصبح حتى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يوم الاحزاب شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ملأ الله قبورهم وأجوافهم أو بيوتهم نارا » ورواه ابن جرير عن بندار عن ابن مهدي به . وحديث يوم الاحزاب وشغل المشركين رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه عن أداء صلاة العصر يومئذ مروي عن جماعة من الصحابة يطول ذكرهم وانما المقصود رواية من نص منهم في روايته أن الصلاة الوسطى هي صلاة العصر . وقد رواه مسلم أيضا من حديث ابن مسعود والبراء بن عازب رضي الله عنهما (حديث آخر) قال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا همام عن قتادة عن الحسن عن سمرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «صلاة

بلغت هذه الآية فآذني (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى) فلما بلغتها آذنتها فأملت علىّ (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى صلاة العصر وقوموا لله قانتين) قالت عائشة رضي الله عنها: سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن حفصة مثل ذلك. اخبرنا عبد الواحد بن احمد المليحي انا ابو منصور محمد بن محمد بن سمعان انا ابو جعفر الزياني انا حميد بن زنجويه اخبرنا ابو نعيم انا سفيان عن عاصم بن ابي النجود عن زر بن حبيش قال: قلنا لعبيدة سل عليا عن الصلاة الوسطى

الوسطى صلاة العصر » وحدثنا بهز وعفان قالا : حدثنا أبان حدثنا قتادة عن الحسن عن سمرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى) وسماها لنا أنها هي صلاة العصر وحدثنا محمد بن جعفر وروح قالا : حدثنا سعيد عن قتادة عن الحسن عن سمرة بن جندب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « هي العصر » قال ابن جعفر : سئل عن صلاة الوسطى ورواه الترمذي من حديث سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن الحسن عن سمرة . وقال : حسن صحيح . وقد سمع منه حديث آخر وقال ابن جرير : حدثنا أحمد بن منيع حدثنا عبد الوهاب بن عطاء عن التيمي عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «الصلاة الوسطى صلاة العصر » (طريق أخرى بل حديث آخر) قال ابن جرير وحدثني المثنى حدثنا سليمان بن أحمد الجرشي الواسطي حدثنا الوليد بن مسلم قال أخبرني صدقة بن خالد حدثني خالد بن دهقان عن خالد بن سيلان عن كهيل بن حرملة قال : سئل أبو هريرة عن الصلاة الوسطى فقال : اختلفنا فيها كما اختلفتم فيها ونحن بفناء بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وفينا الرجل الصالح أبو هاشم بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس فقال : أنا أعلم لكم ذلك فقام فاستأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل عليه ثم خرج الينا فقال : أخبرنا أنها صلاة العصر. غريب من هذا الوجه جدا (حديث آخر) قال ابن جرير : حدثنا أحمد بن اسحق حدثنا أبو أحمد حدثنا عبد السلام عن مسلم مولى أبي جبير حدثني ابراهيم بن يزيد الدمشقي قال : كنت جالسا عند عبد العزيز بن مروان فقال : يا فلان اذهب الى فلان فقل له: أي شيء سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصلاة الوسطى؟ فقال رجل جالس : أرسلني أبو بكر وعمر وأنا غلام صغير أسأله عن الصلاة الوسطى فأخذ أصبعي الصغير فقال «هذه صلاة الفجر» وقبض التي تليها فقال «هذه الظهر» ثم قبض الابهام فقال «هذه المغرب» ثم قبض التي تليها فقال : هذه العشاء ثم قال : أي أصابعك بقيت فقلت الوسطى فقال « أي الصلاة بقيت ؟» فقلت العصر فقال «هي العصر» غريب أيضا جدا (حديث آخر) قال ابن جرير : حدثني محمد بن عوف الطائي حدثنا محمد بن اسماعيل بن عياش حدثني أبي حدثني أبو ضمضم بن زرعة عن شريح بن عبيد عن أبي مالك الاشعري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الصلاة الوسطى صلاة العصر » اسناده لا بأس به (حديث آخر) قال أبو حاتم بن حبان في صحيحه حدثنا أحمد بن يحيى بن زهير حدثنا الجراح بن مخلد حدثنا عمرو بن عاصم حدثنا همام بن مورق العجلي

فسأله قال: كنا نرى انها صلاة الفجر حتى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يوم الخندق شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ملأ الله أجوافهم وقبورهم نارا ولانها بين صلاتي نهار وصلاتي ليل وقد خصها النبي صلى الله عليه وسلم بالتغليظ أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي اخبرنا محمد بن يوسف انا محمد بن اسمعيل انا مسلم بن ابراهيم انا هشام انا يحيى بن أبي كثير عن أبي قلابة عن أبي المليح قال : كنا مع بريدة في غزوة في يوم ذي غيم فقال بكروا بصلاة العصر فان

عن أبي الاحوص عن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «صلاة الوسطى صلاة العصر» وقد روى الترمذي من حديث محمد بن طلحة بن مصرف عن زبيد اليامي عن مرة الهمداني عن ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «صلاة الوسطى صلاة العصر» ثم قال : حسن صحيح . وأخرجه مسلم في صحيحه من طريق محمد بن طلحة به ولفظه «شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر الحديث» فهذه نصوص في المسئلة لا تحتمل شيئا ويؤكد ذلك الامر بالمحافظة عليها وقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح من رواية الزهري عن سالم عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله» وفي الصحيح أيضا من حديث الاوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن أبي قلابة عن أبي كثير عن أبي المهاجر عن بريدة بن الحصيب(١) عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «بكروا بالصلاة في يوم الغيم فانه من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله» وقال الامام احمد: حدثنا يحيى بن اسحق أخبرنا ابن لهيعة عن عبد الله بن هبيرة عن أبي تميم عن أبي نضرة الغفاري قال: صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في واد من أوديتهم يقال له الحميص(٢) صلاة العصر فقال «ان هذه الصلاة عرضت على الذين من قبلكم فضيعوها ألا ومن صلاها ضعف له أجره مرتين ألا ولا صلاة بعدها حتى تروا الشاهد» ثم قال: رواه عن يحيى بن اسحق عن الليث عن جبير بن نعيم عن عبد الله بن هبيرة به وهكذا رواه مسلم والنسائي جميعا عن قتيبة عن الليث ورواه مسلم أيضا من حديث محمد بن اسحق حدثني يزيد بن أبي حبيب كلاهما عن جبير بن نعيم الحضرمي عن عبد الله ابن هبيرة السبائي به فأما الحديث الذي رواه الامام أحمد أيضا حدثنا اسحق أخبرني مالك عن زيد بن أسلم عن القعقاع بن حكيم عن أبي يونس مولى عائشة قال : أمرتني عائشة أن أكتب لها مصحفا قالت: اذا بلغت هذه الآية (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى) فآذني فلما بلغتها آذنتها فأملت علي (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وصلاة العصر وقوموا لله قانتين) قالت سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهكذا رواه مسلم عن يحيي بن يحيى عن مالك به . وقال ابن جرير : حدثني ابن المثنى حدثنا الحجاج حدثنا حماد عن هشام بن عروة عن أبيه قال : كان في مصحف عائشة (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وهي صلاة العصر) وهكذا رواه من طريق الحسن البصري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأها كذلك وقد روى الامام مالك أيضا عن زيد بن اسلم عن عمرو بن رافع قال كنت اكتب مصحفا لحفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم

النبي صلى الله عليه وسلم قال «من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله» وقال قبيصة بن ذؤيب : هي صلاة المغرب لانها وسط ليس بأقلها ولا أكثرها ، وقال بعضهم انها صلاة العشاء ، ولم ينقل عن السلف فيها شيء وانما ذكرها بعض المتأخرين لأنها بين صلاتين لا تقصران : وقال بعضهم هي إحدى الصلوات الخمس لا بعينها أبهمها الله تعالى تحريضا للعباد على المحافظة على أداء جميعها كما أخفي ليلة القدر في شهر رمضان وساعة اجابة الدعوة في يوم الجمعة وأخفى الاسم الاعظم في

«١» في (باب من ترك العصر) من صحيح البخاري : حدثنا مسلم بن ابراهيم قال حدثنا هشام قال حدثنا يحيى بن أبي كثير عن أبي قلابة عن أبي المليح قال كنا مع بريدة فقال بكروا بصلاة العصر فان النبي (ص) قال «من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله» ومثله في باب التكبير في يوم غيم من طريق معاذ ابن فضالة

«٢» في نسخة الازهر : يقال له المخمص

فقالت اذا بلغت هذه الآية فآذني (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى) فلما بلغتها آذنتها فأملت علي (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وصلاة العصر وقوموا لله قانتين) وهكذا رواه محمد بن اسحق ابن يسار فقال حدثني أبو جعفر محمد بن علي ونافع مولى بن عمران عمر بن نافع قال فذكر مثله وزاد كما حفظتها من النبي صلى الله عليه وسلم (طريق اخرى عن حفصة) قال ابن جرير حدثنا محمد بن بشار حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن أبي بشر عن عبد الله بن يزيد الازدي عن سالم بن عبد الله أن حفصة أمرت انسانا أن يكتب لها مصحفا فقالت اذا بلغت هذه الآية (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى) فآذني فلما بلغ آذانها فقالت اكتب حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وصلاة العصر (طريق اخرى) قال ابن جرير حدثني ابن المثنى حدثنا عبد الوهاب حدثنا عبد الله عن نافع أن حفصة أمرت مولى لها أن يكتب لها مصحفا فقالت اذا بلغت هذه الآية (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى) فلا تكتبها حتى املها عليك كما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرؤها فلما بلغها أمرته فكتبها (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وصلاة العصر وقوموا لله قانتين) قال نافع فقرأت ذلك المصحف فوجدت فيه الواو وكذا روى ابن جرير عن ابن عباس وعبيد بن عمير أنهما قرآ كذلك وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا عبيدة حدثنا محمد بن عمرو حدثني أبو سلمة عن عمرو بن رافع مولى عمر قال كان في مصحف حفصة حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وصلاة العصر وقوموا لله قانتين وتقرير المعارضة انه عطف صلاة العصر على الصلاة الوسطى بواو العطف التي تقتضي المغايرة فدل ذلك على أنها غيرها وأجيب عن ذلك بوجوه (أحدها) أن هذا ان روي على أنه خبر فحديث علي أصح وأصرح منه وهذا يحتمل أن تكون الواو زائدة كما في قوله (وكذلك نفصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين « وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين) أو تكون لعطف الصفات لا لعطف الذوات كقوله (ولكن رسول الله وخاتم النبيين) وكقوله (سبح اسم ربك الاعلى الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى والذي أخرج المرعى) وأشباه ذلك كثيرة وقال الشاعر :

الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم

وقال أبو داود الايادي :

سلط الموت والمنون عليهم فلهم في صدى المقابر هام

والموت هو المنون

الاسماء ليحافظوا على جميعها

قوله تعالى ﴿ وقوموا لله قانتين ﴾ أي مطيعين . قال الشعبي وعطاء وسعيد بن جبير والحسن وقتادة وطاوس : القنوت الطاعة . قال الله تعالى « أمة قانتا لله » أى مطيعا - وقال الكلبي ومقاتل: لكل أهل دين صلاة يقومون فيها عاصين فقوموا أنتم لله في صلاتكم مطيعين . وقيل القنوت السكوت

قال عدي بن زيد العبادي: (١)

فقدمت الأديم لراهشيه فألفى قولها كذبا ومينا

والكذب هو المين وقد نص سيبويه شيخ النحاة على جواز قول القائل مررت بأخيك وصاحبك ويكون الصاحب هو الاخ نفسه والله أعلم وأما إن روي على أنه قرآن فانه لم يتواتر فلا يثبت بمثل خبر الواحد قرآن ولهذا لم يثبته أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه في المصحف ولا قرأ بذلك أحد من القراء الذين تثبت الحجة بقراءتهم لا من السبعة ولا من غيرهم . ثم قد روي ما يدل على نسخ هذه التلاوة المذكورة في هذا الحديث قال مسلم: حدثنا اسحق بن راهويه أخبرنا يحيى بن آدم عن فضيل بن مرزوق عن شقيق بن عقبة عن البراء بن عازب قال: نزلت (حافظوا على الصلوات وصلاة العصر) فقرأناها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شاء الله ثم نسخها الله عز وجل فأنزل (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى) فقال له زاهر رجل كان مع شقيق : أفهي العصر ؟ قال قد حدثتك كيف نزلت وكيف نسخها الله عز وجل قال مسلم : و رواه الاشجعي عن الثوري عن الاسود عن شقيق قلت وشقيق هذا لم يرو له مسلم سوى هذا الحديث الواحد والله أعلم فعلى هذا تكون هذه التلاوة وهي تلاوة الجادة ناسخة للفظ رواية عائشة وحفصة ولمعناها ان كانت الواو دالة على المغايرة والا فلفظها فقط والله أعلم .

وقيل ان الصلاة الوسطى هي صلاة المغرب رواه ابن أبي حاتم عن ابن عباس وفي اسناده نظر فانه رواه عن أبيه عن أبي الجماهر عن سعيد بن بشير عن قتادة عن أبي الخليل عن عمه عن ابن عباس قال: صلاة الوسطى المغرب وحكى هذا القول ابن جرير عن قبيصة بن ذؤيب وحكي أيضا عن قتادة على اختلاف عنه ووجه هذا القول بعضهم بأنها وسطى في العدد بين الرباعية والثنائية وبأنها وتر المفروضات و بما جاء فيها من الفضيلة والله أعلم .

وقيل انها العشاء الاخيرة اختاره علي بن احمد الواحدي في تفسيره المشهور وقيل هي واحدة من الخمس لا بعينها وأبهمت فيهن كما أبهمت ليلة القدر في الحول أو الشهر أو العشر ويحكى هذا القول عن سعيد بن المسيب وشريح القاضي ونافع مولى ابن عمر والربيع بن خيثم ونقل أيضا عن زيد بن ثابت واختاره امام الحرمين الجويني في نهايته

وقيل بل الصلاة الوسطى مجموع الصلوات الخمس رواه ابن أبي حاتم عن ابن عمر وفي صحته أيضا نظر والعجب أن هذا القول اختاره الشيخ أبو عمرو بن عبد البر النمري امام ماوراء البحر وانها لاحدى

عما لا يجوز التكلم به في الصلاة اخبرنا أبو عثمان سعيد بن اسمعيل الضبي أنا أو محمد عبد الجبار ابن محمد الجراحي انا أبو العباس محمد بن أحمد المحبوبي انا أبو عيسى الترمذى انا أحمد بن منيع أنا هشيم انا اسماعيل بن أبي خالد عن الحارث بن شبيل عن أبي عمرو الشيباني عن زيد بن أرقم قال : كنا نتكلم خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصلاة يكلم الرجل منا صاحبه الى جنبه حتى نزلت (وقوموا لله قانتين) فأمرنا بالسكوت ونهينا عن الكلام . وقال مجاهد : خاشعين ، وقال من

«١» في نسخة الازهر: زيد بن عدي

الكبر اذ اختاره مع اطلاعه وحفظه ما لم يقم عليه دليل من كتاب ولا سنة ولا أثر وقيل انها صلاة العشاء وصلاة الفجر . وقيل بل هي صلاة الجماعة وقيل صلاة الجمعة وقيل صلاة الخوف وقيل بل صلاة عيد الفطر وقيل بل صلاة الاضحى وقيل الوتر وقيل الضحى وتوقف فيها آخرون لما تعارضت عندهم الادلة ولم يظهر لهم وجه الترجيح ولم يقع الاجماع على قول واحد بل لم يزل النزاع فيها موجودا من زمان الصحابة والى الآن قال ابن جرير: حدثني محمد بن بشار وابن مثنى قالا: حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة قال: سمعت قتادة يحدث عن سعيد بن المسيب قال: كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مختلفين في الصلاة الوسطى هكذا وشبك بين أصابعه وكل هذه الاقوال فيها ضعف بالنسبة الى التي قبلها وانما المدار ومعترك النزاع في الصبح والعصر وقد ثبتت السنة بأنها العصر فتعين المصير اليها . وقد روى الامام أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي رحمهما الله في كتاب الشافعي رحمه الله حدثنا أبي سمعت حرملة ابن يحيى اللخمي يقول قال الشافعي كل ما قلت فكان عن النبي صلى الله عليه وسلم بخلاف قولي مما يصح فحديث النبي صلى الله عليه وسلم أولى ولا تقلدوني وكذا روى الربيع والزعفراني واحمد بن حنبل عن الشافعي وقال موسى أبو الوليد بن أبي الجارود عن الشافعي اذا صح الحديث وقلت قولا فأنا راجع عن قولي وقائل بذلك فهذا من سيادته وأمانته وهذا نفس اخوانه من الائمة رحمهم الله ورضي عنهم أجمعين آمين ومن ههنا قطع القاضي الماوردي بان مذهب الشافعي رحمه الله ان صلاة الوسطى هي صلاة العصر وان كان قد نص في الجديد وغيره انها الصبح لصحة الاحاديث انها العصر وقد وافقه على هذه الطريقة جماعة من محدثي المذهب ولله الحمد والمنة. ومن الفقهاء في المذهب من ينكر ان تكون هي العصر مذهب الشافعي (١) وصمموا على انها الصبح قولا واحدا . قال الماوردي : ومنهم من حكى في المسئلة قولين ولتقرير المعارضات والجوابات موضع آخر غير هذا وقد أفردناه على حدة ولله الحمد والمنة .

١» لسخة الازهر مذهبا الشافعى

وقوله تعالى (وقوموا لله قانتين) أي خاشعين ذليلين مستكينين بين يديه وهذا الامر مستلزم ترك الكلام في الصلاة لمنافاته اياها ولهذا لما امتنع النبي صلى الله عليه وسلم من الرد على ابن مسعود حين سلم عليه وهو في الصلاة اعتذر اليه بذلك وقال «ان في الصلاة لشغلا» وفي صحيح مسلم انه صلى الله عليه وسلم قال لمعاوية بن الحكم السلمي حين تكلم في الصلاة «ان هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس انما هي التسبيح والتكبير وذكر الله » وقال الامام أحمد ابن حنبل

القنوت طول الركوع وغض البصر والركود وخفض الجناح كان العلماء اذا كان احدهم يصلي يهاب الرحمن ان يلتفت أو يقلب الحصى أو يعبث بشيء أو يحدث نفسه بشيء من أمر الدنيا الا ناسيا وقيل المراد من القنوت طول القيام . أخبرنا أبو عثمان الضبي أنا أبو محمد الجراحي أنا أبو العباس المحبوبي أنا أبو عيسى الترمذي انا ابن أبي عمر أنا سفيان بن عيينة عن ابن الزبير عن جابر قال « قيل للنبي صلى الله عليه وسلم أي الصلاة أفضل. قال «طول القنوت » وقيل (قانتين) أي داعين

حدثنا يحيى بن سعيد عن اسماعيل حدثني الحارث بن شبيل عن أبي عمرو الشيباني عن زيد بن أرقم قال : كان الرجل يكلم صاحبه في عهد النبي صلى الله عليه وسلم في الحاجة في الصلاة حتى نزلت هذه الآية (وقوموا لله قانتين) فأمرنا بالسكوت رواه الجماعة سوى ابن ماجه من طرق عن اسماعيل به وقد أشكل هذا الحديث على جماعة من العلماء حيث ثبت عندهم ان تحريم الكلام في الصلاة كان بمكة قبل الهجرة الى المدينة وبعد الهجرة الى أرض الحبشة كما دل على ذلك حديث ابن مسعود الذي في الصحيح قال : كنا نسلم على النبي صلى الله عليه وسلم قبل ان نهاجر الى الحبشة وهو في الصلاة فيرد علينا قال فلما قدمنا سلمت عليه فلم يرد عليّ فأخذني ما قرب وما بعد فلما سلم قال «اني لم أرد عليك الا أني كنت في الصلاة وان الله يحدث من أمره ما يشاء وان مما أحدث ان لا تكلموا في الصلاة» وقد كان ابن مسعود ممن أسلم قديما وهاجر الى الحبشة ثم قدم منها الى مكة مع من قدم فهاجر الى المدينة وهذه الآية (وقوموا لله قانتين) مدنية بلا خلاف فقال قائلون انما أراد زيد بن أرقم بقوله كان الرجل يكلم أخاه في حاجته في الصلاة الاخبار عن جنس الكلام واستدل على تحريم ذلك بهذه الآية بحسب ما فهمه منها والله أعلم . وقال آخرون انما أراد ان ذلك قد وقع بالمدينة بعد الهجرة اليها ويكون ذلك قد أبيح مرتين وحرم مرتين كما اختار ذلك قوم من أصحابنا وغيرهم والاول أظهر والله أعلم . وقال الحافظ أبو يعلي : أخبرنا بشر بن الوليد اخبرنا اسحق بن يحيى عن المسيب عن ابن مسعود قال : كنا يسلم بعضنا على بعض في الصلاة فمررت برسول الله صلى الله عليه وسلم فسلمت عليه فلم يرد عليّ فوقع في نفسي انه نزل في شيء فلما قضى النبي صلى الله عليه وسلم صلاته قال «وعليك السلام أيها المسلم ورحمة الله ان الله عز وجل يحدث من أمره ما يشاء فاذا كنتم في الصلاة فاقنتوا ولا تكلموا» وقوله (فان خفتم فرجالا أو ركبانا فاذا أمنتم فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون) لما أمر تعالى عباده بالمحافظة على الصلوات والقيام بحدودها وشدد الامر بتأكيدها ذكر الحال الذي يشتغل الشخص فيها عن أدائها على الوجه الاكمل وهي حال القتال والتحام الحرب فقال (فان خفتم فرجالا أو ركبانا) أي فصلوا على أي حال كان رجالا أو ركبانا ، يعني مستقبلي القبلة وغير مستقبليها كما قال مالك عن نافع ان ابن عمر كان اذا سئل عن صلاة الخوف وصفها . ثم قال فان كان خوف أشد من ذلك صلوا رجالا على أقدامهم أو ركبانا مستقبلي القبلة أو غير مستقبليها . قال نافع : لا أرى ابن عمر ذكر ذلك الا عن النبي صلى الله عليه وسلم

دليله ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قنت رسول الله صلى الله عليه وسلم شهرا متتابعا يدعو على احياء من بني سليم على رعل وذكوان وعصية ، وقيل معناه مصلين لقوله تعالى (أمن هو قانت آناء الليل) أي مصل

قوله تعالى ﴿ فان خفتم فرجالا أو ركبانا ﴾ (فرجالا) أي رجالة يقال راجل ورجال مثل صاحب وصحاب وقائم وقيام ونائم ونيام (أو ركبانا) على دوابهم وهو جمع راكب معناه ان لم

ورواه البخاري وهذا لفظ مسلم ورواه البخارى أيضا من وجه آخر عن ابن جريج عن موسى بن عقبة عن نافع عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه أو قريبا منه ، ولمسلم أيضا عن ابن عمر قال: فان كان خوف أشد من ذلك فصل راكبا أو قائما تومئ ايماء. وفي حديث عبد الله بن أنيس الجهني لما بعثه النبي صلى الله عليه وسلم الى خالد بن سفيان الهذلى ليقتله وكان نحو عرفة أوعرفات فلما واجهه حانت صلاة العصر قال فخشيت ان تفوتني فجعلت أصلي وأنا أومئ ايماء - الحديث بطوله رواه أحمد وأبوا داود باسناد جيد وهذا من رخص الله التي رخص لعباده ووضعه الآصار والاغلال عنهم ، وقد روى ابن أبي حاتم من طريق شبيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس قال ؛ في هذه الآية يصلي الراكب على دابته والراجل على رجليه. قال وروي عن الحسن ومجاهد ومكحول والسدي والحكم ومالك والاوزعي والثوري والحسن بن صالح نحو ذلك - وزاد ويؤمئ برأسه أينما توجه ثم قال : حدثنا أبي حدثنا غسان حدثنا داود يعني ابن علية عن مطرف عن عطية عن جابر ابن عبد الله قال : اذا كانت المسايفة فليومئ برأسه ايماء حيث كان وجهه فذلك قوله (فرجالا أو ركبانا) وروي عن الحسن ومجاهد وسعيد بن جبير وعطاء وعطية والحكم وحماد وقتادة نحو ذلك وقد ذهب الامام أحمد فيما نص عليه الى أن صلاة الخوف تفعل في بعض الاحيان ركعة واحدة اذا تلاحم الجيشان وعلى ذلك ينزل الحديث الذي رواه مسلم وأبوداود والنسائي وابن ماجه وابن جرير من حديث أبي عوانة الوضاح بن عبدالله اليشكري - زاد مسلم والنسائي وأيوب بن عائذ - كلاهما عن بكير بن الاخنس الكوفي عن مجاهد عن ابن عباس قال : فرض الله الصلاة على لسان نبيكم صلى الله عليه وسلم في الحضر أربعا وفي السفر ركعتين وفي الخوف ركعة، وبه قال الحسن البصري وقتادة والضحاك وغيرهم . وقال ابن جرير : حدثنا ابن بشار حدثنا ابن مهدي عن شعبة قال : سألت الحكم وحمادا وقتادة عن صلاة المسايفة فقالوا ؛ ركعة . وهكذا روى الثوري عنهم سواء وقال ابن جرير أيضا : حدثني سعيد بن عمرو السكوني حدثنا بقية بن الوليد حدثنا المسعودي حدثنا يزيد الفقير عن جابر بن عبد الله قال ؛ صلاة الخوف ركعة . واختار هذا القول ابن جرير وقال البخاري (باب الصلاة عند مناهضة الحصون ولقاء العدو) وقال الاوزاعي: ان كان تهيأ الفتح ولم يقدروا على الصلاة صلوا ايماء كل امرئ لنفسه فان لم يقدروا على الايماء أخروا الصلاة حتى ينكشف القتال ويأمنوا

يمكنكم أن تصلوا قانتين موفين للصلاة حقها لخوف فصلوا مشاة على ارجلكم أو ركبانا على ظهور دوابكم وهذا في حال المقاتلة والمسايفة يصلي حيث كان وجهه راجلا أو راكبا مستقبل القبلة وغير مستقبلها ويؤمي بالركوع والسجود ويجعل السجود أخفض من الركوع وكذلك اذا قصده سبع أو غشيه سيل يخاف منه على نفسه فعدا امامه مصليا بالايماء يجوز ، والصلاة في حال الخوف على أقسام فهذه أحد اقسام شدة صلاة الخوف وسائر الاقسام سيأتي بيانها في سورة النساء ان شاء الله تعالى ولا ينتقص عدد الركعات بالخوف عند أكثر أهل العلم ، وروي عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما

فيصلوا ركعتين فان لم يقدروا صلوا ركعة وسجدتين فان لم يقدروا لا يجزيهم التكبير ويؤخرونها حتى يأمنوا وبه قال مكحول وقال أنس بن مالك : حضرت مناهضة حصن تستر عند اضاءة الفجر واشتد اشتعال القتال فلم يقدروا على الصلاة فلم نصل الا بعد ارتفاع النهار فصليناها ونحن مع أبي موسى ففتح لنا قال أنس : وما يسرني بتلك الصلاة الدنيا وما فيها . هذا لفظ البخاري ثم استشهد على ذلك بحديث تأخيره صلى الله عليه وسلم صلاة العصر يوم الخندق لعذر المحاربة الى غيبوبة الشمس ، وبقوله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك لاصحابه لما جهزهم الى بني قريظة « لا يصلين أحد منكم العصر الا في بني قريظة » فمنهم من أدركته الصلاة في الطريق فصلوا وقالوا لم يرد منا رسول الله صلى الله عليه وسلم الا تعجيل السير ومنهم من أدركته فلم يصل الى أن غربت الشمس في بني قريظة فلم يعنف واحداً من الفريقين وهذا يدل على اختيار البخاري لهذا القول والجمهور على خلافه ويعولون على أن صلاة الخوف على الصفة التي ورد بها القرآن في سورة النساء ووردت بها الاحاديث لم تكن مشروعة في غزوة الخندق وانما شرعت بعد ذلك وقد جاء مصرحا بهذا في حديث أبي سعيد وغيره وأما مكحول والاوزاعي والبخاري فيجيبون بأن مشروعية صلاة الخوف بعد ذلك لا تنافي جواز ذلك لان هذا حال نادر خاص فيجوز فيه مثل ما قلنا بدليل صنيع الصحابة زمن عمر في فتح تستر وقد اشتهر ولم ينكر والله أعلم

وقوله (فاذا أمنتم فاذكروا الله) أي أقيموا صلاتكم كما أمرتم فأتموا ركوعها وسجودها وقيامها وقعودها وخشوعها وهجودها (كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون) أي مثل ما أنعم عليكم وهداكم للايمان وعلمكم ما ينفعكم في الدنيا والآخرة فقابلوه بالشكر والذكر كقوله بعد ذكر صلاة الخوف (فاذا اطمأننتم فأقيموا الصلاة ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا) وسيأتي الاحاديث الواردة في صلاة الخوف وصفاتها في سورة النساء عند قوله تعالى (واذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة) الآية

(٢٣٩) والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا وصية لازواجهم متاعا الى الحول غير اخراج فان خرجن فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن من معروف والله عزيز حكيم

قال : فرض الله الصلاة على لسان نبيكم صلى الله عليه وسلم في الحضر أربعا وفي السفر ركعتين وفي الخوف ركعة وهو قول عطاء وطاوس والحسن ومجاهد وقتادة انه يصلي في حال شدة الخوف ركعة . وقال سعيد بن جبير : اذا كنت في القتال وضرب الناس بعضهم بعضا فقل « سبحان الله والحمد لله ولا إله الا الله والله أكبر واذكر الله فاذا ذكرت الله فتلك صلاتك ﴿ فاذا أمنتم فاذكروا الله ﴾ أي فصلوا الصلوات الخمس تامة بحقوقها ﴿ كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون ﴾

قوله تعالى ﴿ والذين يتوفون منكم ﴾ يامعشر الرجال ﴿ ويذرون ﴾ أي يتركون ﴿ أزواجا ﴾ أي زوجات ﴿ وصية لازواجهم ﴾ قرأ أهل البصرة وابن عامر وحمزة وحفص وصية بالنصب على معنى

(٢٤٠) وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين (٢٤١) كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون

قال الاكثرون هذه الآية منسوخة بالتي قبلها وهي قوله (يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا) قال البخاري : حدثنا أمية حدثنا يزيد بن زريع عن حبيب عن ابن أبي مليكة قال ابن الزبير : قلت لعثمان بن عفان (والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا) قد نسختها الآية الاخرى فلم تكتبها أو تدعها قال : يا ابن أخي لا أغير شيئا منه من مكانه . ومعنى هذا الاشكال الذي قاله ابن الزبير لعثمان اذا كان حكمها قد نسخ بالاربعة الاشهر فما الحكمة في إبقاء رسمها مع زوال حكمها، وبقاء رسمها بعد التي نسختها يوهم بقاء حكمها ؟ فأجابه أمير المؤمنين بأن هذا أمر توقيفي وأنا وجدتها مثبتة في المصحف كذلك بعدها فأثبتها حيث وجدتها. قال ابن أبي حاتم : حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح حدثنا حجاج ابن محمد عن ابن جريج وعثمان بن عطاء عن عطاء عن ابن عباس في قوله (والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا وصية لازواجهم متاعا الى الحول غير إخراج) فكان المتوفى عنها زوجها نفقتها وسكناها في الدار سنة فنسختها آية المواريث فجعل لهن الثمن أو الربع مما ترك الزوج ثم قال : وروي عن أبي موسى الاشعري وابن الزبير ومجاهد وابراهيم والحسن وعكرمة وقتادة والضحاك وزيد بن أسلم والسدي ومقاتل بن حيان وعطاء الخراساني والربيع بن أنس أنها منسوخة وروى من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال : كان الرجل اذا مات وترك امرأته اعتدت سنة في بيته ينفق عليها من ماله ثم أنزل الله بعد (والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا) فهذه عدة المتوفى عنها زوجها الا أن تكون حاملا فعدتها أن تضع ما في بطنها وقال (ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم) فبين ميراث المرأة وترك الوصية والنفقة قال: وروي عن مجاهد والحسن وعكرمة وقتادة والضحاك والربيع ومقاتل بن حيان قالوا نسختها (أربعة أشهر وعشرا) قال وروي عن سعيد بن المسيب قال نسختها التي في الاحزاب (يا أيها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات) الآية (قلت) وروي عن مقاتل وقتادة أنها منسوخة بآية الميراث وقال البخاري حدثنا اسحق ابن منصور حدثنا روح حدثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد (والذين يتوفون

فليوصوا وصية وقرأ الباقون بالرفع أي كتب عليكم الوصية ﴿ متاعا الى الحول ﴾ متاعا نصب على المصدر أي متعوهن متاعا ، وقيل جعل الله ذلك لهن متاعا والمتاع نفقة سنة لطعامها وكسوتها وسكنها وما تحتاج اليه ﴿ غير اخراج ﴾ نصب على الحال وقيل بنزع حرف على الصفة أي من غير اخراج . نزلت هذه الآية في رجل من أهل الطائف يقال له حكيم بن الحارث هاجر الى المدينة وله أولاد ومعه أبواه وامرأته فمات فأنزل الله هذه الآية فأعطى النبي صلى الله عليه وسلم والديه وأولاده من ميراثه ولم يؤت امرأته شيئا وأمرهم ان ينفقوا عليها من تركة زوجها حولا كاملا وكانت عدة الوفاة في ابتداء الاسلام حولا كاملا وكان يحرم على الوارث اخراجها من البيت قبل تمام الحول

منكم ويذرون أزواجا) قال كانت هذه العدة تعتد عند أهل زوجها واجب فأنزل الله (والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا وصية لأزواجهم متاعا الى الحول غير إخراج فان خرجن فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن من معروف) قال : جعل الله تمام السنة سبعة أشهر وعشرين ليلة وصية إن شاءت سكنت في وصيتها وان شاءت خرجت وهو قول الله (غير اخراج فان خرجن فلاجناح عليكم)فالعدة كما هي واجب عليها زعم ذلك عن مجاهد رحمه الله وقال عطاء قال ابن عباس نسخت هذه الآية عدتها عند أهلها فتعتد حيث شاءت وهو قول الله تعالى (غير اخراج) قال عطاء : ان شاءت اعتدت عند أهلها وسكنت في وصيتها وان شاءت خرجت لقول الله(فلاجناح عليكم فيمافعلن) قال عطاء : ثم جاء الميراث فنسخ السكنى فتعتد حيث شاءت ولا سكنى لها ثم أسند البخاري عن ابن عباس مثل ما تقدم عنه بهذا القول الذي عول عليه مجاهد وعطاء من أن هذه الآية لم تدل على وجوب الاعتداد سنة كما زعمه الجمهور حتى يكون ذلك منسوخا بالاربعة الاشهر وعشر وانما دلت على أن ذلك كان من باب الوصاة بالزوجات أن يمكن من السكنى في بيوت أزواجهن بعد وفاتهم حولا كاملا ان اخترن ذلك ولهذا قال (وصية لأزواجهم) أي يوصيكم الله بهن وصية كقوله (يوصيكم الله في أولادكم) الآية وقوله (وصية من الله) وقيل انما انتصب على معنى فلتوصوا لهن وصية وقرأ آخرون بالرفع وصية على معنى كتب عليكم وصية واختارها ابن جرير ولا يمنعن من ذلك لقوله (غيراخراج) فأما اذا انقضت عدتهن بالاربعة أشهر والعشر أو بوضع الحمل واخترن الخروج والانتقال من ذلك المنزل فانهن لا يمنعن من ذلك لقوله(فان خرجن فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن من معروف) وهذا القول له اتجاه وفي اللفظ مساعدة له وقد اختاره جماعة منهم الامام أبو العباس بن تيمية ورده آخرون منهم الشيخ أبو عمر بن عبد البر وقول عطاء ومن تابعه على أن ذلك منسوخ بآية الميراث ان أرادوا ما زاد على الاربعة أشهر والعشر فمسلم وان أرادوا أن سكنى الاربعة أشهر وعشر لاتجب في تركة الميت فهذا محل خلاف بين الائمة وهما قولان للشافعي رحمه الله وقد استدلوا على وجوب السكنى في منزل الزوج بما رواه مالك في موطأه عن سعد بن اسحق بن كعب بن عجرة عن عمته زينب بنت كعب ابن عجرة أن الفريعة بنت مالك بن سنان وهي أخت أبي سعيد الخدري رضي الله عنهما أخبرتها

وكانت نفقتها وسكنها واجبة في مال زوجها تلك السنة ما لم تخرج ولم يكن لها الميراث فان خرجت من بيت زوجها سقطت نفقتها ، وكان على الرجل ان يوصي بها فكان كذلك حتى نزلت آية الميراث فنسخ الله تعالى نفقة الحول بالربع والثمن ونسخ عدة الحول بأربعة أشهر وعشر

قوله تعالى ﴿ فان خرجن ﴾ يعني من قبل أنفسهن قبل الحول من غير اخراج الورثة ﴿ فلاجناح عليكم ﴾ يا أولياء الميت ﴿ فيما فعلن في أنفسهن من معروف ﴾ يعني التزين للنكاح ولرفع الجناح عن الرجال وجهان أحدهما : لا جناح عليكم في قطع النفقة عنهن اذا خرجن قبل انقضاء الحول . والآخر : لا جناح عليكم في ترك منعهن من الخروج لان مقامها في بيت زوجها حولا غير واجب

أنها جاءت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تسأله ان ترجع الى أهلها في بني خدرة فان زوجها خرج في طلب أعبد له أبقوا حتى اذا كان بطرف القدوم لحقهم فقتلوه قالت : فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أرجع الى أهلي في بني خدرة فان زوجي لم يتركني في مسكن يملكه ولا نفقة . قالت : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «نعم» قالت فانصرفت حتى اذا كنت في الحجرة ناداني رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أمر بي فنوديت له فقال «كيف قلت؟» فرددت عليه القصة التي ذكرت له من شأن زوجي فقال « امكثي في بيتك حتى يبلغ الكتاب أجله » قالت فاعتددت فيه أربعة أشهر وعشرا قالت : فلما كان عثمان بن عفان أرسل الي فسألني عن ذلك فأخبرته فاتبعه وقضى به وكذا رواه أبو داود والترمذي والنسائي من حديث مالك به .ورواه النسائي أيضا وابن ماجه من طرق عن سعد بن اسحاق به وقال الترمذي حسن صحيح

وقوله (وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين) قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم لما نزل قوله تعالى (متاعا بالمعروف حقا على المحسنين) قال رجل : ان شئت أحسنت ففعلت وان شئت لم أفعل فأنزل الله هذه الآية (وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين) وقد استدل بهذه الآية من ذهب من العلماء الى وجوب المتعة لكل مطلقة سواء كانت مفوّضة أو مفروضا لها أو مطلقة قبل المسيس أو مدخولا بها وهو قول عن الشافعي رحمه الله واليه ذهب سعيد بن جبير وغيره من السلف واختاره ابن جرير ومن لم يوجبها مطلقا يخصص من هذا العموم مفهوم قوله تعالى (لاجناح عليكم ان طلقتم النساء مالم تمسوهن أو تفرضوا لهن فريضة ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره متاعا بالمعروف حقا على المحسنين) وأجاب الاولون بأن هذا من باب ذكر بعض أفراد العموم فلا تخصيص على المشهور المنصور والله أعلم

وقوله (كذلك يبين الله لكم آياته) أي في احلاله وتحريمه وفروضه وحدوده فيما أمركم به ونهاكم عنه بينه ووضحه وفسره ولم يتركه مجملا في وقت احتياجكم اليه (لعلكم تعقلون) أي تفهمون وتتدبرون

عليها خيرها الله تعالى بين ان تقيم حولا ولها النفقة والسكنى وبين ان تخرج فلا نفقة ولا سكنى الى ان نسخه بأربعة أشهر وعشر ﴿ والله عزيز حكيم * وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين ﴾ انما أعاد ذكر المتعة ههنا لزيادة معنى وذلك ان في غيرها بيان حكم غير الممسوسة وفي هذه الآية بيان حكم جميع المطلقات في المتعة . وقيل انه لما نزل قوله تعالى (ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره) الى قوله (حقا على المحسنين) قال رجل من المسلمين ان أحسنت فعلت وان لم أرد ذلك لم أفعل . فقال الله تعالى (وللمطلقات متاع) جعل المتعة لهن بلام التمليك وقال (حقا على المتقين) يعني المؤمنين المتقين الشرك

﴿ كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون ﴾

(٢٤٢) ألم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم احياهم ان الله لذو فضل على الناس ولكن اكثر الناس لايشكرون (٢٤٣) وقاتلوا في سبيل الله واعلموا ان الله سميع عليم (٢٤٤) من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة والله يقبض ويبسط واليه ترجعون ■

روي عن ابن عباس أنهم كانوا أربعة آلاف وعنه كانوا ثمانية آلاف وقال أبو صالح ، تسعة آلاف وعن ابن عباس أربعون ألفا . وقال وهب بن منبه وأبو مالك : كانوا بضعة وثلاثين ألفا . وروى ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال : كانوا أهل قرية يقال لها داوردان . وكذا قال السدي وأبو صالح وزاد من قبل واسط ، وقال سعيد بن عبد العزيز : كانوا من أهل أذرعات ، وقال ابن جريج عن عطاء قال: هذا مثل(١) وقال علي بن عاصم :كانوا من أهل داوردان قرية على فرسخ من قبل واسط ، وقال وكيع بن الجراح في تفسيره : حدثنا سفيان عن ميسرة بن حبيب النهدي عن المنهال بن عمرو الاسدي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس (ألم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت) قال : كانوا أربعة آلاف خرجوا فرارا من الطاعون قالوا : نأتي أرضا ليس بها موت حتى اذا كانوا بموضع كذا وكذا قال الله لهم (موتوا) فماتوا فمر عليهم نبي من الانبياء فدعا ربه أن يحييهم فأحياهم فذلك قوله عز وجل (ألم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت) الآية . وذكر غير واحد من السلف أن هؤلاء القوم كانوا أهل بلدة في زمان بني

١) يعني انها ضرب مثل لا قصة واقعة

قوله تعالى ﴿ ألم تر الى الذين خرجوا من ديارهم ﴾ قال أكثر أهل التفسير كانت قرية يقال لها داوردان قبل واسط بها وقع الطاعون فخرجت طائفة منها وبقيت طائفة فهلك أكثر من بقي في القرية وسلم الذين خرجوا ، فلما ارتفع الطاعون رجعوا سالمين . فقال الذين بقوا: أصحابنا كانوا أحزم منا لو صنعنا كما صنعوا لبقينا ولئن وقع الطاعون ثانية لنخرجن الى أرض لا وباء بها فوقع الطاعون من قابل فهرب عامة أهلها وخرجوا حتى نزلوا واديا أفيح فلما نزلوا المكان الذي يبتغون فيه النجاة ناداهم ملك من أسفل الوادي وآخر من أعلاه ان موتوا فماتوا جميعا . أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن احمد اخبرنا ابو اسحق الهاشمي انا أبو مصعب عن مالك عن ابن شهاب عن عبد الله ابن عامر بن ربيعة ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرج الى الشام فلما جاء سرغ بلغه ان الوباء قد وقع بالشام فأخبره عبد الرحمن بن عوف ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « اذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه واذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه» فرجع عمر من سرغ . قال الكلبي ومقاتل والضحاك : انما فروا من الجهاد وذلك ان ملكا من ملوك بني اسرائيل أمرهم ان يخرجوا الى قتال عدوهم فعسكروا ثم جبنوا وكرهوا الموت فاعتلوا وقالوا لملكهم ان الارض التي تأتيها

اسرائيل استوخموا أرضهم وأصابهم بها وباء شديد فخرجوا فرارا من الموت هاربين الى البرية فنزلوا وادياً أفيح فملؤا ما بين عدوتيه فأرسل الله اليهم ملكين أحدهما من أسفل الوادي والآخر من أعلاه فصاحا بهم صيحة واحدة فماتوا عن آخرهم موتة رجل واحد فحيزوا الى حظائر وبنى عليهم جدران وفنوا وعزقوا وتفرقوا فلما كان بعد دهر مر بهم نبي من أنبياء بني اسرائيل يقال له حزقيل فسأل الله أن يحييهم على يديه فأجابه الى ذلك وأمره أن يقول: أيتها العظام البالية ان الله يأمرك أن تجتمعي، فاجتمع عظام كل جسد بعضها الى بعض، ثم أمره فنادى أيتها العظام ان الله يأمرك أن تكتسي لحما وعصبا وجلدا، فكان ذلك وهو يشاهده، ثم أمره فنادى أيتها الارواح ان الله يأمرك ان ترجع كل روح الى الجسد الذي كانت تعمره فقاموا أحياء ينظرون. قد أحياهم الله بعد رقدتهم الطويلة وهم يقولون: سبحانك لا اله الا أنت. وكان في احيائهم عبرة ودليل قاطع على وقوع المعاد الجسماني يوم القيامة ولهذا قال (ان الله لذو فضل على الناس) أي فيما يريهم من الآيات الباهرة والحجج القاطعة والدلالات الدامغة (ولكن اكثر الناس لا يشكرون) أي لا يقومون بشكر ما أنعم الله به عليهم في دينهم ودنياهم. وفي هذه القصة عبرة ودليل على أنه لن يغني حذر من قدر وأنه لاملجأ من الله الا اليه فان هؤلاء خرجوا فرارا من الوباء طلبا لطول الحياة فعوملوا بنقيض قصدهم وجاءهم الموت سريعا في آن واحد. ومن هذا القبيل الحديث الصحيح الذى رواه الامام أحمد حدثنا اسحق ابن عيسى أخبرنا مالك وعبد الرزاق أخبرنا معمر كلاهما عن الزهري عن عبد الحميد بن عبد الرحمن ابن زيد بن الخطاب عن عبد الله بن الحارث بن نوفل عن عبد الله بن عباس أن عمر بن الخطاب خرج الى الشام حتى اذا كان بسرغ لقيه أمراء الاجناد أبو عبيدة بن الجراح

بها الوباء فلا نأتيها حتى ينقطع منها الوبا فأرسل الله عليهم الموت فخرجوا من ديارهم فرارا من الموت فلما رأى الملك ذلك قال: اللهم رب يعقوب وإله موسى وهرون قد ترى معصية عبادك فأرهم آية في أنفسهم حتى يعلموا انهم لا يستطيعون الفرار منك، فلما خرجوا قال لهم الله تعالى موتوا عقوبة لهم فماتوا جميعا وماتت دوابهم كموت رجل واحد فأتى عليهم ثمانية أيام حتى انتفخوا وأروحت أجسادهم فخرج اليهم الناس فعجزوا عن دفنهم فحظروا عليهم حظيرة دون السباع وتركوهم فيها واختلفوا في مبلغ عددهم. قال عطاء الخراساني: كانوا ثلاثة آلاف. وقال وهب: أربعة آلاف وقال مقاتل والكلبي ثمانية آلاف. وقال أبو روق عشرة آلاف. وقال السدي بضعة وثلاثون ألفا. وقال ابن جريج أربعون ألفا. وقال عطاء ابن أبي رباح سبعون ألفا: وأولى الاقاويل قول من قال كانوا زيادة على عشرة آلاف لان الله تعالى قال وهم ألوف والالوف جمع الكثير وجمعه القليل آلاف والالوف لا يقال لما دون عشرة آلاف قالوا فأتت على ذلك مدة وقد بليت أجسادهم وعريت عظامهم فمر عليهم نبي يقال له حزقيل بن بوذى ثالث خلفاء بني اسرائيل من بعد موسى عليه السلام وذلك ان القيم بعد موسى بأمر بني اسرائيل يوشع بن نون ثم كالب بن يوقنا ثم حزقيل كان

وأصحابه فأخبروه أن الوباء قد وقع بالشام فذكر الحديث فجاءه عبد الرحمن بن عوف وكان متغيبا لبعض حاجته فقال ان عندي من هذا علما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « اذا كان بارض وانتم بها فلا تخرجوا فرارا منه واذا سمعتم به بارض فلا تقدموا عليه » فحمد الله عمر ثم انصرف واخرجاه في الصحيحين من حديث الزهري به بطريق اخرى لبعضه . قال احمد حدثنا حجاج ويزيد العمي قالا اخبرنا ابن أبي ذئب عن الزهري عن سالم عن عبد الله بن عامر بن ربيعة أن عبد الرحمن بن عوف اخبر عمر وهو في الشام عن النبي صلى الله عليه وسلم «أن هذا السقم عذب به الامم قبلكم فاذا سمعتم به في ارض فلا تدخلوها واذا وقع بارض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا» قال فرجع عمر من الشام واخرجاه في الصحيحين من حديث مالك عن الزهري بنحوه

وقوله (وقاتلوا في سبيل الله واعلموا أن الله سميع عليم) أي كما أن الحذر لا يغني من القدر كذلك

يقال له ابن العجوز لان امه كانت عجوزا فسألت الله الولد بعد ما كبرت وعقمت فوهبه الله تعالى لها . قال الحسن ومقاتل : هو ذو الكفل وسمي حزقيل ذا الكفل لانه تكفل بسبعين نبيا وأنجاهم من القتل فلما مر حزقيل على أولئك الموتى وقف عليهم فجعل يتفكر فيهم متعجبا فأوحى الله تعالى اليه تريد ان أريك آية ؟ قال نعم : فأحياهم الله وقيل دعا حزقيل ربه ان يحييهم فأحياهم . وقال مقاتل والكلبي : هم كانوا قوم حزقيل أحياهم الله بعد ثمانية أيام وذلك انه لما أصابهم ذلك خرج حزقيل في طلبهم فوجدهم موتى فبكى وقال : يارب كنت في قوم يحمدونك ويسبحونك ويقدسونك ويكبرونك ويهللونك فبقيت وحيدا لا قوم لي فأوحى الله تعالى اليه اني جعلت حياتهم اليك . قال حزقيل « أحيوا باذن الله فعاشوا . قال مجاهد : انهم قالوا حين أحيوا « سبحانك اللهم ربنا وبحمدك لا إله الا أنت فرجعوا الى قومهم وعاشوا دهرا طويلا وسحنة الموت على وجوههم لا يلبسون ثوبا الا عاد دنسا مثل الكفن حتى ماتوا لآجالهم التي كتبت لهم . قال ابن عباس رضي الله عنهما : وانها لتوجد اليوم في ذلك السبط من اليهود تلك الريح . قال قتادة : مقتهم الله على فرارهم من الموت فأماتهم عقوبة لهم ثم بعثوا ليستوفوا مدة آجالهم ولو جاءت آجالهم ما بعثوا فذلك قوله تعالى (ألم تر) أى ألم تعلم باعلامي اياك وهو من رؤية القلب وقال أهل المعاني هو تعجيب يقول هل رأيت مثلهم كما تقول ألم تر الى ما يصنع فلان وكل ما في القرآن ألم تر ولم يعاينه النبي صلى الله عليه وسلم فهذا وجهه ألم تر الى الذين خرجوا من ديارهم ﴿ وهم ألوف ﴾ جمع ألف وقيل مؤتلفة قلوبهم جمع آلف مثل قاعد وقعود والصحيح ان المراد منه العدد ﴿ حذر الموت ﴾ أي خوف الموت ﴿ فقال لهم الله موتوا ﴾ أمر تحويل كقوله (كونوا قردة خاسئين) ﴿ ثم أحياهم ﴾ بعد موتهم ﴿ ان الله لذو فضل على الناس ﴾ قيل هو على العموم في حق الكافة وقيل على الخصوص في حق المؤمنين ﴿ ولكن أكثر الناس لا يشكرون ﴾ أما الكفار فلم يشكروا وأما المؤمنون فلم يبلغوا غاية الشكر ﴿ وقاتلوا في سبيل الله ﴾ أي في طاعة أعداء الله ﴿ واعلموا ان الله سميع عليم ﴾ قال أكثر أهل

الفرار من الجهاد وتجنبه لا يقرب أجلا ولا يبعده بل الاجل المحتوم والرزق المقسوم مقدر مقنن لا يزاد فيه ولا ينقص منه كما قال تعالى (الذين قالوا لاخوانهم وقعدوا: لو أطاعونا ماقتلوا، قل فادرؤا عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين) وقال تعالى (وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا الى أجل قريب، قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا ◦ أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة) ورويناعن أمير الجيوش ومقدم العساكر وحامي حوزة الاسلام وسيف الله المسلول على اعدائه أبي سليمان خالد بن الوليد رضي الله عنه انه قال وهو في سياق الموت: لقد شهدت كذا وكذا موقفا ومامن عضو من اعضائي إلا وفيه رمية أوطعنة أو ضربة وها أناذا أموت على فراشي كما يموت العير فلا نامت اعين الجبناء — يعني انه يتألم لكونه مامات قتيلا في الحرب ويتأسف على ذلك ويتألم أن يموت على فراشه

وقوله (من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة) يحث تعالى عباده على الانفاق في سبيل الله وقد كرر تعالى هذه الآية في كتابه العزيز في غير موضع وفي حديث النزول انه يقول تعالى «من يقرض غير عديم ولا ظلوم» وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا الحسن بن عرفة حدثنا خلف بن خليفة عن حميد الاعرج عن عبد الله بن الحارث عن عبد الله بن مسعود قال لما نزلت (من ذا

التفسير هذا خطاب للذين أحيوا أمروا بالقتال في سبيل الله فخرجوا من ديارهم فرارا من الجهاد فأماتهم الله ثم أحياهم وأمرهم ان يجاهدوا . وقيل الخطاب لهذه الامة أمرهم بالجهاد

قوله تعالى ﴿ من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا ﴾ القرض اسم لكل ما يعطيه الانسان ليجازى عليه فسمى الله تعالى عمل المؤمنين له على رجاء ما أعد لهم من الثواب قرضا لانهم يعملونه لطلب ثوابه . قال الكسائي : القرض ما أسلفت من عمل صالح أو سيء ◦ وأصل القرض في اللغة القطع سمي به القرض لانه يقطع من ماله شيئا يعطيه ليرجع اليه مثله، وقيل في الآية اختصار مجازه: من ذا الذي يقرض عباد الله والمحتاجين من خلقه كقوله تعالى (ان الذين يؤذون الله ورسوله) أي يؤذون عباد الله كما جاء في الحديث الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان الله تعالى يقول يوم القيامة يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني قال يارب كيف أطعمك وأنت رب العالمين ؟ قال استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه أما علمت انك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي » وقوله عز وجل (يقرض الله) أي ينفق في طاعة الله (قرضا حسنا) قال الحسين بن علي الواقدى : يعني محتسبا طيبة به نفسه . قال ابن المبارك : من مال حلال وقال لا يمن به ولا يؤذي ﴿ فيضاعفه له ﴾ قرأ ابن كثير وأبو جعفر وابن عامر ويعقوب (فيضعفه) وبابه بالتشديد ووافق أبو عمرو في سورة الاحزاب وقرأ الآخرون (فيضاعفه) بالالف مخففا وهما لغتان ودليل التشديد قوله (أضعافا كثيرة) لان التشديد للتكثير . وقرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب بنصب الفاء، وكذلك في سورة الحديد على جواب الاستفهام ، وقيل باضمار ان وقرأ الآخرون : برفع الفاء نسقا على قوله يقرض ﴿ أضعافا كثيرة ﴾ قال السدي هذا التضعيف لا يعلمه إلا الله عز وجل وقيل

الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له) قال أبو الدحداح الانصاري يارسول الله وان الله عز وجل ليريد منا القرض؟ قال «نعم يا أبا الدحداح» قال أرني يدك يارسول الله قال فناوله يده قال فاني قد اقرضت ربي عز وجل حائطي قال وحائط له فيه ستمائة نخلة وأم الدحداح فيه وعيالها قال فجاء أبو الدحداح فناداها يا أم الدحداح قالت لبيك قال اخرجي فقد اقرضته ربي عز وجل « وقد رواه ابن مردويه من حديث عبد الرحمن بن زيد بن اسلم عن أبيه عن عمر رضي الله عنه مرفوعا بنحوه وقوله (قرضا حسنا) روي عن عمر وغيره من السلف هو النفقة في سبيل الله وقيل هو النفقة على العيال وقيل هو التسبيح والتقديس وقوله (فيضاعفه له اضعافا كثيرة) كما قال تعالى (مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء) الآية وسيأتي الكلام عليها وقال الامام احمد حدثنا يزيد اخبرنا مبارك بن فضالة عن علي بن زيد عن أبي عثمان النهدي قال أتيت أبا هريرة رضي الله عنه فقلت له انه بلغني أنك تقول ان الحسنة تضاعف ألف ألف حسنة قال وما اعجبك من ذلك لقد سمعته من النبي صلى الله عليه وسلم يقول « ان الله يضاعف الحسنة الفي الف حسنة » هذا حديث غريب وعلي بن زيد بن جدعان عنده مناكير لكن رواه ابن ابي حاتم من وجه آخر فقال حدثنا أبو خلاد سليمان بن خلاد المؤدب حدثنا يونس بن محمد المؤدب حدثنا محمد بن عقبة الرفاعي(١) عن زياد الجصاص عن أبي عثمان النهدي قال لم يكن أحد اكثر مجالسة لابي هريرة مني فقدم قبلي حاجا قال وقدمت بعده فاذا أهل البصرة يأثرون عنه انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «ان الله يضاعف الحسنة ألف ألف حسنة» فقلت ويحكم والله ما كان أحد أكثر مجالسة لابي هريرة مني فما سمعت هذا الحديث قال فتحملت اريد أن ألحقه فوجدته قد انطلق حاجا فانطلقت الى الحج أن ألقاه في هذا الحديث فلقيته لهذا فقلت يا أبا هريرة ما حديث سمعت أهل البصرة يأثرون عنك؟ قال ما هو قلت زعموا أنك تقول ان الله يضاعف الحسنة ألف ألف حسنة قال يا أبا عثمان وما تعجب من ذا والله يقول (من الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة) ويقول (وما متاع الحياة الدنيا في الآخرة الا قليل) والذي نفسي بيده لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ان الله يضاعف الحسنة ألفي ألف حسنة » وفي معنى هذا الحديث ما رواه الترمذي وغيره من طريق عمرو بن دينار عن سالم عن عبد الله بن عمر بن الخطاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «من

(١) وفي نسخة الازهر الرباعي

سبعمائة ضعف ﴿ والله يقبض ويبسط ﴾ قرأ أهل البصرة وحمزة يبسط ههنا وفي الاعراف بسطة بالسين كنظائرهما وقرأهما الآخرون بالصاد وقيل يقبض بامساك الرزق والنفس والتقتير ويبسط بالتوسيع وقيل يقبض بقبول التوبة والصدقة ويبسط بالخلف والثواب وقيل هو الاحياء والاماتة فمن أماته فقد قبضه ومن مد له في عمره فقد بسط له وقيل هذا في القلوب لما أمرهم الله تعالى بالصدقة أخبر انهم لا يمكنهم ذلك الا بتوفيقه ، قال يقبض بعض القلوب فلا ينشط بالخير ويبسط بعضها فيقدم لنفسه خيرا كما جاء في الحديث « القلوب بين أصبعين من أصابع الله يقلبها الله كيف يشاء » (٢)

«٢» رواه مسلم بلفظ « ان قلوب بني آدم » الخ

دخل سوقا من الاسواق فقال لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير - كتب الله له الف الف حسنة ومحا عنه الف الف سيئة» الحديث وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا اسماعيل بن ابراهيم ابن بسام حدثنا أبو اسماعيل المؤدب عن عيسى بن المسيب عن نافع عن ابن عمر قال لما نزلت (مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل) الى آخرها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « رب زد امتي » فنزلت (من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة) قال « رب زد امتي » فنزلت (انما يوفي الصابرون اجرهم بغير حساب) وروى ابن أبي حاتم أيضا عن كعب الاحبار انه جاءه رجل فقال اني سمعت رجلا يقول من قرأ (قل هو الله أحد) مرة واحدة بنى الله له عشرة آلاف ألف غرفة من در وياقوت في الجنة أفاصدق بذلك؟ قال نعم أوعجبت من ذلك قال نعم وعشرين الف الف وثلاثين الف الف وما لايحصي ذلك إلا الله ثم قرأ (من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة) فالكثير من الله لايحصى وقوله (والله يقبض ويبسط) أى انفقوا ولا تبالوا فالله هو الرزاق يضيق على من يشاء من عباده في الرزق ويوسعه على آخرين له الحكمة البالغة في ذلك (واليه ترجعون) أي يوم القيامة (١

(٢٤٥) ألم تر الى الملا من بني اسرائيل من بعد موسى إذ قالوا النبي لهم ابعث لنا ملكا

الحديث ﴿ واليه ترجعون ﴾ اي الى الله تعودون فيجزيكم بأعمالكم . وقال قتادة : الهاء راجعة الى التراب كناية من غير مذكور، اي من التراب خلقهم واليه يعودون

قوله تعالى ﴿ ألم تر الى الملأ من بني اسرائيل ﴾ والملأ من القوم وجوههم وأشرافهم وأصل الملأ الجماعة من الناس ولا واحد له من لفظه كالقوم والرهط والابل والخيل والجيش وجمعه املاء ﴿ من بعد موسى ﴾ أي من بعد موت موسى ﴿ اذ قالوا لنبي لهم ﴾ واختلفوا في ذلك النبي فقال قتادة هو يوشع بن نون بن افرائيم ابن يوسف عليه السلام وقال السدي : اسمه شمعون وانما سمي شمعون لان أمه دعت الله ان يرزقها غلاما فاستجاب الله دعاءها فولدت غلاما فسمته شمعون تقول سمع الله تعالى دعائي والسين تصير شينا بالعبرانية وهو شمعون بن صفية بنت علقمة من ولد لاوي بن يعقوب ، وقال سائر المفسرين هو اشمويل وهو بالعبرانية اسماعيل بن يال بن علقمة وقال مقاتل : هو من نسل هارون وقال مجاهد : هو اشمويل وهو بالعبرانية اسماعيل ابن هلقايا . وقال وهب وابن اسحق والكلبي وغيرهم كان سبب مسألتهم اياه ذلك انه لما مات موسى عليه السلام خلف بعده في بني اسرائيل يوشع بن نون يقيم فيهم التوراة وأمر الله تعالى حتى قبضه الله تعالى ثم خلف فيهم كالب بن يوقنا كذلك حتى قبضه الله تعالى ثم خلف حزقيل حتى قبضه الله ثم عظمت الاحداث في بني اسرائيل ونسوا عهد الله حتى عبدوا الاوثان فبعث الله اليهم الياس نبيا فدعاهم الى الله تعالى وكانت الانبياء من بني اسرائيل من بعد موسى يبعثون اليهم بتجديد ما

(١) لا يصح من هذه الاحاديث شيء بل أقل ما يقال فيها الضعف وقد ذكروا من علامات الحديث الموضوع الثواب الكبير على العمل القليل وما سكت عنها المصنف الا لانها فى فضائل الاعمال ولم يقل فى حديث الترمذي انه غريب وان عمرو بن دينار راويه عن سالم هو قهرمان آل الزبير رمي بالوضع وصرحوا بانه روى عن سالم أحاديث منكرة

نقاتل في سبيل الله قال: هل عسيتم إن كتب عليكم القتال أن لا تقاتلوا؟ قالوا: ومالنا ألا نقاتل في سبيـل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا؟ فلما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلا منهم والله عليم بالظالمين *

قال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة هذا النبي هو يوشع بن نون قال ابن جرير يعني ابن أفرايم ابن يوسف بن يعقوب وهذا القول بعيد لان هذا كان بعد موسى بدهر طويل وكان ذلك في زمان داود عليه السلام كما هو مصرح به في القصة وقد كان بين داود وموسي ما ينيف عن ألف سنة والله أعلم. وقال السدي هو شمعون وقال مجاهد هو شمويل عليه السلام وكذا قال محمد بن اسحق عن وهب بن منبه وهو شمويل بن بالي بن علقمة بن ترخام بن اليهد (١) بن بهرض بن علقمة بن ماجب بن عمرصا بن عزريا بن صفية بن علقمة بن أبي ياسف بن قارون بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب ابن اسحق بن ابراهيم الخليل عليه السلام، وقال وهب ابن منبه وغيره كان بنو اسرائيل بعد موسى عليه السلام على طريق الاستقامة مدة من الزمان ثم أحدثوا الاحداث وعبد بعضهم الاصنام ولم يزل بين أظهرهم من الانبياء من يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويقيمهم على منهج التوراة الى أن فعلوا ما فعلوا فسلط الله عليهم أعداءهم فقتلوا منهم مقتلة عظيمة وأسروا خلقا كثيرا وأخذوا منهم بلادا كثيرة

«١» وفي نسخة اليهو بالواو

نسوا من التوراة، ثم خلف من بعد الياس اليسع فكان فيهم ما شاء الله ثم قبضه الله وخلف فيهم الخلوف وعظمت الخطايا فظهر لهم عدو يقال له البلثاثا وهم قوم جالوت كانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين وهم العمالقة فظهروا على بني اسرائيل وغلبوا على كثير من أرضهم وسبوا كثيرا من ذراريهم وأسروا من أبناء ملوكهم أربعمائة وأربعين غلاما فضربوا عليهم الجزية وأخذوا توراتهم ولقي بنو اسرائيل منهم بلاء وشدة ولم يكن لهم من يدبر أمرهم وكان سبط النبوة قد هلكوا فلم يبق منهم الا امرأة حبلى فحبسوها في بيت رهبة ان تلد جارية فتبدلها بغلام لما ترى من رغبة بني اسرائيل في ولدها وجعلت المرأة تدعو الله ان يرزقها غلاما فولدت غلاما فسمته اشمويل تقول سمع الله تعالى دعائي فكبر الغلام فاسلمته ليعلم التوراة في بيت المقدس وكفله شيخ من علمائهم وتبناه، فلما بلغ الغلام أتاه جبريل وهو نائم الى جنب الشيخ وكان لا يأتمن عليه أحدا فدعاه جبريل بلحن الشيخ يا اشمويل. فقام الغلام فزعا الى الشيخ فقال له يا أبتاه دعوتني؟ فكره الشيخ ان يقول لا فيفزع الغلام وقال يا بني إرجع فنم فرجع الغلام فنام ثم دعاه الثانية فقال الغلام يا أبت دعوتني؟ فقال ارجع فنم فان دعوتك الثالثة فلا تجبني فلما كانت الثالثة ظهر له جبريل فقال له اذهب الى قومك فبلغهم رسالة ربك فان الله قد بعثك فيهم نبيا، فلما أتاهم كذبوه وقالوا استعجلت بالنبوة ولم تنلك، وقالوا له ان كنت صادقا فابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله آية من نبوتك وانما كان قوام أمر بني اسرائيل بالاجتماع على الملوك وطاعة الملوك لانبيائهم فكان الملك

ولم يكن أحد يقاتلهم الا غلبوه وذلك أنهم كان عندهم التوراة والتابوت الذي كان في قديم الزمان وكان ذلك موروثا لخلفهم عن سلفهم الى موسى الكليم عليه الصلاة والسلام فلم يزل بهم تماديهم على الضلال حتى استلبه منهم بعض الملوك في بعض الحروب وأخذ التوراة من أيديهم ولم يبق من يحفظها فيهم الا القليل وانقطعت النبوة من أسباطهم ولم يبق من سبط لاوي الذي يكون فيه الانبياء الا امرأة حامل من بعلها وقد قتل فأخذوها فحبسوها في بيت واحتفظوا بها لعل الله يرزقها غلاما يكون نبيا لهم ولم تزل المرأة تدعو الله عز وجل أن يرزقها غلاما فسمع الله لها ووهبها غلاما فسمته شمويل أي سمع الله دعائي ومنهم من يقول شمعون وهو بمعناه فشب ذلك الغلام ونشأ فيهم وأنبته الله نباتا حسنا فلما بلغ سن الانبياء أوحى الله اليه وأمره بالدعوة اليه وتوحيده فدعا بني اسرائيل فطلبوا منه أن يقيم لهم ملكا يقاتلون معه أعداءهم وكان الملك أيضا قد باد فيهم فقال لهم النبي : فهل عسيتم ان أقام الله لكم ملكا ألا تقاتلوا وتفوا بما التزمتم من القتال معه (قالوا وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا) أي وقد أخذت منا البلاد وسبيت الاولاد قال الله تعالى : (فلما كتب عليهم القتال تولوا الا قليلا منهم والله عليم بالظالمين) أي ماوفوا بما وعدوا بل نكل عن الجهاد أكثرهم والله عليم بهم

هو الذي يسير بالجموع والنبي يقيم له أمره ويشير عليه برشده ويأتيه بالخبر من ربه. قال وهب بن منبه بعث الله تعالى اشمويل نبيا فلبثوا أربعين سنة بأحسن حال ثم كان من أمر جالوت والعمالقة ما كان فقالوا لاشمويل ﴿ ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله ﴾ جزم على جواب الامر فلما قالوا ذلك ﴿ قال هل عسيتم ﴾ استفهام شك يقول لعلكم قرأ نافع عسيتم بكسر السين كل القرآن وقرأ الباقون بالفتح وهي اللغة الفصيحة بدليل قوله تعالى عسى ربكم ﴿ ان كتب ﴾ فرض ﴿ عليكم القتال ﴾ مع ذلك الملك ﴿ أن لا تقاتلوا ﴾ ان لا تفوا بما تقولون ولا تقاتلوا معه ﴿ قالوا وما لنا أن لا نقاتل في سبيل الله ﴾ فان قيل فما وجه دخول ان في هذا الموضع والعرب لا تقول مالك ان لا تفعل وانما يقال مالك لا تفعل ؟ قيل دخول ان وحذفها لغتان صحيحتان فالاثبات كقوله تعالى (مالك ان لا تكون مع الساجدين) والحذف كقوله تعالى (مالكم لا تؤمنون بالله) وقال الكسائي معناه ومالنا في ان لا نقاتل فحذف «في» وقال الفراء. أي وما يمنعنا ان لا نقاتل في سبيل الله كقوله تعالى (ما منعك ان لا تسجد) وقال الاخفش: «ان» ههنا زائدة معناه : ومالنا لا نقاتل في سبيل الله ﴿ وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا ﴾ أي أخرج من غلب عليهم من ديارهم ظاهر الكلام العموم وباطنه الخصوص لان الذين قالوا لنبيهم : ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله كانوا في ديارهم وأوطانهم وانما أخرج من أسر منهم ومعنى الآية انهم قالوا مجيبين لنبيهم انما كنا نزهد في الجهاد اذ كنا ممنوعين في بلادنا لا يظهر علينا عدونا فاما اذا بلغ ذلك منا فنطيع ربنا في الجهاد ونمنع نساءنا وأولادنا قال الله تعالى ﴿ فلما كتب عليهم القتال تولوا ﴾ أعرضوا عن الجهاد وضيعوا أمر الله ﴿ إلا قليلا منهم ﴾ وهم الذين

(٢٤٦) وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا قالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال؟ قال إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم *

أي لما طلبوا من نبيهم أن يعين لهم ملكا منهم فعين لهم طالوت وكان رجلا من أجنادهم ولم يكن من بيت الملك فيهم لان الملك كان في سبط يهوذا ولم يكن هذا من ذلك السبط فلهذا قالوا (أنى يكون له الملك علينا) أي كيف يكون ملكا علينا (ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال) أي ثم هو مع هذا فقير لا مال له يقوم بالملك وقد ذكر بعضهم أنه كان سقاء وقيل دباغا وهذا اعتراض منهم على نبيهم وتعنت وكان الاولى بهم

عبروا النهر مع طالوت واقتصروا على الغرفة على ما سيأتي ان شاء الله تعالى ﴿ والله عليم بالظالمين ■ وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا ﴾ وذلك ان اشمويل سأل الله تعالى ان يبعث لهم ملكا فاتى بعصا وقرن فيه دهن القدس وقيل له ان صاحبكم الذي يكون طوله طول هذه العصا وانظر هذا القرن الذي فيه الدهن فاذا دخل عليك رجل فنش الدهن الذي في القرن فهو ملك بني اسرائيل فادهن به رأسه وملكه عليهم ■ وكان طالوت اسمه بالعبرانية ساول بن قيس من أولاد بنيامين بن يعقوب سمي طالوت لطوله وكان أطول من كل أحد برأسه ومنكبيه وكان رجلا دباغا يعمل الاديم(١) قاله وهب. وقال السدي: كان رجلا سقاء يسقي على حمار له من النيل فضل حماره فخرج في طلبه ■ وقيل كان خربندجا. وقال وهب: بل ضلت حمر لابي طالوت فارسله وغلاما له في طلبها فمرا ببيت اشمويل عليه السلام فقال الغلام لطالوت لو دخلنا على هذا النبي فسألناه عن أمر الحمر ليرشدنا ويدعو لنا فدخلا عليه فبينما هما عنده يذكران له حاجتهما اذ نش الدهن الذي في القرن فقام اشمويل عليه السلام فقاس طالوت بالعصا فكانت طوله فقال لطالوت قرب رأسك فقربه فدهنه بدهن القدس ثم قال له أنت ملك بني اسرائيل الذى أمرني الله تعالى ان أملكه عليهم فقال طالوت: أما علمت ان سبطي أدنى أسباط بني اسرائيل وبيتي أدنى بيوت بني اسرائيل؟ قال بلى قال فبأي آية قال: بآية انك ترجع وقد وجد أبوك حمره فكان كذلك. ثم قال لبني اسرائيل: ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا ﴿ قالوا أنى يكون له الملك علينا ﴾ أي من أين يكون له الملك علينا ﴿ ونحن أحق ﴾ أولى ﴿ بالملك منه ﴾ وانما قالوا ذلك لانه كان في بني اسرائيل سبطان سبط النبوة وسبط المملكة، فكان سبط النبوة سبط لاوي بن يعقوب ومنه كان موسى وهرون وسبط المملكة سبط يهوذا بن يعقوب ومنه كان داود وسليمان ولم يكن طالوت من أحدهما انما كان من سبط بنيامين بن يعقوب وكانوا عملوا ذنبا عظيما كانوا ينكحون النساء على ظهر الطريق نهارا فغضب الله تعالى عليهم ونزع الملك والنبوة منهم وكانوا يسمونه سبط الاثم فلما قال لهم نبيهم ذلك انكروا عليه لانه لم يكن

«١» الأديم الجلد وفي الخازن: يدبغ الاديم

طاعة وقول معروف ثم قد أجابهم النبي قائلا (ان الله اصطفاه عليكم) أي اختاره لكم من بينكم والله أعلم به منكم يقول لست أنا الذي عينته من تلقاء نفسي بل الله أمرني به لما طلبتم مني ذلك (وزاده بسطة في العلم والجسم) أي وهو مع هذا أعلم منكم وأنبل وأشكل منكم وأشد قوة وصبرا في الحرب ومعرفة بها أي أتم علما وقامة منكم ومن ههنا ينبغي أن يكون الملك ذا علم وشكل حسن وقوة شديدة في بدنه ونفسه ثم قال (والله يؤتي ملكه من يشاء) أي هو الحاكم الذي ما شاء فعل ولا يسئل عما يفعل وهم يسئلون لعلمه وحكمته ورأفته بخلقه ولهذا قال (والله واسع عليم) أي هو واسع الفضل يختص برحمته من يشاء عليم بمن يستحق الملك ممن لا يستحقه

(٢٤٧) وقال لهم نبيهم إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون تحمله الملائكة، إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين ▪

يقول لهم نبيهم ان علامة بركة ملك طالوت عليكم أن يرد الله عليكم التابوت الذي كان أخذ منكم (فيه سكينة من ربكم) قيل معناه فيه وقار وجلالة قال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة (فيه سكينة) أي وقار وقال الربيع :رحمة وكذا روي عن العوفي عن ابن عباس وقال ابن جريج : سألت

من بسط المملكة ومع ذلك قالوا هو فقير ﴿ ولم يؤت سعة من المال. قال ان الله اصطفاه ﴾ اختاره ﴿ عليكم وزاده بسطة ﴾ فضيلة وسعة ﴿ في العلم والجسم ﴾ وذلك انه كان أعلم بني اسرائيل في وقته وقيل انه أتاه الوحي حين أوتي الملك . وقال الكلبي (وزاده بسطة) فضيلة وسعة (في العلم) بالحرب وفي (الجسم) بالطول وقيل الجسم بالجمال وكان طالوت أجمل رجل في بني اسرائيل وأعلمهم ﴿ والله يؤتى ملكه من يشاء والله واسع عليم ﴾ قيل الواسع ذو السعة وهو الذي يعطي عن غنى والعليم العالم ، وقيل العالم بما كان والعليم بما يكون فقالوا له فما آية ملكه ؟ فقال لهم نبيهم ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت فذلك قوله تعالى ﴿ وقال لهم نبيهم ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت ﴾ وكانت قصة التابوت ان الله تعالى أنزل تابوتا على آدم فيه صورة الانبياء عليهم السلام وكان من عود الشمشاد نحوا من ثلاثة أذرع في ذراعين فكان عند آدم الى ان مات ثم بعد ذلك عند شيث ثم توارثه أولاد آدم الى ان بلغ ابراهيم ثم كان عند اسماعيل لانه كان أكبر ولده ثم عند يعقوب ثم كان في بني اسرائيل الى ان وصل الى موسى فكان موسى يضع فيه التوراة ومتاعا من متاعه فكان عنده الى ان مات موسى عليه السلام ثم تداولته أنبياء بني اسرائيل الى وقت اشمويل وكان فيه ما ذكر الله تعالى ﴿ فيه سكينة من ربكم ﴾ اختلفوا في السكينة ما هي قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : ريح خجوج هفافة لها رأسان ووجه كوجه الانسان وعن مجاهد شيء يشبه الهرة له رأس كرأس الهرة وذنب كذنب الهرة وله جناحان وقيل له عينان لهما شعاع وجناحان من زمرد وزبرجد فكانوا اذا سمعوا صوته تيقنوا بالنصرة وكانوا اذا خرجوا وضعوا التابوت قدامهم فاذا سار ساروا واذا وقف

عطاء عن قوله (فيه سكينة من ربكم) قال : ما تعرفون من آيات الله فتسكنون اليه وكذا قال الحسن البصري وقيل السكينة طست من ذهب كانت تغسل فيه قلوب الانبياء أعطاها الله موسى عليه السلام فوضع فيها الالواح ورواه السدي عن أبي مالك عن ابن عباس وقال سفيان الثوري : عن سلمة بن كهيل عن أبي الاحوص عن علي قال : السكينة لها وجه كوجه الانسان ثم هي روح هفافة وقال ابن جرير : حدثني المثنى حدثنا أبو داود حدثنا شعبة وحماد بن مسلمة وأبو الاحوص كلهم عن سماك عن خالد بن عرعرة عن علي قال : السكينة ريح خجوج ولها رأسان وقال مجاهد لها جناحان وذنب وقال محمد بن اسحق عن وهب بن منبه السكينة رأس هرة ميتة اذا صرخت في التابوت بصراخ هر أيقنوا بالنصر وجاءهم الفتح وقال عبد الرزاق : أخبرنا بكار بن عبد الله أنه سمع وهب بن منبه يقول السكينة روح من الله تتكلم اذا اختلفوا في شيء تكلم فتخبرهم ببيان ما يريدون

وقوله (و بقية مماترك آل موسى وآل هرون) قال ابن جرير : أخبرنا ابن مثنى حدثنا أبوالوليد حدثنا حماد عن داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس في هذه الآية (و بقية مما ترك آل موسى وآل هرون) قال عصاه ورضاض الالواح وكذا قال قتادة والسدي والربيع بن أنس وعكرمة وزاد والتوراة وقال أبو صالح (وبقية مما ترك آل موسى) يعني عصا موسى وعصا هرون ولوحين من التوراة

وقفيز . وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : هي طست من ذهب من الجنة كان يغسل فيه قلوب الانبياء وعن وهب بن منبه قال : هي روح من الله يتكلم اذا اختلفوا في شيء يخبرهم ببيان ما يريدون وقال عطاء بن أبي رباح : هي ما يعرفون من الآيات فيسكنون اليها . وقال قتادة والكلبي : السكينة فعيلة من السكون أي طمأنينة من ربكم ففي أي مكان كان التابوت اطمأنوا اليه وسكنوا ﴿ وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون ﴾ يعني موسى وهرون نفسهما كان فيه لوحان من التوراة ورضاض الالواح التي تكسرت وكان فيه عصا موسى ونعلاه وعمامة هرون وعصاه وقفيز من المن الذي كان ينزل على بني اسرائيل فكان التابوت عند بني اسرائيل وكانوا اذا اختلفوا في شيء تكلم وحكم بينهم واذا حضروا القتال قدموه بين أيديهم فيستفتحون به على عدوهم فلما عصوا وأفسدوا سلط الله عليهم العمالقة فغلبوهم على التابوت وكان السبب في ذلك انه كان لعيلى العالم الذي ربى اشمويل عليه السلام ابنان شابان وكان عيلى حبرهم وصاحب قربانهم فأحدث ابناه في القربان شيئا لم يكن فيه وذلك انه كان لعيلى منوط القربان الذي كانوا ينوطونه به كلابين فما أخرجا كان للكاهن الذي ينوطه فجعل ابناه كلاليب وكان النساء يصلين في بيت المقدس فيتشبثان بهن فأوحى الله تعالى الى اشمويل عليه السلام انطلق الى عيلى فقل له منعك حب الولد من ان تزجر ابنيك عن ان يحدثا في قرباني وقدسي شيئا وان يعصياني فلأنزعن الكهانة منك ومن ولدك ولاهلكنك واياهم فأخبر اشمويل عيلى بذلك ففزع فزعا شديدا فصار اليهم عدو ممن حولهم فأمر بنيه ان يخرجا بالناس فيقاتلا ذلك العدو فخرجا وأخرجا معهما التابوت فلما تهيؤا للقتال جعل عيلى يتوقع

والمن وقال عطية بن سعد: عصا موسى وعصا هارون وثياب موسى وثياب هارون ورضاض الالواح وقال عبد الرزاق: سألت الثوري عن قوله (وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون) فقال منهم من يقول قفيز من منّ ورضاض الالواح ومنهم من يقول العصا والنعلان

وقوله (تحمله الملائكة) قال ابن جريج: قال ابن عباس: جاءت الملائكة تحمل التابوت بين السماء والارض حتى وضعته بين يدي طالوت والناس ينظرون، وقال السدي: أصبح التابوت في دار طالوت فآمنوا بنبوة شمعون وأطاعوا طالوت، وقال عبد الرزاق عن الثوري عن بعض أشياخه جاءت به الملائكة تسوقه على عجلة على بقرة وقيل على بقرتين، وذكر غيره أن التابوت كان بأريحاء وكان المشركون لما أخذوه وضعوه في بيت آلهتهم تحت صنمهم الكبير فأصبح التابوت على رأس الصنم فأنزلوه فوضعوه تحته فأصبح كذلك فسمروه تحته فأصبح الصنم مكسور القوائم ملقى بعيدا فعلموا أن هذا أمر من الله لا قبل لهم به فأخرجوا التابوت من بلدهم فوضعوه في بعض القرى فأصاب أهلها داء في رقابهم فأمرتهم جارية من سبي بني اسرائيل أن يردوه الى بني اسرائيل حتى يخلصوا من هذا الداء فحملوه

الخبر ماذا صنعوا فجاءه رجل وهو قاعد على كرسيه فقال ان الناس قد انهزموا وان بنيك قد قتلا، قال فما فعل التابوت؟ قال ذهب به العدو. فشهق ووقع على قفاه من كرسيه ومات فخرج أمر بني اسرائيل وتفرقوا الى ان بعث الله طالوت ملكا فسألوه البينة فقال لهم نبيهم ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت . وكانت قصة التابوت ان الذين سبوا التابوت أتوا به قرية من قرى فلسطين يقال لها ازدود وجعلوه في بيت صنم لهم ووضعوه تحت الصنم الاعظم فأصبحوا من الغد والصنم تحته فأخذوه ووضعوه فوقه وسمروا قدمي الصنم على التابوت فأصبحوا وقد قطعت يد الصنم ورجلاه وأصبح ملقى تحت التابوت وأصبحت أصنامهم منكسة فأخرجوه من بيت الصنم ووضعوه في ناحية من مدينتهم فاخذ أهل تلك الناحية وجع في أعناقهم حتى هلك أكثرهم فقال بعضهم لبعض أليس قد علمتم ان إله بنى اسرائيل لا يقوم له شيء فاخرجوه الى قرية كذا فبعث الله على أهل تلك القرية فأرا فكانت الفأرة تبيت مع الرجل فيصبح ميتا قد أكلت ما في جوفه فاخرجوه الى الصحراء فدفنوه في مخرأة لهم فكان كل من تبرز هناك أخذه الباسور والقولنج فتحيروا فقالت لهم امرأة كانت عندهم من سبي بني اسرائيل من أولاد الانبياء لا تزالون ترون ما تكرهون ما دام هذا التابوت فيكم فاخرجوه عنكم فأتوا بعجلة باشارة تلك المرأة وحملوا عليها التابوت ثم علقوها على ثورين وضربوا جنوبهما فاقبل الثوران يسيران ووكل الله تعالى بهما أربعة من الملائكة يسوقونهما فاقبلا حتى وقفا على أرض بني اسرائيل فكسرا نيريهما وقطعا حبالهما ووضعا التابوت في أرض فيها حصاد بني اسرائيل ورجعا الى أرضهما فلم يرع بني اسرائيل الا بالتابوت فكبروا وحمدوا الله فذلك قوله تعالى ﴿ تحمله الملائكة ﴾ أي تسوقه وقال ابن عباس رضي الله عنهما جاءت الملائكة

على بقرتين فسارتا به لا يقرّ به أحد الا مات حتى اقتربتا من بلد بني اسرائيل فكسرتا النيرين ورجعتا وجاء بنو اسرائيل فأخذوه فقيل أنه تسلمه داود عليه السلام وانه لما قام اليهما خجل من فرحه بذلك وقيل شابان منهم فالله أعلم . وقيل كان التابوت بقرية من قرى فلسطين يقال لها ازدوه (١)

وقوله (إن في ذلك لآية لكم) أي على صدقي فيما جئتكم به من النبوة وفيما أمرتكم به من طاعة طالوت (ان كنتم مؤمنين) أي بالله واليوم الآخر

(٢٤٨) فلما فصل طالوت بالجنود قال إن الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فانه مني إلا من اغترف غرفة بيده فشربوا منه إلا قليلا منهم. فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده. قال الذين يظنون أنهم ملاقو الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين ■

يقول تعالى مخبرا عن طالوت ملك بني اسرائيل حين خرج في جنوده ومن أطاعه من ملأ بني اسرائيل وكان جيشه يومئذ فيما ذكره السدي ثمانين ألفا فالله أعلم أنه قال (ان الله مبتليكم) أي مختبركم بنهر قال ابن عباس وغيره : وهو نهر بين الاردن وفلسطين يعني نهر الشريعة المشهور (فمن شرب

بالتابوت تحمله بين السماء والارض وهم ينظرون اليه حتى وضعته عند طالوت وقال الحسن كان التابوت مع الملائكة في السماء فلما ولى طالوت الملك حملته الملائكة ووضعته بينهم وقال قتادة بل كان التابوت في التيه خلفه موسى عند يوشع بن نون فبقي هناك فحملته الملائكة حتى وضعته في دار طالوت فأقروا بملكه ﴿ ان في ذلك لآية ﴾ لعبرة ﴿ لكم ان كنتم مؤمنين ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما إن التابوت وعصى موسى في بحيرة طبرية وأنهما يخرجان قبل يوم القيامة

قوله تعالى (فلما فصل طالوت بالجنود ﴾ أي خرج بهم وأصل الفصل القطع يعني قطع مستقره شاخصا الى غيره فخرج طالوت من بيت المقدس بالجنود وهم يومئذ سبعون الف مقاتل وقيل ثمانون ألفا لم يتخلف عنه الا كبير لهرمه أو مريض لمرضه أو معذور لعذره وذلك انهم لما رأوا التابوت لم يشكوا في النصر فتسارعوا الى الجهاد فقال طالوت لاحاجة لي في كل ما أري لايخرج معي رجل يبني بناء لم يفرغ منه ولا صاحب تجارة يشتغل بها ولا رجل عليه دين ولا رجل تزوج امرأة ولم يبن بها ولا يتبعني الا الشاب النشيط الفارغ فاجتمع له ثمانون ألفا ممن شرطه وكان في حر شديد فشكوا قلة الماء بينهم وبين عدوهم فقالوا ان المياه قليلة لاتحملنا فادع الله أن يجري لنا نهرا ﴿ قال ﴾ طالوت ﴿ ان الله مبتليكم بنهر ﴾ مختبركم ليرى طاعتكم - وهواعلم - بنهر قال ابن عباس والسدي هونهر فلسطين وقال قتادة نهر بين اردن وفلسطين عذب ﴿ فمن شرب منه فليس مني ﴾ أي من أهل ديني وطاعتي ﴿ ومن لم يطعمه ﴾ لم يشربه ﴿ فانه مني الا من اغترف غرفة بيده ﴾ قرأ أهل الحجاز وأبو عمرو غرفة بفتح الغين وقرأ الآخرون بضم الغين وهما لغتان قال الكسائي الغرفة بالضم الذي يحصل في الكف

(١) وفي نسخة الازهر: ازدرد

منه فليس مني) أي فلا يصحبني اليوم في هذا الوجه (ومن لم يطعمه فانه مني الا من اغترف غرفة بيده) أي فلا بأس عليه قال الله تعالى (فشربوا منه الا قليلا منهم) قال ابن جريج قال ابن عباس: من اغترف منه بيده روي ومن شرب منه لم يرو. وكذا رواه السدي عن أبي مالك عن ابن عباس وكذا قال قتادة وابن شوذب ،قال السدى: كان الجيش ثمانين ألفاً فشرب منه ستة وسبعون ألفا وتبقى معه أربعة آلاف كذا قال وقد روى ابن جرير من طريق اسرائيل وسفيان الثورى ومسعر بن كدام عن أبي اسحق السبيعي عن البراء بن عازب قال : كنا نتحدث أن أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم الذين كانوا يوم بدر ثلثمائة وبضعة عشر على عدة أصحاب طالوت الذين جازوا معه النهر وما جازه معه الا مؤمن ورواه البخارى عن عبد الله بن رجاء عن اسرائيل بن يونس عن أبي اسحق عن جده عن البراء بنحوه ولهذا قال تعالى (فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده) أى استقلوا أنفسهم عن لقاء عدوهم لكثرتهم فشجعهم علماؤهم العالمون بأن وعد الله حق فان النصر من عند الله ليس عن كثرة عدد ولا عدد . ولهذا قالوا (كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين)

من الماء اذا غرف والغرفة بالفتح الاغتراف فالضم اسم والفتح مصدر ﴿ فشربوا منه إلا قليلا منهم ﴾ نصب على الاستثناء واختلفوا في القليل الذين لم يشربوا فقال السدي كانوا اربعة آلاف وقال غيره ثلثمائة وبضعة عشر وهو الصحيح لما اخبرنا عبد الواحد المليحي أنا احمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد ابن يوسف أنا محمد بن اسماعيل أنا عبد الله بن رجاء أنا اسرائيل عن أبي اسحق عن البراء قال كنا اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم نتحدث أن عدة اصحاب بدر على عدة اصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر ولم يجاوز معه إلا مؤمن وهم بضعة عشر وثلثمائة وروي ثلثمائة وثلاثة عشر فلما وصلوا الى النهر وقد ألقى الله عليهم العطش فشرب منه الكل لا هذا العدد القليل فمن اغترف غرفة كما أمر الله قوي قلبه وصح إيمانه وعبر النهر سالما وكفته تلك الغرفة الواحدة لشربه وحمله ودوابه والذين شربوا وخالفوا امر الله اسودت شفاههم وغلبهم العطش فلم يرووا وبقوا على شط النهر وجبنوا عن لقاء العدو فلم يجاوزوا ولم يشهدوا الفتح وقيل كلهم جاوزوا ولكن لم يحضر القتال الا الذين لم يشربوا ﴿ فلما جاوزه ﴾ يعني النهر ﴿ هو ﴾ يعني طالوت ﴿ والذين آمنوا معه ﴾ يعني القليل ﴿ قالوا ﴾ يعني الذين شربوا وخالفوا امر الله وكانوا أهل شك ونفاق ﴿ لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما والسدى فانحرفوا ولم يجاوزوا ﴿ قال الذين يظنون ﴾ يستيقنون ﴿ أنهم ملاقو الله ﴾ وهم الذين ثبتوا مع طالوت ﴿ كم من فئة ﴾ جماعة وهي جمع لا واحد له من لفظه وجمعه فئات وفئون في الرفع وفئين في الخفض والنصب ﴿ قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله ﴾ بقضائه وقدره وارادته ﴿ والله مع الصابرين ﴾ بالنصر والمعونة

(٢٤٩) ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا افرغ علينا صبرا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين (٢٥٠) فهزموهم باذن الله وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل على العالمين (٢٥١) تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وانك لمن المرسلين

أى لما واجه حزب الايمان وهم قليل من أصحاب طالوت لعدوهم أصحاب جالوت وهم عدد

﴿ولما برزوا﴾ يعني طالوت وجنوده يعني المؤمنين ﴿لجالوت وجنوده﴾ المشركين ومعنى برزوا صاروا بالبراز من الارض وهو ماظهر واستوى منها ﴿قالوا ربنا افرغ علينا﴾ أنزل واصبب ﴿صبرا وثبت اقدامنا﴾ قوّ قلوبنا ﴿وانصرنا على القوم الكافرين * فهزموهم باذن الله﴾ أي بعلم الله تعالى ﴿وقتل داود جالوت﴾ وصفة قتله قال أهل التفسير عبر النهر مع طالوت فيمن عبر ايشا أبو داود في ثلاثة عشر ابنا له وكان داود أصغرهم وكان يرمى بالقذافة فقال لابيه يوما يا أبتاه ما أرمي بقذافتي شيئا الا صرعته فقال له أبشر يابنى فان الله جعل رزقك في قذافتك ثم أتاه مرة أخرى فقال يا أبتاه لقد دخلت بين الجبال فوجدت أسدا رابضا فركبته فأخذت بأذنيه فلم يهجني. فقال أبشر يابني فان هذا خير يريده الله بك ثم أتاه يوما آخر فقال يا أبتاه اني لامشي بين الجبال فاسبح فما يبقى جبل الا سبح معي. فقال ابشر يابني فان هذا خير أعطاكه الله تعالى. فارسل جالوت الى طالوت ان ابرز اليّ أو ابرز الي من يقاتلني فان قتلني فلكم ملكي وان قتلته فلي ملككم فشق ذلك على طالوت فنادى في عسكره من قتل جالوت زوجته ابنتي وناصفته ملكي فهاب الناس جالوت فلم يجبه أحد فسأل طالوت نبيهم ان يدعو الله تعالى فدعا الله في ذلك، فأتى بقرن فيه دهن القدس وتنور من حديد فقيل ان صاحبكم الذي يقتل جالوت هو الذي يوضع هذا القرن على رأسه فيغلي الدهن حتى يدهن منه رأسه ولا يسيل على وجهه بل يكون على رأسه كهيئة الاكليل ويدخل في هذا التنور فيملؤه ولا يتقلقل فيه فدعا طالوت بني اسرائيل فجربهم فلم يوافقه منهم أحد فأوحى الله الى نبيهم أن في ولد ايشا من يقتل الله به جالوت فدعا طالوت ايشا فقال اعرض علي بنيك فأخرج له اثني عشر رجلا أمثال السواري فجعل يعرضهم على القرن فلا يرى شيئا فقال لايشا هل بقي لك ولد غيرهم فقال لا. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: يارب انه زعم ان لا ولد له غيرهم، فقال كذب. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ان ربي كذبك. فقال صدق الله يانبي الله ان لي ابنا صغيرا يقال له داود استحييت ان يراه الناس لقصر قامته وحقارته فخلفته في الغنم يرعاها وهو في شعب كذا وكذا. وكان داود رجلا قصيرا مسقاما مصفارا أزرق أمعر، فدعاه طالوت ويقال بل خرج طالوت اليه فوجد الوادي قد سال بينه وبين الزريبة التي كان يريح اليها، فوجده يحمل شاتين يجيز بهما السيل ولا يخوض بهما الماء. فلما رآه

كثير قالوا (ربنا افرغ علينا صبرا) أى أنزل علينا صبرا من عندك (وثبت أقدامنا) أى في لقاء الاعداء وجنبنا الفرار والعجز (وانصرنا على القوم الكافرين)

قال الله تعالى (فهزموهم باذن الله) أى غلبوهم وقهروهم بنصر الله لهم (وقتل داود جالوت) ذكروا في الاسرائيليات أنه قتله بمقلاع كان في يده رماه به فأصابه فقتله وكان طالوت قد وعده ان قتل جالوت أن يزوجه ابنته ويشاطره نعمته ويشركه في أمره فوفى له ثم آل الملك الى داود عليه السلام مع ما منحه الله به من النبوة العظيمة ولهذا قال تعالى (وآتاه الله الملك) الذى كان بيد طالوت (والحكمة) أى النبوة بعد شمويل (وعلمه مما يشاء) أي مما يشاء الله من العلم الذي اختصه

قال هذا هو لا شك فيه هذا يرحم البهائم فهو بالناس أرحم فدعاه ووضع القرن على رأسه ففاض فقال طالوت : هل لك ان تقتل جالوت وأزوجك ابنتي وأجري خاتمك في ملكي قال نعم قال : رهل آنست من نفسك شيئا تتقوى به على قتله ؟ قال نعم . أنا أرعى الغنم فيجيء الاسد أو النمر أو الذئب فيأخذ شاة فاقوم اليه فأفتح لحيته عنها وأخرجهما من قفاه ، فأخذ طالوت داود ورده الى عسكره فمر داود عليه السلام في طريقه بحجر فناداه الحجر ياداود احملني فاني حجر هارون الذي قتل بي ملك كذاوكذا، فحمله في مخلاته ، ثم مر بحجر آخر فقال احملني فاني حجر موسى الذي قتل بي ملك كذاوكذا فحمله في مخلاته ، ثم مر بحجر آخر فقال احملني فاني حجرك الذي تقتل بي جالوت فوضعها في مخلاته، فلما تصافوا للقتال وبرز جالوت وسأل المبارزة انتدب له داود فاعطاه طالوت فرسا ودرعا وسلاحا فلبس السلاح وركب الفرس وسار قريبا ثم انصرف الى الملك فقال من حوله جبن الغلام فجاء فوقف على الملك فقال ما شأنك ، فقال ان الله ان لم ينصرني لم يغن عني هذا السلاح شيئا، فدعني أقاتل جالوت كما أريد، قال فافعل ما شئت ، قال نعم . فأخذ داود مخلاته فتقلدها وأخذ المقلاع ومضى نحو جالوت وكان جالوت من أشد الرجال وأقواهم وكان يهزم الجيوش وحده وكان له بيضة فيها ثلثمائة رطل حديد فلما نظر الى داود ألقى الله في قلبه الرعب فقال له أنت تبرز الي ؟ قال نعم . وكان جالوت على فرس أبلق وعليه السلاح التام قال فأتيتني بالمقلاع والحجر كما يؤتى الكلب . قال داود عليه السلام : نعم أنت شر من الكلب . قال جالوت لا جرم لاقسمن لحمك بين سباع الارض وطير السماء . قال داود ، أو يقسم الله لحمك فقال داود باسم إله ابراهيم وأخرج حجرا ثم أخرج الآخر وقال باسم إله اسحق ووضعه في مقلاعه ثم أخرج الثالث وقال باسم إله يعقوب ووضعه في مقلاعه فصارت كلها حجرا واحدا ودور داود عليه السلام المقلاع ورمى به فسخر الله له الريح حتى أصاب الحجر أنف البيضة فخلط دماغه وخرج من قفاه وقتل من ورائه ثلاثين رجلا، وهزم الله تعالى الجيش وخر جالوت قتيلا فأخذه يجره حتى ألقاه بين يدي طالوت ففرح المسلمون فرحا شديدا وانصرفوا الى المدينة سالمين غانمين والناس يذكرون داود فجاء داود طالوت وقال أنجز لي ما وعدتني ، فقال أتريد ابنة الملك بغير صداق ؟ فقال داود : ما شرطت

به صلى الله عليه وسلم ثم قال تعالى (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض) أي لولا الله يدفع عن قوم بآخرين كما دفع عن بني اسرائيل بمقاتلة طالوت وشجاعة داود لهلكوا كما قال تعالى (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا) الآية . وقال ابن جرير : حدثني أبو حميد الحمصي أحدبني المغيرة حدثنا يحيى بن سعيد حدثنا حفص بن سليمان عن محمد بن سوقة عن وبرة بن عبد الرحمن عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان الله ليدفع بالمسلم الصالح عن مائة أهل بيت من جيرانه البلاء» ثم قرأ ابن عمر (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض) وهذا اسناد ضعيف فان يحيى

علي صداقا وليس لي شيء فقال لا أكلفك الا ما تطيق أنت رجل جريء وفي حيالنا أعداء لنا غلف فاذا قتلت منهم مائتي رجل وجئتني بغلفهم زوجتك ابنتي فأتاهم فجعل كلما قتل واحدا منهم نظم غلفته في خيط حتى نظم غلفهم فجاء بها الى طالوت وألقاها اليه وقال ادفع الي امرأتي فزوجه ابنته وأجري خاتمه في ملكه فمال الناس الى داود وأحبوه وأكثروا ذكره فحسده طالوت وأراد قتله فاخبر بذلك ابنة طالوت رجل يقال له ذو العينين فقالت ابنة طالوت لداود انك مقتول في هذه الليلة،قال ومن يقتلني ؟ قالت أبي . قال فهل أجرمت جرما ؛ فقالت حدثني من لا يكذب ولاعليك ان تغيب هذه الليلة حتى تنظر مصداق ذلك . قال لئن كان أراد ذلك ما أستطيع خروجا ولكن ائتيني بزق خمر فأتت به فوضعه في مضجعه على السرير وسجاه ودخل تحت السرير فدخل طالوت نصف الليل فقال لها أين بعلك ؟ قالت هو نائم على السرير فضربه بالسيف ضربة فسال الخمر فلما وجد ريح الخمر قال يرحم الله داود ما كان أكثر شربه للخمر، وخرج .فلما أصبح علم انه لم يفعل شيئا فقال ان رجلا طلبت منه ما طلبت لخليق ان لا يدعني حتى يدرك مني ثاره فاشتد حجابه وحراسه وأغلق دونه أبوابه . ثم ان داود أتاه ليلة وقد هدأت العيون فأعمى الله سبحانه الحجبة وفتح له الابواب فدخل عليه وهو نائم على فراشه فوضع سهما عند رأسه وسهما عند رجليه وسهما عن يمينه وسهما عن شماله ثم خرج فلما استيقظ طالوت بصر بالسهام فعرفها فقال : يرحم الله تعالى داود هو خير مني ظفرت به فقصدت قتله وظفربي فكف عني ولو شاء لوضع هذا السهم في حلقي وما أنا بالذي آمنه فلما كانت القابلة أتاه ثانيا وأعمى الله الحجاب فدخل عليه وهو نائم فأخذ ابريق طالوت الذي كان يتوضأ منه وكوزه الذي كان يشرب منه وقطع شعرات من لحيته وشيئا من هدب ثيابه ثم خرج وهرب وتوارى،فلما أصبح طالوت ورأى ذلك سلط على داود العيون وطلبه أشد الطلب فلم يقدر عليه، ثم إن طالوت ركب يوما فوجد داود يمشي في البرية فقال : اليوم أقتله فركض على أثره واشتد داود وكان اذا فزع لم يدرك فدخل غارا فأوحى الله تعالى الى العنكبوت فنسج عليه بيتا فلما انتهى طالوت الى الغار ونظر الى بناء العنكبوت قال : لو كان دخل ههنا لخرق بناء العنكبوت فتركه ومضى،وانطلق داود وأتى

ابن سعيد هذا هو ابن العطار الحمصي وهو ضعيف جدا ثم قال ابن جرير : حدثنا أبو حميد الحمصي حدثنا يحيى بن سعيد حدثنا عثمان بن عبد الرحمن عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان الله ليصلح بصلاح الرجل المسلم ولده وولد ولده وأهل دويرته ودويرات حوله ولا يزلون في حفظ الله عز وجل مادام فيهم » وهذا أيضا غريب ضعيف لما تقدم ايضا وقال أبو بكر بن مردويه حدثنا محمد بن أحمد بن ابراهيم حدثنا علي بن اسماعيل بن حماد أخبرنا أحمد بن محمد بن يحيى بن سعيد أخبرنا زيد بن الحباب حدثني حماد بن زيد عن أيوب بن أبي قلابة عن أبي السماء من ثوبان رفع الحديث قال « لا يزال فيكم سبعة بهم تنصرون وبهم تمطرون

الجبل مع المتعبدين فتعبد فيه فطعن العلماء والعباد على طالوت في شأن داود فجعل طالوت لا ينهاه أحد عن قتل داود الا قتله وأغرى على قتل العلماء فلم يكن يقدر على عالم في بني اسرائيل يطيق قتله الا قتله، حتى أتى بامرأة تعلم اسم الله الاعظم فأمر خبازه بقتلها فرحمها الخباز وقال : لعلنا نحتاج الى عالم فتركها فوقع في قلب طالوت التوبة وندم على ما فعل وأقبل على البكاء حتى رحمه الناس وكان كل ليلة يخرج الى القبور فيبكي وينادي أنشد الله عبدا يعلم أن لي توبة الا أخبرني بها، فلما أكثر عليهم ناداه مناد من القبور ياطالوت أما ترضى أن قتلتنا حتى تؤذينا أمواتا فازداد بكاء وحزنا فرحمه الخباز فقال مالك : أيها الملك قال هل تعلم لي في الارض عالما أسأله هل لي من توبة فقال الخباز : انما مثلك مثل ملك نزل قرية عشاء فصاح الديك فتطير منه فقال : لا تتركوا في القرية ديكا الا ذبحتموه، فلما أراد أن ينام قال لاصحابه : اذا صاح الديك فأيقظونا حتى ندلج فقالوا له : وهل تركت ديكا نسمع صوته ؟ ولكن هل تركت عالما في الارض ؟ فازداد حزنا وبكاء فلما رأى الخباز ذلك قال له : أرأيتك ان دللتك على عالم لعلك أن تقتله قال : لا فتوثق عليه الخباز فأخبره أن المرأة العالمة عنده قال : انطلق بي اليها أسألها هل لي من توبة ؟ وكانت من أهل بيت يعلم الاسم الاعظم فاذا فنيت رجالهم علمت نساؤهم فلما بلغ طالوت الباب قال الخباز انها اذا رأتك فزعت ولكن ائت خلفي ثم دخلا عليها فقال لها ألست أعظم الناس منة عليك أنجيتك من القتل وآويتك قالت بلى قال فان لي اليك حاجة : هذا طالوت يسأل هل لي من توبة ؟ فغشي عليها من الفرق فقال لها : انه لا يريد قتلك ولكن يسألك هل له من توبة ؟ قالت : لا والله لا أعلم لطالوت توبة، ولكن أعلم مكان قبر نبي، فانطلقت بهما الى قبر اشمويل فصلت ودعت ثم نادت يا صاحب القبر فخرج اشمويل من القبر ينفض رأسه من التراب فلما نظر اليهم ثلاثتهم قال : ما لكم أقامت القيامة ؟ قالت : لا ولكن طالوت يسألك هل له من توبة ؟ قال اشمويل : يا طالوت ما فعلت بعدي ؟ قال : لم أدع من الشر شيئا الا أتيته وجئت لطلب التوبة قال له : كم لك عيالا ؟ يعني كم لك من الولد قال : عشرة رجال قال : ما أعلم لك من توبة الا أن تتخلى من ملكك وتخرج أنت وولدك تقاتل في سبيل الله ثم تقدم ولدك حتى يقتلوا بين يديك ثم تقاتل أنت حتى تقتل آخرهم. ثم رجع اشمويل الى القبر وسقط وخر ميتا. ورجع طالوت أحزن ما

وبهم ترزقون حتى يأتي أمر الله ، وقال ابن مردويه أيضا وحدثنا محمد بن أحمد حدثنا محمد بن جرير بن يزيد حدثنا أبو معاذ نهار بن معاذ بن عثمان الليثي أخبرنا زيد بن الحباب أخبرني عمر البزار عن عنبسة الخواص عن قتادة عن أبي قلابة عن أبي الاشعث الصنعاني عن عبادة بن الصامت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الابدال في أمتي ثلاثون ؛ بهم ترزقون وبهم تمطرون وبهم تنصرون » قال قتادة : اني لارجو أن يكون الحسن منهم

وقوله (ولكن الله ذو فضل على العالمين) أي من عليهم ورحمة بهم يدفع عنهم ببعضهم بعضا وله الحكم والحكمة والحجة على خلقه في جميع أفعاله وأقواله

كان رهبة أن لا يتابعه ولده وقد بكى حتى سقطت أشفار عينيه ونحل جسمه فدخل عليه أولاده فقال لهم : أرأيتم لو دفعت الى النار هل كنتم تفدونني » قالوا : بلى نفديك بما قدرنا عليه قال : فانها النار ان لم تفعلوا ما أقول لكم قالوا : فاعرض علينا فذكر لهم القصة قالوا : وانك لمقتول قال : نعم قالوا : فلا خير في الحياة بعدك قد طابت أنفسنا بالذى سألت ، فتجهز بماله وولده فتقدم ولده وكانوا عشرة فقاتلوا بين يديه حتى قتلوا ثم شد هو بعدهم للقتال حتى قتل فجاء قاتله الى داود ليبشره وقال قتلت عدوك فقال داود : ما أنت بالذي تحيا بعده . فضرب عنقه ، وكان ملك طالوت الى أن قتل أربعين سنة وأتى بنو اسرائيل الى داود وأعطوه خزائن طالوت وملكوه على أنفسهم . قال الكلبي والضحاك ملك داود بعد قتل طالوت سبع سنين ولم يجتمع بنو اسرائيل على ملك واحد الا على داود فذلك قوله تعالى ﴿ وآتاه الله الملك والحكمة ﴾ يعني النبوة جمع الله لداود بين الملك والنبوة ولم يكن كذلك من قبل بل كان الملك في سبط والنبوة في سبط وقيل الملك والحكمة هو العلم مع العمل

قوله تعالى ﴿ وعلمه مما يشاء ﴾ قال الكلبي وغيره يعني صنعة الدروع وكان يصنعها ويبيعها وكان لا يأكل الا من عمل يده ، وقيل منطق الطير وكلام الجعل والنمل والذر والخنفساء وحمار قبان وما أشبهها مما لا صوت لها وقيل هو الزبور وقيل هو الصوت الطيب والالحان فلم يعط الله أحدا من خلقه مثل صوته ، وكان اذا قرأ الزبور تدنو الوحوش حتى يأخذ بأعناقها وتظله الطير مصيخة له ويركد الماء الجاري ويسكن الريح . وروى الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما هو أن الله تعالى أعطاه سلسلة موصولة بالمجرة ورأسها عند صومعته قوتها قوة الحديد ولونها لون النار وحلقها مستديرة مفصلة بالجواهر مدسرة بقضبان اللؤلؤ الرطب فلا يحدث في الهواء حدث الا صلصلت السلسلة فعلم داود ذلك الحدث ولا يمسها ذو عاهة الا برئ ، وكانوا لا يتحا كمون الاليها بعد داود عليه السلام الى أن رفعت فمن تعدى على صاحبه وأنكر له حقا أتى السلسلة فمن كان صادقا مد يده الى السلسلة فتناولها ومن كان كاذبا لم ينلها فكانت كذلك الى أن ظهر بهم المكر والخديعة فبلغنا أن بعض ملوكها أودع رجلا جوهرة ثمينة فلما استردها أنكرها فتحاكما الى السلسلة فعمد الذي عنده الجوهرة الى عكازة فنقرها وضمنها الجوهرة واعتمد عليها حتى حضر السلسلة فقال صاحب الجوهرة : رد علي

ثم قال تعالى (تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وانك لمن المرسلين) أى هذه آيات الله التي قصصناها عليك من أمر الذين ذكرناهم بالحق أى بالواقع الذى كان عليه الامر المطابق لما بأيدى أهل الكتاب من الحق الذى يعلمه علماء بني اسرائيل (وانك) أى يا محمد (لمن المرسلين) وهذا توكيد وتوطئة للقسم

﴿ تم الجزء الاول من تفسير الحافظ ابن كثير ﴾
(وهو يشتمل على جزئين من القرآن الكريم)

الوديعة فقال صاحبه : ما أعرف لك عندي من وديعة فان كنت صادقا فتناول السلسلة فتناولها بيده فقيل للمنكر قم أنت فتناولها فقال لصاحب الجوهرة : خذ عكازني هذه فاحفظها حتى أتناول السلسلة فأخذها المالك عنده ثم قام المنكر نحو السلسلة فأخذها فقال الرجل : اللهم ان كنت تعلم أن هذه الوديعة التي يدعيها علي قد وصلت اليه فقرب مني السلسلة فمد يده فتناولها فتعجب القوم وشكوا فيها فأصبحوا وقد رفع الله السلسلة (١)

قوله تعالى ﴿ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض ﴾ قرأ أهل المدينة ويعقوب (دفاع الله) بالالف ههنا وفي سورة الحج وقرأ الآخرون بغير الالف لان الله تعالى لا يغالبه أحد وهو الدافع وحده ومن قرأ بالالف قال : قد يكون الدفاع من واحد مثل قول العرب : أحسن الله عنك الدفاع . قال ابن عباس ومجاهد ولولا دفع الله الناس بجنود المسلمين لغلب المشركون على الارض فقتلوا المؤمنين وخربوا المساجد والبلاد . وقال سائر المفسرين : لولا دفع الله بالمؤمنين والابرار عن الكفار والفجار لهلكت الارض بمن فيها ولكن الله يدفع بالمؤمن عن الكافر وبالصالح عن الفاجر أخبرنا أحمد بن ابراهيم الشريحي أخبرنا أبو اسحق الثعلبي أنا أبو عبد الله بن فنجويه أنا أبو بكر ابن خرجة أنا عبد الله بن أحمد بن حنبل أنا أبو حميد الحمصي أنا يحيي بن سعيد العطار نا حفص ابن سليمان عن محمد بن سوقة عن وبرة بن عبد الرحمن عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم(٢) «ان الله عز وجل ليدفع بالمسلم الصالح عن مائة أهل بيت من جيرانه البلاء » ثم قرأ ابن عمر رضي الله عنهما (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض ﴿ لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل على العالمين * تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وانك لمن المرسلين ﴾

(١) قصارى هذه الاسطورة ان الخائن احتال على علام الغيوب فنجحت حيلته ! ! !

(٢) رواه الطبراني وسنده ضعيف

تم الجزء الاول من تفسير البغوي المسمى بمعالم التنزيل
(وهو يشتمل على جزئين من القرآن الكريم)

﴿ وكان تمام طبعهما بمطبعة المنار بمصر في شهر ربيع الآخر سنة ١٣٤٣ ويليهما الجزء الثاني ﴾

﴿ تصحيح أغلاط الطبع وأكثره سقط او خفاء او تقديم او تأخير في بعض الحروف والنقط ﴾
مدرك بالبداهة يسهل تصحيحه بالقلم

صفحه	سطر	خطأ	صواب
٤	٢٢	فقه	فقهه
١٢	٦	يؤتوا	ياتوا
١٧	٨	يقوله	يقول
٢٤	٨	خر	آخر
٣٣	٢٢	وئل	وائل
٣٤	٥	بذك	بذاك
»	»	بن	ابن
٣٥	١٤	سلاان	سلمان
»	٢٦	الخالق(١)تديره	للخالق(١)تقديره
٣٨	٣	فاجى	فاجرى
»	٩	للوح فالمحفوظ	اللوح المحفوظ
٤١	١٦	تدعو	تدعوا
»	١٨	واذ	واذا
٤٧	٨	ذ	اذ
٥٥	١٦	لا يعتدون	يعتدون *
٥٧	٤	أو معناه	ومعناه
»	»	الترمذي	والترمذي
٥٨	٢	رجاؤنا	رجاءنا
٦٢	»	الزهروان	الزهراوان
»	١٣	صاحبهم	صاحبهما
٦٣	١٠	سودوان	سوداوان
٦٩	٢١	مته	أمته
٧٤	٢٦	عجب	أعجب
٧٥	١١	عمر عبد	عمر بن عبد
٨٠	١	المنين	المؤمنين
٨٣	١٧	ون	يرون
٨٥	١١	أبصار رهم	أبصارهم
»	١٢	الاعو	الاعور
١٠٠	٤	محيط بهم)	محيط) بهم
»	٢٨	حامعهم	جامعهم
١٠٢	١٤	إذ	إذا

صفحه	سطر	خطا	صواب
»	»	يرها —	يرها ومن
١١١	٢٣	كل	أكل
١١٤	٥	الشدة	لشدة
١٣٣	٢٧	بباطل	الباطل
»	٢٨	فأسمائهم	باسمائهم
»	٢٩	ال	قال
١٣٤	٩	لا	إلا
»	١٤	مهران	بن مهران
١٣٥	٤	ويفسك	ويسفك
»	٩	خلقنا	خلفا
»	١٨	وكا	كما (*
١٣٧	١٥	عباس وعن مرة	ابن عباس ومرة عن
١٣٨	٤	بشر	بشرا
١٣٩	٢٥	أبو	أبوا
١٤٠	١١	التنظيرة	التنظير
١٤٦	٦	القاسم	ابن القيم
»	٢٦	الاشراف	الأشرف
١٧٦	٢٩	صبا	صباح
١٨٠	١٠	وان	إيوان
١٨٢	٢٨	سبط	سبطا
١٩٠	١٧	يشبونهم	يشبهونهم
٢٠١	٥	بني الله	نبي الله
٢٠٦	٧	تشحب	تشخب
٢١٤	٩	يكن	ليكون
»	١٥	فيخصموكم	فيخصموكم [illegible]
٢١٦	١٧	عباس [illegible]	[illegible]
٢١٧	[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]	[illegible]	وإذ
[illegible]	٤	ن	أن

*) بهذا التصحيح استغنى عن التعليق الذي في الحاشية هنا وكنا نريد اعادة النظر فيه قبل طبعه ومراجعة أصوله فسبقتنا المطبعة

صفحه	سطر	خطأ	صواب
٢٢٤	١٣	كلام	كليهما
٢٣٧	١٠	نشا	نشأ
»	١١	ا إلله	أولياء لله
»	١٢	فاهلو	فباهلوا
»	٢٤	لاعاجم	الاعاجم
٢٤٨	٤	لاشج	الاشج
٢٥٠	٤	أعلم	علم
»	٥	ويحسد	ويحسده
٢٥٢	٢٨	يتقاه الساحل	يتلقاه الساحر
٢٥٩	١٩	وا.ا	وانما
٢٦٠	١٠	ينطق على	ينطق عن
٢٦٢	١٥	أحد	أحدا
٢٦٤	٣	ا تخاروا	استخاروا
٢٦٨	١٦	أحول	أحوال
٢٧٤	٣	حكام	أحكام
٢٨٣	٧	برجوا	يرجو
٢٩٤	٩	يسبقه لى	يسبقه الى
»	١٣	شاه	شاءه
٢٩٥	٢١	الدلة	الدالة
٢٩٨	٢٠	ولذي	والذي
٣٠٥	٣	اجيب لى	أجيب الى
٣٠٧	٢٦	لاذخر	الاذخر
»	١١	ريم	مريم
٣١٤	١٠	بن عباس	ابن عباس
٣٢٤	١٦	أبو لاحوص	أبو الاحوص
»	٢١	ابغي	ابغني
٣٣٠	١٩	لعدول	العدول
»	٢٢	أما فعله	ما فعله
٣٣٢	١٦	بعنيان	بعنيان
٣٣٣	٨	االوسط	الوسطى
»	١٠	يستطيع	يستطع
»	١٦	مرض	أمرض
٣٤٠	٦	ببيض	ببعض
»	٨	الكافرون	هم الكافرون
٣٤١	١٧	الحمق	الحق
٣٤٣	١٦	م‌م	أمم
»	١٧	أسلما	مسلما
»	١٨	مال	قال
٣٤٦	١٤	مال لهؤلا	ما لهؤلاء
»	٢	شر	شرا
»	٢٥	أو تولية	أي تولية
٣٥٨	٩	قبلنا	قبلتنا
٣٥٩	٦	الفرا	الفراء
»	١٤	أرسلناه	أرسلنا
٣٦٤	٩	أم سلمه	أم سلمة
٣٦٦	٢٥	لفقربات	للقربات
٣٧٣	٥	هد	هذا
٣٧٤	٨	أوثقو	أوثقوا
٣٧٥	٥	ولد	والد
٣٧٨	١٥	لدعوا	يدعو
»	٢٣	ذن	بأذان
٣٨٧	٦	ولا يمان	والايمان
٣٩٢	٣	ونساؤهم	ونساءهم
٤٠٠	٧	أنا	انما
٤٠٨	٢٧	والصوم	الصوم
٤٠٩	١٠	بو محمد	أبو محمد
٤١٠	١٩	العزيز	عبد العزيز
٤١٥	٢٤	الى	لي
٤٢٢	٢٩	أبوا غسان	أبو غسان
٤٢٥	٤ و ٥	فيتم فيقضيه؟	فيتمه ويقضيه
٤٢٩	٨	يحرم حلاله	يحرم حلالا
٤٣١	٢٧	الجيون	الجيوب
٤٣٣	٥	لذى	الذين
»	١٤	واحد	واحدا
٤٣٦	١٠	اعتدوا	اعتدى
٤٦٢	١٧	ونغزوا	ونغزوا(وفي نسخة ويغزو)
٤٣٧	١٦	عكومة	عكرمة
٤٤٢	٢٩	وعمرة	وعمرة
»	»	استطا	استطاع
٤٤٤	٢٣	بجر	بجج

صفحه	سطر	خطأ	صواب
٤٤٥	٢٩	لى	الى
٤٤٧	٢٢	اليه	واليه
«	٢٣	نفقه	نفقة
«	٢٥	الارى	الانصاري
٤٤٨	١١	دراهما	دراهم
٤٥٢	١٣	وحرامه	واحرامه
٤٥٤	٢٨	لا بها وفت	لابهام الوقت
٤٥٦	١٣	وذا الحجة	وذو الحجة
«	١٥	شوال وذوالقعدة	شوالاوذاالقعدة
٤٦٧	٢١	بغيره	بعيره
٤٦٩	■	عند	عنه
«	٩	ابن عباس	عباس
٤٧٠	٢٦	اد	اذا
٤٧١	٢٦	حبان	حيان
٤٧٢	٢١	منية	منيته
٤٧٣	٧	مردويه	ابن مردويه
٤٨١	٢٦	ن الملائكة	أن الملائكة
٤٨٥	١١	ابن مسعو	ابن مسعود
٤٨٩	٢١	إنكونوا	يكونوا
«	٢٢	لا أمة	الا أمة
٤٩٣	١	عزا	غزا
«	١٦	الخوازمي	الخوارزمي
٤٩٤	٢١	عليه المشركون	المشركون عليه (١)

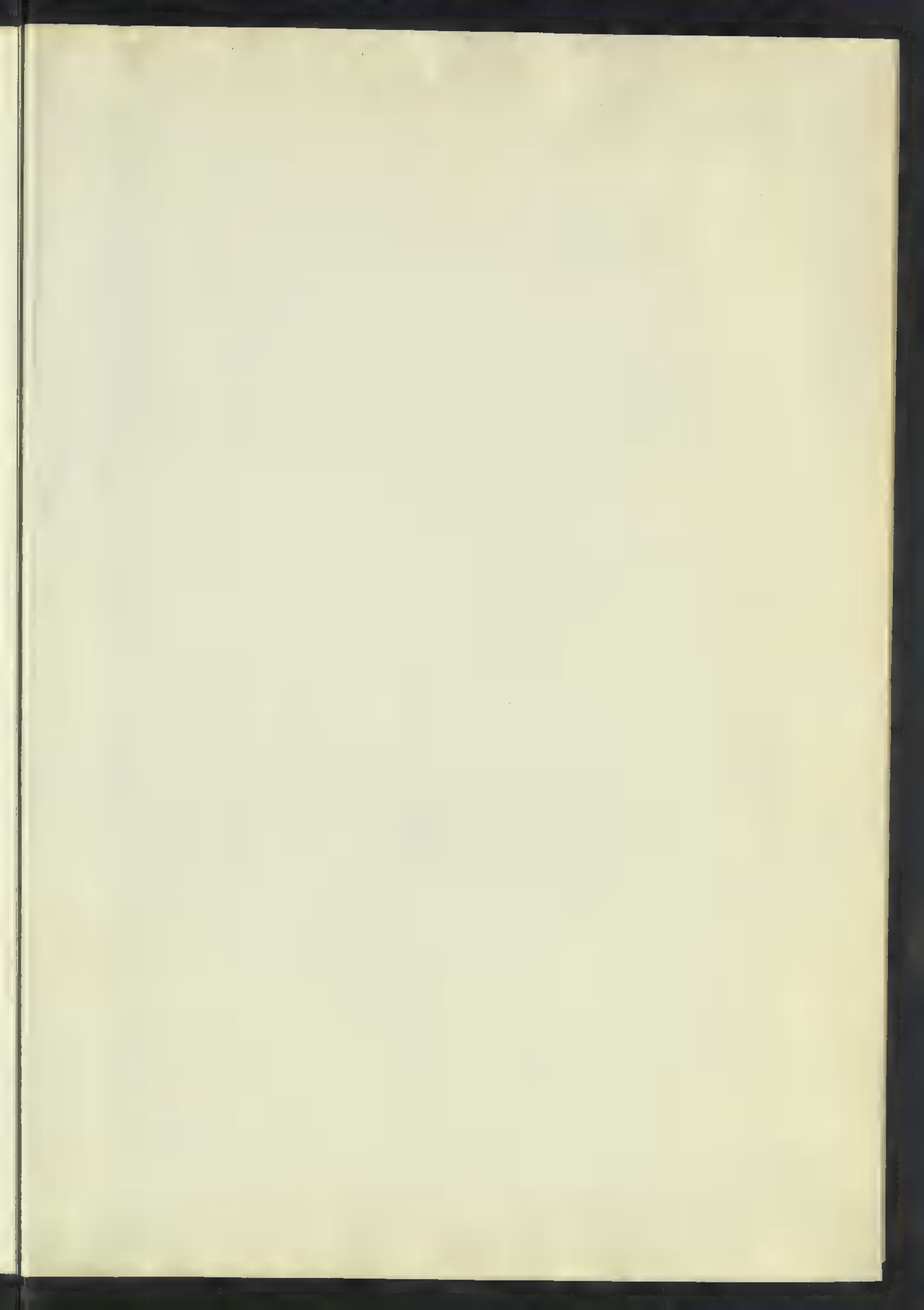
صفحه	سطر	خطأ	صواب
٤٩٨	١٢	استضى	استقصى
٥١٢	٢	دينارا	دينار
٥٢١	٢	ولاشبه	والاشبه
٥٢٤	٣	ثم	ثمّ
٥٣٠	١٠	ان لم يف	ن لم يفِ
«	٢١	مل	بن
٥٣١	١٦	الصحيح وغيره	الصحيح
٥٤٩	٢٩	فلت	فلم
٥٥١	٢	الوصلة	الواصلة
٥٥٥	٢٧	لله	الله
٥٥٦	٢٢	فبفلن	فبلغن
٥٥٨	٨	سديث	حديث
«	١٣	عن عدي ثابت	عدي بن ثابت
«	٢٣	وانما هو . . . ؟	
٥٦٠	٢	ولد	والد
٥٦٣	١٩	صبر	صبرا
٥٦٤	٢٣	حمارا	حمار
٥٧١	١	أبو المالة	أبو العالية
٥٧٧	١٤	لينتهن	لينتهين
٥٨١	٧	آذانها	آذنتها
«	١٨	ترى ابراهيم	نري ابراهيم
٥٩٢	٦	بى ربيعه	ابن ربيعة
«	٢٠	لنوحد	لتوجد
٦٠٤	١٤	اسد	أسداً

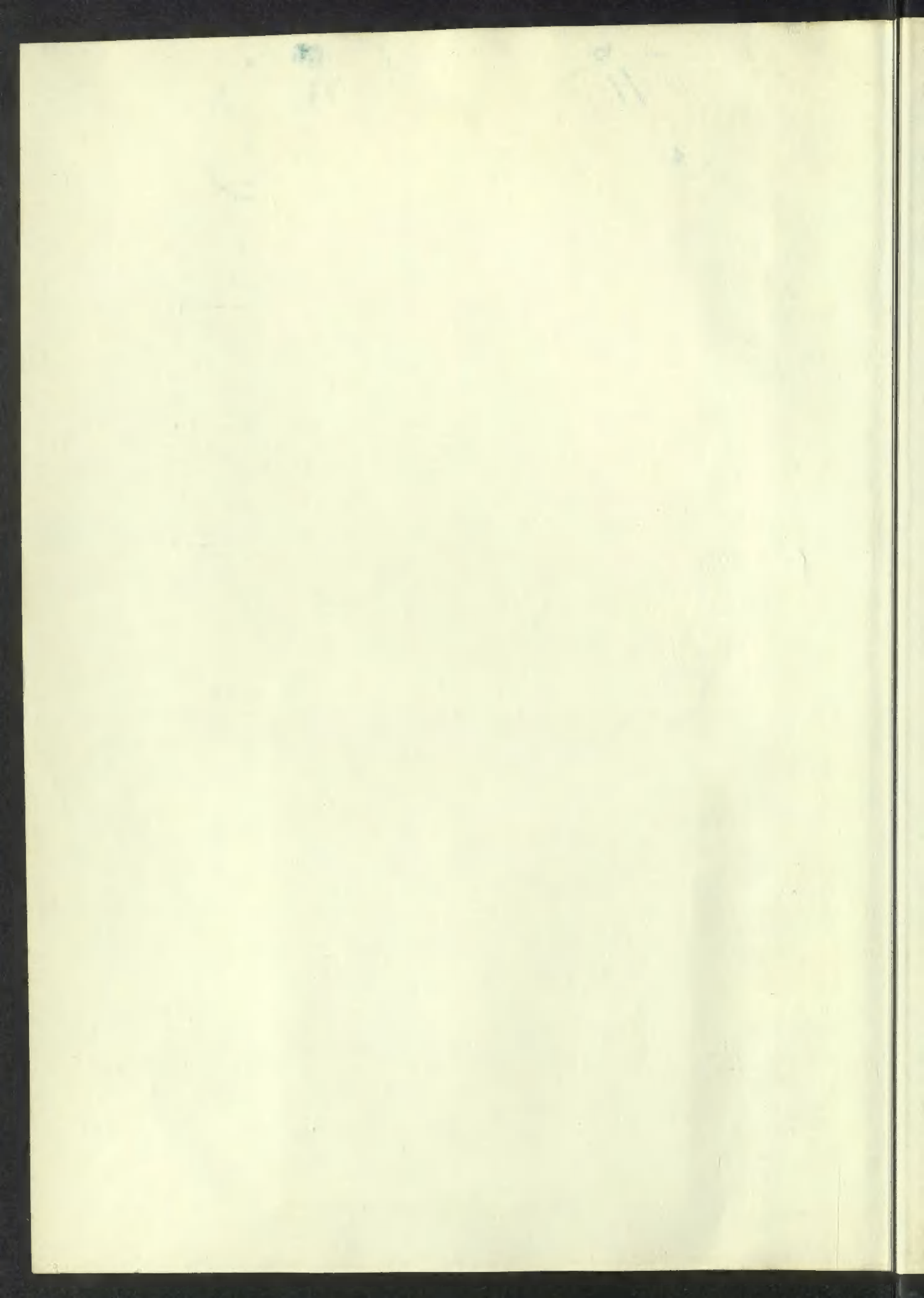
(١) في نسخة الازهر بياض قبل المشركون بقدر كلمة

﴿ تصحيح أغلاط تعليقات الحاشية بذكر الصحيح وحده غالبا ﴾

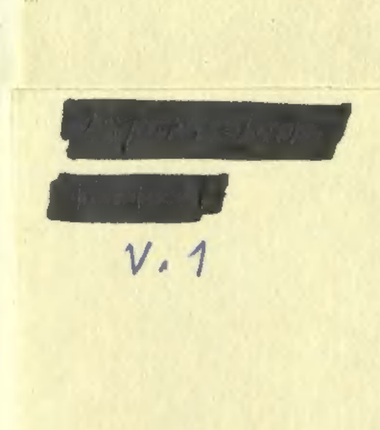
التعليقة الأولى المحاذية لاسم ابن كثير فى أعلى الصفحة ٢ محلها حذاء اسم البغوى في أدناها — وفي ص ٤٩ بقصده الما بد — وفي ص٥٦ تصحيح يقضي من الاصل مفضي وهو يقتضي أن يصحح ما بعدها منه فيقال فيفضي بهم ذلك الخ وفي ص ٧٥ أن المسؤل . وتعليقة ص ٨٩ خطأ لأن (كتاب الاحكام) من مصنفات المؤلف — وفي ص ١٣٠ وأما جمله في جماعة — وفي التعليقة ٢ ص١٣١ و بعض — سقط منها الواو — وتعليقة ص ١٣٥ بطلت الحاجة اليها بتصحيح الاصل كما في الجدول — وفي ص ١٥٩ والاول يقبل — وفي ٢٠١ كتفسير كتاب الله — سقط منها كتاب فيكتب — وفي ٢٩٤ الحكم (لا الحكم) — وفي ٣١٨ وعمم سقط منه الواو — وفي ٤١٨ واختار (أي بالواو لا الفاء) وفيها قبس (بالمثناة لا الموحدة) — و في ٤١٩ من حديث ونحوه في شأن الوقاع . (وما بعده تعليل لتعدية الرفث بالى) وفي ٥١٦ يضعون نقطا — وفي ٥١٨ «لا يستحي الله من الحق» حذف منه لفظ الجلالة — وفي ٨٠■ المخصص

(وما عدا ذلك مدرك بالبداهة وجل من لا يسهو ولا يغفل)





DATE DUE


V. 1

